القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(ق١ – ق ١٥هـ/ ق ٧ – ق ٢١م)

الجزء الحادي والثلاثون

أ . د . غيثان بن علي بن جريس
أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى
(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

القول المكتوب في تاريخ الجنوب

(موسوعة تاريخية حضارية)

(من ق١ – ق ١٥هـ/ ق ٧ – ق ٢١م)



الجــزء الحــادي والثلاثــون



أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بجامعتي الملك سعود والملك خالد سابقاً

الطبعة الأولى

(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)

عنوان الكتاب :	القول المكتوب في تاريخ الجنوب (موسوعة تاريخية حضارية) (ق١ - ق١٥هـ/ ق٧ - ق٢١م)
الجـــــزء :	الحـــادي والثلاثـــون
عدد الصفحات :	٦٥٢ صفحة — المـقـاس : ١٧ × ٢٤ سم
اسم المؤلف :	أ . د : غيثان بن علي بن جريس
ايميل المؤلف :	Email:ghithanjris@gmail.com (أبها- المملكة العربية السعودية)
رقم الطبعة :	الطبعة الأولى : ١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م
رقم الإيداع :	٢٠٧٩٨ /٢٠٢٥
الترقيم الدولي :	٤ - ٢٣١ - ٩٧١ - ٩٧٧ - ٩٧٨



دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

تليفون : 00201030502390 - 00201211132879

بريد الدار : mohamedhamdy217217

المدير العام : د . فادية محمد هندومة

التنسيق الداخلي ، وتصميم الغلاف : نبيل كمال - ت : 00966 559852754



الفهرست العام لمحتويات الكتاب



المقدمـــة

إن الحمـد لله نحمده ونسـتعينه، ونسـتغفره ونعوذ بالله من شـرور أنفسـنا ،ومن سيئـات أعمالنـا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (ﷺ) .

قـال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[1] . وقـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[2] . وقـال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[3] .

أمـا بعـد: فطلب العلـوم، ومجالسـة أهل العلـم والمعرفة يُعـد من أفضـل المناقب وأسماهـا ، نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يجعل جميع أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم . وكما أشار الشاعر في أهمية وفضل طلب العلم، فقال[4] :

يا طَالِبَ العِلْمِ لا تَبْغِي بِه بَدَلًا ... فَقَدْ ظفرت وَرَبِّ اللَّوْحِ والْقَلَم
وقَدِّسِ العِلْمَ واعْرِفْ قَدرَ حُرْمَتِه ... فِي القولِ والفِعْلِ والآدابَ فَالْتَزِمَ
واجْهَدْ بِعَزمٍ قَوِيٍّ لا انْثِنَاءَ لَهُ ... لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ قَدرَ العِلْم لَمْ يَنَمِ
والنُّصْحُ فابْذُلْهُ لِلطُّلابِ مُحْتَسِبًا ... في السِّرِّ والْجَهْرِ والأُسْتَاذَ فَاحْتَرِمِ

أشـرت في السطور السابقة إلى أهمية التقوى، وفضل العلم. ومن يتق الله في السر والعلـن، ويسعى إلى طلب المعرفة والعلم النافع، ويرجـو بذلك وجه الله، فإنه لن يُحرم الأجـر مـن رب السماوات والأرض، ثم إنه سـوف يعيش حياة طيبة مليئـة بالطمأنينة

---

(١) سورة النساء ، الآية (١) .
(٢) سورة الأحزاب ، الآيتان (٧٠- ٧١) .
(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢) .
(٤) انظر، الوصية الميمية ، ص٣. وهناك عشرات المصادر والمراجع والدراسات العلمية القديمة والمتأخرة التي فصلت الحديث (نثراً وشعراً) في أهمية العلم وفضله، ودوره في حياة الناس .

والراحة النفسية، ونسأل الله أن يجعلنا من طلاب العلم الطيب المبارك الذي يفيدنا في الدنيا والآخرة.

في هــذه المقدمة أحمــد الله – عَزَّوَجَلَّ – أن وصلت إلى الانتهاء من إنجاز المجلد رقم (٣١) من موسوعتي التاريخية الحضارية: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب** ، وأسأل الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ أن يكون هذا السفر الكبير متعدد الأجزاء وما دون وحفظ فيه من العلوم النافعة المقبولة عند رب السماوات والأرض، كما آمل أن يكون من العمل الطيب الذي أجد أجره حيــاً وميتــاً، وأن يجد فيه طلاب العلــم معارف مفيدة تعود على البــلاد والعباد بالخير والنور والبركة[١].

أمــا هذا الجــزء رقم (٣١): **القــول المكتوب في تاريــخ الجنوب: موسـوعة تاريخية حضـارية (ق١ــ ق١٥هـ/ق٧ــ ق٢١م)**، فهـو بداية السلم الرابع في عــدد المجلدات، أي الجــزء الحــادي والثلاثون[٢] ، ويتكون من مقدمة ، وملحق صــور فوتوغرافية، وخمسة أقسام رئيسية.

١- **القســم الأول: خمس دراسـات علمية قديمـة وحديثـة في التاريـخ، واللغـة، والجغرافيا في جنوب شبه الجزيرة العربية**: سبق هذه البحوث الخمسة توطئة أشرت فيها إلى نبذة مختصرة عن كل دراسة ، وأولها: نجران في التراث السرياني في القــرون الإسلامية الأولى والوسيطــة. وثانيها: الألفــاظ الهندية المقترضة في اللهجات اليمنية، والثالثة والرابعة: عن بعض القرى في محافظة المجاردة، ومركز

---

(١) إنها فترة زمنية طويلة، حوالي ربع قرن (١٤٢٢ــ١٤٤٧هـ/٢٠٠١ــ٢٠٢٥م) وأنا أقرأ وأعمل وأتابع مسيرة هذا الكتاب الموسوعي عن تاريخ وحضارة بشر لم يُكتب تاريخهم وحضارتهم عبر أطوار التاريخ، وأرجو أن يجــد طلاب العلــم الباحثون في هذه الموسوعة الحضارية التاريخية إشارات ومنارات يهتدون بها في إنجاز أعمال علمية أطول، وأفضل، وأعمق وأجود .

(٢) إن رحلتي مع هذه الموسوعة لم تكن سهلة ولا يسيرة، فقد أنجزت الجزء الأول، وكنت أظنه الكتاب الوحيد، لكنــه خــرج الجزء الثاني ، وبعد الجزء العاشر فكرت التوقف ، لكننــي واصلت إلى الجزء رقم (١٥) ، ثم الجــزء رقــم(٢٠)، ثم الجزء رقــم (٢٥)، وأخيراً الجزء رقم (٣٠). وعند كل رقم مــن الأجزاء السابقة راودتنــي الرغبة والنيــة على التوقف، لكنني واصلــت حتى هذا الجزء (٣١)، وهنــاك الكثير من زملائي وطلابي بعض أساتذة الجامعات ينصحون منذ أكثر من عشر سنوات أن أتوقف عند جزء محدد من هذه السلسلة ، لكن سبحان الله، أجد نفسي مدفوعاً للمواصلة، وقد أشرت في نهاية مقدمة الجزء الثلاثين أنني ســوف أستمــر في إصدار أجزاء هذه الموسوعة العلميــة إلى المجلد رقم (٤٠) ، والله أعلم ، هل ذلك سوف يتحقــق، أم لا. وأســأل الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ أن يقــدرني ويدلني ويساعدني على استكمال هــذا الهدف ، وإن لم أستطع ، فقد اجتهدت، وأسأل الله أن لا يحرمني أجر ما قدمت (وصل الله وسلم على رسول الله ، محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة والسلام).

بلّسمر في تهامة وسراة منطقة عسير خلال العصر الحديث. أما المبحث الخامس: يدرس النباتات في جبل البلس في محافظة بلقرن شمال منطقة عسير[١].

٢- **القسم الثاني: بادية شرق منطقة عسير(١٣٤٠ــ١٣٧٥هـ/١٩٢١ــ١٩٥٥م) (دراسة تاريخية حضارية)**[٢]. وقد ورد في هذا البحث تفصيلات وتحليلات حضارية عديدة عن جزئيات من تاريخ الأرض والناس في بوادي شهران وقحطان الشرقية خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي[٣].

٣- **القسم الثالث: مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصر الحديث (الجزء الثاني)**.[٤]. والمقالات المنشورة متنوعة في عناوينها وموضوعاتها، وسبق نشر معظمها في صحيفة النماص اليوم الرقمية، وموقع رابطة أدباء الشام. وأغلبها تستحق أن تدرس في كتب أو بحوث علمية ورسائل جامعية.

٤- **القسم الرابع: خلاصة قراءات، ورحلات، ومشاهدات في تهامة والسراة في العصر الحديث والمعاصر.** واعتمدت في إنجاز هذا المبحث على قراءتي ورحلاتي ومشاهداتي في أرجاء السروات وتهامة من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى

---

(١) كل هذه البحوث مازالت تحتاج مزيداً من الدراسة والشرح والتحليل، وتعد محطات أولية لإنجاز بحوث أفضل وأعمق في موادها العلمية، ونتائجها البحثية.

(٢) هذه الدراسة في الأساس رسالة دكتوراه للدكتور سعيد بن عبدالله بن جفشر حصل عليها من جامعة الملك عبدالعزيز عام(١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). وكان عنوانها: (الجوانب الاجتماعية في بادية عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز من عام (١٣٣٨ــ١٣٧٣هـ/١٩٢٠ــ١٩٥٣م)، وعدد صفحاتها (٣٤٠) صفحة. ثم أرسلها لي مع خطاب شخصي وطلب نشرها، أو نشر أي جزء منها في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وعند الاطلاع عليها وجدتها مليئة بالكثير من التكرار والحشو الذي لا يؤهلها إلى النشر، عندئذ قضيت بضعة شهور في مراجعتها، وإعادة صياغة معظم مادتها، وحذف الكثير من صفحاتها وفقراتها، وتغيير عنوانها إلى العنوان المذكور أعلاه، وأرجو أن أكون ساهمت في إصلاحها علمياً ومنهجياً وتوثيقياً. والله الهادي إلى سواء السبيل. (ابن جريس).

(٣) في الحقيقة أشكر الابن الدكتور سعيد بن عبدالله بن جفشر على دراسة هذه البلاد في رسالته الوارد اسمها في الحاشية السابقة. لأن هذه المناطق البدوية في منطقة عسير غير مخدومة علمياً وبحثياً. وقد منحني فرصة أن قضيت وقتاً طويلاً في مراجعة ما كتب، وتشذيب وترتيب وإصلاح ما استطعت. ولا ندعي (الدكتور سعيد وأنا) أننا قدمنا عملاً وافياً رصيناً متكاملاً، لكن حسبنا أننا اجتهدنا في دراسة ثم نشر هذا الموضوع، ونأمل أن يفتح أبواباً أوسع وأفضل لطالبات، وطلاب، وباحثات، وباحثين آخرين فيصححوا ما وقعنا فيه من أخطاء أو يستكملوا ما لم نستطع دراسته وتوثيقه. وعموم البوادي في بلاد تهامة والسراة مازالت من العناوين والموضوعات الجديدة والمهمة التي يجب الاعتناء بها بحثياً، والأمل في جامعاتنا المحلية أن تدعم وتشجع إنجاز مثل هذه المشاريع التاريخية والحضارية الجديرة بالرعاية والاهتمام. (ابن جريس).

(٤) نشر الجزء الأول في: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثلاثون)، وعدد المقالات المنشورة هناك (١٥) مقالة. أما الجزء الثاني فالمنشور (٢٢) مقالة.

وقتنـا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). وكل الذي وثقتـه سمعته أو قرأته ، أو عرفته وعاصرته[١].

٥- **القسـم الخامس: غيثـان بن جريس يوثق صفحات من تاريخ مكـة المكرمة في العصـر الحديث بالشرح والصـورة الفوتوغرافية. (الجزء الأول)**. غيثان ابن السراة، وتحديداً من محافظة النماص، لكنه يتردد على الحجاز من نهاية القرن الهجـري الماضي، وبحث وأنجز بعض الدراسات والكتب عن المدن المقدسة (مكة المكرمـة، والمدينة المنورة). والمادة المنشورة في هـذا القسم استمراراً لاهتماماته بأرض الحجاز، ومعظـم المادة المنشورة صـور فوتوغرافية عـن معالم عديدة في المسجد الحرام وما حوله من أرض مكة المكرمة[٢].

خلاصة القول:

مـا زلـت أعمل وأجتهـد في خدمة دينـي وبلادي وأهلـي، وأرجو أن أكـون مخلصاً وفيـاً ، وعـادلاً وصادقاً في كل ما أسعـى إلى دراسته ورصده. وأسـأل الله أن يستعملني ويسخرني ويوفقني ويهدني للصواب في أعمالي وأقوالي، وأن يعينني على محاربة نفسي والشيطـان، ويجعلني من الذيـن يقولون القول فيتبعون أحسنـه، وصلى الله وسلم على الرسول الأمين، محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وكتبه

غيثـان بـن علـي بـن عـبـدالله بـن جريس الـثـوابـي الجـبـيري الـشـهـري الحجـري الهنوئي الأزدي بين مدينتي أبها والنماص يـوم الخـمـيـس(٣/٤/١٤٤٧هـ الموافـق ٢٥/٩/٢٠٢٥م).

(١) ربمـا ينتقـدني بعض الباحثين والقـراء الكـرام على هـذا التوثيق الـذي جل مادتـه قامت علـى الرحلات والمشاهـدات. وأقـول: لقد اجتهدت وحرصت أن لا أكتب إلا علوم ومعـارف صحيحة، وأرجو أن أكون وفقت في ذلك ، كما أرجو أن تكون هذه التوثيقات نقاطاً مهمة تساعد من يقرأ ويبحث في تاريخ وتراث وحضارة البلدان التهامية والسروية. وأسأل الله - عَزَّوَجَلَّ - أن يغفر لي ويتجاوز عني إذا كنت وقعت في أخطاء غير مقصودة.

(٢) آمل أن أنجز في قادم الأيام دراسات تفصيلية عن أرض الحجاز وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة عبر عصور التاريخ وتحديداً العصور الإسلامية المختلفة .

القســم الأول

خمس دراسات علمية قديمة وحديثة في التاريخ، واللغة، والجغرافيا في جنوب شبه الجزيرة العربية

القسم الأول

خمس دراسات علمية قديمة وحديثة في التاريخ، واللغة، والجغرافيا في جنوب شبه الجزيرة العربية

أولاً: توطئة:

ليست جنوب شبه الجزيرة العربية على مستوى واحد في الخدمة العلمية والبحثية التاريخية والحضارية. فالحواضر الكبرى في اليمن صدر عنها الكثير من الدراسات العربية والأجنبية [(١)]. أما المناطق الواقعة بين حواضر الحجاز واليمن فمازال تاريخها مفقوداً في عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[(٢)].

(١) من يبحث في فهارس المكتبات العربية وغيرها يجد آلاف الدراسات عن بلاد اليمن وبخاصة مراكزها السياسية والحضارية الكبيرة قبل الإسلام وبعده. وهناك مواضع ريفية أو نائية لم تنل النصيب الجيد بحثياً وتوثيقياً.

(٢) هذا الذي عرفته وتأكدت منه وأنا أدرس وأبحث في تاريخ وموروث هذه البلاد منذ خمسة عقود (١٣٩٦ـ١٤٤٦هـ/١٩٧٦ـ٢٠٢٥م).

أنجزت طباعة ونشر عشرات البحوث في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) عن موضوعات مختلفة في بلاد السروات وتهامة منذ العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر، ووجدت أن هذه الديار لها تراث وآثار وتاريخ وحضارة قديمة ووسيطة وحديثة ومعاصرة. وكل الذي تم إنجازه لا يمثل إلا نسبة قليلة جداً من المخزون الحضاري والمعرفي الواسع لهذه الأوطان، وللأسف إن المصادر المبكرة لحياة الأرض والناس غير متوفرة، مع أن الديار مليئة بالآثار المادية السطحية والمدفونة ومازالت ضائعة ومهملة، ولا تجد من ينقب عنها تنقيباً عملياً وعلمياً جادين، وإن تم ذلك فقد نعثر على صفحات قيمة من تاريخها وآثارها في عهود ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية الأولى (ق١ ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م) [١].

من يدرس ويوثق شيئاً من تاريخ وحضارة تهامة والسراة منذ ما قبل التاريخ إلى بداية العصر الحديث (ق١١هـ/ق١٧م) ، لابد أن يقرأ ويبحث في حضارة وموروث الحجاز واليمن، لأن الديار التي في الوسط(تهامة وسراة) كانت ومازالت حلقة مهمة جغرافياً وتاريخياً وحضارياً بين الناحيتين اليمنية والحجازية. ومن يفعل ذلك ويفحص المصادر الحجازية واليمنية فما من شك فسوف يجد إشارات ومعلومات مختلفة عن البلاد السروية والتهامية، وقد لا تكون كثيرة، لكنها تساعد في الخروج ببعض النتائج والاستخلاصات عن أرض وحياة السرويين والتهاميين[٢].

هذا القسم الموسوم بـ : **خمس دراسات علمية قديمة وحديثة في التاريخ، واللغة، والجغرافيا في جنوب شبه الجزيرة العربية**، اشتمل على بحوث متنوعة في الزمان والمكان والتخصص العلمي، وهي على النحو الآتي:

١ـ نجران في التراث السرياني منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي:

والمفيد أن صاحب البحث أستاذ متخصص، واعتمد في رصده وتوثيقاته على بعض المصادر السريانية، ونحن في أمس الحاجة إلى معرفة تاريخ بلادنا (تهامة

(١) ذكرت هذا الكلام في أكثر من مكان من بحوثي التي صدرت خلال الأربعين عاماً الأخيرة (١٤٠٦ـ ١٤٤٦هـ/١٩٨٦ـــ٢٠٢٥م) ، وقد يعارضني بعض الباحثين فيما دونت ويقولون : إن هناك دراسات عربية وأجنبية عديدة عن مواضع في تهامة والسراة قبل الإسلام وبعده، ولا أعترض على هذا القول، لكن الذي صدر حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) شذرات ومقتطفات قليلة وناقصة، والذي نريد ونتطلع إليه أعمالاً موسوعية وجادة وعميقة عن جميع مفاصل الحياة في هذه البلاد من العصر القديم حتى بدايات العصر الحديث.

(٢) إن القارئ والمتأمل في الموروث الحضاري عند أهل اليمن والحجاز سيجد أوجه شبه واختلاف عند سكان الإقليمين. أما البلاد الوسط (تهامة والسراة) فقد اتصلت وأثرت وتأثرت من الحضارتين اليمنية والحجازية. وهذا النوع من التاريخ والحضارة مازال غير مخدوم في بحوث علمية عميقة وجادة ورصينة .

والســراة) في المصادر الكلاسيكيــة الأجنبية، لأنها لا تخلو من معلومات قيمة لا نجدها في مصادرنــا العربية التقليديــة، ومازال هناك الكثير من المصــادر والمراجع اللاتينية الجديرة بالدراســة والبحث والتعليق والترجمة إلى اللغــة العربية، والأمل في جامعاتنا العربية أن تدعم وتشجع مثل هذه المشاريع العلمية النوعية[١].

٢ـ الألفاظ الهندية المقترضة في المحكية اليمنية:

هــذا البحــث لا يقــل في مستــواه وأهميتــه عــن البحــث السابــق، فكاتبــه أستــاذ بــارع في علــم اللسانيــات، وأنجــز دراســة وتحليــل ومقارنــة بــين بعضــ المفــردات والاصطلاحــات اللغويــة الهنديــة والعربيــة اليمنيــة، وهــذا العمــل يؤكــد لنــا تداخل وتقــارب الثقافــات والحضــارات، ولا يستغــرب ذلــك في الجزيرة العربيــة فهي موطن حضــارات قديمــة، وموقعها الجغــرافي والسياسي يؤهلهــا لتكون ذات تــراث وحضارة متنوعة، وصلات متعددة داخلية وخارجية مع شعوب وبلدان شرقية وغربية[٢].

٣ــ القرى التراثيــة والأثرية في محافظة المجاردة، وأهميتها في تشكيل هوية البلاد (قريتا صيوى وقلعة أنموذجاً):

هذه الدراسة محلية، ومتخصصة في دراسة التاريخ المحلي من خلال المعالم العمرانية التراثية القديمة. وهذا الموضوع مهم جداً، لأن الذاهب في أرجاء اليمن، والحجاز، والسروات وتهامة يشاهد آلاف الأبنية الأثرية والتراثية، وهي جزء من تاريخ البلاد في عصور ماضية، ومــن يدرسها بطرق جادة فسوف يطلع على صفحات مهمة من تاريخ الأرض والناس، وهي فعلاً من المصادر المادية التي يجب الاستفادة منها في مجال التوثيق والبحث العلمي.

٤ـ صفحات مختصرة من تاريخ بلَّسمر الحديث (منطقة عسير) في الرسـائل المتبادلة بين غيثان بن جريس ومنصور ابن حصان الأسمري:

وبلادنــا (تهامــة والســراة) متنوعــة التضاريــس والتركيبــات البشريــة، وأغلب قراهــا وبلدانهــا وأريافهــا مازالت مجهولــة في حضارتهــا وتاريخها البعيــد والقريب.

---

(١) قضيت حوالي عشر سنوات في أمريكا وبريطانياً، وقابلت عشرات الأساتذة الغربيين، وزرت مكتبات كثيرة في أوربا وامريــكا فوجدت فيها الكثير من المصادر والبحــوث الأجنبية الجيدة التي لا تخلو من مواد علمية جديدة لها صلة بتراث وتاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة.

(٢) إن هذه الدراسة في مجال اللغة واللسانيات، وجزيرة العرب بشكل عام، واليمن على وجه الخصوص مجال كبير لإنجاز مئات الدراسات العلمية المتنوعة في مجالاتها وعناوينها. وإن درسنا الصلات الحضارية بين سكان شبه الجزيرة العربية وغيرها من بلدان العالم فذلك ميدان ثري بمواده العلمية المتنوعة في الأهداف والتخصصات.

وسروات بلّسمر إحدى الأمثلة المأهولة بالسكان، وذات تراث وتاريخ لكنه غير موثق. ولا معروف، ورأيت الاتصال بأحد أعلام هذه الناحية للكتابة لي عن جزئيات من موروثها الحضاري، وقد اجتهد فدون شذرات قليلة عن هذه البلاد التي تستحق أن تُخدم بحثياً في شتى المجالات المعرفية. والذي أنجزته والأستاذ ابن حصان ليس إلا وقفة علمية محدودة غير معروفة ولا مكتوبة من قبل(١).

٥ـ تنوع الغطاء النباتي في جبل البلس شمالي منطقة عسير (المملكة العربية السعودية) :

هذه الدراسة لأستاذ متخصص له جهود جيدة في دراسة موضوعات جغرافية بشرية وطبيعية في بعض الأمكنة من بلاد السراة. وعلوم النبات والحيوان في عموم تهامة والسراة من الموضوعات الكبيرة والمتنوعة، ومن يتخصص في هذين المجالين فسوف يجد مادة علمية كثيرة ومتعددة عمَّا تشتمل عليه هذه الديار من مئات الأصناف الحيوانية والنباتية، وكل صنف له عالمه الخاص وأثرة وتأثيره على الطبيعة الجغرافية والتركيبة السكانية. وعرف السرويون والتهاميون الكثير من هذه الكائنات الحية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى وقتنا الحاضر، وصدرت بعض الدراسات القليلة عن بعض النباتات والحيوانات، لكنها مازالت متواضعة ومحدودة(٢).



(١) من خلال رحلتي العلمية والبحثية الطويلة حاولت استكتاب عشرات الأعلام عن موضوعات محددة في بلادهم من خلال معاصرتهم ومشاهداتهم، ونجحت مرات عديدة في جمع بعض المذكرات والمدونات التي تعكس صفحات من التاريخ المحلي، وهذه الطريقة التي سلكتها ومازلت أمارسها صعبة جداً، لأن الغالبية من الناس لا يتجاوبون ولا يفضلون ولا يرغبون التوثيق العلمي والمعرفي الجاد، حتى وأن كانوا قد شاهدوا وعاصروا ما طلب منهم تدوينه.

(٢) عشت في أروقة جامعات عربية وأجنبية من منتصف التسعينيات في القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، واطلعت على الكثير من الدراسات الأدبية والعلمية التي صدرت عن جوانب عديدة في جنوب شبه الجزيرة العربية (تهامة والسراة)، ووجدت البلاد الواقعة بين الحجاز واليمن من أغنى البيئات في معالمها ومواردها المادية والمعنوية، الطبيعية والبشرية، وحياة الحيوان والنبات تأتي في مرتبة كبيرة ومتقدمة من حيث الوفرة والتنوع، ومن ثم فهي موضوع واسع ومتشعب لمن رغب البحث والدراسة والتحليل والتخصص في هذا الباب.

ثانيـاً: نجـران في الـتراث السـرياني منـذ ظهور الإسـلام حتـى نهاية العصـر العباسـي: دراسة نقدية في ضوء المصـادر الموازية. بقلم. د. عوض بن عبدالله ابن ناحي[(١)].

١ـ تمهيد:[(٢)]

لم يقتصر تأريخ المصادر السريانية لمنطقة نجران على تناول الحقبة المبكرة لتاريخ النصرانية في نجران وصولاً إلى حادثة الأخدود التي أفردت لها الكثير من صفحاتها[(٣)]، بـل إن اهتمام تلك المصــادر بالمنطقة امتد إلى القرون الوسيطة من التاريخ الإسلامي.

---

(١) الدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي العسيري من طلابي المميزين ، عرفته جاداً ومجتهداً ، وله جهود جيدةٍ ومباركة في التاريخ والحضارة الإسلاميةٍ وبخاصة في جنوب شبه الجزيرة العربية وفي بلاد نجران تحديداً قبل الإسلام وبعده، ويعمل حالياً أستاذاً في جامعة نجران . للمزيد عن سيرته انظر لمحات من سيرته في بعض أجزاء (موسوعة القول المكتـوب في تاريخ الجنوب) ، وفي كتاب (منطقة نجران (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) الجزءان الأول والثاني. (ابن جريس) .

(٢) تولـت جامعـة نجـران ممثلة في عمـادة البحـث العلمي مشكـورة دعم هـذا البحث (رمـز البحث:NU/SHED/17/055) في جميـع مراحل كتابته حتى إتمام كتابته ونشره في مجلة الجمعية التاريخية السعودية بجامعة الملك سعود، العدد: ٤٣، يناير ٢٠٢١م، ص ٧- ٤٨.

(٣) ومـن تلك المصــادر التي كُتبت خصيصــاً عن تاريخ النصرانيـة في نجرانٍ«رسالتي شمعـون أسقف بيت أرشام»، و«كتاب الشهداء الحميريين» لمؤلف مجهول، وكلاهما ألفا خصيصاً عن محرقة الأخدود. انظر:
Zachariah of Mitylene, The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene, Transl. Hamilton, F. & Brooks, E. (Methuen & Company, 1899), pp. 192- 203. Anonymous, The Book of the Himyarites, Ed. And Transl. Axel Moberg, (Lund, Sweden: CWK Gleerup, 1924), pp. xcix – cxlvi. Anonymous, The Chronicle of Zuqnīn, Parts III and IV: AD 488- 775: Translated from Syriac with Notes and Introduction, by. Amir Harrak, (PIMS, 1999), pp. 78- 85. Shahīd,ʿIrfan, The Martyrs of Najrān: New Documents, (Bruxelles: Soc. des Bollandistes, Bd. Saint-Michel, 1971), pp. 43- 64.

والحقيقة أن البحث التاريخي الحديث أبدى اهتماماً متصاعداً بنجران وخاصة بعض الدراسات التي عُنيت بما كتبته المصادر النصرانية (السريانية- اليونانية - اللاتينية - الحبشية - العربية) عن نجران خاصة خلال المرحلة التي سبقت ظهور الإسلام(١). غير أن الطابع المشترك بين تلك الدراسات السابقة يتمثل في أنها أولت جُل تركيزها على مسألتي وصول النصرانية إلى نجران، وحادثة اضطهاد النصارى المعروفة في المصادر الاسلامية بقصة الأخدود، ثم تدخل الأحباش. وذلك لا يعني أن ثمة دراسة تناولت بعض ما كتبته الموارد السريانية عن نجران خلال المرحلة الإسلامية إلا أن ذلك ظل محصوراً على قضايا محددة. فقد قدّم «جون بلوك» (C. Jonn Block) دراسة عن "النصرانية المنوفيزتية في جنوب الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام وانعكاساتها على الترجمة الإنجليزية لمفردة "الثلاثة" في القرآن" (Philoponian Monophysitism in South Arabia at the advent of Islam with implications for the English translation of ʻThalātha' in Qur'an)(٢) ورغم اعتماد الباحث

(١) من الدراسات المنشورة باللغة الإنجليزية كتاب لـ أ.د. عرفان شهيد عن «شهداء نجران: وثائق جديدة» (The Martyrs of Najrān: New Documents) والتي تحدث فيها عن المصادر النصرانية التي أرّخت لحادثة اضطهاد نصارى نجران، ومقالة له بعنوان «بيزنطة في جنوب الجزيرة العربية» (Byzantium in South Arabia)، ودراسة حديثة نسبياً لـ « نوربرت نيبيز» (Norbert Nebes) عن "شهداء نجران ونهاية مملكة حمير" (The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar). كما أبدت الدراسات العربية اهتماماً جيداً بما كتبته المصادر النصرانية عامة والسريانية على وجه الخصوص عن نجران، ومن أهم تلك الدراسات على سبيل المثال "أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية"، لصلاح أبو جودة اليسوعي ومقالة عن «ديانة شهداء نجران» لـ أ.د. عائشة ابو الجدايل، ورسالة ماجستير للباحثة كوثر محمد سعيد بعنوان «الأخدود بين المصادر العربية و المصادر القديمة»، ومؤخراً كتب أ.د. عبدالعزيز رمضان مقالاً عن «روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية». للمزيد عن هذه الدراسات انظر:
Shahīd, ibid, pp.17 -276. Shahîd, Irfan. "Byzantium in South Arabia", Dumbarton Oaks Papers / Dumbarton Oaks Center for Byzantine Studies, 1979, pp. 2394-. Nebes, Norbert, "The Martyrs Of Najrān And The End Of The Himyar: On The Political History Of South Arabia In The Early Sixth Century", The Qurʾān in Context, (Brill, 2009), 25 -60.
أبو جودة، صلاح أبو جودة اليسوعي، "أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية"، مجلة المشرق، يناير ١٩٩٧، عدد١، ص ٨٣- ١١٥. أبو الجدايل، عائشة سعيد، «ديانة شهداء نجران قراءة جديدة للمصادر الأولية»، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، الحولية ٢٥ (الرسالة ٢٢٢)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١١- ٥٧. علي، كوثر محمد سعيد، «الاخدود بين المصادر العربية و المصادر القديمة»، (رسالة ماجستير مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص ٩٦- ٥٨٢. رمضان، عبدالعزيز محمد، «روايات المصادر البيزنطية والمسيحية الشرقية»، دراسة نشرها أ.د. غيثان بن جريس ضمن: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثامن عشر، ط١، (الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م)، ص ٣٤- ٦٢.

(2) lock, C. Jonn, « Philoponian Monophysitism in South Arabia at the Advent of Islam With Implications for the English Translation of 'Thalātha'in Qurʾān", 4. 171 and 5. 73, Journal_of_Islamic_Studies, 2012, 23, 50-75.

على المـوارد السريانية في دراسة التاريخ المذهبي والعقدي لنصارى نجران منذ وصول النصرانيـة إلى نجـران، إلا أن تلـك المصادر تغيـب عند درستها للمسألـة نفسها عند ظهور الإسلام ونقاش قصة لقائهم بالرسول ﷺ.

مؤخـراً نشـر «أحمد الوكيـل» دراسة حديثة عـن «معاهدة الرسـول ﷺ مع نصارى نجـران: دراسـة تحليليـة عـن صحـة العهـود" (The Prophet's Treaty with the Christians of Najrān: An Analytical Study to Determine the Authenticity of the Covenants) [1]. وفيها ركز الباحث على تقديم دراسة مقارنة حول عهد وسجل النبي ﷺ لنصارى نجران في ضوء الروايتين الإسلامية والنصرانية كما سيأتي معنا في حينه.

إن توظيـف المصادر السريانيـة في دراسة تاريخ نجران خـلال المرحلة الإسلامية يـكاد يكون محـدوداً في قضية واحدة لا تتجاوز صحة عهـود الرسول ﷺ لوفد نصارى نجـران. ولذلك فإن ثلاثة أسئلة رئيسة تسعى هذه الدراسـة إلى الإجابة عليها، أولها: يتعلـق بأسباب هذا الاهتمام الذي أبدتـه المصادر السريانية النصرانية بنجران خلال العصـر الإسلامي. أما ثاني هذه الأسئلـة: فيبحث في كيفية تأريخ هذه المصادر لعلاقة السلطـة الإسلاميـة بنصارى نجران ومدى اتفاقها أو اختلافهـا مع الرواية الإسلامية التـي سيطرت على تأريخ هـذه المرحلة. لكن السؤال الثالث وهـو الأهم يتمثل في ماهية الجديـد من المعلومـات الذي تقدمه المصادر السريانيـة في تاريخ نجران وإلى أي مدى ستساهـم هـذه المعلومـات إن وجدت في الإجابة علـى أسئلة مفتوحـة تناولتها دراسات حديثـة دون إجابات مقنعة. فمذهب نصارى نجران في السيد المسيح – عليه السلام- وهويـة كنائسهم المذهبية، وقصة إجلائهم من نجـران، وحجم وجودهم اللاحق ظلت مسائل شائكة تبحث عن إجابات واضحة.

مـن أجل الإجابة على هذه التساؤلات، حـددت الدراسة إطارها الزمني في مرحلة تمتـد من عصـر النبوة وحتى النصـف الثاني من القـرن السابع الهجـري الذي شهد سقـوط الخلافة العباسية. صحيح أنها فـترة زمنية طويلة – قرابة سبعة قرون – لكن محدودية المعلومات والمصادر المتاحة، وارتباط القضايا التي تخص تطور علاقة سلطة الدولـة الإسلامية بالمنطقة تجعل من الضروري دراسة كل هذه الحقبة الزمنية الطويلة في بحث واحد.

(1) El-Wakil, Ahmed, «The Prophet's Treaty with the Christians of Najran: An Analytical Study to Determine the Authenticity of the Covenants», Journal_of_Islamic_Studies, Oxford University, 27:3, (2016), pp. 273–354

٢ـ إشكالية المصادر:

قبل الإجابة على أسئلة هذه الدراسة فإن سؤالاً لا يقل أهمية يتطلب منا التعريف بالمصادر السريانية للحقبة التي تتناولها الدراسة وتسليط الضوء على أهم ما يعتريها من إشكاليات وملاحظات. وأهم ما يمكن ملاحظته على المصادر السريانية لهذه المرحلة أنها لم تُدوّن في مرحلة مبكرة للتاريخ الإسلامي، على عكس نظيرتها التي أرخت للتاريخ المبكر للنصرانية في نجران، ونعني بذلك على وجه التحديد «رسالتي شمعون الأرشمي»، و«كتاب الشهداء الحميريين» اللذين كُتبا في القرن السادس الميلادي. فإذا ما تناولنا العلاقة بين الدولة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من جهة ونصارى نجران من جهة أخرى فإن أقدم مصدر يقابلنا هو «تاريخ سعرّت» (The Chronicle of Seert)، لمؤلف نسطوري مجهول عاش بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين/ القرن الرابع الهجري تقريباً. ورغم أن أصل مخطوط هذا التاريخ كُتب بالعربية إلا أن ثمة أسباب تجعل من الضرورة ضمه لقائمة المصادر السريانية المعتمدة في هذه الدراسة[١]، فقد اتضح لمن درس «تاريخ سعرّت» أن مؤلفه اعتمد كثيراً في تكوين مادة كتابه التاريخية على ما دوّنته تواريخ سريانية مبكرة معظمها مفقود وتعود إلى القرن السابع على أقل تقدير[٢]؛ بل إن «موبرج» (Moberg) و«عرفان شهيد» توصلا إلى نتيجة مفادها أن مؤلف «تاريخ سعرّت» المجهول استقى قصة اعتناق التاجر النجراني «حيّان» للنصرانية على الأرجح من الجزء المفقود من كتاب الحميريين خاصة إذا ما علمنا أن «حفصة» ابنة أو حفيدة «حيّان» يرد ذكرها كثيراً في كتاب الحميريين كأحد أبطال قصة الاستشهاد[٣]، ويستمد «تاريخ سعرّت» أهميته من كونه أقدم مصدر سرياني متاح تحدث عن اتصال نصارى نجران بالرسول ﷺ وخليفته الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م). إلا أن هناك إشكالية لا يمكن تجاوزها وتتمثل في غياب أصل مصدر الرواية التي استقى منها

---

(1) (Scher, Addai, Histoire Nestorienne Inédite:(Chronique de Séert), (Paris, Brepols, Paris, 1950), pp. 600- 618. .

(٢) من أهم مؤرخي السريان النساطرة في القرن السابع والثامن الذين اعتمد عليهم مؤلف تاريخ سعرت «دانيال بن مريم النسطوري» (*Daniel bar Maryam*)، و"إلياس أسقف مرو" (Elias of Merw)، و"شاهدوست أسقف طيرهان" (Shahdust)، و" يشوع بن نون" (Ishoʿ bar Nun). انظر:
Hoyland, Robert G., Seeing Islam as Others Saw It: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam, (Princeton, N.J., Darwin Press 1997), p. 444. Wood, Philip. The Chronicle of Seert, Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq, (Oxford, Oxford University Press, 2013), p. 3.

(3) Anonymous, The Book of the Ḥimyarites, pp. 361- 367.

مؤلـف «تاريخ سعرّت» معلومتـه خاصة وأن تدوين هذا الكتاب أتـى بعد عصر الرسالة بمائتي سنة على أقل تقدير، وعلى الرغم من أن المؤلف أشار في مواضع كثيرة من كتابه إلى مـن نقل عنهم من مؤرخين سريان متقدمـين، إلا أنه أحجم عن ذكر المصدر الذي استقى منه قصة الوفد النجراني إلى المدينة، باستثناء إشارته إلى حبيب الراهب الذي يبـدو أنـه كان مصدره الـذي نقل عنه نسخة لعهـد الرسول ﷺ لنصـارى نجران كما سيأتي في ثنايا هذا البحث[١].

المصـادر المهمة في هذه الدراسة كتـاب «التاريخ الكنسـي» (The Ecclesiastical History) لأبـي الفرج ابـن العبري (Bar Hebraeus) المـؤرخ السرياني المشهور حتى عنـد العـرب، فقد تحدث ابـن العبري في تاريخه هـذا عن قصة قدوم وفـد النصارى النجرانيـين على النبـي ﷺ برواية مختصـرة، ولكنها تبدو مشابهة لما ورد في «تاريخ سعـرّت» وهـو ما يعطي مؤشـراً على أن ابن العـبري اقتبس معلوماته علـى الأرجح من «تاريخ سعرّت»[٢].

المصادر ذات الصلة غير المباشرة بنصارى نجران تحديداً رسائل جاثليق النصارى النساطرة في العراق "طيموثاوس الأول" (Timothy I) (٧٨٠- ٨٢٣م/١٦٣-٢٠٨هـ) حيـث يـرد فيها أكثر من إشـارة تاريخية عن نصـارى «نجرانية الكوفـة»[٣]. ورغم أن «طيموثاوس» لم يتحدث عن نصارى نجران أنفسهم، إلا أن أهمية ما ذكره تتلخص في كشـف الغموض عن الهويـة المذهبية لمن أُجلي من نصارى نجران في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كما سيأتي في ثنايا هذه الدراسة.

في التأريـخ لأحـوال النصرانية في القـرون الاسلامية الوسيطة بنجـران يظهر لدينا ثلاثـة مصادر مهمة تضمنت معلومات ثمينة للغاية عن تاريخ النصرانية في نجران خلال هـذه الحقبـة، وأولها «كتـاب الرؤسـاء» (The Book of Governors) لـ «توما المرجي»

---

(1) Scher, ibid, p. 601.

(٢) ابـن العـبري، غريغوريوس أبوالفـرج بن هارون الملطي والمعـروف بـابن العبري، التاريـخ الكنسي، ترجمة صليبا شمعون، (دهوك، دار المشرق الثقافية، ٢٠١٢م) ،ج٢، ص٢٥ـ٢٦..

(٣) ترجـم المستشـرق الألماني "أوسـكار بـراون" ٤٠ رسالة إلى اللاتينيـة، ثم ترجمت لاحقـاً إلى الفرنسية وقـد لخصـت د. سلوى بالحاج العايب خلاصة بعض هذه الرسائـل لأهميتها في تسليط الضوء على تاريخ النصـارى النساطرة في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. انظر: العايب، سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربيـة وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ط٢، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨)، ص١٧٦.

(Thomas of Marga) الذي يعود إلى القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري تقريباً[١]. أما المصدر الآخر فهو موسوعة "المكتبة الشرقية" (Bibliotheca Orientalis) لرجل الدين والمؤرخ الماروني يوسف السمعاني (Giuseppe Simone Assemani) الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، وأفاد من عمله في مكتبة الفاتيكان في جمع عدد كبير من المخطوطات والوثائق النصرانية الشرقية التي كُتبت بالسريانية، والعربية، واليونانية، والقبطية وغيرها[٢]، وسنجد أن نجران نالت نصيبها من بعض تلك الوثائق في القسم الخاص بتاريخ النصرانية في نجران في العصر العباسي.

ثالث مصادر لهذه المرحلة كتاب صغير لمؤلف مجهول عن» تقويم الكنيسة النسطورية»، وهو مصدر متأخر أرّخ لأوضاع الطوائف النصرانية في بلاد العرب، وقرارات تعيين أساقفة نسطوريين بين القرنين (١١م ــــ ١٧م) [٣]. وتكمن أهمية المصادر الثلاثة السابقة في اعتمادها كثيراً على أرشيف الكنائس الشرقية، وخاصة النسطورية الذي تضمن فتاوى دينية، وقرارات تعيين أساقفة كنائس الطوائف النصرانية ومنها نجران.

في المجمل فإن أربع إشكاليات رئيسة تبرز في المصادر السريانية السابقة، أولها أن زمن تدوين التواريخ السريانية التي تؤرخ لمرحلة صدر الإسلام كان متأخراً عن تلك المرحلة، فأقدم المصادر المتاحة لدينا تعود إلى ما بين القرنين التاسع أو العاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين، أي بعد قرنين من الزمان من عصري النبوة والخلافة الراشدة. أما ثاني تلك الإشكاليات فيتمثل في شح تلك المصادر عن ذكر معلومات شافية تخص عصري الخلافة الراشدة أو الدولة الأموية مما يجعل معالجة مسألة تاريخ النصرانية في نجران خلال هذه المرحلة معضلة حقيقية تواجه الباحث في هذه الدراسة نتيجة غياب الرواية أو النص التاريخي المدوّن. وثالث ما يُشكل به المؤرخون السريان هو عدم ذكر رواتهم أو مصادرهم الأولية التي استقوا منها معلوماتهم وهو طابع يغلب على المؤرخين السريان الذين يميلون في الغالب إلى استخدام المنهج الحولي

---

(1) Timotheus I, Epistulae Timothei Patriarchae I. Transl. Oskar Braun, (Romae, Excudebat Karolus De Luigi, 1953), p. 102.

وانظر الترجمة العربية: المرجي، توما، كتاب الرؤساء ، ترجمة البير ابونا، ط٢، (بغداد ، مطبعة ديانا ، ١٩٩٠م). انظر القسم الخاص بالنصرانية في نجران خلال العصر العباسي..

(2) Assemani, Giuseppe Simone, ***Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana***, ***De Scriptoribus Syris Nestorianis***, (Romae: Typis Sacræ Cogregationis de Propaganda Fide, 1725).

(٣) مجهول، تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية، وقف على طبعه وعلق على حواشيه: بطرس عزيز، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، (١٩٠٩م)، ص١٧٦.

في التأريـخ للأحـداث مع الميل للإيجـاز في نفس الوقت. وآخر تلـك الإشكاليات فيمكن ملاحظته بوضوح في تركيز تلك المصادر حتى تلك التي دُوِّنت على منهج التاريخ العالمي أو الكنسـي ـــ تاريخ سعرّت والتاريخ الكنسي لابن العـبري- على أحوال النصرانية في نجران وعلاقتها بدولة الإسلام دون التطرق لمواضع أخرى في تاريخ المنطقة.

٣ـ نصارى نجران في عصر الرسالة:

يـرد ذكر وفد نصارى نجـران إلى النبي ﷺ في «تاريخ سعرّت» المجهول، و«التاريخ الكنسـي» لابـن العبري بما يتفـق كثيراً مع الخط العـام للرواية الإسلاميـة. فقد أشار مؤلف تاريخ سعرّت ضمن حديثه عن «ظهور الإسلام» إلى استقبال النبي ﷺ وفداً من أهـل نجران برئاسـة «السيد الغساني» في «السنة الثامنة عشـرة لهرقل (Heraclius) (٦٢٨م/ ٧هـ)...»، ومعـه أربعين رجلاً من نصارى نجران ذكـر منهم «...عبد يشوع، وابن حجـرة، وإبراهيم الراهب، وعيسى الأسقـف...»[١]. حيث يزعم أنهم قدموا «... بهدايـا وألطـاف وبذلوا لـه المعاونة والمعاضـدة والمقاتلة بين يديـه إن أمرهم، فقبل ما حملوه وكتب لهم عهداً وسجلاً...»[٢]. وروى المؤلف المجهول نص وثيقتين (عهد وسجل) زعم أن النبي ﷺ كتبهما لأهل نجران[٣].

يبـدو أن ابن العبري اعتمد كثيراً على رواية «تاريخ سعرّت» فأشار في سياق حديثه عـن ظهور «محمد نبي العـرب» إلى قدوم وفد النجرانيين برئاسـة «سيد» وبرفقته «... أسقفهـم يشـوع حاملاً الهدايا لمحمـد، فحصل منه على توصية بالغـة الأهمية لصالح المسيحيـين. من ذلـك حمايتهم من الكـوارث والنوائب، وعـدم إكراههم على الحرب، أو تغيـير تقاليدهـم وأنظمتهم، وإن شـاءوا تجديد كنيسة ما قديمة. علـى المسلمين أن يتعاونوا وإياهم، وتفرض عليهم جزية بقيمة أربعة قروش فقط، وللتجار والأثرياء اثني عشر قرشاً باستثناء الكهنة والرهبان، وإذا تزوج مسلم مسيحية فلا يكرهها على دينه ولا يمنعها من ممارسة صومها وصلاتها وتعاليم دينها وما أشبه...»[٤].

يظهر أن ما ذكره مؤلف «تاريخ سعرّت» و«ابن العبري» يتفق مع الخط العام للرواية الإسلاميـة التي تشـير إلى أن النبي ﷺ استقبـل وفداً من نصارى نجـران «... فِيهِمْ

(1) Scher, ibid, p.605 .
(2) Ibid, p. 601.
(٣) انظر نسخة تاريخ سعرت لكامل نصبي السجل والعهد في ملحق الوثائق في نهاية هذه الدراسة.
(٤) ابن العبري، التاريخ الكنسي، ج٢، ص ٢٥ـــ ٢٦

الْعَاقِبُ وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيح رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ وَأَبُو الْحَارِث بْنُ عَلْقَمَةَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ وَأَخُوه كُرْز وَالسَّيِّدُ وَأَوْسُ ابْنَا الْحَارِث وَزَيْدُ بْنُ قَيْس وَشَيْبَةُ وَخُوَيْلِدُ وَخَالِدُ وَعَمْرُو وَعُبَيْدُ اللّه وَفِيهِمْ ثَلاثَةُ نَفَر يَتَوَلَّونَ أُمُورَهُمْ وَالْعَاقِبُ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ، وَصَاحِبُ مَشُورَتهمْ وَالَّذِي يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِه وَأَبُو الْحَارِث أُسْقُفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ وَصَاحِبُ مَدَارِسِهِمْ وَالسَّيِّدُ ــ واسمه الأيهم ــ وَهُوَ صَاحِبُ رِحْلَتِهِمْ...»[(١)]،والواضح أن ثمة تباين واضح بين الروايتين النصرانية والإسلامية في قائمة الوفد النجراني باستثناء «السيد الغساني» الذي تلقبه الرواية الإسلامية بالـ «السيد واسمه الأيهم » أما الأسقفين «يشوع»، و«عيسى» فلا يرد لهما ذكر في الرواية الإسلامية التي أشارت إلى «أبي الحارث بن علقمة البكري» الذي كان ملكاني المذهب (Melkite) على عكس «السيد» و«العاقب» فقد ذكر «مقاتل بن سليمان» في تفسيره أنهما كانا على المذهب «اليعقوبي» (Jacobite)[(٢)]. وليس مستبعداً أن الأسقفين «يشوع»، و«عيسى» يمثلان المؤسسة الكنسية للطائفة النسطورية من نصارى نجران، فالمتمعن لـ «تاريخ سعرّت» يجد ميلاً شديداً لحرص المؤلف على التأريخ لكل ما يخص النصارى النساطرة في المشرق. واختلاف مذاهب نصارى نجران في السيد المسيح ــ عليه السلام ــ مسألة أشار إليها «ابن اسحاق» دون تحديد هوياتهم المذهبية باستثناء «أبو الحارث» السالف ذكره[(٣)]،كل ما سبق من معلومات يجعلنا نذهب باطمئنان إلى القول أن وفد نصارى نجران إلى المدينة ضمّ على الأرجح يعاقبة، ويوليان، ونساطرة، وملكانية وليس طيفاً مذهبياً واحداً كما قد يتصور البعض.

إضافة إلى ذلك فإن ما زعمه مؤلف «تاريخ سعرّت» من أن نصارى نجران قد أظهروا استعدادهم للقتال بجانب الرسول ﷺ إن أمَرَهم تبدو مسألة مستبعدة، ويبدو أن المؤرخ استقاها من نسخة العهد الذي أخرجه «حبيب الراهب» عام (٢٦٥هـ/٨٧٨م) [(٤)]،أو

(١) وردت قائمة الوفد النجراني عند مقاتل بن سليمان وابن اسحق وابن سعد بثلاث روايات متقاربة للغاية عدا بعض الاختلاف البسيط في أسماء الأفراد. للمزيد انظر: مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣ه)، ص ٢٧٩- ٢٨٠. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج١، ص ٥٧٥. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ط١، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م)، ج١، ص ٣٥٧.

(٢) مقاتل، التفسير، ص ٤٦٣.

(٣) وما قاله ابن إسحاق حول هذا الاختلاف:»وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف من أمرهم...»ابن هشام، السيرة النبوية،ج١،ص٥٧٥.

(4) Scher, ibid, p. 601

مـن نقل لـه الرواية ذلك أننا لا نجـد شبيهاً لذلك في عهوده ومكاتباتـه ﷺ إلا في وثيقة المدينة وحالها معروف. بل إن ابن العبري لم يتطرق إلى هذه المسألة في «التاريخ الكنسي» رغـم اعتماده كثيراً على «تاريخ سعـرّت» في التأريخ لوفد نصارى نجران إلى المدينة. أما مسألتي «المعاونة والمعاضدة» التي أبداها نصارى نجران للرسول ﷺ فالأقرب لتفسيرها مـا تضمنـه عهد الرسول ﷺ لوفدهـم حينما اشترط عليهم استضافـة رسله لمدة تصل الشهـر وإعارة جيوش المسلمين «ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيرا» في حال حدثت حرب أو مرت جيوش المسلمين بنجران في طريقها إلى اليمن[١].

لعـل اللافت أن المؤرخين النصرانيين تجنبا الحديث عن قصة الجدال الديني بين الرسـول ﷺ والوفـد النجراني الـذي وصل إلى ذروته حينما دعاهـم الرسول ﷺ إلى المباهلة التي انسحب منها الوفد النجراني بحسب رواية المصادر الإسلامية[٢]،والواضح أن «المـؤرخ السعرّتـي» و«ابـن العبري» حرصـا على ذكر ما تحقق للوفـد النصراني من مكاسب متعددة في بنود الصلح الشهير. إلا أن قضية هامة كانت محل جدال واختلاف الباحثـين هنـا وتتمثـل في مدى صحـة الوثيقتين اللتـين نسبهما مؤلف «تاريـخ سعرّت» إلى النبـي ﷺ، إذ يتفـق عدد من الباحثين قديماً وحديثـاً وفي مقدمتهم محقق «تاريخ سعـرّت»، و«محمـد حميـد الله» علـى أنه «لا يوجـد أدنى شبهـة في أن هذيـن النصين مـن الموضوعـات»[٣]، بل إن «فيليـب وود»(Philip Wood) الذي شـكك في صحة رواية «تاريـخ سعرّت» لنص معاهدة صلح نصارى نجران اعتبر أن النص من اختراع مؤلف نصـراني متأخـر ومطلع علـى تفاصيل كثـيرة في السـيرة النبوية لابن اسحـق وهو ما يجعـل شبهة التزوير هنا واردة لصناعة تاريخ غـير حقيقي[٤]، أما «جان موريس فييه» (Jean Maurice Fiey) فقـد ناقـش بتوسع هـذه المسألة معتبراً أن نـص العهد الذي

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، كتاب الخراج، تحقيـق: طـه عبد الرؤوف سعـد، سعد حسن محمد، (القاهـرة، المكتبة الأزهرية للـتراث، ١٩٦٢م)، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٤. ابن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ)، ص ٢٤٤. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص ٧٢.

(٢) عـن المباهلة انظر: مقاتل، التفسير، ص ١٣٣. ابـن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٥٧٣- ٥٨٤. البيهقي، أحمـد بـن الحسين بن علي بـن موسى، دلائل النبوة، تحقيـق: د. عبد المعطي قلعجـي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م)، ج٣، ص ٣٨٧- ٣٨٩.

(٣) حميـد الله، محمـد، الوثائـق السياسية لعصـر النبوة والخلافة الراشـدة، ط٥، (بـيروت، دار النفائس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص١٨٠. شير، المطـران أدّي شِير، تاريخ كلـد وآثور، (بيروت، المطبعـة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ٢٠٠٧م)، ج١، ص ٢٨٠.

(4) Wood, Philip, ibid, p. 251.

أخرجه «حبيب الراهب» كان رداً على «الشروط العمرية» المزيفة، وأحد إفرازات الأوضاع التي عاشها النصارى زمن الخليفة المعتمد العباسي(١).

مما سبق من أطروحات اصطدم لاحقاً ببعض التوجهات المغايرة ومنها دراستان حديثتان تبنتا القول بصحة الوثيقتين المذكورتين، إذ يرى "جون مورو" (John Morrow) أن منح النبي ﷺ حقوقاً وحريات غير مسبوقة إلى الطوائف النصرانية مسألة مُجمع عليها أصلاً، وبالتالي فإنها لا تستدعي أن يقوم أحد ما بتزويرها لاحقاً (٢)، وهو رأي لا يمكن الاطمئنان إليه في الحكم على صحة وثيقة قدِّم لها أكثر من رواية في مصادر التراث التاريخي الإسلامي نفسه إلى جانب الرواية السريانية هنا دون الوصول إلى أصل نسختها المادية الذي لا يزال في حكم المفقود. أما «أحمد الوكيل» فقد حشد باستفاضة عدة أسباب رأى فيها أدلة على مصداقية نص الوثيقتين يأتي في مقدمتها الدقة الحسابية لتاريخ وثيقتين مماثلتين زعم كاتبهما أن النبي ﷺ وجهها لأتباع «...دين النصرانية في مشرق الأرض ومغربها...»(٣)، ونصارى بلاد الرافدين(٤)، أما ثاني أدلة «الوكيل» فيتمثل في تطابق الشروط الخاصة بأحكام الجزية بين الوثيقة الخاصة بنصارى نجران ومثيلاتها المكتوبة لنصارى بلاد فارس، وأرمينية، والمقدرة بأربعة دراهم للفرد، وثالث أدلته تشابه طريقة صياغتها ومفرداتها. أما رابعها فيتمثل في أن جُل العهود المكتوبة لطوائف نصرانية في بيت المقدس، وسيناء، وأرمينيا، وأخرى يهودية في «خيبر»، و«مقنا» تحتوي على تواريخ دقيقة حسب التقويم الهجري، وقوائم شهود على كل وثيقة منها(٥).

الواقع أن هذه المسائل التي يتحجج بها الوكيل كأدلة على صحة الوثيقتين هي نفسها أدلة كافية لدحض ما تم حشدها من أجله لا سيما للباحث المتعمق في التاريخ الإسلامي، فاستخدام التقويم الهجري لتأريخ العهود النصرانية يستحق أن يكون أول أدلة التزوير، ذلك أن التقويم الهجري لم يُعمل به إلا في أيام الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) موريس، جان موريس فييه، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ط١، (بيروت، دار المشرق، ١٩٩٠م)، ص ١٧٤.

(2) () Morrow, John, ***The covenants of the Prophet Muhammad with the Christians of the world***, (Tacoma, Washington, Angelico Press, Sophia Perennis, 2013), p. 114.

(٣) شيخو، لويس، «عهود نبي الإسلام والخلفاء الراشدين للنصارى»، مجلة المشرق، السنة الثانية عشرة، ص ٦٠٩- ٦١٨، ص ٦١٠.

(4) El-Wakil, ibid, p. 331

(5) Ibid, 332.

وهـي مسألـة حظيـت بإجماع مصـادر التاريخ الاسلامـي[(١)]. كما أن ما كتبـه الرسول ﷺ مـن رسائل وعهـود لم تؤرخ كما فعـل المتأخرون وجرت عليه العـادة، وهو ما يقوي أصـلاً صحة البـدء في استعمال التقويم الهجـري أيام عمر بن الخطـاب. أما التشابه في مقـدار الجزية فمسألـة مردود عليها ذلـك أن مبالغ الجزية التـي فرضها الرسول ﷺ خضعـت للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأطراف المعاهدة، أو حتى للدولة الإسلامية نفسها، ولم يكن هنـاك مبلغ موحد بل أن معاهدة الرسول ﷺ مع يهود المدينة لم تتضمن مطالبتهم بدفع الجزية.

رابع الأدلة التي طرحها الوكيل والخاصة بقوائم الشهود على كتابة تلك العهود فهو دليـل آخر على عدم صحة الوثيقتين ذلـك أن قائمة الشهود تضمنت أسماء شخصيات صحابة لم يرد لها أي ذكر في كتب الطبقات والتراجم مثل عبدالله بن خفاف، وعبدالله ابـن سعد بن عبادة، وأبو الغالية[(٢)]. كما أن تضمين قائمة الشهود لجعفر بن أبي طالب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يضيـف إشكالية أخرى للوثيقة الثانية ذلك أن المؤرخين المسلمين يجمعون علـى أن جعفر بن أبـي طالب استُشهد في معركـة مؤتة عام (٨هـ/٦٢٩م)[(٣)]. إضافة إلى مـا سبـق فإنه من الحري القـول أن الوثيقتين السابقتين لا تنتمـي إلى أسلوب ولغة تلـك العهود والمكاتبات النبوية التي روتها لنا مصادر التراث الإسلامي واتصفت بالميل للإيجاز، وتجنب الإسهاب، وبلاغة المعنى، والبعد عن التكلف والإطناب، وعدم تضمنها مفردات أعجمية[(٤)].

---

(١) يقـول ابـن خياط في تاريخه:«جَمَعَ عُمَـرُ المُهَاجِرينَ وَالأَنْصَارَ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ أَكْتُـبُ التَّارِيخَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ مُذْ خَـرَجَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَرْضِ الشِّرْكِ فَهُوَ يَوْمٌ هَاجَرَ فَكَتَـبَ ذَلِكَ عمر بن الخطاب»، بينما يورد الطبري رواية أخرى يقول فيها:» كَتَبَ أَبُو موسى الأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ: إِنَّهُ تَأْتِينَا مِنْكَ كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَأْرِيخٌ قَالَ: فَجَمَعَ عُمَـرُ النَّـاسَ لِلْمَشُـورَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُـمْ: أَرِّخْ لِمَبْعَثِ رسـول اللَّه ﷺ وقَالَ بعضهم: لمهاجـر رسول الله ﷺ، فَقَـالَ عُمَـرُ: لاَ بَـلْ نُؤَرِّخُ لِمُهَاجَرِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ مُهَاجَرَهُ فَـرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِـلِ.». وبالإجماع يتفق جمهور المؤرخين المسلمين رغم اختلاف رواياتهم على أن عمر بن الخطاب قرر في عام ١٦هـ/ ٦٣٧م وضع تقـويم للمسلمين يبـدأ من تاريخ هجرة النبـي ﷺ إلى المدينة المنورة. للمزيد انظر: ابـن سعد، الطبقات الكـبرى، ج٣، صـ٢٨٠. ابن خياط، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (دمشـق – بـيروت، دار القلم– مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)، ص٢٨٠. ابـن خياط، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (دمشق – بيروت، دار القلم– مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)، ص٥١. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م، ط١)، ج١٠، ص ٣٢١. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ٣٨٨. اليعقوبي، أحمد بن واضح بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، (ليدن، بريل، ١٨٨٣م)، ج٢، ص ١٩٥– ١٩٦.

(2) () Scher, ibid, p. 618.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٢٨. ابن خياط، التاريخ، ص٨٦. البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٤٣.

(٤) أشكرك يا دكتور عوض على هذا التحليل والاستنتاج القائم على براهين وأدلة واضحة. (ابن جريس).

٤ـ عصر الخلافة الراشدة:

تبرز لدينا في عصر الخلافة الراشدة إشارتان متناقضتان، ففي الأولى يزعم مؤلف «تاريخ سعرّت» أن عمر ابن الخطاب كتب عهداً لأهل نجران في أيام خلافته بنفس تلك الشروط التي منحها إياهم الرسول ﷺ في العهد السابق[١]. لكن مؤرخاً نسطورياً آخر يدعى «إيليا النصيبي» المشهور بـ« إيليا برشينايا» (Elia Bar-Senaya) يشير ضمن أحداث سنة (٩٥٢ يوناني) (٢٠هـ/٦٤١م)، إلى قرار الخليفة عمر بن الخطاب إخراج اليهود من نجران إلى الكوفة، لكن الغريب أن « إيليا برشينايا» لم يذكر شيئاً يخص الوجود النصراني في نجران بوجه عام[٢].

يبدو واضحاً أن «برشينايا» استقى معلومته هذه من تاريخ الطبري الذي رواها نقلاً عن الواقدي[٣]. لذلك يصعب التعويل على أن ما ذكره «برشينايا» معلومة أصيلة من صميم التراث التاريخي السرياني على غرار «تاريخ سعرِّت»، و«التاريخ الكنسي» ومصادر أخرى ستأتي في المباحث التالية من هذه الدراسة. وأياً كان التباين بين «تاريخ سعرّت» و«تاريخ إيليا برشينايا »، فإن ما سطره مؤلف «تاريخ سعرّت» أعلاه مسألة تخالفها المصادر الإسلامية التي تجمع على أن الخليفة عمر بن الخطاب أصدر سنة (٢٠هـ/٦٤١م) قراراً بإخراج نصارى نجران[٤]. لكن المصادر الاسلامية ذاتها لا تتفق على السبب الحقيقي الذي دفع الخليفة إلى إصدار هذا القرار، إذ يزعم أبو يوسف أن الخليفة أخرجهم «...لأَنَّهُ خَافَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ...» ولم يبين سبب هذا الخوف[٥]. لكن ابن سلاّم والبلاذري كانا أكثر وضوحاً حينَمَا أشارا إلى أن نصارى نجران»...أصابوا الربا...» فأمر الخليفة عمر بن الخطاب بإجلائهم[٦]. غير أن البلاذري عاد مرة أخرى ليذكر رواية مختلفة زعم فيها أن أهل نجران تحاسدوا بينهم فأتوا الخليفة وطلبوا منه أن يجليهم فاغتنم هذه الفرصة وأصدر قراره بإجلائهم إلى نواحي الكوفة[٧]. أما الطبري فقد زعم أن وصية النبي ﷺ والخليفة أبي بكر الصديق ــ رضي الله

---

(1) Scher, ibid, p

(٢) برشينايا، إيليا، تاريخ إيليا برشينايا، تحقيق: يوسف حبي، (بغداد، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، ١٩٧٥م)، ص ١٣٣.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٤، ص ١١٢

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٨٠. البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٣.

(٥) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، كتاب الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، (القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٦٢م)، ص ٨٦.

(٦) ابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ)، ص٢٤٥. البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٣.

(٧) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٧٤.

عنـه ــ (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) كانت السبـب الرئيسي وراء قرار الخليفة عمر طرد أهـل نجران[١]. ويبدو واضحاً أن الطبري ربط قرار الخليفة بحديث الرسول ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما: «أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَاز، وَأَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَـرَبِ»، وهو حديـث صحيح وفق شروط أهـل الحديث[٢]. لكن أهميـة رواية الطبري تتمثل في آلية تنفيذ قرار الخليفة الذي انتدب يعلى بن أمية إلى نجران وطلب منه أن لا يجبرهـم على ترك دينهم، وأن يخيرهـم أي البلاد يفضلون الجلاء إليها وأن يعوضهم عن أملاكهم[٣].

كل ما سبق من توافق واختلاف بين المؤرخين المسلمين حول قرار إجلاء أهل نجران يجعل مـن قرار الخليفة مسألة شائكة تحتاج قراءة أعمق في أسباب دوافع هذا القرار، وآلية تطبيقه وآثاره اللاحقة. لذلك تناولت هذه المسألة عدة دراسات معاصرة انطلاقاً مـن روايات المصادر الإسلامية وبقراءات مختلفة، والحال أن إجماع رأي الباحثين هنا ذهـب إلى قبول مـا ذكرته المصـادر الإسلامية حول قرار الخليفـة، ونتيجته المفترضة بإحـداث تغيـير جوهـري في الهويـة الدينية لمنطقـة نجران متمثلـة في إنهـاء الوجود النصراني ــ اليهودي بالمنطقة لاحقاً[٤].

---

(١) الطـبري، التاريـخ، ج٣، صـ ٤٤٦. (بـن ناحي). وهــذه النقاط مازالـت بحاجة إلى دراسـات وتحليلات واستنتاجـات أرجـو أن يتحقـق ذلك علـى يدك يا دكتـور عوض، أو يقوم بهـا بعض الباحثـات والباحثين الجادين (ابن جريس)

(٢) ورد الحديـث بعـدة صيـغ متقاربة منهـا: «لأخرجنَّ اليهـود والنصارى مـن جزيرة العرب حتـى لا أدع إلا مسلمـاً»، و«أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب»و«أخرجوا المشركين من جزيرة العـرب». انظـر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبـل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيـب الأرنـؤوط ــ عادل مرشـد، وآخرون، ط١، (بـيروت، مؤسسـة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج١، صـ٣٢٩، حديـث ٢٠١، ج٣، صـ ٢٢١، حديث ١٦٩١. البخـاري، محمد بن إسماعيل أبـو عبدالله، صحيح البخـاري، تحقيق:محمد زهير بن ناصـر الناصر، (دمشق، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج٦، ص٩، حديث ٣١٦٨. مسلـم، مسلـم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تحقيـق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بـيروت، دار إحيـاء التراث العربـي، د.ت) ج٣، ص ١٣٨٨، حديث ١٧٦٧. تولـت جامعة نجران ممثلة في عمـادة البحث العلمي مشكـورة دعم هذا البحث (رمز البحـث: NU/SHED/17/055) في جميع مراحل كتابتـه حتى إتمـام كتابته ونشره في مجلة الجمعيـة التاريخية السعودية بجامعة الملـك سعود، العدد: ٤٣، يناير ٢٠٢١م، ص ٧- ٤٨.

(٣) الطبري، التاريخ، ج٣، ص ٤٤٦.

(٤) العقيلـي، محمد بـن أحمد، نجران في أطـوار التاريخ، (جـدة، دار البلاد، ١٤٠٤هــ/ ١٩٨٤م)، ص ٩٢. الحديثـي، نزار عبد اللطيف،« نجـران أهميتها وعلاقتها بالإسلام»، مجلة المـؤرخ العربي، (بغداد، ع٢٩، ١٤٠٦هــ)، ص ١٠٠. المسـري، حسين،« نجران ودورهـا السياسي والاقتصادي »، مجلـة المؤرخ المصري، (القاهـرة، ع ٩، يوليـو ١٩٩٢م)، ص٧٣. دلال، عبـد الواحد محمد راغب، البيـان في تاريخ جازان عسير ونجـران، الجزء الأول، (القاهـرة، دار التعاون للطباعة والنشر، ١٤١٦ هــ، ١٩٩٥م)، ص ٢٤٤. العايب، المسيحيـة العربيـة، ص١٤٥. ابن جريس، غيثان بـن علي، نجران، دراسة تاريخيـة حضارية (ق١- ق٤هـ

كان لـ «محمد الجميل» رأي مختلف، فذكر أن روايات المحدثين المتصلة بإجلاء «أهل نجران» ربما كانت تعني «يهود نجران» أكثر من «نصارى نجران»، على عكس روايات المؤرخين المسلمين التي تظهر أن المعني بـ «أهل نجران» هم الطائفة النصرانية رغم ما اتسمت به روايات هؤلاء المؤرخين من الاضطراب وعدم الدقة(١). وبالتالي فإن إخراج نصارى نجران حسب رأي «الجميل» أنجز على عدة مراحل وصلت إلى ثماني سنوات، أي أنه بدأ منذ تولي يعلى بن أمية ولاية نجران عام (١٣هـ/٦٣٤م)، مع الأخذ بالاعتبار أن القرار لم يُطبق على جميع النصارى واليهود النجرانيين(٢).

ما خرج به «الجميل» من استنتاجات سابقة تلقى قبولاً معتبراً لدى الباحث لا سيما الإجلاء المرحلي وعدم شموله كل أهل الذمة في نجران. إلا أن ثمة مسألة تحتاج أكثر من وقفة، فرواية تكليف الخليفة عمر بن الخطاب ليعلى بن أمية منذ بداية تعيينه واليا على نجران، أي في حدود عام (١٣هـ/٦٣٤م)، إجلاء «أهل نجران» مسألة فيها نظر. ووجه التحفظ هنا ليس في كون الطبري قد تفرد بها، لكن زمن حدوثها المبكر لا يستقيم مع سياق الأحداث، إذ يبدو أن ثمة اضطراب يشوب الرواية يتمثل في الخلط بين قرار تعيين يعلى بن أمية والياً على نجران في بداية عهد عمر بن الخطاب، وبين قرار الخليفة اللاحق تكليف يعلى بن أمية بإخراج نصارى نجران.

لا شك بأن حادثة إجلاء أهل قرية رعاش ـــ سواء كانوا نصارى أو يهود ـــ التي نوّه عنها «الجميل» كانت على الأرجح حادثة مستقلة، لكن نص كتاب عمر بن الخطاب لأهل «رعاش تضمن إشارة مهمة إلى دور «يعلى بن أمية» في تنظيم علاقة سُلطة الدولة بالطائفتين النصرانية واليهودية، وذكر بما لا يدع مجالاً للشك أن يعلى حافظ على التزام سلطة الدولة بعدم إجبار نصارى نجران ويهودها على اعتناق الإسلام، ولم يخرجهم كما زعمت الرواية التي قدمها الطبري(٣). فمقتضى الحال من سياق

/ ق٧- ق١٠م)، ط١، (الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ١٠٧. (ابن ناحي). اليهود كذلك في نجران، مازال هذا الموضوع يستحق دراسات عميقة جادة تذكر تاريخهم وآثارهم على الديار النجرانية قبل الإسلام وبعده. (ابن جريس).

(١) الجميل، محمد بن فارس، «إجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الذمة»، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، عدد ٧، السنة ٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ٣١- ٣٧.

(٢) الجميل، المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٣) من بين المصادر المتاحة ينفرد ابن سلّام وابن زنجويه بذكر حادثة إخراج أهل الذمة من قرية رعاش بنجران حيث أوردا كتاب الخليفة عمر بن الخطاب في هذا الخصوص وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ رُعَاشٍ كُلِّهِمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مُسْلِمُونَ، ثُمَّ ارْتَدَدْتُمْ بَعْدُ، وَإِنَّهُ مَنْ يَتُبْ مِنْكُمْ وَيُصْلِحْ لَا يَضُرُّهُ ارْتِدَادُهُ، وَنُصَاحِبُهُ

التفاصيــل التي وردت في كتاب الخليفة لأهل رعاش يؤكد أن «يعلى بن أمية» أمضى وقتاً مــن الزمن في نجران قبل أن تصدر إليه أوامــر إجلاء أهل نجران. أما عن المقصود بـ «أهل نجران» الذيــن صدر قرار الخليفة بإخراجهم عام (٢٠هـ/٦٤١م) ، فهي في رأي الباحــث مسألة لا تحتاج إلى كثـير اجتهاد ذلك أن عهد النبي ﷺ، ثم عهد خليفته أبي بكر الصديق إلى وفد النصارى النجرانيين ينصان على «أهل نجران»، أي أن المقصود هنــا الأغلبيــة النصرانية من أهــل الذمة ومن دخل في عهدهم مــن اليهود الذين كانوا لهــم كالأتباع بحسب ما ذكره البــلاذري[١] . ويبدو أن قرار الخليفة لم يستثن النصارى دون اليهود أو العكس، بقدر ما كان مبنياً على بنود العهد الذي منحهم إياه الرسول ﷺ وجدد أبو بكر الصديق التزام الدولة الإسلامية بالعمل به[٢] .

وبناءً على ما سبق، فإذا ما تناولنا مسألة الخلاف حول دوافع الخليفة وراء القرار السابــق، فــإن الواضح أن عودة ممارســة الربا بين النصــارى النجرانيين تبدو السبب الأرجــح لقــرار الخليفة، ذلك لأنهــا كانت في الأصــل أحد أبرز أنشطتهــم الاقتصادية في مدينــة تعــد التجارة أحد أبــرز أنشطتها ولذلك لم يكن مستغربــاً أن يشترط عليهم الرســول ﷺ التوقف عن هــذا النشاط لتعارضه مع التشريعــات الإسلامية التي تحرم كل أوجــه الربــا حتى على المسلمــين أنفسهم[٣] . أما ما زعمه البــلاذري من أن نصارى نجــران قــد تحاسدوا ثم طلبوا من الخليفة أن يجليهــم فرواية لا تستقيم مع المنطق ولا يعقــل أن يقدم عليها قــوم أهل ثروات كبيرة، وعراقة تمتد قــرون في هذا الاقليم الغني اقتصاديا.

صُحْبَةً حَسَنَةً، فَادَّكِرُوا وَلَا تَهْلِكُوا، وَلْيُبْشِرْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ، فَمَنْ أَبَى إِلَّا النَّصْرَانِيَّةَ فَإِنَّ ذِمَّتِي بَرِيئَةٌ مِمَّنْ وَجَدْنَاهُ بَعْدَ عَشْرٍ تَبْقَى مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ مِنَ النَّصَارَى بِنَجْرَانَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ يَعْلَى كَتَبَ يَعْتَذِرُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَهَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى الإِسْلَامِ أَوْ عَذَّبَهُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَسْرًا جَبْرًا وَوَعِيدًا لَمْ يَنْفُذْ إِلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَمَرْتُ يَعْلَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْكُمْ نِصْفَ مَا عَلِمْتُمْ مِنَ الأَرْضِ، وَإِنِّي لَنْ أُرِيدَ نَزْعَهَا مِنْكُمْ مَا أَصْلَحْتُمْ». انظر: ابــن سلاّم، الأموال، ص١٢٩. ابن زنجويــه، أبو أحمد حميد ابن مخلد الخرساني، كتاب الأموال، تحقيق: شاكــر ذيب فياض، ط١، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦) ، ص ٢٧٩. وعن رواية الطبري انظر: الطبري، التاريخ، ج٣، ص ٤٤٦.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٣.

(٢) أبــو يوســف، الخراج، ص ٨٥. الطــبري، التاريخ، ج٣، ص٣٢١.(ابن ناحي). أشكــرك يادكتور عوض على هذا التحليل، وآمل أن نرى في المستقبل باحثين آخرين يدرسون تاريخ نجران وحضارتها بشكل أعمق خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. (ابن جريس) .

(٣) وهــو مــا نص عليه عهد الرســول ﷺ في قوله: «... ومــن أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتــي منه بريئة...». ابــن هشام، السيرة النبويــة، ج٢، ص٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، الخراج، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٤. ابن سلام، الأموال، ص٢٤٤. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٢.

إذا درسنا الآثار اللاحقة لقرار الخليفة عمر بن الخطاب فهناك إشكالية حقيقية تواجه الباحث، ذلك أن ثمة فارق زمني طويل تنقطع فيه أخبار نصارى نجران من تاريخ القرار حتى القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي ونجد أكثر من معلومة تاريخية عن الوجود النصراني في نجران. وذلك يتعارض مع قرار عمر بن الخطاب بإخراج نصارى نجران وإسكانهم نجرانية الكوفة عام (٢٠هـ/٦٤١م). فهل كل ذلك يعني أنه لم يعد هناك أي وجود للمكون النصراني في نجران بعد عام (٢٠هـ)؟ تصدت عدة دراسات حديثة لهذه المسألة على أساس أن نجران أصبحت خالية من الوجود النصراني وحتى اليهودي بعد هذا التاريخ[١]، لكن هذا الاستنتاج يبقى محل اختلاف من وجهة نظر الباحث.

لا خلاف أن قرار الخليفة عمر متواتر تاريخياً بين مصادر التاريخ الاسلامي، وللإنصاف فقد ناقشت دراسة حديثة قام بها «محمد الجميل» هذه الفرضية باستفاضة في ضوء البنود الرئيسة لعهد النبي ﷺ لنصارى نجران فذهب «الجميل» إلى نتيجة مفادها أن قرار الخليفة عمر بن الخطاب شمل على الأرجح من تورط فعلاً في تعاطي الربا الذي حرّمه الرسول ﷺ عليهم في نصٍ الوثيقة:»...فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة... «[٢]، وعلى الأرجح أيضاً ربما بقي آخرون يمثلون أقلية لم تتورط في مخالفة ما ورد في العهد النبوي ذلك أن أحد بنوده نصت أنه :»...لا يؤخذ منهم رجلٍ بظلم آخر...»[٣]. والحق أن «الجميل» تنبه مبكراً إلى هذه المسألة إذ استبعد تماماً تعامل كل نصارى نجران بالربا مما يعنى بالمنطق والشرع أنه:»... لا يجوز إيقاع العقوبة الجماعية بنصارى نجران أجمعين»[٤].

المرجح أن قرار الإجلاء كان جزئياً ولم يشمل كلتا الطائفتين: النصرانية واليهودية في نجران. بل إن نصين في رسائل «طيموثاوس» يكشفان لنا عن الهوية المذهبية لمن رُحِلّوا من نصارى نجران إلى نجرانية الكوفة. إذ يرد في الرسالتين (١٢) و(٢٧) أن

(١) العقيلي، نجران في أطوار التاريخ، ص ٩٢. الحديثي، نجران أهميتها، ص ١٠٠. المسري، نجران ودورها، ص ٧٣. دلال، البيان، ص ٢٤٤. العايب، المسيحية العربية، ص١٤٥. ابن جريس، نجران، ص ١٠٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٩٤- ٥٩٦. أبو يوسف، الخراج، ص ٨٤- ٨٥. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٤. ابن سلام، الأموال، ص ٢٤٤. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٢

(3) Al-Nahee, Owed, «The Religious Structure of Najrān in Late Pre-Islamic And Early Islamic_History: From the end of The Ḥimyarite Kingdom until the end of the Rashidun Caliphate (525-661 CE)'', a PhD thesis submitted to The University of Birmingham, UK, p 139 -140.

(٤) الجميل، إجلاء عمر بن الخطاب لأهل الذمة، ص ٣٧.

نصارى نجرانية الكوفة كانوا مـن اتباع المذهبين اليعقوبي واليولياني التابعين للكنيسة المونوفيزتيـة حتى عام (٧٩١م/١٧٤-١٧٥هـ) تقريبـاً، إلا أنه وبحسب الرسالتين نجح الجاثليـق في تحويل هؤلاء إلى المذهب النسطوري (Nestorian) ونقل تبعيتهم للكنيسة النسطورية[١].

تكشف لنا الرسالتان أكثر من حقيقة مهمة، وأول تلك الحقائق المصادقة على صحة الروايـة الإسلامية حول نفي نصارى نجران إلى نجرانية الكوفة خاصة وأن المصدر هنا محسـوب على الطائفـة النصرانية. كما أنهمـا توضحان لنا بجلاء عـن الهوية المذهبية لنصـارى نجران التي كانت محـل خلاف مستمر بين من أرخ لنصـارى نجران في صدر الإسـلام، إذا يبـدو أن المذهـب المنوفيزتـي بقسميه اليعقوبـي واليوليـاني كان الأغلبية النجرانيـة ممن شملهم قرار الإجـلاء. لكن الرسالتين تؤكدان في ـــ الوقت نفسه ــ ما سبق أن افترضته هذه الدراسة وهو أن الإجلاء الذي وقع على نصارى نجران كان إجلاءً جزئياً، إذ سنجد في المرحلة الزمنية اللاحقة أن هوية من بقي منهم تطغى عليهم الصبغة النسطوريـة. ومسألة استمرارية بقاء أقلية نصرانية- ويهودية- في نجران أمر مرجح في ضـوء المعطيات السابقـة، وليس بالغريب أن تـرد معلومات تاريخية عـن أساقفة ترأسوا الأقليات النصرانية في نجران وجنوب الجزيرة العربية في القرن الثاني الهجري .

٥- العصران الأموي و العباسي :

تُبـدي المصادر السريانية صمتاً شبه تام عن التطرق لأحوال نجران خلال العصر الأمـوي باستثناء إشارة غير مباشـرة في «تاريخ ميخائيل السريـاني» عن قرار أصدره الخليفـة الوليـد بـن يزيـد (١٢٥- ١٢٦هـ/ ٧٤٣- ٧٤٤م) بنفـي «أسطفـان الثالـث» (Stephen III) بطريـرك أنطاكيـة الـذي كان على المذهب الملـكاني (Melkite) إلى اليمن[٢]، غير أنه لم يحدد أية وجهة نُفي إليها رجل الدين الملكاني، خاصة وأن المصادر السريانيـة قـد ذكرت كثيراً على إطلاق هذا المصطلـح - اليمن- على كل ما هو جنوب بـلاد العـرب. لكنه ليس من المستبعد أن تكون نجران إحـدى تلك الجهات خاصة وأنها كانت أكبر مركز للنصرانية في جنوب جزيرة العرب حتى صدر الإسلام.

---

(١) العايب، المسيحية العربية، ص١٧٦

(٢) السرياني، ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، ترجمة: مارغريغورس صليبا شمعون، (حلب، دار ماردين، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ٤٠١.

مع غموض ما ذكره ميخائيل السرياني سابقاً، فإن المصادر السريانية لم تذكر أي شيء يخص نجران تحديداً حتى مرحلة متأخرة من القرن الثاني الهجري، وهو ما جعل مسألة وجود النصارى واليهود في المنطقة مسألة بحاجة إلى مزيد من البحث والتقصي. وأشار باحث حديث هذا الأمر على أنه دليل على عودة نصارى نجران لموطنهم بعد ضعف السلطة المركزية للدولة الاسلامية، وانحسار نفوذها عن الأقاليم البعيدة ومنها نجران[١]، وهو ما لا يلقى قبولاً من «سلوى العايب» التي تناولت الموضوع نفسه في دراستها الموسومة بـ «المسيحية العربية وتطوراتها»، وذكرت أن لا شيء في المصادر يثبت عودة بعض نصارى نجران المنفيين إلى الإقليم لاحقاً [٢].

تذكر المصادر السريانية معلومات مهمة عن الوجود النصراني في نجران ابتداءً من الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، أي خلال العصر العباسي الأول. ومن تلك المعلومات ما ذكره «توما المرجي» حول تعيين أسقف نسطوري اسمه «بطرس» على صنعاء واليمن في أواخر القرن الثامن الميلادي/أي الثاني الهجري[٣]، وهذه معلومة استدركها «شيخو» فذكر أن بطرس كان أسقفاً لنجران وليس صنعاء[٤]؛ لكنها توضح أهمية هذه الإشارة التاريخية ليس في التأكيد على مسألة وجود الطائفة النصرانية في نجران،لكنها توضح زمن هذا الوجود بأواخر القرن الثامن الميلادي أي ذروة قوة الدولة العباسية التي كانت سلطتها لا تزال قوية على جنوب الجزيرة العربية، وهو ما يرد على المزاعم التي تفسر وجود النصارى اللاحق بأنه جاء نتيجة عودة بعض منهم بسبب ضعف السلطة المركزية للدولة العباسية[٥].

جاء في «المكتبة الشرقية» للسمعاني إشارة أخرى في وثيقة نسطورية مؤرخة في العام (٢٨٨هـ/٩٠١م)، ذكرت رسالة بعث بها جاثليق النصارى النساطرة «يوحنا بن عيسى» إلى قس من اليمن ــ أي نجران على الأرجح ــ واسمه «الحسن بن يوسف النصراني»، وتضمنت بعض المسائل الدينية التي بعث بها رجل الدين النجراني[٦].

---

(١) ابن جريس، نجران، ص ١١١.

(٢) العايب، المسيحية العربية، ص١٧٦ (ابن ناحي). حبذا يا دكتور عوض أن تجري دراسات أطول وأعمق عن أحوال اليهود والنصارى في نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة. وهذا الموضوع حسب علمي لم يدرس في عمل علمي رصين جاد حتى الآن. (ابن جريس).

(٣) Thomas, ibid, vol. 1, p. CXV- CXVl. المرجي، كتاب الرؤساء، ص ١٩٥.

(٤) شيخو، لويس شيخو اليسوعي، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط٢، (بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م)، ص٢٦.

(٥) ابن جريس، نجران ص ١١١.

(6))(Assemani,Ibid, VoL.3,P 249 .

تظهر أهمية ما حملته الإشارات التاريخية بالمصدرين السريانيين السابقين مؤشراً قوياً على طبيعة الوجود النصراني في نجران ومدى علاقته بالكنائس المذهبية الأم في العراق، أو الشام. ويكشف بجلاء الهوية المذهبية التي تبناها معظم نصارى نجران في تلك المرحلة التاريخية، عندما بدأ المذهب النسطوري مهيمناً على الطائفة النصرانية النجرانية على عكس ما كان سائداً في صدر الإسلام حيث كان المذهب المنوفيزتي اليعقوبي هو الأقوى.

الحقيقة أن الإشارة إلى ربط رجل الدين باليمن قبل نجران قد يثير بعض الشكوك في أن المعني هو أسقف نجران. لكن أكثر من مصدر تاريخي إسلامي معاصر يؤكد حقيقة الوجود النصراني ــ اليهودي في نجران خلال نفس المرحلة. وما ذكر في المصادر الإسلامية يتفق كثيراً مع ما أشارت إليه الرواية السريانية. إذ يشير "العلوي" مؤلف "سيرة الهادي إلى الحق» إلى أن مؤسس الدولة الزيدية الإمام «يحيى بن الحسين» الملقب بالهادي إلى الحق حينما دخل نجران سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) وجد أن «أهل الذمة» توسعوا في شراء الكثير من العقارات والمزارع من المسلمين فتردد في أمرهم كثيراً قبل أن يعقد معهم صلحاً على أن يدفعوا بموجبه «الجزية» عن كل حُر بالغ و «التُسع» على ما امتلكوه أو اشتروه من أراض وعقارات من المسلمين[١]. ولعل اللافت هنا أن العلوي لم يوضّح من هم أهل الذمة وهو مصطلح يشمل في الغالب النصارى واليهود وربما قصد الطائفتين. لكن الأهم أن النص التاريخي الذي يقدمه العلوي يتفق زمنياً وضمنياً مع ما ورد في الوثيقة النسطورية السابقة حول حقيقة الوجود النصراني في نجران.

يؤكد مؤرخ لاحق حقيقة الوجود النصراني في نجران دون مواربة عندما كتب عن مسيرة الإمام «القاسم بن علي العياني» (توفي٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) إلى نجران في القرن الرابع الهجري، وذكر ما جرى بين العياني وزعماء نصارى نجران عندما أراد أن يفرض عليهم جزية «بـ (٤٠٠) أوقية تبرا -أي ذهب- وأربعمائة حلة من وشي اليمن»، لكنهم احتجوا بأن ذلك مبلغ باهظ لأنهم أضعف عدداً وأموالاً وأراض عما كانوا عليه في صدر الإسلام يوم كانوا «يملكون الوادي أو أكثره»، غير أن واسطةً عدد من مشائخ بني الحارث بن كعب ساعدت الطرفين على إتمام صلح قبل بموجبه الإمام العياني « أن يجريهم على قبض الجزية والمعونة إذا سأل المسلمون المعونة غير زكواتهم»[٢].

---

(١) العلوي، علي بن محمد بن عبيدالله، سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢م)، ص ٧٢- ٧٨.

(٢) ابـن يعقـوب، الحسين بن أحمد، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تحقيق: عبد الله الحبيشي، ط١، (صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١٠٧.

يشير مؤرخ يمني آخر من القرن السادس الهجري إلى وجود طبقة تجارية من اليهود والنصارى في نجران حينما غزاها الإمام الزيدي «أحمد بن سليمان»[(١)]، ولعل هذا يدل على صواب الاستنتاج السابق حول الذي ذكره المؤرخ العلوي، والمهم ليس في حديث ما جاء في المصدرين، بل يتجاوز ذلك إلى توضيح حجم هذا الوجود الذي بدا منحسراً كثيراً عما كان عليه في صدر الإسلام بإقرار زعماء الطائفة النصرانية أثناء حوارهم مع الإمام العياني.

يذكر الرحالة "ابن المجاور" الذي زار نجران في القرن السابع الهجري ما دوّنته المصادر السابقة، فقال: أن سكانها ينقسمون إلى "ثلاث ملل: ثلث يهود، وثلث نصارى، وثلث مسلمين...»[(٢)]. ورغم ما يمثله نص ابن المجاور من مبالغة في تقدير حجم الوجود النصراني واليهودي، إلا أنه يؤكد على مصداقية الوجود النصراني في نجران المؤرخ النسطوري المجهول الذي ذكر ذلك أنه كان بنجران سنة (١٢٦٠م/٦٥٨هـ) أسقف نسطوري اسمه «يعقوب» وتحت رئاسته خمسة عشر قساً، وخمسة وثلاثون شماساً، مقدّراً عدد الطائفة النصرانية بألف وأربعمائة بيت وكانت لهم كنيستان إحداهما «كنيسة قيامة المسيح» والأخرى كنيسة «شليط العابد»[(٣)].

بالمقارنة بين ابن المجاور، والمؤرخ النسطوري، فالأخير يبدو أكثر دقة في تفصيل الوجود النصراني بنجران عند حديثه عن أفراد المؤسسة الكنسية وعدد أفراد الطائفة وكنائسهم. لكن ذلك لا يعني قبول كل ما يورده هذا المصدر السرياني، فاللافت أن المؤرخ حصر اهتمامه على أبناء الطائفة النسطورية فهل يعني ذلك اختفاء وجود الطوائف الأخرى خاصة المنوفيزتية والملكانية؟ لا يمكن الإجابة هنا بالنفي أو بالإيجاب لأن المصادر التاريخية المحسوبة على كلتا الطائفتين لا تزودنا بتفاصيل واضحة تساعد على الإجابة على هذا التساؤل.

الواقع أن ما ورد في رسالتي "طيموثاوس الأول" التي سبق تناولهما في المبحث السابق قد يقدم إجابة جزئية عن سبب انحسار المذهبين المنوفيزتي والملكاني عن نجران. كشفت لنا رسالتا "طيموثاوس" أن المذهب المونوفيزتي بشقيه اليعقوبي

---

(١) الثقفي، سليمان بن يحيى، سيرة الإمام أحمد بن سليمان ٥٣٢- ٥٦٦هـ، تحقيق: عبدالغني محمد عبدالمعطي، ط١، (مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م)، ص ٤٣.

(٢) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه: ممدوح حسن محمد، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م)، ص ٢٣٨.

(٣) مجهول، تقويم الكنيسة النسطورية، ص٨.

واليوليـانـي كان المعتقد المسيطر على من نُفي مـن نصارى نجران إلى الكوفة، وبالتالي فـلا غرابـة إذاً أن ينحسر عـدد أتباع هذا المذهب في نجران وتتحـول الكفة إلى صالح المذهـب النسطوري المنافس له. لكـن الرسالتين لم تتطرقا لأتبـاع المذهب الملكاني، إذ ليس من المستبعد أن يشملهم نفس القرار الذي شمل اخوانهم من اليعاقبة واليوليان في نجرانية الكوفة، لأن تعليمات الخليفة عمر بن الخطاب أعطتهم الحرية باختيار البلاد التي يشاؤون الاستقرار فيها ولم تحصرهم على العراق[١].

إذا كانـت «سلوى العايب» قـررت أن المصادر تجهل مصير نصارى نجران في بلاد الشـام كمـا أسلفنا[٢]، فـإن قصة تنصّر «قيسـ بن ربيع بن يزيـد الغساني النجراني» تدحض هذا التصور. إذ تَرِد قصة هذا الرجل ضمن أربع مخطوطات قصيرة محفوظة في «ديـر سيناء»، وملخصَ القصـة التي يغلب عليها طابع القصـص الديني للقديسين (Hagiography) أن «قيسـاً» كان نصرانياً تعود أصوله إلى نجران، ثم اعتنق الإسلامِ وخدم في جيوش المسلمين التي كانت تتوغل في بلاد الروم لمدة قاربت ثلاثة عشر عاماً، وبعد عودته من بلاد الروم ارتد إلى النصرانية وتعمّد في إحدى كنائس بعلبك، وتسمى بـ «عبدالمسيح» قبل أن يتجه إلى بيت المقدس وزار البطريرك «يوحنا»، ومنها إلى طور سيناء حيث تولى رئاسة الرهبان في أحد الأديرة سبع سنوات ثم عاد إلى «الرملة» حيث قُبض عليه وأعدم هناك[٣].

---

(١) يـورد أبو يوسف وغيره من المؤرخين المسلمين نص كتـاب عمر بن الخطاب لولاته في العراق والشام وفيه: «بِسْـمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم. هَذَا مَا كَتَبَ به عُمَـرُ أميرُ المُؤمنينَ لأَهْلِ نَجْرَانَ مَنْ سَارَ منْهُمْ آمنٌ بأَمَانِ اللَّه لَا يَضُـرُّهُ أَحَـدٌ منَ المُسْلمينَ، وَفَاءً لَهُمْ بمَا كَتَبَ لَهُمْ مُحَمَّدٌ النَّبِـيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضيَ اللَّه عَنْهُ.» أَمَّا بَعْدُ»: فَمـن مروا به منَ أمراءَ الشَّام وأمراءِ العِرَاقِ فليسقوهم مـن حرث الأرض، فَمَّا اعتملوا منْ ذَلكَ فَهُو لَهُمْ صَدَقَـةٌ لوَجْـه اللَّه وَعَقَبَةٌ لَهُمْ مَكَانَ أرْضهمْ لا سَبيلَ عَلَيْهمْ فيـه لأَحَد وَلا مَغْرَمَ». وأهمية الكتابَ هنا تكمن في إنه يعطي دَليلاً غير مباشر في أن بلاَدَ الشام كَانت وجهةَ أخَرى لنًصارى نجران وليس نجرانية الكوفة بالعراق وحدها. أبو يوسف، الخراج، ص ٨٦.

(٢) العايب، المسيحية العربية، ص١٧٦

(3) Griffith, Sidney, “ The *Arabic Account* of *ʿAbd al-Masīḥ* an-*Nagranī al-Ghassānī*”, *Arabic Christianity in the Monasteries of Ninth-Century Palestine*, (Aldershot, Ashgate, 1992), pp. 361- 370. Hoyland, ibid, pp. 381- 383. Vila, David “The Martyrdom of ʿAbd al-Masīḥ”, *Christian Muslim Relations*: *A Bibliographical History*, *Volume* 1 (600-900), ed. David R Thomas, Roggema Barbara, Juan Pedro Monferrer Sala, Johannes Pahlitzsch, Mark Swanson, Herman Teule, John Tola, (Leiden - Boston, Brill, 2009), pp. 684- 687

يبدو في إحدى المخطوطات التي دوِّنت باللغة العربية بتاريخ ربيع الأول (١٥٥هـ/٧٧٢م) أن القصة وقعت في النصف الأول للقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على أقصى تقدير[١]. والنص وإن لم يكن سريانياً، - دوِّن بالعربية-، إلا أن محقق نص تنصّر «قيس النجراني» يُرجّح أن السريانية كانت اللغة الأم لكاتب النص، ذلك أن لغة النص مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية، فضلاً عن أن كثيراً من علامات الترقيم والتشكيل تنتمي إلى اللغة السريانية وليس العربية[٢]. وفي كل الأحوال، فأهمية هذا النص التاريخي تتمثل في كشف حقيقتين تاريخيتين بعيداً عن ما يعتري النص من مبالغات وتفاصيل تشوبها العاطفة الدينية. الأولى أن ما يؤكده كاتب النص حول أصول «قيس بن ربيع» النجرانية والنصرانية في الوقت نفسه يتلاقى مع ما أشارت له الرواية الإسلامية حول انتقال بعض نصارى نجران إلى بلاد الشام، أما الثانية فالخلفية المذهبية لقيس، «غريفيث» (Griffith) أنه كان على المذهب الملكاني، ومن دوّن المخطوطات الأربع في سيرته كانوا من أتباع الكنيسة الملكانية وليس اليعقوبية[٣]. واتجاه نصارى نجران من أتباع المذهب الملكاني إلى بلاد الشام أو مصر وكان لهم كنائسهم ومؤسساتهم الدينية المنتشرة هناك[٤].

٦ـ الخاتمة :

تناولت الدراسة تاريخ نجران من خلال المصادر السريانية منذ عصر النبوة وحتى نهاية الدولة العباسية وركّزت على معالجة ثلاثة تساؤلات، أولها: دوافع المؤرخين

---

(١) هناك خلاف محتدم بين المؤرخين حول تاريخ وقوع القصة بين من يرجحها في أيام بطريرك بيت المقدس يوحنا الخامس (John V) (٧٠٥- ٧٣٢م/٨٥-١١٣هـ) الذي عاش في العصر الأموي أو يوحنا السادس (John VI) (٨٣٩- ٨٤٣م/٢٢٤-٢٢٨هـ) الذي عاش في أواخر العصر العباسي الأول، وأحد أوجه الإشكال لدى الباحثين هنا أن السجلات الكنسية لم تتحدث عن إحياء الكنائس الشرقية ذكرى عبد المسيح النجراني كما جرت عليه العادة في إحياء ذكرى القديسين الشهداء في العصر الأموي أو حتى المرحلة المبكرة من العصر العباسي الأول. انظر:
Griffith, ibid, pp. 344- 347. Hoyland, ibid, pp. 382- 383. Vila, ibid, p. 686

(2) () Griffith, ibid, 343

(3) () Griffith, ibid, 331

(٤) للمزيد حول اوضاع الكنيسة الملكانية في المشرق حتى نهاية العصر العباسي الأول انظر: ابن البطريق، افتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٥م) ،ج٢، ص٢٢-٦٢. الخوري، اسحق أرملة، الملكيون بطريركيتهم الأنطاكية ولغتهم الوطنية والطقسية، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية،١٩٣٦هـ) ، ص٣٢-٤٠. زيات، حبيب زيات، الملكيون في الإسلام، (لبنان، المطبعة البولسية، ١٩٥٣) ، ص ٧- ٣٢. (ابن ناحي). ذكرتٍ يا دكتور عوض في هذه الورقة العلمية نقاطاً عديدة مهمة، ومازالت بحاجة إلى دراسات أكثر عمقاً وتحليلاً. (ابن جريس).

السريان للاهتمـام بنجران. وثانيها: يناقش بتوسع علاقة السلطة الإسلامية بنصارى نجـران في ضوء المصادر السريانية، ومدى تطابق المصـادر السريانية أو اختلافها مع نظيرتهـا الإسلامية. أما الثالث: فاختص بتقييم الإسهام المعرفي لهذه المصادر، ومدى قيمة ما تقدمه من معلومات جديدة في تاريخ الديار النجرانية.

كان لا بـد من التعريف بأهـم المصادر السريانية ومناقشـة إشكالياتها. وتبين أن أبرز مشكلة في تلك المصادر تدوينها في مرحلة زمنية متأخرة مقارنة بالمراحل الزمنية التي تتناولها الدراسة، فالتواريخ التي أرّخت لوفد نصارى نجران إلى المدينة كُتبت بعد قرنـين من الزمن على الأقل. كما أن قلة ما توفره هـذه المصادر من معلومات وتحديداً عـن المرحلة المتدة مـن عصر الخلافة الراشدة إلى العصر العباسي الأول أوجد أكثر مـن مشكلة بحثية وأكثر من سـؤال مفتوح. لكن ثمة نتيجة مهمـة لا يمكن تجاوزها، إذ مـن الواضـح أن الرواية السريانية التـي تناولت علاقة الرسـول ﷺ بنصارى نجران اعتمـدت علـى مواردها المستقلة بعيداً عـن الرواية الإسلامية. فرغـم اتفاق الروايتين علـى عقـد الرسول ﷺ صلحاً مـع الوفد النجـراني وتزويدهم بعهد وسجـل يوثّق هذا الصلـح، فإن هناك أكثر من اختلاف يؤكد اعتماد كلاً مـن الروايتين على مصادرهما ورواتهمـا. ولعـل ما زعمتـه الروايـة السريانية حول استعـداد نصارى نجـران للقتال بجانـب الرسول ﷺ، وقائمة الوفـد النجراني، وصيغة الكتابـين تؤكد أوجه الاختلاف بين الروايتين.

إذا كانت إحدى الدراسـات الحديثة حاولت إثبات صحة الرواية السريانية لكتابي الرسـول ﷺ للوفد النجراني، وتوفر لهذه الدراسة مـن الأدلة ما يؤكد صحة ما ذهبت إليـه دراسـات حديثة مـن أن صيغة نصـي الكتابين وما ورد فيهما مـن شروط وبنود لا تنتمـي إلى عصـر الرسالـة، وإلى طبيعة عهود الرسول ﷺ التي كانـت لها آثارها على الواقع التاريخي كما في قضية إجلاء أهل نجران.

كان شـح المصـادر السريانية المهتمـة بتناول أوضاع نصارى نجـران منذ العصر الراشدي وحتى العصر العباسي الأول سبباً في إثارة أكثر من سؤال. وبدا واضحاً غياب وجهـة النظر السريانية حـول قرار إجلاء نصارى نجران، وكانـت المصادر الإسلامية الرافد الوحيد لمعالجة هذه القضية. غير أن الاضطراب والاختلاف كان سمة فلم يتفق المؤرخون المسلمون على سبب صريح لقرار الخليفة عمر بن الخطاب إجلاء أهل نجران.

تناولت معظم الدراسات قرار الإجلاء على أنه حقيقة تاريخية أفضت إلى إنهاء الوجود النصراني- اليهودي في نجران، وهو ما كان مثار شك «الجميل» الذي رجّح عدم شمول قرار الإجلاء لجميع أهل الذمة. وتبين للباحث في ضوء المصادر السريانية صحة ما ذهب إليه «الجميل» فقد وقع أغلب الإجلاء على الطائفة المنوفيزتية التي شكل أفرادها معظم نصارى نجران، إضافة إلى أقلية تنتمي إلى الكنيسة الملكانية التي رحل معظم أفرادها إلى الشام. كما رجحت الدراسة أن استمرار تعامل أهل نجران بالربا كان السبب الأقوى وراء قرار الخليفة على إجلاءهم، إذ كان على ما يبدو أحد أنشطتهم الاقتصادية المزدهرة حتى ظهور الإسلام، لكن النبي ﷺ اشترط عليهم الامتناع عن الربا لمخالفته الصريحة للشريعة الإسلامية.

تبين من خلال المصادر السريانية أن أقدم إشارة تاريخية حول وجود طائفة نسطورية نصرانية في نجران تعود إلى الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، أي خلال العصر العباسي الأول. وهذا ما يدحض القول بعودة بعض نصارى ويهود نجران المنفيين بسبب ضعف السلطة المركزية، مع العلم أن الدولة العباسية كانت لا تزال في ذروة قوتها خلال هذه المرحلة. وهذه المعلومات تؤكد أن قرار الإجلاء الصادر من قبل لم يشمل الطائفة النسطورية.

اتفاق المصادر السريانية مع نظيرتها من المصادر الإسلامية المحلية (التواريخ الزيدية) على وجود حقيقي للطائفة النصرانية في نجران خلال المرحلة الممتدة من القرن الثالث وحتى السابع الهجري. وبلغ هذا التوافق ذروته في القرن السابع الهجري بين روايتي الرحالة «ابن المجاور»، و مؤلف «تقويم الكنيسة النسطورية» المجهول، لكن الأخير بدا أكثر وضوحاً في تقديم أرقام واضحة حول أفراد الطائفة النصرانية ورجال الدين ودور العبادة ونحوها. وهناك نتيجة مهمة لا يجب تجاوزها في معظم أبناء الطائفة النصرانية منذ العصر العباسي الأول دانوا بالولاء المذهبي للكنيسة النسطورية في العراق، في مقابل اضمحلال نفوذ المذاهب الأخرى وخاصة المذهب اليعقوبي المنوفيزتي نتيجة إجلاء معظم أفراده من البلاد النجرانية.

٧ـ ملحق الوثائق:

حرص الباحث على إيراد نص وثيقتين كما رواها مؤلف (تاريخ سعرّت) للفائدة وتعزيز ماجاء في هذه الدراسة :

أ ـ الوثيقة الأولى :

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب أمان من الله ورسوله، للذين أوتوا الكتاب من النصارى، من كان منهم على دين نجران، أو على شيء من نحل النصرانية. كتبه لهم محمد بن عبد الله، رسول الله إلى الناس كافة؛ ذمّة لهم من الله ورسوله، وعهدا عهده إلى المسلمين من بعده. عليهم أن يعوه، ويعرفوه، ويؤمنوا به، ويحفظوه لهم، ليس لأحد من الولاة، ولا لذي شيعة من السلطان وغيره نقضه، ولا تعدّيه إلى غيره، ولا حمل مؤونة من المؤمنين، سوى الشروط المشروطة في هذا الكتاب. فمن حفظه ورعاه ووفى بما فيه، فهو على العهد المستقيم والوفاء بذمّة رسول الله. ومن نكثه وخالفه إلى غيره وبدّله فعليه وزره؛ وقد خان أمان الله، ونكث عهده وعصاه، وخالف رسوله، وهو عند الله من الكاذبين. لأن الذّمّة واجبة في دين الله المفترض، وعهده المؤكد. فمن لم يرع خالف حرمها. ومن خالف حرمها فلا أمانة له، وبريء الله منه، وصالح المؤمنين. فأما السبب الذي استوجب [به] أهل النصرانية الذمة من الله ورسوله والمؤمنين، فحق لهم لازم لمن كان مسلما، وعهد مؤكّد لهم على أهل هذه الدعوة، ينبغي للمسلمين رعايته، والمعونة به، وحفظه، والمواظبة عليه، والوفاء به، إذ كان جميع أهل الملل، والكتب العتيقة، أهل عداوة لله ورسوله، وإجماع بالبغضاء والجحد للصفة المنعوتة في كتاب الله، من توكيده عليهم في حال نبيّه. وذلك يؤذن عن غشّ صدورهم، وسوء مأخذهم، وقساوة قلوبهم، بأن عملوا أوزارهم وحملوها، وكتموا ما أكده الله عليهم فيها بأن يظهروه، ولا يكتموه، ويعرفوه، ولا يجحدوه. فعملت الأمم بخلاف ما كانت الحجة به عليهم؛ فلم يرعوه حقّ رعايته، ولم يأخذوا في ذلك بالآثار المحدودة، وأجمعوا على العداوة لله ورسوله، والتأليب عليهم، والتزيين للناس بالتكذيب والحجة ألّا يكون الله أرسله إلى الناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، يبشر بالجنة من أطاعه، وينذر بالنار من عصاه. فقد حملوا من ذلك أكثر ما زيّنوا لأنفسهم من التكذيب، وزينوا للناس [من مخالفة] فعله، ودفع رسالته، وطلب الغائلة له، والأخذ عليه بالمرصاد. فهمّوا برسول الله، وأرادوا قتله، وأعانوا المشركين من قريش وغيرهم على عداوته، والمماراة في نقضه وجحوده، واستوجبوا بذلك الانخلاع من عهد الله، والخروج من ذمّته. وكان من أمرهم في يوم حنين، وبني قينقاع، وقريظة، والنضير، ورؤسائهم، ما كان من موالاتهم أعداء الله من

أهل مكة على حرب رسول الله، ومظاهرتهم إياهم بالمادّة من القوة والسلاح، إعانة على رسول الله وعداوة للمؤمنين، خلا ما كان من أهل النصرانية: فلما لم يجيبوا إلى محاربة الله ورسوله، لما وصفهم الله من لين قلوبهم لأهل هذه الدعوة، ومسالمة صدورهم لأهل الإسلام. وكان فيما أثنى الله عليهم في كتابه، وما أنزله من الوحي، أن وصف اليهود وقساوة قلوبهم، ورقة قلوب أهل النصرانية إلى مودّة المؤمنين فقال: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾[1]. وذلك أنّ أناسا من النصارى، وأهل الثقة والمعرفة بدين الله، أعانونا على إظهار هذه الدعوة، وأمدّوا الله ورسوله فيما أحبّ؛ من إنذار الناس وإبلاغهم ما أرسل به.

وأتاني السيد، وعبد يشوع، وابن حجرة، وإبراهيم الراهب، وعيسى الأسقف، في أربعين راكبا من أهل نجران، ومعهم من جلّة أصحابهم، ممن كان على ملّة النصرانية في أقطار أرض العرب وأرض العجم. فعرضت أمري عليهم، ودعوتهم إلى تقويته وإظهاره والمعونة عليه. وكانت حجة الله ظاهرة عليهم. فلم ينكصوا على أعقابهم، ولم يولّوا مدبرين، وقاربوا ولبثوا، ورضوه وأرفدوا وصدّقوا، وأبدوا قولا جميلا ورأيا محمودا، وأعطوني العهود والمواثيق، على تقوية ما أتيتهم به، والردّ على من أبي وخالفه؛ وانقلبوا إلى أهل دينهم، ولم ينكثوا عهدهم، ولم يبدّلوا أمرهم، بل وفوا بما فارقوني عليه، وأتاني عنهم ما أحببت من إظهار الجميل، وخلافهم على حربهم من اليهود، والموافقة لمن كان من أهل الدعوة، على إظهار أمر الله، والقيام بحجّته، والذبّ عن رسله. فكسّروا ما احتجّ به اليهود في تكذيبي، ومخالفة أمري وقولي. وأراد النصارى من تقوية أمري. ونصبوا لمن كرهه، وأراد تكذيبه وتغييره، ونقصه وتبديله وردّه. وبعث الكتب إليّ كلّ من كان في أقطار الأرض، من سلطان العرب من وجوه المسلمين، وأهل الدعوة بما كان من تجميل رأي النصارى لأمري، وذبّهم عن غزاة الثغور في نواحيهم، والقيام بما فارقوني عليه وقبلته، إذ كان الأساقفة والرهبان لذلك منّة قوية في الوفاء بما أعطوني من مودّتهم وأنفسهم، وأكدوا من إظهار أمري، والإعانة على ما أدعو إليه وأريد إظهاره، وأن يجتمعوا في ذلك على من أنكر، أو جحد شيئا منه، وأراد دفعه وإنكاره، وأن يأخذوا على يديه ويستدلّوه، ففعلوا واستدلّوا واجتهدوا؛ حتى أقرّ بذلك

(١) سورة المائدة، الآية (٨٢).

مذعنا، وأجاب إليه طائعاً أو مكرها، ودخل فيه منقادا [أو] مغلوبا، محاماة على ما كان بينـي وبينهـم، واستقامة على ما فارقوني عليه، وحرصا علـى تقوية أمري، ومظاهرتي على دعوتي. وخالفوا في وفائهم اليهود والمشركين من قريش، وغيرهم. ونزّهوا نفوسهم عـن رقة المطامع التي كانت اليهود تتّبعهـا وتريدها؛ من الأكل للربا، وطلب الرشا، وبيع مـا أخذه الله عليهم بالثمن القليل ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[١]. فاستوجـب اليهود ومشركو قريش وغيرهـم، أن يكونوا بذلك أعداء الله ورسوله لما نووه من الغشّ، وزيّنـوا لأنفسهم من العداوة، وصاروا إلى حرب عوان، مغالبين من عاداني، وصـاروا بذلك أعـداء الله ورسوله وصالح المؤمنين. وصـار النصارى على خلاف ذلك كلـه، رغبة في رعاية عهدي، ومعرفة حقّي، وحفظا لما فارقوني عليه، وإعانة لمن كان من رسلـي في أطراف الثغـور، فاستوجبوا بذلك رأفتي ومودّتـي، ووفائي لهم بما عاهدتهم عليـه، وأعطيتهم من نفسي، على جميع أهل الإسلام، في شرق الأرض وغربها، وذمّتي، ما دمت وبعد وفاتي إذا أماتني الله، ما نبت الإسلام، وما ظهرت دعوة الحق والإيمان، لازم ذلك من عهدي للمؤمنين والمسلمين، ما بلّ بحر صوفة، وما جادت السماء بقطرة، والأرض بنبات، وما أضاءت نجوم السماء، وتبيّن الصبح للسائرين. ما لأحد نقضه، ولا تبديله، ولا الزيادة فيه، ولا الانتقاص منه، لأنّ الزيادة فيه تفسد عهدي، والانتقاص منه ينقضـ ذمّتي. ويلزمني العهد بما أعطيت مـن نفسي. ومن خالفني من أهل ملّتي، ومن نكـث عهد الله عَزَّوَجَلَّ وميثاقه؛ صـارت عليه حجة الله، وكفى بالله شهيـدا. وإنّ السبب في ذلـك ثلـث (كذا) نفر مـن أصحابه سألوا كتابـا لجميع أهل النصرانيـة، أمانا من المسلمـين، وعهدا ينجز لهم الوفاء بما عاهدوهم، وأعطيتمـوه إياه من نفسي، وأحببت أن أستتمّ الصنعة في الذمّة، عند كل من كانت حاله حالي، وكفّ المؤونة عني، وعن أهل دعوتـي في أقطار أرض العرب، ممن انتحل اسم النصرانية وكان على مللها، وأن أجعل ذلك عهدا مرعيا، وأمرا معروفا، يمتثله المسلمون، ويأخذ به المؤمنون. فأحضرت رؤساء المسلمين، وأفاضـل أصحابي، وأكدت على نفسي الذي أرادوا، وكتبت لهم كتابا، يحفظ عنـد أعقاب المسلمين، من كان منهم سلطانا أو غير سلطـان. فإنّ على السلطان إنفاذ مـا أمرت به، ليستعمل بموافقة الحق الوفـاء، والتخلي إلى من [التمس] عهدي، وإنجاز الذمّة التي أعطيت من نفسي، لئلا تكون الحجة عليه مخالفة أمري. وعلى السوقة أن لا يؤذوهم، وأن يكملوا لهم العهد الذي جعلته لهم، ليدخلوا معي في أبواب الوفاء، ويكونوا لي أعوانـا علـى الخير، الذي كافيت به من استوجب ذلك مني، وكان عونا على الدعوة،

---

(١) سورة البقرة، الآية (٧٩).

وغيظا لأهل التكذيب والتشكيك، ولئلا تكون الحجة لأحد من أهل الذمّة على أحد ممن انتحل ملّة الإسلام، مخالفة لما وضعت في هذا الكتاب؛ والوفاء لهم بما استوجبوا مني واستحقّوا، إذ كان ذلك يدعوا إلى استتمام المعروف، ويجرّ إلى مكارم الأخلاق، ويأمر بالحسنى، وينهى عن السوء، وفيه اتّباع الصّدق، وإيثار الحق إن شاء الله تعالى.»

ب ـ الوثيقة الثانية

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، رسول الله إلى الناس كافة، بشيرا ونذيرا، ومؤتمنا على وديعة الله في خلقه، ولئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرّسل والبيان، وكان عزيزا حكيما. للسيد ابن الحارث بن كعب، ولأهل ملّته، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، معروفها ومجهولها، كتابا لهم عهدا مرعيّا، وسجلا منشورا، سنّة منه وعدلا، وذمّة محفوظة: من رعاها كان بالإسلام متمسكا، ولما فيه من الخير مستأهلا. ومن ضيّعها ونكث العهد الذي فيها، وخالفه إلى غيره، وتعدّى فيه ما أمرت، كان لعهد الله ناكثا، ولميثاقه ناقضا، وبذمّته مستهينا، وللعنته مستوجبا، سلطانا كان أو غيره، بإعطاء العهد على نفسي، بما أعطيهم عهد الله وميثاقه، وذمّة أنبيائه وأصفيائه، وأوليائه من المؤمنين والمسلمين، في الأوّلين والآخرين، ذمتي وميثاقي وأشدّ ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة وإيثار الفريضة، والوفاء بعهد الله؛ أن أحفظ أقاصيهم في ثغوري بخيلي ورجلي، وسلاحي وقوّتي، وأتباعي من المسلمين، في كل ناحية من نواحي العدوّ، بعيدا كان أو قريبا، سلما كان أو حربا، وأن أحمي جانبهم، وأذبّ عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السّياح، حيث كانوا من جبل، أو واد، أو مغار، أو عمران، أو سهل، أو رمل. وأن أحرس دينهم وملّتهم أين كانوا؛ من برّ أو بحر، شرقا وغربا، بما أحفظ به نفسي وخاصّتي، وأهل الإسلام من ملّتي، وأن أدخلهم في ذمّتي وميثاقي وأماني، من كل أذى ومكروه، أو مؤونة، أو تبعة. وأن أكون من ورائهم، ذابّا عنهم كلّ عدو، يريدني وإياهم بسوء، بنفسي، وأعواني، وأتباعي، وأهل ملّتي. وأنا ذو السلطنة عليهم، ولذلك يجب عليّ رعايتهم وحفظهم من كل مكروه. ولا يصل ذلك إليهم، حتى يصل إليّ وأصحابي الذابّين عن بيضة الإسلام معي. وأن أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة والخراج، إلا ما طابت به أنفسهم. وليس عليهم إجبار ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا تغيير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا سائح عن سياحته، ولا هدم بيت من بيوت بيعهم، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد، ولا منازل

المسلمــين. فمــن فعل ذلك فقد نكث عهد الله، وخالف رسولــه، وحال عن ذمّة الله. وأن لا يحمــل الرهبان والأساقفة، ولا من تعبّد منهــم، أو لبس الصوف، أو توحّد في الجبال والمواضــع المعتزلــة عن الأمصار شيئا من الجزية أو الخــراج، وأن يقتصر على غيرهم مــن النصــارى، ممن ليس بمتعبّد ولا راهب ولا سائح علــى أربعة دراهم في كل سنة، أو ثــوب حــبرة، أو عصب اليمن، إعانــة للمسلمين وقوة في بيت المــال. وإن لم يسهل الثوب عليهم طلب منهم ثمنه، ولا يقوّم ذلك عليهم إلا بما تطيب به أنفسهم. ولا تتجاوز جزية أصحاب الخراج، والعقارات، والتجارات العظيمة في البحر والأرض، واستخراج معادن الجوهــر والذهب والفضة، وذوي الأمــوال الفاشية والقوة ممن ينتحل دين النصرانية، اكــثر من اثني عشــر درهما من الجمهور في كل عام، إذا كانــوا للمواضع قاطنين وفيها مقيمــين. ولا يطلب ذلك من عابر سبيــل ليس من قطّان البلد، ولا أهل الاجتياز ممن لا تعرف مواضعه.

ولا خراج ولا جزية إلا [على] من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض، ممن يجب عليــه فيه للسلطان حــق، فيؤدّي ذلك على ما يؤدّيه مثلــه. ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قــدر طاقته وقوته علــى عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتهــا. ولا يكلّف شططا، ولا يتجاوز به حدّ أصحاب الخراج من نظرائه.

ولا يكلّــف أحــد من أهــل الذّمة منهــم الخروج مــع المسلمين إلى عدوهــم، لملاقاة الحــروب ومكاشفة الأقــران، فإنه ليس على أهــل الذّمة مباشرة القتــال. وإنما أعطوا الذمــة عليّ، على أن لا يكلّفوا ذلك. وأن يكون المسلمون ذبّابا عنهم، وجوارا من دونهم. ولا يكرهــوا علــى تجهيز أحد مــن المسلمين إلى الحرب الذين يلقــون فيه عدوهم، بقوة وســلاح أو خيل، إلّا أن يتبرعــوا من تلقاء أنفسهم. فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به، حمــد عليــه وعرف له، وكوفــئ به، ولا يجبر أحد ممــن كان على ملّــة النصرانية كرها علــى الإســلام. (وَلَا تُجَادِلُــوا أَهْلَ الْكِتَــابِ إِلَّا بِالَّتِي هِــيَ أَحْسَــنُ). ويخفض لهم جناح الرحمــة ويكفّ عنهم أذى المكروه حيث كانوا، وأين كانوا من البلاد. وإن أجرم أحد من النصارى، أو جني جناية، فعلى المسلمين نصره، والمنع والذّب عنه، والغرم عن جريرته، والدخــول في الصلــح بينه وبين من جنى عليه. فإما منّ عليه، أو يفادى به. ولا يرفضوا، ولا يخذلوا، ولا يتركوا هملا، لأني أعطيتهم عهد الله على أنّ لهم ما للمسلمين، وعليهم مــا على المسلمين. وعلى المسلمين ما عليهم بالعهــد الذي استوجبوا حق الذمام، والذبّ عــن الحرمــة، واستوجبوا أن يذبّ عنهم كل مكروه، حتى يكونــوا للمسلمين شركاء فيما لهــم، وفيما عليهــم. ولا يحملوا من النكاح شططا لا يريدونــه، ولا يكره أهل البنت على

تزويج المسلمين، ولا يضارّوا في ذلك إن منعوا خاطبا وأبوا تزويجا، لأنّ ذلك لا يكون إلّا بطيبة قلوبهم، ومسامحة أهوائهم، إن أحبّوه ورضوا به. إذا صارت النصرانية عند المسلم، فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك. فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها، فقد خالف عهد اللّه وعصى ميثاق رسوله، وهو عند اللّه من الكاذبين.

ولهم إن احتاجوا في مرمّة بيعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دينا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول اللّه موهبة لهم، ومنّة للّه ورسوله عليهم.

ولهم أن لا يلزم أحد منهم، بأن يكون في الحرب بين المسلمين وعدوهم، رسولا، أو دليلا، أو عونا، أو متخبرا، ولا شيئا مما يساس به الحرب. فمن فعل ذلك بأحد منهم، كان ظالما للّه ولرسوله عاصيا، من ذمّته متخليا. ولا يسعه في إيمانه إلّا الوفاء بهذه الشرائط التي شرطها محمد بن عبد اللّه، رسول اللّه لأهل ملّة النصرانية، واشترط عليهم أمورا يجب عليهم في دينهم التمسّك والوفاء بما عاهدهم عليه. منها: ألا يكون أحد منهم عينا ولا رقيبا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا يأوي منازلهم عدوّ للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يوفدوا أحدا من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم. وأن يقروا من نزل عليهم من المسلمين ثلاثة أيام بلياليها في أنفسهم ودوابّهم، حيث كانوا وحيث مالوا، يبذلون لهم القرى الذي منه يأكلون، ولا يكلّفوا سوى ذلك؛ فيحملوا الأذى عليهم والمكروه. وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواطن عباداتهم، أن يأووهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشوا به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدوّ على عوراتهم، ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم. فمن نكث شيئا من هذه الشرائط وتعدّاها إلى غيرها فقد برئ من ذمّة اللّه وذمّة رسوله. وعليهم العهود والمواثيق التي أخذت عن الرهبان وأخذتها، وما أخذ كل نبي على أمته من الأمان والوفاء لهم وحفظهم به، ولا ينقض ذلك ولا يغيّر حتى تقوم الساعة إن شاء اللّه.

وشهد هذا الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد اللّه، بينه وبين النصارى الذين اشترط عليهم، وكتب هذا العهد لهم: عتيق بن أبي قحافة، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان،

علــي بــن أبي طالب، أبو ذرّ، أبو الــدرداء، أبو هريرة، عبد اللّه ابــن مسعود، العباس بن عبدالمطلــب، الفضل بن العباس، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد اللّه ، سعد بن معاذ، سعــد بــن عبادة، ثمامة بن قيــس، زيد بن ثابت، ولده عبــد اللّه [؟]، حرقوص بن زهير، زيــد بن أرقم، أسامة بــن زيد، عمار بن مظعون، مصعب بن جبــير، أبو الغالية (كذا)، عبــد اللّه بن عمرو ابــن العاص، أبو حذيفة، خوات بن جبــير، هاشم بن عتبة، عبد اللّه ابــن خفاف، كعب بن مالــك، حسان بن ثابت، جعفر بن أبي طالب، وكتب معاوية بن أبي سفيان.» [١].



(١) أشكـرك يا دكتـور عوض على هذا المنجز، وأرجـو منك ومن كل الباحثين والمؤرخـين الذين تخصصوا في تاريـخ وتراث وحضارة جنـوب شبه الجزيرة العربية أن يشدوا العزم ويدرسون موضوعات جديدة ومهمة، وبلاد نجران وما حولها من أرض السروات مازالت من البلدان التي نجهل الكثير من تاريخها وحضارتها قبـل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة وبدايات الحديثة (ق١ـ ق١٢هـ/ق٧ ـ ق١٨م). واعلـم يا بني الدكتور عوض بن ناحي أن لك جهود مباركة بخصوص نجران قبل الإسلام وبعده، لكننا ما زلنـا نتطلع إلى أعمال علمية أكثر واعمـق وأفضل، وبإذن اللّه يتحقق ذلك على يدك وغيرك من المؤرخات والمؤرخين الجادين الحياديين المنصفين. (ابن جريس).

ثالثاً : الألفاظ الهنديَّة المقترضة في المحكيَّة اليمنيَّة.

بقلم أ. د. عباس علي السوسوة [(١)].

م	الموضوع	الصفحة
١ـ	قائمة بأسماء الرواة الهنود.	٤٨
٢ـ	قائمة بأسماء بعض الرواة اليمنيين.	٤٨
٣ـ	أهمية الدراسة، ومنهجها، وإجراءاتها.	٤٩
٤ـ	طريق الألفاظ الهندية إلى اليمن.	٥١
٥ـ	الألفاظ المقترضة بين اليمنية والهندية.	٥٣
٦ـ	التغير الأصواتي في الألفاظ المقترضة.	٦٥
٧ـ	التعامل الصرفي مع الألفاظ الهندية .	٦٦
٨ـ	مصادر البحث ومراجعه .	٧١

هذا البحث توسيع وتطوير للقسم الثالث من كتابي «دراسات في المحكية اليمنية»[(٢)]. كان بعنوان: (الألفاظ الهندية في المحكيـة اليمنية) . ص١٤٩-١٨٣. استوى على (٥٠) لفظًا هنديًّا. وظهر لنا بعد ذلك من خلال مقابلة بعض الألفاظ في الأفلام الهندية (بوليوود) بما يدور في كلام الناس - على اختلاف طبقاتهم - في بلدنا اليمن، منذ ستينيات القرن العشرين الميلادي، أنها هندية المصدر، باقية بأصواتها وبنيتها في الغالب وقليل منها لحقه تغير طفيف. لذلك رأينا ضم المجموع حديثًا (من ٢٠٠٧ - ٢٠١٤م) إلى السابق في بحث واحد.

كنت قد قسّمت الألفاظ الهندية التي اقترضتها المحكية اليمنية إلى نوعين: أحدهما يكاد ينقرض من استعمال الناس، وثانيهما شائع بنسب متفاوتة باختلاف المحافظات قربًا وبعدًا عن عدن وتعز، وباختلاف الأفراد. ثم بعد تأمُّل وجدت أن الشيوع وشبه الانقراض كلاهما نسبي غير حاسم؛ فأعدت ترتيبها ألفبائيًّا بما جَدّ، وسيجد القارئ الكريم أن بعض الرواة من المواطنين قد انتقلوا إلى الدار الآخرة، أسأل الله لهم الرحمة

(١) الأستاذ الدكتور عباس السوسوة من دولة اليمن الشقيقة، عرفته عن قرب فوجدته من الأساتذة الجيدين البارعين في تخصصه علم اللسانيات، له العديد من الكتب والبحوث العلمية المطبوعة والمنشورة، نشرت له دراسات عديدة في (موسوعة القول المكتوب) (٣٠ مجلداً)، وذكرت خلاصة عن سيرته الذاتية في بعض أجزاء الموسوعة. (ابن جريس) .

(٢) ط٢، مركز عبادي، صنعاء، ٢٠٠٧م.

والمغفـرة[1]. وسيلاحظ من اطلع علـى البحث في نشرتـه الأولى أن الرواة من الزملاء الهنـود كانوا خمسة، وزادوا في المرحلة الثانية خمسة، وفي المحصلة النهائية هم عشرة كاملة، لهم كل الشكر والتقدير.

لا يفوتنـي أن أشـير إلى أننـي (تخففت) مـن استعمال الكتابـة الصوتية الدولية؛ لأن أكـثر المهتمـين لا يعرفونهـا أولًا، وثانيًا لأنها أتعبتني جـدًّا في الطباعة؛ فكم تغيرت الحـروف عندمـا تنتقل إلى جهاز جديـد، أو صارت إلى حروف لا تنتمـي إلى أي نظام كتابي. والمهم عندي أن يفهمها القارئ العربي.

١ـ قائمة بأسـماء الرواة الهنود: كلهم أعضـاء هيئة تدريس في كليتَي التربية والآداب - جامعة تعز:

١- كابِل موني تيواري (١٩٣٤ - ٢٠١٨):	KAPEL MOUNI TIWARI
٢- راجِ كمال شيرومني (١٩٤٨):	RAJKAMAL SHIROMANI
٣- داهاتا دارتا شارما (١٩٣٧):	DAHATA DARTA SHARMA
٤- رام كومار شارما (١٩٥٥):	RAM KUMAR SHARMA
٥- ساروج كومار روي (١٩٥٨):	SAROJ KUMAR ROY
٦- أشوك كومار سنها (١٩٥٠):	ASHOK KUMAR SINHA
٧- ناجشوار سنغ (١٩٥٤):	NAGESHWAR SINGH
٨- يوغندر شارما (١٩٤٢):	YUGEDER SHARMA
٩- فينود شنكر دوبي (١٩٥٠):	VINOD SHANKER DOUBEY
١٠- مينا راني (١٩٦٢):	MENA RANI

وهنـا لا بدّ أن أقدم شكـري للجميع، على تعاونهم، وأخص أولهم وسادسهم بمزيد من التقدير؛ فلولا الجلسات المتعددة معهما لما كان للبحث أن يأخذ هذه الصورة.

٢ـ قائمة بأسـماء بعض الـرواة اليمنيين: المأخـوذة عنهم الألفـاظ، وتواريخ ميلادهم على وجه التقريب:

١- عبد الرحمن عبده شمسان (١٩٤٥): كريتر، محافظة عدن (ر).

٢- محمد أحمد جَرهوم (١٩٥٠): يافع، محافظة لَحج.

---

(١) وضعت حرف: ر أمام المتوفين.

٣- علي عبد ربِّه مَيسَري (١٩٥٤): جَعار، محافظة أبيَن.
٤- قحطان قحطان صالح المشرقي (١٩٧٠): ضوران الحُشا، محافظة الضالع.
٥- طاهر علي سالم الحامد (١٩٧٢): مدينة البيضاء.
٦- الحسن علي محمد طاهر (١٩٥٩): الزُهرة، محافظة الحديدة.
٧- مُطَهَّر بن يحيى العُثُربي (١٩٣٢): مدينة عَمران (ر).
٨- بَقلَة بنت حَميد الزُّبَيّح (١٩٣٦): الطويلة، محافظة المَحويت (ر).
٩- علي مطهَّر العُثُربي (١٩٦٣): كُحلان، محافظة حَجَّة.
١٠- فاطمة بنت علي أحمد الحَجّي (١٩٢٠-٢٠١٦): مدينة ذَمار (ر).
١١- محسن أحمد علي الغَضراني (١٩٧٢): مدينة صنعاء.
١٢- خالد يحيى هَطّال (١٩٦٨): مدينة الحَزم، محافظة الجوف (ر).
١٣- صالح أحمد حَبتور (١٩٧٨): حَريب، محافظة شَبوَة.
١٤- هَزّاع محمد عمر الصِّلوي (١٩٣٧): الصلو، محافظة تعز (ر).
١٥- حسن عبد الله الصَّعدي (١٩٧٣): ضَحيان، محافظة صعدة.
١٦- إبراهيم قائد عبده الحُبَيشي (١٩٧٣): مدينة إبّ.
١٧- غالب صالح زُبَيّن (١٩٧٠): مدينة مارب.
١٨- سالم باسر باوزير (١٩٧٩): سَيئون، محافظة حَضرَمَوت.
١٩- علي محسن الكَثيري (١٩٨٠): قِشِن، محافظة المَهرَة.

والشكر مبذول للإخوة: علي مطهر العثربي، ومصطفى علي الجُنَيد، وأحمد عثمان ناجي، لمساعدتهم في توزيع الاستبانة وجمعها[1].

ولا يفوتني أن أشكر الصديق الأديب حسين منصور الشيخ، على تنسيق البحث.

جزى الله الجميع كل خير.

٣ـ أهمية الدراسة، ومنهجها، وإجراءاتها:

أ ـ أهمية الدراسة:

تكمن أهميتها في دراستها لواقع لغوي حي، ضمن العلاقة بين لغتين من أرومتين مختلفتين وما نتج عن احتكاك أبناء اللغتين بعضهم ببعض. وهذه أول دراسة تتناول ألفاظًا أجنبية من المحكيّة اليمنيّة وتدرسها من جوانبها المختلفة، لا أن تكتفي بمجرد

(١) صار الأول دكتورًا في قسم الإعلام ج صنعاء، والثاني والثالث دكتورين في مركز اللغات بجامعة تعز، وفّقهم الله.

سـرد الألفاظ سردًا مجردًا[١]، أو أن تحشر الألفـاظ كما اتفق دون إرجاع كل لفظ إلى أصله، فتصبح الألفاظ الإنجليزية والإيطالية وبعض العربية جميعًا من الهنديّة[٢].

ب- منهج الدراسة:

استخدمنا عدة مناهج كان المنهج الوصفي الأساسَ الأول الذي أقيمت عليه الدراسة؛ فالزمـن محـدّد (١٩٩٦ - ٢٠٠٢م)[٣]، ومـكان الدراسة محدّد (الجمهوريـة اليمنية)، والصيغـة محددة (المحكيـة اليمنية). وعلى ذلك تم اختيار الـرواة - كما سبق قبل قليل - والتنقيب عن الألفاظ على مدى سنوات، ودُرست الألفاظ المقترضة من عدة جوانب.

ثـم كان للمنهج التقابلي الـذي يقابل بين لغتين أو لهجتين - سـواء كانتا من أسرة واحـدة أو مـن أسرتين مختلفتين، وهو الحادث في دراستنا هذه - إذ إن المحكية اليمنيّة مستوى من مستويات العربية، وهي من فصيلة اللغات السامية (ضمن الأسرة الإفريقية الآسيوية)، كما أن الهندية من الفصيلة الهندية (ضمن الأسرة الهندية الأوربية).

كذلك استخدمنا المنهج المقارن بلمسات خفيفة حتى نبيّن أصل اللفظ الهندي، سواء كان مشتركًا مع الفارسية، أو كان منحدرًا من السنسكريتية، اللغة المقدَّسة في الهند.

ج- إجراءات الدراسة:

١- تضـم المحكيـة اليمنية المعاصـرة ألفاظًا مقترضة من لغات متعـددة: كالإنجليزية والفرنسيـة والإيطالية والفارسيـة والتركية ولغات إفريقية. وقـد غيرت من بنيتها الصوتيـة والصرفيـة إن قليـلًا وإن كثـيرًا، وبالتأكيـد فمستعمل اللغـة لا يهمّه إلّا أن يستعمـل اللفـظ عند الحاجة إليـه ولا يعنيه أن يعلم مصـدره الحقيقي. فكانت الخطـوة الأولى أن نفرز هذه الألفـاظ بإعادتها إلى مَظانّها، واقتضى ذلك الرجوع إلى معاجم لغات متعددة.

٢- ثم كانت الخطوة الثانية أن نسأل زملاءنا الهنود في جامعة تعز، على فترات زمنية متباعـدة: «أهذا اللفظ بمعناه هذا مستعمـل في الهندية؟، وكيف يُنطَق؟ وما دلالته على وجه التحديد؟».

---

(١) كمـا في مقالة إسماعيل بن علي الأكوع: «كلمـات تركية في اللهجات اليمنية»، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٣١، ج٢ نيسان ١٩٨٠، ص١٤٥ - ١٥٤.

(٢) كمـا في مقالة مُلكي سعيد باخبيرة: «لغتنا بين العاميّة والفصحى»، ص١٣، ٢٠، ٢١. (اليمن) جامعة عدن - العدد ١٨، نوفمبر ٢٠٠٣.

(٣) هذا باعتبار النشرتين الأولى ٢٠٠٤ والثانية ٢٠٠٧، وباعتبار النشرة الحالية التي زاد عدد المقترض ثمانية حتى عام ٢٠١٤.

٣- ثم كانت الخطوة الثالثة أن ننظر في انتشار هذه الألفاظ في محافظات اليمن المختلفة، حتى يسوغ لدينا القول بالمحكيّة اليمنيّة. وتم ذلك بالزيارة المباشرة لمحافظات: عدن ولحج وإبّ والمحويت والحديدة وذَمار وصنعاء وعَمران وحجة[١]. أمّا بقية المحافظات التسع عشرة، فاكتفينا باختيار فرد من كل محافظة. وهذا الفرد يؤكِّد وجود اللفظ من عدمه، أو وجود مرادف له. وقد تداخلت هذه الخطوات في مراحل تبييض الدراسة.

٤- استبعدنا الألفاظ الهندية المقترضة عن طريق الفصحى، كالرز والسكّر والقرنفل، واستبعدنا ما جاء عن طريق وسيط، مثل: (شامبو) الذي انتقل إلى الإنجليزية ثم منها إلى اللغات الأخرى.

٤ـ طريق الألفاظ الهندية إلى اليمنية:

في الهندية الآن ألفاظ عربية؛ فقد احتكت العربية بالهندية[٢]، منذ الحكم الغزنوي في الهند، في القرن الخامس الهجري، كما دخل فيها ألفاظ عربية عن طريق الفارسية. وإليكم بعض الألفاظ التي نصادفها في الأفلام الهندية:

إنسان (للإنسان كامل الصفات)، بعدما، بَعز (=بعض)، ثُبوتي (دليل، إثبات)، حرامي (ابن حرام)، جَلّادي (جلّاد)، حقيقت، خالي، دُنيا، سلامي (تحيّة)، محبّت، عدالت (المحكمة)، عاشق، قسمت، قانون، قاتل، معلوم (معروف)، مجبوري (مُكرَه/ إكراه)، زَرورت (ضرورة)، شَرتي (شُرطي)، مجرم، إنصاف، خراب (عديم الفائدة)، غريب (مسكين/ فقير)، صافي (نظيف)، مُشكل (مشكلة)، مهبوبة (محبوبة)، شك، شكر، شكريا، شراب (خمر)، عاقِر (للبقرة التي لا تلد خاصّة)[٣].

وكان للاحتكاك البشري عن طريق الاختلاط والتجارة الأثر الأكبر في انتقال الألفاظ من الهندية إلى المحكية اليمنية. وكانت العلاقة قائمة بين المنطقتين في العصر

---

(١) أخفقتُ في الحصول على أي تمويل، من أي مصدر داخلي أو خارجي، سواء لهذا البحث أو لما سبقه وتلاه. والحمد لله.

(٢) المقصود بالهندية هنا لغات الفصيلة الهندية: الهندوستانية والبيهارية والأردية والراجشتانية والسندية والبنغالية والبنجابية. انظر: محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ١٨٥. وإذا كان هناك خصوصية متعلقة بإحداها فسنذكر ذلك.

(٣) لنا بحث عنوانه: «الترادف في اللغة الهندية من خلال السينما»، مقبول في مجلة (علامات في النقد) النادي الأدبي الثقافي ـ جدة، منذ ٢٠١٧م!!، ولمّا ينشر حتى وقتنا (٢٠٢٥)؛ لأن المجلة توقفت عن الصدور.

الوسيط؛ فكتب التاريخ اليمني، كالسلـوك للجَنَدي، والعقود اللؤلؤية للخزرجي، وبهجة الزمـن ليحيى بن الحسين، ورَوح الروح لعيسى بن لطف الله، وغيرها، تذكر أن طوائف مـن الهنود تسمـى (البانيان)[١] كانت مستقـرّة في المدن الكبرى، مثـل: عدن وصنعاء والمخا، أيـام ذاك وتشتغل بالتجارة، ناهيك عن الرحلات المتبادلة للعلم والتجارة. وقد بقيت ألفاظ هندية في المحكية اليمنية نتيجة لذلك.

علـى أن الاحتـكاك الأكـبر كان في حقبـة الاحتـلال البريطـاني لعـدن (١٨٣٨ - ١٩٦٧م)، فقـد احتلت القـوات البريطانية عدن ومـا حولها، وجعلت منهـا ميناء هامًّا يصـل بين المستعمرات البريطانية في شبه القارة الهندية وإفريقيا ومناطق مختلفة من العـالم. وكان لها جيش من الجند والموظفين مـن أبناء دول الكومنولث أغلبهم من شبه القـارة الهندية، وتبعهـم في استيطان عدن تجار وحرفيون مختلفـون. وفي الوقت الذي اهتمـت فيه بريطانيا بعدن وحدهـا، عقدت معاهدات صداقة مـع السلاطين والمشايخ المحليـين في مناطق الجنوب اليمني الأخرى، فظلت الأمور في أيدي هؤلاء، ولم يتغير في أوضاع هذه المناطق المعيشية شيء يذكر.

أصبحـت عدن، نتيجة لأهميتهـا واتساعها وتوفر سبل العيش المتنوع فيها، مصدر جـذب لكثير مـن أبناء اليمن يطلبون الـرزق فيها، وهؤلاء تعايشوا مـع الهنود أكثر مما تعايشـوا مع بريطانيـين، وانتقلت عن طـرق المعايشة كثير من الألفـاظ الإنجليزية إلى المحكيـة اليمنيـة متعلقـة بالصناعـات والأدوات وبعض مظاهـر الحضـارة المعاصرة. والدليـل على انتقالها بالواسطة الهنديـة أنها لا تأتي على الصيغـة الإنجليزية. فمثلًا: (hospital) (اسبطـان) بمعنى المستشفى هـي (أسبَتَن) عند الهنود، و(شملي) بمعنى الزجاجة التي توضع على المصباح الكيروسيني لتحمي الذُبالة هي (شِمني) عند الهنود، مـن (chimney) بمعنـى: مدخنة. والإبريـق في الإنجليزية: كتِـل، وفي المحكية اليمنية (كِتلي) كالنطق الهندي. وقل مثل ذلك عن قسم لا يستهان به مَن المقترض الإنجليزي.

المهـم أن هذه المعايشة نتج عنهـا ألفاظ في المحكية اليمنيـة أصلها هندي؛ بعضها يـكاد ينقرض، وبعضهـا الآخر حظوظها متفاوتة مـن حيث الانتشار بـين اليمنيين؛ إذ يتعلـق بسلـع وخدمات تنتقل بمسمياتهـا. أذكر أن لفظ (روتـي) كان معروفًا في مدينة تعـز في آخر الخمسينيات من القرن العشرين، في حين لم يعرف في العاصمة صنعاء إلا بعـد (١٩٦٣م)، ولم يُعرَف في مدينة ذَمار (١٠٠كلم جنوبي صنعاء) إلا في (١٩٨٢م)،

(١) البانيان في الهندية المعاصرة تعني البقّال فحسب.! سبحان الله!

وعُـرف بعد هذا التاريـخ في المناطق الواقعة شرقي صنعاء وشماليهـا عندما أنشأ فيها المغامرون من أبناء بني شَيبة ودُبَع مخابزَ ومطاعم.

كذلـك كان (كَرّي) بمعنـى الحصى المكسّر من حجارة أكـبر، ترصَف به الشوارع، أو يُخلَـط مع السمنت/ الأسمنت والحديد لإقامة أعمدة البيوت والسقوف، كان معروفًا في تعـز آخـر الخمسينيات، لكنه لم يعـرف في صنعاء إلا في أواسـط الستينيات، ولا في عَمـران إلا في أواخـر السبعينيات عندمـا تغيرت طرق البنـاء، أو قـل دخلت في العمارة مواد جديدة[١].

علـى أن هـذه الألفاظ تشبـه القائمة المغلقة؛ فليسـت مرشحة للزيـادة، نظرًا لندرة الاحتـكاك بالهنـود، فعددهـم قليل جدًّا، وهـم في مواقع عمل مختلفة عمـا سبق: مدرس جامعـة، ممرضة، فني، وهم مضطـرون لاقتراض ألفاظ يمنية. أضف إلى ذلك أن هناك ألفاظًا مرادفة لها من أصل عربي معروف أو منقول من قطر عربي تزاحمها في الاستعمال.

٥ - الألفاظ المقترضة بين اليمنية والهندية[٢]:

١. باجِيَه: /baagiyah/، /baadjiyah/:

أقراص تُعمل عادة من الدُجـرة (= اللوبيا) وبعض الحبوب والخضـر، تُقلى بالزيت. وهي من الهندية /بهوزيا/: أي قطعة خضر تقلى في الزيت، من /بهازي/ = خضر مطبوخة.

٢. بالدي/ باردي: /baaldi/baardi/:

الدلو، السطل من أي مادة كانت. وهو في الهندية/ بالتي/، مؤنث.

٣. بانيس، و بانهيس: /baaniis/baanhiis/:

تحديدًا الماء البارد يباع في المطاعم والمقاهي ودور السينما مناولة في أكواب. ويبدو أن العامـة دمجـت كلمتين هنديـة وإنجليزيـة (ice)؛ ذلك أن المـاء بالهندية:/pani/ وجـذره في السنسكريتية ص٦١٢/pa/ بمعنى: يشـرب، يبلع. والشرب/pan/ ص٦١٣. فالثلج عند عامة الهنود ترف.

---

(١) أشكرك يا دكتور عباس على هذا التوثيق التاريخي اللغوي، آمل أن نرى باحثات وباحثين يدرسون تاريخنا الاجتماعي والحضاري، وتكون اللغة المحلية من المصادر الرئيسية لإنجاز مثل هذه الأعمال العلمية. (ابن جريس).

(٢) عندمـا نذكر أرقام الصفحـات عن السنسكريتية فهي لمعجم منير وِليامز عـن السنسكريتية، وإذا ذكرت مقرونة بالفارسية فهي من معجم محمد التونجي. ماعدا ذلك فلكلٍ مصدره.

٤. بَخّار:

المستودع الكبير تباع فيه البضاعة بالجملة والتجزئة. وفي لهجات بيهار /bakhar/: مساحة من الأرض توضع فيها المحاصيل بعد حصدها.

٥. بَدامي:

أكلـة مـن الحلويات. وهي في الهنديـة: حلوى يدخل في صنعها اللـوز؛ إذ هـي من /badaam/ بمعنــى اللــوز، وبدامي= لوزي، أي شيء له شـكل اللوز ولونه. وهو كذلك في الفارسية، ص٨٩ و٩٠ (ط العلم للملايين).

٦. بَرتَن:

طقـم مـن الآنية المعدنيـة - الألمنيـوم خاصة - تُرَكّـب قطعةً واحدةً فـوق الأخرى كـي تُحمـل بمقبض، وفي كل قطعة لون مختلف مـن الطعام. ويسمـى في أكثر المناطق: السُفُرطاس. أما في الهندية فهو وعاء واحد من أي نوع كان، سواء للطبخ أو للمطبوخ.

٧. بَردَه:

ستـارة مـن قماش لستر النوافذ. أمـا في الهندية فقماش ونحـوه يغطى به النوافذ والأبواب أو المسرح.

٨. برِياني:

في الهندية عامة، طبخة لحم مع البصل، لكنها متنوعة ،فهناك برياني تشيكن، أو برياني فيجيتابلز... إلخ.

٩. بَطَّه:

ألعاب الورق التي تحمل الأرقام من١٠ :١ ، إضافة إلى الملك والملكة والأمير والجوكر (تسمـى الشيبة والبنت والولـد والسارق، مكررة ٤ مرات). وهــي في الهندية/ patta/ بهذا المعنى، ولها معان أُخَر: ورق الشجر أو الزهر أو ورق الكتابة. وهو في السنسكريتية (صـ٥٨١) : pattra/ بهذه المعاني الأخـرى. الكلمة مذكر في الهندية، ولها صيغة مؤنث مصغّر هي: بَتّي، ولا يخفى أنها في اليمنية مؤنث.

١٠. بَنَّد:

أغلقَ، أقفلَ. ولها في المحكية دورة اشتقاقية كاملة: بَنّد، يبنّد بنِّاد وتبنيد، وهو مُبَنِّد

ومبنَّد؛ لاسمي الفاعل والمفعول. أما في الهندية العامة غير الأدبية فهي بَند/band/ على مثال بَحر، وتأتي فعلًا وصفةً مع بعض اللواحق؛ فـ (كام بَندهي) = العمل متوقف، و(دلّي بند) = إن الحركة في دلهي متوقفة؛ فالسيارات ساكنة، والمحلات مغلقة. واللفظ ليس في السنسكريتية، ويبدو أنه من المشترك مع الفارسية (الذهبي ط العلم ص١٢١).

١١. بَنكَه:

المروحة الكهربائية. وهي في الهندية/pankha/ للمروحة عامة، يدوية كانت أو كهربائية. وقد ورد اللفظ في قصيدة لأحد أبناء مَوزَع من محافظة تعز، برواية المذيع محمد جُبالة (ت رحمه الله ٢٠١٤م):

وا طير يَللي تَنغُم   على انجريد والواحُ
على(ابن حيدر) سَلِّم   عَشيَّةً و صباحُ
قُل لَه(حَميد) هم روضة   مُكَيِّفُ مُرتاحُ
امرادِيه و امبَنكَه   وامّاي علَه مفتاحُ[1]

١٢. بَيسَه:

كانت في المحكية اليمنية – حتى عام (١٩٧٥) – عملة نقدية معدنية صغيرة الحجم والقيمة، مصنوعة من الألمنيوم الخفيف أو النحاس. ولم تكن هذه تسميتها الرسمية، فالتسمية الرسمية نصف بُقشة، حين كان الريال اليمني يساوي أربعين بقشة[2]. أما الآن فتستعمل للدلالة على النفي؛ فإذا قال الشخص: «واللّه ما معي بيسة»، فهو يريد نفي وجود النقود مطلقًا. وتستعمل بصيغة الجمع: بيَس (على مثال عِلَل) للدلالة على النقود. أما في الهندية فإن /paisa/ تطلق على النقود عامة، وعلى العملة المعدنية خاصة، والكلمة مذكرة.

١٣. بَيلَم:

عصا مخصوصة لفرد العجين وإطالته. وهي العصا في الهندية/belan/ وفي السنسكريتية /balana/ ص٧٢٣، عملية الإطالة والتوسيع نفسها، والكلمة مذكرة.

---

(١) يطلب من الطير الذي يشدو بالنغمات على جريد النخل وألواح/ غصون الشجر أن يسلّم على الشيخ ابن حيدر عشية وصباحًا، وأن يخبره أن (حميد) في هذه الروضة مقيم، مرتاح، منتعش؛ ذلك أن لديه مذياعًا ومروحة كهربائية، والماء يصل إليه بمفتاح. (ام) = ال.

(٢) إن شئت انظر تأصيلًا للبقشة والزَلَط في بحثنا: «بقايا الألفاظ التركية في المحكية اليمنية»، ص ٥٥ و٦٧.

١٤. تالو/ تالُه:

قَص شعر الرأس قصة تجعله جميلًا، للذكور دون الإناث. هذا عندما كانت حلاقة الرأس تعني إزالة الشعر منه إزالة كاملة؛ لذلك جاءت (التالو) لتكون مخالفة للمألوف. أما في الهندية فـ/taalu/ فتعني وسط الرأس. وفي السنسكريتية تعني: الحَنَك، وسط الفم! وفيها /تالا/: رأس النخلة (ص٥٤٤ – ٥٤٥). وهي مذكرة.

١٥. تُنبُل:

في الهندية/tambuul/ وكذلـك في السنسكريتية (ص٤٤٣) مجموعة أوراق نبات مخصوصـة، تدهـن بمسحـوق أبيض وببعضـ البهـارات العطرية والحلـوى، وتُمضَغ؛ لتكسـب الفمَ نكهةً طيبة، ولهـا بُزاق أحمر يلوّن اللثة والأسنـان. وقد شرح ابن بطوطة التنبـول، وكيف يستعمل في الهند وبعضـ بلدان آسيا، والمراسم الخاصة باستخدامه في عـدة مواضع من رحلته[1]. وذكره المكي الموسوي(ت١١٨٠ه) في رحلته للهند[2]: «التامول ويسمى أيضا التانبول والعامة تسميه التنبل. وهو ضرب من اليقطين الهندي طعم ورقه كالقرنفـل، يمضغـون ورقه بقليل من كلس وفوفل. وهـو مشهي مطرب مبهي مقوي للثة والمعدة والكبد»

١٦. تولا/ تولَه:

يكاد استعمال هذا اللفظ يقتصر على محترفي صياغة الحلي الذهبية ومن يتعامل معهم. وهو في الهندية /تولا/. وهي معيار لوزن الذهب محدّد بعشرة جرامات= ١٠جم. وليست في السنسكريتية.

١٧. جاري: /gaari/:

وهـي في المحكيـة نطق واحد، سـواء عُدّت قافًـا في لهجة أو جيمًـا سامية في لهجة أخـرى. وتعنـي: عربة صغيرة بعجلة واحدة، لها ذراعان للدفـع اليدوي. ولها معنى أقل شيوعًا: التي يجرها بغل أو حمار. أمّا في الهندية فالكلمة عامة لكل مركبة غير حيوانية، فهنـاك ريل جاري= القطار، وهوا جاري= الطيـارة، وموتور جاري= السيارة، وجهورا جاري= عربة يجرها حصان، والأغلب جاري لعربة اليد.

---

(١) ابن بطوطة يشرحه في ص٢٦٣، وانظر: ١٠٧، ١٠٨، ١٥٦، ٢٥٤، ٢٦٠، ٤٠٦، على سبيل المثال.

(٢) المكي الموسوي: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، ١/ ٢٤٤.

١٨. جوجَرة/ جَوجَرَة: /gawgarah/guugarah/:

فوطة، أو قل ثوب مخيط للنصف الأسفل من الجسم برباط مطّاطي. أما في الهندية فإن/ghaagara/ ثوب نصفي خاص بالنساء. وقد جاءت الكلمة في شعر عبد الله هادي سبيت (ت ٢٠٠٧) عن القطن اليمني:

وسط الجوجرة تلقاه والخدّين تتلقاه
محلاهم ويا مَحلا

١٩. خُردَة:

قديم تالف؛ يقال: سيارة خُردة، ويقال على سبيل التشبيه: فلان خُردة. أما في الهندية فإن /khodra/ تعني: أجزاء صغيرة مثل صرف العملة. ويظهر أنها مأخوذة من الفارسية أو من المشترك معها؛ ففي الفارسية (ص٢٦٢):خردة: أشياء قليلة القيمة.

وجاء في المحكية من شعر أحمد الغني (أنشدَناه عام ١٩٩٠):

الصوالين هي لَكُم والتّوَت والخُرَد لنا[1]
البنات الطوال لكم والقصار والشَمات لنا
والفِلَل والقصور لكم والدُشَم والخيَم لنا

٢٠. دُقّة: /duqqah/، /duggah/:

عقد تلبسه المرأة مكون من حبوب كهرمان أو مرجان أو فضة تتوسطه عملة ذهبية. وهو في البنغالية /takka/: حلية ذهبية مستديرة تتوسط العقد الذي تلبسه المرأة، من السنسكريتية (ص ٤٢٩) /tanka/= عملة فضية خاصة. الكلمة في الهندية مذكرة، ومؤنثة في المحكية. ويبدو أنها من المقترض في القرن الخامس الهجري؛ إذ وردت مرارًا في وصية الملكة سيّدة بنت أحمد الشهيرة بأروى[2].

٢١. دوبي:

غَسّال الثياب. وهو بالمعنى نفسه في الهندية/dhuubi/، وهو مذكر فيها رغم وجود علامة التأنيث/i/ أما المؤنث منها ف/dhuubiin/.

---

(١) الصوالين جمع لسيارة الصالون الفخمة، أما التوَت فجمع سيارة توتة= تويوتا المتواضعة، الشمات: القبيحات.

(٢) انظر في شرح ذلك وتفصيله: نور المعارف، بتحقيق محمد عبد الرحيم جازم، ص١٥٤، هامش: ١٢٣٢.

٢٢. راشَن:

التعيين من أنواع الطعام والحبوب لمدة معينة كأن تكون أسبوعيًّا أو شهريًّا، وهو كذلك في الهندية والانجليزية. واللفظ من السنسكريتية /آشَن/= يأكل، طعام. (مذكر).

٢٣. رَصدَة:

الطريـق المعبّدة تسير فيهـا المركبات خاصّة. أما في الهنديـة فعامّة، في كل طريق للمـارة، أو للمركبات، معبّدةً وغير معبدة. ومـن معانيها أيضًا: الحل، والخيار من عدة بدائـل. ومنه: آخري راسته= الحـل الأخير= الحل الوحيد. وهو عنـوان فلم سينمائي للمخرج (ك. بهاكيا راج) إنتاج عام ١٩٨٨، بطولة أميتاب باتشَن.[١]

٢٤. رَنج: /rang/ /randj/:

الدهان الذي تطلى به الجـدران والأبواب والسيارات، وله دورة اشتقاقية كاملة في المحكيـة. ففيها الفعل: رَنَّج يرَنّج رَنِّج، والمصدر الـرَنج والترنيج والرنّاج، والممتهن لهذا العمل: مُرَنِّج وصفة الجدار ونحوه: مَرَنَّج. لكن دهان الحذاء لا يقال له: (رنج)، بل هو: (بويَه) ومنه الفعل يباوي[٢].

٢٥. روتي:

خبـز مخصوص، توضع عجينته في قالـب حديدي، وبعد أن تنضـج في الفرن تخرج علـى هيئة صندوق مستطيل. أمّا في الهندية فالروتي عام على كل أنواع الخبز، ويخصص بألفـاظ؛ فهناك: روتي تَندوري= خبز التنور، و روتي بَرَتهـا= الخبز المنضّج على الصاج بالسمن، و روتي شَباتي للمخبوز على سطح مستدير ساخن. وفي أول الثمانينات دخل الخبز الفرنسي الذي على هيئة عصا إلى اليمن فسمي: (روتي). والكلمة مؤنث في الهندية.

٢٦. زام:

النوبة في العمل. وهي من / كام/ الهندية بمعنى العمل مطلقًا.

٢٧. سامَن/ سامان:

أدوات الشغـل، متاع المنزل، مجموعة أدوات أي مهنـة. وهي كذلك/samaan/ في

---

(١) انظر، إن شئت: معلومات وافية عنه في موقع: IMDB.

(٢) بوبه وما يتعلق به مقترض من التركية، انظر بحثنا: «بقايا الألفاظ التركية في المحكية اليمنية»، ص٥٨.

الهنديــة، ولا توجـد في السنسكريتية. وتشترك مع الفارسيــة بالمعنى نفسه (ص٣٧١). واللفظ مذكر.

٢٨. سَنبوسَة:

رقــاق خبــز على شكل مثلث يُحشــى لحمًا أو خضرًا. وهــو في الهندية/ ساموسا/. وفي الفارسيــة (التونجي ص٣٥١ طبعة العلـم): سنبوسة: مثلث، كل شيء بثلاث زوايا، فطائـر محشوة باللحم. والكلمة موجودة في الشعر العربــي الفصيح منذ القرن الثالث الهجري فما يليه، بصيغتي: سنبوسك وسنبوسة[(١)].

٢٩. سِنداس:

مجـرى القاذورات وما يتخلف عن الحمامات والمطابخ يسيل في الأرض[(٢)]. واللفظ في بعض اللهجات الهندية وليس عامًّا.

٣٠. سيري:

السُّلّـم الخشبي أو الحديدي الـذي يُنقَل حتى يُستَعانَ بـه في الوصول إلى الأماكن المرتفعة. وهو في الهندية/siirhi/ بالمعنى نفسه وبمعنى الدَرَج الثابت. مؤنث في الهندية.

٣١. شابوك:

أي أداة للتأديـب بالضرب غير العصيّ والحديـد والخشب. في الهندية/تشابوك/ للسوط تحديدًا. وفي الفارسية (الذهبي. ط العلم ص٢١٠): تشابُك= السوط.

٣٢. شَباش:

كلمــة تحسين وتشجيع بمعنى: مَرحى، أحسنــت. وفي الهندية والفارسية/شَبّاش/. وتخفف، وقد تكون: شادباش: تلقى في التهنئة والأمر بالفرح، ويقال: شاباش (الذهبي، ط العلم ص٣٦٠ - ٣٦١).

---

(١) راجـع، إن شئت: الأغـاني للأصفهاني، وخريدة القصر للعماد الأصفهـاني، ويتيمة الدهر للثعالبي، ونفح الطيب للمقّري التلمساني.

(٢) وجدتهـا بنفس المعنى في كتاب إبراهيم الهاشم: هَجَر قبل النفـط، الخُبَر: الدار المتحدة الجديدة ١٩٩٣، ص١٣٢. ولو كان المسح منهجنا لذكرنا مراجع من بلدان عربية أخرى.

٣٣. شِتني:

مسحــوق من الفلفــل الحار والطماطم ومواد أخرى، يــؤكل مغَمّسًا بالخبز. وهو في الهنديــة مسحــوق من الملح والفلفــل والفواكه وأشيــاء أخرى[1]. وهــو في السنسكريتية (ص٣٨٢) مجموعة بهارات لكنه ليس طعامًا. واللفظ مؤنث.

٣٤. شَتُوَّه:

خميرة. لكنهــا في الهندية /satwa/: دقيق من الحمص يدقّ ويطبخ، ولا علاقة له بالخمــيرة، وقد يُصنع شرابًــا. وكذلك الحال في أصلها في السنسكريتية (ص١١٣٢) / saktu. واللفظ مذكر.

٣٥. شَكلَه:

المنزل المُدار للدعارة. وهو كذلك في الهندية/تشَكَلا/. اللفظ مذكر.

٣٦. شَنبَل:

ويجمــع على شنابل: الحذاء المطاطي أو البلاستيكي الذي تظهر فيه أصابع القدم كاملــة، ويكون قسم للإبهام والبقيــة لأصابع الرجل الأخرى. وهــو في الهندية/تشَبَّل/ بباء مهموسة مضعفة. وهو مذكر في الهندية، في حين يذكر ويؤنث في المحكية. وقد جاء اللفظ في شعر علي عبد الرحمن جحّاف (ت ٢٠١٦م)[2]:

صـبرتَ معي صبرَ الكريم وكنتَ لي — رفـيقًـا وفـيّـا في الـسنـين الـذواهـب
فعش وافـرَ التكريم يا خيرَ شنبلٍ — عــليه قـــضيتُ الوقـــتَ مـــآربيَ

٣٧. شَنجَل:

الخُطّاف الذي في طرف حزام أو سير أو حبل. وهو في الأردية/جَنجال/ (مذكر). وفي السنسكريتية: / شاكَل/.

٣٨. شولَه:

الاستعمــال الشائــع أنه الموقد الذي يعمــل بالكيروسين، وقد يسمــى: (البرَموص)

---

(1) Onions: The Oxford Dictionary of English Etymology, p175.

(٢) قصيدة: في حفل تكريم الحذاء الأخضر، ديوان فُل نيسان، ص٦٩.

و(الدافـور)[١]. وهناك معنـى ثانٍ هو: العين التي يخرج منهـا اللهب من الموقد المتعدد العيـون. وفي الهندية/تشولهـا /وتشولاً/ يحمـل هذين المعنيين، كما يطلـق على التنور الطيني. والبوتا جاز عندهم: تشولا جاز. مذكر.

وربمـا كان اللفـظ عربيـا غمض أصله، لاسيمـا أن مـن أسماء النـار والشعلة في الهندية: شولي، بل في الأردية ينطق/شولي/ ويكتب فيه العين= شُعلي. وهو عنوان فلم سينمائي مـن إخراج رامش سِبّـي (١٩٧٣م) بطولة: سنجيف كومـار وأمجد خان ودار مَندَر وأميتاب باتشن[٢].

٣٩. شولي:

سوار ذهبي. وفي الهندية/ تشوري/ السوار من أي مادة كانت حتى من الزجاج، مؤنث.

٤٠. طاوَه:

قطعـة مـن الحديـد أو الصفيـح يُحمـى كي يُخبَـزَ عليـه. وهـي في الهنديـة /taapa/ مذكـر. وفي السنسكريتية (ص ٤٤٢) بمعنى الوعـاء وبمعنى الحـرارة/tapta/ (ص٤٣٦)، وجذرها/tap/، ومنها الفعل: سَخّنَ وأشعلَ (ص٤٣٧). وفي الفارسية: تاوَه= مِقلاة (ص١٩٤).

٤١. طُماش/طَماش:

مفرقعات بحجم إصبع الفتى اليافع، تستعمل - عادة - في الأعياد والأفراح. والكلمة في الهندي/تَماشـا/ دلالاتها أوسع؛ إذ تشمل أنواع التسلية كافّة سواء كانت ألعابًا نارية أو متفجرات أو كانت ضوضاء أو رقصًا... إلخ. واللفظ في الفارسية (ص٢٠٣) /تَماشا: نزهة، تسلية، فُرجَة، وتماشخانه= مسرح.

وفي المحكية استعملوا لها مفردًا وجمعًا، كما سبق. وقد وردت في الشعر:

الحـرّية زينـة رعـاة الـوَرَش   وزينـة أصحـاب المـواشـي
مِـن أجلـهـا يـا شعب لا تـخشَ رَش   ولا تـخـف صـوت الـطـمـاشِ[٣]

---

(١) ربما كانا تحريفًا لاسم الشركة المصنّعة.
(٢) راجع sholay في: موقع IMDB.
(٣) علي عبد الرحمن جحاف: فل نيسان ٤٨، الورَرَش: الأغنام.

٤٢. طَنج:

عقـد من قطع الذهـب الصغيرة يتوسطهـا على الصدر قطعـة ذهبية كبيرة. وفي عـددٍ من اللغات الهندية المحلية/tang/: عملة معدنية في الهند وفارس وتركستان، من البرتغاليـة/tanka/[١]. وفي الفارسيـة: (الذهبي ط العلم صـ١٩٠) تنجنده= الملتف حول نفسه، وتنجيده= ملفوف، منضغط. فلعلها انتقلت من هذا المعنى.

٤٣. فوطَة:

إزار نصفـي يُلَـفّ حول وسـط الجسم وكثيرا مـا يُثَبّت بحزام. وهـو من المقترض قديمًـا. وقالوا: إن الفُوَط جمع فوطة، مآزر قصار تُجلب من السند[٢]. ويبدو أن قيمتها كانـت تختلف بحسب النسيج، فمنها الغالي ومنهـا الرخيص. لكن الكلمة غير موجودة في الهندية حاليًّا.

وفي السنسكريتيـة كلمة/puta/ وهـي أقرب للفظ الكلمة العربيـة، ومعناها: ثوب يلبسـ ليغطي العورة (ص٦٣١). والكلمـة في الفارسية (ص٤٤٩)/فوته/ معرّب فوطة: منديل، مئزر.

علـى كل حـال لقّب بالفوَطي كمـال الدين بن عبـد الرزاق بن أحمـد (ت ٧٢٣هـ) صاحـب كتاب (مجمع الآداب)، الـذي روى فيه أطرافًا من أخبـار بغداد بعد سقوطها بيـد المغول. وابن بطوطـة (ت ٧٧٩هـ) ذكر الفوط والفوط في رحلتـه كثيرًا، ومن ذلك: «ويشـدّون الفوط في أوساطهم عوض السراويـل، وأكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل أخـرى فـوق ظهره من شـدة الحر»[٣]. وعـن منطقة أخـرى يقول: «ولا يلبسـ أكثرهن إلا فوطـة واحـدة تسترها من السـرّة إلى أسفل، وسائر أجسادهـن مكشوفة... ولباس بعضهن قمصٌ زائدة على الفوطة»[٤].

وجاء في تاريخ الجَنَدي (ت ٧٣٤هـ): «وخلع عليه فوطة كانت تساوي أربعين دينارًا»[٥].

---

(١) Onions: The Oxford Dictionary of English Etymology,p902، وراجع دُقّة في البحث.

(٢) ينظر ابن منظور: لسان العرب (ف و ط)، ص٣٤٨٦، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف بمصر.

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢٦٠.

(٤) رحلـة ابـن بطوطـة ٥٧٧، وانظـر أيضًـا: ٢١٠ و٢٢٤ و٢٥٥ و٢٥٦ و٣٩٨ و٥٧٤ و٥٧٦؛ وانظـر: نور المعارف بتحقيـق محمد عبد الرحيم جـازم، ص٧٦، الهامش٥٧٢، ففيه كلام كثير عنهـا، وانظر: رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية ٨/ ١٢٦ - ١٢٧.

(٥) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ٦٠٧.

٤٤. كاتورَة:

وعاء من الألمنيوم، مستدير عميق، له عنق وغطاء يُغلق به ويُفتَح، يحفظ فيه السمن أو اللبن عادةً. أما في الهندية/katuura/ فليس كذلك، إذ معناه: علبة مغلقة من الأعلى من أي معدن كان؛ كعلبة السمن التي تُفتح بفتّاحة العلب. واللفظ في السنسكريتية (ص٣١٢)/kotare/ بمعنى: تجويف، حفرة.

٤٥. كَرّي:

الحصى المكسَّر من صخور كبيرة، يستعمل في رصف الطرق، ويضاف إلى خلطة الخرسانة. أما في الهندية/kari/، فيطلق على كل أنواع الحصى الصغار وعلى الأصداف الصغيرة، وعلى أصغر ما يمكن من العملات. وقد يقال: «إن فلانًا لا يساوي (كري)».

٤٦. كَمبَة:

العمود الكبير الذي يحمل أسلاك الكهرباء والهاتف. وهو في الهندية: أي عمود حديدي أو خشبي لأي غرض حتى لحمل العَلَم/kambha/ (مذكر). وقد ورد اللفظ في ختام قصيدة للمرحوم محمد بن محمد الذّهباني:

وازكى السلام ما طُلُع والاّ نَزَل مهندس الكهربا في كمبتِه

٤٧. كَمَر:

حزام بجيوب يلف حول وسط الجسم. وفي الهندية بمعنى الحزام مما تشترك في مع الفارسية (ص٥٤٠). واللفظ مؤنث رغم عدم وجود علامة التأنيث. واللفظ موجود في العصر الوسيط، وقد يكون بزيادة ألف ونون في آخره. من ذلك ما جاء عند الصفدي (ت ٧٦٤هـ): «امض إلى كمرانه وائتني به سريعًا. فأتى بشيء من الفيروز»[1]. وفي تكملة دوزي إشارة لمصادر غير هذا[2].

٤٨. كُنبُل:

البطّانية ويجمع على كَنابل. وهي كذلك في الهندية/kambal/. وفي السنسكريتية (ص ٢٥٢) بمعنى: صوف المعز، وبطّانية. واللفظ مذكر.

---

(١) الصفدي: تحفة ذوي الألباب ٢/ ١٤٠.

(٢) رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية ٩/ ١٣٩.

٤٩. كَنشَلي:

قطعـة قماش لتغطية ثديي المـرأة ولرفعهما أيضًـا. وفي الهندية/كَنتشُلي/ بالمعنى نفسـه. وهـو في السنسكريتية/كَنتشُكـي/ (صـ٢٤٣). وقد ورد اللفـظ في كتاب «كاما سوترا» المكتوب في القرن الثالث الميلادي. وهو من/ كَنتشُل/ بمعنى البشرة.

واستعمله الشاعر اليمني في قصيدته التي يمتدح بها جمال نساء الريف:

البـارزات النـهود مـن دونمـا كَنشَـل   النـاهبات المسامـع حـين يـتغـنّـين[1].

٥٠. كولي:

حمّال. وهي في الهندية كذلك، وهي مذكر رغم النهاية المؤنثة. ولها وجود في لغات متعددة كالأردية والكجراتية. وفي الفارسية (ص٥٥٠) كوله: حِمل.

٥١. ميز: /miiz/ :

المنضـدة، المائـدة. وغالبًا مـا يقصد بها المستخـدَم لوضع الطعـام عليها. أما في الهنديـة فلأي استخدام كان. وهي مؤنثة رغـم افتقارها لعلامة التأنيث. وهي موجودة في الفارسية أيضًا (ص٦٢٣).

٥٢. نامونة:

معناهـا العيّنة مـن الشيء. وهي مـن الأردية/نَمائنـده/ مذكـرة. وفي الفارسية: نَمونه= عينة، طريقة، نموذج. (الذهبي ص ٥٧٤، ط العَلم).

وللكلمـة استخـدام نادر بمعنى الطَـرد المرسل في البريد؛ فيقـال: «إن فلانًا أرسل رسالة ونامونة».

٥٣. هات:

في الهنديـة معناهـا اليد. وهي كذلك في السنسكريتية (صـ٤٣٣). أمّا في اليمنية فاللفـظ متعلق تحديـدًا بقيادة المركبـات والدراجـات، بمعنى المسار والاتّجـاه، فيقال للطريـق (هـاتين) يمين ويسار/شمال، أو هات واحـد. ويقال للسائق: التزم (هـاتك)= مسارك واتجاهك. ولا شك أن للإنسان يدين= هـاتين يتحدد بهما اتجاهه.

---

(١) علي عبد الرحمن جحاف: رياحين آذار ١١٩.

٥٤. هُندول/ هَندول:

مهد الطفل في شكل أرجوحة. وهي في السنسكريتية (ص٤٩٩). وقد وردت في كتاب البيروني (ت ٤٤٠هـ): هَندول: أرجوحة الصبي[١].

٥٥. هوري:

زورق. ويشبه به بعض أطباق الأكل التي على هيئته. وهو من المقترض القديم. جاء في رحلة ابن بطوطة، وهو يذكر سفره في نهر السند: «كان الفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف بالأَهَورَة، وهي نوع من الطريدة عندنا إلّا أنها أوسع منها وأقصر، وعلى نصفها معرّش من خشب يصعد له على درَج، وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الأمير»[٢]. ويقول عبد الرحيم عنه: «لفظ هندي أصله هوري بالراء الهندية، ويقال له أيضًا (هولا) باللام»[٣].

٥٦. ولايَه:

أصيل، جديد. يقال في المحكية: بضاعة ولاية بمعنى أصلية من مصدرها. ويقال: سيارة على الولاية، أي: لم تُستعمَل. أما في الهندية فإن/vilaayat/ تعني: الأجنبي الذي لا يُعرَف، كأن يكون بلدًا أو ثوبًا أو شجرة أو شخصًا.

٥٧. يَسَرَة:

الحزام الرفيع يُشَدّ به الثوب أو البنطلون. وهو في الهندية والأردية/أزار بند/ ويتضح أنها عربية مُهَنَّدة؛ فالعربية إزار، والهندية بَند. ويستخدم في الأردية بمعنى التكّة.

٦- التغير الأصواتي في الألفاظ المقترضة:

من نافلة القول أن اللغة المقترِضة تحاول إخضاع الألفاظ المقتَرَضة لأنظمتها الصوتية والصرفية ما أمكن. والمعلوم أن في الألفاظ الهندية أصواتًا ليست في المحكية اليمنية، ولذلك فهي تستبدل بها أصواتًا من نفس المخرج أو من مخرج قريب، أو تستبدل بها أصواتًا لها الأثر السمعي المشابه لها، أو تزيل صفة من صفاتها.

---

(١) محمد أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٦٨٤.تح إدوارد سخاو، حيدر اباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٨.

(٢) رحلة ابن بطوطة ٤٠٠.

(٣) ف. عبد الرحيم: سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل ٨٠ – ٨١.

فالبـاء المهموسة تغيرها إلى مجهورة، والأصوات التي تلحقها هاء نفسية: ته/ ده/ كه/تزيل منها صفة النفَسية، والراء المنعكسة الارتدادية تتحول إلى مكررة، والصامت المركب/تش/تحولـه شينًـا خالصة، والفتحة القصـيرة والطويلة التـي في آخر الكلمة تحولها هاءً. هذه صور الإبدال القياسي التي لا تتخلف.

وهنـاك إبدال غير قياسـي كأن تتحول التاء طاءً كما في /طَنـج/، أو تتحول الزاي جيمًـا ساميـة أو فصيحة مركبة كمـا في /بهوزيا/ التي تصير/باجيـه/، والسبب ظن المستمـع اليمني أنها جيـم فصيحة. ومن ذلك تحوّل الكاف إلى قـاف، كما في: /دَقَّه/ بدلا من /تَكّا/، وتحول الكاف زايًا، من /كام/ إلى /زام/، وتحول السين شينًـا، كما في: /شَتُـوَّه/، وتحـول الراء الارتدادية لامًا، كما في: /شولي/، وتحـول الفاء المهموسة/v/ واوًا، كما في: /ولايه/.

ولا يقتصـر الأمر على الأصوات المفردة، بـل إن المحكية اليمنية، وهي تكره المقطع الرابـع[1] في وسـط الكلمـة وبدايتها = (صامـت + حركة طويلة + صامـت) تحوله إلى مقطعـين اثنين: صامت + حركة طويلـة + صامت حركة قصيرة، مثل: (بال + دي)، في الهندية مكونة من المقطعين ٤ + ١ وتحولت إلى: (با + لِ + دِ).

كمـا أن توالي صامتـين دون فاصل في بداية الكلمة مسموح في الهندية وليس كذلك في اليمنيـة؛ لذلك فإن اليمنية تقحم بينهما حركـة طويلة أو قصيرة كما هو واضح من قائمة الألفاظ المدروسة.

٧ـ التعامل الصرفي مع الألفاظ الهنديّة:

حاولـت المحكيـة اليمنية إخضـاع الألفـاظ الهندية للصيـغ العربية، فقـد أزالت الأصـوات النفَسية منها، وتركت المقطع المغرق في طوله وحوّلته في أول الكلمة أو وسطها إلى مقطعـين، كما حولت الفتحة القصيرة أو الطويلة في نهاية اللفظ إلى هاء. كل ذلك قرّب أغلب الألفاظ إلى صيغ المحكية اليمنية. وسننظر في ذلك من الجوانب التالية:

أ ـ الجمع:

كل الألفاظ الهندية المقترحة في صيغة المفرد، وقليل منها اسم جنس لا يعد «وكثير مـن الكلمات الهندية لها الصيغة نفسهـا في الجمع. وكل الأسماء المذكرة (ما عدا التي

---

(١) في أنواع المقاطع انظر: محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص٨١.

تنتهي بفتحة) لا تتغير في الجمع. وفي هذه الحالة يستدل على الجمع بالسياق أو بصيغة الفعل، أو باستعمال ألفاظ عدد»[١].

المهم أن المحكية لم تجمع بعض الألفاظ رغم أنها قد تُعَدّ، وأن لبعضها مرادفات عربية لها جموع مثل: بطّة، تالُه، سامان، راشَن، رنج، ولايه، سيري، روتي، وشتوّة. وعاملت بقية المقترض على أن صيغه كصيغ المحكية سواء بسواء فجمعت أكثره جمع تكسير كما يلي:

أ. فَعلَة وفُعلَة[٢]: جمعته على فعَل و فُعَل؛ مثل: بَيسَة وبِيَس، شولة وفوطة وخردة جمعت على شُوَل وفُوَط وخُرَد.
ب. فَعلَل وفُعلُل: جمعته على فعالِل؛ مثل: شَنبَل وشَنابِل، كُنبُل وكَنابِل.
ج. فَعَل و فِعل: جمعته على أفعال، مثل: كَمَر وأكمار، ميز وأمياز.
د. فُعلَة: جمعته على فُعول، مثل دُقَّة ودُقَق.
هـ. فَعَّل: جمعته على فُعول، مثل طَنّج وطُنوج.

و. ما انتهى بياء مد أو كسرة: ويبدو أن ليس له قياس، لكن جمع شِولي على شَوالي، كولي ودوبي على كوالية ودَوابية (مثل: مغاربة ومهالبة)، وكَنشَلي على كناشل، وبالدي على بوالد.

وبعضه جُمع بالألف والتاء وبالتكسير؛ مثل: بَخّار على بَخاخير وبَخّارات، وكمر على كَمَرات وأكمار.

على أن أغلب ما انتهى بهاء جُمع جمع المؤنث السالم، بالألف والتاء؛ مثل: طاوه/ طاوات، و كاتورة/ كاتورات، وكمبة/ كمبات، شَكلَة/ شَكلات، و نامونة/ نامونات، يَسَرَة/ يَسَرات. وبعضه ظنته المحكية مفردًا (تَماشا) فاخترعت له جمعًا: طماش؛ بضم الطاء وبفتحها.

ب ـ التأنيث والتذكير:

تفرق الهندية في النوع بين مؤنث ومذكر، وليس فيها محايد، وكذلك الحال في العربية (والمحكية اليمنية من بينها). كما أن هناك طائفة من الأسماء الجامدة فيها مقسمة إلى مذكر ومؤنث. على أنهما تختلفان في إطار الألفاظ المدروسة في الآتي:

---

(1) Shiromani: Polarization, p4.

(٢) هذه الأوزان من باب التسامح، وإلّا فما أدرانا بالأصلي والزائد من الحروف في لغة أجنبية.

أولاً: عاملت اليمنية الألفاظ المنتهية بفتحة قصيرة أو طويلة /a/ و/aa/ على أنها مؤنثة في حين أنها مذكرة في الهندية؛ مثل: شولة، ناموته، دُقَه، يَسَره... إلخ. يقال: هذي الشولة، من هاذي الناموتة. والسبب أن الفتحة تتحول إلى هاء، والهاء لاحقة في الاسم العربي دالة على التأنيث في الأسماء والصفات، مثل كلبة وكبيرة.

ثانيًا: عاملت اليمنية الألفاظ المنتهية بكسرة قصيرة أو طويلة /ii/ و/i/ على أنها مذكرة، في حين أن هذه اللاحقة علامة التأنيث الهندية في الغالب، مثل: روتي وشولي وبالدي وشتني. والسبب أن هذه اللاحقة التي يسمونها الياء تأتي في اللهجات اليمنية لتأكيد التذكير، أو للدلالة على الواحد من الجنس، فيقال: حَمامي لتمييز الحمامة الذكر عن الأنثى التي هي حمامة، ونوبي لتمييز النوبة (= النحلة) الذكر عن الأنثى[1]. ويقال ذماري وتعزّي مقابل ذمارية وتعزيّة للمنسوب إلى هاتين المدينتين. وشذّ عن ذلك كولي ودوبي إذ هما في الهندية مذكرتان رغم لاحقة التأنيث، وهناك كلمة/ميز/ المؤنثة التي ليس لها علامة تأنيث.

ج- التعامل المعجمي:

أولاً: لو تأملنا في طبيعة الألفاظ الهندية المقترضة لرأينا أنها ليست ألفاظًا علمية ولا أدبية، بل هي ألفاظ حسية متعلقة بالحياة اليومية، ففيها أدوات الطبخ والمأكل، والملابس، والزينة، والأثاث، والبناء، وألفاظ متداولة في الأسواق. وهنا يثور سؤال: ألم يكن لهذه الأشياء أسماء عند اليمنيين؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فلماذا عدلوا عنها إلى الألفاظ الهندية؟ والردّ: أن كثيرًا من هذه الأشياء معروفة عند اليمنيين، لكنها عندما جاءت في أشكال جديدة أو استخدمت لأغراض جديدة، احتفظت بأسمائها المقترضة. وهذا أمر شائع في المقترضات من كل اللغات. فمثلا كان اليمنيون يسخنون الماء للقهوة في إناء فخّاري اسمه (جَمَنَة) يشبه قلة الماء؛ ولما جاءهم الإبريق المعدني المصنوع من الحديد الزهر أو الألمنيوم جاء ومعه اسمه الإنجليزي بنطقه الهندي/كتلي/. وقل مثل ذلك في /ميز/؛ فاليمنيون ألفوا الأكل على الأرض؛ فلما جاءتهم المائدة المرتفعة كثيرًا عن الأرض سموها بالتسمية الهندية.

(١) انظر كتابنا: قد اليمنية.. أبحاث في الأبنية والنحو والاقتراض المعجمي، صنعاء: مركز عبادي ٢٠١٢، ص١٤ – ٢٩. (السوسوة) لقد استفدت كثيراً من هذه الدراسة يا دكتور عباس، آمل أن نرى دراسات أطول وأعمق في المجال نفسه وشكراً. (ابن جريس).

وإليكم مرادفات مستخدمة فعلاً لبعض الألفاظ المقترضة :

بَخّار: مستودَع، مخزن كبير.

بَرتَن: سُفُرطاس، مَعليق/ مِعليق.

بالدي: سَطل، دَلو، جَردَل.

بَيلَم: مَدلَك، عُصية.

تاله: عَردَة.

دوبي: مُصَبِّن، غَسّال.

سيري: سُلاّم/ سِلَّم.

ز ا م : دَور، دَول.

دُقّة: لَبّة، مَغَبّة، قطيبة... وغيرها.

راشن: مَقاضي، مصروف، تعيون.

جوجرة: فوطة.

سامان: عدّة، أوعية، مانِيَة.

روتي: صامولي.

شولي: بلزقي/ بلَيزق، شميلية، بناجِر، وغيرها.

شولة: بَرَموص، دافور.

شتوة: خميرة عدنية.

شتني: سَحاوِق/زَحاوق.

طماش: قِرّيح/ قُرّيح.

شنجل: حِلقة، إبزيم.

طاوَة: صاج.

فوطة: سَبَلَة، وِزرَة.

ميز: مائدة، مَرفَعَة، ماسة.

كولي: حمّال.

كاتورة: صحن صيني.

كـنـشـلـي:	سِنتيان، عنتري.
كـــمــــر:	حزام بجيوب، كِمِرّان.
ولايـــــة:	أصلي.
يــســـرة:	حزام ومقطب، محزمة.
كُــنــبُــل:	بطّانية.
طــــنـــج:	مَرِّيّة.

ويلاحـظ أن بعضـ المرادفات عربي الأصل في حين أن بعضهـا مقترض من أصول أجنبيـة أخـرى. كذلك فإن بعض الأشياء لم يكن لها شبيـه من قبل، لذلك ظلت هندية كمـا هـي مثل لعب الورق المسمى/ بطّة/؛ فرغم سماع الناس – فيما بعد – لألفاظ مثل: شَدّة وكوتشينة، فإن البطة باقية ومستمرة.

ثانيًا: كان لبعض الألفاظ الهندية معنى عام أو قل معان متعددة، فلمّا اقترضتها المحكية اليمنية خصصت معناها، كما في: بطّة، برتن، خردة، روتي، سيري، كاتورة.

ثالثًا: انتقل/ تغير معنى بعض الألفاظ نتيجة سـوء فهم المتلقي للمعنى. من ذلك: تالو/ تاله، التي تعني – من ضمن ماتعني – وسط الرأس؛ فعندما أراد اليمني أن يحلق رأسـه حلاقة مختلفة وسمـع الكلمة، ربط بين ما فهمه وبين اللفـظ الهندي. وكما ربط بـين مجموعـة التوابل المطبوخة التـي لا يأكلها الهنود من جهـة، وبين مجموعة الخضر المسحوقـة التي تؤكل مـن جهة أخرى في لفظ/شتني/، كمـا أن /ولاية/ بمعنى الغريب عنـد الهنـود عندما استخدم في وصـف بضاعة غريبة، ظنها المتلقـي اليمني أصلية ما دامت غير محلية، فصار المعنى (الأصلي) [1].

(١) مـن يسير في مناكب بـلاد اليمن وتهامة والسراة فإنه يسمع ويشاهـد الكثير من المفردات والاصطلاحات اللغويـة الوافدة من خارج البـلاد، وتولد عنها لهجات وكلمات خليط من عدة لغات. وأقسام التاريخ واللغة العربيـة في جامعاتنـا المحلية عليها مسؤولية كبـيرة تجاه هذا العلم والتراث، والواجـب دراسته في أعمال علمية جادة ورصينة. (ابن جريس) .

٨ـ مصادر البحث ومراجعه :

١- ابن بطّوطة، محمد بن عبد الله اللواتي: رحلة ابن بطوطة، بيروت: دار صادر ١٩٨٢.

٢- الجَنَـدي، بهاء الدين محمد بن يوسف: السلوك في طبقات العلماء والملوك، صنعاء: وزارة الإعلام (١٩٨٣).

٣- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العلم أو مرذولة، تحقيق إدوارد سخاو. حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية (١٩٥٨م).

٤- رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي وجمال الخيّاط، بغداد: دار الشئون الثقافية العامة (١٩٨٠ ــ ١٩٩٩م).

٥- الصَفَدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: تحفة الألباب في من حَكَمَ بدمشق من العلماء والملوك والنواب. تحقيق إحسان بنت خلوصي وزهير حمدان الصمصام. دمشق: وزارة الثقافة (١٩٩٩م).

٦- علي عبد الرحمن جَحّاف: رياحين آذار، عمّان: مؤسسة الإمام زيد الثقافية (٢٠٠٢م).

٧- -------------: فُل نَيسان، صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية (٢٠٠٠م).

٨- ف. عبد الرحيم: سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل. المدينة المنورة: دار المآثر النبوية (١٩٩٨م).

٩- محمد ألتونجي: المعجم الذهبي، فارسي ــ عربي، ط٣ دمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٩٩٣، وطبعة بيروت: دار العلم للملايين (١٩٦٩م).

١٠- محمد عبد الرحيم جازم (محقق): نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفّري الوارف. صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية (٢٠٠٣م).

١١- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ط٨، القاهرة: دار قَباء (١٩٩٨م).

١٢- المكي الموسوي (العباس بن علي بن نور الدين): نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، ط٢ بتقديم السيد محمد مهدي الخرسان، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية (١٩٦٧م).

13- **ABDULHAQ**
The20th Century Practical Standard Urdu into English. Compiled by Bashir Ahmed Qureshi (Farid Book Depot, Delhi,1994)

14- **MCGEGOR, R. S:**
The Oxford Hindi English Dictionary (Oxford Univ Press, 2000)

15- **Shiromani, RJ:**
Noun Pluralization in Hindi, (Central Institute of English and Foreign Languages, Hyderabad, 1988).

16- **Shiromani, RJ:**
Retroflexion in Hindi, Hyderabad, 1990.

17- **Sangaji,S**
A Handy Urdu English Dictionary. Madrass, 1988.

18- **Onions, C. T:**
The Oxford Dictionary of English Etymology. (Oxford Univ Press, 1985)

19- **19- Williams, M. M:**
A Sanskrit English Dictionary, Etymologically and Philologically Arranged (Motilal Banarsidass Publishers, Delhi, 1977)



رابعاً : القرى التراثية والأثرية في محافظة المجاردة وأهميتها في تشكيل هوية البلاد (قريتا صيوي وفلعة أنموذجًا) (دراسة تاريخية حضارية) بقلم. د. حسن بن فيصل محمد الشهري.[١].

م	الموضوع	الصفحة
١-	تمهيد.	٧٣
٢-	قرية صيوى	٧٥
٣-	قرية فلعة	٨٥
٤-	خلاصة مقارنة بين القريتين(صيوى، وفلعة).	٩١
٥-	بعض النتائج والتوصيات.	٩٤
٦-	بعض المصادر والمراجع.	٩٥

١- تمهيد :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين أما بعد ، تتميز القرى الأثرية والتراثية في كل منطقة من مناطق مملكتنا الحبيبة بتاريخ عريق وحضارة زاخرة تعكس مدى تعايش الإنسان مع بيئته منذ القدم، وتقدم تصورًا واضحًا عن حياته والأحداث التي عاصرها، وأسهمت في توجيه بوصلته نحو خوض تجاربه والدفاع عنها بما يضمن استمرارية تأمين حياته وحياة أسرته ومجتمعه القبلي (القرى قديماً) ، وخدمة توجهاته السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية قبل قيام الدولة السعودية الحديثة[٢]. وتناقش هذه الدراسة الموجزة بعض القرى الأثرية في محافظة المجاردة كشواهد حية على التراث التاريخي للمنطقة وتركز على قريتي (صيوي وفلعة) كنموذجين يعكسان تطور الحضارة المحلية في المحافظة[٣].

---

(١) الدكتور حسن بن فيصل الشهري من طلابي النابهين الجادين والمجتهدين ، ويعمل حالياً في قطاع التعليم العام، له بعض البحوث والدراسات المطبوعة والمنشورة. للمزيد عن سيرته انظر، غيثان بن جريس. موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١١، ص٧٨.ج٣٠، ص ٥٣٥. (ابن جريس).

(٢) إن الحديث عن القرى الأثرية والتراثية في عموم تهامة والسراة موضوع واسع يكتب فيه عشرات الكتب والرسائل العلمية الجامعة، آمل أن نرى باحثين جادين يخدمون هذا الميدان خلال العصور الإسلامية المختلفة . (ابن جريس) .

(٣) تجولت في أرجاء محافظة المجاردة، وفي بلاد تهامة من مكة المكرمة إلى جازان، فوجدت فيها مئات القرى الأثرية والتراثية، ولا أجد أي دراسات علمية جادة تدرس هذا الجانب التاريخي والحضاري المهم . (ابن جريس).

تقـع محافظة المجاردة في الجزء الجنوبي الغربي مـن المملكة العربية السعودية، وهي إحـدى محافظـات منطقة عسير مـن جهة الشمال. تحدّهـا إداريًا عـدة محافظات، فمن الشمـال محافظـة العرضيات التابعة لإمـارة منطقة مكة المكرمة. ومـن الجنوب محافظة محايـل عسـير، ومن الشرق محافظـة النماص، ومـن الغرب محافظة بـارق، وجميع هذه المحافظات، تتبع إداريا لمنطقة عسير. والمجاردة موقع استراتيجي يربط بين منطقتي عسير ومكة المكرمة، مما جعلها طريقًا مهمًا للحركة التجارية وقوافل الحج عبر أطوار التاريخ[١].

تتنوع تضاريس المجاردة ، ففيها جبال شاهقة وتعد جزءاً من سفوح جبال السروات الغربيـة، والعديد من السهول والأوديـة الخصبة، مثل وادي الحازمـي، ووادي النعام، ووادي خاط، ووادي عبس، ووادي جرية، ووادي الضمو، ووادي ييه، وغيرها. وتوفر هذه التضاريـس بيئـة طبيعية جذابة تدعـم الزراعة المعتمدة على ميـاه الأودية، إلى جانب تربيـة المواشي بمختلف أنواعها، ويوجد في هذه الناحيـة العديد من الحيوانات البرية، ولهـا مناخ معتـدل شتاءً وحار صيفـاً، وهي من الواجهات السياحيـة الجيدة في فصلي الشتاء والربيع.[٢]

المجاردة بفتح الميم والجيم، وكسر الراء بعد الألف، مع تسكين التاء المربوطة، يُقال إنها نُسبت إلى رجل يدعى لجرد من قبائل بني التيم، ويقال إن تسميتها تعود إلى كثرة هطول الأمطار وجريان السيول من المرتفعات المحيطة بها، مما يؤدي إلى جرف (جرد) كل ما يعترض طريقها باتجاه البحر[٣].

كانت المجاردة مقرًا لأول إمارة سعودية في تهامة بني شهر عام (١٣٦٠ه/ ١٩٤٠م)، وتحديـداً في قرية الخطوة التراثية وفي بلاد المجاردة مواقع أثرية وتاريخية قديمة وتعد موطنـًا للعديـد من القبائل العربيـة العريقة التي لعبـت دورًا بـارزًا في تاريخ الجزيرة العربيـة. أما في العصر الحديث، فأصبحت وجهة سياحية بارزة، وتشتهر بمهرجاناتها السنوية، مثـل مهرجان العسل ومهرجان المجاردة الشتـوي، اللذين يجذبان الزوار من

(١) حسـن فيصل الشهري: رسالـة ماجستير، الأسواق في بـلاد المجاردة بتهامة بني شهـر من عام (١٣٧٠هـ إلى عـام (١٤٣٧هـ/١٩٥٠ـ ٢٠١٦م)، دراسـة تاريخية، جامعة الملك خالد، ١٤٣٧هـ، ص٨. كما نشر هذا البحـث في (موسوعـة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، للدكتور غيثـان بن جريس، الجزء الحادي عشر. (الشهري). وتهامة عموماً من مكة المكرمة وجدة إلى بلاد جازان لها تاريخ حضاري قديم وإسلامي مبكر ووسيط، لكنه مازال غير مدروس ولا موثق (ابن جريس) .

(٢) حبذا أن نرى مؤرخين وجغرافيين جادين يدرسون محافظة المجاردة وما حولها تاريخياً وجغرافياً.

(٣) الشهري، بلقاسم ربيع: المعالم التاريخية والسياحية في بلاد المجاردة، ط١، ١٤٣٤ه، ص ١٩.

مختلف مناطق المملكة.وقد أسهمت التنمية الحديثة في تطور حاضرة المجاردة مع احتفاظها بطابعها التاريخي والتراثي(١) .

تعتبر القرى الأثرية والتراثية في تهامة، أو في جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) من المصادر الحضارية التي تعكس جزءاً من حياة الأوائل، . والذاهب في أرجاء البلاد يشاهد قرى اندثرت ، وأخرى مازال بعضها قائماً، في حين أن هناك مستوطنات وقرى اختفت تماماً. والواجب على مؤسساتنا التعليمية العالية بأقسامها الأكاديمية، ومراكز بحوثهم العلمية أن تبذل قصارى جهودها في الاعتناء بهذا الموروث الحضاري المادي فتدعم وتشجع إنجاز أعمال علمية رصينة عنه . كما أن الجهات والوزارات والهيئات المعنية بحفظ التراث عليها مسؤوليات تجاه الموضوع نفسه، فتدعم وتسعى إلى ترميم ما تستطيع من هذا التاريخ العمراني المهم، وآمل أن يجد هذا النداء من يستمع إليه ويسارع في الحفاظ على ما تبقى من قرى أثرية وتراثية في أي ناحية من بلادنا الغالية (المملكة العربية السعودية) (٢) .

٢ـ قرية صيوي:

تضم محافظة المجاردة العديد من القرى التراثية والأثرية التي تعكس نمط الحياة القديم للسكان، وتبرز أصالة العمارة التقليدية. وتتميز القرى بمبانيها المشيّدة من الحجر والطين، بأسلوب يعكس الطابع الجبلي والبيئة الطبيعية المحيطة بها(٣) . ومن أبرز القرى القديمة في المجاردة قرية صيوي، وهي قرية أثرية تابعة لمركز ختبة (فئة ب) الواقع في الجزء الشمالي من المحافظة ، وتبعد عن وسط المدينة حوالي عشرين كيلومترًا. ترتبط

(١) انظر: ابن جريس، غيثان بن علي: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ط٣، أبها:١٤٣٤هـ،ص ٣٧٢. (الشهري) . يا دكتور حسن إن تاريخ التنمية الحديثة في عموم بلاد تهامة من الموضوعات الجديدة والمهمة في مجال الدراسات والبحوث العلمية، آمل من أبناء هذه البلاد (ذكوراً وإناثاً) وبخاصة المؤرخات والمؤرخين أن يخدموا هذا الميدان من خلال بحوثهم التاريخية والأثرية والحضارية. (ابن جريس) .

(٢) القرى الأثرية والتراثية جزء من تاريخنا الحضاري والسياسي. والحمد لله نجد في بلادنا (تهامة والسراة) بضع جامعات حكومية فيها آلاف الأساتذة والكليات والأقسام العلمية. كما أن دولتنا (المملكة العربية السعودية) وفقها الله لم تدخر جهداً في تطوير الأرض والناس في كل مكان . ولم يصبح عندنا عذر، فلا نعمل ونتقاعس عن حفظ موروثنا وتراثنا وتاريخنا المادي والمعنوي، والقرى التراثية والأثرية من أهم المجالات التي يجب خدمتها بكل الوسائل ، وإن فعلنا ذلك فنحن داعمون مساهمون في عجلة التنمية الحديثة، وحفظ صفحات من حضارتنا وتاريخنا المحلي. (ابن جريس).

(٣) مشاهدات الباحث خلال الزيارات الميدانية لعدد من القرى المنتشرة في محافظة المجاردة مثل: صيوى، وقرية وادي الغيل، وقرية سنامة في منتصف عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م) .

القريــة بطريــق معبّد مــن تنفيذ وزارة النقــل، ويستمر امتــداده حتى محافظــة النماص السروية عبر عقبة تلاع، التي تمر بمركز حيد عبس من جهة الشمال[١].

ذكــر عددٌ من أهالي قرية صيوي وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد بن معيض الشهري، أن قريــة صيــوي تقع بين عدة جبــال شاهقة، مثل: جبــل سميعة، وجبــل شيبان، وجبل القوس التي يصــل ارتفاع بعضها إلى (١٨٠٠) متر أو أكثر عــن مستوى سطح البحر. وتحيط بهذه الجبال القرية من عدة جهات رئيسية وفرعية، كالجهة الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية، والشمالية الغربية. وتسكنها قبيلة آل حسن بقيادة شيخها الحالي الشيخ سالم بن عبداللطيف بن سالم بن عبده الشهري.

أما سبب تسمية القرية ب (صيوي)، فلم يذكر الأهالي سببًا قاطعًا يمكن الجزم به، غير أنهم أوردوا بعض الفرضيات التي قد تكون مجتمعةً سببًا لهذه التسمية. واجتهدت في معرفــة صيــوي في معاجم اللغة، فلم أجد تعريفاً دقيقاً لهــذا المصطلح ، وربما يكون مأخــوذ من كلمــة (صوة) التي تعني ما نصب من الحجــارة ليستدل بها على الطريق. واستند الباحث إلى هذا الرأي بناءً على ما لاحظه في القرية من معالم وبنايات حجرية ذات طريق مرصوفة بالحجارة، تربط بين مناطق تهامة والسراة، وتمتد من قرية عنقة صيوي في ختبة إلى قرية قبيلة خشرم في شمال غرب محافظة النماص تقريبًا.

ومــن حيث التشكيــل الجغرافي واللهجات المحليــة، يرى الأستــاذ أحمد بن معيض الشهــري أن التسمية قد تكــون نسبةً إلى الوادي المجاور للقريــة، (وادي صيوي)، لكنه لم يتمكــن من تحديد ما إذا كانت التسمية انتقلــت من الوادي إلى القرية أو العكس[٢]. وأشــار الأستاذ أحمــد إلى روايات شفهية حــول سبب التسمية، وربمــا تكون اجتهادات متوارثــة عبر الأجيال، ومنهــا: أن القرية تقع بين الجبال التي تحيــط بها فعندما يرفع المنــادي صوته يرتد صداه كصويّ الطيور. وقال: كون القرية تشتمل على أودية وأشجار تبني عليهــا الطيور أعشاشها فيسمع صويّ صغارها. وروايــة ثالثة بسبب تقارب بيوتها

---

(١) أشــرت يــا دكتور حسن إلى مركــز ختبة وإلى عقبة تلاع التــي تربط سروات مركــز وادي زيد مع الأجزاء الشماليــة من محافظة المجاردة، مثل مركزي حيد عبس، وختبة. وهذه الناحية وكذلك عقبة تلاع لا نملك عنهــا معلومات تاريخيــة وحضارية موثقة، وهــي بلاد تستحــق أن يُدرس تاريخها وآثارهــا وتراثها خلال القرون الإسلامية المختلفة، أرجو أن تكون ضمن اهتماماتك العلمية البحثية مستقبلاً . (ابن جريس).

(٢) وجــد الباحــث قولاً للمؤرخ الكبير حمد الجاسر قد يكون فيه نوع مــن التأكيد على أن القرية والقبيلة كانت تسميتهــا علــى اسم الــوادي، حيث قــال:» آل حسن ويدعون صيوي باســم واديهم» انظــر، المكتبة الشاملة الجاســر، حمــد: معجم قبائــل المملكة العربيــة السعودية، (باب الألــف) ص٨٠، وكذلــك وافقه محمد بن سليمان الطيب في كتابه: موسوعة القبائل العربية، انظر المكتبة الشاملة ج١٠، ص ٣٠٦.

وكـثرة سفولهـا[١] من غرف لهـا أبواب يصدر مـع حركتها صوت يشبـه صوي الطير، وأضاف بأن قرية صيوي عرفت باسم المنزل وتمتد أرض القرية من غرب قبيلة خشرم بنـي شهـر في السراة إلى شمال مركز ختبة في تهامـة، وتنقسم إلى عدة مسميات، بدءً مـن أعالي منزل عنقة صيوي وبهـا شعب القفي، وذنوب المـروة، وشعبة صالح، وحدبة صـواب، والرحبات، و طوف المعاين، وانتهاءً بقرية صيـوي التراثية، (المنزل)، ويتبعها قـرى أخرى كلها تتبع لقبيلـة آل حسن مثل قرية الغراء، وقرية الفرعة، وقرية المصانع، وقريـة العنقة، وقرية وادي قنّن، وقرية حداب الأعمـى، وقرية حطمن، وقرية المشرف، وعلـل تسميتها بالمنزل لشيـوع تلك التسمية للقرية التي يسكنهـا الشيخ وجامع القبيلة، وهـو مصطلحٌ منتشر ومتداول بين النـاس. وقد يكـون اسم القرية والمنزل وجهان لعملة واحـدة، ومازال يقال حتـى الآن منزل صيوي أو قرية صيوي[٢]. وحول ما يدور في معنى صيوي في الرواية الأولى يقول أحد الشعراء وهو الشاعر سلمان بن سعيدة[٣] في قصيدة له على لون المسيرّة وهو فن من فنون العرضة الجنوبية:

يا سلامي على صيوي والاجبال ذي متشرفه

من سميعه إلى شيبان للقوس تسليم مشرف

و البلاد التي قد عزها خالقي باشرابها

يا سلامي لصلب آل حسن ربعنا والدم مع الدم

يا حمى ديرة لو غيرهم من العرب ما نشرها

سيفهم لا هوى في الجن حده يصرفد روسها[٤]

ويقول الشاعر الأستاذ أحمد معيض ال صيوي في أبيات له بالفصحى متغنياً بحبه لقريته:

(صيوي) وتنعقد الشوارد في فمي   فأصوغها بدمي وصدق شعوري

يا قرية ضحك الزمان لحسنها   فتناثرت في ضحكتي وسروري

(١) سفولها: يقصد بها الغرف السفلية من البيوت، والتي عادة ما تكون إما مكان للطبخ في البيوت القديمة، أو حظائر للماشية (الباحث).

(٢) يا دكتور حسن ذكرت أسماء قرى عديدة، وأتمنى أنك أوردت لنا تعريفات مختصرة لهذه المواضع. (ابن جريس) .

(٣) الشاعر سلمان بن سعيدة أحد شعراء قبيلة آل حسن بصيوي عاش في منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

(٤) أحمد بن عايض الحسيني الشهري: شعراء من بلاد بني شهر، ط١،ص. ١١٢هـ. (الشهري). يا دكتور حسن تعلم أن الشعر الشعبي وكذلك الأمثال والأهازيج وغيرها من المصادر المهمة لدراسة تاريخ وحياة الناس، أرجو أن تنجز دراسة عن تهامة بني شهر وبني عمرو، وتكون مصادرك الرئيسية الشعر والفنون الشعبية.(ابن جريس) .

أما بالنسبة لنشأة القرية، فلا يمكن الجزم بتاريخ محدد لنشأتها، لكن وفقًا للتقديرات التي وردت من بعض أهاليها، يُرجّح أن عمرها يتراوح بين (٣٠٠ إلى ٤٠٠) سنة.

اتضـح لي بعد مشاهدتي للآثار والوقوف على معـالم القرية، أن عمرانها الحجري المتماسـك يمتد عبر بيوتهـا ومزارعها التي تغطي مساحات واسعـة من الوادي والجبال المحيطة به من الشمال والجنوب كما يلاحظ امتلاء بعض مواقعها بالطين المردوم، الذي يصل ارتفاعه في بعض الأماكن إلى عشرة أمتار. وبناءً على هذه المعطيات، أرجّح أن عمر القريـة الزمني لا يقل عن ألف سنة، وربما أكـثر؛ خاصةً وأن بعض الأهالي ذكروا وجود بقايا صناعات حجرية في أحد أوديتها، حيث تم صهر الحجارة بالنار حتى أصبحت ذات مظهـر يشبه الحديد. وقد يكون هذا الموقع دليلًا ملموسًـا على أن استيطان القرية ربما يعود إلى العصر الحديدي، الذي تلا العصر البرونزي، أو فترة قريبة منه[١] .

وممـا يميز هذه القرية حاليًا سهولة الوصول إليها، نظرًا لقربها من الطريق العام الـذي يربط بين مركزي ختبـة وعبس التابعين لمحافظة المجاردة كمـا قامت البلدية ـــ مشكورة ـــ بإنارة القرية عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م) تقريبًا، مما جعلها وجهةً جذابة لمن يعشـق استكشاف أطـلال التراث وآثار الآبـاء والأجداد، سواء من الأجيـال الحالية أو القادمة.

من أبرز المعالم المعمارية في القرية مسجدها القديم، أو جامع القرية، والذي يُقال إن عمـره التقريبي يزيد على (٤٠٠) عـام. شُيّد المسجد من الحجر، وسُقف باستخدام غصـون الأشجـار المغطـاة بالطين، وظل على حالـه حتى خضـع لأول عملية ترميم بين عامي (١٣٩٥هـــ ـ١٣٩٦هـ/١٩٧٥ــ١٩٧٦م)، ومازال ذلـك العمران على طبيعته حتى الآن (١٤٤٧هــ/٢٠٢٥م) ومن أبـرز ملامح الفن العمـراني في تصميم المسجد، وجود مجرى مائي تحت أرضيّته، ما يضمن عدم انقطاع المياه عن المزارع المجاورة أثناء هطول الأمطـار. وهذا يعكس تكاتف أبناء القرية وحرصهم على تحقيق المنفعة العامة، وتجنب إلحـاق الضرر بالآخرين، حتـى وإن كان البناء مخصصًا لوقف دينـي أو غيره. علاوةً علـى أن المسجد مكانًا لإقامـة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، فقـد كان أيضًا مقرًا للتشـاور في مختلف القضايـا، حيث يجتمع فيه أفراد القبيلة مـن جميع القرى لمناقشة الأخبار، والسعي في إصلاح الخلافات والنزاعات. كما كان يُستخدم لإعلان المناسبات العامة والخاصة، مثل:

---

(١) يا دكتور حسن كل أقوالك قامت على الظنون والتخمين ، وهذا القول لا يصمد أمام النقد العلمي الجاد.(ابن جريس) .

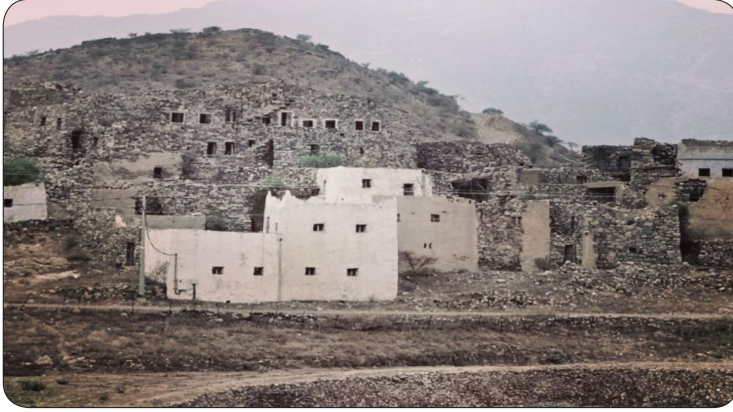
أ ـ الدعوة لحفلات الزواج قبل ظهور بطاقات الدعوة المتعارف عليها اليوم.
ب ـ الدعوة إلى صلاة الاستسقاء في أوقات الجفاف.
ج ـ نقل التوجيهات الإدارية التي تصل إلى شيخ القبيلة من الجهات الحكومية المختلفة.
د ـ قراءة الدعوات الرسمية التي كانت ترد إلى القبيلة من القبائل المجاورة لحضور مناسباتها المختلفة[١].



صورة رقم (١): صورة لمسجد قرية صيوي بعد الترميم

من المعالم البارزة أيضًا بيت الشيخ سالم بن عبده، والذي يقع على الطريق المؤدي إلى المسجد للقادم من غرب القرية، بيت حجري مكوّن من دورين متلاصقين، إضافة إلى طابق فوق أحدهما، وتم طلاؤه باللون الأبيض في أواخر أيامه، كما يظهر في الصورة رقم (٢). وكذلك بيت رجل يُدعى بالخير، منزل كبير مكوّن من ثلاثة طوابق وسط القرية. بالإضافة إلى بيت آخر لصاحبه قليل بن غرم، الذي يقع في أعلى القرية، ويتميز بجمال بنائه والعناية بتصميمه.

(١) أشكرك يا دكتور حسن أن أشرت إلى الجامع أو المسجد كأحد المعالم الرئيسية للقرية، وهذه ظاهرة موجودة في كل القرى القديمة، وهذا ما عرفته وشاهدته وأنا أتجول في أرجاء السروات وتهامة من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). وعمارة المساجد أو المعالم الجغرافية الدينية والدعوية في هذه البلاد غير مخدومة علميا وبحثيا، مع أن هذا الموضوع واسع وكبير ويكتب فيه عشرات الكتب والبحوث العلمية، أرجو من أساتذة وطلاب أقسام التاريخ والآثار في جامعاتنا المحلية أن تهتم بدراسة هذا المجال المهم والجديد في بابه، وهو جدير بالخدمة البحثية الجادة. (ابن جريس).



صورة رقم (٢): صورة منزل الشيخ سالم، وعدداً من البيوت الأخرى بما فيها بيت قليل بن غرم وهو أعلى بيت في الصورة

يُعـد حصن آل لوحـان من أشهر المعالم الحضرية القديمـة في وسط قرية صيوي، بنايـة ذات شـكل هرمي، يصل ارتفاعهـا إلى عشرة أمتار أو أكـثر، ويحتوي على بعض الفتحـات الصغيرة، التي كانت تُستخدم كأبـراج مراقبة خلال فترات الحروب القبلية في قرون ماضية. وهذا الحصن، وللأسف، تعرض لانهيار جزء كبير من بنائه في وقتنا الحاضر، مما يجعله بحاجة ماسة إلى إعادة ترميم، ليظل واجهة حضارية شاهدة على التراث المعماري القديم[١] .



صورة رقم (٣): حصن آل لوحان

(١) مـن المؤسف يا دكتـور حسن أن هناك مئات القصـور والحصون والقرى القديمة في بـلاد تهامة والسراة اندثرت ولا أحد يعمل ويجتهد في إنقاذ هذا التراث الحضاري المهم ..(ابن جريس) .

مـن الآثـار التاريخية طريق الهرارة، وهو درب يربط بـين قرية صيوي وقرى قبيلة خشـرم في السراة، ويبدأ مـن منزل صيوي، ويمر عبر قرية العنقـة، وصولاً إلى العقبة المسماة بالهرارة. وكان هذا الطريق ممرًا رئيسيًا لمن أراد الوصول إلى الحجاز وأسواقها من قبائل تهامة، أو رغب النزول إلى أسواق تهامة بني شهر وبني عمرو وغيرها[1]. وفي الصورة رقم (٤) تظهر طريق الهرارة.



صورة رقم (٤) : طريق الهرارة الرابط بين قرية صيوي في ختبة وقرى خشرم في النماص

في القريـة أيضـا حضن صيوي، منطقة مفتوحة واسعة وسـط القرية وبالقرب من جامعهـا، وكانت هـذه الساحة تحتضن الاحتفـالات والمناسبات المختلفـة، مثل مراسم الختـان قديمًـا، بالإضافـة إلى استقبال ضيـوف القبيلة لتقسيمهم علـى أفرادها وفق المقدرة والاستطاعة. وكان حضن صيوي مقرًا لما يُعرف بـ "المقارعة»، أي إظهار الرجال لإنجازاتهـم الشخصيـة أو خدماتهـم القبليـة التي تعـود بالنفع على الجميـع، وتتخذ المقارعة أشكالا مختلفة، مثل:

١- المساجلات الشعرية التي يتنافس فيها الشعراء.
٢- سرد الروايات القصصية لإحياء التراث.
٣- عرض الإنجازات الشخصية التي يفتخر بها الأفراد.

(١) إن الذاهـب مـن الطائف إلى ظهران الجنوب يرى عشرات الطرق القديمة التي تربط بين أعالي السروات والبلدان التهامية. وكل طريق تستحق أن يصدر عنها دراسات علمية تفصيلية. وأوصيت العديد من طلابي والباحثـين إلى خدمة هذه الدروب في أعمال علمية جـادة، وحتى الآن (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) ، لا أجد أحداً يقدم خدمة بحثية في هذا الموضوع المهم. (ابن جريس) .

النـاسـ يجتمعون حول المتنـافسين، ويستمعون إليهـم، حتى يُشيع ذكرهم بين أفراد المجتمع، فيقال:» فلان قارع في حضن صيوي بفعل كذا وكذا[١] . وذكر الأستاذ أحمد بن معيضـ أنه سمع عن هــذه العادة من عدة أشخاص تهاميـين وسرويين وهم من مواليد العصـر الحديـث، مما يدل علـى أن المقارعات استمـرت حتى بدايـات القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م) [٢] .

مـن المعالم التراثية في قرية صيوي مدرسة الكواكبي بصيوي، حيث تم افتتاحها عام (١٣٩٣هــ/١٩٧٣) ، كان مقرها الأول في بيت ابن حمـودي عند مدخل القرية من الجهة الغربية. وفي عام (١٣٩٥ه/١٩٧٥م) . انتقلت إلى مبنى الشيخ سالم بن عبده، الواقع على الطريـق العام الذي يربط بين مركزي ختبة وعبس. واستمرت في هذا الموقع حتى تم بناء مبنى حكومـي جديد، حيث انتقلت إليه المدرسة عـام (١٤٠٧ه/١٩٨٧م) . وأيضا مصلى العيـد، كان يقع في موقـع يسمى(امطوف(، وهذا المكان من المعـالم القديمة التي شكلت حلقة وصل موسمية لأبناء القبيلة، فقد حرص الأهالي على أداء صلاة العيد فيه بانتظام، حتى وإن كانوا يسكنون في القرى البعيدة، وذلك لما له من دور اجتماعي مهم، مثل: تقوية أواصر الصلة بين أفراد القبيلة. والتعرف على مستجدات الأمور العامة والخاصة. وتعزيز التواصل بين الأجيال الحديثة والقديمة، ونشر ثقافة التعارف بين أبناء القبيلة وقراها[٣] .

مـن الأنشطة الاقتصاديـة والاجتماعية في قريـة صيوى تربيـة المواشي، وبخاصة الأغنـام والضـأن واعتمد الأهـالي قديمًا في إطعامهـا على المراعـي المنتشرة في جبال

---

(١) نحن في حاجة ماسة يا دكتور حسن إلى معرفة تاريخ أهلنا وبلادنا قديماً. وما ذكرته من أنشطة اجتماعية في قرية صيوى موجوداً في كل مكان. بل هناك قرى وحواضر قديمة لها تاريخ واسع وكبير، والذي صنع هذا التاريـخ الحضـاري المحلي هم سكان البلاد في المدن والقرى والأرياف والبوادي . ومنذ خمسين عاماً أقرأ وأكتـب عـن بلادنا (تهامة والسراة) ، وأسمع من يقول ليس لها تاريـخ أو حضارة، وأقوالهم غير صحيحة ولا دقيقـة ، لكـن النسيان وتجاهـل الأوائل من مدوني التراث الكتابة عن هــذه الأوطان جعل تاريخها غير معـروف، مـع أننا مازلنا نشاهد الكثير من المعالم والتراث المادي الـذي يعكس ويروي صوراً من حياة أهل البلاد خلال العصور الماضية .(ابن جريس) .

(٢) يـا دكتور حسن هناك أعـراف وعادات اجتماعية كثيرة بقيت معروفة وممارسـة عند الناس حتى بدايات هـذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم اختفت تدريجياً حتى صارت غير موجودة، ولا يعرفها الجيل الحالي. ومثل هذه التقاليد جديرة بالدراسة والتوثيق، لأنها جزء أساسي من تاريخنا المحلي. (ابن جريس) .

(٣) أكـرر شكري لك يا دكتور حسن على رصد وتوثيق هذه المعلومات التي تعكس صوراً من حياة الناس قديماً. وقـد يقـول بعض القراء أن هذه التوثيقات غير مفيدة، لكنهـا في الحقيقة جيدة جدا، ونتطلع إلى من يوثق الجزئيـات العامة والخاصة لتاريـخ بلادنا وأهلنا خلال القرون الماضية، ومثل هـذا الرصد العلمي يعكس لنا صفحات من تاريخ بلدنا، وهناك الكثير من الأنشطة الحضارية المتنوعة الجديرة بالاهتمام والدراسة والتحليـل والتوثيق، ونتطلع إلى بناتنا وأبنائنا (المؤرخات والمؤرخين) الشباب حتى يدرسوا تاريخ وحضارة بلادهم وسوف يتحقق ذلك في قادم الأيام بإذن الله. (ابن جريس) .

وأودية القرية. أما بعض السكان الذين كانت لهم مكانة اجتماعية أو ثروة مالية، فكانوا يحرصون على اقتناء الإبل والبقر، والحمير والخيول، في زمن لم تكن فيه وسائل النقل الحديثة متوفرة. وكانت تلك الدواب تُستخدم في: حرث المزارع. والتنقل من مكان إلى آخر وجلب البضائع من الأسواق وخدمات أخرى عديدة ..

(*) كان من بين الأهالي من يمارس بعض الحرف اليدوية، مثل:

(١) صناعة الزنبيل، والسطلة، والمظلة، وجميعها من سعف النخل وهي من اختصاص النساء. (٢) والصناعات الفخارية والخشبية كالجرار وبعض الأواني المنزلية والمكاييل بأنواعها (المد ونصف المد والربع)، وبعض المعدات الزراعية كاللومة، والسحب، والمحرّ، والمدمس. (٣) الصناعات الحديدية والمعدنية كالمعدات المستخدمة في الحفر وتقطيع الأشجار، مثل: الفأس، والمسحاة، والقدوم، والجنبية، والشفرة وأدوات أخرى تُنحت من الحجر الصلب كالرحى، وتستخدم لطحن الحبوب، وتتكون من حجرين دائريين، وفي القسم العلوي ثلاث فتحات: الأولى: يوضع فيها عود خشبي لحفظ التوازن. والثانية: تُستخدم لصب الحبوب من خلالها. والثالثة: الخطّاف، عود خشبي تمسك به المرأة لتدوير الرحى العلوية فوق الرحى السفلية لإتمام عملية الطحن.[١] .

كان النشاط الزراعي من أهم الأنشطة المنتشرة في القرية وفي القرى المجاورة لها، والزراعة المحلية قديمًا تُعتبر المصدر الأساسي للغذاء الذي اعتمد عليه الأهالي بشكل كلي، ومن المزروعات في القرية: الدُخن، والقمح الذي يُعرف بعدة مسميات وفقًا لاختلاف لون حبته وحجمها، ومنها: البيضاء، والبجيدة، والزعر، والسمسم، وبعض أنواع الفواكه، بالإضافة إلى المحاصيل الموسمية مثل البطيخ. وكان السكان يعتمدون في حراثة الأرض وزراعتها على الثيران القوية[٢].

كان من أبناء قبيلة آل حسن وقرية صيوى من يعمل في مهنة البناء بالأجر، فمن يريد بناء منزل أو أي مرفق عمراني آخر يقوم بدعوة مجموعة من العمّال، الذين

---

(١) كل هذه الحرف وغيرها كانت موجودة في كل قرية أو ناحية من بلاد تهامة والسراة، ويمارسها الرجال والنساء، لكن بعض الصناعات لا يمارسها إلا الرجال لصعوبتها، نظراً لما تحتاجه من قوة وجهد كبيرين. (ابن جريس) .

(٢) يا دكتور حسن لم توضح التاريخ الزراعي الذي كان عند سكان قرية صيوى، مع أن مهنة الزراعة كانت من الحرف المهمة عند معظم الناس في تهامة والسراة. وللأسف لا أجد دراسات علمية تؤرخ لحياة الزراعة والمزارعين في مناطق جنوب المملكة خلال القرون الماضية، وهذا مجال يستحق أن يخدم علمياً وبحثياً. (ابن جريس) .

يتراوح عددهم بين ستة إلى سبعة أفراد، ولكل منهم دور محدد، ومن أبرز هذه الأدوار: (١) **البـاني** : الشخص المسؤول عن وضع الحجارة على الجدار بشكل مدروس ومنظم حتـى يكتمل البناء. (٢) **المُلقِّف**: الذي يقوم بنقل الحجارة على ظهره وإيصالها إلى يد البـاني ، (٣) **الطّيّان**: المختص بخلط الطين وتغليف الجدران به. كانت الحجارة تُنقل يدويًا من سفوح الجبال أو بطون الأودية، وتُحمل على ظهور الرجال، ويقوم المُلقِّف بنقلها إلى البـاني، الذي يرصها بدقة على الجدار حجـرًا بعد آخر حتى يكتمل البناء، وتقسم البيـوت وفقـًا لمستوياتها ومداخلها ومخارجها إلى عدة مسميـات، منها: **(أ) الجَباهة. (ب) السِّـدَّة. (ج) السَّـفْل. (د) الدور الأول.** ومن عادات الناس قديماً أنه عند انتهاء البنـاء، يرفع صاحب المبنى الراية البيضاء من أعلـى قمة البناء تقديرًا للجهد المبذول واحتفالًا بالإنجاز[١] .

كان بعض الأفراد من بلاد المجاردة ومنها قرية صيوى يعملون في التجارة، ويُسيِّرون قوافـل تجارية لنقل البضائع من ميناء القنفذة، إلى الأسـواق الأسبوعية في تهامة بني شهر وبني عمرو وغيرها، ويمارسون العديد من التعاملات لتجارية مثل: (١) المقايضة: نظـرًا لنـدرة العملات النقدية في الماضـي، حيث يتم استبدال السلـع ببعضها البعض، دون الحاجـة إلى تبادل نقدي. (٢) تداول العملات القديمـة، وكان من أوائل العملات المتداولـة: (أ) الريال الفرانسـي (ب) الريال العربي (ج) العملـة السعودية الحديثة، التي ساهمت في ازدهار التجارة وتنوعها وزيادة مصادرها.[٢]

(١) يـا دكتـور حسن دونت إشارات عديدة عن تاريخ العمارة في قبيلـة آل حسن وقرية صيوى . وهذه المعلومات والمصطلحـات التـي أشـرت إليها موجودة وتمارسـ في كل قرية أو ناحية أو ريـف أو مدينة من بلاد تهامة والسـراة مـع اختلافات في الألفـاظ المستخدمـة ، وأحيانا طرق البناء مـن البداية حتـى النهاية. وتاريخ العمـارة القديمة في عموم مناطق جنـوب المملكة العربية السعودية من جنوبي مكـة المكرمة والطائف إلى جـازان ونجران من المجـالات الكبيرة التي يُكتب تاريخها في مئات الدراسـات، أرجو من كليات الهندسة، وأقسـام التاريـخ والآثار، واللغة العربية وآدابها، والاجتماع أن تشجـع طلابها وأعضاء هيئة التدريس فيها لدراسة العمران في هذه البلاد، مع إجراء مقارنات بين أنواع العمارة القديمة والحديثة . (ابن جريس).

(٢) يـا دكتور حسن أنـت، للأسف، تذكر نقاطاً عامة. مع أن بلاد تهامة من ديار رجال ألمع إلى بلدة المخواة في تهامـة غامد وزهران مأهولـة بالسكان ، وحلقة وصل بين بلاد السراة من أبهـا إلى الباحة والطائف وبين سواحل البحر الأحمر من الليث والقنفذة إلى البرك والشقيق والدرب. وكل هذه البلاد لعبت أدواراً تاريخية وحضاريـة في العصـر الحديث (ق١٠ـــ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) ، وتستحق أن يدرسـ تاريخها الاقتصادي وبخاصة التجاري دراسة علمية تفصيلية جادة ، وآمل منك ومن غيرك من المؤرخات والمؤرخين أن تخدموا هـذا الموضوع في بحـوث علمية تفصيلية تحليلية جـادة، ولانعذركم من القيام بهـذا العمل لأنكم أصحاب اختصاص. (ابن جريس) .

٣ـ قرية فلعة[١] :

بُنيت قرية فلعة فوق جبل صخري صغير يقع في الغرب من مركز خاط التابع لمحافظة المجاردة، وجاءت تسمية القرية والقبيلة التي سكنتها من قبائل بني عمرو نسبة إلى ذلك الجبل الذي أنشئت عليه [٢] وجبل فلعة معروف عند العامة في بلاد المجاردة، إلا أنه في الواقع لا يتجاوز أكثر من كونه تل صخري متدرج الارتفاع حيث يبدأ منخفضاً من جهته الشرقية ثم يبدأ بارتفاعٍ حوالي عشرين أو ثلاثين متراً ثم يزيد تدريجياً حتى يبلغ حوالي مائة وخمسين متراً أو أقل، لكنه يتميز بصلابة حجارته، التي تتشابه في تكوينها وشكلها مع حجارة جبل تهوي[٣]، جبل يقع في جهة الشمال منه ويفصل بينهما قرية آل شغيب القف[٤]، ويتصل جبل فلعة من الجهة الغربية بجبل آخر اسمه جبل رحبان وكلا الجبلين محاذيان من الجهة الجنوبية لبعض فروع وادي خاط[٥] ولا يفصلهما عن الوادي حاليا سوى الطريق العام الذي يربط بين محافظة المجاردة ومركز خاط.

---

(١) مأخوذة من فلع، بمعنى شق، يقال فلع الشيء أي شقة وجاءت في بعض معاجم اللغة هكذا « فلع :فَلَعَ الشيءَ: شَقَّه. وفَلَعَ رأسَه بالسَّيْف وَالحَجَر يَفْلَعُه فَلْعاً فانْفَلَعَ وتَفَلَّع: شَقَّه وشَدَخَه " ، انظر: لسان العرب ابن منظور، (ت ٧١١هـ) : لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، (١٤١٤ه/١٩٩٤م) ج٨، ص ٢٥٦. وفي حقيقة الأمر أن هذه الصورة تظهر جليه في الناظر إلى جبل فلعة، فهو في واقعة كما ذكر في متن البحث تل متوسط الارتفاع، ولكنه معروف باسم جبل كأنه مفلوع أو مفصول من جهته الغربية عن جبل رحبان بمنطقة منخفضة فيها عين جارية يقال لها الرُّتُق، وكذلك يفصل عن جبل تهوى من جهته الشمالية الشرقية، ويظهر على أنه جبل يقع في مكان مفصول عن محيطه الجغرافي.

(٢) تم نقل هذه المعلومات من بعض أعلام قرية آل فلعة، مثل الأساتذة: علي يحيى العمري، وعلي عبدالله العمري، وعلي أحمد عبدالله العمري .

(٣) جبل تهوي : أحد أهم الجبال الواقعة في جنوب غرب مركز خاط التابع لمحافظة المجاردة، من الجبال المشهورة ببلاد المجاردة على وجه الخصوص، وفي تهامة رجال الحجر على وجه العموم، ويتميز بارتفاعه الشاهق الذي يصل إلى حوالي(١٦٠٠م) عن مستوى سطح البحر، ومنحدراته الصخرية المتصلة من الجهة الجنوبية تشكل لوحات فنية من شلالات المياه البيضاء لخلو قمته من الاتربة أو المناطق الطينية، وشيد بالقرب من قمته منذ أمد بعيد قرية غيّة الأثرية المبنية من الحجارة التي تمتد في تاريخها إلى مئات السنين رغم صعوبة الوصول إليها على الأقدام بسبب ضيق طرقها وممراتها.

(٤) آل شغيب القف: إحدى قبائل بني شهر تهامة، وآل شغيب ينقسمون إلى قسمين منفصلين بشيخين منفصلين هما قسم قبيلة آل شغيب الضمو، وقسم قبيلة آل شغيب القف، وأعرف من كلا القسمين زملاء عمل وأصحاب أوفياء على قدر كبير من مكارم الأخلاق.

(٥) خاط وادي يسكنه بنو عامر الغورية من رجال الحجر كما قال الهمداني، انظر الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالي،ط١، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) الارشاد، صنعاء، ص٢٣٥، وفي زمننا وادي خاط يسكنه عدة قبائل من بني عمرو تهامة، وبعض من أفراد قبائل من بني شهر أيضاً جنباً إلى جنب بينهم من المحبة والتواصل ما يتميز به اخلاق الرجل المسلم ولله الحمد والمنة. (الشهري) . يا دكتور حسن أشرت إلى وادي خاط وجبل تهوي، وهذان المعلمان وغيرهما في محافظة المجاردة مازالا بحاجة إلى دراسات تاريخية وجغرافية وأثرية ، آمل أن نرى من الباحثين من يقوم بذلك. (ابن جريس) .

حاولـت مقابلة كبار السن من أهالي قبيلة فلعة بنـي عمرو من أجل الحصول على معلومة تفيدني في توثيق زمن نشأة تلك القرية في ذلك المكان المحصّن؛ إلا أنني لم أجد أحد يفيدني ولو بشكل تقريبي عن بداياتها، وإن كانت آثارها الحضارية وبخاصة ركام أبنيتهـا تـدل علـى أن فترة استيطانها ربمـا لا تقل عن مائتي سنة تقريبـا، وذلك لعدة أسبـاب أذكر منهـا: (١) لم أجد أحداً من كبـار السن الذين وصلـت أعمارهم ثمانين سنـة أو أكـثر يخبرني بأنه نشأ فيها أو كان على معرفة بأحد ممن عاش فيها من قبله من آبائه أو أجداده، (٢) أن الكثير من أبناء المحافظة، وأخصّ منهم أرباب القلم وأصحاب الثقافـة، لم يسمعوا عن تلك القريـة الأثرية المنسية على الرغم من قربها من مساكنهم، ومنهم من يسكن في قرية آل شغيب القف، وهي قرية مجاورة لجبل فلعة من جهة الشمال، وكلمـا سألت أحداً عنها يجيبني عن قرية فلعـة الحالية الموجود جنوب شرق وادي خاط، ويسكنهـا البعض ممن آثر حياة القـرى عن المدن من أبناء القبيلـة التي تتسمى باسمها (قبيلـة آل فلعـة من بنـي عمرو). وأكثر ما وجدتـه من الأخبار عن تلـك القرية القديمة بأنهـا بُنيـت فوق ذلك الجبل منذ مئات السنين وتحصّن أهلها بها في زمن كانت الحروب القبيلة، ومعارك أخذ الثأر سائدة في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية[١].

بعد أن منَّ الله على مؤسس هذه الدولة المباركة، الإمام الموحِّد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمـن الفيصل آل سعود -رحمـه الله-، بتوحيد البلاد تحت راية واحدة وفي ظل قيـادة موحدة، تحقق الأمن والاستقرار، وتم تطبيـق الشريعة الإسلامية، مما أدى إلى انتشـار الرخاء في جميع أنحاء البلاد. ونتيجةً لذلك، انتقلت معظم القبائل، التي كانت تتحصـن في الجبال، إلى المناطق السهلية، وذلك لقربها مـن المزارع، وسهولة الوصول إلى الخدمات الأساسية، مثل الطعام، الشراب، وغيرها من الاحتياجات اليومية.[٢].

(١) يـا دكتـور حسن ليست قرية آل فلعة القديمة التي لا تعرف أي شيء عن بداياتها. بل إن معظم القرى الأثرية والتراثيـة في عموم تهامـة والسراة لا نملك معلومات صحيحة ودقيقة عن تاريـخ نشأتها، والأدوار التاريخية والحضاريـة التـي جرت علـى أرضها ومع سكانها، مـع أن هناك مواضـع كثيرة يعود تاريخهـا إلى العصور السابقة للإسلام، وإلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وقد تكون الدراسات الأثرية الأمل الوحيد التي من خلالها قد نعرف صوراً من تاريخ مستوطناتها البشرية القديمة قبل الإسلام وبعده. (ابن جريس).

(٢) الحمد لله رب العالمين، وغفر الله لك يا عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فلقد كنت هبة وهدية من الله (عَزَّوَجَلَّ) إلى هـذه البـلاد المباركة (المملكـة العربية السعودية)، وهذه الحقيقة التـي لا لبس فيها، لأن من يدرس أحوال البلاد قبل قيام هذه الدولة السعودية الحديثة يعرف ويدرك الرعب والكرب والتعب الذي كانت تعاني منه البلاد وأهلها. وبعد أن ظهر ابن سعود ووحد أجزاء الوطن تحت مظلة الدولة السعودية العصرية الحديثة تغير الحال في كل شيء مادياً ومعنوياً، سياسياً وحضارياً، فردياً وجماعياً، داخلياً وخارجياً، فاللهم لك الحمد والشكر يا صاحب الفضل والثناء، ويا من يقول للشيء كن فيكون. (ابن جريس).

عرفت وعاشت قرية فلعة نفس العادات والتقاليد المنتشرة في بلاد رجال الحجر، ولم تكن الآثار العمرانية تختلف عن بقية الآثار في البلاد نفسها، لكن لضيق المساحة التي شيدت فوقها تلك المعالم العمرانية، ولطول مدة الهجرة منها فلم يبقى من آثارها العمرانية سوى أطلال المباني المبنية من الحجارة الصلبة[١]، وكانت تُبنى بأيدي أهلها على مراحل متعددة تبدأ بجمع المواد المطلوبة للبناء من حجارة، وطين[٢]، وخشب، وشتب[٣]، والغمى[٤]،ويتعاون الجميع في عمارة البيوت كل حسب تخصصه فمنهم البنّاء، والملقف، وعجاني الطين، والنجارين، والحمّالين وغيرهم، وأحجام البيوت حسب استطاعة أصحابها ، وقد شيدت بالحجارة من جميع الجوانب وفي بعض الأحيان تبنى من ثلاثة جوانب ويكون الجانب الرابع على مقربة من صخرة كبيرة تحل محل الجدار الرابع، ورأيت بعض المنازل حجارة مبينة حول كهف صغير في أنحاء متفرقة من الجبل، وتسقف تلك الأبنية بسيقان الأشجار، وأوراقها، وإن كان البيت واسعاً ويُخشى عليه من السقوط يقوم الباني ومعاونيه بوضع الجائز من جذوع الشجر العريضة لحمل السقف فوق أعلى الجدارين المتوازيين بشكل أفقي ويسندونه بالزافر من ذات المادة وله قاعدتان علوية وسفلية تحتوي حجم الجائز الممدود أفقياً ويضع ذلك الزافر بشكل عمودي في منتصف المبنى ويمتد من أعلى السقف إلى الأرض ثم توضع أعواد الأشجار بشكل متقاطعٍ يعلو بعضها البعض، ثم يصب الكبس من الطين المبلل بالماء بكميات كافية مكوناً سطحاً متماسكاً يحمي أهله من لهيب نهار الصيف، وبرودة ليل الشتاء، ويتميز ذلك الطابع البنائي بتأقلمه مع فصول السنة وبخاصة فصلي الصيف، والشتاء؛ فعندما يكون الطقس بارد بالخارج يكون الجو معتدل مائل للدفء داخل البيت في فصل الشتاء والعكس في فصل الصيف[٥].

(١) تسمى بالحَضَرة باللهجة المحلية « وتعني تحضير الأحجار المختلفة لإكمال عملية البناء».

(٢) يستخدم هذا الطين في ردم سطح البيت، ويسمى « كبس» باللهجة المحلية عند معظم القبائل في تهامة رجال الحجر

(٣) الشتب: ويسمى الجرد في ختبة، وهي أعواد صغيرة توضع فوق الأخشاب الكبيرة على السطح لتغطيته بأوراق الشجر قبل وضع الطبقة النهاية من الطين، وأهم تلك الأعواد من شجر « المضّ».

(٤) الغمى: أوراق من الأشجار ذات الطابع الكبير في حجمها، مثل: الأثب، والعرفج، والطبّاق وغيرها .

(٥) الجائز أو البَطَن في مفهوم بعض القبائل قديماً ساق كبير من سيقان الأشجار الطويلة والمعمرة، مثل السدر، والطلح، والصوملة، وغيرها من الأشجار التي يمكن الاعتماد على صلابتها، ويوضع الجائز في منتصف الجدارين المتقابلين، ويدعّم بما يسمى بالزافر، أو الدعمة، ولا زالت موجودة إلى الآن في البيوت القديمة، وقد استبدلت هذه الأخشاب بالحديد في الزمن الحاضر. (الشهري) أشكرك يا دكتور حسن على هذا التوثيق المختصر، وآمل أن تخرج لنا دراسة وافية وشاملة عن العمارة القديمة في محافظة المجاردة، وأنت (بإذن الله تعالى) قادراً على ذلك . (ابن جريس) .

كانــت عمليــة البنـاء في المـاضــي تتم بتعاون أهــل القـرية كل حسب قدرتــه ومعرفته، وتتشكل تلك الأبنية على عدة غرف منفردة، أو ذات طوابق متعددة بشكل رأسي، أو أفقي، وهــي قليلة العدد مقارنة بأعداد مبــاني قرية صيوي الأثرية، فلا يزيد عددها عن أربعين أو خمسين مبنىً حجرياً فوق جبل فلعة، وربما يدل ذلك على قلة عدد أفراد تلك القبيلة.

من الآثــار العمرانية أيضاً وجود الأماكن التي كانــت تُبنى فيها العشش الصغيرة، وهــي من المساكــن المنتشرة في كثير من مناطــق جنوب المملكة العربيــة السعودية، وفي غيرهــا مــن البلدان الآسيوية، والإفريقيــة كما نراها في الأفــلام الوثائقية التي تُعرض في القنــوات التلفزيونية وعلــى شاشات الأجهزة اللوحية الحديثــة، وكان السكان يبنون تلــك العشش من سيقان الأشجــار القوية على شكل هرم مخروطــي، ثم تغطى بقصب القمــح، مــن جميع الاتجاهات ولا يبقى منهــا سوى فتحة الباب، وأحيانــا تكون العشش علــى مساحــات كبيرة نسبياً فقد يبلــغ قطرها أربعة أمتار أو أكــثر، وارتفاعها أكثر من مترين ونصــف تقريباً، وتتميز تلك العشش بمقاومتها لتغــيرات الطقس، والمناخ صيفاً وشتاءً، وكان الأهالي يعتمدون عليها في السلامة والاحتماء من مياه الأمطار التي تستمر قديمــاً إلى عدة أيام وربما أسابيع، وتعد المــكان الآمن بالنسبة لهم عندما تتأثر البيوت الحجريــة المسقوفــة بجذوع وأوراق الشجر والطين التي لا تستطيــع الصمود دون التأثر أمام استمرار هطول الأمطار فترة طويلة[١] .

---

(١) البيــوت المبنية من القش وأغصــان الشجر كانت موجودة في أمكنة عديدة من بلاد السروات وتهامة. وهي جزء من تاريخ وحضارة الناس في العصور السابقة. وقد اطلعت على بعض الدراسات المحدودة والقليلة في هذا الباب. وأرجو من المؤرخين والجغرافيين والمهندسين المعماريين أن تتضافر جهودهم في دراسة العمارة في جنــوب المملكــة العربية السعودية قديماً وحديثــاً. وللأسف إن المنازل المشيدة مــن الأخشاب والأشجار قديماً اندثرت تماماً، فلم يعد نرى أي شيء من هذا التاريخ، والواجب على الباحثين والمتخصصين ومراكز البحــوث العلميــة أن تسارع في جمع ما يمكن جمعه عن هذا النمط العمراني الذي كان منتشراً بشكل كبير جداً في الأجزاء التهامية، وكذلك بعض المناطق والأمكنة الشرقية من السروات. (ابن جريس) .



صورة رقم (٥): أحد الأبنية القديمة في قرية فلعة بني عمرو

ذكر لي الأستاذ علي بن يحيى العمري أن بالقرية جامعٍ تصلى فيه الفروض الخمسة وصلاة الجمعة، وكان في السابق مسجداً صغيراً مبنياً من الحجارة وسقفه من الخشب وأرضيته من التراب ثم تم هدمه وبناء جامع حديث، واستمرت الصلاة فيه لفترة طويلة من الزمن ثم لحاجة القبيلة وزيادة عدد سكانها تم بناء جامع أكبر على طراز حديث فيه قسم مستقل للنساء وسكن لعامل الجامع وتصلى فيه الصلوات الخمس والجمعة[١].

إن حديث الأستاذ العمري عن مسجد القرية الحديثة، التي تم استيطانها منذ حوالي قرن تقريباً، لأن الناظر لأطلال المباني القديمة للقرية فوق جبل فلعة لا يجد سوى أكوام من الحجارة، معظمها منازل، وربما كان بها مسجد إلا أننا لم نستطيع تحديد مكانه لاختلاط ركام الأبنية مع بعضها، وفي مقطع منتشر على برنامج اليوتيوب لأحد المهتمين بالتراث الحضاري واسمه علي إلياس تحت عنوان (خاط والقرية المنسية في جبل فلعة)[٢]، ذكر أن للجبل طريقين أحدهما شرقي والآخر غربي ، وهما طريقان

(١) أشكرك يا دكتور حسن وأشكر الأستاذ علي بن يحيى العمري، وأرجو من الباحثين والمتعلمين وأرباب القلم في جميع قرى ومدن وبلاد السروات وتهامة أن يوثقوا ما يستطيعون وما عرفوه عن المساجد القديمة والحديثة في بلادهم، وإن فعلوا ذلك فإنهم يحفظون لنا صفحات من تاريخنا وحضارتنا المحلية. (ابن جريس).

(٢) علي الياس، خاط والقرية المنسية في جبل فلعة، برنامج اليوتيوب
https://www.youtube.com/watch?v=6roIbP0i21c

مرصوفان بالحجارة لتسهيل مرور الدواب وبهيمة الأنعام بجميع أنواعها وهذا يدل على أن تلـك القرية كانت عامرة بالسـكان فترة طويلة من الزمن حيث تمكن أهلها من بناء مساكنهم وتطويع بيئتهم لخدمة مصالحهم في شتى مجالات الحياة الأمنية، والغذائية، والاجتماعية، والاقتصادية[١].

كان معظم سكان جبل فلعة يعملون في حرفتي الرعي والزراعة، حيث شكلتا المصدر الأساسـي للمعيشـة والغذاء ويظهـر في المقطع المذكـور آنفًا بعض الأحواض الزراعية الصغـيرة، التـي يُرجَّـح أنها كانت مدرّجـات زراعيـة منتشرة في قمة الجبـل وسفحه تُستخـدم لزراعة بعض الحبوب في الأماكـن القريبة التي يستطيع أهلها حمايتها. وكان الاعتماد على هذه المزارع ضروريًا، خصوصًا في أزمنة الغزو والمعارك التي كانت تنشب بين القبائل في تهامة أو السراة، لأسباب متنوعة، مثل: (أ) الخلافات حول أماكن الرعي (ب) النزاعـات على حـدود المزارع (ج) حروب الأخذ بالثـأر. (ج) أسباب أخرى أمنية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية[٢].

لم يقتصـر النشـاط الاقتصـادي على مهنتي الرعـي والزراعة، بـل عمل بعض سـكان القريـة في التجـارة، ويعرضـون منتجاتهـم في الأسـواق القديمـة بالمناطـق المجاورة، مثل:

(١) سـوق الأحد الأسفل، وسوق الأحـد الأعلى، وسوق الخميس وجميعها في مركز خـاط. (٢) سوق الاثنين في محافظة المجاردة. (٣) سـوق سبت ختبة. (٤) سوق ربوع العجمة في بارق[٣].

(١) منـذ أربعين عاماً وأنا أتجول في بـروع السروات وتهامة، وأشاهد أنواع عديدة من العمارة القديمة، وأشعر بـالألم والحسرة على ما أصابها من الخـراب والتلف، ولا نرى جهوداً جيدة وكبيرة تعمل وتسعى إلى إنقاذ هذا الموروث الحضاري المهم. (ابن جريس) .

(٢) مـن يدرس تاريـخ الصراعات والحروب القبلية التـي كانت تعيشها بلاد السـروات وتهامة خلال العصور الإسلاميـة المبكـرة والوسيطـة والحديثة حتـى النصف الثاني من القـرن (١٤هـ/٢٠م) يجدها متنوعة ومتعـددة الأهداف والأسباب، والذي ذكرته يا دكتور حسن ضمن العوامل التي سببت الصراعات المحلية. وهنـاك قواعد واتفاقيات وإصلاحات ووثائق محلية عند النـاس وفيها مواد علمية جيدة لدراسة مثل هذا الموضـوع، كما أن الوثائـق الحديثة الرسمية الداخلية والخارجية العربية والأجنبية لا تخلو من مادة علمية لخدمـة الموضـوع نفسه، أرجو من أبنائنا الباحثين في أقسام التاريخ والآثـار أن يدرسوا ويوثقوا تاريخ مثل هذه العناوين المحلية. (ابن جريس)

(٣) لقـد رأيـت وعاصرت بعض هذه الأسـواق في بداية التسعينيات من القرن الهجـري الماضي، وكانت في أوج نشاطهـا. ومثـل هذه الأسواق الشعبية وغيرها في عموم تهامة من مكة المكرمة إلى جازان تستحق أن يكتب تاريخهـا في أعمـال علمية موسوعية من المؤرخـات والمؤرخين، والواجب عليهـم أن يخدموا هذا المجال في دراساتهم وبحوثهم العلمية. (ابن جريس) .

من الحيـاة الاجتماعية في قرية فلعة قديماً وحديثاً تقـارب البيوت التي كانت فوق الجبـل؛ ويبـدو أن الأهالي كانـوا مجتمعاً قبلياً تميّـز بالوحدة والترابـط في جو يسوده الـود والاحترام، وكانت تلك الحياة تشكل حصنـاً منيعاً لتوفير الأمن ومواجهة المشاكل بأنواعهـا. وقبيلة فلعة كغيرها مـن القبائل يترأسها شيخها ويعاونـه أعيانها في صياغة الأنظمة القبلية، والمذاهب العرفية التي من شأنها حفظ الحقوق وتقوية العلاقات العامة والخاصـة، ومازالت الأجيال الحديثة تسير على خطى الآباء والأجداد، فهناك علاقات نسـب ومصاهـرة بين أفراد القريـة، ولا تغيب البلدة وأهلها عـن أي مناسبة اجتماعية سواء داخل القرية أو خارجها من القرى المجاورة(١).

٤ـ خلاصة مقارنة بين القريتين (صيوي ، وفلعة) :

من خـلال الدراسة للطبيعة الجغرافية، والاستماع إلى بعض الروايات فقد وجدت بعـض التشابهـات والاختلافات، ومنهـا: (١) تم اختيار الموقعين لأسبـاب أمنية بحتة، فالقريتـين على تلـين مرتفعين، مما يمنحها ميـزة دفاعية(٢) تتميـز القريتان بطرق معروفـة للصعـود والنـزول، والدخول والخروج، وهـذا مما يساعد أفـراد القبيلة على رصـد أي قادم في أوقـات الحرب أو السلم(٣) يعكس ذلك الاختيـار الاستفادة الذكية لأبنـاء القبائل في الماضي من الطبيعة الجغرافية، لضمان الأمن وحماية السكان، وكان ذلك عرفاً سائداً عند عموم العشائر والقرى والقبائل في تهامة والسراة(٢). (٤) تتميز قريـة صيـوي آل حسن بأراضي واسعة تبـدأ من سفوح الجبال المحاذيـة لقبيلة خشرم السرويـة حتـى شمال مركز ختبـة التهامي ومعظـم القبائل المجاورة لهـا ترتبط معها بعلاقـات نسـب ومصاهرة، مما يعـزز استقرارها وأمانها. وتقع قريـة فلعة بني عمرو

---

(١) ذكـرت يا دكتـور حسن بعض الصفات والعادات التـي سمعت عنها في قرية فلعة، وتلـك تقاليد تكاد تكون موجـودة في كل بلـدة أو ناحية أو قرية منبلاد السروات وتهامة. بل يوجد عند سكان القبائل في هذه الديار قوانـين عرفية شفهيه وبعضهـا قواعد واتفاقات مكتوبة رصدوا فيها من النصوص والشروط التي تنظم حياتهـم ، وتوفر الأمـن والاستقرار لهم، ومثل هـذه المصادر المحلية تعد من المـوارد الرئيسية والأساسية لمعرفـة صفحات مـن تاريخ التهاميين والسرويين، آمل من الباحثين الجاديـن في هذه البلاد أن يسعوا إلى جمـع هذه المصادر ثم دراستها في أعمال بحثية جادة رصينة، وإن فعلوا ذلك فإنهم يحفظون جزئيات من تاريخ وحضارة بلادنا . (ابن جريس) .

(٢) إذا تنقلنا في أرجاء السروات وتهامة فإننا نشاهد أماكن القرى والاستيطان في أعالي الجبال، وعلى رؤوس الهضـاب، وفي بعض الأودية والتلال. وكان عامل الخوف مـن الأسباب الرئيسة التي تجعل الناس يفكرون بشكل جاد في الأماكن التي يسكنونها، ويراعون في ذلك المعالم التي تحيط بكل مقر أو مكان استيطان، وقد بذلـت جهوداً كبيرة لعلي أجد دراسـات علمية تؤرخ لأهمية المواقع الجغرافية أثنـاء تأسيس المدن والقرى والمستوطنات البشرية في تهامة والسرة ، لكن للأسف لم أجد حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) دراسة تدرس وتناقش هذا الموضوع، ويُعد من العناوين المهمة التي يجب بحثها في دراسات علمية عديدة. (ابن جريس).

فـوق جبل ذو حصانة جغرافيــة، مما يجعل الوصول إليها صعبًــا على الغرباء دون علم أفـراد القبيلة، وعلى الرغـم من حصانتها، إلا أنها كانت عرضــةً للحصار في الماضي، لأن الأعـداء يستطيعون محاصرتها وتجويع سكانهــا وإجبارهم على الاستسلام،كما أن اتصالهــا الجغرافي مع المناطق المحيطة محدود، حيـث ترتبط فقط من الجهة الغربية بالجبـال الأخرى، مما جعلها أكثر عزلة مقارنة بقريــة صيوي[١]. (٦) كانت النزاعات العشائريــة تحدث بسبب المنافسة على الموارد الطبيعية وغيرها، وبعد ظهور التنظيمات الإدارية والسياسية الحديثة في المملكة العربية السعودية، تغير المشهد بالكامل، وانتشر السلام، وتراجعت الصراعات القبلية، وتحسنت وزادت وتيرة حفظ الدماء والأعراض، وتوحدت البلاد وتحضرت وواكبت مسيرة التاريخ الحديث والمعاصر[٢].

تتشابــه القريتان في الطـراز المعماري التقليـدي، ويعتمد البناء فيهمــا على المواد الطبيعية المتوفرة في البيئة المحلية، مثل: الحجارة والطين والأخشاب والأشجار ويمارس النـاسـ حرفــاً تقليديــة تعد جــزءًا أساسيًا من ثقافتهــم، كالرعــي والزراعة ، والجمع والالتقاط ، والصيد أحياناً.

يوجـد تفـاوت كبـير في العـادات والتقاليـد القبليـة، وتُعـرف باسـم (المذاهـب العرفية)، وتشمل:

(أ) الضيفة واستقبال الضيوف. (ب) الصلح وحل النزاعات وفق العرف القبلي (ج) الــزواج وأنظمة المهور، والمراسم الاحتفالية. (د) التجــارة في الأسواق الشعبية، وطرق حمايتها. (هـ) عادة الختان والاحتفالات المصاحبة[٣].

أما تمسك القبائل بأعرافها القبلية، فسوف أناقش عادتي الزواج والختان، كنموذج على استمــرار هذه التقاليد حتــى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، فمراســم الزواج تبدأ من

---

(١) أشكـرك يـا دكتور حسن علـى هذه المقارنة المحدودة، وآمـل أن تجرى دراسات أكـثر وأفضل على بلادك، محافظة المجاردة وما جاورها من البلدان. (ابن جريس)

(٢) الحمـد لله الذي بدل حياة الخوف والجوع والفقر بحياة مزدهرة أمنياً وسياسياً وحضارياً، ونسأل الله أن يجعلنـا من الشاكريـن على هذه الكرامات والنعم،وأن يسخرنا لكل قول وعمل صالح ومفيد لديننا وبلادنا وأهلنا . (ابن جريس) .

(٣) بـارك الله فيـك يا دكتور حسن، فعندك حس الباحث الجاد، لكن ما زلت بحاجة إلى ممارسات وتدريبات أفضـل وأعمـق. فأنـت تناقش نقاطـاً حضارية مهمة، غـير أنك لا تستـوي في الدراسة والبحـث والتحليلي، وصدقني إذا واصلت مسيرتك البحثية على تاريخ وحضارة بلادك فسوف تخرج لنا جزئيات جيدة تشرح فيها حياة الناس المختلفة خلال العصور الإسلامية السابقة ، فأرجوك اسمع لهذا القول واستمر، وسوف تحقق نجاحات جيدة ومباركة. (ابن جريس) .

اختيار الزوجة وغالباً تكون معروفة لدى الخاطب، ويتم عرض الزواج عليها من جهته قبل معرفة وليها، وذلك بسبب الجهل بالدين وصعوبة الحياة أثناء تعاون الجنسين من الرجال والنساء في الرعي، والزراعة، والحصاد، وجلب الماء من العيون البعيدة عن المنازل، ثم يذهب الخاطب ومعه بعض أقاربه إلى ولي أمر المرأة فيتم خطبتها بشكل رسمي، ويحدد مقدار المهر الذي كان لا يتجاوز أربعة ريالات فرانسة، ثم ارتفع حتى وصل إلى خمسة وعشرين ريالاً، ثم زاد تدريجيًا حتى قامت الدولة السعودية الحديثة بتحديده بمبلغ ثابت ومعروف لدى العامة والخاصة أربعون ألف ريال للبكر، وخمسة وعشرون ألف ريال للثيب. وتقام مراسم الزواج بذبح شاة أو شاتين من قبل الزوج ودعوة أفراد القبيلة الذين يتسارعون لمعونته بما يسمى (الرفدة) ومازالت موجودة إلى وقتنا الحاضر ويختلف مقدرها من قبيلة إلى أخرى[(١)]

أما عادة الختان فتبدأ كل قبيلة بتحديد عدد من الشبان الذين تصل أعمارهم إلى عشرين سنة أو أقل أو أكثر من أجل ختنهم، ثم يحدد موعد معلوم في مكان محدد وعادة يكون موقعاً متوسطا، وعرف في قرية صيوي بالحضن، وتوجه دعوة عامة إلى القبائل المجاورة لحضور المناسبة، ويحضر كل من يستطيع في هيئة أفواج، ويطلق على عموم الحضور اسم (هود) ، ويبدأ الختان بمناداة المختون فيخرج متباهيا بنفسه ومعتزاً باسمه ونسبه، وقرابته من أخوال وأعمام في جو تقرع فيه الطبول ويصفق الرجال وتزغرد النساء لبث روح الحماس في نفس المختون حتى لا يستسلم للخوف فيصيبه الذل والهوان ويلحق الضرر بسمعة أهله وعشيرته على مرأى ومسمع من جميع الحضور، وعندما تنتهي مراسم الختان يقوم أبناء القبيلة وبالأخص آباء من تم ختنهم باقتسام وفود القبائل التي جاءت لحضور تلك المراسم من أجل إكرامهم. وأهل البلاد جميعهم متقاربون في الأعراف والتقاليد والألفاظ والاصطلاحات اللغوية ،

والزائر لبلاد المجاردة إلى وقتنا الحاضر يرى احتفالاتها الرسمية، ومهرجاناتها الموسمية التي تمثل النسيج الواحد للإقليم الواحد الذي يفخر بعاداته وتقاليده، ومذاهبه، وفنونه الشعبية المختلفة ليكون رافداً من روافد التنوع الثقافي والحضاري المشجع على تطوير ونمو البرامج السياحية في نواحي مملكتنا الغالية وتحت كنف قيادتها الرشيدة. [(٢)] .

---

(١) أشكرك يا دكتور حسن، وتاريخ الزواج في تهامة خلال القرون الماضية مازال من الموضوعات الجيدة التي تستحق مزيداً من البحث والدراسة والتحليل، وهناك الكثير من الروايات والوثائق التاريخية المحلية التي تفيد في خدمة هذا الميدان علميًا وتوثيقيًا. (ابن جريس) .

(٢) كما ذكرت لك سابقاً يا دكتور حسن فأنت تطرح موضوعات مهمة وجيدة، لكن ما زالت مختصرة ولا تعطي الموضوع حقه من البحث والتحليل، وإشاراتك إلى عادات الختان والزواج، فتلك موضوعات اجتماعية مارسها التهاميون والسرويون عبر أطوار التاريخ ، وهي من المجالات الحضارية التي تستحق

٥ـ بعض النتائج والتوصيات:

بــلاد تهامة مليئة بالقــرى الأثرية والتراثية الجديرة بالاهتمــام الرسمي والأهلي، وذكــر بلاد المجــاردة، أو قريتي صيــوى وآل فلعة، في هــذه الدراسة ليســت إلا نموذجاً محدوداً على ما يوجد في الديار التهامية من التاريخ الحضاري المادي، والقرى القديمة وغيرها من المعالم التاريخية ، تأتي في مقدمة هذا الموروث والتاريخ المحلي[(١)]

(*) أرصد بعض التوصيات التي أرجو أن تجد قبولاً حسناً، وهي على النحو الآتي :

أ- إجــراء دراســات موسعــة حول القــرى الأثريــة في بلاد المجــاردة، تشمــل: توثيق تاريــخ نشأتها، والعوامل التــي أثرت على استيطانها. ودراســة الأنماط المعمارية، والأساليــب التي استخدمــت في البناء. والبحث في السجــلات التاريخية، وإجراء المقابلات الشفوية مع كبار السن.

ب- الاهتمــام بالقرى الأثرية وترميمها، من خــلال: تخصيص مشاريع رسمية لإعادة تأهيــل المباني الأثريــة. وإدراجها ضمــن المواقع السياحية والثقافيــة. لاستثمارها في دعــم السياحة المحلية. وتوفــير البنية التحتية اللازمة، مثــل الطرق، والمرافق العامة، والخدمات الأساسية .

ج- إقامة فعاليات ثقافية لتعزيز الهوية المحلية: فتنظم مهرجانات تراثية تسلط الضوء على العادات والتقاليد والفنون الشعبية. وإنشاء مراكز ثقافية تعتني بجمع الوثائق والصور والقصص الشفهية المرتبطة بهذه القرى. وإشراك الشباب والباحثين في مشاريع توثيق التاريخ الشفوي لمدن وقرى ومحافظات تهامة.

د- إجــراء مقارنات بين القــرى الأثرية في تهامــة وغيرها من المناطــق السعودية مع الحرصــ على إبراز أوجــه التشابه والاختــلاف بين أنماط المستوطنــات البشرية القديمة، وكذلك دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاجتماعية على حياة الناس.

مــن معاشر الباحثين والمؤرخين الدراسة الرصينة والجادة، والحمد لله أصبح في بلادنا عشرات الأساتذة الذيــن يحملون شهادات عالية، وعليهم ألا يتقاعسوا في خدمة بلادهم من خلال تخصصاتهم ومجالاتهم المعرفية والعلمية. (ابن جريس) .

(١) ذكرنــا في مــتن وحواشي هــذه الدراسة العديد مــن الإشارات والتوثيقــات ذات الصلة المباشــرة بالتاريخ العمــراني وبخاصــة بعض القرى في تهامة بنــي شهر وبني عمرو من منطقة عســير. ومن يتجول في انحاء بــلاد تهامة والسراة فسيرى الكثــير من القرى الأثرية والتراثية المندثرة التــي تستحق رعاية كبيرة فيعاد ترميمها، وتوظيف استخدامها في مسيرة التنمية السعودية الحديثة . (ابن جريس) .

هـ - الاستفادة من التقنية الحديثة في توثيق القرى الأثرية واستخدام التصوير الجوي والمسح ثلاثي الأبعاد لإنشاء نماذج رقمية للمباني القديمة. وإنشاء مواقع إلكترونية وتطبيقات تفاعلية لعرض المعلومات التاريخية والثقافية .

و - أرجو من جامعاتنا المحلية ممثلة في أقسامها الأكاديمية ، ومراكزها البحثية، وطالباتها وطلابها وأساتذتها أن تلتفت لتاريخ وتراث تهامة، فهو غير مخدوم علمياً وبحثياً وتحليلياً. والأمل في هذه المؤسسات العلمية والأكاديمية أن تدعم وتشجع مجالات العلم والبحث في الأجزاء التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى بلاد جازان، وهي وأيم الله تستحق، وفيها موروث حضاري مدفون وسطحي جدير بالرعاية والدعم والاهتمام.

٦- بعض المصادر والمراجع :

أ- المشاهدات والزيارات الميدانية :

١- زيارة لقرية عنقة صيوي وقرية صيوي التراثية برفقة الزميل الأستاذ أحمد بن معيض آل صيوي الشهري في يوم الأربعاء الموافق (٢٠/شعبان/ ١٤٤٦هـ).
٢- زيارة ميدانية لقرية فلعة بتاريخ (٢٨/ شعبان/ ١٤٤٦هـ).

ب - المقابلات الشخصية.

١- مقابلة شخصية مع الزميل الأستاذ أحمد بن معيض آل صيوي الشهري، من مواليد القرية في عام (١٣٩٧هـ) نشأ في كنف والده، ودرس في ابتدائية الكواكبي بصيوي، ثم متوسطة ختبة، وأكمل المرحلة الثانوية، وواصل مسيرته العلمية، وكان من أوائل المتخرجين من قسم اللغة العربية في جامعة الملك خالد بأبها عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) بعد أن تم تأسيسها على يد الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رَحِمَهُ اللَّهُ - عندما زار المنطقة في عام (١٤١٨هـ) وهو ولياً للعهد. ويتميز الأستاذ أحمد بفصاحة اللسان، وحسن الأدب، وكرم الضيافة، وهو الآن رائداً للنشاط في ثانوية صقر قريش وعضواً في فرع اللجنة الثقافية والاجتماعية بمحافظة المجاردة.

٢- مقابلة مع العم عبد الرحمن بن حسن عبد الله الشهري. من مواليد قرية صيوي عام (١٣٦٤هـ)، تربى في كنف والده والتحق بالدراسة في كتاتيب مدارس القرعاوي في بداية الثمانيات من القرن الهجري الماضي، عمل في القطاع العسكري، وشارك مع القوات السعودية في حرب النكسة العربية عام (١٩٦٧م)، وعاش في دولة الأردن

قرابـة العشر سنوات ثم عـاد إلى أرض الوطن واستمر في الوظيفة حتى أحيل إلى التقاعـد وهو رجـل فاضل ذو خلق رفيـع وكرم ضيافة من أعيـان قبيلة صيوي في وقتنا الحاضر.

٣- مقابلة مع عبدالله حسن عبدالله الشهري. من مواليد قرية صيوي عام (١٣٧٠هـ) التحق بالمدارس الحكومية في عام (١٣٨٨هـ) وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاما في مدرسة الخالدية بخميس مشيط، عمل في القطاع العسكري برتبة عريف كاتب في القـوات البرية، ثم حالفه الحـظ وألتحق بدورة المرشحـين الخامسة للضباط في معهـد مدرسة سلاح المشاة وحصل على رتبة مـلازم عام (١٤٠٤هـ) تدرج في الرتب العسكرية حتى أحيل إلى التقاعد على رتبة رائد في عام (١٤١٩هـ) .

٤- عبـدالله بن محمـد أبو عفار: مـن مواليد عـام (١٣٦١هـ) في قريـة صيوي تعلم في مدارس القرعـاوي، وفي سن الثامنـة عشر من عمره سافـر الى الطائف عام (١٣٨١هــ) والتحق بوظيفة سلاح الفرسان، ذهب إلى الأردن في مساندة الجيش العربـي الأردني ضـد الاحتلال الإسرائيلـي عـام (١٩٦٧م)، واستمر في وظائف عسكرية متعددة حتى أحيل للتقاعد في عام (١٤١٢هـ) برتبة وكيل رقيب .

٥- محمـد قليل غـرم الشهري. مـن مواليد قرية صيـوي في عـام (١٣٦٤هـ) التحق بالدراسة بعد حصوله على الوظيفة العسكرية في قطاع المدفعية (١٠٥) بمحافظة شرورة، كان من ضمن من ذهب إلى سوريا عام (١٣٩٣هـ)، ثم تقدم بطلب فصل، وحصـل ذلك ثم أعيد في وظيفة عسكرية أخـرى بالقوات الجوية عام (١٣٩٥هـ) ومكث بها حتى أحيل إلى التقاعد عام (١٤١٥هـ) .

٦- معيضـ محمد مرعي آل صيوي الشهري. من مواليد قرية صيوي عام (١٣٦٤هـ)، التحق بالوظيفة العسكرية في عام (١٣٨٦هـ) في قطاع الجيش بمنطقة تبوك، وعمل باللـواء الحادي عشر بدولة الأردن لمدة تسـع سنوات وعشرة أشهر، ثم عاد وانتقل بأهله إلى مدينـة الرياض وعمل في مكتب قائد القوات البرية عام (١٣٩٦هـ) لمدة سبعة عشر عاماً حتى أحيل إلى التقاعد برتبة رقيب أول عام (١٤١٣هـ).

٧- سالم سعيد علي الشهري. من مواليد قرية صيوي عام (١٣٦٣هـ). عمل في الرعي، والزراعة، ولم يتلقى التعليم بسبب انشغاله في أمور الحرث، والرعي وغيرهما .

٨- سـالم أحمـد محمد الشهـري. من مواليـد قرية صيـوي عام (١٣٦٦هــ) التحق بالدراسـة بعد الحصول على الوظيفـة العسكرية في دولة الأردن عام (١٣٨٣هـ)،

وحصل على شهادة الثانوية العامة، واستمر في وظيفته (٥٣) سنة منها عشر سنوات في دولة الأردن الشقيقة، وعشر سنوات في محافظة شرورة، وهي منطقة حدودية تعادل خدمة السنة فهي بخدمة سنتين فيما سواها من المدن والمحافظات. وباقي الخدمة بين مناطق المملكة الداخلية.

٩- عبدالله محمد عبده الشهري، وكنيته أبو رياض، من مواليد قرية صيوي عام (١٣٨٣هـ)، وألتحق بالتعليم الحكومي بمدرسة الكواكبي بصيوي بعد أن تأسست في عام (١٣٩٣هـ)، وحصل على الشهادة الابتدائية، وألتحق بمتوسطة سبت ختبة، ثم التحق بمعهد إعداد المعلمين بالمجاردة لمدة سنتين، وانتقل إلى السلك العسكري في القوات البرية سلاح المدفعية، وخدم في جميع مناطق المملكة لمدة ثلاثين عاما وأحيل إلى التقاعد برتبة رئيس رقباء عام (١٤٣٥ه).

١٠- عبدالله قليل غرم الشهري. من مواليد قرية صيوي عام (١٣٨٦ه) كان من طلاب مدرسة الكواكب في زمن افتتاحها في بيت شخص يقال له سالم بن حمودي عام (١٣٩٣هـ). التحق بالوظيفة العسكرية برتبة وكيل رقيب وتدرج في سلم الترقية حتى صدر مرسوم ملكي بترقيته إلى رتبة ملازم ثم ملازم أول وأحيل إلى التقاعد بعد خدمة (٣٢) سنة تقريباً.

١١- عبدالله سالم عبده آل صيوي الشهري. من مواليد القرية عام (١٣٨٣هـ) درس الابتدائي في مدرسة الكواكبي، ثم التحق بالقطاع العسكري عام (١٣٩٩هـ) في المنطقة الشرقية، واصل دراسته للمرحلة المتوسطة، ثم ترك العمل العسكري، وانتقل إلى العمل المدني بفرع وزارة الأوقاف بالمجاردة ومازال بها حتى يومنا هذا، وهو من بيت مشيخة آل صيوي ومن أعيان القبيلة.

١٢- تواصل الباحث مع الأستاذ علي يحيى علي العمري هاتفياً، وعن طريق مراسلات تطبيق الواتس أب، ونقل المعلومة عن كل من علي أحمد عبدالله العمري من مواليد قرية آل فلعة بني عمرو بتاريخ الميلاد (١/٧/ ١٣٧٤هـ)، وكانت نشأته في نفس القرية ثم التحق بالعمل العسكري، واستمر به حتى تمت إحالته إلى التقاعد من قطاع الحرس الوطني. وكذلك الأستاذ علي عبدالله محمد العمري من مواليد قرية آل فلعة بني عمرو عامٍ (١٣٩٠هـ)، كانت نشأته في قريته ثم أكمل دراسته الجامعية ويعمل حالياً في وظيفة محضر مختبر في ثانوية صقر قريش بالمجاردة، أما الأستاذ علي يحيى علي العمري فمن مواليد مدينة الخبر عام (١٣٩٧/٨/٢هـ)، نشأته بالمنطقة الشرقية حي الثقبة وبعد المرحلة الابتدائية

انتقـل مع أسرتـه إلى قرية آل فلعة الحديثـة نظرًا لتقاعد والـده، وأتم المرحلتين المتوسطـة والثانويـة في محافظة المجاردة ثم حصل على درجـة البكالوريوس من كلية المعلمين بالقنفذة والماجستير من جامعة الملك خالد بأبها، ويعمل حاليا معلما في مدرسة ابن الأثير الابتدائية بالمجاردة.

ج. اطلعت على بعض المصادر والمراجع وأدرجت أسماء بعضها في حواشي الدراسة.



خامساً : صفحات مختصرة من تاريخ بلّسمر الحديث في الرسائل المتبادلة بين ابن جريس ومنصور بن حصان. بقلم . أ. منصور بن حصان الأسمري [١]

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مدخل.	٩٩
ثانياً :	لمحة من تاريخ بلّسمر الحديث في مدونة منصور بن حصان الأسمري.	١٠٥
ثالثاً :	خلاصة رأي ووجهة نظر.	١١٥

أولاً : مدخل[٢] :

مـن خلال عملـي في القراءة والبحـث والتأليف حـوالي خمسين عامـاً، وجدت أن صناعة التاريخ الحديث والمعاصر ليس أمراً سهلاً، وبخاصة من يسعى إلى استنطاق أو استكتاب رواة سمعوا أو عاصروا بعض الأحداث التاريخية . وهذا منهج عرفته ومارسته وجربته مع عشرات الأعلام الذين اجتهدت في استكتابهم عن تاريخنا المحلي في المملكة العربية السعودية، وقد نجحت أحياناً ، وأخفقت وفشلت في أوقات ومحاولات أخرى[٣] .

نجهل الكثير من تاريـخ وحضارة بلادنا وبخاصة الريفية أو البعيدة عن الحواضر الرئيسية في المملكة العربية السعودية. وبلاد تهامة والسراة، الممتدة من الطائف وجنوب مكـة المكرمة إلى جازان ونجران من الديار التي مازال الكثير من تراثها وتاريخها غير مكتـوب أو معـروف. وهـذه الأوطان نفسهـا ليست متساويـة في معرفـة تاريخها المبكر والمتأخر، بل بعض النواحي أفضل من غيرها[٤] .

---

(١) الأستـاذ منصور بن حصان الأسمري من مواليد آل عطيفـة في مركز اثنين بلّسمر بمنطقة عسير، حصل علـى الشهادة الثانويـة ، ثم عمل في القطاع العسكري حوالي ثلاثة عقود ونصـف، ويعيش حالياً في مدينة الرياض، علـى قدر كبير من الأخلاق الطيبـة والصفات الحميدة، وله خط جميل، وقد سألته كيف تعلم ضبـط وجمال الكتابة، فقال: إننـي احب الكتابة باليد، وأحرص أن يكون خطـي جميلاً ، وواصلت ومازلت أمارس الكتابة اليدوية، واجد في خط اليد وسيلة للتعبير عن أفكاري ومشاعري ، واعتز بهذا الفن الأصيل الذي يعكس جزء من شخصيتي وهويتي. (ابن جريس).

(٢) هذا المدخل من إعداد صاحب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ، (ابن جريس) .

(٣) مـن يطلـع على مؤلفاتـي وأبحاثي المطبوعـة والمنشورة، ومن ينظـر في رسائلي ووثائقـي الخاصة فسيجد عشـرات المدونات والخطابات التي أرسلتها إلى مؤسسات رسمية وأهلية عديدة، وإلى الكثير من الأساتذة والأعلام السعوديين وغيرهم بهدف جمع مواد علمية تاريخية وحضارية عن عناوين ومجالات وموضوعات كثيرة ومتنوعة. وقد حققت بعض النجاحات في هذه المنهجية، وأحيانا كثيرة بذلت جهوداً كبيرة لكنني لم أستطع تحقيق أي نتائج إيجابية . (ابن جريس) .

(٤) نعـم المدن والحواضـر الكبرى مثـل: الطائف، أو القنفـذة، وبيشة، والباحـة، والنماص، وأبها، وخميس

بـلاد بلَّسمر التي ينتسـب إليها الأستاذ منصور بن حصـان جزء من بلاد الحجر (بلَّحمـر، وبلَّسمـر، وبني شهـر، وبني عمـرو) التابعة لإمـارة منطقة عسـير، والديار الأسمريـة (بادية، وسراة، وتهامة) بين بلاد بلَّحمر مـن الجنوب، وقبيلة بني شهر من الشمـال، وبلاد شهـران من الشرق، وبعض الأجزاء التهامية مـن الغرب. هذه الناحية مأهولـة بالسكان، وأرضها جيدة وغنية بمواردهـا الطبيعية، لكنها مازالت من المناطق التـي لا يُعرف الكثـير من تاريخها. ومن نهاية القرن الماضـي (١٤هـ/٢٠م) وأنا أجتاز هـذه الديار وأزور بعض معالمهـا الجغرافية، وأوصي أعلامهـا المتعلمين بدراسة تراثها وتاريخهـا وحضارتهـا، لكنني للأسف لم أجد من أهلها مـن يتجاوب أو يتفاعل مع هذا النـداء، وآمـل أن نرى في قادم الأيام من بناتها وأبنائهـا الدراسين والباحثين من يهتم ويلتفـت لشيء مـن موروثها الحضـاري ثم يُدرس ويوثـق في عدد من الأعمـال العلمية الجادة والرصينة[١].

لا أعـرف الأستاذ منصـور بن حصان الأسمري، ولم يسبق أن قابلته، لكنني رأيت لـه الكثير من المشاركات العلمية القيمـة في بعض وسائل التواصل، عندئذ اتصلت عليه هاتفيـاً، وتحدثنـا في الفقر العلمي الذي تعانيه بعض الأوطـان، ومنها بلاًده (بلَّسمر)، واتفـق معـي فيمـا قلت، ثم طلبت منـه أن يوثق لنا مـا يعرفه عن أهلـه ووطنه (مركزِ اثنـينِ بلَّسمـرٍ)، فقال: أنـا لست متخصصاً، وليسـ عندي القـدرة أن أكتب لك عملاً جـاداً ورصيناً، لكنني طلبتـه ورجوته أن يدون ما يستطيـع، وأرسلت له بضعة خطابات أحثـه علـى الكتابة في نقاط محـددة[٢]، وكان كل مـرة يعتذر ومـتردداً في تلبية طلبي، ومـع إلحاحي وتكرار الطلب تجاوب وأرسل لي بعض الشذرات في موضوعات عديدة[٣]. بـل اتصل ببعض الأعلام والدراسين الذي يحملون درجـات عالية وطلب منهم التعاون معـي، وتدويـن شيء من تاريخ وحيـاة النـاس في الديار الأسمريـة، لكن للأسف كل من

مشيـط، ونجران، وأبوعريش، وجـازان، وصبيا لها بعض التاريخ الموثق في مصـادر ومراجع مختلفة. أما البلدان الريفية والنائية فالأعمال المدونة عنها قديماً وحديثاً قليلة أو لا توجد، (ابن جريس).

(١) هـذا النـداء كتبتـه وقلته وأرسلتـه لكثير مـن الأماكن وأربـاب القلم وصناع القـرار في أرجـاء السروات وتهامـة، لأنني عرفـت وتأكدت أن هذه الأوطـان مازالت غير مخدومة في مجال التوثيـق والبحث العلمي، مـع أنها مناطق ذات تاريخ قـديم وإسلامي مبكر ووسيط وحديث ومعاصر، وعلى مؤسسات التعليم العالي والمتخصصين أن يبادروا في خدمة تراثها، وهي جديرة بذلك لعراقة تاريخها وحضارتها. (ابن جريس).

(٢) انظر بعض نصوص الخطابات التي أرسلت له في فقرات تالية من هذه الورقة.

(٣) لقد شذبتها وحذفت بعضها ثم نشرتها في صفحات تالية من هذا البحث المختصر، أرجو من أعلام بلَّسمر أن لا يتقاعسوا في توثيق أو دراسة تراثهم وتاريخهم المحلي.

اتصل بهم لم يتفاعلوا ولم يتجاوبوا مع دعوته وطلبه[1]، أول رسالة أرسلتها له بتاريخ (١٤٤٥/١٢/٢٤هـ) قلت له فيها:

أخي العزيز الأستاذ/ منصور بن حصّان الأسمر الموقر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

أرسل إليكم هذه الرسالة وأهديكم سلامي، وأشكركم على المدونة التي أرسلت لي عن مواضع في سروات بلّسمر، وطلبت منكم وقتها أن تدون لي مذكرة تفصيلية عن جوانب عديدة في ديار بلّسمر (بادية، وسراة، وتهامة) وأبديت استعدادك، وذكرت لك أنني سوف أرسل لك بعض النقاط التي تهتدي بها أثناء توثيق ما تراه. وهذه المحاور التي وعدتك بها على النحو الآتي:

١- أرجوك أرفق مع المذكرة السابقة خطاب في سطور معدودة تذكر فيه موافقتك نشر تلك المذكرة، كما أرجو أن تكتب تاريخ المذكرة السابقة، والخطاب الذي سترفقه معها، ثم ارسل لي الأصل مع مادة المذكرة الثانية والتي ستكون مادتها عن عموم بلّسمر.

٢- أرجو أن توثق من المشاهدة والذاكرة التغيرات الجغرافية التي جرت على ديار بلّسمر خلال الستين سنة الأخيرة، من حيث التضاريس، والمناخ، ومصادر المياه والأمطار، والحيوانات، والنباتات. واحرص على ذكر السلبيات والإيجابيات.

٣- حبذا أن تكتب الذي تقدر عليه عن التركيبة البشرية لبلاد بلّسمر من ثمانينات القرن الهجري الماضي، مع الإشارة إلى الأجناس الوافدة إلى البلاد، وآثارها سلباً وإيجاباً.

٤- أخي اكتب المستطاع من التاريخ الاجتماعي في عموم بلّسمر، خلال السبعين سنة الماضية (١٣٧٥-١٤٤٥هـ/ ١٩٥٥-٢٠٢٤م). ومحاور هذا الباب كثيرة، وأذكر لك بعضها: الأسرة وأحوالها، القرى، والعشائر والقبائل، طبقات المجتمع، العمارة، الطعام والشراب، اللباس والزينة، الأعياد، مناسبات الزواج، والمآتم، والأعراف

---

(١) للمزيد عن دعوته وطلبه انظر خطابه المرسل بتاريخ (١٤٤٦/٣/١٣هـ) إلى بعض الأعلام المتعلمين الأسمريين يرجوهم أن يتعاونوا معي، منشور في كتاب (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (الجزء الثلاثون)، ص٦٦٠. وانصراف الناس عن الاهتمام بتوثيق شيء من تراث وتاريخ بلادهم وأهلهم يكاد يكون سائداً في كل مكان، وهذا الذي عرفته ومازلت معاصراً لهذه المشكلة حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

والعادات والتقاليـد التي تتذكرها، الألعاب الرياضية، الفنون الشعبية، اللهجات، الصلات الاجتماعية، الجوار، السماوة، وأي جزئية يمكن إضافتها في هذا الميدان.

٥- تعلـم أن الحيـاة الاقتصاديـة واسعـة ومتشعبـة ، دون الـذي تعـرف مـن نهايـة السبعينيـات في القرن الهجري الماضي، مثل: (١) حياة الصيد،(٢) الرعي،(٣) الجمع والالتقاط.(٤) الزراعة ظروفها، أنواع الأراضي، طرق الزراعة والحصاد، الأدوات والمصطلحـات المستخدمة في مجال الزراعـة، المحاصيل وأنواعها، طرق الري، ومعوقات الزراعة.(٥) الحـرف والصناعات المحلية: الحدادة، الصياغة، الدباغة والخرازة، الخياطة، الصباغـة، النجارة، حرف البناء، ونقل الأغراض، والحلاقـة، والختان، ووو ... الذي تعـرف.(٦) التجارة مثل: الأسواق الأسبوعية واليوميـة، الصـادرات والـواردات، الأسعـار، التعامـلات التجاريـة التـي رأيتها وتتذكرها، (٧) المقومات والمعوقات التي واجهت الحياة الاقتصادية.

٦- الحيـاة العلمية والتعليمية والثقافية، والفكريـة، مثل الكتاتيب القديمة، والمدارس النظامية من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن، وأحوال المدرسين والمدرسات المتعاقدين والسعوديين، مقررات التدريس(المدارس)، الأنشطة التعليمية في الديار الأسمريـة، الدعـوة والتعليـم الديني، التعليم العـام، التعليم التقنـي والجامعي، الذكريـات التـي رأيتهـا وعرفتها مـع التعليـم، والأنشطـة الثقافيـة ومصادرها والقائمين عليها، هل هناك أفكار دخيلة عرفتها بلاد بلّسمر، وكل جزئية تستطيع رصدها ولها علاقة بالحياة الثقافية والتعليمية.

٧- أرجـو تدويـن أي شيء يمكـن معرفته وله صلـة بالتنمية الحديثة في بـلاد بلّسمر إداريًّـا وسياحيًّـا، وجغرافيًّا، وبشريًّا. كما أرجو توثيـق النقص في الخدمات التي تعاني منه بلاد بلّسمر مع توضيح كل نقطة بشكل منفصل.

٨- بـلاد بلّسمر جزء مـن منطقة عسير، ومن المملكة العربيـة السعودية، والكثير من بناتهـا وأبنائها ذهبوا إلى أمكنة عديدة داخل المملكـة العربية السعودية من أجل الدراسة أو الوظيفة. ومن المؤكد أن هنـاك تأثير إيجابي على الأسمريين في بلادهم أو خارجها. أرجوك يكون لك كلمة مطولة في هذا الباب.

٩- لاحظـت النقص الكبير الذي تعاني منـه الديار الأسمرية من حيث كتابة تاريخها وحضارة أهلها. أرجوك يكون لك حديث في هذا الباب، ما هي الأسباب؟، وماهي الحلول؟، وما هي الجوانب المهمة التي يجب بحثها ودراستها؟

١٠- أرجوك ابتعد عن الكتابة عن نفسك، لانني سوف أدون لك سيرة مختصرة مع مدونتك عند نشرها .

١١- أرجوك وثق كلامك ببعض المصادر المكتوبة إذا توفرت ، أو الوثائق، أو الروايات والأشعار الشفهية.

١٢- قد يكون عندك بعض الصور القديمة التي تدعم بها بعض توثيقاتك أرجو إرفاقها مع مدونتك. كما أرجوك أن تكتب توثيقاتك بخط اليد وتكون الكتابة بالخط الأسود حتى تكون واضحة إذا طبع العمل ونشر.

١٣- إذا عندك أي سؤال أرجو أن تتصل على محبك وسوف أوضح لك المطلوب. وأرجوك أن تحتسب هذا العمل خدمة لدينك وبلادك وأهلك . وقد تشجع غيرك على كتابة أي شيء من تاريخ بلادك. وذلك بعد نشر مذكرتك ضمن كتاب أو عمل علمي جاد.

١٤- ربما هناك نقاط لم أذكرها وتتذكرها فأرجوك توثيقها. كما أرجو أن يكون حديثك عن عموم بلّسمر، ومن المشاهدات، والتجارب، والذكريات، ولا يمنع أن تستفيد من غيرك قبل أو أثناء كتابة ما تقدر عليه. وأسأل الله لك التوفيق والسداد. المرسل محبكم غيثان بن علي بن جريس الأحد (١٤٤٥/١٢/٢٤هـ الموافق ٢٠٢٤/٦/٣٠م) .

بعد الخطاب المذكور أعلاه تجاوب معي الأستاذ منصور وكتب لي بضع صفحات، لكنها لم تكن مرتبة حسب النقاط التي أرسلت له، ووجدت فيها بعض الشذرات العلمية التي تعكس جزئيات من تاريخ سروات بلّسمر وبخاصة حاضرة المركز (اثنين بلّسمر)[١].

عندما وصلتني مدونته الأولى، سعيت إلى طلبه في كتابة المزيد في نقاط محددة، وكتبت له الرسالة الثانية بتاريخ (١٤٤٦/٢/١٤هـ) ، قلت له فيها: أخي الحبيب الأستاذ منصور بن حصان الأسمري الموقر. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: أرسل لكم هذه الرسالة، وأخبركم أن مدوناتك عن بلادك (بلسمر) وصلت واستمتعت

(١) أشكر هذا الأستاذ الأسمري الذي تجاوب معي من باب الرغبة في خدمة بلاده وأهله، وأيضاً مجاملتي في توثيق بعض المعلومات لكثرة اتصالي به وحثه على التعاون معي. وللأسف إن في كل ناحية من بلادنا أساتذة يحملون مؤهلات عالية، لكنهم غير مثمرين ولا راغبين في خدمة بلادهم من خلال مجالاتهم وتخصصاتهم العلمية والأكاديمية .

بالاطـلاع عليها، أرجو من سعادتكم أن تدون ما تستطيع في النقاط الآتية: (١) الفنون الشعبيـة والرياضيـة التي عرفتها وعاصرتهـا في سروات وتهائم بلّسمـر. كما أرجو أن تفصـل الحديـث عن كل فـن طربي أو نشـاط رياضي مع ذكر أمثلـة. وكذلك تحث من يستطيـع المساهمة معنا في تدوين صفحات مـن تاريخ وحضارة بلادكم. (٢) يوجد في بـلاد الحجر، ومنها بلّسمر لهجات محلية، وأحاجي، وحكـم، وألغاز. إذا تكرمت تكتب لنـا لمحـات من هذا الجانب المعرفي، وأرجو أن تسأل من يعرف شيئاً في ذلك، وتوثق لنا مدونـة كاملة مترابطة في هذا المحـور، والعنصر الذي سبقه وشكـراً. المرسل محبكم: غيثان بن علي بن جريس (١٤٤٦/٢/١٤هـ)[١].

لم يتأخر عليَّ، الأخ منصور وكتب لي مقتطفات في النقاط التي طلبتها، لكنها لا تخلو مـن التكرار، وبعض معلوماتها وردت في المدونـة الأولى. وكان كل مرة يرد على خطابي ويسجـل بعض المعلومات ويرسل أيضاً خطاباً شخصيـاً يذكر فيه تجاوبه واعتذاره على القصور ومحدودية المادة المرسلة[٢].

أرسلـت له خطاباً ثالثاً بتاريـخ (١٤٤٦/٢/٢٩هـ) شكرته على لطفه وحسن تعامله وتعاونه، وطلبت الكتابة في عناصر محدودة، وكان نص رسالتي كالآتي: « أخي المفضال الأستـاذ/ منصـور بن حصـان الأسمـري حفظه الله تعـالى. السـلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه وبعـد: أشكركم على صبركم عليَّ، وتعاونكم معـي في توثيق صفحات من تاريـخ وتراث بلاد بلَّسمر (تهامة وسـراة، وبادية)، وإلحاقاً لبعـض النقاط التي سبق إرسالهـا لكم، أضيف في هذا الخطاب عنصريـن آخرين هما: (١) دونت لي إلى الآن (١٤٤٦/٢/٢٧هـ) ثلاث مدونات، اثنتان استلمتهما، والثالثة تصل قريباً. وأرغب منكم في هـذه المدونـة (الرابعة) أن تؤرخ لبعـض العادات الاجتماعيـة الأسمرية، مثل: هيئة اللباس والزينة عند المتقدمـين والمتأخرين، وكذلك الأطعمة والأشربة، مع عمل مقارنة بـين حيـاة السابقين واللاحقين في هـذا الميدان. كذلـك ما تعرفه مـن تقاليد وعادات وأعـراف قديمـة ومـاذا جرى عليهـا في وقتنـا الحاضر، ومن تلـك التقاليـد: التعاون والتكافل، والجيرة والجوار، والمناسبات الاجتماعية المتعددة. (٢) الصلات الاجتماعية بين الأسمريين (بادية، وسراة، وتهامة) كالمصاهرة، والتحالفات، والتشارك في قضايا

---

(١) يوجد نسخة من هذا الخطاب ضمن وثائق غيثان بن جريس الخاصة الموجودة في مكتبته العلمية.

(٢) شكـر الله لك يا أستـاذ منصور الأسمري لقد كنت متعاوناً معي، وبذلت الذي في وسعك. وبلادكم مازالت جديـرة بالتوثيـق والعمـل العلمي الجاد، وأسـأل الله أن يسخر لها مـن أبنائها من يخدمهـا علمياً وبحثياً وتوثيقيـاً. وجميع خطابات الأستاذ منصور الشخصية توجد ضمن وثائق الدكتور غيثان الخاصة، وسوف تنشر في إحدى المجلدات القادمة من كتاب (غيثان بن جريس في رسائل معاصريه). (ابن جريس).

اجتماعية عديدة. كذلك علاقاتهم مع جيرانهم من القبائل والعشائر. وجزاكم الله كل خير. المرسل محبكم. أ. د. غيثان بن جريس. أبها ـ السعودية. (الإثنين ٢٩/٢/١٤٤٦هـ الموافق ٢/٩/٢٠٢٤م)»[١].

(*) بعد أن اجتمع عندي عدة مدونات للأستاذ منصور، اتضح لي أمور عديدة، أذكر منها:

١- جمال خط الأستاذ ابن حصان، مع أنه لا يحمل شهادة عالية، لكنه، حسب قوله، تعلم جودة وجمال الخط منذ صغره[٢].

٢- كان يجتهد ويبذل ما في وسعه بهدف تزويدي بالمادة العلمية التي طلبتها، لكن عدم خبرته العلمية والبحثية لم تساعده في كتابة مدونات وافية ومتكاملة ومترابطة، وكثرة التكرار فيما تم رصده، والحقيقة أنني أشكره على كل ما قدم لي، وأسأل الله ألا يحرمه الأجر. وأرجو أن عمله الذي قدم يشجع بعض الأساتذة الأسمريين المتخصصين إلى توثيق دراسات علمية رصينة وجادة عن الديار الأسمرية وأهلها، وهي جديرة بذلك[٣].

ثانياً: لمحة من تاريخ بلّسمر الحديث في مدونات منصور بن حصان الأسمري[٤].

وصلتني مجموعة مدونات من الأخ منصور، دونها من خلال المحاور التي سجلت له في الخطابات السابقة، وبعد الاطلاع على كل ما وصلني اخترت لمحات من هذه التوثيقات، ثم راجعتها وأضفت بعض الشروحات والتوضيحات في الحواشي، وآمل أن يكون في هذا المنجز المختصر فائدة وإشارات تساعد الباحثين الذين قد يؤرخون للديار الأسمرية (بادية، وسروات، وتهامة)[٥].

---

(١) يوجد نسخة من هذا الخطاب ضمن وثائق غيثان بن جريس الخاصة، وهي محفوظة وجميع خطابات الأستاذ منصور الشخصية، وسوف تنشر في إحدى المجلدات القادمة من كتاب (غيثان بن جريس في رسائل معاصريه). (ابن جريس).

(٢) عرفت ورأيت نماذج كثيرة من خطوط الطلاب والمتعلمين الأوائل، فوجدتها جيدة وجميلة. وعملت في الجامعة حوالي (٤٥) سنة، وقليلاً نرى من المتعلمين المتأخرين أصحاب خطوط جميلة مقارنة بالمتعلمين الأوائل، الذين بدأوا حياتهم العلمية والتعليمية من ستينيات وسبعينيات القرن الهجري الماضي. المصدر: مشاهدات الباحث ورحلته العلمية والعملية (١٣٩٠ـــ١٤٤٥هـ/١٩٧٠ـــ٢٠٢٤م). (ابن جريس) .

(٣) أرجو من كل مقتدر علمياً أن يوثق شيئاً من تاريخ وتراث وحضارة بلاده، كل حسب جهده ومقدرته العلمية والثقافية . (ابن جريس).

(٤) انظر نبذة مختصرة من سيرته في بداية هذه الورقة. (ابن جريس) .

(٥) أقول إن ديار بلّحمر وبلّسمر مازالت فقيرة في مجال التوثيق والرصد العلمي البحثي الجاد، أرجو أن نرى من أبناء هذه الديار من يدرس ويوثق صفحات من تراثها وحضارتها عبر أطوار التاريخ. (ابن جريس).

١ـ بلّسمر:

قبيلــة بلّسمر أحدى القبائل العربية العريقة التي تعود أصولها إلى حجر بن الهنوء بــن الأزد، وتسكــن سلاسل جبال الســروات، وتمتد أرضها من قمــة شعف بيحان حتى مشــارف تنومــة. ويقال أن نسب أبناء قبيلة بلّسمر يعود إلى إدريس عليه السلام، وهذا النسب العريق يضفي على القبيلة هالة من القدسية والتاريخ العريق(١).

تتميز قبيلة بلّسمر بعدة خصائص جعلتها من القبائل البارزة في المنطقة في الوفاء بالعهــد والوعد، وهذه سمة أساسيــة في الشخصية الأسمرية، ففيهــا يتم احترام كبار السن والاستفادة مــن خبراتهم وحكمتهم في حل النزاعات وتقديم النصائح، وعندهم قيم ومعتقدات تحكم العلاقــات والعمل الجماعي. أما الصلات الاجتماعية فهي شبكة متينــة في حيــاة النــاس اليومية، وتربــط الأسر بروابــط قوية من النســب والمصاهرة، وتجــد السكان يتبادلون الزيارات والمساعدة فيمــا بينهم، ومن ذلك الزواج الذي يعتبر عقــداً اجتماعياً يزيد من قوة العلاقات بين العائــلات والقبائل، وتوفر الصلات الدعم الاجتماعــي والعاطفي للأفراد في أوقات الشدة، والحفاظ على الهوية الثقافية والتراث الأسمــري، والتعاون في مختلــف المجالات وتشتهــر بلّسمر بالضيافــة والكرم حيث يتم تقديم أشهر المأكولات الشعبية للضيوف والزوار(٢).

٢ـ كلمة موجزة عن المناخ وبعض الآثار في بلّسمر:

يختلف المناخ تبعا لاختلافات التضاريس ففي المرتفعات يكون الجو بارداً في الشتاء ومعتــدل في الصيــف. أما المنخفضــات الشرقية وتهامة فالمناخ حــار في الصيف، دافئ شتــاءً، ومنطقة الأصــدار يكون مناخها معتدل في الصيف والشتــاء(٣). وتعتبر الآثار في

---

(١) الأخ ابــن حصــان أشار إلى معلومــات محدودة جداً عن جغرافية وحدود بلّسمر، مــع أنها ديار تمتد في كل الاتجاهــات عشــرات الكيلومترات. ثــم ذكر أنها تنتســب إلى إدريس عليه السلام، وهــذه معلومة لا يمكن الأخذ بها، لأننا لا نملك مصادر صحيحة وموثوقة تؤكد هذا القول. ومازالت جميع قبائل السروات وتهامة تحتاج مزيداً من البحث الجاد وبخاصة في أصولها وأنسابها. (ابن جريس).

(٢) إن كلام هذا المدون عام، فذكر بعض المعلومات العامة التي قد تكتب عن أي ناحية أو قبيلة في بلاد تهامة والسراة، وكنت أتمنى أن الأستاذ منصور وثق جزئيات تاريخية حضارية عرفت بها الديار الأسمرية في القرون والعقود الماضية، أو في وقتنا الحاضر. وهناك الكثير من الجوانب التاريخية الاجتماعية الموجودة قديماً وحديثاً عند الناس، ونتطلع في قادم الأيام إلى من يكتب لنا في موضوعات محددة ودقيقة في هذه الديار الجنوبية السعودية. (ابن جريس).

(٣) غفــر الله لــك يا ابن حصان، تمنيــت إنك أسهبت الحديث عــن جغرافية بلّسمــر (تضاريسها، ومناخها، ومواردها الحيوانية والطبيعية). وكل هذه الموضوعات تستحق أن تدرس في أعمال علمية كبيرة وتفصيلية. (ابن جريس)

بلاد بني الأسمر ذات أهمية، ففيها الكثير من الحصون والقلاع القديمة، ومن أهمها حصون وادي حوراء. ويظهر فيها الفن المعماري الهندسي البديع الذي يدل على أن هناك حضارة عريقة وعصر زاهي في عهد بنائها، علماً أنه قد مر عليها بضعة قرون ومازالت شامخة حتى الوقت الراهن، ويوجد أكثر من ثمانية وستين حصناً في منطقة بلّسمر السراة، والحصون منتشرة في معظم قرى بلّسمر، وهناك عدد من الحصون لاتزال ماثلة للعيان وجميعها مهجورة ومندثرة، ولم يبق منها سوى الهياكل الخارجية، وحصن قرية آل عطيفة في بلّسمر تم صيانته عدة مرات ومازال قائماً حتى الآن[١].

ومعظم الحصون تقع في مواقع مرتفعة ولعل السبب في ذلك أمنياً استعداداً لحدوث أي غزو من بعض القبائل المجاورة، وكذلك الابتعاد عن الأودية والأماكن المنخفضة تجنباً للأمطار الغزيرة والسيول الجارفة، ويتم استخدام المواد المحلية للبناء كالطين والحجر والخشب، ومنطقة عياء خير شاهد على هذه الآثار، وبها عدد كبير من القصور والحصون، وهذا يدل على وجود حضارة قديمة في هذا الوادي. ويوجد في الوادي نفسه مقابر مبنية من مئات السنين تسمى (رسوس)، وتلك المقابر ملفتة للنظر فقد أعدت بشكل جذاب وبعناية كبيرة واختير لها مواقع مرتفعة وبنيت بناية خاصة وزخرفت بطريقة عجيبة[٢].

٣ـ مركز الاثنين ببلّسمر، وقرية آل عطيفه :

يوجد في المركز الإدارات الخدمية، وتحيط به قرى قبيلة آل خريم من جميع الجهات، وبه مقر مشيخة بلعذمة التي تتألف من عدة قبائل في السراة وتهامة وهم: سلامان بلّسمر وترجع مشيخة بلعذمة في آل مصعفق توارثوها منذ القدم بداية بالشيخ/ عبدالرحمن بن علي بن مصعفق، وبعد وفاته خلفه ابنه الشيخ/ علي بن عبدالرحمن بن مصعفق، وبعد وفاته خلفه ابنه/ طراد بن علي بن عبدالرحمن بن مصعفق حاليا وذلك بموجب عادة قديمة مدعومة بوثائق ومخطوطات ومشاهد عديدة تم الاطلاع عليها في مكتبة الشيخ/ طراد[٣].

(١) أشرت إلى حصون بلّسمر، ومنها حصن قريتك (آل عطيفة)، وكان الواجب عليك أن تفصل لنا الحديث على الأقل عن الآثار في قريتك ومنها حصن القرية الذي أشرت إليه في مدونتك. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا أخي أن ذكرت بعض الإشارات العامة عن حصون بلّسمر، وعن وادي عياء وما يوجد في هذا الوادي من تاريخ قديم ومتنوع. وأرجو من أساتذة قسم التاريخ والآثار في جامعة الملك خالد أن يخدموا التاريخ الماثل في هذا الوادي، والتراث العمراني القديم في بلاد بلّسمر وفي عموم تهامة والسراة الكثير من الموضوعات المهمة والجديدة التي تستحق أن يكتب فيها عشرات الكتب والرسائل الجامعية. (ابن جريس).

(٣) أشرت إلى شيء من التركيبة القبيلية لآل خريم في اثنين بلّسمر، ومازال هناك قرى وعشائر كثيرة في

مــن قرى اثنين بلّسمر قرية آل عطيفة علــى سفوح جبال السروات بالتحديد شعف قبيلــة آل خــريم، وهي قلعــة حجرية أزديــة شيدت على سفــح جبل تحيط بهــا الأودية الزراعيــة من جهات الجنوب والشرق والشمال، ويحدهــا من الغرب سفح جبال القرن والنافــور والحدب، وتلك معــالم استراتيجية تحمي القرية من الريــاح الغربية الباردة التــي تهب طوال العــام. وتقع القرية بين وديان تجري مياهها طــوال العام، من الشمال وادي العجــام ومن الجنوب وادي الفجير، وهــذان الواديان توجد بهما الغدران والبرك والينابيع وهما مصدر المياه للقرية، كما يوجد بئران تاريخيان هما بئر بن هدية وعليها تقع مزارع عديدة، وبئر المزبر [١].

قريــة آل عطيفــه من القــرى العريقة التي تحمــل في طياتها بعضــ البطولات منذ قيــام الدولة السعودية، وظهر فيها الكثير مــن الأعلام الأبطال/ ومنهم الوالد حصان بــن منصور بن علــي آل عائشــ الأسمري ، والوالــد عوض بن علي الربيــدي الأسمري اللــذان شــاركا في حــرب القهر في جبــال الريث بمنطقة جــازان عندمــا اعتصم أهل تلــك المنطقة بالجبال رافضين الدخــول تحت الحكم السعودي، ونظــراً لوعورة الأرض وصعوبة التنقل بين جبالها الشاهقة ، قامت الدولة بالاستعانة بقبائل المنطقة الجنوبية ومــن ضمنها قبائل رجال الحجــر لتحرير أهل تلك البلاد الجبليــة من الجهل والعداء للدولــة وإدخالهــم تحت سلطة الحكومــة . وفي هذا المضمار يعيد التاريــخ نفسه ويقدم الأبنــاء والأحفاد أنفسهم فــداءً للدين والملك والوطن فهذا البطــل الشهيد العميد ركن طيــار سعيــد بن حمدان الأسمــري ، والبطل وكيل رقيب سعيد بــن عوض الأسمري من أبنــاء القريــة يتعرض للإصابــة في الحد الجنوبي وهو يدافع بكل حــزم وقوة عن وطنه الغالي ومقدساته الشريفة. هذه قريتي ذات الشموخ العالي والنظرة الهادفة للمستقبل المشرق متمثلة في شيوخها كبار السن تواصل الدعم والتشجيع لأبطالها بكل فخر وعزة. وتبــذل جهــود كبيرة في خلــق التنافس الشريف بــين الأبناء والأحفــاد في مواصلة طلب العلــم وتكريم أهله، ففــي كل صيفية نرى احتفال وتكريم لأصحــاب الإنجازات العلمية

أرجــاء الديــار الأسمرية تستحق أن يكتب تاريخهــا . كما أشرت إلى بعض الوثائــق التاريخية التي اطلعت عليهــا، وهنــاك الكثير من المصــادر والوثائق التاريخية عند أسر وبيوتات وأعــلام أسمرية ، آمل أن تجمع هذه الموارد العلمية وتدرس دراسة علمية جادة ونزيهة وحيادية وشفافة. (ابن جريس) .

(١) كذلك يا أخي منصور أوردت معلومات ناقصة وقليلة عن قريتك ، وكان عليك أن تفصل الحديث عن هذه القريــة من جميع الجوانب لأنك تعرف الكثير من تراثها وتاريخها. ونشاهد آلاف القرى القديمة في عموم تهامة والسراة، وبعضها لها تاريخ عريق وقديم، ولا نرى المتخصصين والمراكز البحثية في جامعاتنا المحلية تقدم أي شيء تجاه هذا التراث الحضاري المهم ، الذي اندثر واختفى جزء كبير منه. (ابن جريس) .

والبطولية لخدمة هذا الدين والوطن المعطاء، وكذلك التآخي والالتفاف بين أبناء قريتنا الغالية على قلوبنا، وتلك جهود ملموسة ومشاهدة للجميع(١).

تتكون قرية آل عطيفة من قلعة تضم العديد من المباني المتلاحمة مع بعضها البعض، بارتفاع ثلاثة طوابق يربطها ببعضها ممرات داخلية تسمى (المساريب)، أزقة بعرض ثلاثة أمتار تسير خلالها الجمال بأحمالها، وهناك ممرات أخرى داخلية تربط الجيران ببعضهم تسمى (سراديب)، بعضها طويل وأخرى صغيرة وقصيرة، ويوجد بداخل البيوت مخازن حبوب تسمى (مدافن) يخزن فيها الحبوب لسنوات طويلة، غير المخازن المشيدة داخل الحصون الكبيرة، ويتكون حصن قرية آل عطيفة من ستة طوابق في المدخل الشمالي للقرية، وفي كل طابق من طبقاته الست ثلاث حجر (غرف) كبيرة يوجد فيها مخازن للحبوب وحفظ الأغراض الثمينة، وفي كل غرفة نافذة فتحتها من الداخل كبيرة ومن الخارج صغيرة وضيقة، كان الرماة يستخدمونها أثناء الحروب والغزوات وصد هجمات المعتدين(٢).

وحصن قرية آل عطيفة محصن ببناء ضخم عرض جداره متر وزيادة، وله باب مصنوع من جذوع شجر الغرب الضخم والصلب بعرض نصف متر تقريباً، وله قفلان لا يفتح إلا بوجود مفتاح القفلين، والعادة يكون المفتاحان عند رجلين من رجال القرية، ويجب أن يجتمعان عند الفتح، وفي العصور الأخيرة حينما استتب الأمن في العهد السعودي الحديث اكتفي بمفتاح واحد، وتعرض هذا الحصن لعدة محاولات لفتحه من قبل الحملات العثمانية على منطقة عسير ولم تفلح محاولاتهم ، وهذا مما يتناقله

(١) الذي لفت نظري في مدوناتك أنك تذكر محاور ونقاط مهمة، وكل عنصر تشير إليه يكتب فيه عشرات وربما مئات الصفحات. فحديثك عن قريتك وما جرى على أرضها ومن سكانها من أحداث ونشاطات تاريخية وحضارية متنوعة يستحق التوثيق. ثم إن قريتك ناحية صغيرة من هذه البلاد الواسعة (تهامة والسراة) التي عرفت وعاصرت تواريخ قديمة وحديثة كثيرة، ولا نعرف ولا نجد شيئاً من هذا التاريخ المحلي مكتوباً وموثقاً. وذكرت حروب الريث في عهد الدولة السعودية الحديثة، والتضحيات التي قدمها بعض أبناء بلدتك، فذلك تاريخ عام عرفه وعاصره جميع سكان السروات وتهامة منذ منتصف القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وللأسف لا نجد أي توثيق علمي عن هذا التاريخ الحديث والمعاصر. وآمل من أصحاب الاختصاص وأقسام التاريخ في جامعات الجنوب السعودي أن يخدموا مثل هذه الموضوعات المهمة والجديدة في عناوينه، ويوجد في الأراشيف الرسمية والأهلية الكثير من المصادر الأساسية التي تفيد في إنجار أعمال علمية جيدة. (ابن جريس).

(٢) أشكرك يا أستاذ منصور على هذا الرصد، وأرجوك أنجز مذكرة مستقلة عن قريتك، أدرس ووثق ما عرفته وشاهدته عن هذه البلدة. وآمل أن نرى من أبناء القرى الأخرى من يوثق جزئيات من تراث وتاريخ قراهم القديمة، وللأسف إننا نشاهد مئات القرى في جنوب البلاد السعودية اندثرت، وبعضها اختفت ولا نعرف أي شيء عن تراثها وتاريخها القديم. (ابن جريس).

الآباء والأجداد، وكانت تتم حراسة الحصن في زمن الفتن والخوف، حيث يحرسه رجل في أعلى الحصن من مرصد مخصوص، ومعه حجر كبير يستخدمه عند الحاجة ضد أي شخص معتدي يحاول فتح باب الحص أو العبث به [(١)].

يقع داخل القرية جامع شيد لصلاة الجماعة حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري، كان يظهر عليه أشكالاً عمرانية وهندسية بديعة: مجصص من الخارج، وسقفه من أخشاب مربعة ومنقوشة، ويحيط به ملحق يسمى حرم المسجد يجتمع فيه أهل القرية بعد الصلاة، وضمن مرافقه (التكة) مكان معد لجلوس كبار السن، وفي خارج المسجد من الجهة الجنوبية ثلاثة أحواض مخصصة للوضوء تملأ بالماء يومياً[(٢)].

٤ـ التعليم وطلب العلم في قرية آل عطيفة:

حظي التعليم باهتمام جيد في القرية، من أوائل المعلمين الشيخ عبدالله الملقب (حصَّان) آل حمد(١٣٠٠ـــ ١٣٥٠هـ/١٨٨٢ـــ١٩٣١م) تولى التدريس خلفاً لوالده الشيخ محمد آل حمد، وكان والده رجلاً فاضلاً ذا ديانة وجاه وحلم ملماً بفقه الإمام الشافعي، وكان مفسراً للرؤيا، ابنه الشيخ حصَّان أوقف حياته على التعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتدريسه، وتربية طلابه، والقيام على شؤونهم المعيشية والتكفل بهم، فكانوا يقيمون في داره الكائنة بقرية آل عطيفة غرب سوق الإثنين، ويصرف عليهم ويتنقل بهم بين القرى المجاورة نهاية كل عام دراسي ليطلع الناس على ما تم إنجازه من تعليم لأبنائهم ومقدار ما حصلوا عليه من حفظ القرآن الكريم، وتشجيع الآخرين على ضم أبنائهم إليه. كانت هذه الجولات تؤتي ثمارها ويتسابق الناس على استضافة (المعلامة) أو (المقرأة)/ اسم آخر للكتّاب والإنفاق عليهم وإيقاف الأوقاف الزراعية ومنح الشيخ بعض الهدايا والأعطيات[(٣)].

---

(١) وجدت في عموم تهامة والسراة الكثير من الحصون القديمة التي كانت تستخدم لأغراض عديدة، ونشرت بعض الدراسات المختصرة، إلا أن تاريخ الحصون والعمارة القديمة جديرة أن يوثق تاريخها في كتب ورسائل جامعية جيدة وعميقة. (ابن جريس).

(٢) كذلك المساجد القديمة لا تقل أهمية عن الحصون وغيرها، وموجودة في جميع القرى، كان لها تأثير وأدوار مهمة وبارزة في حياة الناس، وهذا الموضوع من العناوين المهمة. (ابن جريس).

(٣) أشكرك يا أستاذ منصور على هذه الشذرات الخاصة بحياة التعليم والتعلم في قريتك، وقد بحثت في أمكنة كثيرة، واتصلت بالعديد من أعلام قبيلة بلّسمر في تهامة والسراة بهدف الحصول على بعض الوثائق والمصادر والروايات التي تخص مسيرة التعليم القديم والحديث، ولم أجد من يتعاون معي، مع أن البعض ذكر لي بعض الأقوال والروايات عن أعلام قاموا على تدريس وتوعية الناس خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن هذه المعلومات التي سمعتها مازالت تحتاج إلى التأكد من صحتها ومصداقيتها، آمل من الباحثات والباحثين في سروات وتهامة بلّحمر وبلّسمر أن يدرسوا ويؤرخوا لتاريخ التعليم الحديث في بلادهم من بداية القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). (ابن جريس).

من أعيان قرية آل عطيفه الشيخ/ منصور بن علي بن فرحان آل عائش الأسمري الذي عرف في عصره لدى مشائخ بلّسمر (ابن عطيفة)، كان مسؤولاً للقرية قرابة خمسين عاماً ورث هذا التكليف من والده، وأشرف على شؤون الناس في بلدته، وفي العهد السعودي الزاهر تم تعيينه رسمياً على قرية آل عطيفة وآل مسدس، وذلك بموجب توجيه الملك عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) والمبلغ بخطاب أمير منطقة عسير في (١٠/٦/١٣٤٤هـ)[١].

٥ـ مرحب قرية آل عطيفة :

مصطلح (مرحب) ساحة فضاء في الجهة الشمالية من القرية يجتمع فيه أهل القرية للترحيب بالضيوف القادمين. وكان أي شخص يشاهد ضيوف في طريقهم إلى القرية يذهب مباشرة إلى موقع المرحب ويطلق عدة طلقات نارية يشعر أهل القرية بالحضور السريع إلى مكان الاستقبال، وعند سماع أصوات البنادق يترك كل رجل شغله ويذهب إلى المرحب، وفي حالة أن أهل القرية لا يعلمون عن قدوم الضيوف فإن الضيوف أنفسهم إذا وصلوا قرب القرية يقومون بإطلاق بضع الطلقات النارية لإشعار أهل القرية بقدومهم وينتظرون حتى يجتمعون لاستقبالهم في مكان الترحيب بهم وأخذ علومهم ويفرقونهم (يوزعونهم مجموعات)، إذا كانوا كثيراً والقيام ببعض الاعتبارات القبلية التي تحكم الموقف في حينه[٢].

بعد تفريق الضيوف على مجموعات، يأتي دور المضيفة أو المضيف على حسب عددهم، وتلك أعراف وعادات متوارثة من عهد الآباء والأجداد، وتعرف باسم (الدول)، جدول قديم موزع على المقتدرين من أهل القرية، وكل واحد يعرف دوره في القيام بضيافة أي ضيوف يفدون على القرية، وهذه عادة قديمة توارثناها، وحسب ما عرفنا وأدركنا من شيوخ القرية، والكبار في السن أن هذا التوزيع يتم على وضع المزارع الكثيرة والمنتجة، وكذلك أهل الحلال (المواشي) الكثيرة، ويعفى من ذلك فقراء القرية المعسرين، ويتضح من هذه الترتيبات في الضيافة التكافل الاجتماعي ومراعاة الظروف بين أفراد القرية وإعفاء غير القادرين على القيام بتكاليف الضيافة[٣].

---

(١) أكرر شكري لك يا ابن حصان عن المعلومات المحدودة التي ذكرت عن مسؤولية أسرتكم وإشرافها على شؤون قريتكم. والحديث عن تاريخ الوجهاء والمشائخ والأعيان في بلاد بلّسمر وغيرها من الموضوعات الشائكة، ويجب التعامل معها من خلال مصادر ومراجع موثوقة، والوثائق الرسمية والأهلية تأتي في مقدمة المصادر المهمة لمثل هذا الموضوع. (ابن جريس) .

(٢) هذه العادات التي ذكرتها يا منصور عن قريتكم وأهلها موجودة عند كل القبائل والعشائر والقرى في معظم بلاد تهامة والسراة. ومثل هذا التاريخ الاجتماعي المحلي لا يوجد عنه بحوث علمية جادة وموثقة . (ابن جريس) .

(٣) استقبال الضيوف، والأعراف والقوانين التي وثقها ومارسها السرويون والتهاميون كثيرة، وللأسف لا نجد

٦ـ سوق الإثنين بلَّسمر:

يعد سـوق بلَّسمر التاريخي من أكبر وأقدمٍ أسـواقِ المنطقة الجنوبية ولايزال يحتفظ برونقـه التاريخي وطابعه القـديم، ويحتل موقعاً مهماً للتبادل التجـاري، ويعقد السوق في موقعـه القديم كل يوم اثنينٍ من كل أسبـوع يجتمع فيه المتسوقون وجالبة الحلال والحبوب والمنتجات الزراعية، ونظراً لموقعه المميز على طريق أبها الطائف فكان الأهالي يعرضون ما لديهم من الحبوب وثمار الفواكه مما تنتجه أرض بلّسمر وبعض القرى القريبة من بلَّحمر، ومن أشهر المنتجات البر الأسمري بجودته القديمة الذي هو إنتاج أسمري وموسمي[١].

تطبق في سوق الإثنين معايـير صارمة للمتلاعبين بالمكاييل والموازين وضبط النظام داخـل السوق فضلاً عن كونه منتـدى ثقافي لنقل أخبار القرى والقوافـل، ولسوق الإثنين حرمـة وهيبـة يُمنع الاعتداء على أحد في حرم السوق أو إشهـار السلاح فيه ، وحتى الثأر ممنوع داخل السوق لأنه يخضع للحماية وحفظ حقوقه المتعارف عليها منذ القدم من قبل قبيلة آل خريم، ويدخل في اختصاصهم حل المشاكلِ التي تحدث في ساحة السوق وبخاصة القبليـة منهـا، مما أكسـب السوق استقـراراً دائماً وشهـرة واسعـة. وكان السوق ملتقى للقبائـل لنقل الأخبار، وغالباً يصعد من يمتلك موهبة الخطابة والبلاغة على سطح أحد الدكاكـين التي تطل علـى ساحة السوق وتعرف براية السوق لإلقـاء كلمة أو خطبة، يذكر فيهـا بعض التشريعات المنظمة للسوق والعقوبـات الرادعة لمن يخالفها. ويوجد في السوق أقسـام معروضـة للسلع فهناك (المسعـرة) لكل أنواع الحبوب ، وقسـم آخر لبيع الأغنام والأبقار وجميع الثروات الحيوانية وتسمى المجلبة، ولها مكان مستقل وبعيد عن المنتجات الأخرى، وأقسام أخرى عديدة حسب أنواع التجارات المعروضة الواردة إلى السوق[٢].

أعمال علمية موثقة في هذا الباب. وأثناء سيري في أرجاء مناطق تهامة والسراة من نهاية القرن الهجري الماضـي إلى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) سمعت وجمعت الكثـير من الوثائق الاجتماعية، ووجدت في بعضهـا معلومـات جيدة ومهمة تفيد في دراسـة عادات القبائل في استقبال الضيـوف والقيام بواجبات الضيافة . وهذا الموضوع جدير أن يكتب عنه عدة كتب ورسائل علمية جامعية. (ابن جريس) .

(١) يـا أستـاذ منصور سـوق بلَّسمر واحد من عشـرات الأسـواق الأسبوعية التي عرفتهـا واشتهرت بها بلاد السـروات وتهامـة. وقد زرت الكثير من الأسـواق الشعبية خلال الأربعين سنة الماضيـة المتأخرة، بما فيها سـوق اثنين بلَّسمـر، وجمعت مئات القواعـد والوثائق عن بعض الأسـواقِ. وأقول: إن تاريـخ أسواق تهامة والسـراة الأسبوعية خـلال القرون الإسلامية المختلفة غير مخدومة علمياً وبحثياً، مع أن الأسواق الشعبية قديمـاً كانت جامعة للناس، ومن خلالها يستطيع الإنسان معرفـة جوانب كثيرة من تاريخ وحضارة البلاد والعباد. (ابن جريس) .

(٢) الـذي ذكرتـه يا أخي موجـود في كل الأسواق الأسبوعيـة في أرجاء مناطق جنوب شبـه الجزيرةِ العربية ، وأرجـو من الأسمريين وبخاصة الباحثـين والمتخصصين وأرباب القلم أن يجمعـوا ويوثقوا شيئاً من تاريخ هذا السوق الأسمري الذي يتميز بموقع استراتيجي من سروات بلاد بلَّسمر. (ابن جريس).

٧. يوم في قريتي :

كانت بعض العادات في قريتي الصغيرة جميلة، فقد تعودنا في صغرنا على تقاليد حميدة تتوافق مع الدين والأخلاق والأعراف، ومنها احترام وتقدير الكبير، والشفقة والعطف على الصغير والضعيف والفقير. وكنا نستمع لكل ما يدور بين الآباء والأجداد في المجالس دون مقاطعتهم في كلامهم، ولا نعترض عليهم في الرأي، ونستفيد من تجاربهم، ونتعلم منهم ما جهلنا، ونصغي لما يقولون من تجارب مفيدة. مع أنهم لا يحملون مؤهلات علمية، لكنهم يمتلكون عقولاً وأفكاراً جميلة ونافعة وللأسف نلاحظ في مجالسنا في الوقت الحاضر كثيراً من التجاوزات من صغار السن الذين يتلقفون الكلام ويجيرون النقاشات لصالحهم، وكأن من يكبرهم سناً بقية من ماض انتهى وغرب ولا يعجبهم كلامهم. ومجالسنا واجتماعاتنا المعاصرة شاهد على ذلك، كل يريد الانتصار لنفسه ورأيه فقط. والتقدم الحضاري أفقدنا الكثير عن العادات والتقاليد الحميدة التي فيها تكافل اجتماعي، والزمن ليس فيه عيباً والعيب في البشر، ويقول الشاعر:

رب يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه

إذا لم يعد زماننا القديم الجميل، فالأمل أن تعود القلوب كما كانت، ونسأل الله أن يجعلنا متحابين فيما بيننا، مطيعين الله ثم لولاة أمرنا، وقائمين بالواجب علينا تجاه كل من يحتاج منا الوقوف بجانبه فيما لا يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف[١].

٨- الفنون الشعبية والرياضية التي عاصرناها في بلَّسمر سراة وتهامة وسهول:

رأيت الارتباط الاجتماعي القوي بين الأفراد والتعاون التام في كل أمور الحياة اليومية. ففي الصباح الباكر يصحوا الناس استعداداً لنهار حافل بالأعمال الشاقة، فكل واحد من أفراد الأسرة يكلف بعمل حسب طاقته وقدرته الذهنية وقوته البدنية، فالبعض يرعى الأغنام والتنقل بها في الجبال العالية والأودية لتتبع أماكن الأعشاب

(١) الله المستعان يا أخي منصور لقد أدرجت في حديثك موضوعات عديدة عن الزمن الجميل، عصر الآباء والأجداد، الذين كانت حياتهم صعبة وقاسية، لكنهم كانوا يحملون الكثير من القيم والمبادئ الجيدة. وأشرت أيضاً إلى عصرنا الحالي وبعض إفرازاته التي انعكست على سلوكيات الناس وبخاصة بعض الأجيال المتأخرة (ذكوراً وإناثاً). وأقول إن دراسة الماضي وما احتوى عليه من معارف وثقافات طيبة يجب أن تدرس وتوثق لأجيال اليوم لعلهم يستفيدون ويتأثرون بتلك الصفات الجيدة والإيجابية. ومع انفتاح العالم على بعضه أصبح العيش أو التعلم من القديم غير مرغوب ولا مرحب به في وقتنا الحاضر، لكن يجب أن لا نتشاءم، ونعمل على الأخذ بكل جديد ومفيد، ونحرص أن نتعلم ونستفيد من تراث وإيجابيات الماضي. (ابن جريس) .

وجلـب الماء أو الأعلاف للبيوت، وفي أوائل الليل بعد قضاء نهار حافل بالأعمال الصعبة يجتمع كل أفراد الأسرة حول مشكاة صغيرة تسمى (لبة)، مكونة من علبة صغيرة يوضع داخلهـا قليل من الكاز ويتـم إشغالها من خلال فتيلة تبلل بالوقـود فتعطي نوراً بسيطاً لكنه يؤدي الغرض، وكان أفضل ليالي السمر في الماضي ليلة الخامس عشر من كل شهر لاكتمال القمر [١]. ومن الفنون الشعبية القديمة:

أ ــ فن السحلة : تؤدى على صوت المزامير وتصحبهـا بعض الإيقاعات البسيطة، فن شعبي قديم يمارس في الأجزاء التهامية وأكثر من يؤديه العنصر النسائي .

ب ـ فن الربخة : تؤدى على صوت الإيقاعات البسيطة ، وتتكون من صفين متقابلين ومن قصائد هذا الفن:

صيد يرعى بالانشاب واحتزم له بجنبيه   شرحة الخاطر يوم ترعى بالانشاب

هذا الفن الشعبي المندثر كان يتميز قصيده في الغالب بالغزل ويتماشى مع أنشطة الحياة الاجتماعية في تلك الأوقات وتضاريس الأرض وارتفاع الجبال .

ج ــ فن صـوت الراعي[الطـرق] : صوت جميل وحزين، فن فـردي غرضه الوحيد التنفيس عن الأحـزان والهمـوم، ولا يحتاج إلى إيقاعـات ولا مناسبـات اجتماعية أو اجتمـاع، بل في الغالب يجلس الممارس لهذا الفـن على قمة جبل أو شرفة منزل مرتفعة ثـم يصـدح بالصوت الحزين ، والممارس لهذا اللون الشعبي ينفس عن حزنه أو فقره أو غربته أو غياب قريب له أو مرض حبيب.

د ــ فن الدوها : لون شعبي قديم تؤديه النساء، وهو صوت حزين تصدح به الممارسة لـه، وتقوم بوضع أصابع اليد على حنجرتها من الخارج لتتغير نغمة الصوت، مع تقطيع في الصـوت بجرس موسيقي معبراً عن الحـزن الشديد، وكلماته تكـون شوق لغائب أو حنـين إلى أهل أو فقر مدقع، وفي بعض الأحيان يستخدم أثناء ممارسة رعي الأغنام ، لأنها تحب الصوت المستخدم وتحلق حوله.

---

(١) جزاكم الله كل خير يا منصور، فقد ذكرتنا بشيء من الحياة التي عشناها وعاصرناها خلال الثمانينيات والتسعينيـات من القرن الهجـري الماضي، وكم كانت تلك الحياة هادئة وجميلـة، وكان الناس يعيشون في ألفـة وتقارب ومحبـة، وهذا الذي افتقدنـاه في زماننا الحاضـر. وإجراء دراسة مقارنة بـين حياة الناس الاجتماعيـة القديمـة والحديثـة من الموضوعات الجديـرة بالدراسـة والتوثيق والمقارنـة والتحليل . (ابن جريس).

(*) هناك فنون أخرى شعبية مارسها الناس في السروات والبوادي وأحياناً في تهامة ، ومنها :

١- **المداقيل :** من أهم الفنون الشعبية في رجال الحجر ، رقصة حربية مختصة بالرجال تؤدى عادة ترحيب بقدوم الضيوف في المناسبات الاجتماعية، وهو فن يؤدى قبل العرضة في المناسبات وعادة يكون بين العصر والمغرب.

٢- **العرضة :** فلكلور شعبي تراثي مكون من شعراء وعراضة وطبل، ولها تنظيم جميل تقام في الأعياد والزواجات، وتعود العرضة الجنوبية الحجرية في شكلها الحالي إلى ما قبل القرن العاشر الهجري، وحسب ما ذكر الباحث التراثي الشعبي/ قينان الزهراني، والعرضة عادة تقام بين العصر والمغرب، وهي رقصة تبث الشجاعة والإقدام ويجب على الممارسين لهذا الفن الشعبي السير والأداء على إيقاع الطبول في تشكيلات بديعة ومتناسقة.

٣- **اللعب :** موروث شعبي تمارسه قبائل رجال الحجر كافة ويتكون من صفين متقابلين متناغمين مع إيقاعات الزير وقصائده في الغالب تكون غزلية [١].

ثالثاً : خلاصة رأي ووجهة نظر :

أشكر هذا العلم الأسمري الذي تجاوب معي، وزودني ببعض الشذرات التي عرفها عن أهله وبلاده (بلَّسمر) ، وأعذر الأستاذ منصور الذي لم يستطع شرح ما طلبت منه بإسهاب، لكنه (جزاه الله كل خير) قد عمل واجتهد ، وأسأل الله ألا يحرمه الأجر، وأن يجعل عملنا جميعاً خالصاً لوجهه الكريم. ومما تم رصده وتوثيقه خرجت ببعض الرؤى ووجهات النظر التي أذكر شيئاً منها في البنود الآتية:

١- بلاد بلَّسمر جُزء صغير من أرض تهامة والسراة، التي لها تراث وموروث وتاريخ وحضارة قديمة وكبيرة ومتنوعة، لكنها للأسف غير مخدومة علمياً وبحثياً. وكلما

(١) وثقت يامنصور معلومات محدودة عن بعض الفنون والألعاب الشعبية التي عرفتها وعاصرتها في بلادك مسقط رأسك من بلاد بلّسمر. والحقيقة أن (الفلكلور الشعبي) الذي عرفه التهاميون والسرويون من التراث الجميل العريق الأصيل، ومازال البعض من ذلك الموروث القديم معروفاً ويمارس حتى اليوم، لكن هناك تراث اجتماعي وفني وأدبي مارسه الأوائل في أتراحهم وأفراحهم، وهو من التاريخ الاجتماعي والأدبي المحلي، ولا أجد عنه دراسات علمية جادة، وعلى كليات الآداب والعلوم الإنسانية في جامعاتنا المحلية واجب كبير تجاه هذه الحضارة والتراث، والمطلوب من هذه المؤسسات من خلال أساتذتها وأقسامها الأكاديمية خدمة هذا الميدان علمياً وبحثياً. (ابن جريس).

رجعنـا إلى الوراء، مـن العصور الحجريـة إلى بدايات العصـر الحديث، نجد أن هـذه الديار قليلـة الذكر في المصادر التقليدية، وتحتـوي على مخزون أثري مدفون وسطحي كبير، ومازال غير مخدوم ، ولو تم التنقيب عن هذه المصادر الأصلية فقد نعثر على صفحات مهمة وجديدة من حضارة هذه الديار العربية الماجدة.

٢- ذكـر الأستـاذ منصـور الأسمري نقاطاً عديـدة في ورقته، وهـي موضوعات كبيرة لم تُدرس وتوثـق لا في بلاد بلَّسمـر، ولا في أي ناحية من أوطـان السروات وتهامة. والأخ ابـن حصان بذل جهـده وأرجو أن يأتي بعده من يتخذ مـا ذكره هذا المجتهد الأسمري لبنات أولية لإنجاز أعمال علمية قوية وعميقة ورصينة. وأنا وصاحب هذه الورقة اجتهدنا في رصد شيء من حياة الأسمريين الذين تستحق بلادهم الاهتمام والعناية البحثية التحليلية.

٣- ربما يأتي من يلومنا وينتقدنا (أنا والأستاذ منصور)، ويقول: أنتما لم تاتيا بجديد، ويورد أقوالاً وتحريرات تدعم أقواله. وأقول: إننا لا ندعي الكمال، لكننا عملنا لعلنا ندفع غيرنا إلى إنجاز شيء أفضل مما أنجزناه، أو يستكمل ما لم نستطع تحقيقه. وبخاصـة أننـا نوثق معلومات عن بـلاد لها تاريخ وتراث وحضـارة، لكنها لم تُخدم لا في الماضـي ولا في الحاضـر، وهي وغيرها مـن ديار تهامة والسـراة من المواضع الجديرة بالاهتمام والخدمة البحثية.

٤- إنني أفرح وأسعد عندما أرى إخواننا وبناتنا وأبنائنا المتعلمين والباحثين يسعون إلى خدمة أوطانهـم كل في مجال عمله واختصاصه. ومن فضل الله وكرمه على بلادنا (المملكـة العربية السعوديـة) أن انتشر العلم والتعليـم في كل مكان، وصارت جميع المناطق، والحواضر، والمدن، والقرى، والأرياف، والبوادي مليئة بالمتعلمين، وبعضهم يحملـون شهادات عالية في مجالات وتخصصات كثيرة ومتنوعة. والمتخصصون في العلوم النظريـة والأدبية، والإنسانية يعدون أكثرية في القطاعات والمجالات العلمية والمعرفيـة، وبالتالي فإن على هذه الشريحة واجبـات ضرورية تجاه تراثهم وأدبهم وثقافتهـم وتاريخهـم وحضارتهم المحليـة فيدرسونهـا ويوثقونهـا ويحفظونها ثم ينقلونهـا للأجيال القادمة من الأبناء والأحفاد، وأرجـو أن هذا النداء الذي أكرره دائمـاً أن يجـد من يتبناه ويعمل بـه. وبلادنا في حاجتنا نحميهـا ونرعاها، وندرس ونحفـظ تراثهم وموروثهـا، وأسـأل الله أن يجعلنا جميعاً أعضـاء نافعين مفيدين مثمرين صالحين لخدمة ديننا وبلادنا وأهلنا، وصلى الله وسلم على رسول الله .

سادساً : تنوع الغطاء النباتي في جبل البلس شمالي منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية. بقلم د. سعيد بن محمد بن سعد القرني[1] .

١ـ ملخص البحث:

يقع جبل البلس في شمالي منطقة عسير، ويتراوح ارتفاعه بين (٩٠٠م) في جزئه الغربي ليصل إلى (٢٣٥٠م) في أقصى ارتفاع له، وينحدر باتجاه الشرق بشكل تدريجي حتى (١٨٠٠م) فوق مستوى سطح البحر. ويمثل هذا الجبل خط تقسيم المياه لعدد من الأودية مثل الحفاء، وشُواص ورنية. ولتحقيق أهداف البحث تم زيارة أغلب أجزاء الجبل لتسجيل الأنواع النباتية، وتم الاستفادة من تحليل الفروق الخضرية (NDVI) لتحديد مواقع الكثافات العالية للغطاء النباتي ليتم مسحها، وتم تحديد (٢٠) مربعا للمعاينة ضمن ست نطاقات مختلفة لدراسة تنضد الغطاء النباتي، كما أجريت المقابلات الشخصية لبعض الرعاة ومربوا النحل والمهتمين بالغطاء النباتي. وتم تسجيل نحو(١٧١) نوعا نباتياً وهي تمثل نحو (٨٪) من الأنواع النباتية المسجلة في المملكة العربية السعودية، منها(٣٠)نوعا نادرا مثل الصر (Nuxia oppositifolia)، والصومل (Breonadia salicina)، وسجل نحو(١٣) نوعا متوطنا مثل عشبة البيضاء (Senecio asirensis)، ونوع(Seddera Arabica).

(١) الدكتور سعيد القرني أستاذ في علم الجغرافيا الطبيعية، له العديد من الدراسات العلمية المطبوعة والمنشورة ، للمزيد عن سيرته، انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض : مطابع الحميضي. ١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م) (الطبعة الثانية) (الجزء الحادي عشر) ، ص ٣٨٢.

٢ـ المقدمة والدراسات السابقة:

يعـد الغطاء النباتــي انعكاساً للبيئة التي يعيش بها، وهــو يتأثر كثيراً بعاملي المناخ والتربـة، والأنشطة البشرية التي تمارس ضمن نطاقـه. وبرغم مساحة المملكة العربية السعودية التي تقدر بنحو مليوني كيلومتر مربع ووقوعها بالقرب من أقاليم حيوية غنية بالغطـاء النباتــي الا أن التنــوع النباتي بها قليــلا وذلك نتيجة لوقوعهــا ضمن النطاق الصحراوي الحار شديد الجفاف (النافع، ١٤٢٤هـ) والذي كان له أبلغ الأثر في تحديد كميــة ونوعيه وسلوك الكائنــات الحية التي تنمو ضمن نطاقه وخاصــة النباتات. ويرى النافـع (١٤٤٠هــ) أن الكثير من الأنــواع النباتيــة الموجودة في شبه الجزيــرة العربية أتــت مــن الأقاليم المجاورة مثــل الإيراني-الطوراني، واقليم البحــر المتوسط، والإقليم السوداني-الزمبيزي.

يعد الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية أكثر مناطق المملكة العربية السعوديــة تنوعاً في الغطاء النباتي، ويعزى ذلــك إلى ارتفاع تضاريسها الذي عمل على تعديل مناخها من حيث انخفاض الحرارة وزيادة الرطوبة ومعدل الأمطار. وتعد غابات العرعــر (Juniperus procera) أكثر الغابات انتشاراً في المرتفعات الجنوبية الغربية، يليها غابات العضاة (Acacia spp)، والعتم (Olea europaea).

أجريــت مجموعة من الدراسات على بعضـ مواقع الغطاء النباتي المهمة في المملكة العربيــة السعودية؛ أصدر جاكوب وآخرون (Jacob et al)، (٢٠١٧) دراسة على محمية جبــل شــدا في تهامة منطقة الباحــة وشملت جبلي شدا الأعلى والأسفــل وبعض الأودية المحيطــة، وتمكن الباحثون مــن تسجيل نحو (٤٩٥) نوعاً نباتيــا منها (١٩) متوطنا مثل الطلــح (Acacia abssinica)، والعدنــة (Adenium obesum)، والشخث (Barleria bispinosa)، في حــين الأنواع النباتية المهــددة بالانقراض كانت (٤٣) مثل نوع (Bocia angustifolia)، والرون (Abutilon ramosum)، والشفلح (Capparis tomentosa)، والسدر (Ziziphus mucronata).

منطقــة الباحة والتــي تمثل الجــزء الشمالي من جبــال السروات وسجــل الأكلبي وآخــرون (Al-Aklabi، et al، 2016) (١٩٠) نوعــا نباتيــا علــى امتــداد المنحــدرات الغربيــة لجبال الســروات حتى ساحل البحــر الأحمر تنتمــي إلى (٥٩) فصيلة نباتية، وتم تحديــد (١٥) مجتمعا نباتيا تختلف حسب الارتفاع عن مستوى سطح البحر ونوعية المنــاخ، والبيئة، ومن أهــم المجتمعات النباتية التي تم تحديدهــا: مجتمع الأثل-الأراك

(Tamarix aphylla-Salvadora persica) ، وينمو هذا المجتمع على ضفاف الأودية التي تعبر السهول الساحلية للبحر الأحمر، وفي المنطقة التي تليها باتجاه جبال السروات ينمو مجتمع السلم-السمر (Acacia ehrenbergiana-Acacia tortilis) والذي يشكل غطاء نباتي جيد بالقرب من مجاري الأودية والمنحدرات الصخرية. يلها مجتمع السرح-المرة (Commiphora myrrha-Maerua crassifolia) .ينمو في الأجزاء المرتفعة من جبال السروات في الباحة العتم والعرعر Olea) (eurupaea-Juniper proceraوهي تشكل غابات تتراوح نسبة التغطية فيها بين (٣٨ و٩٠٪)، وفي المنحدرات الشرقية ينمو مجتمعات نباتية تتكيف مع ارتفاع درجات الحرارة وقلة مصادر المياه ويمثلها مجتمع الحرمل-العوشز (Rhazya stricta-Lycium shawii).

أجريت دراسة على جبل قراقر في شمال المملكة العربية السعودية كأحد المواقع المهمة للغطاء النباتي في جبال الحجاز، وبلغت مساحة المنطقة المدروسة نحو (٤٥×١٥) كم، وبين لولن وآخرون (liewellyan et ai)، (٢٠١٠) وسجل الباحثون نحو (١٥٩) نوعاً نباتياً توزعت بين الجبل والوديان والشعاب المحيطة به، ويعد الجبل المكان الوحيد الذي تنمو على ضفاف وادي غمرة شجيرة الدفلة (Nerium oleander) بشكل فطري في المملكة العربية السعودية ومن الأنواع النباتية المهددة بالانقراض المسجلة في الجبل(Alcea striata)،و(Salvia palaestina)، و(Astachys aegyptiaca)، والعلندة (Ephedra pachyclada)، و(Epipactis veratrifolia)، ومن الأنواع النباتية المتوطنة التي سجلت في جبل قراقر (Nepeta Sheila)، و(Douepea Arabica)، و(Dolichorhynchus arabicus)، والذنبان (Reseda pentagyna).

في الجزء الجنوبي من جبال السروات يعد جرف ريدة أحد مواقع الغطاء النباتي في جبال السروات من كثافة الأنواع وتغطيتها، وبين الوليعي (١٤٢٩هـ) هذا المنحدر يتوزع فيه الغطاء النباتي في أربعة نطاقات عرضية تختلف فيها التضاريس ودرجة التعرض لأشعة الشمس والسحب الممطرة، ففي قمة المنحدر ينمو في الطبقة العليا العرعر (Juniperus procera)، في حين أن العتم (Oleaeuropaea) والشث (Dodonaea angustifolia) تشكل الطبقة الثانية ويرافقهما الإثْرَار (Maytenus arbutifolia)، والعثرب (Rumex nervosus). وفي أسفل الجرف حيث ترتفع الحرارة وتقل الرطوبة ينمو نوع (Teclea nobilis)، والمقر (Aloe porpyrostachys)، والطلح (Acacia spp)

من الجبال الشهيرة التي تمتاز بتنوع غطائها النباتي جبل البلس(نحو ٢٣٥٠م فوق مستوى سطح البحر)، وساعد في ذلك بروزه بشكل واضح عما حوله من ثلاث

جهـات الشمالية والجنوبية والغربيــة، بالإضافة إلى تدرج واختــلاف درجات الحرارة ونسبــة الرطوبة وفقــاً للارتفــاع والواجهة (التعرض) وتوفر مصادر للميــاه والضباب؛ ولا ينســى اختلاف تركيب الجبــل الجيولوجي (نوعية الصخور) وما له من تأثير واضح علــى التركيــب الاجتماعي للغطاء النباتــي في الجبل. ومن الأنــواع النباتية التي يشتهر بهــا جبل البلس: الشــث (Dodonaea angustifolia) والأثــأب (Rhus retinorrhea)، والإِثْرَار (Maytenus arbutifolia). ومن الأنواع النادرة التي تنمو في جبل البلس الرقع (Ficus vasta)، والقحز (Euclea schimperi).

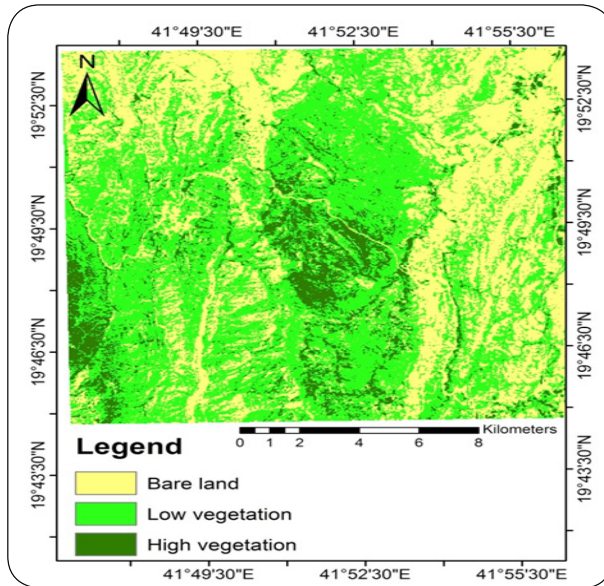
من أهداف البحث: (١) توضيح الأهمية البيئية لجبل البلس، وابراز التنوع النباتي والمواطــن البيئيــة التي يشتمل عليهــا. (٢) دراسة العلاقة بين عامــل الارتفاع والتوزيع الجغــرافي للمجتمعــات النباتية في جبــل البلس. (٣) حصــر الأنواع النباتيــة النادرة، والمتوطنــة، والمهمة بيئيا التــي تنمو في جبل البلس لتشجيع الجهــات الحكومية والأهلية ذات العلاقة لاتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها.

٣ـ منهجية البحث وطرق جمع البيانات وتحليلها:

أـ مصادر البيانات وإجراءات البحث:

لتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي الحقلي، واعتمد على مصادر متعددة من أهمها الدراسة الميدانية، والمقابلات الشخصية للرعاة والمهتمين البيئيين، وما كتــب عن الغطــاء النباتي في المملكة العربية السعودية. وتمــت الدراسة الميدانية في الفترة الممتــدة من (٢٠١٧/١/٢٠ حتــى ٢٠١٩/٣/٢٦)، ولدراسة المجتمعات النباتية في المناطق شبــه الجافــة تتطلب طرق ميدانيــة تستطيع توضيــح الواقع الفعلي للمجتمعــات النباتية، ولتحديــد مواقع الغطاء النباتــي تم تحليل دليل الفروق الخضريــة (NDVI) لمرئية القمر الصناعــي لاندسات (Landsat 2018)، تلي ذلــك مسح لمنطقة الدراسة للوقوف على دقة نتائــج التحليل واختيار مناطق المعاينة. واستُخدم مربع القائمة لمناسبته لبيئة جبل البلس، ولتحديــد المساحــة المناسبة للمربعات قــام الباحثون بإجراء عدة قياســات وفق ما يسمى المساحــة الدنيا للمربع، من خلال تطبيــق القواعد الرئيسة الواردة في كثير من الدراسات الاجتماعيــة للغطاء النباتــي مثــل (Kent 2013)، و(الأنصاري والعــودات، ٢٠١٥م) وتم التوصــل للمساحة المناسبة لدراسة الغطاء النباتــي (٣٠×٣٠) بعد عدة قياسات تجريبية، وأجريت القياسات اللازمة مثل الكثافة لنباتية والتكرار وفق المعادلات التالية: (١) الكثافة النباتية (D) = مجمــوع أفراد النوع الواحد/المجموع الكلــي لمساحة المربعات. (٢) التردد النباتي (F) = عدد المربعات التي يوجد فيها النوع/مجموع المربعات×١٠٠ .

أما التعرف على الأنواع النباتية وتصنيفها فتم أغلبه في الميدان، والجزء الأخر تم من خلال ما ورد في كتب التصنيف في المملكة العربية السعودية مثل: (1998،Collenettete)، و(شودري، والجويد، ٢٠١٣م)، وتم أخذ عينات معشبية لمعظمها للتعرف عليها بمعشبة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وحفظها وتقييم دقة التصنيف. وتمت معالجة البيانات باستخدام برامج الاكسل، وعولجت البيانات الرقمية بواسطة برنامج الارك ماب ArcMap١٠,٥



شكل (١) : تحليل الفروق الخضرية (NDVI)

ب: منطقة الدراسة:

١- الموقع:

يقع جبل البلس في شمال منطقة عسير (٠٨, ٥٨ً ٤٨َ ١٩ْ شمالاً– ١٩, ٣١ً ٥٢َ ٤١ْ شرقا)، ويمثل الحد الفاصل بين منطقتي عسير والباحة، ويحد الجبل من الشمال حمى خثعم التاريخي (حمى الفوقا، نسبة لقرية الفوقا)، ومن الجنوب قرية خثعم ومن الشرق وادي شُواص وحرة البَيدا، ومن الغرب وادي الحَفيا. ويمتاز الجبل بانحداره الحاد والمفاجئ نحو الغرب والجنوب والشمال، في حين أن تدرج الانحدار واضح نحو الشرق. فعند حافة البلس الغربية يكون ارتفاع الجبل نحو (٩٠٠م) عند قرية مُشرفة

ويأخـذ في الارتفـاع بشكل حاد حتى قمة البلس عند ارتفـاع نحو(٢٣٥٠م) فوق مستوى سطـح البحـر، ومن قمة الجبـل التي تشغلها مجموعـة من القرى يبـدأ بالانحدار نحو الشـرق بشـكل تدريجي. ومن خط تقسيم المياه نحو الشـرق يتشكل مجموعة من روافد الأديـة الشابة وهي جميعها روافـد أولية لوادي شُواص، ووادي رنية وتمتاز هذه الروافد بوفـرة المياه السطحية مما جعلها موطنا لكثير مـن الأنواع النباتية المهمة مثل: الجميز (Ficus ingens)، والقـان (Jasminum grandiflorum)، والنـدغ (Hypoestes forsskalii)، والغضـف (Phoenix caespitosa)، والعرعر (Juniperus procera)، والطلح (Acacia gerrardii).

أمـا الأودية المتجهة غربا مثل الصلبات والنيل فهي روافد لوادي الحفياء الشهير والـذي يصب في وادي قنونا بالقرب من محافظـة العرضيات. وتمتاز الروافد بضيقها وقصرهـا، وشدة انحدارها نحـو الغرب، وكثر المساقط المائية بهـا. وتوفر هذه الأودية والروافـد مـلاذا أمنـا لكثـير من الكائنـات الحيـة خاصـة في المواقع الرطبـة ودائمة الجريـان، مثـل الطيور والسحـالي والحيوانـات الثديـة والنباتات خاصـة التي تنتمي للأقاليم المدارية مثل الصومل (Breonadia salicina)، والرُّقَّع Ficus vasta، والابراء Ficus sycomorus.



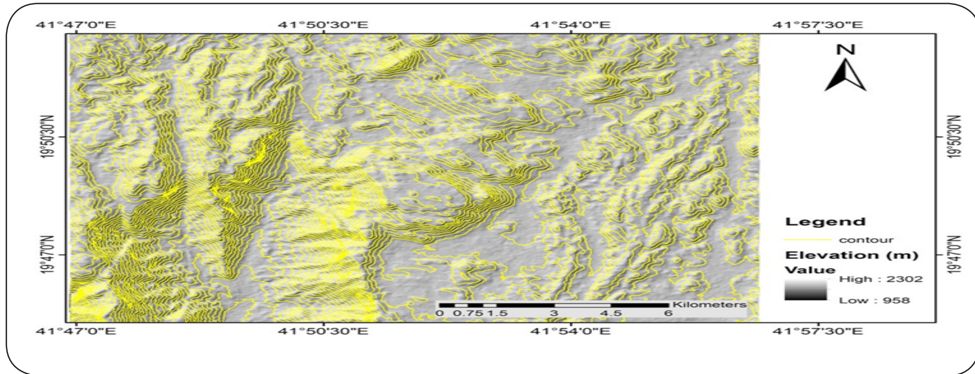
شكل (٢): موقع جبل البلس ضمن منطقة عسير

٢ـ جيولوجية وجيومورفولوجية جبل البلس:

من تحليل نموذج الارتفاعات الرقمية لجبل البلس (Digital elevation model (DEM)، يتضح أن ارتفاعه يتراوح بين (٩٠٠) في الجزء الغربي بينما تسجل أعلى نقطة ارتفاع بنحو (٢٣٥٠م) (شكل:٢)، وبذلك يعد من أكثر الجبال علوا في المملكة العربية السعودية. ومن الناحية الجيولوجية يعد هذا الجبل جزء من الدرع العربي الغربي؛ الذي يمتاز بتنوع صخوره وشدة صلابتها. ومن المسح الميداني للمنطقة يتضح وجود انكسار عظيم يحده من الشمال ويأخذ اتجاهًا من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي وربما يعود تشكله لنفس الفترة التي نشأت بها صدوع نجد التي لها نفس الاتجاه (الوليعي، ١٤١٧هـ)، واتخذ وادي الحَفياء وروافد هذا الصدع مجرى لها في تهامة، في حين أن وادي الصدر أحد روافد وادي شُواص أخذ الجزء الآخر في سراة خثعم مجرى له باتجاه الشرق.

من تحليل الخرائط الجيولوجية لجبل البلس نجد مدى التركيب المتداخل للصخور المشكلة له وإن كانت في المجمل تعود لفترة الزمنين الجيولوجيين الأول والثاني، أما الصخور التي تعود للزمن الرابع فنجدها تتركز في بطون وضفاف الأودية. ونظراً لكثرة تنوع الصخور وتعدد المظاهر الجيولوجية مثل وجود الانكسارات والصدوع التي يسهل رصدها بالعين المجردة وتحديد نوعها بوضوح يمكن أن يطلق على الجبل معقد البلس وهو مصطلح جيوموفولوجي أصيل، ولعل هذا التعقيد في تركيبه وبنيته الجيولوجية والجيوموفولوجية كانت السبب الرئيسي في كثرة التمعدن بالجبل وبالمواقع القريبة منه مثل الذهب في طرفه الشرقي، ومعدن السبرنتايت في جزئه الشمالي. ومن الصخور المنتشرة في جبل البلس الجابرو، والجرنايت، والنيس، والبازلت، والديوريت.

كان للعامل الجيولوجي أبلغ الأثر في تركيب الغطاء النباتي وتوزيعه في هذا الجبل، فالجزء الغربي من الجبل منخفض وتنمو به الأنواع المحبة للحرارة مثل شجيرة العدنة (Adenium obesum)، والغلثى (Desmidorchis retrospiciens)، وفي الأجزاء المرتفعة ينمو العرعر (Juniperus procera)، والنبش (Erica arborea). وفي المواقع شديدة الانحدار والتكتلات الصخرية يقل الغطاء النباتي بسبب سرعة فقد التربة أو صعوبة تكوينها. أما على ضفاف الأودية فيوجد الغطاء النباتي بسبب خصوبة التربة مقارنة مع الحواف الجبلية وكذلك توفر مصادر للمياه من خلال جريان السيول وتشكل الغيول والغدران الدائمة والموسمية. ومن الأنواع النباتية التي تنمو في الأودية أنواع الطلح (.spp) (Acacia)، والسدر(Ziziphus spina-christi)، والنمص (Scirpus vulgaris)، والحبق(Mentha longifolia).

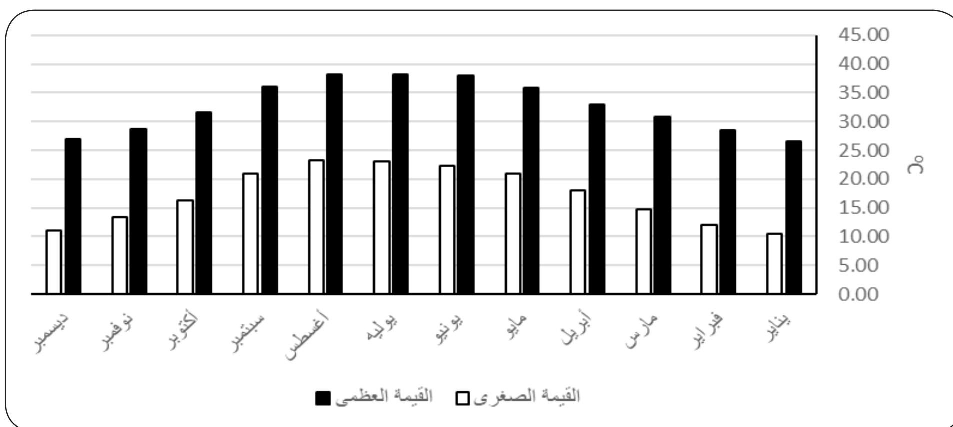


شكل (٣): نموذج الارتفاعات الرقمية لجبل البلس

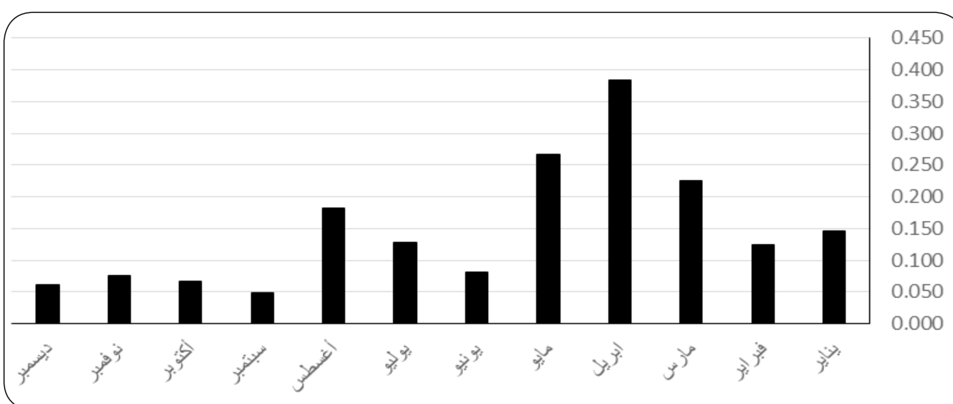
٣- المناخ:

يعـد المناخ مـن الضوابط الطبيعيـة المهمة إلى حـد كبير في تحديـد المظهر العام للغطـاء النباتـي في أي مـكان على سطح الكـرة الأرضيـة، وفي البيئـات الجافة وشبه الجافـة يعد عامل المطر اهـم عناصر المناخ المؤثرة في حياة الأنواع النباتية؛ لذلك نجد الشعاب والأودية أفضل المواقع لنمو الغطاء النباتي وذلك بسبب توفر المياه وتخزينها في التربـة. وفي جبل البلس تعد الحرارة ومعدل الأمطار أهم عاملين في تحد نوعية الغطاء النباتـي وكثافتـه وتوزيعه الجغـرافي. وفي المواقع المنخفضة غربـي البلس ترفع درجات الحـرارة وتقـل الأمطار مما يجعل المظهر العام للغطـاء النباتي فقير وتسود به مجتمع الطـح (.Acacia spp) والـراء (Aerva javanica)،أما الجزء المرتفع من جبل البلس فتبلـغ معدل درجة الحرارة في الصيف نحو (٣٠,٥مْ)، ويعد شهر أغسطس أحر شهور السنـة بمعدل (٣٠,٥مْ)، وفي شهر يونيو (٣٠مْ)، وأقـل شهور الصيف حرارة سبتمبر ومعدلـه (٢٩مْ). وتتراوح بين (٨و١٠) درجات مئوية في فصل الشتاء ومعدلها (٨,٢) مْ للدنيـا، و(١٨,٦ مْ) للدرجات العظمـى، ويعد شهر ديسمبر أبرد شهور السنة وسجل (٧,٧مْ) وقد تهبط درجات الحرارة إلى ما دون الصفر في بعض أيام أشهر الشتاء، أما فصلي الربيع والخريف فتعد أشهر انتقالية، ويبلغ معدل درجة الحرارة في فصل الربيع (١٢مْ)، والخريف يصل معدل درجة الحرارة ٩,١مْ (شكل: ٤).

ومـن شـكل (٥) يلاحـظ أن الأمطار تتخذ سمات أمطـار البيئات شبه الجافة؛ وهي تسقط طيلة العام ويبلغ معدلها نحو ٤٠٠مم وتتركز في فصلي الربيع والصيف.



شكل (٤) : المتوسط الشهري لدرجتي الحرارة العظمى والصغرى (٢٠٠٥ حتى ٢٠١٧)



شكل (٥): المتوسط الشهري للأمطار

شهر أبريل أغزر شهور السنة مطرا ويصل معدله نحو (٣٨٠مم)، يليه شهر مايو (٢٧٠مم)، أما شهر سبتمبر فيعد أقل شهور السنة مطرا ويبلغ معدله (٥٠مم). وبين القرني (١٤٣٤هـ) أن المنطقة تعاني من تذبذب معدل الأمطار وتراوحت بين (٥٢٧مم) في عام (١٩٩٢م) و(١٤٦,٢) في عام (٢٠٠٠م). وسجلت قيم التبخر معدلات قليلة إذا قيست بالأجزاء الداخلية من شبه الجزيرة العربية، ففي فصل الشتاء بلغ معدل التبخر نحو (٣,٦مم)، ويرتفع في فصل الخريف ويصل نحو (٦,٣مم)، وأعلى مستويات التبخر تسجل في فصل الصيف حيث تسجل نحو (١٠,٤مم)، ويعود السبب وراء انخفاض التبخر إلى انخفاض الحرارة وارتفاع الرطوبة وسقوط الأمطار خاصة في أشهر فصل الصيف.

٤- الأنواع النباتة في جبل البلس:

سجـل في جبل البلس نحو(١٧١) نوعا نباتيا تنتمـي إلى(٥١) فصيلة نباتية، وتعد الفصيلـة المركبـة (Compositae) أكبر الفصائـل الممثلة في البلسـ بنحو(٢١) نوعا نباتيًـا بما نسبته (١٢,٣٪) مـن مجموع الأنواع النباتية في الجبـل، ومنها (٦) جنبات مثـل(Euryops arabicus)، والشـراز (Kleinia odora)،أمـا الاعشـاب الحوليـة فعددها(٩) أنواع ومنهـا (Achillea biebersteinii)، والدائمة(٦) أنواع مثل(Felica abyssinica)، يليهـا الفصيلة البقولية بنحو (١٦) نوعا نباتياً بما نسبته (٩,٣٪) من جملـة الأنـواع النباتية في هـذا الجبل، ويعد جنسـ Acacia)) الأكـثر انتشاراً في جبل البلسـ حيث ينتمـي له (٧) أنـواع ومنها طلـح الكنهبـل (Acacia origena)، والسلم (Acacia ehrenberrigiana). أما الفصيلة الدفلية (Apocynceae) فينتظم تحتها (١٢) نوعا نباتيا (٧٪) تنتمي إلى (١٢) جنسًا نباتيًا ويلاحظ هنا أن المكافئ الجنسي ضعيـف جدا، وكل الأنواع النباتية التابعة لهـذه الفصيلة إما جنبات أو متسلقات ومنها مـا ينتمي للفصيلة اللمنية (Lemnaceae) (١٠) أنـواع نباتية (٥,٨٪) يندرج تحتها سبعة أجناس وينتمي لها أربعة جنبات وستة أعشاب، وأغلب نباتات هذه الفصيلة ذات أهميـة اقتصادية للسكان المحليـين وربما تواجه خطر التدهـور في المستقبل؛ ومن أهم الأنـواع النباتية المنتمية لهـا الخوشـع Lavandula dentate))، والشرم (Otostegia fruticosa) والنوع الأخير من أهم النباتات الرعوية لملاك الاغنام والإبل والنحل. ويتبع الفصيلـة الخبازية (Malvaceae) في المملكة العربيـة السعودية نحو (٣٧) نوعا نباتيا (النافع،١٤٤٠هـ،صـ١٣٨) من ضمنها (٦) تعيش في جبل البلس (٣,٥٪) من النباتات في المملكـة العربية السعودية أغلبها أعشاب مثل الخبـاز (Malva verticillata)، ومن الأنـواع النادرة التـي تنتمي لهـذه الفصيلـة (Hibiscus deflersii)، وهناك مجموعة مـن الفصائـل (١٦ فصيلـة) تمثـل فقط بنـوع نباتـي واحد مثـل الفصيلـة البطمية (Anacardiaceae) وينتمي لها شجرة الضرو (Pistaci falcate)، والفصيلة الحرابية (Celastraceae) وينتمـي لها (Maytenus parviflora)، والابنوسية (Ebenaceae) وينتمـي لهـا نـوع القحـز (Euclea schimperi)، والخلنجيـة (Ericaceae) والنبش (Erica arborea)، وهـذه الأنـواع تصنـف مـن النباتات النـادرة في المملكـة العربية السعوديـة. ويـرى النافع (١٤٤٠هـ) أن قلة الأجناس والأنـواع النباتية لبعض الفصائل النباتيـة يعود للظـروف الصحراوية وشدة الجفـاف، ويمكن ذكر أسبـاب أخرى لهذه الظاهـرة مثـل الأسباب الجيولوجيـة المرتبطة بحركة الصفيحـة العربية عبر تاريخها الطويـل خاصة الأنواع المنتمية للإقليم السوداني والبحـر المتوسط، والتغيرات المناخية خاصة أثناء العصور المطيرة أواخر الزمن الجيولوجي الثالث وأوائل الزمن الرابع.

جدول (١) : الأنواع النباتية في جبل البلس

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
١	Acanthaceae الاكانثية	*Barleria bispinosa*	الشَّخَث	جنبة	معمر
٢		*Blepharis ciliaris*	السَّحاء	عشبة	حولي
٣		*Hypoestes forsskalii*	النَّدْغ	عشبة	حولي
٤	Aizoaceae الأيزوية	*Aizoon canariense*	الدُّعاعَة	عشببة	معمر
٥	Amaranthaceae القطيفية	*Aerva javanica*	الرَّاء	عشبة	معمر
٦		*Pupalia lappacea var. velutina*		عشبة	معمر
٧	Amaryllidaceae النرجسية	*Crinum album*	العُنْصُل	عشبة	معمر
٨	Anacardiaceae البطمية	*Pistacia falcata*	الضِّرْو	شجرة	معمر
٩		*Rhus retinorrhoea*	التَّألب	شجرة	معمر
١٠	Apocynceae الدفلية	*Adenium obesum*	العَدْنة	جنبة	معمر
١١		*Calotropis procera*	العُشُر	جنبة	معمر
١٢		*Desmidorchis retrospiciens*	الغَلْثَى	عشبة	معمر
١٣		*Monolluma quadrangula*	الفَعَم	جنبة	معمر
١٤		*Carissa spinarum L.*	الشَّدن	جنبة	معمر
١٥		*Dregea schimperi*	اللُّوَّيا	متسلق	معمر
١٦		*Gomphocarpus fruticosus*	الحُرَيملة	جنبة	معمر
١٧		*Gomphocarpus sinaicus*	الحريملة	جنبة	معمر
١٨		*Kanahia laniflora*	الحَرْمَل	جنبة	معمر
١٩		*Pergularia daemia*	اللُّوَّي	متسلق	معمر
٢٠		*Periploca aphylla*	السَّواس	جنبة	معمر
٢١		*Periploca somaliensis*	اللُّوَّي	متسلق	معمر
٢٢		*Sarcostemma forskaolianum*	العيد	متسلق	معمر

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
٢٣	Aracaceae النَّخْلية	*Phoenix dactylifera*	النَّخل	شجرة	معمر
٢٤		*Phoenix caespitosa*	الغَضَف (الشُّطب)	شجرة	معمر
٢٥	Asparagaceae	*Asparagus africanus*		متسلق	معمر
٢٦	Boraginaceae الحُمْحُميَّة	*Echium arabicum*	الكَحْلاء	عشبة	حولي
٢٧		*Heliotropium lasiocarpum*		عشبة	معمر
٢٨		*Trichodesma calathiforme*	الحُمَم	جنبة	معمر
٢٩	Capparaceae الكبرية	*Capparis sinaica*	اللَّصَف	جنبة	معمر
٣٠	Caryophyllaceae القرنفلية	*Cometes surattensis*		عشبة	معمر
٣١		*Dianthus zonatus*		عشبة	حولي
٣٢		*Gypsophila antari*		عشبة	حولي
٣٣		*Minuartia filifolia*	الحُريشاء	عشبة	معمر
٣٤		*Silene conoidea*		عشبة	حولي
٣٥	Celastraceae الحرابية	*Maytenus parviflora*	الإثْرار	جنبة	معمر
٣٦	Cleomaceae	*Cleome ramosissima*	عطر	عشب	معمر
٣٧	Commelinaceae	*Commelina albescens*		متسلق	
٣٨	Compositae	*Achillea biebersteinii*	الذَّفراء	عشبة	حولي
٣٩		*Ambrosia maritime*		عشبة	حولي
٤٠		*Anthemis pseudocotula*	الأقحوان	عشبة	حولي
٤١		*Calendula arvensis*	الحُونُوة	عشبة	حولي
٤٢		*Centaurea schimperi*	السَّكَب	عشبة	معمر
٤٣		*Centaurea sinaica*	المُرَّار	عشبة	معمر
٤٤		*Cirsium vulgare*	الخَشْروف	عشبة	حولي
٤٥		*Conyza holchstetteri*		عشبة	معمر

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
٤٦		*Conyza pyrrhopappa*	ثِرار	جنبة	معمر
٤٧		*Conyza stricta*		عشبة	معمر
٤٨		*Echinops erinaceus*	الشُّبْرُم	عشبة	حولي
٤٩		*Euryops arabicus*	اليَبَر (الصَّوْم)	جنبة	معمر
٥٠		*Felica abyssinica*	القُرَّاف	عشبة	حولي
٥١		*Hedypnois cretica*		عشبة	حولي
٥٢		*Hochstettera schimperi*	العَسَق	عشبة	معمر
٥٣		*Kleinia odora*	الشَّراز	جنبة	معمر
٥٤		*Launea mucronata*		عشبة	معمر
٥٥		*Onopordon heteracanthum*	الكُعْر	جنبة	معمر
٥٦		*Osteospermum vaillantii*	الصُّفيرا	عشبة	حولي
٥٧		*Psiadia punctulata*	الطُّبَّاق	جنبة	معمر
٥٨		*Pulicaria undulate*	العَرْفج	جنبة	معمر
٥٩		*Reichardia tingitana*		عشبة	حولي
٦٠		*Senecio asirensis*	البَيْضاء	جنبة	معمر
٦١		*Silybum marianum*	شُبْرم	عشبة	حولي
٦٢	Convolvulaceae العُليقية	*Convolvulus arvensis*	العصبة	متسلق	معمر
٦٣		*Seddera Arabica*			
٦٤		*Seddera latifolia*	القَطَف	عشبة	معمر
٦٥	Cucurbitaceae القَرَعية	*Citrullus colocynthis*	الحنظل	زاحف	معمر
٦٦		*Cucmis prophetarum var. prophetarum*	الحَنْظَل	زاحف	معمر
٦٧		*Zehneria scabra*	الشَّرْو	متسلق	معمر
٦٨	Cupressaceae السَّروية	*Juniperus procera*	العَرْعَر	شجرة	معمر
٦٩	Cyperaceae السَّعدية	*Cyperus sechimperianus*	النَّمَص	عشبة	معمر
٧٠		*Scirpus vulgaris*	النَّمَص	عشبة	معمر

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
٧١	Ebenaceae الآبَنوسية	*Euclea schimperi*	القَحَز	شجرة	معمر
٧٢	Ericaceae الخَلَنجية	*Erica arborea*	النَّبْش	شجرة	معمر
٧٣	Ephedraceae	*Ephedra foeminea*	العَلَندة	متسلق	معمر
٧٤	Euphorbiaceae الصَّابية	*Clutia myricoides*	اليَسْتَعُور	جنبة	معمر
٧٥		*Acalypha fruticosa*	عشبة		
٧٦		*Euphorbia granulate*		عشبة	معمر
٧٧		*Euphorbia helioscopia*	الرَّمْدَة	عشبة	حولي
٧٨		*Euphorbia schimperi*	الدَّهن	عشبة	معمر
٧٩		*Ricinus communis*	الخروِع	شجيرة	معمر
٨٠	Geraniaceae العِطْرية	*Erodium moschatum*		عشبة	حولي
٨١		*Geranium trilophum*		عشبة	معمر
٨٢	Iridaceae السَّوسنيَّة	*Romulea fischeri*	الذَّرَق	عشبة	حولي
٨٣	Juncaceae	*Juncus punctorius*			
٨٤	Lemnaceae	*Lavandula citriodora*		عشبة	معمر
٨٥		*Lavandula dentate*	الخَوْشع (الضُّرْم)	جنبة	معمر
٨٦		*Lavandula pubescens*	الشَّيْعة	عشبة	معمر
٨٧		*Nepeta deflersina*	الشَّيْعة	جنبة	
٨٨		*Otostegia fruticosa*	الشَّرَم	جنبة	معمر
٨٩		*Plectranthus asirensis*	السَّنعْبوق	جنبة	
٩٠		*Salvia aegyptiaca*			
٩١		*Salvia merjamie*	الخُزامى	عشبة	حولي
٩٢		*Salvia schimperi*	الأُذْنة	عشبة	حولي
٩٣		*Teucrium yemense*	الجَعْدَة	عشبة	معمر

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
٩٤	**Fabeceae** السنفية	*Acacia asak*	الضَّهْيان	شجرة	معمر
٩٥		*Acacia ehrenberrigiana*	السلم		
٩٦		*Acacia etbaica*	القرض	شجرة	معمر
٩٧		*Acacia gerrardii*	الطَّلْح (السَّلاء)	شجرة	معمر
٩٨		*Acacia hamulosa*	قتاد	جنبة	معمر
٩٩		*Acacia origena*	الطلّح (الكَنهبل)	شجرة	معمر
١٠٠		*Acacia tortilis*	السمر	شجرة	معمر
١٠١		*Astragalus abyssinicus ssp. Abyssinicus*	السَّنا	عشبة	معمر
١٠٢		*Crotalaria emarginella*		عشبة	معمر
١٠٣		*Indigofera articulate*	الخطْر	جنبة	معمر
١٠٤		*Indigofera spiniflora*	الحِل	عشبة	معمر
١٠٥		*Indigofera spinosa*	القَطَف	جنبة	معمر
١٠٦		*Medicago polymorpha*	النَّفْل	عشبة	حولي
١٠٧		*Melilotus indicus*	العطْر	عشبة	حولي
١٠٨		*Rhynchosia buramensis*	اللُّوَّي	متسلق	معمر
١٠٩		*Trigonella anguina*	الذُّرَق	عشبة	حولي
١١٠	**Loranthaceae** العَنَميَّة	*Phragmanthera austroarabica*	الهَدَّال	جنبة	معمر
١١١		*Plicosepalus curviflorus*	العَنَم	جنبة	معمر
١١٢	**Malvaceae** الخَبَّازية	*Fioria dictyocarpa*		عشبة	معمر
١١٣		*Abutilon bidentatum*	الرون	جنبة	
١١٤		*Abutilon pannosum*	الروني	جنبة	
١١٥		*Hibiscus deflersii*	القُمِّيشة	جنبة	معمر
١١٦		*Hibiscus vitifolius*		عشبة	حولي
١١٧		*Malva verticillata*	الخُبازي	عشبة	حولي

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
١١٨		*Grewia tembensis*	شوحط	جنبة	
١١٩		*Grewia tenax*		جنبة	
١٢٠	Menispermaceae	*Cocculus pendulus*	الغشوة	متسلقة	
١٢١	Moraceae التوتية	*Ficus palmate*	الحماط	شجرة	معمر
١٢٢		*Ficus ingens*	الجُمِّيز	شجرة	معمر
١٢٣		*Ficus cordata ssp. Salicifolia*	الأثأب	شجرة	معمر
١٢٤		*Ficus sycomorus*	الجُمَّيز	شجرة	معمر
١٢٥		*Ficus vasta*	الرُّقَّع	شجرة	معمر
١٢٦	Nyctaginaceae الجَهَنَّمية	*Commicarpus grandiflorus*	الرَّقَم	متسلق	معمر
١٢٧		*Commicarpus plumbagineus*	الرَّقَم	متسلق	معمر
١٢٨	Oleaceae الزَّيْتونية	*Jasminum grandiflorum*	القَان	متسلق	معمر
١٢٩		*Olea europaea*	العُتُم	شجرة	معمر
١٣٠	Oxalidaceae	*Oxalis corniculata*	الحُمِّيضى	عشبة	حولي
١٣١	Papaveraceae الخشخاشية	*Argemone Mexicana*		عشبة	حولي
١٣٢	Plantaginaceae الحَمليَّة	*Plantago cylindrical*	الرِّبلة	عشبة	معمر
١٣٣		*Veronica anagallis-aquatica*		عشبة	
١٣٤	Poaceae النَّجيلية	*Andropogon distachyos*	الإسْنام	عشبة	معمرة
١٣٥		*Avena fatua*	الزَّن	عشبة	حولي
١٣٦		*Chrysopgon plumulosus*	الغَرَز	عشبة	حولي
١٣٧		*Coelachyrum poiflorum*		نجيلي	معمر
١٣٨		*Cynodon dactylon*	الثيِّل	نجيلي	معمر
١٣٩		*Stipa capensis*	البُهْمي	نجيلي	حولي
١٤٠		*Tetrapogon villosus*	الأَيْيَد	نجيلي	حولي
١٤١		*Themeda triandra*	القَرَضَة	نجيلي	معمر

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
١٤٢	Polygalaceae البولوغالية	*Polygala sp. aff. Abyssinic*		عشبة	معمر
١٤٣		*Rumex nervosus*	العُثْرُب	جنبة	معمر
١٤٤		*Rumex vesicarius*	الحميض	عشبة	حولي
١٤٥	Resedaceae البليحاوية	*Ochradenus baccatus*	القِرْضي	جنبة	معمر
١٤٦	Rhamnaceae السِّدْرية	*Rhamnus lycioides*	نِيم القرود	جنبة	معمر
١٤٧		*Sageretia thea var bornmuelleri*	نِيم	جنبة	معمر
١٤٨		*Ziziphus spina-christi*	السِّدر	شجرة	معمر
١٤٩	Rubiaceae البُنِّية	*Breonadia salicina*	الصَّوْمَل	شجرة	معمر
١٥٠	Rutaceae السذابية	*Ruta chalepensis*	السَّذاب	عشبة	معمر
١٥١	Sapindaceae الصَّابونية	*Dodonaea angustifolia*	الشَّث	جنبة	معمر
١٥٢	Scrophulariaceae الخنازيرية	*Buddleja polystachya*	العُفار	جنبة	معمر
١٥٣		*Scrophularia arguta*		عشبة	حولي
١٥٤	Solanaceae الباذنجانية	*Datura fastuosa*	عين البقر	عشبة	معمر
١٥٥		*Datura innoxia*	البِنج	عشبة	معمر
١٥٦		*Nicotiana glauca*			
١٥٧		*Lycium shawii*	العَوْسَج	جنبة	معمر
١٥٨		*Solanum incanum*	الحَدق	جنبة	معمر
١٥٩		*Solanum schimperianum*	الصَّعوَر	جنبة	معمر
١٦٠		*Solanum sepicula*	أم لحم	جنبة	معمر
١٦١		*Solanum villosum*	عِنَب الثعلب	عشبة	معمر
١٦٢		*Withania somnifera*	العُبَب	جنبة	معمر
١٦٣	Stilbaceae	*Nuxia oppositifolia*	الصور	شجرة	معمر

م	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
١٦٤	Urticacaea القُرَّاصية	*Urtica pilulifera*	العُقَّار (الحُرَّاق)	عشبة	حولي
١٦٥		*Urtica urens*	العُقَّار	عشبة	معمر
١٦٦	Verbenaceae	*Lantana sp.*		جنبة	معمر
١٦٧		*Premna resinosa*			
١٦٨	Vitaceae	*Cyphostemma digitatum*		متسلق	معمر
١٦٩	Aloeceae الصَّبارية	*Aloe gibba*	الصَّبَّار (المَقر)	جنبة	معمر
١٧٠		*Aloe porpyrostachys*	الصبَّار (سيوف الرِّبحان)	جنبة	معمر
١٧١		*Aloe vacillans*	الصَّبَّار (المقر)	جنبة	معمر
١٧٢		*Asphodeluse aestivus*	البَرْوَق	عشبة	معمر
١٧٣	Zygophyllacea الرَّطْريطية	*Fagonia indica*	الشُّكاعي	عشبة	حولي
١٧٤		*Tribulus parvispinus*	العضرس	عشبة	معمر

المصدر: من إعداد الباحث بناء على الزيارات الميدانية

٥- الأنواع النادرة:

بلغ عد الأنواع النباتية النادرة نحو (٣٠) نوعاً نباتيا، وتم استنتاج الندرة من المسح الميداني ونتائج التحليل الكمي للغطاء النباتي بجبل البلس والأدبيات العلمية الدولية والمحلية المتعلقة بالدراسات النباتية عن المملكة العربية السعودية والدول المجاورة (جدول٢)، وتعود الندرة إلى جملة من الأسباب؛ منها ما هو طبيعي مثل الموت القمي، والجفاف، والاصابات الحشرية والفيروسية، أما الأسباب البشرية مثل الرعي الجائر، والتوسع العمراني والزراعي، واستنزاف الموارد المائية خاصة الغدران والآبار، واقامة السدود الترابية والاسمنتية.

جدول (٢) : الأنواع النادرة في جبل البلس

	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
١-	Amaryllidaceae النرجسية	*Crinum album*	العُنْصُل	عشبة	معمر
٢-	Anacardiaceae البطمية	*Pistacia falcate*	الضِّرْو	شجرة	معمر
٣-		*Rhus retinorrhoea*	التَّألب	شجرة	معمر
٤-		*Monolluma quadrangula*	الفَعَم	جنبة	معمر
٥-		*Dregea schimperi*	اللُّوَّيا	متسلق	معمر
٦-	Aracaceae	*Phoenix caespitosa*	الغَضَف (الشُّطُب)	شجرة	معمر
٧-	Boraginaceae	*Trichodesma calathiforme*	الحُمَم	عشبة	معمر
٨-	Capparaceae الكبرية	*Capparis sinaica*	اللَّصَف	جنبة	معمر
٩-	Cleomaceae	*Cleome ramosissima*	عطر	عشب	
١٠-	Commelinaceae	*Commelina albescens*		متسلق	
١١-	Convolvulaceae	*Seddera arabica*		شجيرة	معمر
١٢-	Ebenaceae الآبَنوسية	*Euclea schimperi*	القَحَز	جنبة	معمر
١٣-	Ericaceae الخَلَنجية	*Erica arborea*	النَّبْش	شجرة	معمر
١٤-	Fabeceae السنفية	*Acacia asak*	الضَّهْيان	شجرة	معمر
١٥-		*Acacia origena*	الطلّح (الكَنهبل)	شجرة	معمر
١٦-	Malavceae	*Melilotus indicus*	العطْر	عشبة	حولي
١٧-		*Hibiscus deflersii*	القُمِّشة	جنبة	معمر
١٨-		*Hibiscus vitifolius*		عشب	معمر
١٩-		*Grewia tembensis*	شوحط	شجيرة	معمر
٢٠-		*Grewia tenax*		شجيرة	معمر
٢١-	Moraceae	*Ficus ingens*	الجُمِّيز	شجرة	معمر

	الفصيلة	الاسم العلمي للنوع	الاسم العربي للنوع	أشكال النماء	دورة الحياة
٢٢-		*Ficus sycomorus*	الجُمَّيز	شجرة	معمر
٢٣-		*Ficus vasta*	الرُّقَّع	شجرة	معمر
٢٤-	Rhamnaceae السِّدْرية	*Rhamnus lycioides*	نِيم القرود	جنبة	معمر
٢٥-		*Sageretia thea var bornmuelleri*	نِيم	جنبة	معمر
٢٦-	Rubiaceae البُنِّية	*Breonadia salicina*	الصَّوْمَل	شجرة	معمر
٢٧-	Scrophulariaceae الخنازيرية	*Buddleja polystachya*	العُفار	جنبة	معمر
٢٨-	Stilbaceae	*Nuxia oppositifolia*	الصر	شجرة	معمر
٢٩-	Vitaceae	*Cyphostemma digitatum*		متسلق	
٣٠-	Aloceae	*Aloe porpyrostachys*	الصبَّار (سيوف الرِّبحان)	جنبة	معمر
٣١-		*Aloe vacillans*	الصَّبَّار (المقر)	جنبة	معمر

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على الدراسة الميدانية والتحليل الكمي للغطاء النباتي بالبلس

٦-الأنواع المتوطنة:

يمتـاز الغطاء النباتي في المملكة العربيــة السعودية بقلة أنواعه المتوطنة ولعل السبب وراء هــذه الظاهرة برغم كبر مساحتها والتي تقــدر بنحو مليوني كيلومتر مربع يعود إلى الظـروف البيئية القاسية من حيث قلــة الأمطار وارتفاع درجات الحرارة وملوحة التربة، ومن العوامل المؤثرة كذلك وقوع شبه الجزيرة العربية بالقرب من كتل يابسية ضخمة مثل قارتـي إفريقيا وأوروبا من الشمال والغرب، وهضبة إيـران من الشرق مما جعلها ملاذا لبعض الأنواع التي تنتمي لتلك الأقاليم مثل الإيراني الطوراني، والسوداني- الزمبيزي.

تختلـف التقديرات بين الباحثـين في عددٍ الأنواع المتوطنة في المملكة؛ فنجد جيكوب (Jacop، 2011) يقدرهــا بنحــو (٥٤) نوعــاً نباتيــا فيـ حــين أن كونليــت (Collenet،

1998) تقدرها بنحو(١٥٠) نوعا نباتياً سجل منها في جبل البلس نحو(١٣) نوعاً متوطناً مثل الصبار (Aloe porpyrostachys) (صورة رقم:١)، والسلب (Sarcostemma forskaolianum) وهو من النباتات المهددة بالانقراض في المملكة العربية السعودية وكان مجموع ما سجل منه ثلاثة أفراد فقط في المنحدر الغربي للبلس.

جدول (٣) : الأنواع المتوطنة في جبل البلس

م	النوع	الفصيلة	الاسم العربي
١-	**Aloe porpyrostachys**	**Aloceae**	الصبار
٢-	**Senecio asirensis**	**Compositae**	البيضاء
٣-	**Teucrium yemense**	**Lamianceae**	الجعدة
٤-	**Seddera Arabica**	**Convolvulaceae**	القطف
٥-	**Asphodelus aestivus**	***Xanthorrhoeaceae***	البروق
٦-	***Anthemis pseudocotul***	**Compositae**	الأقحوان
٧-	***Astragalus abyssinicus ssp. Abyssinicus***	**Leguminosae**	القتاد
٨-	***Barleria bispinosa***	**Acanthaceae**	الشخث
٩-	***Carissa spinarum L***	**Apocynceae**	الشدن
١٠-	***Centaurea sinaica***	**Compositae**	المرار
١١-	***Echinops erinaceus***	**Compositae**	الخرشوف
١٢-	***Lavandula citriodora***	**Lamiaceae**	
١٣-	***Reichardia tingitana***	**Compositae**	المرة
١٤-	***Sarcostemma forskaolianum***	**Apocynceae**	السلب

(*) المصدر من إعداد الباحث اعتمادا على:

1- Collenettete, Sheila.,(1998) . A Checklist of botanical Species in Saudi Arabia, International Asclepiad Society, Burgress Hill.

2- Thomas, Jacop,(2011) , Flora of Saudi Arabia-Checklist, King Saud University. http://plandiversity of saudi arabia. info/biodiversity-saudi-arabia/flora/list.

٤- النتائج والمناقشة:

أ- التحليل الكمي للغطاء النباتي:

سجل في جبل البلس (١٧١) نوعاً نباتياً، منها (١٩) نوعاً شجرياً بما نسبته(١١,١٪)، و(٥٥)جنبة (شجيرة) (٣٢,١٪)، و(٨٤) عشبة (٤٩,١٪)، و(١١) متسلقًا (٦,٤٪)،و (٢) زاحف (١,٢٪).

من دراسة الجدول رقم (٤) يتضح اختلاف كثافة الأنواع النباتية وقد تراوحت ما بين متوسط وضعيف، وهذا الأمر يعد طبيعيا في البيئات الجافة وشبه الجافة. وأعلى كثافة سجلها نوع الربلة Plantago cylindrical وبلغت (٠,٠٠٨٧) في المتر المربع، يليها نوع التبغ الكاذب (Nicotiana glauca) وسجلت (٠,٠٠٨٢) فرداً في المتر المربع، وهناك بعض الأنواع التي تنتمي لجنس الأكاسيا كانت كثافاتها منخفضة في جبل البلس وقد اقتصر وجودها على الأجزاء الغربية من الجبل ومنها: القرض (Acacia etbaica)، والقتاد (Acacia hamulosa) وسجلا كثافة (٠,٠٠١، و٠,٠٠٠٨) على التوالي فرداً في المتر المربع الواحد. ومن الأنواع ذات المدى البيئي الواسع العدنة (Adenium obesum) إلا إن كثافتها كانت قليلة (٠,٠٠٠٩) في (م٢) وربما يعود ذلك إلى ما تتعرض له من ضغوط بشرية بسبب بيعها كشجرة زينة في المشاتل التجارية. في حين شجرة الصر Breonadia salicina سجلت ٠,٠٠٠٠٥ في م٢ ويعود ذلك إلى قلة أعدادها في جبل االبلس. ومما سبق يتضح أن انخفاض الكثافة يعود إلى مساحة المربعات (٩٠٠م٢ للمربع الواحد).

يعد التردد من المقاييس الكمية التي تفيد في دراسة التوزيع الجغرافي لمكونات الغطاء النباتي، وبلغ عدد المربعات (٢٠) مربعاً مساحة كل منها (٩٠٠م٢) وقد أظهر نوعي الشرم (Otostegia fruticosa)، والسحاء (Blepharis ciliaris) توزيعا منتظما في منطقة الدراسة بلغت (٧٥٪ و٧٠٪)على التوالي وهو ما يؤكد مداهما البيئي الواسع، وسجلت عشبتي الأسنام (Andropogon distachyos) والداعاعة (Aizoon canariense) ترددا بلغ (٦٥٪)، وسجلت مجموعة من الأنواع ترددا بلغ (٦٠٪) ومنها طلح السلاء (Acacia gerrardii)، والراء (Aerva javanica)، والحليوا (Fagonia indica)، والبروق (Asphodeluse aestivus). والروني (Abutilon bidentatum) (٥٥٪). أما الأنواع التي كان ترددها معتدلا (٤٠٪) أي تسجيلها في أجزاء معينة من جبل البلس ومنها الظهيان Acacia asak،

والعصبة Asparagus africanus، ونوع Commicarpus grandiflorus، ونوع Crotalaria emarginella، والقان Jasminum grandiflorum (صورة:١)، وسجل نوعي Chrysopogon plumulosus وChrysopogon plumulosus ترددا ٣٥٪، وهناك أنواع أخرى كان ترددها ٣٠٪ مثل الثرار Conyza holchstetteri، ونوع Cucumis prophetarum، ونوع Euclea schimperi. ومن الأنواع التي تواجه ضغوطا بسبب الاستخدام المفرط لها نوع الذفراء Acalypha fruticosa حيث يستخدمه السكان مساويك لتنظيف الاسنان ويضيفونه على الشاي كمنمه، وشوهد بعض العمالة الوافدة تقوم ببيعه على الطرقات وانكس ذلك على تكراره (٢٠٪)، وبنفس التكرار سجل الشفلح (Capparis sinaica) وهو من النباتات المأكولة. ومن الأنواع المهمة والتي كان تكرارها قليلا بعض الأنواع المنتمية لجنس (Ficus)، هذه النباتات مهمة من الناحية البيئية والاقتصادية؛ فهي تمثل مصدر غذاء لكثير من الحيوانات البيرية والمستأنسة مثل قرود الرباح، والسناجب، والفئران، كما أنها غذاء للإنسان، ويستفيد من أخشابها، ويصنع منها خلايا النحل، وهي أنواع محتطبة، وسجلت شجرة الجميز (Ficus ingens) تكرارا بلغ (٢٥٪) وهي من الأشجار المهددة بالانقراض في المملكة العربية السعودية وسجل في هذا الجبل تسعة أفراد فقط، وشجرة الرقع (Ficus vasta) ليست عنها ببعيد وتم تسجيل أربعة أفراد فقط وتكراها (٢٠٪)، أما شجرة الإبراء (Ficus sycomorus) فتكرارها (١٠٪)، وسجل منها ثلاثة أفراد فقط وجميعها في وادي النيل، ومن النباتات قليلة الانتشار والمهددة بالانقراض فمنها العفار (Buddleja polystachya)، والنبش (Erica arborea) وبلغ تكرار كل منهما (١٠٪) فالعفار ينموا على ضفاف وادي الوعرة بينما النبش في قمة جبل البلس. ومن الجنبات المتوطنة في المملكة العربية السعودية وهي من الأنواع المهددة بالانقراض المقر (الصبار) ويسميها السكان المحليين سيوف الربحان (Aloe porpyrostachys)، وسجا منها أربعة أفراد وبتكرار (١٠٪) (صورة:٢). أما أكثر النباتات ندرة في جبل البلس فهي شجرة الصر (Breonadia salicina)، ولم يسجل سوى فرد واحد وبتكرار (٥٪) فقط، وهي من الأنواع المهددة بالانقراض، وهي شجرة عملاقة يصل ارتفاعها إلى (٢٥م) وهي من الأنواع المحبة للماء وتم تسجيلها في وادي النيل.

جدول (٤) : لبيانات الكمية للغطاء النباتي

Number of individuals in each quadrat																					D	F %
Location	وادي الجفياء	وادي الجفياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص		
Elevation	**900-1400**			**1401-1800**				**1801-2100**			**2101-2350**			**2350-2100**				**2099-1800**				
Species																						
Abutilon bidentatum	**9**	**5**	**5**				**15**	**11**					**10**	**9**	**9**	**13**			**4**	**7**	**0.005389**	**55**
Abutilon pannosum	**3**	**6**	**14**	**13**			**6**														**0.002333**	**25**
Acacia asak	**4**	**5**	**6**	**5**	**6**	**1**	**3**	**3**													**0.001833**	**40**
Acacia etbaica		**1**	**2**	**3**	**2**	**3**	**2**	**5**													**0.001**	**35**
Acacia ehrenberrigiana	**17**	**13**	**15**	**11**	**16**	**9**															**0.0045**	**30**
Acacia gerrardii			**2**			**3**	**1**	**4**					**3**	**1**	**8**	**8**	**23**	**17**	**20**	**18**	**0.006**	**60**
Acacia hamulosa	**3**		**3**	**3**		**5**		**2**													**0.000889**	**25**
Acacia origena									**6**	**5**	**5**	**5**									**0.001167**	**20**
Acacia tortilis	**3**	**7**	**5**	**6**	**2**	**2**															**0.001389**	**30**
Acalypha fruticosa									**3**	**4**		**6**		**2**	**2**						**0.000944**	**25**
Achillea biebersteinii									**11**	**8**	**8**	**5**	**12**	**9**	**11**	**21**	**18**	**9**			**0.006222**	**50**
Adenium obesum			**1**	**3**		**2**	**1**							**1**	**2**		**1**	**2**	**1**	**3**	**0.000944**	**50**
Aerva javanica	**3**	**1**	**6**	**4**						**2**		**5**		**6**		**20**	**25**	**18**	**21**	**27**	**0.007667**	**60**
Aizoon canariense			**5**	**8**	**9**		**9**			**5**	**7**	**7**		**7**		**17**	**14**	**19**	**22**	**15**	**0.008**	**65**
Aloe gibba											**2**				**1**		**3**			**3**	**0.0005**	**20**
Aloe porpyrostachys												**3**				**1**					**0.000222**	**10**
Ambrosia maritime											**2**	**5**	**5**	**3**		**5**					**0.001111**	**25**
Andropogon distachyos			**1**	**3**			**8**	**8**			**3**	**8**	**10**	**13**	**10**	**13**	**7**		**3**	**5**	**0.005111**	**65**
Anthemis pseudocotula									**9**	**5**	**11**	**9**	**2**								**0.002**	**25**
Argemone Mexicana	**7**	**3**	**5**	**6**									**4**	**3**	**9**	**5**	**11**	**9**			**0.003444**	**50**
Asparagus africanus									**2**		**2**	**6**	**5**	**2**		**5**	**1**	**1**			**0.001333**	**40**
Asphodeluse aestivus			**2**	**2**				**1**	**2**		**5**	**5**	**7**		**11**		**9**	**6**	**9**	**2**	**0.003389**	**60**
Astragalus abyssinicus ssp. Abyssinicus											**6**	**6**		**2**			**7**		**8**	**8**	**0.002056**	**30**
Avena fatua										**9**	**7**		**11**	**9**		**13**					**0.002722**	**25**
Barleria bispinosa								**1**	**2**		**4**										**0.000389**	**15**

Location	Number of individuals in each quadrat																				D	F %
	وادي الحفياء	وادي الحفياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص		
Elevation	900-1400			1401-1800				1801-2100			2101-2350			2350-2100				2099-1800				
Species																						
Blepharis ciliaris		5	11	11		7		7		9		2		2	1	4	19	21	21	25	0.008056	70
Breonadia salicina			1																		0.000055	5
Buddleja polystachya													8		3						0.000611	10
Calendula arvensis									3	8		8			6	1		1			0.0015	30
Calotropis procera	5	6		11										2		3	5	3	3	5	0.002389	45
Capparis sinaica				1			1	1		1			1								0.000278	25
Carissa spinarum L.									2	1	2	3	3	1	1	3					0.000889	40
Centaurea schimperi										2			1	2		2	5	3		5	0.001111	35
Centaurea sinaica								3		3		2	5	4	2	5	6	7	5	9	0.002833	55
Chrysopogon plumulosus			21		18	15	13			5						2	5				0.004389	35
Cirsium vulgare								2		3		1	1								0.000389	20
Citrullus colocynthis	2	2		1					1	3			1			3	2		6	6	0.0015	50
Cleome ramosissima														2	1						0.000167	10
Clutia myricoides									7	3	6	11		8		9	4				0.002667	35
Cocculus pendulus	4		3		1	3			2	3							5		9	5	0.001944	45
Coelachyrum poiflorum																1	2	3			0.000333	15
Cometes surattensis									3				1	2	1	5					0.000667	25
Commelina albescens										1	1		6	9	9	5	2				0.001833	35
Commicarpus grandiflorus					4	1		2	3								7	2	6	5	0.001667	40
Commicarpus plumbagineus						1	2						2		4	4		5	5	6	0.001611	40
Convolvulus arvensis						5	2		5	6		57				3	2	6	9	9	0.005778	50
Conyza holchstetteri					2	3				5	3		4	5							0.001222	30
Conyza pyrrhopappa					1		4						1	2							0.000444	20
Conyza stricta									6	9	11	7									0.001833	20
Crinum album									3		2		3		4	2					0.000778	25

Location	Number of individuals in each quadrat																				D	F %
	وادي الحفياء	وادي الحفياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص		
Elevation	**900-1400**			**1401-1800**				**1801-2100**			**2101-2350**			**2350-2100**				**2099-1800**				
Species																						
Crotalaria emarginella						3	5	4						3	4	4	2		1		0.001444	40
Cucumis prophetarum	5	3	1		2														2	3	0.000889	30
Cynodon dactylon								3	3		8	5			4	4	9		1		0.002056	40
Cyperus sechimperianus				4					3			7	8	8			2	5	5	8	0.002778	45
Cyphostemma digitatum													1		2	1					0.000222	15
Datura fastuosa	3		4							4		5	7			7	9	7	11	14	0.003944	50
Desmidorchis retrospiciens		5	5	4		1												1	2	5	0.001278	35
Dianthus sinaicus								5	5		8	7	7	3		4		1	2	2	0.002444	50
Dodonaea angustifolia							4	9	8	2		1	3	7	5	3	1				0.002389	50
Dregea schimperi												1		2							0.000167	10
Echinops erinaceus	2	1	3	3												4	4	6		9	0.001778	40
Echium longifolium								3	4		3	3		8	6	6			4		0.002056	40
Ephedra foeminea				3	4	1							2	1		1	3	3		5	0.001278	45
Erica arborea												2	1								0.000167	10
Erodium moschatum									3	3		7	7		9	5		4	4		0.002333	40
Euclea schimperi														2	4	4	5	3	2		0.001111	30
Euphorbia granulata				7	6							9	8		8				2		0.002222	30
Euphorbia helioscopia											3	8	11		12	5	5		1		0.0025	35
Euphorbia schimperi									3					7	3	7	8	11	9	4	0.002889	40
Euryops arabicus									5	5	7	4									0.001167	20
Fagonia indica		3	4	1		3	3	1			6	6	11	9	9	11	13				0.004444	65
Felica abyssinica									5	2	5		3	1							0.000889	25
Ficus cordata ssp. salicifolia			2	2			3	6					3		4		1	3	2	2	0.001556	50
Ficus ingens			1	1			1						2	4							0.0005	25

Number of individuals in each quadrat																					D	F %
Location	وادي الجفياء	وادي الجفياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص		
Elevation	**900-1400**			**1401-1800**				**1801-2100**			**2101-2350**			**2350-2100**				**2099-1800**				
Species																						
Ficus palmate							**1**			**1**	**1**	**1**	**1**	**2**	**2**						**0.0005**	**35**
Ficus sycomorus			**2**	**1**																	**0.000167**	**10**
Ficus vasta						**1**		**1**					**1**		**1**						**0.000222**	**20**
Fioria dictyocarpa	**5**	**5**	**3**	**5**	**1**																**0.001056**	**25**
Geranium trilophum								**3**	**24**	**17**	**21**	**33**	**19**	**17**		**12**		**5**			**0.008389**	**45**
Gomphocarpus fruticosus						**1**		**1**					**3**	**5**		**3**	**4**	**2**	**2**	**3**	**0.001333**	**45**
Gomphocarpus sinaicus	**1**		**1**		**4**	**1**											**3**	**2**		**4**	**0.000889**	**35**
Grewia tembensis		**2**		**3**																	**0.000278**	**10**
Grewia tenax					**2**	**1**	**7**	**5**													**0.000833**	**20**
Gypsophila antari						**3**	**2**	**3**													**0.000444**	**15**
Hedypnois cretica									**10**	**12**	**12**	**9**	**15**	**9**							**0.003722**	**30**
Heliotropium lasiocarpum	**9**			**5**		**4**		**11**	**8**						**6**	**7**		**9**	**9**	**11**	**0.004389**	**50**
Hibiscus deflersii						**1**		**2**						**1**		**1**					**0.000278**	**20**
Hibiscus vitifolius		**1**		**6**	**5**		**3**														**0.000833**	**20**
Hypoestes forsskalii									**21**	**19**	**25**	**22**	**7**	**11**	**8**	**8**					**0.006722**	**40**
Indigofera articulate	**3**	**5**	**5**	**1**		**2**		**3**													**0.001056**	**30**
Indigofera spiniflora					**2**	**1**	**2**	**4**													**0.0005**	**20**
Indigofera spinosa	**4**	**1**	**3**																**2**	**2**	**0.000667**	**25**
Jasminum grandiflorum									**2**	**2**	**3**	**8**	**6**	**2**	**1**	**2**					**0.001444**	**40**
Juncus punctorius			**4**	**2**					**2**	**3**		**4**	**9**								**0.001333**	**30**
Juniperus procera									**40**	**36**	**42**	**42**	**11**	**8**	**8**	**9**					**0.010889**	**40**
Kanahia laniflora			**2**	**3**									**6**	**2**			**4**		**6**	**6**	**0.001611**	**35**
Kleinia odora															**3**		**2**	**5**		**3**	**0.000722**	**20**
Lantana sp											**1**		**1**	**2**							**0.000222**	**15**
Launea mucronata														**05**		**3**		**4**	**4**	**1**	**0.000944**	**25**

Location	وادي الحضياء	وادي الحضياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص	D	F %
	Number of individuals in each quadrat																					
Elevation	900-1400			1401-1800				1801-2100			2101-2350			2350-2100				2099-1800				
Species																						
Lavandula citriodora													6	6	9	5					0.001444	20
Lavandula dentata									3	9	8	11	6	1	3	7	4				0.002889	45
Lavandula pubescens							1	4	1	2	2	1	5		3	1					0.001111	45
Lycium shawii	2	2	7	5									2	1	1		21	18	31	35	0.006944	55
Malva verticillata									4	6	3	3	1		2						0.001056	30
Maytenus parviflora							3	8		5	7	3									0.001444	25
Medicago polymorpha									5	3	3	5	1	1							0.001	30
Melilotus indicus							3	3													0.000333	10
Minuartia filifolia									13	17	16	21	18	9	2	3					0.0055	40
Monolluma quadrangula	5	2	6		2	2													3	7	0.0015	35
Nepeta deflersina									4	1		1									0.000333	15
Nicotiana glauca			2	6									15	17	14	10	17	21	25	22	0.008278	50
Nuxia oppositifolia													2	1							0.000167	10
Ochradenus baccatus	1			1	2	2		3					1		3	3	5	5	7	5	0.002111	60
Olea europaea							2	5					7	7	10	16	1				0.002667	35
Onopordon heteracanthum									3	4	1	1									0.0005	20
Osteospermum vaillantii									4	4		7	4			11	9	2		12	0.002944	40
Otostegia fruticosa				1		3	1		2	6	5	4	4	11	9	11	10	4	11	6	0.004889	75
Oxalis corniculata									1	5		3	11	4	7	5		7		1	0.002444	45
Pergularia daemia									2	1	1			3	3	2	1	1	3	1	0.001	50
Periploca aphylla								1		2					4	1	3		2	3	0.000889	35
Periploca somaliensis									2		3	3	4	1	3	5					0.001167	35
Phoenix caespitosa									1		3			1				9		4	0.001	25
Phoenix dactylifera													3			2	1		3		0.0005	20

Number of individuals in each quadrat																					D	F %
Location	وادي الحضياء	وادي الحضياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص		
Elevation	900-1400			1401-1800				1801-2100			2101-2350			2350-2100				2099-1800				
Species																						
Phragmanthera austroarabica				**3**		**4**								**5**	**2**		**3**	**13**	**7**	**11**	**0.002667**	**40**
Pistacia falcata							**1**	**1**	**3**			**2**		**1**	**2**						**0.000556**	**30**
Plantago cylindrical						**3**		**5**		**21**	**13**	**18**			**23**	**17**	**10**		**22**	**25**	**0.008722**	**50**
Plectranthus asirensis								**7**	**4**	**4**	**5**		**2**	**1**	**2**						**0.001389**	**35**
Plicosepalus curviflorus	**6**	**7**	**3**			**1**													**2**	**2**	**0.001167**	**30**
Polygala Abyssinic									**2**	**5**			**5**	**6**		**6**	**2**				**0.001444**	**30**
Premna resinosa	**1**				**3**		**2**		**7**						**3**	**5**	**5**	**4**		**3**	**0.001833**	**45**
Psiadia punctulata									**9**	**9**	**15**	**11**	**6**	**9**	**5**	**9**					**0.004056**	**40**
Pulicaria undulate	**4**	**3**	**5**				**7**	**7**	**3**		**2**		**2**		**11**		**9**		**13**	**16**	**0.004556**	**60**
Pupalia lappacea var. velutina						**3**	**3**		**5**								**7**	**6**		**11**	**0.001944**	**30**
Reichardia tingitana						**1**	**2**	**2**					**6**		**4**	**4**					**0.001056**	**30**
Rhamnus lycioides								**1**		**2**		**2**	**1**		**1**	**3**	**1**		**4**	**1**	**0.000889**	**45**
Rhus retinorrhoea								**1**			**2**		**2**	**3**		**1**					**0.0005**	**25**
Ricinus communis	**2**	**5**	**3**		**1**			**5**		**5**	**6**	**3**		**9**	**5**	**5**					**0.002722**	**55**
Romulea fischeri									**2**	**6**	**6**	**5**		**3**	**3**	**1**					**0.001444**	**35**
Rosa abyssinica											**2**	**1**	**1**	**5**							**0.0005**	**20**
Rumex nervosus									**7**	**7**	**4**	**11**		**9**	**12**	**11**					**0.003389**	**35**
Rumex vesicarius						**9**		**4**			**5**		**11**		**15**		**6**	**7**		**21**	**0.004333**	**40**
Ruta chalepensis										**4**	**1**	**3**									**0.000444**	**15**
Sageretia thea var bornmuelleri											**1**	**1**	**3**	**2**	**6**	**5**	**1**				**0.001056**	**35**
Salvia aegyptiaca	**2**		**3**	**7**		**3**															**0.000833**	**20**
Salvia merjamie							**2**		**7**	**10**		**21**	**19**			**14**	**15**			**9**	**0.005389**	**40**
Salvia schimperi													**5**		**4**	**2**					**0.000611**	**15**
Sarcostemma forskaolianum							**1**		**2**												**0.000167**	**10**
Scirpus vulgaris			**3**	**8**									**5**	**6**							**0.001222**	**20**
Scrophularia arguta									**5**		**8**		**3**	**5**	**3**		**1**				**0.001389**	**30**
Seddera arabica						**1**		**1**													**0.000111**	**10**

Location	وادي الجفياء	وادي الجفياء	الأصدار الجنوبية	وادي النيل	الأصدار الشمالية	عقبة الخشبة	عقبة الخشبة	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش السفلى	الفرش العليا	الفرش العليا	الفرش العليا	القامة	وادي وعرة	وادي وعرة	وادي وعرة	القصيرة	وادي شواص	وادي شواص	D	F %
	Number of individuals in each quadrat																					
Elevation	**900-1400**			**1401-1800**				**1801-2100**			**2101-2350**			**2350-2100**				**2099-1800**				
Species																						
Seddera latifolia	2	5	4	7	5	8	2	2													0.001944	40
Senecio asirensis											3		2	3	7		5				0.001111	25
Silene conoidea									21	18	14		11		12	9					0.004722	30
Silybum marianum								6	5	7	6		2								0.001444	25
Solanum incanum				3	1		2	4	1		2	5	2	2	3	9					0.001889	55
Solanum schimperianum								1	6	2	7	5	2		4	4	1		1	3	0.002	55
Solanum sepicula														2	3		3		6	5	0.001056	25
Solanum villosum								1	9	6	11	13	5	5				4			0.003	40
Stipa capensis	4	1		11													12		9	8	0.0025	30
Tetrapogon villosus	3	3	1	2		6							9		9			7	4		0.002444	45
Teucrium yemense					1	3			5		3	1	2		6	6					0.0015	40
Themeda triandra					5	1	3	7					9	7			21	15	13	19	0.005556	50
Tribulus parvispinus									3	2		2			6	5	13		6	10.	0.002061	40
Trichodesma calathiforme						2	1						3			1					0.000389	20
Trigonella anguina					2		2	11	19	15	8		11	7		7					0.004556	45
Urtica urens									10	7	12	17		18	9		6				0.004389	35
Veronica anagallis-aquatica		10	15																		0.001389	10
Withania somnifera									3	1	3	2									0.0005	20
Zehneria scabra									3	5	1			4	4		3				0.001111	30
Ziziphus spina-christi	2	1	2	3	2	1											10	5	8	8	0.002333	50



صورة رقم: (١) : نبات القان (Jasminum grandiflorum)



صورة رقم (٢): نبات المقر أحد الأنواع المتوطنة في المملكة
(Aloe porpyrostachys)

ب ـ تأثير عامل الارتفاع في تغير الأنواع والمجتمعات النباتية:

يعـد الغطاء المباتـي انعكاسا للأوضـاع البيئية السائدة في منطقـة الدراسة، فهي تحـدد إلى درجـة كبيرة الأنواع المناسبة للنمو ضمن نطاقهـا البيئي؛ وعامل الارتفاع له تأثـير كبـير في التحكم بدرجات الحـرارة والرطوبة النسبيـة والتساقط ضمن الحدود الجغرافيـة لجبـل البلس؛ لذلك نجد الأجـزاء الغربية المنخفضة مـن الجبل (٩٠٠م) الحرارة بها عالية مقارنة بالاجزاء المرتفعة من (٢٣٥٠م)، ومن هنا اقتصر نمو بعض الأنـواع النباتيـة على هذا الجزء دون غـيره مثل: الـروني (Abutilon pannosum)، والسمر (Abutilon pannosum)، والسلـم (Acacia ehrenberrigiana)، والجميز (Ficus sycomorus)). والحسـا (Veronica anagallis-aquatica) والنـوع الأخـير وجـد على مسيـل ماء في وادي النيل غربي البلس ولم يسجـل في المواقع الرطبة الاخرى من هذا الجبل.

ومـن الدراسة الحقلية أمكن تحديد ستة نطاقات رئيسة تمتاز بوضوح السيادة بها لأنـواع معينـة من النباتات مع وجود عـدة أنواع مرافقة ونادرة وهـي من الغرب باتجاه الشرق كما يلي:

١- النطاق الأول (٩٠٠-١٤٠٠م):

وهـذا النطـاق في الجانـب الشرقـي مـن جبل البلـس بالقرب مـن قريـة مُشرِفة وعلـى ضفـاف وادي الخيطـان، ومنـاخ هذا الجانـب حار أغلـب العام ويمتـاز بوفرة الميـاه السطحيـة، والمجتمع النباتـي هنا في مجمله مـن أنواع الطلـح (Acacis spp)، والسيـادة تكـون لنـوع نبـات السلـم (Acacia ehrenberrigiana)، ويرافقه القرض (Acacia etbaica)، والعسق (Acacia asak)، والقتاد (Acacia hamulosa)، والسمر (Acacia tortilis)، والـرون (Abutilon pannosum) ، والسدر (Ziziphus spina-christi)، والجثجـاث (Pulicaria undulata)، والـراء (Aerva javanica)، وهـذه الأنـواع تتفـق مع مـا توصل إلية جاكـوب وآخـرون ((Jacob et al. ((201، في دراستهم لجبـل شدا وهو ما يوكـد تشابه بيئات الغطـاء النباتي في الأصدار عنـد أقدام الحافة الانكسـارية.

٢- النطاق الثاني (١٤٠١-١٨٠٠م):

على امتداد عقبة الخشبة الرابطة بين قرية الفوقاء في الأجزاء المرتفعة من منطقة

عسير وقرية مشرفة في تهامة عسير يتنوع الغطاء النباتي تبعا للارتفاع وعمق التربة وتوفر مصادر للمياه ويتدرج ارتفاع طريق عقبة الخشبة بين ١٤٠٠م عند وادي النَّيل حتى ١٨٠٠م تقريباً عند أقدام حمى خثغم. والأنواع النباتية المسجلة ضمن هذا النطاق تصل لأكثر ٦٧ نوعاً ولعل السبب يعود للاختلاف التدريجي في درجات الحرارة بالإضافة إلى توفر مصادر للمياه في الخوانق والشعاب الضيقة عبر منحدر هذه العقبة، كما يمثل هذا المنحدر الواجهة الغربية السفلى لجبل البلس، ويمكن تسمية المجتمع النباتي هنا مجتمع السلم-الروني (Abutilon bidentatum-Acacia ehrenberrigiana) ومن الأنواع المسجلة: الذفراء (Acalypha fruticosa)، والشخث Barleria bispinosa وهو من النباتات الرعوية والمتوطنة في المملكة العربية السعودية، والأقحوان ((Anthemis pseudocotula، والرقع Ficus vasta، والقطف (Indigofera spiniflora)، والقرضي (Ochradenus baccatus)، ونوع العيد (Sarcostemma forskaolianum) وهذا النوع نادر ويقتصر وجوده على هذا النطاق، والقطف (Seddera arabica)، ونوع (Crotalaria emarginella)، والجثجاث (Pulicaria undulate)، وجنى الراعي (Hibiscus deflersii).

٣- النطاق الثالث (١٨٠١-٢١٠٠م)

وهذا النطاق يمثل الحافة الانكسارية لجبل البلس (الفرش الأسفل والدوية)، وهي تتكون من خليط معقد من الصخور مثل الجرنيت والجابرو، ونظرا لضعف الفرص لتشكل ترب ناضجة وذلك بسبب سرعة انجرافها عبر المنحدرات؛ فقد اقتصر وجود الأنواع النباتية على الخوانق والشعاب الضيقة، والمجتمع النباتي العتم-الشث (Dodonaea- Olea angustifolia-europaea). وينمو في هذا النطاق مجموعة من الأنواع النباتية مثل الشخث (Barleria bispinosa)، ونوع (Achillea biebersteinii)، والعدنة (Adenium obesum)، والبطم (Pistacia falcata))، والقطف (Indigoferaspinosa)، والاثرار (Maytenusparviflora)، ونوع (Otostegia fruticosa)، و (Crotalaria emarginella)، والشوحط (Grewia tembensis، وCapparis sinaica).

٤- النطاق الرابع (٢١٠١-٢٣٥٠م)

وفي قمة جبل البلس (الفرش الأعلى) حيث اعتدال الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة بسبب الضباب الذي يلف بالمكان على امتداد العام وتسبب في تكون الاشنات على

أغصـان أشجـار العرعـر، وتـؤدي دور كبير في تحلـل الصخور وتكون الـترب الطينية الغنيـة والعميقة؛ لذلك نجد الغطاء النباتي هنا تطغـى عليها مجتمعات نباتية محددة خاصـة العرعـر (Juniperus procera)، ونبـات العرعـر في مثـل هـذه الارتفاعـات خاصـة في الواجهـات الشمالية تزداد كثافته وتغطيته (الوليعـي، ١٤٢٩هـ، ص١٩٤). وسجلـت كثافتـه نحـو (١٤, ٠م٢) في أعلى قمة الجبـل؛ وهذه الكثافة تعـد عالية جدا في البيئـات الجافـة وشبـه الجافـة، أمـا التغطيـة فتتجـاوز (٩٠٪). ويرافـق العرعر هنـا بصـورة أساسيـة الكنهبـل(Acacia origena) وبأعـداد يسـيرة لا تتجـاوز ستة أفـراد في المربـع الواحد وهـو ما يؤكد ندرة هـذا النوع، ومن الأنـواع المتسلقة والمرافقة للعرعر نبات القلـم(Asparagus africanus) ويسميه أهـل البلس العصبة، والطباق (Psiadia punctulata) وشـوك الجمـل(Psiadia punctulata)، وعشبـة النفـل (Trigonella anguina) ويسميهـا أهـل الجبـل العطـر كنايـة عن رائحتهـا الجميلة وربمـا استخدمتهـا النسـاء للزينـة، والعـثرب (Rumex nervosus)، والعتـم (Olea europaea) وجـد بشـكل عرضـي في هـذا النطـاق، وفي كل المربعـات وقدرته التنافسيـة كانـت ضعيفـة وربما يعـود ذلك لانخفاض درجـات الحراة. ولعـل ما يميز هـذا النطاق وضوح التمنطق النباتي من أعشـاب مثل الشذاب(Ruta chalepensis)، و(Geranium trilophum)، والنـدع (Hypoestes forsskalii) وشجـيرات خاصـة المحبـة للظـل مثـل الصعـور (Solanum schimperianum)، والعبـب (Withania somnifera) الإثـرار (Maytenus arbutifolia) وأشجـار مثـل العرعـر (Juniperus procera) ، والنبشـ (Erica arborea)، والشبـارق (Celtis Africana)، والعَبال (Rosa abyssinica)، أما المتسلقات فسجل القان (Jasminum grandiflorum) ، والعصبـة (Asparagus africanus)،الشـرو(Zehneria scabra).مـن الأعشـاب الاقحـوان (Anthemis pseudocotula)، والذَّفْـرَاء (Achille biebersteinii)، والخوشع (lavandula dentate)، ومن النتائج المهمة التي توصـل لها الباحث، أنـه برغم تشكل غابـات العرعر في قمة جبل البلـس إلا إن الأنواع النباتيـة قليلـة إذا ما قورنت بـوادي النيل ووادي وعرة، وربما يعـود ذلك إلى انخفاض درجة الحرارة إلى ما دون درجة الانبات أغلب فترات السنة.

٥- النطاق الخامس (٢٣٥٠ - ٢١٠٠م)

ويمثـل الواجهة الشرقية لهذا الجبل (غابة القامة) وهي أقل في المحتوى الرطوبي مـن قمة جبل البلس وواجهته الغربيـة، ولم يسجل هنا وجود للأشنات التي أو الأعشاب

المحبـة للظـل مثـل (Geranium trilophum)، وأشجـار المناطـق البـاردة الكنهبـل (Acacia origena)، والنبشـ (Erica arborea) وهـي في الغالـب لا يتجـاوز ارتفـاع أفرادهـا ثلاثـة امتـار خاصة النبشـ الذي يواجـه مصاعـب بيئية بسبب تغـير المناخ والاتشطة البيئية التي تمارس ضمن بيئته.

يعـد شعيب الوعرة والذي ينبـع ويستجمع مياهه من الواجهة الشرقية لجبل البلس أحـد المواقـع المهم للغطـاء النباتـي خاصة وأنـه رطب وتجري بـه الميـاه أغلب فترات السنـة. ومـن الأنوع النـادرة التي تنمـو على ضفاف هـذا الرافد المهم لـوادي شواص شجـرة العفـار(Buddleja polystachya)،والصـر(Nuxia oppositifolia)،ونـوع (Ficus ingens) ويسمـى هنـا الجميـز وتـؤكل ثمـاره وتتغـذى عليها الطيـور وقرود الربـاح، ومـن الأنـواع المهـددة بالانقراضـ والتـي تنمـو بشعيـب الوعرة نبـات اللويا (Dregeaschimperi)ووجد متسلقا شجيرة نادرة تسمى القحز (Eucleaschimperi). ومن المسح الميداني يمكن تسمية المجتمع النباتي هنا بمجتمع العتم(Olea europaea) كونه النوع الأكثر سيادة ويرافقه مجموعة من النباتات مثل الطلح (Acacia gerrardii)، والنيم(Sageretia thea var bornmuelleri)، والشث (Dodonaea. angustifoli)، التألب (Rhus retinorrhoea)، والشدن (Carissa spinarum L)، واللوي(Periploca somaliensis)، والحمـم(Trichodesma calathiforme)،والصـوم(Euryops arabicus)، والطبـاق (Psiadia punctulata)،والصيـداء (Pulicaria glutinosa)، والأقـوان(Anthemis pseudocotula).ويعـد هـذا النطاق أكثر النطاقـات تسجيلا للأنـواع النباتيـة، حيـث سجل نحـو(٧٣) نوعـا نباتياً.أمـا واجهتي الجبـل الشمالية والجنوبيـة فتمتاز بقلة التنوع النباتي بسبب شدة انحدار الجبل، بالإضافة إلى تركيبته الجيولوجية المكون من الصخور النارية شديدة الصلابة.

٦- النطاق السادس (٢٠٩٩ ـــ١٨٠٠م):

ويمثل هذا النطاق أعالي مجرى وادي شواص والمجرى الأدنى لوادي قبقاب (الحوما، والقصيرة، وشواص)، والاطراف الغربية لحرة البيداء، والحرارة هنا أعلى من النطاق الخامس مجرى الوادي تعرضت مياهه للاستنزاف مما كان له الأثر الكبير على الغطاء النباتي بحيث ظهرت بعض الأنواع النباتية الغازية، وتزايد أنواع النباتات ذات الاستساغة الرعوية الأقل مثل السحاء (Blepharis ciliaris) وام اللحم (Solanum sepicula). وفي الجـزء الجنوبي والشرقـي من جبل البلس يجري وادي شواصـ، ويتسع مع الاتجاه

شرقا، وهذا الوادي من أهم الأودية الرعوية في شمالي محافظة عسير وبالقرب منه وعلى ضفافـة بنيت هجر حديثة للبدو الرحل والتي كانـت تمارس حرفة الرعي لفترة قريبة. والمجتمـع النباتي الرئيس الطلح (السحــاء) (Acacia gerrardi)، والأنواع المرافقة له نخيل الغضـف(Phoenix caespitosa)، والشــرم (Otostegia fruticosa)، والعوسج (Lycium shawii)، والحـدق(Solanum incanum)، والحليوا (Fagonia indica) (يسميـه أهـل البلـس الشكاعـي)، والسـدر (Ziziphus spina christi)، والقرضـي (Ochradenus baccatus)، والرقـم(Commicarpus grandiflorus)، والأثـأب (Ficus cordata.).

ممــا سبق يتضـح أن جبل البلس من مواقع الغطاء النباتــي المهمة في جنوب غربي المملكـة العربيـة السعودية، ومع هـذه الأهمية تعرض لضغوط بيئيـة وبشرية أثرت على الغطــاء النباتي؛ حيـث لوحظ انتشار نبـات التبغ الـكاذب (Nicotiana glauca) وهـو مــن النباتات الغازيــة، وسجل تردد عال (٥٠٪) ويتركز انتشــاره في الأودية وفي المواقع التي تتعرض للتجريف وبذلك يمثل المرحلة الأولى للتعاقب النباتي وهو ما ينبىء بخطر بيئــي قادم للمواقع التي يحتلهــا وتعد غشبة الارجيمون (Argemone Mexicana) من الأنواع السامة والغازية التي شوهد نموها في مجاري الأودية والأراض الزراعية المهملة، وبـدون شــك تعد أحد مظاهــر التدهور البيئي وأدلــة حدوثه في جبـل البلس. ويلاحظ ارتبــاط التنوع والكثافـات العالية للغطــاء النباتي بمجــارى الأودية وخوانـق الشعاب، فعلـى سبيل المثال سجل أنواع (جنسـFicus) في مجاري الأودية، فنوع الابراء في النيل (Ficus sycomorus)، والجميـز (Ficus ingens) في وادي وعـرة، والأثـأب (Ficus cordata ssp. Salicifolia) سجـل بأعـداد جيـدة في وادي الخيطـان ووادي شواص ووادي صـدرة، والأمـر ذاتـه لأنـواع الصـر(Nuxia oppositifolia)، والعفـار(Nuxia oppositifolia)، والسـدر(Ziziphus spina-christi)، التالـب (Rhus retinorrhoea) وهـذه النتائـج تتفـق مـع مـا توصـل إليـه الرويلـي وآخرون (Al-Rowaily، et al، 2012)، والبـارودي(٢٠٠٨م) مـن ارتبـاط الغطـاء النباتــي في البيئات الجافة بالأودية والشعاب والوحدات الجيوموفولوجية.

ج: تأثير العامل البشري في تدهور الغطاء النباتي:

للإنســان دور مهم في تنمية الغطاء النباتــي والمحافظة عليه، ففي الجهة الشمالية لجبل البلس يقع حمى خثعم التاريخي (حمى الفوقاء) وهذا الحمى مخصص للحفاظ

على الغطاء العشبي لمواجهة موجات الجفاف وأحد الحلول العملية لمشكلة الرعي الكثيف الذي يعاني منه كثير من روافد وادي رنية العليا الغربية. وبقي جبل البلس لفترة طويلة يتمتع بالحمى الطبيعي بسبب وعورته وصعوبة مسالكه وممراته، وكانت وسيلتي النقل التي تربط بين سكانه والعالم الخارجي الجمال والحمير. وفي الوقت الراهن ومع متطلبات الحياة الحديثة عبدت الطرق وبنيت الجسور وأقيمت المشاريع التنموية وللأسف فإن كثير ممن قام على تصميم وتنفيذ تلك المشاريع لم يراعي القيمة البيئية لتنوع البيئات في هذا الجبل وحساسيتها نحو التغير المحتمل؛ وحيث إن البحث ليس موجها نحو التدهور في الغطاء النباتي في جبل البلس فتتناول الأسباب بشيء من الإيجاز ومنها:

١- **شق الطرق:** تم إنشاء عدة طرق تمر عبر هذا الجبل وعلى أنواع مختلفة، وأشهرها الطريق المزدوج الرابط بين منطقتي عسير والباحة، ومن المؤسف أن هذه الطرق لم تراعي المواطن البيئية والأنوع النادرة والمهددة بالانقراض، فهذا الطريق أدى إلى تدمير ثلاث بيئات رطبة على امتداده في كل من وادي شواص ووادي وعرة ووادي حليل وتسبب في تدمير واضح لبعض النباتات المهمة فعلى سبيل المثال اختفى أنواع الغرب (Salix mucronata) من الأودية المحيطة بالجبل ومن الجبل نفسه، والريان البري (Ocimum Forskolei)، والحبق (Mentha longifolia). ومن النباتات التي لحق بها التدهور العرعر (Juniperus procera)، والعتم (Olea europaea)، والشث (Dodonaea angustifolia)، والصر (Nuxia oppositifolia)، والصعور (Solanum schimperianum)، والعفار (Buddleja polystachya)، الأثأب (Ficus cordata ssp). ومن النتائج المترتبة على الطرق خاصة من جراء عمليتي الحفر والردم (Cut&fill)، إنجراف الترب بسبب المنحدرات الشديدة والتي تصل إلى (٩٠) درجة، وأدى هذا التنفيذ غير الملائم إلى موت كثير من الأشجار والشجيرات والأعشاب نتيجة انكشاف جذورها وفقد الترب وظهور الصخر الأم.

٢- **التوسع العمراني:** شهد جبل البلس توسعا عمرانيا عشوائيا في الثلاثين سنة الماضية؛ فكان السكان في بادئ الأمر كانوا يتركزون في قمة الجبل وكانت الأودية المحيطة به مرعا تجوبه القبائل الرحل من قبيلة خثعم، ومع تشجيع الدولة الاستيطان وتوفير سبل الراحة من تعليم وصحة واستقرار لجأ البدو إلى بناء القرى المتناثرة في الأودية والشعاب وما يتبعها من خدمات حكومية مثل المدارس والمستوصفات والطرق ..إلخ. ومن القرى التي

أنشئت الفوقاء نحو عام (١٤٠٠هـ)، وقرى وادي حليل نحـو (١٤١٠هـ). وهذه القرى بنيـت بالقرب من الأودية وخاصة موارد الميـاه السطحية، ورافق الاستيطان الريفي بناء المـزارع وحفـر الآبار وبناء السـدود الترابية وقد أدى ذلك إلى تدهـور بعض الأنواع مثل المحبة للماء مثل الحمـاط (Ficus palmata)، والنمص (Scirpus vulgaris)، الثرار (Conyza pyrrhopappa).

٣- **تربية النحل وانتاج العسـل:** تعد تربية النحل من الحرف التاريخية التي مارسها سـكان جبل البلس وذلـك لقيمة العسل الغذائية العاليـة، ودخوله في تركيب الكثير مـن الأدويـة الشعبيـة المستخدمة من قبل السـكان المحليين، وينمـو في هذا الجبل مجموعـة مـن النباتات المهمة لغذاء حشرة النحل وينمـو في جبل البلس نحو (٣٠) نوعـا يرتادهـا النحل لجمـع الرحيق وحبوب اللقـاح؛ ولعل أشهرهـا على الاطلاق عشبـة النـدغ (Hypoestes forsskalii) وينتـج النحـل منها عسـل أبيض باهض الثمـن يسمـى محليا عسل المجر، ويحرص مربوا النحل على تتبـع مواقع نمو هذه العشبـة وهـي من حوليـة إلى ثنائية الحـول، ومن الأنـواع النباتية الأخـرى المهمة لغـذاء النحل السدر (Ziziphus spina-christi)، وأنواع الطلح (Acacia spp).، السحاء (Blepharis ciliaris). وتتركز تربية النحل في تسعة مواقع في جبل البلس وهي: وادي شواص، وادي النيل، وادي حليل، شعيب الفوقاء، وادي الحفيان، شعيب الوعـرة، حمى خثعم، المجاري العليا لوادي صرخـة، وتم إحصاء نحو (٢٩٣) خلية نحل تقليدية تتوزع بشكل غير متساو في الجبل وعند أقدامه.

ويمارس مربـوا النحل بعض السلوكيات المخلـة بالأنظمة البيئية مثـل بناء بيوت الصفيـح، والرعـي الجائـر بسبب جلب الأغنـام والماعز والابل في مواقـع رعي النحل، وتلويـث المكان بفوارغ معلبات المـواد الغذئية وإطارات السيـارات، والأسلاك الشائكة، وشق الطرق الترابية العشوائية، وقطع النباتات الخضراء، والاحتطاب الجائر، وزراعة بعض الأشجـار الدخيلـة من جنس الأكساسيا بتشجيـع خاطئ من بعض الجمعيات البيئية الأهلية بهدف زيادة إنتاج العسل. ومن الأنواع النباتية التي تأثرت بشكل مباشر وغـير مباشر مـن مربـي النحـل الطلـح (Acacia spp). بحيث يتعرض للاحتطاب بشـكل مستمـر، وتقطع أغصانه لعمل أسيجة حول مواقـع خلايا النحل لتوفير الحماية لهـا ولقطعان الأغنـام والماعز، وهناك تأثـر واضح لنوع النيـم (Sagaretia thea var bornmuelleri) كون مربي النحل يستهدفون المواقع التي ينمو بها بالقرب من ضفاف الأودية، كما أنه من النباتات المفضلة للاحطاب، وتكمن أهميته كذلك كونه من النباتات

المأكولة من قبل السكان المحليين وقد لاحظ الباحث حشرات النحل تجرس أزهار النيم أثناء الزيارات الميدانية. ويلجأ مربوا النحل إلى قطع بعض الأشجار المعمرة الخضراء لاستخدامها في صناعة خلايا النحل التقليدية مثل العتم (Olea europaea)، والجميز (Ficus ingens)، والإبراء (Ficus sycomorus) مما أدى إلى تناقص أعدادها في بيئاتها الطبيعية، ومن الأعشاب التي تأثرت بسبب الرعي الجائر لأغنام مربي النحل: الاسنام (Andropogon distachyos)، والقرضة (Themeda triandra).

٥- الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة تنوع الغطاء النباتي في جبل البلس بشمالي منطقة عسير من حيث عدد الأنواع التي تنمو ضمن حدوده، وتحديد النباتات المتوطنة والنادرة، وأبانت بأنه من أهم الجبال في المملكة العربية السعودية من حيث التنوع النباتي، حيث يشتمل على (٨٪) من الغطاء النباتي المسجل بها؛ فقد تم تسجيل نحو (١٧١) نوعا نباتيًا، منها (١٣) متوطن أي يقتصر نموه عليها، و(٣٠) نوعا مهددا بالانقراض.

وتوصلت الدراسة إلى تحديد ست نطاقات نباتية يمتاز كل منها بمجتمع نبات معين تبعا لعامل الارتفاع عن مستوى سطح البحر؛ يبدأ النطاق الأول (٩٠٠ حتى ١٤٠٠م) في الأطراف الغربية للجبل حيث يسود بها مجتمع السلم (Acacia ehrenberrigiana)، والنطاق الثاني (١٤٠١-١٨٠٠م) وهو من أفضل القطاعات في تنوعه النباتي ويسود فيه مجتمع السلم-الروني (Acacia ehrenberrigiana-Abutilon bidentatum)، والنطاق الثالث (١٨٠١-٢١٠٠م)، والمجتمع النباتي العتم-الشث (Olea europaea-Dodonaea angustifolia)، والنطاق الرابع (٢١٠١-٢٣٥٠م) وتمثل قمة جبل البلس ويسود مجتمع العرعر (Juniperus procera)، ويرافقه الكنهبل (Acacia origena)، والنطاق الخامس (٢٣٥٠ -٢١٠٠م) يمثل الواجهة الشرقية لجبل البلس، والمجتمع النباتي العتم (Olea europaea)، وهذه الواجهة تمتاز بالتنوع الكبير في الغطاء النباتي حيث سجل بها نحو ٧٣ نوعا نباتيا، النطاق السادس (٢٠٩٩ -١٨٠٠م) ويقع في الجزء الشرقي من الجبل والمجتمع النباتي الطلح (السلاء) (Acacia gerrardi))، وهذا الجزء من الجبل غني بالأنواع الرعوية مثل العوسج (Lycium shawii)، السِّدر (Ziziphus spina-christi)، والقِرّضي (Ochradenus baccatus). وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من العوامل ساهمت في تدهور الغطاء النباتي جبل البلس مثل الرعي الجائر، وتربية النحل، والتوسع العمراني والزراعي.

٦ـ المراجع العربية والأجنبية:

أ ـ المراجع العربية:

١- البـارودي، محمـد بـن سعيـد، (٢٠٠٨م)، أثـر الوحـدة الجيومورفولوجية على خصائص النبات الطبيعـي الشجري في البيئة الجافة، دراسة حالة لأودية جنوب مكـة المكرمـة، مجلة جامعـة أم القرى للعلـوم التربوية والاجتماعيـة والإنسانية، المجلد العشرين، عدد (١)، مكة المكرمة.

٢- شودري، شوكـت علي، والجويعد، عبدالعزيـز عباس.(٢٠١٣هـ). الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية. الرياض: وزارة الزراعة والمياه، المركز الوطني لأبحاث الزراعة والمياه.

٣- مجاهـد، أحمـد؛ والعودات، محمـد؛ وعبـدالله، عبدالسلام؛ والشيـخ، عبدالله؛ وباصهـي، عبدالله، (١٤٠٨هـ)، علم البيئة النباتية، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الرياض.

٤- الأنصاري، عبدالله، والعودات، محمـد، (٢٠١٥م)، علم المجتمعات النباتية، دار جامعة الملك سعود للنشر والتوزيع، الرياض.

٥- قشاش، أحمد، (١٤٢٧هـ)، النباتات في جبال السراة والحجاز: معجم لغوي نباتي مصور، المدينة المنورة.

٦- القـرني، سعيد بن محمد، (١٤٣٤ه)، العوامل المؤثـرة في تدهور الغطاء النباتي في جبـل البلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليـة العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٧- النافع، عبداللطيف بن حمود، (٢٠١٨م)، مكونات الغطاء النباتي البري في المملكة العربية السعودية، المؤلف، الرياض.

٨- النافـع، عبداللطيـف حمـود، (١٤٣١هـ)، أسـس جغرافيـة الأحيـاء: النباتات والحيوانات، الرياض.

٩- النافـع، عبداللطيـف حمـود، (١٤٢٥هـ)، الجغرافيـا النباتية للمملكـة العربية السعودية، الرياض.

١٠- الوليعي، عبدالله بن ناصر، (١٤١٧هـ)، جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية، المؤلف، الرياض.

١١- الوليعي، عبدالله ناصر، (١٤٢٩هـ)، الجغرافيا الحيوية للمملكة العربية السعودية، الرياض.

١٢- الوليعي، عبدالله ناصر، (١٤٣١هـ)، الإنسان في الأرض: فلسفة التربية البيئية ومضمونها، الدار الصولتية للتربية، الرياض.

المراجع الأجنبية:

1- Abdelkhalik, K, et al. (2013), Floristic and vegetation analysis of wadi A[-Noman, Mecca. Saudi Arabia, Turkish journal of botany, vol37 pp894 - 907.

2- AL-Aklabi, A, et al, (2016), Main vegetation types and plants species diversity along altitudinal gradient of Al Baha region, Saudi journal of biology science, vol 23, pp687 - 679, King Saud university, Ryadah.

3- Al-Rowaily, S.&et al, (2012), changes in vegetation composition and diversity in relation to morphology, soil and grazing on a hyper-arid watershed in the cecntral Saudi Arabia, Catena 97, pp41 - 49. On soil and vegetation in a desert rangland in Saudi Arabia, Saudi Journal of Biological Sciences.

4- Jacob, t, et al,(2010) , Endemics and endangered species in the biodiversity hotspot of the Shada mountains Saudi Arabia.

5- Llewellyn, O, et al, (2010), Important plant areas in the Arabian peninsula: 1. Jabal Qaraqir, Edinburgh Journal of botany 76 vol (67) pp 36 - 56, Edinburgh.

6- Kent, A., Coker, P., (1992). Vegetation description and analysis- a practical approach. Jon Wiley & sons, New York.

7- Collenettete, Sheila., (1998), A Checklist of botanical Species in Saudi Arabia, International Asclepiad Society, Burgress Hill.

8- Collenettete, Sheila., (1985), An illustrated guide to the flowers of Saudi Arabia, scorpion publishing Ltd, London

9- Thomas, Jacop, (2011), Flora of Saudi Arabia-Checklist، King Saud University. <http://plandiversity of saudi arabia. info/biodiversity-saudi-arabia/flora/list>.



القســـم الثانـــي

بادية شرق منطقة عسير
(١٣٤٠ـ ١٣٧٥هـ/ ١٩٢١ـ١٩٥٥م)
(دراسة تاريخية حضارية)

القسم الثاني

بادية شرق منطقة عسير(١٣٤٠ـ١٣٧٥هـ١٩٢١ـ١٩٥٥م) (دراسة تاريخية حضارية).
بقلم. د. سعيد بن عبدالله بن علي بن جفشر[١]. و أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

(١) الدكتور سعيد بن جفشر يحمل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، ويعمل في قطاع التعليم من نهاية العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وهو حالياً (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) على المرتبة (١٣) في سلم الوظائف المدنية الحكومية. للمزيد عن سيرته انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) (الجزء الحادي والعشرون)، ص ١٧٨ .

أولاً : مقدمة :[(١)].

إن الحديث عن بلاد عسير، أو السروات وتهامة يحتاج إلى مئات الصفحات حتى نعرف المراحل التاريخية التي مرت بها هذه البلاد منذ عصور ما قبل التاريخ إلى وقتنا الحاضر. والذي عرفنا وتأكدنا منه أن هذه الأوطان مستوطنات بشرية منذ آلاف السنين، وهناك بعض الدراسات الأثرية الحديثة التي أثبتت ذلك[(٢)].

نجد الكثير من المصادر والمراجع التي أرخت لبلاد الحجاز واليمن قبل الإسلام وبعده، وجاء في بعض هذه المؤلفات إشارات قليلة عن بلاد تهامة والسروات، لكننا لا نملك صورة واضحة عن تاريخ الناس في هذه الديار، وبعض المناطق التي نشاهد اليوم لم تكن معروفة قديماً بأسمائها الحالية. فاسم عسير مثلاً لم يظهر بهذا المصطلح كمنطقة سياسية وحضارية إلا في العصر الحديث، وكان هناك أسماء قديمة تطلق على بعض النواحي فيها، مثل: جرش، وبيشة، وتبالة، والجهوة وغيرها[(٣)].

(١) تم حذف المقدمة السابقة عندما كان العمل رسالة علمية للدكتور سعيد بن جفشر، وكتبنا هذه المقدمة، نأمل أن تكون دقيقة ومركزة.

(٢) يوجد عشرات البحوث العربية والأجنبية التي درست جزئيات من تاريخ وآثار السروات وتهامة (مناطق الطائف، وغامد وزهران، وعسير، وجازان، ونجران)، وذكرت أن هذه البلاد مسكونة منذ العصر الحجري القديم، وخلال العصور التاريخية القديمة .

(٣) إن دراسة تاريخ وحضارة السروات وتهامة، أو مناطق عسير، وجازان، ونجران، وغامد وزهران (الباحة) قبل الإسلام وبعده حتى القرن(١٢هـ/١٨م) ليس بالأمر اليسير، لعدم وجود مصادر علمية واضحة

إن الباحـث في تاريـخ منطقة عسير الحديـث وما جاورها خـلال العصر الحديث يحتـاج إلى معرفـة أحوال هذه البلاد في العصر الإسلامي المبكـر والوسيط، مع أنه لن يجـد ضالته بخصوص هذا الجانب لندرة المصـادر، لكن على الأقل يعـرف شيئاً عن تركيبتهـا البشريـة. فالقبيلة كانت صاحبة القـول الفصل في أرضهـا، وكل قبيلة تمثل كيـان سياسي مستقل، وأحياناً تعقـد أحلافاً قبلية بين بعض القبائل، والهدف من ذلك التعاون والتآزر ضد عدو آخر، وغالباً العدوات والصراعات القبلية المحلية هي السائدة في عمـوم بلاد تهامة والسـروات، بل في بلدن شبه الجزيرة العربيـة. أما الحكومات أو الإمـارات السياسيـة في العصر الإسلامي والوسيط فلا وجـود لها في مناطق السروات وتهامـة، وأحياناً تمد بعض القـوى السياسية في اليمن أو الحجـاز سيطرتها وسطوتها على بعض النواحي مثل جازان ونجران في الجنوب، والطائف وما حولها في الشمال(١).

جـاء القـرن الثالث عشـر الهجري، والدولـة السعوديـة الأولى في نجـد قد مدت نفوذهـا إلى بلـدان عديـدة في شبه الجزيرة العربيـة، وكانت بلاد عسـير وما جاورها إحـدى الأوطان التي قامت فيها إمارة المتاحمـة وتأتمر بأمر أئمة آل سعود في الدرعية. كذلـك الدولة العثمانية كان لها نفوذ كبير في العالم العربي والإسلامي، واستطاعت في نهايـة الأمر القضاء على الدولة السعوديـة الأولى، وعلى إمارة المتحمي في عسير خلال الثلاثينيـات من القرن (١٣هـ/١٩م)، إلا أن سكان تهامـة والسراة، ومنها بلاد عسير قـد عرفوا وتشربوا مبـادئ الدعوة السلفية الإصلاحية التي وصلت إلى بلادهم على يد حكام وعلماء الدولة السعودية الأولى. وبقيت الأرض وأهلها يعيشون تحت كنف قبائلهم، ويمارسون معتقداتهم الإسلامية، ويحملون في قلوبهم وعقولهم أهداف ومبادئ الدعوة الإسلاميـة التـي عرفوها ومارسوها خلال حكم آل سعـود الأول، وأمراء آل المتحمي في معظم أجزاء تهامة والسروات(٢).

وكافيـة تشـرح تاريخ البلاد والعباد في تلك الأزمـان. ومازلنا نعول على التنقيبـات الأثرية في هذه الأرض لعلنـا نعرف شيئاً من تاريخها. وللأسـف أن الدراسات الأثرية مازالت قليلة ومتواضعة في بلادنا وبخاصة في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية.

(١) هكـذا كان وضع البـلاد التهامية والسروية خـلال القرون الإسلاميـة المبكرة والوسيطـة. وأشارت بعض المصـادر التاريخيـة والحضاريـة المبكرة إلى لمحات من أحـوال التهاميين والسرويـين وصلاتهم مع بعض الدول والإمارات التي قامت في الحجاز واليمن من القرن (٣ـ ١٢هـ/٩ـ١٨م).

(٢) إن الحديـث عـن تاريـخ الدولـة العثمانيـة، والدولـة السعوديـة الأولى، وإمـارة المتاحمـة خـلال القـرن (١٣هـ/١٩م)، واتصالهـم مع السرويين والتهاميـين، وبخاصة سكان إقليم عسير قـد صدر عنها العديد مـن البحوث العربية والأجنبية المطبوعة والمنشـورة، ومازال هناك آلاف الوثائق، والكثير من المخطوطات التي تحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية عن الحياتين السياسية والحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربيـة، وبخاصـة مناطـق غامد وزهران، وعسـير، وجازان، ونجـران. وهذه المصادر جديـرة أن تجمع وتُدرس وتُحقق وتُحلل لخدمة تراث وتاريخ هذه البلاد العربية الماجدة.

استمرت منطقة عسير وما حولها خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) تعيش في حروب وصراعات محلية، وإقليمية، وعالمية. وكانت القبائل هي صاحب النصيب الأوفر في صناعة التاريخ المحلي، واتصالها ببعضها، أو بالقوى والحكومات العربية، والإسلامية، والأجنبية التي وصلت إلى أرضها. وهناك الكثير من المادة العلمية المكتوبة التي وثقت صفحات من ذلك التاريخ السياسي والعسكري، وكذلك جزئيات محدودة من التاريخ الحضاري[١].

وصلت قوات الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى بلاد تهامة والسراة في نهاية الثلاثينيات وبدايات الأربعينيات من القرن الهجري الماضي. وكانت حواضر بيشة، وخميس مشيط، وأبها المدن الرئيسية التي بدأ فيها حكم الدولة السعودية الحديثة، ومنها امتد النفوذ السعودي إلى عموم بلاد السروات وتهامة.

كما أشرت سابقاً أن القبائل في منطقة عسير وغيرها (بدوية، وريفية، وحضرية) صاحبة النفوذ على الأرض، ولها تركيبة تاريخية وحضارية متعددة ومتنوعة. وكان من أهداف الملك عبدالعزيز آل سعود (يرحمه الله) الرئيسية توحيد جميع أجزاء البلاد تحت مظلة دولة حديثة وعصرية، وقد واجه في ذلك الكثير من الصعوبات، لكنه في نهاية المطاف تغلب على جميع المعوقات، وأسس حكومة عربية إسلامية دستورها كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، ولو توقفنا مع سياسة الملك عبدالعزيز مع جميع شرائح المجتمع، نجده كان حريصاً وحذراً وحصيفاً في تعامله مع كل فريق. وكانت الحياة البدوية أو الريفية الغالبة على معظم مفاصل الحياة، ومن هذين الصنفين تكونت جيوش الملك عبدالعزيز التي وحد بها جميع أجزاء دولته (المملكة العربية السعودية) [٢].

حاولت في هذا البحث الذي أكتب مقدمته والموسوم بـ :**بادية شرق منطقة عسير (١٣٤٠ـ١٣٧٥هـ / ١٩٢١ـ١٩٥٥م)(دراسة تاريخية حضارية)** أن نناقش العديد من المحاور السياسية والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقبلية التي لها صلات بالأجزاء الشرقية لبلاد قحطان وشهران، من شمال منطقة نجران إلى بلاد بيشة، ومن

(١) مازال التاريخ الحضاري المحلي في عموم السروات وتهامة بشكل عام، ومنطقة عسير على وجه الخصوص تحتاج مزيداً من البحث والدراسة والتحليل العلمي الجاد. وهذه مسؤوليات أقسام التاريخ في جامعاتنا المحلية.

(٢) لا نجد دراسات علمية تاريخية وحضارية جادة أرخت لأهل البادية، وسكان الأرياف في جنوب البلاد السعودية قبل ظهور الحكم السعودي الحديث، أو خلال العقود الستة الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع من العناوين المهمة الجديرة بالتوثيق العلمي الجاد والرصين.

المرتفعـات السروية إلى محافظات طريب، والعرين، وتثليث في شرق المنطقة العسيرية. وهنـاك العديد من الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي[١]، وأذكر بعضها في النقاط الآتية:

١- جـل سكان هـذه الديار من البدو الرحل، وبلادهم أقـرب أجزاء منطقة عسير إلى ديـار نجد وعاصمتهـا الرياض التي انطلقـت منها مسيرة توحيـد البلاد (المملكة العربيـة السعودية)، وسكان هذه النواحي على صلات حسنة بالحكومات السعودية الثـلاث التـي قامت في نجد خـلال العصر الحديـث، وكانوا الأقـرب والأفضل في مناصرة ابن سعـود ومساعدته في توحيد بقية أجزاء السروات وتهامة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران[٢].

٢- لقـد تجولـت في أرجـاء الأوطـان المذكـورة في عنـوان الدراسـة، ولم أجـد عمـلاً علميـاً محـدداً وجـاداً يدرس تاريـخ وأرض هـذه الناحيـة خـلال القرنـين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م)، وهـذه حقبـة يُكتـب فيهـا عشـرات البحـوث العلميـة، لكننـي حـددت فـترة بحثـي بحكم الملـك عبدالعزيـز وبدايـات عصر ابنـه الملك سعود (١٣٤٠ــ ١٣٧٥هـ/١٩٢١ــ ١٩٥٥م)، لأنهـا فـترة مفصليـة وهامة في ضم السـروات وتهامـة، وكانـت الأرض موضـوع البحـث المنطلق الأول لدخـول جيوش الإمام عبدالعزيز إلى بقية مناطق جنوب المملكة العربية السعودية.

٣- أوردت في العنـوان مصطلـح (بادية شرق منطقة عسـير...)، وتعمدت ذكر هذه الكلمات، لأن سكان هذه النـاحية بدو، وهم الذين رحبوا بقدوم جيوش ابن سعود، ثـم أصبحوا الأكثرية فيها أثناء زحفهـم تجاه المدن والقرى والأرياف والبوادي في جبـال السروات ومنطقـة تهامة. وتحديد عملي على هذه الأرض وأهلها، لا يعني أنـه لم يكن هناك بوادي في تهامـة والسراة، بل كانت البادية في هذه الديار أرضاً وسكانـاً متعـددة وواسعـة، آمل أن يظهـر في المستقبل من يدرس تاريخ وحضارة هـذه البـوادي في العصـر الحديـث وبخاصـة في القرنـين الأخيريـن الماضيـين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م).

---

(١) الدكتور سعيد بن جفشر صاحب الريادة في اختيار هذا الموضوع وجمع مادته من مصادر مختلفة، فجزاه الله كل خير. (ابن جريس).

(٢) مازال هذا الموضوع من العناوين الجيدة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية جامعية. آمل أن نـرى مؤرخاً أو باحثاً يخدم هذه الجزئيـة في عمل علمي جاد ورصين، ومن يقوم بذلك فسوف يجد العديد من الوثائق المكتوبة، والكثير من الراوايات الشفهية.

٤- أوردت في الفهرست العام المحاور الرئيسية التي درستها ووثقت جزئيات من تاريخ المنطقة في التاريخ المحدد في العنوان. وسجلت في الحواشي، وقائمة المصادر والمراجع الكثير من الأعلام الذين ساعدوني وخدموني أثناء جمع مادة البحث، وإنني أشكرهم، وأسأل الله ألا يحرمهم الأجر والثواب، وأعتذر إذا كنت قد أغفلت أو نسيت ذكر أحد كان له فضل عليَّ، وأسأل الله أن يوفق الجميع إلى صلاح الأقوال والأعمال إنه على كل شيء قدير.

ثانياً : صفحة من تاريخ وحضارة بوادي شرق منطقة عسير وما حولها :

١ـ وقفة مع البيئة البدوية في اللغة والتاريخ :

ورد كلمة البدو في لسان العرب بمعنى يرتبط بالسبق والقدم الزمني، بديت وبدأت، لما خففت الهمزة كسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء، فيقال بدينا بمعنى بدأنا، والبدو والبادية والبداوة خلاف الحضر[١]. وذكر الزهري فكرة التبادل بين البدوي والحضري للبادية اسم الأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل: قد بدوا، والاسم البدو، والبادية خلاف الحاضرة، والحاضرة القوم الذين يحضرون إلى مكان المياه وينزلون عليها، فإذا برد الزمان ظعنوا عن المياه، وبدوا طلباً للقرب من الكلأ فالقوم حينئذ بادية بعدما كانوا حاضرة وبادون بعد أن كانوا حاضرين: وهي مباديهم جمع مبدي، والمناجع ضد المحاضر، ويُقال لهذه المواضيع التي يبتدى إليها البادون بادية أيضاً[٢]. أما القاموس المحيط فقد ورد فيه:» والبدو والبادية والبداء والباداة[٣].

والبدو: خلاف الحضر، وتبدى: أقام بها، وتبادى: تشبه بأهلها، والنسبة بداوي، وبداوي بالكسرة، وبدا القوم بدا، خرجوا إلى البادية، وقوم بُدى وبدا: بادون[٤].

في مختار الصِّحاح، «مادة بدا»[٥]. والبدو والبادية والنسب إليه بدوي وفي الحديث الشريف: (من بدا جفا).أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، والبداوة بفتح

---

(١) محي الدين صابر وآخرون : البدو والبداوة ، مفاهيم ومناهج ، بيروت ، منشورات المكتبة المصرية . ١٩٨٦م، ١٦ .

(٢) أبو منصور محمد أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرون. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، [دت] .١٢٥ .

(٣) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت، مؤسسة الرسالة ،[دت] ، ٥٨ .

(٤) الفيروز أبادي ، ٥٨ .

(٥) محمد بن أبي بكر الرازي. مختار الصحاح. تحقيق: عصام فارسي الخرساني، الأردن، دار عمار ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ط٩،٣١.

البــاء وكسرها الإقامة في البادية، وهي ضد الحضارة. أما في المُعجم الوسيط فقد جاء البداوة والحياة في البادية. ويغلب عليها التنقل والترحال والارتباط بالمفهوم الاجتماعي للبــداوة، فالبداوة منهج له قوانينه وثقافته التــي يغلب عليها طابع الخشونة المتأنية من عدم الاستقرار الذي تتطلبه حياة البحث عن الماء والكلأ، كما أن طبيعة الحياة البدوية قــد صاغــت حياة الفــرد في بيئة لا ترحم الضعيــف، والبدوي له قوانينــه الخاصة التي تشعره بأنه سيد نفسه.

لعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة بادية أي الصحراء الشديدة الحرارة، وهــيٍ إما أنها بــلاد شاسعة جرداء، أو كثبان رملية متحركــة، والتنقل والترحال الدائم بحثــاً عن الماء والكلأ هي السمات الرئيسية المميزة لسكانها الذين يسمون البدو الرحل أو الشعلة التي تضيء الصحراء[١].

ثمة اختلافات حول مفهوم البداوة، فمنهم من يعرفها على أنها نمط الحياة القائم علــى التنقــل الدائم للإنسان في طلــب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقــع مدى الاستقرار فيهــا على كميــة الموارد المعيشية المتاحة مــن ناحية، وعلى كفايــة الوسائل المستعملة في استغلالهــا من ناحية أخــرى. وعلى مدى الأمــن الاجتماعي والطبيعــي الذي يمكن أن يتوافــر من جهة ثالثة. وجاء في تعريف آخــر، أن البداوة هي مرحلة متميزة من مراحل النمــو الحضاري الــذي عادة ما يتناول جانبــين أساسيين هما: الجانــب المادي ويشمل مــا يستخدمه البدوي مــن أدوات مختلفة من عناصر البيئة الطبيعيــة التي يحيط بها. والجانب المعنوي مثل اللهجات والعادات والتقاليد والأعراف والقيم وغيرها[٢].

البــداوة تنطبق على نمط حياة فئة من السكان الذيــن يتميزون بخصائص معينة وسلوك ترسمه البيئة المحيطة بهم، ولا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة، بل الترحال وعدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام، إذ تضطر بعض الجماعات أن تغير مناطق إقامتها من حين لآخر، أو من فصل لآخر، سعياً وراء الغذاء والرعي[٣].

مفهوم البداوة نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكــز مؤقتــة ومفهوم البداوة يتوقف علــى مدى الاستقرار على كميــة الموارد المعيشية المتاحة من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية أخرى،

---

(١) الأزهري، ١٤٧ .
(٢) الفيروز أبادي، ٥٨ .
(٣) صلاح العبد، رعاية البدو في المملكة العربية السعودية، القاهرة، الجامعة العربية، ١٩٨٥م، ٢٩ .

وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر من ناحية ثالثة. والبدو أصل للمجتمعات كلها وأقدم من الحضر؛ لأن الإنسان يبدأ أولاً بالسعي للحصول على ما يسد رمقه، ويكفل له استمرارية حياته، وهذه هي بداية كل التجمعات البشرية، ومنها تأتي كلمة بادية، التي قد تعني من بين معانيها الكثيرة البداية(١).

هناك من يرى أن رحلة البداوة بمفهومها العربي الذي يشير إلى رعاة الإبل الذين يعيشون حياة الحل والترحال ويتوغلون في البيد والقفار لم تظهر على مسرح التاريخ إلا بعد اكتشاف الزراعة بآلاف السنين، واستئناس البعير لم يتيسر إلا منذ حوالي أربعة آلاف سنة، بينما يعود استئناس النخلة إلى أكثر من ثماني آلاف سنة، أما الضأن والماعز وغيرها فقد عرفت قبل استئناس الإبل بقرون(٢).وهذا الرأي الذي أشرنا إليه يسبقه ويختلف معه رأي ابن خلدون في البدو حيث يرى أنهم هم المرحلة التي سبقت التحضر والتمدن، وهو في ذلك يعزو الأمر إلى اهتمام البدوي بالضرورات، ويُعرف ابن خلدون البدو بأنهم هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري في الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي؛ فمن كان معاشه منهم في الزراعة في القيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم، ومن كان معاشه من السائمة مثل البقر والغنم فهم ظواعن في الأغلب، ويسمون شاوية، أما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعناً وأبعد في القفر مجالاً، فكانوا لذلك أشد الناس توحشاً وتنزلوا من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقتدر عليه والمفترس من الحيوانات العُجم(٣).

عرف ابن خلدون البدو فقال: هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم وعوائدهم(٤). ولاشك أن الضروري أهم من الأمور الكمالية؛ لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل المدن والحضر، لأن أول مطالب الإنسان الضروري، ويستند التعريف الاجتماعي للبدو إلى الأحوال الاجتماعية، ونمط المعيشة. وطراز الحياة، لوصف جماعة ما بأنها حضرية، أو بدوية، وعلى ذلك فالبداوة حالة من حالات الاجتماع، معروفة في الصحاري كما هي معروفة في الصحراء العربية، يستفيدون من المراعي الشاسعة لمواشيهم.

---

(١) صلاح العبد، ٤٩.
(٢) سعد العبد الله الصويان، ٣٢٢ـ٣٣١.
(٣) ابن خلدون، ٤٢٨.
(٤) ابن خلدون، ٤٢٨.

يذكر الصويان نظرية فيها شيء من الوجاهة[١]. لكن المثير من الحوادث التاريخية المتعاقبــة تذكــر أن البدو نمط حياة سبق الحضارة، ولو تتبعنــا بعض المرويات الشفهية لبعضــ قبائل منطقة عســير التي تعد حاضرة لوجدنا روايات متواترة من الأبناء مروية لهــم من الآباء والأجــداد وتذكر بداوتهم قديماً، وتــؤرخ لتحضرهم واتخاذهم للمزارع وبيــوت الطين والحجــر[٢]. وربما كان أبناء القبيلة الواحــدة منهم بادية ولهم حاضرة، وهذا الموجود ذلك عند قبائل السروات وتهامة، وربما أجبرت الظروف أن تتحول بعض فــروع القبيلة إلى حيــاة البادية سواءً بشكل دائم أو مؤقــت[٣]. وقسم ابن خلدون البدو إلى ثلاثــة أنواع: (١) البدو الذين يعتمدون على الإبل. (٢) البدو أصحاب الماشية. (٣) البدو رُعاة البقر[٤].

مما سبق نستنتج أن المعيار في تحديد البدوي مبني على أساس مادي؛ حيث البداوة تتســم بالفقــر، وأعلى مــا يحصل عليه البدوي مــن عمله إشباع حاجتــه الفورية الملحة لحياتــه من مأكل ومسكن وملبس. وأجــداد الحضر من سكان القرى كانوا بدواً في وقت ما، قبل أن ينتقلوا للمدن بالتدريج؛ ومصطلح البدو يعني نمط الحياة المعروفة بالتجوال الموسمــي أو المستمــر بحثاً عــن مصادر الطعــام، ويتم الانتقال مــن مناطق الجدب في موســم الجفاف إلى البلدان الخصبــة حيث توجد المراعي في مواســم الأمطار، وأيضاً الجماعات البشرية التي تسكن الصحراء وترتبط بأصول سلالية واحدة بصرف النظر عمــا إذا كانــت مستقرة أو متجولة، ويرجع السبب في استخــدام المصطلح بهذا المفهوم إلى أن البدو الذين يستقرون محافظين على انتسابهم إلى الأصول السلالية نفسها عن طريق ممارسة الــزواج الداخلي، ودعم الأصول القبلية. وكذلك يحافظون على الثقافة البدويــة الخاصة بالجماعات المتجولة التي ينتسبون إليها، ويذكر أحد الباحثين أسباب وجود البداوة، وهي على النحو التالي: (أ) إن البداوة كنمط للحياة مكنت البدو من أن يتجولوا في الأرض بحرية بدون عوائق فلا حاجة إلى أسوار تحميهم وتردعهم كيد العدو، لذلك فهم ملكوا الأرض ولم تملكهم. (ب) إن تجوال البدوي بحرية مكنته من أن يختار

---

(١) الصويان، ٣٢٢.

(٢) مقابــلات مــع كل مــن سعد بــن ظافر بن حنشــ، ابن نائــب آل السواد مــن قبيلة خطاب رفيــدة. وناصر بــين شويــل شيخ قبيلــة آل الجحل قحطــان، ومبارك بن مشهــور شيخ قبيلــة آل الشــواط قحطان في عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٣) مقابلــة مع مسفــر بن عوض بن جفشر، وأخيه محمــد بن عوض بن جفشر من قبيلــة وقشة قحطان. عام (١٤٠٩-١٤١١هـ/١٩٨٨- ١٩٩٠م)، نقلت هذه المقابلة من مذكرات والدي عبدالله بن علي بن جفشر.

(٤) ابن خلدون، ٣٨٢.

مـن الأرض أجودها وإذا مـا أعجبته وقومه صارت مكاناً لهم ما دام طاب لهم مقامها. (ج) البداوة مكنت البدوي من أن يبرع في المقاتلة والمدافعة وأن يحسن استعمال رمحه حتى صار له حصناً وملاذاً. (د) البداوة شكلت شخصية البدوي ببعض الصفات مثل: الكـرم، والشرف، وحماية الأرض والعرض، والشجاعة، والقناعة، وحب القتال، والأخذ بالثأر هذا فضلاً عن شغف البدوي الواضح بفصيح الشعر وتعلمه.

(*) يتمتع المجتمع البدوي بعدد من الخصائص التي تميزه عن باقي المجتمعات، ونذكر بعضها في البنود التالية[(١)]:

١- **البسـاطة:** تحتـم علـى البدو حياة الترحـال الدائم حتى تكـون الجماعة البدوية خفيفة الحركة لكي تتمكن من مواجهة الظروف في مسكنها وملبسها ومعداتها.

٢- **عدم الاسـتقرار:** يرجع ذلك إلى طبيعة الترحال الناتج من علاقة البدوي بأرضه؛ لأن حياته تحتم عليه التنقل، وعدم الاستقرار في مكان واحد لفترات طويلة .

٣- مادامـت الطبيعـة غير مستقـرة أو مأمونـة، وأسباب المعيشة غـير متوفرة بما فيه الكفايـة، عندئذ تكون الجماعـات البدوية في تجمع قبلي تشـكل الأسرة فيه أصغر وحداتـه، ثـم يمتد ذلك التجمع أو التنظيم حتى القبيلة الأم، وربما ضم معها عدداً مـن القبائل الأخـرى بفعل روابط الـدم والمصاهـرة أو التحالف والجـوار؛ وتعمل العصبية دوراً مهماً في التجمع القبلي تمثل الرابطة التي تجمع كل أبناء القبيلة[(٢)].

ولاء البـدوي دومـاً لقبيلته، ومن أبـرز المظاهر الاجتماعية عند البـدو العصبية، ويتحد كل أفراد القبيلـة كوحدة واحدة، ويبرز ذلك التضامن أثناء الأزمات والحروب، لأن العصبية توحد بين مختلـف المشاعر والأحاسيس لأبناء القبيلة الواحدة، ويتعاونون حول أداء مسؤولياتهم المشتركة التي تعرف عندهم بالجرم والغرم والفزعة والنزعة. أمـا المشيخة البدويـة فهي قديمة، بدأ من حيـاة البادية والحاضـرة. وابن خلدون من أوائـل علمـاء الاجتماع الذين اهتمـوا بدراسة الموضوع، والمقارنة بـين تأثير حياة البدو والحضر في باب الشجاعة، ومنها: (أ) الشجاعة. (ب) الخير. (ج) الذكاء [(٣)].

---

(١) صلاح مصطفى الفوال، ١١ـ ١١٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ابن خلدون ، ٤٢٩ـ ٤٣٠ .

الشخصية البدوية نتاج ظروف بيئتها العريضة بكل قسوتها وصعوبة الحصول على إمـدادات الحياة فيها. وهذا ما طبع حياة البـدوي بازدواجية تتجاذب أطرافها مزاجه النفسـي ، حيث أن القيم والسلوكيـات التي يعيش عليها ولأجلها قد تبدو متناقضة، فهو ينهـب ويغير في سنين القحط لكنه في غايـة الكرم والعطاء حتى مع أعدائه؛ وربما ترك غنائمه تلبيـة لرجاء امرأة من أعدائه؛ والبدوي متشبع إلى أبعد حد بالعرض والشرف اللذين تشكل المرأة محور أساسي فيهما، وهو مستعد لسيل الدم من أجلهما [١].

البـدوي يريد لنفسه أن يكون غالباً لا مغلوباً في كل شؤون حياته، وأن يكون ناهباً لا منهوباً ، وآمراً لا مأموراً ، ومعتدياً لا مُعتدى عليه، ومُعطياً لا قابضاً، ومغيثاً لا مستغيثاً، ومجـيراً لا مستجيراً، وحامياً لا محميـاً ، ومرجواً لا راجياً. وأمام هـذا التناقض ينشأ الصراع بين الأقوياء من أهل الخشونة والبادية، وقسم البدو قبائلهم إلى ثلاثة أقسام[٢]:

١- **البـدو الرّحـل:** أهل الوبـر، وهذه القبائـل في حالة ترحال دائم طلبـاً للكلأ والماء وبيوتهم من الشعر، وركوبهم الخيل والهجن من الإبل، ويأكلون لحم الإبل ويشربون لبنها ويستخدمون أصوافها.

٢- **البدو نصف الرحل:** أهل القدم من ذوي النجمة المحدودة، وهم لم يفقدوا صفاتهم البدوية بل هم أصلاء، ومن أهل الضرب والطعان والكرم والنخوة، ولكنهم ينتجعون إلى الباديـة في مواسـم معينة، وبخاصـة في فصل الربيع، على عكـس البدو الذين يجوبون البادية (الصحراء) طيلة أيام السنة.

٣- **القبائل المستقرة:** الفلاحون الذين استقروا نهائياً وتركوا الإبل، وتفرغوا للزراعة وتربية الماشية، وتنظر لهم البدو نظرة معيبة.

(*) هـذه الأقسـام آنفـة الذكر وضـحت أقسـام البادية بشـكل عـام في البلاد العربية، وربما تنطبق هذه التفريعات على القبائل البدوية في منطقة عسير وعموم السروات وتهامة، ومنها:

أ - البادية التي تقطن إقليم تهامة وأكثر مواشيهم الماعز وأعداد من الإبل، وفي الشتاء يذهبـون إلى السهول الغربية أو بالقرب منهـا، وفي الصيف يتجهون إلى الأصدار

(١) محـي الدين صابر. محمد بن كامل ملكيـة. البدو والبداوة مفاهيم ومناهـج ، القاهرة. منشورات المكتبة المصرية ، ١٩٨٦م، ١٣١ .

(٢) ابن خلدون ، المجلد الأول (٢٠٠ـ ٢٠٩) .

سفوح الجبال (جبـال السروات)، ومنازلهم أكواخ من القصب وغصون الأشجار وتعـرف بالعشش أو الكهـوف، أومنازل بدائية تتكون من غـرف حجرية قليلة، ولا يستخدمون بيوت الشعر في ترحالهم ولا معيشتهم[١].

ب - الباديـة في الجزء الأوسـط من منطقة عسـير، الجزء الجبلي السـروي وأغلبهم يملكـون الضأن والماعـز وأعداداً من الإبـل ويسكنون بيوت الشعـر وأحياناً منازل مـن الحجارة، ويرحلون في طلب المـاء والكلأ[٢]. وكانت باديتهم في نطاق جغرافي محدود مملوك لهم ولا يشاركهم فيه أحد[٣].

ج - الباديـة في الجـزء الشرقـي وأكـثر مواشيهم مـن الإبـل ويسكنون بيـوت الشعر، وديارهـم يغلب عليها سهـول وكثبان رميلة، وهم في تنقلاتهـم لا يرتبطون بنطاق منطقـة عسير الجغرافي أو مرتفعات السـروات، ويتجهون أحياناً إلى نجد أو أبعد من ذلك في سبيل الماء والكلأ[٤].

(*) تقوم البداوة على أربعة أركان رئيسية :

١- البادية التي يتردد في أرجائها البدوي وراء الكلأ والماء.

٢- الإبـل التي يستخدمها البدو فتحمله وتحمل أهلـه ومنزلـه وأثاثه ويسوقها من مكان إلى آخر وراء الماء والكلأ ويتغذى بلبنها ولحمها.

٣- يصنع منزل البدوي من شعر الماعز ويسكن فيه فيقيه من برد الشتاء وحر القيظ .

٤- ترتبط حياة البدوي ارتباطاً وثيقاً بالأركان الثلاثة السابقة (البادية، والإبل، وبيت الشعر)[٥].

---

(١) مقابلة مع موسى بن مصلح من أشهر وأكبر أعيان قبيلة آل عسكر بتهامة شهران، عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، وعلي بن شيبان من قبيلة آل حيان آل السري سنحان، عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٢) مقابلة مع علي بن غثوان شيخ آل الشريف من الحباب من قحطان ، عام (١٤٤٠هـ) .

(٣) مقابلة مع مبارك بن مشهور شيخ آل الشواظ عام (١٤١٨هـ)، ومحمد بن ناصر بن شويل شيخ آل الجحل عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

(٤) مقابلة مع الأستاذ بخيتان بن سجعان آل فطيح المشاعلة. عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) .

(٥) جبرائيـل سليمـان جبور، البدو والبادية صور مـن حياة البدو في بادية الشام. أشـرف على تحريره سهيل جبرائيل جبور. بيروت. دار العلم للملايين، ١٩٨٨م، ط١، ٣٩ـــ ٤١ .

هـذه المحـاور الأربعة أراهـا منطقية بشكل كبـير على أهل الباديـة بمنطقة عسير وغيرهـا مـن مناطق السـروات وتهامة وبخاصـة في الجهات الشرقيـة، وإن كانت هذه الرؤيـة لا تنحصـر البـداوة عليهـم وتنفيها عن غيرهـم ، فكل الباديـة في بلاد عسير (تهامة والسراة، والسهول الشرقية)، أهل بادية، لكن أهل السهول الشرقية أشد بداوة أو مظاهر البداوة فيهـم أكثر وضوحاً من غيرهم[1].وهذه الدراسة سوف تكون مركزة على بوادي منطقة عسير الشرقية أكثر من غيرها، وذلك للأسباب الآتية:

أ‌- اتصفت هـذه القبائـل البدوية بوحـدة جغرافيةٍ متقاربـة: فكلها تقـع في الجزء الشرقي مـن منطقة عسير، وتشمل مواطنها كلاً مـن:(١) محافظة الأمواه.(٢) محافظة طريـب.(٣) محافظة تثليث.(٤) محافظة الحفائـر.(٥) مركز يعرى. (٦) مركـز خيبر الجنوب(٧) مركز صفية التابعـة لمحافظة خميس مشيط.(٨) مركز العرقين التابعة لمحافظة عبيدة[2]. (٩) مركز العرين بلاد قحطان .

إن أغلب البادية في عهد الملك عبدالعزيز يقطنون هذه الجهات؛ وكانوا الأشد بداوة وعليهـم تنطبق ركائز البداوة الأربع الآنف ذكرها، ولا ينفي ذلك وجود قبائل بدوية في السـروات وتهامـة، بـل إن القبائل ذات القـرى والحضـارة إذا اضطرت بسبب الظروف المعيشية فإنها تتحول إلى حياة البادية طلباً للماء والكلأ، وفي هذه الجهات قرى وهجر وقبائل متحضرة وليست أمكنة خالصة لأهل البادية بشكل كامل[3].

ب ـ يتشابـه سكان البـلاد في اللهجة وأحياناً يصعب التفريـق بينهم فجميع المفردات واحـدة ومخـارج الأحـرف متقاربـة، وكذلـك أشعارهـم وفنونهـم وملابسهـم وأهازيجهم وأمثالهم وطرائفهم وحكمهم وقصصهم المحلية، وإن وجدت فروقات فإن فهمها ليس بالسهولة على من لم يعش معهم ويتمعن في ثقافتهم.

ج ـ أنشطتهم الاقتصادية والحرفية متقاربة ومتشابهة في ممارستها وثقافتها.

(١) هـذا الذي أراه، والأجزاء الشرقيـة من جبال السروات الممتدة من الطائـف إلى قحطان ونجران مازالت غير مخدومة في ميدان البحث التاريخي والأثري والحضاري، نأمل أن نرى هذه البلاد معتنى بها من قبل الجامعات المحلية ومراكزها البحثية .

(٢) علي محمد مزهر ، ٩٠٨ .

(٣) مـن خلال زيارتنـا الميدانية والمقابلات الشخصيـة المتعددة خرجت بهذا التصور الـذي أكدته مشاهدتنا للواقـع الحـالي الذي هو امتـداد للماضي. (ابن جفشـر) . أشكرك يا دكتور سعيد علـى هذه الخلاصة ، لكـن الأجـزاء الشرقية للسروات من نجران وظهران الجنوب إلى الطائـف كانت بواد إلى عهد قريب، ولا تخلـو أيضـاً من بعض القرى والحواضر التي يجمع أهلها بين ممارسـة الرعي والزراعة وغيرها من المهن والحرف الاقتصادية والاجتماعية . (ابن جريس) .

د ــ كان لهم انخراط وتأثيرات في الأحداث العسكرية والسياسية في منطقة عسير وغيرها منذ عصر الدولة السعودية الأولى إلى عهد الدولة السعودية الثالثة.

هـ ــ معظم القبائل البدوية في هذه الجهات الشرقية المعنية تعود أصولها إلى قبيلتي قحطان وشهران[١].

و ــ مناخ هذه الأجزاء أقرب إلى المناخ شبه القاري، وفق تصنيف كوين بمتوسط مطيري (DRY) تحت كمية مطرية لا تتجاوز (١٥) ملليمترات عند الهرم المطيري في شهري إبريل وسبتمبر، وسنوياً بمتوسط درجات حرارة (٣٧) درجة مئوية في فصل الصيف ومتوسط (٢١) درجة في فصل الشتاء.

٢ـ ملامح الوضع القبلي في أجزاء من شرق عسير قبل عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م):

تقطن القبائل البدوية شرق منطقة عسير وهي وحدة جغرافية وعرقية وثقافية، والمناخ المؤثر على هذه البلاد يتمتع بمناخ قاري. وهذا المناخ موجود على هضبة منبسطة، مرتفعة نسبياً يصل متوسط ارتفاعها من (٩٠٠ إلى ١٦٠٠م) تعرف بالهضبة الشرقية لمنطقة عسير، ويخترقها العديد من الأودية، وتوجد بها بعض السلاسل الجبلية الصخرية ذات التشكيلات الطبيعية، ومنها جبال القهرة، وجبال الحصير، وجبال القنة، وجبال بني بشقان، وجبال الفراش، وجبال الحمرة[٢].

من أشهر الأودية: (١) وادي تثليث. (٢) وادي الثفن. (٣) وادي جاش. (٤) وادي الرّسين. (٥) وادي ترج. وأبرز المعالم والمظاهر الجغرافية في شرق المنطقة السهول والنجود. ومن السهول الواسعة في «تثليث»: (أ) سهل الميثب الواقع شمال الطريق بين بيشة وتثليث. (ب) سهل المريبخ شمال شرق جبال القهرة ، وشرق محافظة تثليث . (ج) سهل المُصامة غرب تثليث، وهو دارة واسعة تحيط بها الجبال. (د) سهل العمق في الأمواه. (هـ) سهل السند شرق» تثليث» يمتد من الحمضة جنوباً حتى مركز القيرة شمالاً.

---

(١) يا دكتور سعيد أشكرك على هذا الجهد المبارك. وبلاد شهران وقحطان عموماً مازالت بحاجة إلى أعمال علمية بحثية توثيقية جادة، وتحديد الدراسة على شرق هذه الديار كانت فكرة جيدة، فهذه الناحية السروية الشرقية، ليس في منطقة عسير، لكن من بلاد نجران إلى بوادي الطائف تعد من المجالات الكبيرة التي يصدر عنها عشرات الكتب والرسائل العلمية الجامعية ، وآمل أن نرى من طالبات وطلاب الدراسات العليا في بلادنا (المملكة العربية السعودية) من يخدمها من خلال بحوثهم وأطروحاتهم العلمية . (ابن جريس) .

(٢) مانع سعيد مسفر النهاري. الرعي في محافظة « تثليث « دراسة جغرافية، رسالة مقدمة إلى قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ، ٤٩ــ ٥٩ .

أمـا النجـود : فيقصد بها الحمضة جنوباً، حتى مركـز القيرة شمالاً ، **والنجود:** مـا ارتفع من الأرض، وأهـل المنطقة يسمون كل طريق يسلكـه النـاس بين جبلين «نجد» ومنهـا: **(١) شـرقاً:** نجد العايزة، ونجـد ردم،ونجد المزيريب ، ونجـد الحصان. **(٢) جنوباً:** نجد الناقة، ونجد النقاش، وغربا نجد الماد، ونجد الحصان. **(٣) غربا:** نجد الحمـاد، ونجد السعيدة، ونجد بياضين، ونجد البربـري[١]. والشيق والقاعة والهضب وغيرها.

قبيل ضم عسير لحكم الملك عبدالعزيز عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) كانت سنة الرحمة عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م) التي مات فيها خلق كثير في نجد، وإن لم تذكر المصادر شيئاً من ذلك في بلاد عسير. لكن تذكر الروايات الشفهية انتشار وباء أودى بحياة الكثير من أبناء البادية والحاضرة شرق المنطقة[٢].

تشـير أحد المصادر إلى عدد من الروايات التي تؤكـد تعرض عدد من قبائل بادية شرق منطقة عسير لموجة جفاف غارت فيها مياه الآبار فماتت الزروع وأكل الناس لحاء الشجر ، ومـات الضعفاء من الأطفال والكبار وانتشرت الأمراض المعدية الفتاكة : مما جعـل أبناء الباديـة في سهول المنطقة يطوون بيوتهم (بيـوت شعر) وخيامهم ويرحلون إلى قـرى سروات عسـير وتهائمها، بل جاء في نفس المصدر أن مـن شدة المجاعة أكلت الجيف ومات خلق كثير[٣].

اطلعـت على مخطوطة سجلت عدداً من الأحـداث التي كان كاتبها شاهد عيان، أو أستقـي ذلك من أفواه الرواة؛ ونذكر بعض ما ورد فيـه بإيضاح، وصوراً مما عاناه أهل الباديـة، **ومما** وثقه المؤلف، فقـال: « أجدبت الأرض وغارت ميـاه الآبار، وماتت الزروع وهزلـت المواشي ودبـت المجاعة، حتى أن الناس أكلوا لحـاء الشجر، ومات الضعفاء من أطفـال وكبار السن، وانتشرت الأمراض الفتاكـة، وأصبح النـاس في ضائقة لا يعلمها إلا الله سبحانه، **مما** اضطرهم إلى ترك ديارهم بحثاً عن لقمة العيش «. وقام أبناء البادية الذين يقطنون المشرق بطي خيامهم وبيوت الشعر، وتركوها عند من لا يعرفون من سكان القـرى، واضطـروا من شدة الجـوع إلى أكل الجيـف، ومات خلق كثير مـن شدة الجوع

---

(١) مانع النهاري ، ٧٩ ــ ٨٩ .

(٢) مقابلـة مـع ناصر بن سعيد بن جافل شيـخ آل سليمان الحرقان عام (١٤٢٠هــ/١٩٩٩م)، في مقر إقامته بمركز العرين بلاد قحطان.

(٣) علـي بن محمد بن سـالم القحطاني ، مخطوطة بـدون عنوان، [د.ت].محفـوظ في مكتبة الباحث، وهي تتكون من (١٢ورقة) .

والمرض. وفي خضم تلك الأحداث المؤلمة نزلت أمطار على تهامة، فرحل الكثير من سكان السروات والنجود إليها، حيث وجدوا الماء والكلأ فكثر الحليب واللبن والزبد والأقط، وسارت الحياة فيهم من جديد، إلا أن الأوبئة قد انتشرت في تهامة فمات الناس وماتت مواشيهم، وكان من المتأثرين من نزح إلى تهامة، أما أهل تهامة فلم يصبهم من الوباء شيء، وممن تأثر بذلك الوباء من أهل الشرق، آل العبد الحباب، وآل زربة الحباب، وآل الشريف الحباب، وآل جبران الحباب، وآل مسفر مسعود الجحادر، وآل سلمان الحرقان من عبيدة، ويذكر لي أحد آل العبد بأنهم جمعوا أكثر من (٥٠) بندقية وخنجر مات أصحابها، وأكلت النسور الجثث من كثرتها، ويتمت الأطفال، ورويت قصص تنفطر لها القلوب، وتبكي العيون، من مصائب حلت من هذا الوباء في تهامة»[١].

البدو في شرق منطقة عسير لم يخضعوا لأي حكومة أو سلطان قبل الدولة السعودية الأولى، وينطبق عليهم وصف ابن المجاور للبدو: «بأن كل بدوي لا يأوي تحت سقف لا يؤدي قطعه، أي لا زكاة أو خراج»[٢].

يبدو أن بادية منطقة عسير في القرون السابقة للدولة السعودية الأولى لم تخضع لأي سلطة سياسية، سواء في الحجاز أو اليمن أو في جبال السروات؛ إلا أن تلك الهضبة الشرقية كانت مسرح لصراعات قبلية عنيفة، وذلك ما وثقته الروايات الشفهية المتواترة، ولسنا بصدد دراسة هذه المرويات ومقارنتها وتصحيحها[٣]. والسواد الأعظم من سكان الجهات الشرقية في عسير من البادية الرحل، أهل إبل وغنم، وينتقلون بها عبر البلاد الواسعة فيما بين نجد وبوادي عسير وسرواتها[٤].

كان بدو عسير، على صلة قوية بحُكام آل سعود في دولتهم الأولى، والدعوة السلفية التي قضت على الشرك وعبادة غير الله، فسارعوا إلى طلب العلم الشرعي عند علماء نجد، من طلاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده[٥]. وتذكر المصادر التاريخية وفود هادي بن قرملة إلى الدرعية عام (١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م) فبايع قادتها وصدق معهم، وأبلى

---

(١) علي بن محمد بن سالم القحطاني، مخطوطة بدون عنوان، [د. ت]، محفوظ أصلها في مكتبة الباحث.

(٢) ابن المجاور. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز والمسماة تاريخ المستبصر، لندن. (مطبعة بريل، ١٩٥١م). ٣٣١.

(٣) الرواية الشفهية لا يمكن الاعتماد عليها بشكل كلي عندما لا يوجد ما يسندها من المراجع والمصادر والوثائق والنقوش وغيرها من المواد الأولية لكتابة التاريخ.

(٤) للمزيد انظر: أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، منطقة «تثليث» وما حولها عبر العصور، [د.م] مكتبة دار الحاوي، (١٤٢٤هـ) ط، ٢٢٨ـ ٢٤٣.

(٥) العمروي، ٦٩.

بـلاءً حسنـاً في المهمات التي كلفـوه بها، مثل المعارك مع قوات أشـراف مكة والمعارضين في بـلاد عسير، وقـد وصل بغارته إلى حـدود حضرموت جنوباً، وقُتـل في معركة (وادي الصفراء) التي حدثت بين طوسون وعبدالله بن سعود عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) [١].

لم يكن الشيخ هادي الوحيد بل كان هناك عدد من الأسماء التي ذكرتها المصادر، وربمـا طُرح سـؤال أن تلك القبائل من نجد، والصحيـح أن مواطنها الأولى في الجهات الشرقيـة لمنطقة عسير، وحياة الترحال كانـت تجعلهم يتنقلون من « تثليث » وما حولها إلى نجد ، ولم يستوطنوا نجد بشكل دائم؛ بل ظروف البدوي وحياته تعتمد على الترحال وطلـب المـاء والكلأ، وهذا سهل علـى القبائل البدوية في شرق عسـير إلى الاتصال بآل سعود الأوائل والتأثر بمبادئ الدعوة الإصلاحية ومناصرتها، واستشهد الكثير من أبناء البادية في الذود عن الدولة السعودية الأولى ضد الجيوش العثمانية، ومن أولئك هادي بـن قرملة، ومانع بن كـدم، ومحمد بن غلاب بن حرملة، وغيرهـم من مشائخ وأعلام وأعيان البادية[٢].

اضطربت الأوضاع السياسية في جزيرة العرب جراء الحملات العثمانية ضد الدولة السعودية ومناصريها في نجد وعسير. وبقي البدو موالين لأئمة الدولة السعودية الأولى، ويدفعهم إلى ذلك امتلاء قلوبهم بمبادئ الدعوة الإصلاحية ، وتعاملات آل سعود الطيبة معهـم، وهذا مما جعلهـم يكنون كل الحب والولاء لهم. وعندما قامـت الدولة السعودية الثانيـة على يد الإمام تركي بن عبـدالله بن محمد آل سعود في سنة (١٢٣٣هـ/١٨١٨م) [٣]. واتخـاذ الرياض عاصمة لملكه بدلاً مـن الدرعية، ثم توسعت بشـكل محدود على عكس سابقتها. ويرى البعض من المؤرخين أنها انحصرت على بلاد نجد والأحساء ، لكن بعض الوثائق تشير إلى أنها وصلت إلى بوادي منطقة عسير الشرقية.

وتذكر وثيقة صادرة من الإمام فيصل بن تركي آل سعود إلى جميع الأمراء الموالين لـه من قحطان وشهران وغيرهم بوجوب إكرام الشيـخ الفويه شيخ بني واهب شهران. وقد نصت على الآتي: « بسم الله الرحمن الرحيم. من فيصل بن تركي إلى من يراه من بلدان المسلمين وطورافنا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: بديع بن محمد الفويه

---

(١) عبـدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربيـة السعودية، الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ج١ـ الرياض، [د.ن] ، ١٤١٩هـ، ٣٨ .

(٢) عثمـان بن عبدالله بن بشـر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الجزء الأول، حققـه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله الشيخ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز ، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ط٤، ١٦٠.

(٣) العثيمين ، ٢٣٣ .

وجماعته طوراف لنا وللمسلمين وسالمين من نقايص المسلمين ... ولا يصير عليهم اعتراض أبداً ولا على قوافلهم ولاجلايبهم لأجل ما عندهم شيء للمسلمين...يكون معلوم»(٢٩محرم١٢٧٤هـ/١٨سبتمبر١٨٥٧م) [١].

كما نجد في وثيقة للملك عبدالعزيز مرسلة لأهل نجران، تفيد أن الشيخ جابر بن حسين بن مانع أبو ساق وصل إليه وبيده وثيقة من جده الإمام فيصل بن تركي، ونصها: ((من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى من يرى هذا الكتاب، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقد ألفى علينا جابر بن حسين بن مانع آل جابر وبيده ورقة من جدي الإمام فيصل ـ رحمه الله ـ طلب منا عليها وأعطيناه على ما فيها، ومن حالة حالهم من أهل نجران وأن حتى ما نرضى فيهم من جميع الحالات كلها، ولا ندخر نفعتهم في جميع ما يلزم على قدر الإمكان، والعمدة على ما تقرر بينهم وبين طوارفنا ابن عسكر وغيره، إن شاء الله يكون معلوم والسلام» ١٥محرم١٣٥٢هـ ـ ١٠مايو١٩٢٣م» الختم الملكي)) [٢].

والوثيقة إلى الإمام فيصل بن تركي هي كتاب منه لأهل نجران ولمن مثلهم عنده وأعطاهم الإمام عهدالله وأمانه ، وقد جاء نصها على النحو الآتي: ((من فيصل بن تركي إلى من يرى هذا الكتاب ، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الفى علينا حسن بن محمد بن منيف وحسين بن مانع بن جابر وبأيديهم خط عن مانع ابن علي بن جابر ومن عزان بن حسين بن بنيان أنهم مفوضون عن أنفسهم وعن رفاقتهم أهل نجران. إلخ، ١٥ شوال ١٢٧٩هـ الموافق للرابع من أبريل ١٨٦٣م» الختم)) [٣].

استمرت العلاقات بين قبائل بادية عسير وأئمة الدولة السعودية الثانية، ولا نجد تلك التفصيلات التي تشرح تلك العلاقات وتتبع سكان شرق عسير أخبار آل سعود في نجد حتى جاءتهم البشارة بفتح الرياض على يد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفصيل عام (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) [٤]. ومما يدل على متابعتهم لأخبار نهوض الملك

---

(١) العمروي ، ١٩٢ .

(٢) غيشان بن علي جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب،، ج١٧ ـ الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م،ط٢، ٥٥٦ .

(٣) عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري ، عند الصباح يحمد القوى السرى الملك عبدالعزيز الجزء الثاني من كتاب لسراة الليل هتف الصباح، دار الشافي ، [د.ت] ٢٤٢ـ٢٤٤ .

(٤) مقابلة مع سعيدان آل مهمل آل شنان الحباب عام(١٤١٩هـ) من سكان فرع آل شنان التابع لمحافظة الأمواه، وهو في ذلك الحين معمر طاعن في السنن يذكر أن أعمامه ووالده قدموا من عُمان بعد شراء إبل لهم وأنهم بشروهم بفتح الملك عبدالعزيز للرياض وقتل ابن عجلان على يد ابن جلوي.

عبدالعزيـز في مشروعه الوحـدوي العظيم، فقد هاجر رجال منهـم إلى الرياض لطلب العلم، ففي أواخر سنة (١٣١٩هـ/١٩٠٢م)، وهي السنة التي دخل فيها الملك عبدالعزيز الرياض، ويذكر أن جعفر بن منيس بـن عبود، كان مسافراً من «تثليث» إلى نجد حسب عادتـه، وعندمـا وصلته أخبار ابن سعود، وأنه قد نودي بـه حاكماً، فأعلن له الولاء حتى وفاته عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، وخلفه ابناه « معيض ومحمد « على الإمارة[١].

تلـك من أوائـل الأخبار المباشرة بـين بادية منطقة عسير والملـك عبدالعزيز، وتذكر بعضـ الروايـات أنه وفد على الملـك عبدالعزيز في الرياض كل من: علـي بن بخيتان وابن أخيـه محمـد ليتعلما العلوم الشرعية عنـد الشيخ عبدالله بن عبداللطيـف آل الشيخ سنة (١٣٣١هـ/١٩١٢م)، وقد لازماه حتى سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٤) [٢]. وقد درسا على سماحته القـرآن حتى حفظاه وتعلما الأصول الثلاثة والقواعد الأربعة والفقه والتفسير واللغة ، كما تعلمـا على يد عدد من العلمـاء الآخرين. وكان الشيخان علي ومحمد آل بخيتان يحضران مجالسـ الملك عبدالعزيـز، ويجتمعان معه ويسألهما عن أحـوال قومهما وأراضيهما وعن حال القبائل المجاورة وعن ارتباطاتهم بأمراء إقليم ـ عسير ـ وعن ولاء أهل «تثليث» لهم[٣].

إن امتـداد نفـوذ الملك عبدالعزيـز إلى منطقة عسير بدأ منذ وقـت مبكر، ويتضح لنـا من خلالٍ ما سبق أن الوضع القبلـي في بادية عسير حتى عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)، لم يكـن تابعـا للأوضـاع السياسيـة في تهامة وسـروات منطقة عسير[٤]. بـل كان لهم خصوصيتهـم، وإن لم تكن جميع قبائل شرق منطقة عسير، إلا أن أكثرهم كانوا موالين للملـك عبدالعزيز منذ وقت مبكر ومشاركين في جيوشـه قبل أن يعقد الملك عبدالعزيز العزم على ضم عسير (تهامة وسراة) عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م). ويقول أحد المعمرين الذيـن شاركـوا في تلك الأحداث ((بأنهم شاركوا في معركـة تربة في شهر شعبان سنة (١٣٣٧هـ)، ثـم عـادوا وصاموا رمضان في بواديهـم في شرق منطقة عسـير، وبعد أن أفطروا من صيامهم جاءتهم رسالة بالذهاب إلى نجران[٥]. وبعدها انضموا إلى قوات الأمـير عبدالعزيز بن مساعد بـن جلوي عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م)،وكان معظم جيشه رجال البادية من الإخوان في نجد وفي بادية منطقة عسير))[٦].

---

(١) مقابلة مع ذعار بن نايف بن عبودآل مسعود، ونسيبه مناحي بن سودة آل كناد في عام ١٤٤٢هـ.

(٢) هند حسن القحطاني ، إعمار الهجر آليات التاج العمران» تثليث « عسير، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ ، ٤٥ .

(٣) عمرو بن غرامة العمروي، مرجع سابق، ٧٠ـــ ٧١ .

(٤) النعمي، ٣٠٧ ، ٣٣٧ .

(٥) العمروي ، ٧٢، ١٤٨ .

(٦) سعيد عبدالله جفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود لضم عسير، ١٣٣٨هـ ، (بحث غير منشور) .

٣ـ بعض الفئات الاجتماعية في بوادي شرق عسير:

يقوم المجتمع البدوي على النظام القبلي والأبوي، إذ يتشكل بالعادة من العائلات الممتدة التي تتسم بسلطة الأب وتعدد الزوجات، وكل رب أسرة من البدو يتمتع بوجاهة لا مجال لإنكارها فهو يستقبل ضيوفه في خيمته وكأنه أمير. والقبيلة عماد المجتمع البدوي، والأسرة اللبنة الأولى للقبيلة، فهي وحدة اجتماعية وسياسية متماسكة لها رئيس يسوسها فيما يخدم مصالحها وطبيعة الحياة التي تعيشها ، وشأن القبيلة يحدده حجم قوتها ومكانتها بين القبائل(١).

والقبيلة مجموعة متنقلة أو مقيمة على أرض محددة صحرواية في الغالب، وبين أفرادها علاقات خاصة قائمة على التقاليد والأعراف المتوراثة، فهي كتلة بشرية متماسكة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وذات شخصية متميزة تحت إمرة زعيمهم أو شيخ القبيلة(٢). ويختلف النسابون في تقسيم القبيلة العربية من حيث توصيفها وتصنيفها ، ومتى يطلق عليها اسم العشيرة أو القبيلة؟ وتكاد تختلط على التسميات في التراث العربي فقد يطلق على العشيرة اسم فصيلة أو بطن أو فخذ وهي ألفاظ تدل على مستويات مختلفة في التنظيم الاجتماعي.

هناك من يقسم القبائل إلى بضع طبقات، فيبدأ أولاً بالجذم، فالجمهور، فالشعب، فالعمارة، فالبطن، فالفخذ، فالعشيرة، فالفصيلة، فالرهط. ورأى آخر يذكر الشعب، فالقبيلة، فالعمارة، فالبطن، فالفخذ، فالفصيلة. ووجهة نظر أخرى تقول أن القبيلة جمع من الناس ينتمون إلى أب واحد وهم أصغر من الشعب، وتليها بالصغر العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، أما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الأدنون(٣). ويقال: أن القبيلة تنقسم إلى العشائر، والعشائر إلى أفخاذ ، والأفخاذ إلى أسر. وهناك من يرى أن القبيلة تنقسم إلى عشائر. والعشائر إلى أفخاذ ، ثم إلى فرق، ثم إلى أسرة والأسرة أعلاها الخمس، أو الخامس. ومجموعة الخامس مرتبطون برابطة التعاضد على أساس القربى. والقبائل

---

(١) حسن عبدالقادر ،توطين البدو في عهد الملك عبدالعزيز ، بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ، ج١ ،وزارة التعليم العالي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤١٤هـ، ٤٢٥. ماكس أبو نهايم . البدو ، تحقيق ماجد شبر ، ج١. المملكة المتحدة ،دار الوراق للنشر المحدود، ٢٠٠٠م ، ط١، ٧٥ـ ٨٩.

(٢) ماكس أبو نهايم ، ٧٥ــ ٨٩ .

(٣) انظر النويري. شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ)، ٢٥٩ـ٣٠٣. وأحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م ، ٢٠ـ٢٢.وجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الخزرجي المصري، لسان العرب، ج٥. دار النوادر، [د.ت] . ٦٨ــ ٨٤ .

في بوادي عسير تبدأ من الأسرة الكبيرة التي تُعرف بالفصيلة، ثم الجماعة التي تُعرف بالعشيرة، ثم الفخذ ثم القبيلة[١].

البداوة عالم خاص قائم بذاته تكونت طباعها وخصائصها من الظروف التي نشأت فيهــا، ولها مقاييسها وموازينها الخاصة التي تختلف عن موازين الحضر البعيدين عن أحـوال البدو. ومـن سمات البدوي التمسـك بالقبيلة والغزو والكـرم والسخاء والنخوة وغيرهــا. وتنقســم القبيلة في بـوادي منطقة عسـير إلى عدة بطون تُعرف بــ (البد)، وجمعهــا بدود، والبد يتكون من عدة أفخــاذ، والفخذ ينقسم إلى جمايع أو جماعة، وفي تهامــة تُعـرف باسم العشـيرة. والجماعة عدة أسـر، والأسرة هناك أكـبر من الأسرة الصغيرة التي تتكون من أب وأم وأبناء وأحفاد.

هنـاك تقسـيم آخر : وهو علـى النحو الآتي[٢]: **(١) قباضـة :** الخمس أبناء الجد الخامـس أهل الغـرم والجرم. **(٢) العـدود:** أبنـاء الجـد السـابع ويعرفـون بالصلايا. **(٣) اللحـام :** أو الغرامـة أبنــاء الجـد التاسـع أو العاشـر أو أكـثر مـن دخـل معهـم. **(٤) الفخـوذ:** مجموعــة لحام يربطهم جد أو يجمعهم عشـيرة وفروق وضيف وحضن. **(٥) البطن أو القبيلة** ويجمعهم جد واحد أعلى، وهم ملتزمون مع بعضهم في أربعة أمور: **(أ) الغازي والغزو. (ب) المصراخ. (ج) المحجر. (د) الجيرة.**

(*) تنقسم القبيلة أو المجتمع البدوي إلى عدة فئات :[٣]

١ـ شيوخ القبيلة :

يسمــون شيوخــاً ولو كانوا صغار الســن عندما توافرت فيهم شـروط المشيخة، فلا يستحـق المشيخة إلا من كان ذا طلاقة في لسانه وبيانه، وأفرسهم وأشجعهم وأصدقهم في اللقــاء، وأغناهــم ويقترن الغني بالكـرم وإلا فلا فائدة من هذا الغنــى، وكما يُقال: الشيــخ سيف ومنسف، والمشيخة عند أهل الباديــة مراتب حسب كبر القبيلة أو صغرها كعدد أو كتأثير، فشيخ القبيلة القوية وإن صغر وقل عددها ليس كشيخ القبيلة الضعيفة وإن كـثر عددها ومشايخ القبائل في حصولهم لهــذا المنصب إما عن طريق الوراثة من

(١) مقابلـة مع الدكتـور سيلمان آل عائض، عام (١٤٤١هـ ــ ٢٠٢٠م) حفيد محمد بن عائض مهتم بالتاريخ، توفي في عام ١٤٤٣هـ/٢٠٢٣م).

(٢) مقابـلات مـع عدد من المشائـخ والأعيان وخلصنــا إلى هــذه الآراء في الجزء الأوسط مــن منطقة عسير والأجزاء الشرقية مع اختلاف بسيط في البلاد التهامية.

(٣) انظـر ابـن شافـع، ٦٨ ــ ٨٧، وهذا ما أجمع عليه كل من التقيناهم مــن مشايخ قحطان وشهران في بادية منطقة عسير.

أسلافهم الذين كانوا أهل أفعال وخصال جيدة أو مشيخة جديدة يتم الاتفاق عليها من كبار القبيلة[١]، و نجد في إحدى الوثائق المؤرخة في عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م)، ما نصه ((وبعد تمام موقفهم وانتهاء مخابرتهم فقدموا (...) أميراً عليهم ورضوا إمارة المذكور على شروط معلومة : الأول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني: ما أشكل على الأمير المذكور فله أن يراجع ستة آل (...) وشورة شورهم واحد وأن أشكل على الجميع شيء من الأمور فحله إلى الشرع[٢].

٢ـ العقداء ومفردهم العقيد:

عقيد القبيلة أو القوم أي زعيمهم ومقدمهم، والعقيد من تُعقد له الراية ويسير بهم في الغزو، ولا يخرجون عن شوره وتوجيهاته ، وربما كان الشيخ عقيداً، أو كان العقيد عقيداً بدون مشيخة، وقد يصبح العقيد شيخاً للقبيلة؛ ويشترط على العقيد عند قبائل بادية منطقة عسير وحواضرها عدة شروط، منها أن يكون باراً بوالديه، ومحافظاً على صلاته، ولم يجتمع مع أحد في المكيدة بسوء لأحد ولم يظلم أحداً. والوصول إلى رتبة العقيد أمر كبير لا يبلغه إلا من له فعل وشجاعة يعرفها الجميع ولا يختلفون عليها[٣] .

٣- العوارف ومفردها العارف:

الحكيم صاحب الدراية ويتصف بالفطنة، ويقضي بمعرفة وعلم وخبرة ودلائل يستجلبها من التجارب الماضية، والعارف هو ما تم التعارف عليه منذ القدم من العادات والتقاليد العرفية التي تنظم حياة الناس وتحافظ على العلاقات الاجتماعية والقيم والمبادئ الإنسانية، والعارف يقوم بالفصل في الخصومات بين المتخاصمين، وهو مرجع في إصلاح ذات البين، وفيما عرفت واطلعت عليه فأكثر العوارف يبنون أحكامهم على دراسة وعلم الأحكام الشرعية. ففي إحدى الوثائق لأحد العوارف ورد ما نصه: « فخيرناهم بين حكم الشرع أو الصلح فاختاروا الصلح»[٤] .

---

(١) المشيخة الجديدة تعرف بالمشيخة البدعة القائمة على الاختيار أو الانتخاب وفي الغالب يكون السبب في ذلك موت الشيخ وعدم وجود خلفاً له، أو أن منصب القبيلة قائم على الاختيار من كبار القبيلة.

(٢) وثيقة برقم (٣٠١) صورتها عند الباحث، ومصدرها الأستاذ الباحث سعيد آل سحيم البسامي، باحث له عدة مؤلفات تاريخية .

(٣) مقابلة مع الأستاذ محمد بن سعد النهاري، عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٨م)، وله عدة مؤلفات، مقابلة مع الشيخ مسفر بن جفشر قبل عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، مقابلة مع الشيخ عبدالله بن علي بن جراب عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٤) الوثيقة صورتها في مكتبة الباحث محفوظة برقم (٣/٢٢٨) ومصدرها الدكتور عبدالعزيز بن دلية آل مشعل.

٤- الخيالة والفرسان على الخيل أو الهجن:

أبنــاء القبيلــة الأصفيــاء عليهم المعول في حمايــة القبيلة، ويمتــازون بمعرفة فنون القتال والتميز فيها[١] .

٥- عامة أفراد القبيلة :

القائمــون على أحوال القبيلة غرماً وجُرماً هم مقاتلــون أشداء متى ما طُلب منهم ذلــك، وبكثرتهــم وقوتهم وعدتهم يعظــم صيت القبيلة وشيوخها، بعــد ذلك يأتي رعاة الإبــل ورعاة الغنم (شواوي)، وهم أجراء عنــد البادية ولا يعني ذلك أن البدوي لا يقوم وأبنــاؤه وبناتــه برعاية الإبل والغنــم، فوجود هذا الأجــير كراعي للغنــم أو للإبل ليس علــى الإطــلاق، ومع أهــل البادية ينتقل بعض فئــات المجتمع التي تميــزت بمهاراتها في الصناعــة، فمنهــم الخــرازون لصناعة الجلــود، والحايك لحياكة بيــت الشعر، وقص (جــز) غــزل الماعز وصــوف الضأن ووبر الإبــل، والحداد لإصــلاح البنادق والحراب والخناجــر والسيوف، ومن الحدادين من يقــوم بعمل حدوات الخيل (محذية الخيل). وأهــل الصناعــات أغلبهم في فصل الشتاء في الحاضــرة، وفي الصيف عند أهل الهِجَر والقرى[٢] .

العلاقــات بــين هذه الفئــات تتبايــن بين القرابــة والنســب والمصاهــرة (العنوة) والصداقــة والحلــف والغــرم والجرم، وكل شخــص يعرف ما هو متاح لــه في الأعراف والتقاليــد ولا يتعداهــا سواءً في المأكل أو الملبس أو المركــب أو في المكان المخصص له في موضــع اجتماع القبيلة أو العشــيرة أو الأسرة. وهنــاك علاقات العداء والصراعات التي أسبابها حماية المستجير أو الصديق أو طلب الماء أو طلب الكلأ. ونجد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) اجتهد في تقريب الفروقات بين هذه الفئات من خلال تحكيم شرع الله، حتــى أصبح أبناء البادية في منطقة عسير نابذيــن للعصبية والثارات ومتحدين كأبناء رجل واحد تحت راية التوحيد التي رفعها وأسس كيانها ذلك الإمام العربي المبارك[٣] .

---

(١) ابن شافع، ٤٨ .

(٢) ابن شافع، ٤٩ ، ٥١ .

(٣) يوجد عشرات الكتب والبحوث العلمية المطبوعة والمنشورة التي فصلت الحديث عن وضع القبائل في المملكة العربيــة السعوديــة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومــازال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة وفيها مادة علمية جديرة أن تدرس وتحلل عن التركيبة القبلية في البلاد السعودية من عشرينيات القــرن الهجــري الماضــي إلى بداية هذا القــرن (١٥هـ/٢٠م). ومــن يتخذ هذا الموضوع مجــالاً للدراسة فسوف يجد مادة علمية جديدة تفيد في هذا الباب.

٤ـ صور من حياة المرأة في مجتمع البادية :

إذا ذكرت المرأة والبادية تبادر إلى الذهن قضايا اضطهاد المرأة وعضلها وتحجيرها وذلك من النظرة السوداوية ، ومن خلال هذه الدراسة وجدت عكس الصورة التي وُضعت عن المرأة، وقبل الحديث عن وضع المرأة في البادية، ومنها الحط من شأنها، وللأسف أن بعض الأفراد يعدون المرأة من سقط المتاع ولا قيمة لها، ويستحون من ذكر اسمها في المجالس وإذا ورد ذكرها أتبعوه بقولهم (أعزكم الله، أو كُرمتم) [(١)].

تذكر المصادر المكتوبة والمروية سوء العلاقة في عشرة الزوجات، وضربهن، وعضلهن من الزواج أو منع الزوجة من الرجوع لزوجها عند وقوع بعض الخلافات، وكذلك مشكلة التحجير، فالمرأة إذا رفضت الزواج من ابن عمها أو قريبها لسبب من الأسباب، قال الخطيب: تراني حاجر فلانة حتى لا يتقدم أحد لخطبتها، ومشكلة عدم توزيع المواريث وإعطاء المرأة نصيبها من الميراث[(٢)] .

حتى نكون منصفين فاضطهاد النساء لا يخلو منه أي مجتمع عبر عصور التاريخ سواءً أكانوا حضراً أم بدواً، عرباً أو غير عرب، لكن لم تكن تلك المخالفات عُرفاً سائداً أو قانوناً لابد أن يُطبق ويجرَّم من لا يطبقه فهذا المفهوم خطأ، وفيه مجانبة للصواب. ووجدت أن المرأة كانت تحظى بقدر كبير من الاحترام في البادية بشكل عام، واحترام البدوي للمرأة سواءً أكانت قريبة له أم بعيدة ، والاعتداء على المرأة بلفظ أو شيء من الأمور تُنقص من قدر الرجل، وتحط من شأنه، ويعتبر من النقائص التي لا تغتفر له[(٣)]. وقد حظيت البدوية في مجتمعها بقدر كبير من الاحترام والحرية في إبراز جهودها وأعمالها في حياة قبيلتها، فكانت تعبر عن رأيها من خلال نظم الشعر أو إبداء الرأي في مواقف الشجاعة والكرم والجود والعمل الذي يستحق الثناء ويثير مشاعرها فتمدح وتغني وتفخر. أو تعرف مواطن الضعف والنقص والهوان فتهجو أو تتهكم، وكان لهجائها وقع مؤلم ربما أثر في الرجال فسعوا إلى النهوض لتغيير ما أصيبوا به من أمور تنقصهم، أو أعمال ارتكبوها تسيء لهم فيسعون إلى معالجتها بما يزيح ألم انتقاد المرأة وازدرائها لهم[(٤)].

---

(١) للمزيد انظر: سالم بن سيف بن سعد آل جربوع، الأعراف والأحكام القبلية المخالفة للإسلام خطرها ومنهج الدعوة في إيطالها، الرياض: دار الصميعي، (١٤٤٠هـ) ، ٩٣ـ ٩٨. آمل أن نرى بحوث أكثر وأعمق وأفضل في هذا الجانب، مع الخروج بتوصيات تعالج هذه الظواهر.

(٢) كل هذه القضايا المذكورة موجودة في مجتمعات كثيرة داخل شبه الجزيرة العربية، وكانت قديماً منتشرة بشكل كبير، لكن في العقود المتأخرة بدأت تتراجع، وآمل أن يأت يوم تختفي.

(٣) مقابلة مع محمد بن الهشل آل بزمة في تثليث عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .

(٤) مقابلة مع النائب شائع الجروي عام(١٤٣٢هـ/٢٠١١م) في مركز الغضاة بمحافظة طريب.

وأكثر ما يعجب البدوية ويجذب انتباهها أفعال الرجال كالشجاعة والكرم وغيرهما، والمرأة البدوية تقدر صاحب الصيت والسمعة الطيبة، وتعبر عن احترامها له، أما الرجل الـذي لا يتصـف بهذه الصفات فنظرتها إليه نظرة الكـره ولا تعتبره كفئاً للزواج منها، وإن كانـت تزوجته فهي على استعداد لتركه، ولـو أدى ذلك إلى أن تعيش حياة أقل مما كان سيتوفـر لها إذا بقيت عنده[١]. والمـرأة البدوية شريكة إيجابية للرجل البدوي فهي تحلـب الأغنام، وصنع الأقـط، وإعداد السمن، وتحضير اللـبن، ونظافة البيت، وطحن الحبـوب بحجر الرحى، والاحتطـاب، وتربية الأبناء وإعانة زوجهـا فيما يحتاج، وجلب المـاء في القرب من موارده، وغزل شعر الغنـم ووبر الإبل ليكون بيوتاً وبُسطاً وألبسة[٢]. والمـرأة في باديـة منطقة عسير لا ترعى إلا الأغنام ، أما الإبل فهي مسؤولية الرجال[٣]، وسكان شرق السروات يملكون الإبل أكثر من الأغنام، وخروج المرأة في الرعي قليل[٤].

يقـوم الرجل بالطبخ وإعداد القهوة ، والمرأة عامل مساعد له فقط، والمرأة لا تعمل شيئاً من ذلك إلا لنفسها ولضيفاتها من النساء أو لأطفالها ، والرجل هو من يعد القهوة والوليمة[٥]. والمرأة البدوية إذا وصل ضيوف يريدون زوجها رحبت بهم في حشمة وحياء، وسمحـت لهم بالدخـول إلى مجلسه، واستدعت من أبناء عمومة زوجها أو عمومتها من يقـوم بواجبهـم ويكرم ضيوف زوجها في غيابـه، وإذا لم يظهر أحد مـن الأقارب تقول للضيوف (عشاكم قومـوا بتجهيزه) . وقربت الماء والحطب لهم ليجهزوا طعامهم [٦]. وتقـرب لهم من الضأن أو الماعز ما يقوم الرجال بتجهيزه، كل ذلك والمرأة في حشمتها ووقارها وزوجها يفخر بهذا الفعل من زوجته في غيابه[٧].

أثناء السفر الرجال هم من يقومون بخدمة النساء، ولا يُسندون أي عمل لهن، وهم يتمثلـون بالمثـل القائل (النساء علائـق الطيبين) ، أي أن الاهتمـام بالنساء من صفات الرجـل الطيب ذي المروءة والخلـق الرفيع والمرأة البدوية تعيش مكرمة ومحترم جانبها

---

(١) مقابلة مع محمد بن إدريس عام (١٤٣٣هـ/٢٠١١م) في العرين بلاد قحطان .

(٢) ابن شافع ، اللباس والزينة ، ٢٩ــ ٣٨ .

(٣) مقابلـة مـع فراس بن عبدالرحمـن رقعان آل شنـان، عام (١٤٤٠هــ/٢٠١٩م) بمحافظـة الأمواه. و كل الصفات التي ذكرتها تمارسها جميع النساء في عموم السروات وتهامة . لكن الأجزاء الشرقية قديماً كانت المرأة تمارس العديد من الأعمال التي تختلف نوعاً ما عن نساء المرتفعات الجبلية ، والأجزاء التهامية .

(٤) مقابلة مع الشيخ زنيفر بن علي آل الخوير عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) في تثليث .

(٥) مقابلة مع الشيخ مانع بن عائض بن زهرة . عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) في محافظة تثليث.

(٦) مقابلـة مـع علـي بن مسفـر بن عـدوة وأخيـه سالم مـن قبيلـة آل خميسـة عـام (١٤٣١هــ/٢٠١٠م)، بمحافظة تثليث.

(٧) مقابلة مع محمد آل بزمة عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) سبق التعريف به .

سواءً أكانت أماً أو زوجة أو بنتاً أو أختاً[(١)]. ولا تجبر المرأة في البادية على الزواج، ولها حرية الرضى والاختيار بالزوج الذي تراه كفئاً لها، بل ربما رفضت من يتقدم لها بقصد الزواج ولو كان من أسرة مشيخة ما لم يتصف بالشجاعة والكرم والأخلاق الطيبة التي تجعل ذكره حسناً في مجتمعه وفي قبيلته[(٢)].

كانت المرأة صاحبة كلمة مسموعة ورأي يُحترم، ويتمثل في أهل البادية في ذلك بقولهم (ياالله شوره مع راعية غنم)، أي أن الشور أو النصيحة أو الرأي الصائب يأتي من المرأة ولو كانت راعية غنم[(٣)].

للمرأة في غياب زوجها حق حماية الدخيل وإجارته، ولا يحق لأي أحد رفض هذا الحق، وهي في ذلك الحق تستمده من هيبة زوجها وأهلها الذين يحمون الدخيل؛ ولا يحق للزوج ضرب زوجته وإذا ضربها واضطرها الضرب إلى الهروب إلى أهلها فكان ذلك يُعد منقصة في حق الزوج ويُجبر على النكال بسبب سوء عشرته. ويقدر البدوي المرأة ويجعلها وديعة غالية لا تُضر ولا تُهان، ولا أدل من ذلك من قولهم (النساء ودائع الظفران فرايس النذلان). أي أنها وديعة الرجل الكفء المظفر، وفريسة لمن اتصف بالدناءة والنذالة[(٤)].

إذا خطب الرجل ابنة عمه وهو من الرجال الذين صفاتهم متميزة ، ويكون كفؤاً في أخلاقه ودينه إلا أن ابنة عمه ترفض الاقتران به فلا يجبرها أهلها على القبول بابن عمها بغير رضاها، ولا هي تقتنع بتساؤلات أهلها الذين لا يرون في ابن عمها ما يعيبه، وأنه ممن يستحق الزواج بها. وأحياناً يقول ابن العم أن ابنة عمه محجورة أو (إني حاجر فلانة)بمعنى أنه يمنع خطبتها من أي أحد آخر[(٥)]. وقد تُخطب ابنة العم من رجل ليس بكفء في أخلاقه أو دينه ، أو لا يرغب ابن العم أن يقترب منهم بمصاهرة فيرفض ذلك

---

(١) مقابلة مع مسعود بن عائض آل عدوة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) بمحافظة تثليث.

(٢) مقابلة مع ناصر آل بزمة عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). كل الذي ذكرته يوجد في بوادي شرق عسير وغيرها من بلدان السروات وتهامة. وللأسف أن هناك صفات سلبية كثيرة كانت ومازال بعضها يمارس حتى الآن على النساء، وخصوصاً الزوجات، والأخوات، والبنات.

(٣) مقابلة مع الشيخ سعد بن ظافر بن حنش عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ويوجد في مجتمع السروات الكثير من الأمثال الشعبية، والحكم، والآراء، ووجهات النظر الجيدة التي تعكس صفحات من تاريخ البلاد خلال القرون الإسلامية المكبرة والوسيطة والحديثة.

(٤) مقابلة مع قبلان بن بجاد عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٥) مقابلة مع عيد بن سحمي الجروي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

ويبلغ عمه وابن عمه برفض هذا الخاطب[١]. وقد يقوم ابن العم بتحجير ابنة عمه إلا أن عمــه وأولاده يقفون ضــده ويرفضون منه هــذا التحجير ويزوجون أختهــم رغماً عن ابن العــم، وفي الغالــب أن التحجــير ينتهــي برضــى ابنــة العــم بزواجهــا مــن ابــن عمهــا، وربما اشترطت في ذلك مهراً أضخم من المعتاد، أو أن الأب وأبناءه يطلبون من ابن عمهم إلى التقاضــي القبلي (الحق) وبها يُخرجون ابنتهم من الحجر ولا يرغمونها على الزواج بغير رضى[٢].

إن المتتبــع لقضية الحجر يلمس فيها تنافس ابــن العم مع غيره من أقرانه للوصول إلى رضــى ابنــة عمه، التــي في الغالب تكــون فريــدة في صفاتها فيطمع فيهــا أكثر من شخصــ؛ لذلك نظام التحجير ليس على إطلاقه، وعلى كل فتاة، وبدون قيود ولا حدود. ومشكلة أمر التحجير إساءة لسمعة البادية، ونُظر إليه على أنه أمر متعارف عليه بدون قيــد أو شرط. والحقيقــة أن رأي المرأة لو لم يكن يُحترم في تقرير مصيرها بمن يقترن بهــا لقام أهلها بإجبارها على الزواج بدون الحاجة إلى نظام التحجير، علماً بأن المرأة في الباديــة في حالة الــزواج لا تُجبر، وفي حالة طلب الطلاق لا تُكره حتى ولو كان زوجها كفــؤاً لا يعاب، ومــا عليها إلا أن ترمز لزوجهــا بكلمات مؤدبة فتقــول: (أطلق عناني)، فــلا يكــون من زوجها بعد محاولات منــه ليقوم بثنيها عن رأيهــا إلا الموافقة على طلبها وتكريمها وإيصالها إلى أهلها[٣].

للمــرأة مكانة أخرى عند الرجال فهم يفخرون بهــا وباسمها فتجد الرجل البدوي يفخــر بــأن أمه هي فلانة بنــت فلان، ويعتز ويتغنــى بأخته ويقول مفاخــراً: (وأنا أخو فلانة)، فخراً واعتزازاً بها، وربما نسب بعض الأشخاص إلى أمه رغم أن أباه معروف. وربمــا أنه مــن أهل الشأن والجاه. لكنه اشتهر باسم الشهــرة الذي نسبه لأمه فقيل له: (فــلان ابــن فلانة)، وفي ذلك مثــل مشهور متنــاول، حيث يقول هذا المثــل: (أضر من انتسب إلى أمه)[٤].

(١) مقابلــة مــع محمد بن حزام بــن سعد آل عيفان عام (١٤٣٨هــ/٢٠١٧م)، في منزله بالغزالة في محافظة تثليث. مقابلة مع فالح بن شعوان عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٢) مقابلة مع مسعود بن عليان عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) في تثليث.

(٣) مقابلة مع محمد بن حزام آل عيفان عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) في تثليث، مقابلة مع سعد بن ظافر آل هران عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) في منزله بالقصب ببلاد سنحان.

(٤) مقابلة مع ناصر بن محمد العبدي الحبابي عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

للنساء دور كبير في الغزو وحماية القبيلة، ومن ذلك: الدور الحربي والدفاعي، ففي حالة حدوث غارة عليهم بالقرب من بيوتهم تقوم النساء بحمل الفؤوس وأعمدة البيوت ويضربن بها المعتدي. ولا يستطيع الغزاة مواجهة النساء، لأن لهم حصانة قبلية تجعل من يعتدي عليهم يوصف بأنه (أسود وجه)، فيتحاشى المعتدي لقاءهن ويبتعد عنهن. كذلك الجانب التحريضي وشحذ الهمم من خلال إبلاغ أفراد القبيلة البعيدين عن موقع الغزو وإخبارهم بتعرض القبيلة للاعتداء، ودعوتهم للدفاع عنها، ودعم المدافعين والمقاتلين عن مضارب القبيلة ومدهم بالماء والطعام. وإذا هزم أبناء القبيلة فالنساء اللاتي يتميزن بالشجاعة والحمية يقمن باستنهاض الهمم ويعملن ما يعرف بالتفريع، وهو كشف غطاء الوجه والرأس وينادين أبناء قبيلتهن (استرنا استرونا، يا سترنا استرونا، يا سترنا يا رجالنا)، وفي الغالب يولد هذا العمل انتصار القبيلة ودحر الغزاة المعتدين. وقيام النساء بانتقاد القبائل التي تعرضت لهزيمة، فقد تذكر عبارات فيها من السجع والتناسق ما يجعلها سهلة الحفظ والتداول، وبالتالي تكون كلمات جارحة ومحرضة على الثأر والأخذ به، وكان في نساء البدو بعض الشاعرات اللاتي يقمن بعمل ألحان (الزامل)، ومازالت ترددها الألسن حتى الآن. ويذكر أن إحدى القبائل أرادت الأخذ بالثأر لقتلى لهم، وعندما علم النساء باجتماعهم في هذا الشأن، جاءت القبيلة امرأة شاعرة وألقت عليهم بعض الشعر الذي فيه كلمات قوية وقاسية، والهدف من ذلك استنهاض أبناء القبيلة للأخذ بثأرهم والانتصار على أعدائهم، ومن ذلك الشعر:

بيضاء تشل لها شليل وتقول كافو كل عايل
والا ندور للبديل ونزول ما بين القبايل

أي: أنكم يا أبناء قبيلتنا إذا لم تنتصروا لنا فسوف نترككم ونبحث عن أزواج غيركم[١]. وتقول شاعرة أخرى:

يا يمه سومي حبتي على مروية الرماح

وأخرى تشترط أن تكون حليلة للشجاع فتقول:

اللي يريد لحبتي يقلط إلى هاب الذليل[١]

---

(١) مقابلة مع الباحث علي بن محمد بن شايع السنحاني عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

من خلال الزيارات الميدانية وصلنا إلى قناعة لا يمكن أن يدخلها الشك: أن للمرأة احترامها عند أهل البادية، وإن كانت قريبة لهم أو بعيدة عنهم، ولا تُوجد قوانين عامة ضد المرأة وضد كرامتها. وهناك أعمال فردية شاذة لا توضح صدق وصراحة الحياة البدوية، وهذا الجانب بحاجة إلى دراسة أطول وأعمق، وسيجد الباحث معلومات ثرية تشير إلى المكانة الراقية التي كانت تعيشها المرأة البدوية في بوادي شرق منطقة عسير، وغيرها من بلدان السروات وتهامة[١] .

ثالثاً: بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بوادي شرق منطقة عسير:

١ـ السكن، واللباس والزينة، والطعام والشراب :

أ ـ إعداد المسكن وطريقة صنعه وتأثيثه:

ليس في البادية مساكن ثابتة بل متنقلة. تُبنى وتُطوى وتجعل انتقال البدوي أمراً سهلاً ميسوراً، وعرفت هذه المنازل باسم بيوت الشعر، وينتقلون بها البدو حسب وفرة المراعي أو جدبها، ووجود الماء أو شُحه، وأوضاع بيت الشعر وموقعه يتأثر بالفصول السنوية[٢] .

يُعرف بيت الشعر في بادية عسير باسم بيت المقر، وهو الأكثر انتشاراً. ويتكون من (٩) فلجات مفردها فليج إلى (١٥) فليجاً حسب كبر البيت وصغره، ويتوسط بيت الشعر (٣) أعمدة، وتُسمى الكريب، ومفردها الكربة، وفي الطرف الأيمن والأيسر يُوجد عامود في اليمين، وعامود في الشمال تُعرف باسم شواء البيت، وهي أقصر من العمود الذي في وسط البيت، ولبيت الشعر أطناب لتثبيت البيت والمحافظة عليه، والأطناب يُوضع تحتها الشكل ومجموعها الأشكال، وكل بيت شعر له: (١ـ٣) أطناب في مقدمة البيت. (٢ـ٣) أطناب في الخلف. و(٣ـ٤) أطناب في الجهتين الأخريين .والأطناب أعواد خشبية تربط الحبال في وسطها لمن لا يملك الأوتاد وتوضع على الأرض بشكل عرضي وعليها حجارة لتثبيتها. أما الفلج فهو نتاج الغزل، ثم إحاكة بيت الشعر بعرض (٥٠) سم تزيد أو تنقص في طول يتراوح من تسعة أمتار (٩م) إلى خمسة عشر متراً (١٥م)[٣] ويسبق بناء بيت الشعر عدة خطوات :

---

(١) هـذه الشروحات مازالت قليلة ومختصرة . ولا نجد دراسات علمية جادة وعميقة عن تاريخ وحياة المرأة التهامية والسروية، أو العسيري، أو الجازانية، أو النجرانية، أو الغامدية والزهرانية (منطقة الباحة)، وغيرها من بلدان جنوب المملكة العربية السعودية. ولعل هذه النقاط والمحاور التي ذكرتها في هذه الجزئية تفتح آفاقاً أوسع لدراسات أكثر عمقاً وتفصيلاً وتحليلاً .

(٢) علي بن محمد شافع السنحاني. بلاد سنحان وما حولها، ٦٩ .

(٣) علي محمد شافع ، ٨٠ .

١ـ الجلم أو القص: [١]

أي جز أصواف الضأن، وشعر الماعز، وأوبر الإبل، وهذه العملية تبدأ في فصل الصيف مما يوجب على أصحاب الماشية التخفيف عنها مما تحمل ظهورها، ويقوم بهذه المهمة فئات مخصصة ذات مهارة حرفية لقص الأوبار والأصواف والشعر، وهم يستخدمون (الجلم)، مقص كبير من الحديد له مقبضان لجز الصوف والشعر، كما أنهم يستخدمون المقراض والمقص. وعملهما كالجلم إلا أنهما أصغر حجماً منه[٢]. ويقوم القصاص بتخليص الشاة من (الوذع)، ثم جز الصوف حتى ينتهي، ويتم جمع ما تم قصه في كتلة واحدة تُعرف باسم (الجزة). وقص الضأن لابد من طرحها على الأرض؛ أما الماعز فتقص شعورها وهي واقفة.

يمتاز وبر الإبل عن صوف الضأن وشعر الماعز بالمتانة والخفة. وغالباً يسقط وبرها في فصل الصيف، والذي يتساقط يسمى بـ (المبدل)، ويقوم القصاص بقص أو جلم الوبر والإبل في مباركها، وبعد ذلك تأتي مرحلة تُعرف بـ (السروب)، وهي غسل الإبل والماعز والضأن، ثم يُجمع الشعر والصوف والوبر ويُسلم إلى النساء لغزله[٣].

٢ـ الغزل: [٤]

يبدأ القصاص بجمع الشعر والصوف والوبر وتسليمه للغازلات من النساء ويقمن بنثر الرماد عليه حتى يتفكك الشعر من بعضه البعض، وتسمى هذه المرحلة بضرب الشعر أو الندف. وأحياناً تعرف بالعتمة، ثم يعملن على برمه على أشكال كروية صغيرة، ثم يوضع في المغزل، وهو آلة على شكل الصليب(+) لأجل فتل الأصواف والأوبار، والشعر حتى تصبح على هيئة خيوطاً متفاوتة، ثم تضع المرأة المغزل في إبطها، وتقوم ببرمه فتتكون الخيوط، وتسمى هذه المرحلة (الوشيع) وتصبح على هيئة كرات دائرية، لكنها خيوط منتظمة وهنا ينتهي دور النساء وتبدأ مرحلة أخرى.

---

(١) محمد سعيد محمد الناهسي وآخرون، دراسة تاريخية في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الرابع عشر الهجري، بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس في قسم التاريخ بفرع جامعة الملك سعود بأبها. (١٤١٨هـ)، ١٧.

(٢) علي بن محمد شافع. ٨٢.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

٣ـ حياكة بيت الشعر:[١]

يستلـم المتخصصون في صناعة بيوت الشعر وحياكتها الصوف والوبر. ويطلق على الشخص منهم اسم (الحائك)، ولديه أدوات الحياكـة الخاصة به، فيقوم بالحياكة وصنع ما يعرف بـ (الفلج)[٢]. وبعد الانتهاء يتم الانتقال إلى المرحلة التالية .

٤ـ خياطة بيت الشعر ومكوناته:[٣]

يقـوم الحائك بتخييط كل فلج من واحد لآخـر حسب مساحة البيت المطلوب، ومن أجزاء الفلج ما يُعرف بالبطان، أي الخياطة بخيوط الصوف؛ لإضافة لون آخر إلى لون الشعر من جهة، وزيادة الليونة من جهة أخرى. والبطان داخلي وهو من صوف الأغنام. وبيـت الشعر يتكـون من جزأيـن : (١) الفلج من شعـر الماعز ووبر الأبـل، وهو الجزء الخارجـي. (٢) والبطان: الجزء الداخلي من أصواف الغنـم ووبر الإبل أيضاً وفائدته إعطاء شكل جمالي للبيت من الداخل[٤].

تقسـم بيـوت الشعر في بادية منطقـة عسير إلى قسمين: أحدهمـا لسكن المواشي، والآخـر لأهل البيت. وفي القسم الخاص بالبشـر يوجد ما يُعرف باسم (كرس)، غرف صغيرة من الحجارة مبنية في أحد زوايا البيت، تُغطى بالأخشاب ثم نباتات أخرى تُعرف بالشيـخ والعرفج، ثم الحصير فوقهـا، وفي هذا المكان نوم المرأة وأبنائها[٥]. وفي الكرس أحيانـا توضع صغار الضأن والماعز وبخاصة أيام البرد. وتعرف باسم (الطفالة)، وعلى الكرس باب يطلق عليه اسم (الصاد). وداخل البيت حبل يُربط على ثلاثة أعمدة يُوضع عليـه بعض الأثـاث (الزهاب)، والسـلاح، وأغراض أخـرى لا يريدون لهـا البقاء على الأرض. وبيوت الشعـر شرق منطقة عسير كبيرة مقارنة بغيرهـا[٦]، وتنقسم إلى الشق والمحـرم، ودائماً واجهاتهـا إلى الجهة الجنوبية. والمجالس (الشـق) في اتجاه الجنوب الشرقي وأمامه الحظيرة في الجنوب الشرق من شق الرجال، وعند هطول الأمطار يقوم

(١) علي بن محمد شافع ،٨٤، ٨٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ٨٨ .

(٣) سعـد بـن عبـدالله بن جنيـدل، بيـت السكـن، معجـم التـراث ، الكتـاب الثالـث، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز،(١٤٢٧هـ) ، ١٧.

(٤) شافع ، ٨٥ .

(٥) علي شافع ، ٩٠ــ٩٢ .

(٦) مقابلـة مع الشيخ عبدالهادي بن معيض بن مهمـل آل شنان عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٦م)، وهذه المقابلة نقلت من الأخ الراوي علي بن محمد السنحاني عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

أهل البادية بإرخاء الأطناب، وفي الصيف يرفعونها، ومياه الأمطار تؤدي إلى شد البيت. ويُعرف سقف البيت باسم (سمات) أو (سمات البيت)، وفي تثليث يوجد في أحد زوايا البيت موضع لأغراضهم يُوضع عليه الشملة مثل الستارة، ويسمى هذا الموضع التامة[١].

٥ـ أنواع بيوت الشعر ومواقعها:

يوجد في بيت الشعر اللحاف والغريقة والشملة، وكلها أردية للدفء، وهي تُصنع من الشعر والصوف، والرداء الذي عليها يُعرف باسم الرّم، وهي ستة جلود تخاط مع بعضها البعض. وطرف بيت الشعر يُسمى كسر (قعر) البيت، والقسم الخاص بحبال أخرى تُسمى السباع يشدون بها البيت من كل الجهات. وأحجام بيوت الشعر تخضع للحاجة والوضع المالي لصاحب البيت، فهناك بيت الطلعة، ويُعرف باسم المشراع، ويتكون من عمودين أمامي وخلفي، ومساحة البيت، حسب الكريب؛ فكلما زادت أعداد الكريب كبر البيت، وعرف البيت المثولث، والمروبع، والمخومس، والمسودس، وغالباً لا تزيد عن ذلك إلا في حالات نادرة ترتبط بالوضع المالي والاجتماعي لصاحب البيت[٢]. ويراعى في بيوت الشعر وقت بنائها الخصوصية لأصحابها[٣]، فكل بيت شعر يكون ظهره للبيت الآخر، وجميع بيوت الشعر مفتوحة من جهة واحدة. ويوجد بعض المسافات بين البيوت تأكيداً وتعزيزاً للخصوصية[٤].

٦ـ أثاث بيت الشعر وأدواته: [٥].

(*) من أثاث البيت.

(١) **الأثافي:** أحجار متساوية توضع لوضع القدر على النار. (٢) **الجراب:** وعاء من جلد الضأن يُدبغ بشكل كامل، وتُوضع له عروتان في يديه ورجليه، ويستخدم في حفظ الأشياء كالأقط والحبوب والقهوة (٣) **الحصير:** فراش يستخدم في بيوت الشعر وغيرها. (٤) **الجونة:** وعاء لحفظ الأكل اليابس والخبز. (٥) **الحطب:** وجمعه حطبان من أغصان الشجر وجذورها توقد به النار. (٦) **الدبية أو الدبة:** يحفظ فيه السمن وتصنع من جلود الإبل. (٧) **المرثي:** وعاء يُصب فيه حليب الضأن والماعز ليذوب، وتسمى (الرثوة)

---

(١) علي شافع، ٩٣.
(٢) مقابلة مع ناصر بن حزام بن سعد آل عيفان عام (١٤٣٨ه/٢٠١٧م) في محافظة تثليث.
(٣) شاهر المطيري، ١٣٢.
(٤) سعيد بن جندل، ١٧.
(٥) المرجع نفسه، ١٨، ١٩.

ومصنوع من أشجار الغرب أو الفخار ويسمون الحليب إذا تخثر يسمونه (الّروبة) [١] . (٨) **الدلو:** يُصنع من جلود الغنم، وللدلو آذان أربعة وعراقي وكربة وودم. (٩) **الرحى:** حجران مـدوران متساويان يُركب أحدهما على الآخر لأجل طحن الحبوب[٢] . (١٠) **الرشـا:** حبل لرفع الماء من الآبار وموارد المياه. (١١)**الزلة:** أو الزولية: فرشة جميلة من الصوف وليست عنـد كل النـاسـ، فقط عند الأغنياء والمقتدرين ماديا، وكانـت تجلب من الأحساء. وغالبا تستورد من إيران، أو من بلدان أخرى من العالم. (١٢) **السحلة:** إناء يصنع من النحاس يُستعمل للشـرب ، وللوضوء، ومنها أحجام صغيرة وكبيرة. (١٣) **السـراج:** أنواعه كثيرة وتوقد بالودك. (١٤) **الصميل:** قربة صغيرة تُستخدم لخض اللبن، ولتبريد الماء وشربه[٣] . (١٥) **العكـة:** وعـاء يُعـرف باسـم (الظـرف) ويصنع من جلـود الغنم، ويطلـى بدبس التمـر. (١٦) **العيبة** : وعاء كبـير يُصنع من أدم ، ومن جلود الإبل بعد دبغها وله عُروتان طويلتـان[٤] . (١٧) **القرعـة وتعـرف أيضـاً بالدبيـة:** لحفـظ السمن،وخض اللـبن ، (١٨) **المحماس**، والدلـة والصحـون والسكاكـين . (١٩) **المحجن:** تعلق عليـه قربة الماء، ويوجـد محاجن من الأخشاب وغيرها. (٢٠) **المراضيف:** من حجر المـرو الأبيض لطبخ الدهـن وتحويلـة إلى سمن. (٢١) **المشخلة والمطاحن لطبخ القهـوة**، والمنحل والمهراس (المفراز). وكل ما كان داخل بيت الشعر من أثاث يعرف باسم (الزهاب) والزهاب يزيد وينقص من شخص أو أسرة لأخرى حسب الظروف الاجتماعية والمالية والحاجة[٥] .

ب ـ اللباس والزينة[٦] :

تنوعت الملابس عند سكان البادية قديماً، حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية .

١ـ ملابس الرجال:

الثوب اللباس الأساسـ لمعظم البادية ، ويعرف بالثوب المذولق والمفرج.ويصنع من قماشـ القطن أو غيره[٧] . وعـرف قبل الثوب المذولق أو المفرج الثـوب المرودن، وهناك

(١) علي محمد شافع ، ٩٨ .

(٢) سعد بن جنيدل، ١٠٣. (ابن جفشر) كنت أتمنى يا دكتور سعيد أنك فصلت الحديث في أسماء الأدوات المنزلية عند البدو، ومقارنة ذلك ببعض المصطلحات الموجودة والمشابهة عند اهل الحاضرة. (ابن جريس) .

(٣) سعد بن جنيدل، ١٢٨ .

(٤) جنيدل ، ١٣٦ .

(٥) مقابلة مع الشيخ زنيفر بن علي آل الخوير عام (١٤٣١هـ/٢٠٠٨م) في محافظة تثليث.

(٦) علـي محمد شافع، اللباس والزينة في بلاد قحطان عام (١٤٣٠هـ)، ١٧. وتاريخ اللباس والزينة في منطقة عسـير، أو عموم السروات وتهامة عبر عصور التاريخ القديمـة، والإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة) موضوع كبير جداً يستحق أن يصدر عنه عشرات الدراسات العلمية.

(٧) علي محمد شافع ، ١٩ .

ثـوب أقدم يسمى ثـوب المجل مثل الكفن أبيض اللون، يلبس بـدون خياطة، ويلف على البدن كافة، ويربط بالحزام الذي يحتزم به الرجال[١]. والثوب المرودن أو المفرج طويل واسـع وأكمامه مثلثة وطويلة بطول الإنسان، وله فتحة رقبة (جيب) شبه مستديرة تغلق بواسطـة أزرار، وهذا الثوب الـذي اشتهر به جيش الأمير عبدالعزيز بن مساعد عندما قدمـوا إلى عسير في نهايـة الثلاثينيات من القرن الهجري الماضي، وكان بعض الرجال الذيـن انضموا إلى جيشه من بوادي شرق عسير لا يلبسون الثوب المفرج فاضطروا إلى خياطة ملابسهم وتكبير أكمام ثيابهم بما يماثل أثواب الجيش السعودي.

مـن ملابس الرجـال الجوخة : لبس خاص للعقداء أو المشاهـير أو المشايخ، وأيضاً الشيرخـان. لأنه يشرخ من طاقة الثوب، وهو لباس يوضع على الرأس يشبه الدسمال (الشماغ). والفروة وتسمى (البيدية)، نسبة إلى بيدة غامد، وبعضهم يسميها الغامدية. والكت وعرف أيضاً بـ (الدامر)[٢]. وهو سترة بكمين طويلة ومفتوحة من الأمام ويستر النصف الأعلى من الجسد .

الحذاء المصنوع من جلـود الأبقار، وأحياناً يتكون من طبقتين فوق بعضهما، وربما ثلاث طبقات، ويقص الحذاء على مستوى القدم، ولها سير، وتسمى أيضاً المنقلة. وربما عـرف بعض أعيان ووجهاء البدو أحذية مصنوعة من مواد أخرى، أما البشت المشلح أو المشالح فلم تكن منتشرة بشكل واسع خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وفي الأغلـب يلبس المشلح في الشتاء، ولا يرتدي المشالح ويملكهـا إلا الوجهاء وبعض الشيوخ وميسوري الحال. ويصنع البشت من وبر الإبل ومن أشهرها البشوت الحساوية .وعرف عند بعض الرجال الطاقية، والغترة (الشماغ) والعقل[٣].

والعمامـة قطعة مستطيلة من القماشـ بيضاء اللون طولها حوالي مترين وعرضها نصـف مـتر، تُلف فوق الرأس لفتين أو ثـلاث، وطرفها يتم إدخاله بـين اللفات أو تُعقد مـن الخلف وتلبس فوق الغترة وتعتبر كفن إذا استشهد من يلبسها، وتميزت بها جيوش الإخـوان وانتشر استخدامها في بوادي شرق عسـير[٤]. والسروال من الملابس الداخلية وقليل من يرتديه، ويُصنع من القطن؛ ولم يكن معظم سكان البادية يرون لبسه وينتقدون

(١) علي محمد شافع، ٣٥ .

(٢) علي محمد شافع، ٣٢ .

(٣) مقابلـة مع منصور بن قعصوم قبل عام (١٤١١هـ/١٩٩١م) ومقابلة مع كل من الشيخ عبدالله بن جفشر بن الحنيش، وعلي بن سعيد بن خزيم عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)..

(٤) علي محمد شافع، ٤٩ ـ ٥٢ .

مــن يلبسه. والحزام مــن الجلد ويُلبس فوق الثوب على الخصــر مباشرة، وغالباً يلبس معه الخنجر[١].

مــن أدوات الزينة للرجل الكحل والحناء في اللحيــة، ولا يقصون شيئاً من لحاهم. ولا يعرفــون تقصيرها ولا حلقها، ويطيلون شعر رؤوسهم، ويستخدمون الطيب. ويفضل الرجــال اقتنــاء الأسلحــة البيضــاء والناريــة والعصــي، وأدوات أخــرى مصنوعة من الأخشاب أو الحديد[٢].

٢ـ ملابس النساء : [٣]

مــن أشهر ملابس المــرأة القناع ويشبه الغــترة (الشماغ) لونه أســود، وهو قماش غليــظ يُلبــس على الجبهة، ومطــرز، بالخرز وحبــوب فضة صغــيرة. وفي الوسط خاتم فضة بين العينين ثم يلبس معه الملثم، ويشبه النقاب في وقتنا الحاضر، ومطرز بالحرير وفي وسطــه تطريز خط واحد على مقاســ الإصبع، وفي آخره مقاس ثلاثة أصابع مطرز مــن الحريــر والفضة بالعرض كاملاً، ويتــدلى من اليمين واليسار ســيران من الفضة، ثــم تلبــس المعانــق أو القلائد من الأحجــار الكريمة. ثم يلبس الدايــل مخيط في القناع يمــين المرأة وشمالها وخلفها، والجدايل مطرزة بالفضــة والحرير، وتلبس عليها السير هو شبيه بالعقال، إلا أنه مصنوع من الفضة، ويعلق على الدايل ما يعرف بالتلال، ذات شكل مثلث من الفضة يتوسطها خرز من العقيق الأحمر.

هنــاك لباس عــرف بالطيار يوضع على السير ومكون من سيريــن متقاطعين: بشكل (X) ومكــون مــن حبات الودع والفضــة[٤]. ولا يوجد امــرأة بالغة في البادية بــدون غطاء، وكان من الواجبــات علــى النساء تغطية وجوههن بالبرقع وعدم نزعه حتى أمــام أخواتهن وأزواجهن إلا وقــت النوم، والعباءة تصنع من الصوف الخشن[٥]. ومن ملابس النساء ثوب أبيض يتم صبغه بالرمان فيصبح ذا لون أحمر وتخاط جنوبه بأشكال مثلثة وضيق من الأعلى وواسع من الأسفل.

أمــا ملابــس الأطفال فهي ـ تقريباً ــ تشبه ملابس الآباء والأمهــات، إلا أن الفتاة في صغرهــا تلبس (المخنق)، بدل البرقع والشيلة ، ويعمل للأطفال (اللباب) ، مجموعة

---

(١) المرجع نفسه، ٥٣ .
(٢) دليل بنت مطلق بن شافي، الهياثم تاريخ وتراث، الرياض، قرطبة للإنتاج الفني، (١٤٤٣هـ)، ١٠١ــ١٠٣.
(٣) دليل بنت مطلق بن شافي، ١٠١ــ١٠٣، علي شافع، ١٠٢ .
(٤) علي شافع ، ١٢٧ .
(٥) دليل بنت مطلق، ١٠٣ .

مـن أوراق عطريـة من الموجـودات المحلية، وتوضع في جلد على صـدر الطفل وفي حلقه تحديـداً، وذلك للأطفال الصغار من يـوم إلى (٣) سنوات يمنع وصول لعاب الطفل أو ما يخرج من فمه من بقايا الحليب على جسده او ثيابه[١].

تلبس المـرأة البدوية الشيلة، وتعرف باسم (القعيطات)، ويتفنن النساء بزخرفتها بالحريـر والصـوف والفضة، وكن يطعمنها بالعقيق والخـزر، ويلبسن على رؤوسهن ما يشبه العقـال، ويسمى(الوشيع)ٍ، مزين بالفضة وهو عصابـة تعصب بها الشيلة: ومن أنواع الزينة الخاتم يوضع منسكباً من المفرق على الجبهة[٢].

هناك نوع من الفضة يوضع على الجبهة ويعرف بـ (القطبة)، ولباس آخر في الحلق عـرف باللبة، غـير اللبابة التي للأطفال، وأكبر من اللبة الخـرز، وتلبس على الصدر، وتُلبس المسك علـى الساعدين، والمعاضد من الفضة ومكونـة من حجر العقيق والفضة وتوضع في المعضد فوق ما يُعرف بالكُرسُوع (المرفق).

الوشـام ويُعرف أيضاً بالوشعة يُحط من الشفة السفلى إلى اللحى ومن تحت الأنف إلى أعلى الشفة العلياٍ، ومنها من يجعله نقطتين فوق الشفة العليا وتحت الشفة السفلى، والختمة وتعرف حالياً بالدبلة لتزيين الأصابع. وتلبس نساء البادية الخلاخيل والأحزمة، والحـزام مصنوع من الجلود ومطعم بالفصوص، ويُلبـس بشكلٍ يومي، وحزام مصنوع مـن جلد مظفور من الماعز، ويسمـى (العسيلي)، ويلبس يومياً والهدف منه المحافظة علـى ضمور بطن المرأة، وفي أثناء حمل المرأة فإنها تلبس نوعاً آخر من الأحزمة واسمه (حـزام الرّوي) مـن أصواف أو من القماش (البز)، وكانت النسـاء يلبسن الخصلٍ، ويشبـه السروال، والزمام يُوضع في الجهة اليمنى مـن الأنف والخروص. وتتزين أيضاً بالكحـل والحناء والنباتات العطرية والمسك والبخور، واستخدمن أيضاً المشط والمفراق والمنظرة وغيرها من أدوات الزينة[٣].

ج ـ الطعام والشراب :

اعتمـد سكان البادية قديماً على إنتـاج مواشيهم في توفير الغـذاء[٤]، وكان عماد الأسـرة الأول الحليـب إضافـة إلى الحبوب من بُـر وذرة وتمور يجلبونها مـن الأسواق القريبـة منهم كسوق أحد سنحان، وأسـواق بيشة وغيرها من الأسواق في بلاد قحطان

(١) علي شافع ، ١٣٠ .
(٢) محمد بن سعيد الفاهمي، ٧٦ .
(٣) علي شافع ، ١٣٢ـ ١٣٨.
(٤) مقابلة مع مسعود بن عائض عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) بمحافظة تثليث .

وشهـران[١]، ولم تكـن الأطعمة والأشربة متكلفــة بل بسيطة كبساطــة الحياة اليومية، وأشهر وأكرم غذائهم حليب الإبل والتمر وخبز الحجر والعصيدة واللحوم بأنواعها[٢].

مستلزمــات المطبــخ البدوي بسيطــة مثل الرحى، والقــدور، والأباريــق، والمنجرة، والمصفاة، والصاج، والمنفاخ، والنجر، والمحماس، والقبة. والقربة لها عدة استخدامات: ما يكون للماء، أو للبن وحفظه، أو للسمن أو الدهن[٣]. وعلى المرأة أن تجلب الماء والحطب، وتطحن الحبوب، وتحلب الماعز والضأن، وتنتج الزبدة والسمن، أما الطبخ فعلى مستوى الأسرة التعاون بين الزوجين، أما الضيوف فلا يقوم بتجهيز المأكل والمشرب إلا الرجال. وحليب الإبل من أهم الأشربة ويُقدم للضيوف مع التمر إن وُجد، وخبز البر والسمن يُعد من أنفس الأطعمة، ويوصف بأنه (كبش بلا عظام)[٤].

كان المسكـن وأدواته وصناعته، والملبس والزينــة، والمأكل والمشرب عند البادية من بيئتهــم ومتكيفة معهم ومعينة لهم على الحيــاة الصعبة. وكان اعتمادهم على ذواتهم، وعلى ما تنتجه حيواناتهم وما يتيسر لهم من الأسواق القريبة لهم فيقايضون منتجاتهم مــع المزارعــين[٥]. وما تخرجــه أراضيهم من مواد لا غنى للبــدوي عنها كحاجة المزارع لمنتجات أهل البادية[٦].

٢ـ القضاء القبلي وبعض الأعراف القبلية :

أ ـ القضاء القبلي:

القضــاء في اللغــة مأخوذ من قضــى ويقضى وقضيــا وقضا وقضيــة، ويقصد بها الحكم والفصل؛ وفي الاصطلاح إظهار حكم الشرع في الحادثة فيمن يجب عليه إمضاؤه والفصل بين المتنازعين وقمع المجرمين وإرجاع الحقوق إلى أصحابها[٧].

---

(١) محمد بن سعيد الفاهمي، ٣.

(٢) للاستــزادة انظر: سعد بن عبدالله بن جنيدل. الأطعمــة وآنيتها، معجم التراث، الكتاب الرابع، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز. (١٤٢٨هـ)، ٣٢ـ٤٧.

(٣) مقابلة مع شايع بن محمد بن إدريس آل كناد عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) في مركز العرين.

(٤) مقابلة مع ناصر بن حزام بن سعد آل عيفان في تثليث عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

(٥) مقابلة مع الشيخ مفلح بن محمد «علاف» آل دبيان العنابس عام (١٤٤١هـ) في بلاد سنحان مركز الفيض.

(٦) للاستــزادة. انظــر: سعد الجنيدل، الأطعمــة وآنيتها، بيت السكــن، ٨٢، ٨٣، ٨٤.. ومــازال هناك جوانب محصــورة على البوادي وأهلها. آمل أن نرى باحثاً جــاداً يدرس التاريخ الاجتماعي عند بدو جنوب المملكة العربيــة السعودية خلال العقود الوسطى من القــرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع يصدر عنه العديد من الكتب والدراسات العلمية.

(٧) سعيــد بن عبدالله جفشر. صفحات من القضاء في عسير في عهــد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨ـ١٣٧٣هـ/١٩

القبيلة لغة، يقال القبيلة نسبة إلى القبيل، والقبيل ما أقبلت به إلى صدرك، والقبيل الكفيل، والكفيل، يُقال قبلة قبالة، وذلك أنه يقبل على الشيء يضمنه، وقبيل القوم عريفهم، والقبيلة بنو أب واحد، ومعنى القبيلة من ولد إسماعيل معنى الجماعة، يُقال لكل جماعة من أب واحد قبيلة(١). هذا هو المعنى العام للقبيلة، وكل نسبة إليها تسمى قبيلة أو قبلي من عادات وأعراف وأحكام وسائر ما يُنسب إلى قبيلة ما(٢).

أما في الاصطلاح فهي القاعدة الاجتماعية المتماسكة كنمط حضاري له علاقات وأنظمة، والقبيلة في الغالب تنسب إلى جد واحد، ولها أنظمتها وقوانينها العرفية وأثبتت نجاحها بمجرد استمرارها قروناً من الزمن(٣). والقبيلة جماعة من البشر تجمعهم رابطة الدم، ويُنسبون إلى جد أعلى، وربما دخل معهم بالحلف من ليس منهم وأصبح يُعد واحداً منهم بعد دخوله في حلفهم، وبين أفراد القبيلة مصالح قائمة بينهم مثل: إعانة المحتاج، والنصرة، والتعاون على ما يواجهون من صعوبات الحياة.

إن القضاء القبلي الحكم الذي يستمد أدبياته وأساليبه من الشرع ومن السوابق التي قضى فيها القاضي أو الحاكم الذين يتناول ما يُرفع إليه من أبناء القبائل لحلها، والحُكم فيها يستند إلى علمه بالشريعة أو الأعراف. وما استقر في النفوس من جهة العقل، وتلقته الطبائع السليمة بالقبول(٤). والأعراف ما عرفه أبناء القبيلة أو القبائل من فعل أو أقوال حائزة على رضاهم وقبولهم. ومن هنا ظهر القضاء القبلي المبني على الأعراف المتوارثة؛ ليعالج ويُصلح ما بين المتخاصمين، ويرد الظالم، وينصر المظلوم، ويحفظ كرامة الإنسان(٥).

منذ الأزل ومازال بين العرب ما يُسمى بالعارف أو العارفين، ولهؤلاء القضاة أو العرَّاف في بادية منطقة عسير أسماؤهم ، فيعُرفون باسم (مقطع الحق)، أو (مقرع الحق)، أو (العارف)، أو (القدوة أو القوادي) أو (قول العارة) أو (معقد الحق)، وهناك

٢٠ـــ١٩٥٣م)، منشور في (القول المكتوب في تاريخ الجنوب، موسوعة تاريخية حضارية، الجزء ٢١، ط١. (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ٨٠ .

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج٥، ١٢٣ .

(٢) ابن منظور ، ج٤. ٢٣/ الفيروز أبادي، ج٦، ٢٠٥ .

(٣) عمر الفاروق السيد رجب، دراسة جغرافية ، المملكة العربية السعودية جدة، دار الشروق. (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ١٠٩، ومشبب سعيد ظويفر، السلطة التقليدية في الصلح القبلي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٣٣هـ/٢٠١٣م)، ٢٧ .

(٤) السيد صالح، أثر العرف في التشريع الإسلامي ، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨١م، ٥٠ .

(٥) عبدالعزيز بن عبدالرحمن المشعل ، أثر العرف والعادة في دراسة النوازل الفقهية مع تطبيقات فقهية معاصرة. مجلة الدعوة، العدد٢٢٣١. مؤسسة الدعوة الإسلامية ، (١٤٣٣هـ) .

من يذكر اسماً آخر وهو مراغة الحق أو المراغة أو مراغة الحقوق[١]. ومقاطع الحق مثل القضـاة يلزمون الناس بأحكامهم، مـن خلال أخذ القبلاء أو الكفـلاء للقاضي بتنفيذ حُكمـه، وربما أخذ ما يعـرف بالمعاويل والمعدال: رهن قطعة سـلاح أبيض أو ناري غالية الثمن أو أكثر حسب الموضوع المُراد النظر فيه كضمانة التزام الأطراف لبعضهم البعض أمـام القاضي القبلـي[٢]. وفي حالة تظلم أحد الأطراف من الحُكم الذي صدر ضده إلى مـن هو أعلى منه معرفة ومنزلة في المجتمع القبلي، وله الحق في الترافع في هذه المحكمة القبليـة إلى سابـع حق، وتلك آخر مرحلة مـن مراحل التقاضي وكلمتـه هي الفصل[٣]. والقضاء القبلي في الماضي والحاضر يُبنى على الصلح وترغيب الأطراف فيه[٤].

يتصـف القاضي أو مقطـع الحق بصفات الحنكة، والنباهـة، والعدل، والشجاعة، والجـرأة، والرزانـة وصدق القول، واستقامة الخلق، وسرعـة البديهة، هذه الصفات لا تولـد مع مقطع الحق، بل يتم اكتسابها منه بناءً على التجربة وممارسة الحياة[٥]. وإذا كان من بيت اشتهر بأنه مقطع حق، فهذه ميزة أخرى رُبما زادت من مكانة مقطع الحق (القاضي القبلي)[٦].

المحاكـم إذا صـح التعبير لوصف حـالات التقاضي القبلي لا يوجـد لها سجون، بل محاكم تنتهي بغرامات مالية أو من المواشي أو تكليف المخطئين بإعطاء اليمين[٧]. وربما كان مقـرع الحـق ليس وحيداً بل اشترك مـع آخرين حسب القضيـة، وتراضي أطراف القضيـة والأيمـان بأغلبها أيمان مغلظة تُعـرف بيمين القطع وصيغتهـا: «والله العظيم عالم الغيب والنية قاطع المال والذرية والعصبة القوية مأخذ الشوف من العينين والسمع من الأذنين والمخ من الساقين..»[٨]. وأخذ اليمين عند العواراف ومقاطع الحق هي آخر الحلـول عندمـا يسعون للصلح، وإقناع الأخصام به، وتم الاطلاع على وثيقة تنص على

---

(١) مقابلة مع حسين بن علي بن هضبان، عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).
(٢) مقابلـة مـع مسعود بن عليان آل خميسة عـام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، والشيخ حسن بـن ذيب القنطاش عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).
(٣) مقابلـة مع علي بن مريع أبو دبيل عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، في منزله بمركز العرقين التابع لمحافظة سراة عبيدة.
(٤) مقابلة مع علي بن مسفر بن عدوة. عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
(٥) مقابلة مع عبدالله بن حسين بن فجعة آل علي بن سعد عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
(٦) مسفر بن حسن بن كردم آل برهان عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
(٧) ظافر بن مسعود آل غازي عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).
(٨) عبدالله بن هادي عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

وصية لأحد أسلاف بدوي من بادية منطقة عسير يوصي فيها أبناءه بتجنب إعطاء اليمين - ولو كان على الحق - وذكر فيها: « ولا تعطون اليمين لا بار ولا فاجر» (١).

والأيمان في القضاء القبلي في بوادي شرق منطقة عسير لها عدة أقسام ولكل نوع غرض خاص به ونوردها على النحو الآتي: أربعاً وأربعين يميناً في قضية القتل التي ينكر المتهمون أنهم ارتكبوها، ويُعرف هذا اليمين بيمين الرقبة المغطوطة (أي لمنكرين لقتلها)، أو يمين الجد أو دين القطع، وقيل أنها خمس وأربعون يميناً. وفي وثيقة صلح اطلعت عليها ورد فيها ما نصه: «وأن الخمسة لم يقتلوا ولم يدبروا ولا يعلموا بالقاتل فطلب منهم يمين خمس وأربعين حالفاً فأعطوا اليمين القاطع بأنهم لا يعلمون من القاتل(٢). وأيضاً تعطي أربعاً وأربعين يميناً في قتل الزلة دين الجد والقطع. وتُعطى في الرجل الذي يقتل في قضية تمس شرف رجل آخر. وهناك يمين القسامة أي: خمسون يميناً. في إثبات القاتل بدون شهود وهو ما يُعرف في الشرع الحنيف بيمين القسامة بعد ذلك يأتي الأربعة والعشرون يميناً في قضايا الغضب عندما تركت قبيلة أمراً يغضب قبيلة أخرى فيها اعتداء حق لها، أو النكث بالعهد، أو خفر ذمة، أو قتل مستجير. والأربعة وعشرون يميناً تستخدم في إثبات أو نفي الحدود بين الأملاك العائدة للقبائل، وهناك من يكتفي باثنين وعشرين يميناً. وبعد ذلك يأتي الاثنا عشر يميناً، في القضايا النائية التي دون النفس (الأكاذيب)، وهو دين العلم(٣). والإثنا عشر يمين وصيغته أن يعطي الجانب المعتدي للجانب المعتد عليه أنه لو كان في محل المُعتدي لقبلنا الصلح. ويُعطى الإثنا عشر يمين في ترك الجيرة أو القيام بدفع مقابل مالي قدره عشرون ريال فرانسي، بدلاً من إعطاء اليمين. ثم يأتي يمين الخمسة ويُعطى في الكثير من القضايا ومنها قضايا المغيبات»(٤).

من المصطلحات المرتبطة بالقضاء القبلي ما يُعرف بالمثار(٥). وينقسم إلى قسمين: المثار الأبيض، والمثار الأسود. والقسمان لهما شروطهما التي يجب أن تتوافر حتى يُقال أن هذا الشخص عليه مثار أبيض أو أسود؛ ومنها: مثار العاني: مثل: الصهر والخال وابن الخال وابن الخالة وابن الأخت. ومثار الأرض، ومثار الخوي، ومثار الجيرة. أي

---

(١) المقابلة نفسها.

(٢) ظافر بن مسعود آل غازي عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٣) عبدالله بن هادي عام (١٤٣٧هـ).

(٤) مقابلة مع سعيد بن سالم آل طراد الحراملة باسم آل طراد وآل شريفة الحراملة بمنزله في مركز العرين من بلاد قحطان في عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

(٥) مقابلة مع عبدالله بن علي آل جفشر الحنيش في عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) في منزله بمدينة أبها.

الـذي يترك الجيرة ولا يستجير من خصمه. وفي ذلك يـرون أنها استبيان بشأن المجار عليهـم. ومثار القبالة، أي الذي لا يوفي بقبالته وكفالته، ومثار الضيف أي مثار على من يعتدي على ضيفه. ومثار الدم، ومثار الغضب. ومثار الدسم.

ومـن صور التقاضي والقضايا: أن ينشـب خلاف بين قبيلتين أو طرفين فيقوم أهل الخـير والصلاح بالتفريق بينهما، وهو ما يُعرف بـ (القرعي) ويأخذون منهم معاديل. والمعـدال: ضمانة أو رهـن يثبت فيه الخصم أنه سيعود للصلـح، ومستعد أنه يعطي أي حقوق تثبت عليه أو حقوق تثبت له فإنه سيأخذه وكذلك الطرف الآخر[١]. ويُسمى الذي يأخـذ السلاح (المعاديل) (ودعي السلاح)، أو (مساق الحق). أي أنها تحت مسؤوليته حتـى يتـم الفصل في القضية على يد شيخ أو أكثر حسب ما يتفق عليه الخصمان، وبعد معرفـة مقـارع الحقوق أو قضاة العرف القبلي يكون تحديد الموعد: إما في بيت الشيخ (القاضـي، أو تحـت ظل شجـرة أو وادي، أو يحدد لهم موعد في السـوق الأسبوعي الذي يحضر فيه الشيخ[٢]. وإن استوجبت قضيتهم نظام الجيرة فعلى المجيرين الحضور، ثم يأخـذ القاضي القبلا على الأطراف لضمان إنفاذ حكمه[٣]. ويقوم المدعي بسرد دعواه ويـرد المُدعى، ثـم يتشاور من أحيلت إليـه القضية، فإذا كانت القضيــة حقوقية تطلب البينــة مـن وثائق أو مستندات أو شهود، وإذا ظهر عجزه عـن أداء البينة والمدعى عليه مُنكـر يقومون بطلب إعطـاء اليمين من المدعى عليه. وفي قضايـا القتل فإن لكل قضية حكمها وعملها، فالقضية التي يُعرف الجاني فيها غير القضية التي يجهل مرتكبها[٤].

بعـد الحكم في القضيـة يؤكد على الكفلاء تطبيـق حكمه وإنفـاذه. إلا أن القضاء أو اعطـاء الحـق ليس الأسلـوب الوحيد ، فهناك الصلح الـذي في أغلبه تقريب وجهات النظر بين الطرفين وأخذ موافقتهم عليه، ثم يتم أخذ قبلاء على الموافقة بين الطرفين والتزامهم بما اتفقوا عليه من بنود الصلح، وكذلك طلب العفو من الأمور التي تُساق فيه الشفاعـات، وتُرمي العمائم عند الرجل المقصود ؛ ومـن تنازل عن حقه ـ كبر الحق أو صغر ـ استحق البيضاء، ومما يرتبط بالقضاء عادة إعطاء الوجه أو الجيرة. في حالات تخص العادات والتقاليد[٥].

---

(١) مقابلة للشيخ علي بن سعد بن فردان عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(٢) مقابلة مع الاستاذ محمد بن مشبب آل عوض عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

(٣) مقابلة مع سعد بن سفران عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٤) علـي بـن صالـح بـن زابـن آل الشريـف في حديـث لـه في أحـد مجالـس الصلـح التـي حضرتهـا عـام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .

(٥) مقابلة مع سعد بن عويرة من آل برمان عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م) .

ب ـ بعض الأعراف القبلية عند البادية :

عندمـا يحدث مشادة كلاميـة أو اختلاف في الرأي أو علـى أي قضية سواءً أكانت حقوقية أم تعدياً بكلام أو سب أو شتم لفظي. يقومون بتقديم ما يُعرف باسم (المعاديل) وتكـون من السـلاح الناري (بنادق) ، أو من السلاح الأبيضـ(الجنابي) ، وتوضع عند أحـد الأشخاص ويطلبون منه الذهـاب إلى أخلصهم والطلب منهـم أن يضعوا معدالاً يقابـل معدالهم على شرط أن يكون من جنس معدالهم الذي سبق وقدموه . ثم يذهبون إلى أحـد عوارفهم (عوارف البادية) ، وعادة يكون من الشخصيات البارزة في القضايا والإصلاحات الاجتماعية، وغالباً يرضى المتخاصمون بحكمه.

أما القضايا الجنائية كالقتل ففيها ما يعرف باسم «الجيرة « من الجوار وطلب الأمان وتختلف من مشكلة إلى أخرى، حسب حجم القضية فالقتل له جيرة سنة وشهران لا يختلف عليهـا قبائل قحطان. والجيرة قديماً تشمل إجارة الجاني وإجارة عاقلته أو قبيلته التي لم تشترك في الجناية؛ وذلك لمنع عادة الثأر ونزع فتيل الفتنة، وبعد دخولهم في الجيرة يقومون بدراسة القضية فإذا كان الجاني (القاتل) قام بالقتل دفاعاً عن نفسه أو ماله أو عرضه أو وجهه فيكون منهم الوقوف مع الجاني والتدخل في الصلح ودفع الدية المقررة، وإذا كان المعتدي من أصحاب القضايا المتكررة وعُرف عنه أنه قاطع طريق أو قام بقتل أحد أقاربه من أخوال أو أبناء عمومة أو أنساب أو أصهار، وهو مما يُعرف عند أهل البادية بـــ (العاني) ، فيكون مـن الأشخاص الذين لا تشملهم الجـيرة، ومنهم من يقطع وجه القبيلـة وأمانها الـذي أعطته قبيلة أو شخص طلب الأمان لهم، ويكون متعمداً في ذلك. والمعتدي على العاني متعمداً، أو كما يقول أهل البادية: (اعتدى عمداً صمداً) ، والعاني مثل: الخال والجد من الأم والجدة والخالة وابن الخال، أما ابن الخالة فالبعض يعتبره من العواني والبعض لا يعدونه منهم حسب ما اعتادوا عليه، وقاتل أخو الحوض ويسمى الأخ مـن الأم فالبعض من أهل تثليث يقومـون فيه ولو كان من قبيلة أخرى. والقاتل الذي يتعمد قتـل (خوية) أي صديقـه أو من قام بمرافقته في طريق أو سفـر فلا جيرة له، ومن يرتكب جريمـة الزنـا، أو يعتدي على الضيف فلا جيرة له. ومن يعتـدي على المعيبات أي الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ الكبار وأصحاب المهن اليدوية. فهؤلاء فيهم الدية، وأيضاً ما يُعـرف بالمثار ويشبه النـكال أو الفهامة، وليس لهم جيرة إلا إذا قاموا بالمثار مع دفع الدية. وأحياناً يتم زيادة الجيرة إلى سنة وشهرين آخرين وتعرف هذه العادة بـ (الخلط) (١) .

---

(١) أرجـو من الباحثات والباحثين في بلـدان شرق منطقة عسير، أو عموم السروات وتهامة أن يدرسوا ويوثقوا مثل هذا التاريخ الحضاري الذي عاشه الأوائل في القرون الماضية .

وعرفت عند البوادي (المتلوبة)، وعند بعض سكان السروات بالمقنوبة، وليمة أعدت لأشخاص معينين ويخبرونهم فلا يأكلونها، أما إذا قدموا إلى شخص ولا يعلمون أن عنده وليمة فإنهم لا يمنعون منها ويشاركون فيها .وهناك الوجبة التي تُحجر، فالرجل منهم لا يحق له إلا وجبة واحدة في اليوم، ولا يحق له أن يأكل في يوم واحد عند قبيلتين، ومن أكل وجبتين يعتبر ذلك طعناً في أمانته ولا تؤخذ شهادته عند عوارف البادية.

أما قانون الغداء والخصيفة فهو اللبن المخلوط بحليب الإبل والوجبات التي يقدمها البدوي لأضيافه تعتبر مانعة ومؤمنة لهؤلاء الضيوف ، وتكون حمايتهم وأمانهم في عاتق من استضافهم حتى يغيروا طعامه بطعام آخر، وإذا شربوا من حليب إبل في الصحراء لقبيلة غير قبيلتهم وأخذ هذه الإبل، وسلبها فالواجب على من شرب الحليب إعادتها إلى أهلها. وكانت هذه العادات والقوانين على غرابتها أدبيات تحل قضاياهم وتنزع فتيل الفتن وتؤدي إلى الصلح في حياة صعبة وقاسية في معظم ميادينها [(١)].

نجد عادات وأعراف عديدة عند بوادي شرق منطقة عسير وبخاصة الحصول على الإبل واقتنائها عن طريق الحروب، أو البيع والشراء. ووجدت عند أهل البلاد الكثير من الأشعار والقصص المحلية التي لها صلة بحياة الإبل وحوزتها. ومن يدرس تاريخ الإبل في شبه الجزيرة العربية فسوف يجد بعض الكتب والدراسات القليلة والعامة. أما بلاد السروات وبخاصة شرقها من حاضرة الطائف إلى بلاد شهران وقحطان فلم أجد أي عمل علمي جاد ورصين يناقش هذا الموضوع، ودراسة حياة الناس مع ثرواتهم الحيوانية وبخاصة الإبل والمواشي (الضأن والماعز) فهي مجال كبير يُكتب فيه عشرات البحوث العلمية الجديدة في بابها[(٢)].

---

(١) من يتجول في مناكب شبه الجزيرة العربية ومنها مناطق جنوب المملكة العربية السعودية يجد عندهم تراث حضاري كبير مازال غير معروف وبخاصة في الحياة الاجتماعية، وللأسف لا أجد دراسات علمية جيدة ورصينة تدرس وتحفظ هذا الموروث .

(٢) أشرت يا دكتور سعيد بن جفشر إلى موضوع القضاء القبلي بشكل موجز جداً. ثم ذكرت بعض العادات والتقاليد عند بوادي السروات وبخاصة شرق منطقة عسير، وكنت اتمنى أنك بذلت جهوداً أكثر وأكبر في مناقشة هذه النقاط، لأنني لا أعلم حتى الآن هناك دراسات جادة عالجت (الموضوعات) التي أوردتها في هذه الدراسة. وبما أنك بدأت هذا المشوار العلمي فأرجو أن تركز على دراسة حياة الناس في هذه الأجزاء السروية الشرقية، وإن فعلت ذلك فسوف تطلعنا على مادة علمية جيدة وجديدة. (ابن جريس) .

٣- وقفات مع التطبيب والنجوم والأنواء:

أ- لمحة عن الطب والتطبيب:

يعرف التطبيب عند البدو بالطب الشعبي أو الطب العربي، والاسم الأخير الأكثر انتشاراً عند سكان البوادي والأرياف، ويتداوى الناس قديماً بما تنبت الأرض ومما عدوه دواءً، واعتادوا الاستطباب بالأعشاب والأشجار، وبعض الأبخرة ومواد العطارة المستخدمة في علاج عدد من الأمراض. ودليلهم في ذلك التجربة وما ينقله الخلف عن السلف من فوائد النبتة أو العشبة المستخدمة في علاج عدد من الأمراض. وكان عند أهل البادية من أشتهر بالطب والتطبيب يلقب مجازاً بـ (المطوع). والكثير من البدو أهل دراية وعلم بالنباتات وثمارها وأنواعها ويعلمون منها ما يصلح للتداوي[١].

إن طرائق الطب الشعبي أو الطب العربي في بادية منطقة عسير لا تختلف كثيراً عن الوسائل الموجودة في باقي جنوب البلاد السعودية (سراة وتهامة) [٢]، مع وجود خصوصية لبعض الأمراض في تهامة وبواديها حيث لا توجد بشكل كبير في السروات (باديتها أو حاضرتها) [٣]. وهناك تشابهات واتفاقات كثيرة على طرق التداوي ببعض الأعشاب في عموم السروات، مع اختلافات بسيطة في طرق التحضير والمصطلحات اللغوية المستخدمة من مكان لآخر[٤].

من الأمراض التي كانت شائعة في الماضي، الحمى، وأمراض الرأس كالصداع والشقيقة، وأمراض العيون كالرمد أو مرض الماء في العين، وأمراض البطن وأمراض الأذن، وأمراض الأسنان، وأمراض الهزال والربو وحصوة الكلى وتقرحات الرأس والأنف وتسوس الأسنان والجدري والطاعون والدرن (السل)، وأمراض الركب والروماتيزم والتهابات الحلق واللوزتين ولدغ الثعابين والعقارب[٥].

من أمراض النساء الحمل والولادة وما يتعلق بها. وكان عند السرو وغيرهم من يعالج ما يُعرف بالأمراض الروحانية، وهذا المصطلح غير موجود عند سكان البوادي، لكن

---

(١) مقابلة مع محمد بن مستور آل بلحي، عام (١٤١٧/١٤١٨هـ/ ١٩٩٦-١٩٩٧م).

(٢) انظر: غيثان بن علي جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م) أبها، [دن]، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ١٠٥-١٠٨. كما يوجد في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) تفصيلات متفرقة عن الحياة الصحية في بلاد تهامة والسراة.

(٣) مقابلة مع علي بن شيبان آل حيان آل السري عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٤) مقابلة مع الشاعر عبدالله الرباع آل جميح عام (١٤٣٣هـ/٢٠١١م) في مركز الأمواه.

(٥) مقابلة مع الشاعر عبدالله الرباع آل جميح عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

وجـدت أمراض تتعلق بتعطيل الـزواج من أعمال السحر والشعوذة، وكذلك العين والحسد والمس[١]. كما عرف الناس (بادية، وسراة، وتهامة) أمراض عديدة للحيوانات والطيور.

عـاني أهل الباديـة وغيرهم الكثير من الأوبئة، وأفنت عـدداً كبيراً منهم، حتى أن بعض السنوات عُرفت بأسماء مثل: (سنة الطاعون)، وأخرى (سنة الجدري أو المُجدرة) وثالثـة بـ (سنة حبة الفنا)[٢]. وفي إحدى الوثائـق المؤرخة في عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) ورد فيها ما نصه: «بعد التحية لقد وصل إلينا كتاب من الدكتور الذي وصل للكشف على المرضى، وفيه يذكر أنه أجرى الكشف على المرض، وتبين له أن المرض هو الطاعون، وهو مرض خطير جداً وينتقل من شخص إلى شخـص، وينتقل بواسطة القذان والجرذان لهذا جرى إبلاغكم بالتنبيه على العموم بعدم دخول أي هجرة أو قرية وقع فيها المرض، وأنه يجب إبلاغه لكافة القبيلة، بعدم دخول البلاد التي انتشر فيها المرض، والله يحفظ المسلمين ويرفع هذا البلاد. حُرر (١٣٧٠/٧/٢٨هــ ١٩٥١/٥/٤م) أمير عسير»[٣].

نجـد في الوثيقة إشـارة إلى انتشار مرض الطاعون في بـوادي منطقة عسير وغيرها. ويتضح الحرص من الدولة منذ وقت مبكر في الحديث عن الأمراض واتخاذ جميع التدابير للحفاظ على إنسان هذه البلاد. وتطبيق مفهوم الحجر على الأماكن المنتشر فيها الأمراض المعديـة بعـدم السماح بالخروج من البـلاد التي وجدت فيها الأوبئة، وعـدم الدخول إليها. وذكرت الأمراض في هذه الوثيقة بـ (البلاء). ويرى الباحث أن الحكومة السعودية اتخذت في تطبيقهـا لنظـام الحجر وهدي الرسول (ﷺ). ففي السيرة لمـا عزم عمر بن الخطاب الخروج إلى الشام وجاء خبر انتشار الطاعون واختلف الصحابة (رضي الله عنهم) فذكر لهم عبدالله بن عوف قوله: « إن عندي في هذا علماً أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»[٤].

وفي وثيقـة أخـرى صـادرة مـن أمـير منطقـة عسـير إلى أحـد مشائـخ القبائـل جـاء فيها: «بنـاءً على الأمر المبلـغ لنا من سمو وزيـر الداخلية برقـم (٢٤٢٨) وتاريخ ٢٣ـ١٠/٢٤/١٣٧٠هــ الموافـق ٢٧ـ٥/٢٨/١٩٥١م) اعتمدوا منـع سفر أي مواطن إلى

---

(١) مقابلة مع عيد بن سحمي الرخوي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٢) مقابلات كل من الشيخ سحمان بن عبدالله آل فاهدة شيخ قبيلة المزارقة من ناهس من شهران، والشيخ نهار بن سعيد الصوع، من آل الصوع من قبيلة كود من شهران، والشيخ علي بن محمد بن بيرم من الحباب قحطان.

(٣) الوثيقـة صـادرة من أمير عسير تركـي الماضي لأحد مشائـخ القبائل وهي برقـم (١/٦٥) في مكتبة الباحث ومصدرهـا الباحث: سعيد آل سحيم البسامي. وقد سمعت الكثير من الروايات، وقرأت عشرات الوثائق التي ذكرت أمراض عديدة فتكت بالناس في السروات، والبوادي، والتهائم خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) .

(٤) أخرجه البخاري.

الحجاز سواءً أكان من السكان الأصليين أو من سواهم منعاً باتاً حتى يصدر الأمر الأخير ونبلغكم مقتضاه. أمير عسير»[١].

التحجير لم يكن في الأوبئة العامة فقط؛ بل في الأمراض الخاصة؛ فقد عرف التحجير لمرضى الجدري، حيث كانوا يُعزلون في مغارات وكهوف وفي غرف صغيرة مبنية من الحجر، ويعالجون بالرماد الحار وتُسمى (العنة)، ويقدمون لهم الطعام الطيب حتى يتم شفاؤهم، وعند ذلك يذهبون إلى أماكن بعيدة عن الناس في أودية للغسل من آثار المرض[٢]. وكذلك حجر وعزل وتحريز صغارهم من الأطفال خشية الإصابة بالعين، أو حتى إبلهم من كرائمها أو مواشيهم خاصة إذا خافوا من شخص بعينه، أو أصابهم التشاؤم من امرأة أو رجل أو فرد أو جماعة.

عرف الحُجب أو الحجاب لمن يُصاب بالجنون أو العراض، اسم لأمراض تؤثر في العقل والبدن، عندئذ يُحجب المريض أربعين يوماً، ويعزل على طعام دسم ويقدم له البر والسمن ويذبح له رأس من الضأن يومياً، ومن صغارها تحديداً. وتُوضع إلية الضأن على رأسه ويُعصب بقطعة قماش أو (شماغ) وينام وهي على رأسه حتى يستيقظ صباحاً[٣].

ربما استخدموا التمائم والأحراز التي تكتب فيها بعض الآيات، أو بعض التعويذات الشركية التي حاربتها الدولة ومنعتها، وكذلك بعض من كان يدعي العلاج بالقرآن والرقية وهم سحرة ومشعوذون يعالجون من السحر، وبعض الأمراض النفسية والروحية، وفي أحدى الوثائق ورد ما نصه:» لقد حرم الله السحر والسحرة والمشعوذين والكهنة، فمن ادعى علم الغيب أو علمتم باقترافه لهذه الأعمال ادعاءً منه بأنه يعالج المرضى فعليكم الرفع لنا باسمه لنؤدبه ونطبق فيه قول الله وقول رسول الله (ﷺ). يكون لديكم معلوم، ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه (١٣٣٩هـ)»[٤].

من التداوي الكي بالنار ويأتي على رأس قائمة العلاج، وقد برع فيه بعض الأشخاص من النساء والرجال واشتهروا به وأكثرهم متوارثون ذلك من أسلافهم، وصفته إحضار ما يُعرف بالمنقل من الحديد ويتم إشعال النار، ثم توضع أداة الكي، حديدة رفيعة واحدة

---

(١) وثيقة صادرة من أمير عسير لإحدى مشايخ القبائل في بادية منطقة عسير وحاضرتها، وأصل الوثيقة محفوظة عند شيخ شمل قبائل قحطان ووادعة الشيخ فهد بن عبدالله بن دليم وصورتها محفوظة في مكتبة الباحث برقم (١/٩٥).

(٢) مقابلة مع محسن بن فهاد آل عيفان عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) في هجرتهم في محافظة تثليث. من يطلع على بعض الدراسات القليلة، أو الوثائق العربية والعثمانية الكثيرة فسوف يجد معلومات وتفصيلات عن الأمراض التي كانت تصيب الناس والحيوان خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة. (ابن جريس).

(٣) لقد عاصرت من يقوم بهذا التطبيب في ثمانينات وتسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس).

(٤) وثيقة عام (١٣٣٩هـ/ ١٨١٨م) موجهة لأحد مشايخ البادية وصورتها محفوظة برقم (١/٩٧) في مكتبة الباحث.

أو أكثر تُسمى (المكوى)، داخل الجمر الملتهب وتُترك حتى يتغير لونها إلى الأحمر، وتصل إلى درجة كبيرة من الحرارة ثم يقوم الكاوي بوضع المكوى على موضع الألم التي يشتكي منها المريض، والكية تختلف حسب اختلاف المرض، فالكي في الرأس والصدر والبطن، يكون غالباً خفيفاً، وإذا كان الكي لعلاج عرق النساء أو الأبهر فربما كانت مواضع الكي كبيرة وغائرة(١). وبعدها يحتجب المريض في موقع مظلم، والابتعاد عن الروائح وبعض الأعشاب العطرية كالبعيثران والريحان وغيرها حتى لا يُصاب بمضاعفات تؤدي إلى تورم مواقع الكي كما يعتقدون(٢). ومازال هذا المعتقد موجود في البادية والحاضرة على حد سواء. وعُرف تجبير الكسور التي تصيب العظام. والتجبير ليس لليد ولا للساق بل للفخذ وللجمجمة والظهر والحوض، ولكل معالج طريقته الخاصة ويُستخدم في التجبير أخشاب ذو وزن وشكل محدد لتثبيت الكسور ثم ربطها واستخدام جلد الماعز، ويستمر التجبير من شهر إلى شهرين أو أكثر. لكن في الغالب أنها لا تطول مع استخدام التجبير الشعبي، ويوصف للمكسور بعض الأطعمة التي تساعد في جبر الكسر، ومنها لحم الضأن والماعز وخبز البر أو الذرة والسمن البلدي وحبوب الثفاء (الرشاد) والحليب(٣). وعرفوا كذلك عملية استئصال اللوزتين وخلع الأسنان(٤). وكذلك خياطة الجراح. يعرف بالمخيط، واستخدموا دم الأخوين، مستخلص من شجر خاص يأتي في علب معينة إلى الأسواق على هيئة صبغ أحمر يساعد على شفاء الجرح وإيقاف النزيف(٥). واستخدمت نباتات الشار والشذاب، والسدر، والمر، والحلتيت، والشيح، والقيصوم، والزقوم، والعثرب، والبعثران، والخروع، والسنا، والثفا، والحرمل، والنيم، والحدق، للعديد من الأمراض التي تصيب الإنسان سواءً أكان رجلاً أو امرأة أو طفلاً(٦).

مارس البدو والسرو التمسيد للأطفال والنساء خاصة إذا كان الطفل هزيلاً أو يكثر منه القيء (الترجيع) للطعام الذي يأكله، وإذا تأخرت المرأة في الإنجاب يعمل الحجامة أو

---

(١) مقابلة مع صالح بن مريط عام (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) في محافظة تثليث، مقابلة مع عائض بن محمد أبو ركبة آل فاضل عام (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م). ورأيت وعاصرت الكثير من المعالجين بالكي في بوادي وسروات منطقة عسير خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي.

(٢) مقابلة مع فالح بن شعوان عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٣) مقابلة محمد بن الهشل آل بزمة عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٤) مقابلة مع ناصر بن جرمان آل بزمه عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٥) مقابلة مع حمد بن علي الحجيلة آل بزمه عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٦) مقابلة مع سعيد بن عواض آل كناد عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). (ابن جفشر). لقد قضيت حوالي (٤٠) عاماً أتجول في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة) وشاهدت مئات الأشجار والنباتات الموجودة في كل مكان. وهذه الثروة النباتية من مصادر تاريخ وحضارة البلاد، حبذا أن نرى باحثين متخصصين يدرسون هذا المجال ودوره في حياة الناس خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. (ابن جريس)

التمسيد لها، وكذلك للرجال الذين يعانون من أنواع معينة من الصداع أو آلام الظهر وغيره من أجـزاء الجسد[١]. واستخدمت أعشاب عديدة للـولادة وبخاصة إذا تعسرت. وحرصوا على تحاشي الأوبئة بالابتعاد عن الأراضي الرطبة وذات الملوحة، كما اتقوا العلل والأمراض في مواسـم السنـة المختلفة باللباس الذي يقـي أجسادهم من الحر أو الـبرد، واستخدموا مذاب السمن الدافئ وتقطيره في حلق من أفقدته شدة البرد حيويته ليستعيد عافيته.

داووا اللديغ بفصد موضع اللدغة لنزف السم مع الدم المُراق وسقاية المريض الحليب كـي يستفرغ ما نفذ إلى الجسم من السموم ، ومارسـوا منع المصاب من النوم ومسايرته حتـى اليوم التـالي، حتى لا تضعـف مقاومة جسده ويتماثـل للشفـاء[٢]. وكانوا يعالجون الشقيقـة والصداع، ومعالجـة السويداء: الـزكام ويعرف بـ (الصدمـة) ويعالج السلس بالـذرة المغليـة في الماء، والحروق ببول الشـاة صغيرة السن التي لم تنجـب(الرخال) . وكان هناك أمراض تسمى الصّفار أو (أبو خضير) وعلاجها الحمية من اللحم لمدة سنة ويعطـون المريض الزبيب المخمور في الماء، ومرض انتفاخ البطن وعلاجه بالكي، وعالجوا الغرغرينـا وتُعـرف بالأكلة بالقطع للعضـو أو الكي[٣]. والبالوش والسعـار أمراض يعاني منها البشر، وتنتقل من الكلاب، وارتفاع في الحرارة، وأشهر أنواع الحمى حمى جاش[٤].

ومـن الأمراض عنـد البدو الريـاح، والمبطون، والشاهـوف، والمصفـوع، ألم في الرأس، وقـد عرف البـدوي العديد مـن الأمراضـ وصنفها وعـرف أسبابهـا، وطـرق الحماية منها أو علاجهـا، وكانـت بعضـ طـرق العلاج غـير مستساغة حيث كانـت ضرباً مـن الشعوذة في نظـر البعض، لكنهـا كانـت تأتـي بنتائـج مهمـة وناجعـة بشهـادة الكثـير ممـن عرفهـا وعاصرهـا[٥]. واتخـذوا الكحـل للـدواء وللزينـة، ويذكـر أنـه يذهـب عـور العـين، ويصفي ماءها، ويجلو بصرها، والكحل مسحوق حجر الإثمد ويكتحل بواسطة الميل والمرود[٦]. ويـداوون الرمـد في العـين، وتستخدم بعضـ النباتات في عـلاج النظر، وربمـا مارسوا بعض العمليات الجراحية لضعف العين وإخراج الماء الذي يحجب النظر ويسبب ضعفه أو العمى[٧].

(١) انظر: غيثان بن جريس، عسير ـ دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية ، ١٠٦ .

(٢) مقابلة مع عيد بن سحمي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ١٠٦ مقابلة مع دليم بن عجيم عام (١٤٤٠هـ) ..

(٣) مقابلة مع الشاعر مانع بن عائض بن زهرة عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م). مقابلة مع هادي بن حسين آل مهمل عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). مقابلة مع الشيخ فراس بن عبدالرحمن آل شنان (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) .

(٤) مقابلة مع سريع بن دنخان المسادرة عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٥) الحقيقة وجدت بعض الممارسات التي فيها شيء من الشعوذة والذي دفعهم إلى ذلك الجهل والحاجة .

(٦) مقابلة مع زنيفر بن جربوع عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

(٧) مقابلـة مـع محسـن بـن فهـاد عـام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). مقابلـة مع صالـح بـن مريـط آل شايب عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

عنـد أهـل الباديـة إلمـام جيـد بأمراض الحيوانـات وعلاجهـا مـن الفصـد والكـي والطلـي بالقطـران، وكذلـك قص الشعـر أو الصـوف وعـزل المريض منهـا ومداواتـه. والحديـث عن التطبيب والطب الشعبي في بادية شرق منطقة عسير تطول تفصيلاته، ونأمل أن نرى باحثين جادين يتولون دراسته دراسة علمية جادة في عموم منطقة عسير (سراة وتهامة)[١].

ب ـ النجوم والأنواء:

عـرف أهل الباديـة المواسم وجعلوا لهـا أسماء ودلالات يستدلون بهـا على أيامهم مثـل أيام القر، وأيام الأمطار، والأيام التي يقومـون فيها بعزل الفحول سواءً كانت من الإبـل أو الضـأن أو الماعز، وإطلاقها في مواسم محـددة، وترتيب إنتاج الحيوانات حتى تصـادف ولادة مواشيهم طقوس مناخية مناسبة تكون عقـب أمطار وبرد: مما يضمن سلامـة مواليد الضـأن والماعز المعروفة باسـم (الطفالة) أو (البهـم)، وصغار الإبل (الحيران). وعند سكان البادية دراية جيدة بالنجوم والأنواء ومسمياتها المحلية، وقبل أن نذكـر شيئـاً من ذلك عنـد بادية منطقة عسـير وحاضرتها نورد لمحـة عن المواسم والنجوم المتعارف عليها في المملكة العربية السعودية بل في الجزيرة العربية[٢].

يُعـرف فصـل الخريـف بالوسعة، ونجومـه العواء، والسمـاك، والغفـر، والزيانا. وفصـل الشتاء حسب أوصافه المناخية المربعانية، والشبط، والعقارب، ونجومه الإكليل، والقلـب، والشولـة، والنعايم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلـع. وفصل الربيع يكون في آخـر العقارب، وبعده الحميمين، والشرطين، ثم البطـين. ونجومه سعد السعود، وسعد الأخبية، والمقـدم، والمؤطر، والرشا، والشرطين، والبطـين. وفصل الصيف يُعرف أوله بالثريـا، والتوبيـع، فالجوزاء الأولى، ثم الجوزاء الثانية، والمـرزم ثم الكليبين، ونجومه الثريا، والدبران، والهنعه، والذراع، والنثرة، والطرف.

---

(١) للاستزادة انظر: غيثان بن جريس، صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول، وهناك مؤلفات أخرى عديدة للدكتـور غيثـان مطبوعة ومنشـورة وفيها مادة علمية جيـدة عن الحياة الاجتماعيـة في السروات وتهامة، والأمراض وطرق علاجها من الموضوعات التي وردت في أمكنة عديدة من كتبه.

(٢) لمزيد من الاطلاع انظر: علي بن عبدالله اللعود، عبدالعزيز بن سلطان المرمش الشمري. البروج وعلاقتها بالزراعة في المملكة العربية السعودية، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ. ٢٢٣ـ٢٣٠. نجد بعـض المؤلفين العرب الأوائل كتبـوا مؤلفات عديدة عن النجوم وعلم الأنواء، ومعظمها مطبوعة ومنشورة، ومـازال بعضها مخطوط وتحتاج من يدرسها ويحققها. أما أهـل البادية والأرياف فهم في السابق يعرفون تفصيلات كثيرة عن النجوم والأنواء في بلادهم، وقد رأيت وسمعت عن الكثير من العارفين في هذا الباب.

جدول رقم (١): فصول السنة ، وأسماؤها المتعارف عليها ، وأوقات ظهورها كل عام

فصول السنة	الأسماء الدارجة	منازل القمر (النجوم)	ظهورها بالميلادي	ظهورها بالهجري الشمسي (البروج)	أشهر السنة الهجرية الشمسية (البروج)	التقويم الميلادي
الخريف	الوسم	الجوزاء	١٦ أكتوبر	٢٤ الميزان	الميزان	أكتوبر (تشرين الأول)
		السماك	٢٩ أكتوبر	١٧ العقرب	العقرب	نوفمبر (تشرين الثاني)
		الغفر	١١ نوفمبر	٢٠ العقرب		
		الزيان	٢٤ نوفمبر	٣ القوس	القوس	ديسمبر (كانون الأول)
الشتاء	المربعانية	الإكليل	٧ديسمبر	١٦ القوس		
		القلب	٢٠ديسمبر	٢٩ القوس	الجدي	يناير (كانون الثاني)
		الشولة	٢ يناير	١٢ الجدي		
	الشبط	النعايم	١٥ يناير	٢٥ الجد	الدلو	فبراير (شباط)
		البلدة	٢٨ يناير	٨ الدلو		
	النبط	النعايم	١٠ فبراير	٢١ الدلو		
		البلدة	٢٣فبراير	٤ الحوت	الحوت	مارس (اذار)
الربيع	العقارب	سعد الذابح	٨ مارس	١٧ الحو ت		
		سعد بلح	٢١ مارس	١ الحمل	الحمل	ابرايل (نيسان)
		سعد السعود	٣ أبريل	٢٤ الحمل		
	الحميمين	سعد الأخبية	٢١ مارس	٢٧ الحمل	الثور	مايو (ايار)
		المقدم	٣ أبريل	٩ الثور		
	الذراعين	المؤخر	١٦ أبريل	٢٢ الثور		
		الرشا	٢٩أبريل	٤ الجوزاء	الجوزاء	يونيه (جزيران)
	الشرطين	الشرطين	١٢ مايو	١٧ الجوزاء		
	البطين	البطين	٢٥ مايو	٤ الجوزاء	الجوزاء	يونيو (حزيران)
الصيف	الثريا	الثريا	٧ يونيه	١٧ الجوزاء		
	التوبيع	الدبران	٢٠يونية	١٣٠الجوزاء	السرطان	يوليه (تموز)
	الجوزاء١	الهقعة	٣يوليه	١٢السرطان		
	الجوزاء٢	الهنعه	١٦يوليه	١٢٥السرطان		
	المرزم	الذراع	٢٩يوليه	١٧الأسد	الاسد	يونيو (حزيران)
	الكليبين	النثرة	١١ اغسطس	١٢٠الأسد		

فصول السنة	الأسماء الدارجة	منازل القمر (النجوم)	ظهورها بالميلادي	ظهورها بالهجري الشمسي (البروج)	أشهر السنة الهجرية الشمسية (البروج)	التقويم الميلادي
الخريف	سبيل	الطرف	٢٤اغسطس	١٢السنبله	السنبلة	
		الجهة	٦سبتمبر			سبتمبر (أيلول)
		الزيرة	٢٠سبتمبر		الميزان	اكتوبر (تشرين الاول)
		الصفة	....			

أمـا المواسـم والنجـوم والأنواء بمسمياتهـا المتداولة عنـد بادية شـرق عسير وما جاورهـا[1]، فهـي كمـا يلـي: (أ) أبو تسعـة عشـر(١٩). (ب) أبو سبعـة عشر(١٧). (ج) أبـو خمسـة عشـر. يتوافـق دخـول المربعانيـة.(د) أبـو ثلاثـة عشـر(١٣) . (هـ). أبـو الحـد (أحـد عشـر) (١١) يتوافـق مـع الشبـط. (و) أبـو التسعـة (٩). (ز) أبـو السبعة (ح) وفيه يبـدأ تساوي الليل والنهـار. (ط) أبوالخمسة (٥) وهو أول الصيـف.(ي) أبـو الثلاثـة(٣). وتقترن الثريا مـع القمر كل شهـر في تاريخ معين من السنـة تبـدأ (١٦) مـن الشهـر الأول، وهكـذا تتـوالى الأشهـر علـى حسـب الأيـام الموضحة أعلاه[2].

هنـاك ظواهـر فلكيـة فطن لهـا البـدوي؛ في أمكنة عديدة مـن جنوب شبـه الجزيرة العربيـة، ومنها: الكفـوف: أي عندما تكون الثريا جهة المغرب، ويتـم رؤيتها وهي قريبة من الغـروب فيوضـع الكـف فوق العـين للتحقق مـن رؤيتها ، ثـم الثمـان، أي ثمانية أيـام تبدأ مـن عـدم رؤية الثريا، والغفول عند اختفاء الثريا، ثم الغبرة فـترة يغبر فيها الجو، وأحياناً يكون صافياً [3].

(١) عرفـت هـذه الأسمـاء عنـد البادية والحاضـرة في منطقة عسـير، وقد استقيـت هذه المعلومـات من كل مـن سعـد بن ظافر بـن حنش آل السواد عـام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) والأستـاذ ناصر بن مطر العنابس عام(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

(٢) مقابلة مع كل من سعيد بن عواض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١١م) وحمد بن مانع بن هطيل عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ومحمد آل شايب عام (١٤٣١هـ /٢٠١٠م).

(٣) مقابلـة مع سعد بن ظافر بن حنش عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). ونقـول: أن مناطق السروات وتهامة مازالت ميادين بكر في مجال البحث العلمي، ونأمل أن نرى من يخدمها بصدق وجد واجتهاد.

٤ـ بعض العادات والتقاليد الاجتماعية :

أ ـ عادات وتقاليد الميلاد والوفاة :

يفرح البدوي عندما يُرزق بمولود ذكر، لأنه يرى ذلك ضمان لبقاء اسمه بعد الوفاة، والذكر هو من يسند إليه الأعمال الكبرى كالرعي، وحماية الحلال، والمحافظة على الإرث المعنوي لأسرة الوالد. وإذا بشر بمجيئ ابنه الذكر، فمن المعتاد أن يقوم الأب بحمل سلاحه الناري وإطلاق بعض الطلقات إعلاناً بقدوم ابن ذكر؛ أما إذا كان المولود أنثى فإنه لا يفعل شيء. وعندما يولد الابن يولم والده بالعقيقة، وتسمى عند أهل البادية بـ (التمائم أو الكرايم) فيُقال: «حياكم الله على كرامة فلان بن فلان أو تمايم فلان بن فلان»[١]. ومنذ الصغر ينشأ الطفل على الشدة وقسوة الحياة، وكان يتأخر الوالد في ختان المولود متعمداً، وربما وصل الذكر إلى سن البلوغ ولم يُختن. ومن العادات القبلية عند أهل البادية أن الطفل غير المختون ، والمرأة والرجل المتقدم في السن الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه لا يجب الاعتداء عليهم، ومن يتجاوز هذا العرف يُعتبر من النقائص في أخلاقٍ ومروءة الذي يقوم بالاعتداء على هذه الأصناف. وكانوا يؤخرون ختان أبنائهم حرصاً على سلامتهم من اعتداء الأعداء أو قتلهم، وكان للطفل وإن بلغ سن البلوغ أو حتى سن الرشد وهو غير مختون علامة يُعرف بها، وهي حلق مقدمة رأسه فيُعرف بأنه (مرغل) أي غير مختون[٢].

يذكر علماء الاجتماع أن للبيئة أثراً كبيراً في نمط العادات والتقاليد في أي مجتمع، ولبادية منطقة عسير عادات وتقاليد في الميلاد والوفاة، والختان، والزواج، والخطبة، وإكرام الضيف، والأعياد، والمعونة، وعادات وتقاليد أخرى تختص بإعطاء الوجه، والشجاعة، والثأر، والهجرة والترحال وغيرها، وأغلبها وافق عليها الشرع الحنيف وتعد من الصفات الجيدة[٣].

---

(١) مقابلة مع سعيد بن علي بن فهاد آل جافل عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) في مركز العرين بلاد قحطان.

(٢) مقابلة مع مضواح بن حسين بن حمران عام (١٤٣١هـ/٢٠٢٠م) في مركز الواديين. مقابلة مع مبارك بن محمد بن مشهور شيخ آل الشواظ في عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٣) انظر: غيثان بن علي بن جريس، عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ٧٤ .كان عند الآباء والأجداد الكثير من الأعراف والتقاليد الجميلة والإيجابية. وللأسف أن جيل اليوم لا يعرفون أي شيء عن تلك الحياة الاجتماعية، وهذه مسؤولياتكم يا طلاب العلم والبحث أن تخدموا أهلكم وبلادكم وهي جديرة بذلك.

جاء الرسول (ﷺ) ليتمم مكارم الأخلاق[١]**. وقد جاء في وثيقة مؤرخة في عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، ما يلي:**

« واعلـم أن الأصـل في العوايد الإباحة إلا مـا ورد فيها نص من الشـرع بتحريمه»[٢]. وفي وثيقـة للشيـخ سليمان بن جمهور موجهة لإحدى قبائـل البادية. ذكر فيها « الجواب أن العوائـد إذا كان لهـا أصـل في الشرع فتبقى على مـا كانت عليه ولا تغيرهـا كل على عادته كالجهاد والعقل وغير ذلك والله أعلم. (٩ ربيع الثاني/١٣٤٥هـ) الختم[٣].

عنـد بلوغ الأطفال عمر العشر سنوات أو أكثر يتـم جمع المتقاربين في العمر لإجراء عملية التطهير أو الطهارة (الختان). وتمارس احتفالات وطقوس في عملية الختان، ومنها أن الطفـل المختون يحفـظ أبيات من الشعر يمدح فيها نفسه وآبـاءه وأجداده ومآثرهم، وعليـه أن لا يبكي ولا يُظهـر التردد؛ بل هناك من يرى أن خروج الدموع من دلائل ضعف الطفـل، وعـدم قوته ولو صدر عنه الخوف أو الجـبن أو الألم فيعد ذلك أمر ينتقص من مكانته بـين أقرانه، وربما كان لتقديس هذا الأمر والشروط الصعبة على المختون بسبب طابـع العشائر والقبائل التي لم يكن ديدن أفرادها إلا الكر والفر والحروب والصراعات الداميـة بينهـم، وما كان يوجد مـن غزوات حربية وعـادات سلب ونهـب أكسبت رجال المنطقة الصبر على الشدائد وعدم الجبن والخوف من الدماء بل وعودتهم على الإقدام والجسـارة والشجاعـة[٤]. يصاحب الختـان ولائم ورقصـات شعبية وإطـلاق للأعيرة الناريـة[٥]. ويقوم أقارب المختون وأخواله وأعمامه بإعطـاء الهدايا للمختون وتتنوع من السلاح الأبيض كالخنجر أو السيف أو الحربة أو بندقية أو غيرها[٦].

أما الوفاة أو المآتم فتتشابه عادات المآتم في أغلب أنحاء بادية منطقة عسير وغيرها، وربما هناك اختلافات لكنها ليست جوهرية، وكانت أسباب الموت متعددة فمنها المرض أو تقـدم في السن، أو نتيجـة للأوبئة كالحصبة والجدري والطاعـون، أو اعتداءات من

---

(١) مـن يدرس مصـادر الشريعة والـتراث الإسلامي فسوف يجد فيهـا شروحات كثيرة تحـث على كل عمل اجتماعي حضاري يتوافق مع الشرع الحنيف.

(٢) وثيقة مؤرخة في (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، موجهة لأحد المشائخ، وصورتها بمكتبة الباحث.

(٣) وثيقـة للشيخ سلميـان جمهور عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، والشيخ سليمان بـن محمد بن منصور بن جمهور العـدواني قاضي أبها ولد عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م)، عينه الملك عبدالعزيز قاضياً في أبها عام (١٣٤٢هـ) توفي عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، انظر: هاشم النعمي، شذا العبير، ١٢٦.

(٤) لمزيد من التفصيلات انظر: غيثان بن علي بن جريس، عسير، ٧٤، ٩٥.

(٥) المرجع نفسه، ٩٥ـ ٩٦.

(٦) مقابلة مع الشيخ حمد بن علي آل بزمة عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

الحيوانات المفترسة أو الزواحف السامة، أو مقتولاً نتيجة للحروب القبلية. والميت يُغسل ويُكفن ويُدفن حسب مقتضى الشريعة الإسلامية، إلا في حالة موته بمرض معد فيُترك في موقعه، ويضعون عليه حجارة تحميه من السباع، وأحياناً يوضع عليه بعض الأشجار. وإذا كان مكان الوفاة في كهف أو مغارة فيبقى مكانه ويتم قفل المدخل بالحجارة[١]. وفي وفاة الرجل يجري العزاء ويُستقبل المعزون من القبيلة وخارجها، ويُقدم الطعام لمن كان قادماً من أماكن بعيدة. أما النساء فيقمن القريبات بتغسيلها، ويتولى الأقارب دفنها، وغالباً لا يقام عزاء في المرأة. ومن عبارات التعزية والمواساة (أحسن الله عزاكم)، و (عظم الله لكم الأجر) ، وإذا كان الميت عقيد القبيلة وعينها فيرثى بالأبيات والقصائد الشعرية، وربما دُفن سلاحه معه أو عقر فرسه[٢].

ب ـ عادات الخطبة والزواج[٣].

إذا أراد الرجل – في بوادي شرق منطقة عسير – أن يتزوج فإنه يرسل رجالاً يخطبون له، وغالباً ممن يثق بهم، ويذهبون إلى والد البنت في منزله ويفتحون معه موضوع الخطبة، أما إذا كان في مجلسه أحد أو رجال آخرون فلا يطلبون منه الخروج خارج البيوت بل يحدثونه في أمر الخطبة، ويتمثلون بالمثل القائل: (ما يغبى إلا الصيد) ، فيسألهم والد البنت عن الرجل وصفاته ويشترط أن يكون هذا الرجل كفؤاً في نسبه للزواج، ويسأل بصفة خاصة عن دينه، وأخلاقه وشجاعته وأهله... إلخ ، وتلك الصفات التي يرغب والد البنت أن تتوفر في زوج ابنته؛ أما عن المهر فكان يسيراً جداً وغالباً يطلب ولي المرأة قليل من الإبل والأغنام ويشترط على الزوج توفير احتياجات الزوجة، وهي أشياء قليلة إذا قارناها بمتطلبات اليوم، ويؤخذ رأي المخطوبة في الزواج ولا تجبر، وهذا خاصة في البادية إلا في حالات نادرة[٤]. وبعد عقد الزواج ، يتم بناء بيت من الشعر ويأتون بقليل من الذبائح، ثم تذهب الزوجة إلى بيت الشعر المخصص لها، ويستمر الحفل لمدة ليلة واحدة فقط .

---

(١) مقابلة مع النائب علي بن تويم عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، مقابلة مع الشاعر عويضة بن الحريشة آل ثابت عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) نقلاً من الباحث ، علي السنحاني.

(٢) مقابلة مع سعد بن سفران عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

(٣) انظر: غيثان بن علي بن جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ٧٥. وانظر صالح بن عون الغامدي، بيشة دراسة تاريخية شاملة، ج١، [د ن] ١٤١٨، ٧٨. كثير من العادات المذكورة موجودة عند أهل السراة وتهامة، وهناك اختلافات في الممارسة، كذلك اللهجات المستخدمة. وهذا التشابه والاختلاف من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس حتى الآن.

(٤) مقابلة مع فهد بن سحيم آل سلوان عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، وليس ذلك على الإطلاق، بل كان هناك حالات كثيرة عند البوادي والأرياف، فلا يؤخذ رأي المخطوبة، وقد يوافق ولي أمرها ويقرر بزواجها دون أن تستشار.

ج ـ عادة الكرم :

الكـريم حبيـب الله كما يقـول أهل البادية، والكـرم من الأخلاق التـي اتصف بها البـدو، ومن الصفات التي امتدحها الإسلام وحـث عليها، والكريم ذو سمعة طيبة عند أهـل البادية، ويُمدح دائماً بكرمه، والكرم هنا ليسـ المقصود بالطعام وما يقوم به من تقـديم القِرى للضيوف فقط، بل قضاء دين المعسرين، ومـد يد العون للفقراء، وإظهار مظاهـر حَق الضيف والترحيب به. واقترن الكـرم بالقهوة العربية التي يقوم بإعدادها صاحـب البيت، وهي أول ما تُقـدم للضيوف، وتعد من علامات الكرم المميزة، ويُشترط على من يقدمها أن يمسك دلة القهوة باليد اليسرى والفنجان باليد اليمنى ، ثم يبدأ في صـب القهوة ولا يقوم بملء الفنجان، ولفنجان القهـوة أنواع فيُسمى الأول منها الهيف، والثـاني الضيف، والثالث الكيف، والرابع السيـف، وهنـاك فنجان الفارس. وفي امتداح أخـلاق المضيف للضيف والتغني سجلت الذاكـرة البدوية الكثير من الأبيات والقصائد الشعرية التي تمتدح الكريم وتذكر بعض صفاته(١) .

يقـدم للضيـف الطعام الموجـود في ساعـة دخوله لبيـت المضيف، ومـن الأعراف والعـادات التـي يلتزم بها الضيـف ألا يتناول وجبتين من الطعـام في نفس الوقت ، ومن آداب الضيافـة أن يسلي ويؤانس المضيف الضيوف بالحديـث لهم وإنشادهم للقصائد الشعريـة . ويقال: (السالفة حق الضيف على المضيـف) ، وقبل أن يقدم القرى للضيف يخـير المضيف الضيف بأنه سيقوم بإعداد وجبـة رئيسية له، ويطلب منه ذبح رأس من الضـأن أو أكثر من الإبل، وللضيف الموافقـة أو الاعتذار، وبعد موافقته وإعداد الوليمة، يقـدم المـاء في إناء معـين (سحلـه) ، أو (طاسه) ، حتى يغسـل الضيف يـده، ثم يقوم صاحـب البيت بدعوة الضيـف لتناول الوجبة المعدة ، وبعد الانتهـاء من الأكل، والعودة

---

(١) ومن ذلك قول الشاعر:

لا خـير في الـلـي مـا يـكـرم ضـيـوفه ... مـعـزاً دواهـــا مـاكـلـت مـن جـلـودها
لجـواد تـعـطي مـا تـمـت بـعـطـاهـــا ... لأن جـودتـهـا تجـي مـن جـهـودهـــا

ويقول الآخر:

يـعـطي الـعـطـايـا مـا يـمـن بـمـا عطا ... عـنـده لـضـيـفـان الـدهـور مـتـاعـي

مقابلـة مـع محسن بن فهاد عام (١٤١٩هـ) ، وهذه العادة موجودة عند البدو وأهل القرى والمدن، وهي من الأعـراف المعروفة والمنتشرة عند عـرب شبه الجزيرة العربية. أما القصص والأشعار التي قيلت في حق الكـرم والكـريم فهناك مـادة كبيرة في هذا الباب، حبـذا أن نرى من يدرس هذا الموضـوع في عدة أعمال علمية جادة.

إلى مجالسهم، يبدأ الحاضرون من جماعة المضيف أو أقاربه أو قبيلته بدعوة الضيف إلى وجبة إكراماً له ولمضيفه.

البدوي لا يقوم إلى سفرة الطعام قبل أن يدعوه صاحب البيت، ولا يمد يده على الأكل حتى يسمي لهم صاحب البيت، والضيوف لا ينهضون بشكل عشوائي بل ينهضون دفعة واحدة فإذا انتهى أحد من الأكل فعليه أن يمكث مكانه حتى ينتهي الجميع من أكلهم ولا ينهضون إلا بإذن الضيف الرئيسي ثم ينهضون بشكل جماعي، ولم تكن تّذبح الذبائح ويُعد الطعام إلا إذا وصل الضيف[1]. وفي الغالب يكون الضيف عند المضيف من وقت مبكر؛ ومن أهم الأمور التي يلتزم بها المُضيف مع ضيفه عدم الصراخ على ابنه أو الشكوى من الحال أو الفقر أو التثاؤب، ومن الوصايا المهمة عند البادية حسن استقبال الضيف والتعامل معه بلطف. والبخل من الصفات المذمومة التي تجعل صاحبها في موقع الذم والاحتقار من جميع أبناء وطبقات المجتمع[2].

د ـ عادات في الأعياد :

أهل البادية في شرق عسير مثل بقية إخوانهم في عموم السروات، وجميع المسلمين لا يعرفون إلا عيدين، عيد الفطر وعيد الأضحى، وكانوا يجتهدون في ترقب حلول هلال شهر رمضان بما لديهم من خبرة وتجارب بالنجوم والأنواء، والبدو مثل غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، يؤدون صلاة العيد ويزورون الأرحام والأقارب، إلا أن بادية منطقة عسير يتميزون عن غيرهم بإقامة احتفالات سباق للخيول والهجن، ويعطون على هذه السباقات بعض النقود، أو قطع من السلاح أو غنم أو إبل وغيرها[3].

هـ ـ عادة التعاون : [4].

التعاون بين أفراد البادية في كل شيء يتعرضون له أو يواجهونه من أمور الحياة كرعي الأغنام والإبل، ووسائل المعيشة، ومساعدة المتزوج. والإعانة في بعض الولائم إذا كانت كبيرة ؛ فيتعاون الرجال في ذبح الذبائح والطبخ والتجهيز، كما يقفون مع من

---

(١) مقابلة مع صالح بن مريط عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) في محافظة تثليث.

(٢) مقابلة مع محمد بن مقبول عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) في منزله بمركز العرين.

(٣) علي بن محمد بن شافع ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) مقابلة مع علي بن مسفر عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) وهو أمر تشترك فيه أغلب قبائل المنطقة بشكل عام، انظر: إسماعيل البشري، ملامح من تطور الأوضاع الاجتماعية في عسير في عهد الملك عبدالعزيز، رسالة ماجستير.

تعرضـ إلى نكبات أو فواجع أو خطر من بشر أو حيوان. وعند البادية ما يُعرف بالمنايح مـن الإبل أو الأغنام ، وهذه العادة في مواسم الخصب والإنتاج فيقوم من يملك قطعان أكبر بمنـح المحتاج من أبناء قبيلته أو من جيرانه حتـى لو لم تربطهم نسب بعض الإبل أو الأغنـام للاستفادة مـن ألبانها ومنتجاتها حتى نهاية الموسـم ثم يعيدها إلى مالكها الأساسي وربما لا يقبل ملاكها الأساسيون عودتها لهم ويجعلونها ملكاً للمحتاجين(١) .

و ـ الشجاعة والإقدام والثأر:

صفـات اتصف بها البدو منذ القدم، ويحرص على تعليم أولاده الأشياء التي ترفع من شأنهم، وتحفظ لهم كرامتهم، وتمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وأعراضهم وكرائم مواشيهـم، فيعلمهم ركـوب الخيل والإبل فيشـب الواحد منهم فارسـاً ويدربونهم على استخـدام السلاح الأبيض من رمح وسيف وخنجـر والبندقية. ويربون في أنفسهم حب النصـر وكراهـة الهزيمة وأن الثـأر تركه يجعل الإنسان وضيعـاً في مجتمعه حتى يأخذ ثأره(٢) .

ز ـ الفنون الشعبية والألعاب التاريخية :

(١) لـون الزامل: ترديد بيتين من الشعر بألحان معينة. **(٢) لون الزامل الريدمان:** قصيـدة طويلة يغني كل بيت علـى حدة ثم يغنى البيت الذي يليه(٣) . **(٣) لون العرضـة عنـد بادية شهران فقط**(٤) . **(٤) لـون الرازف:** عند البادية ويلعبـه النساء والرجال كل علـى حـدة في الأعيـاد ومناسبات الـزواج (٥) . والنسـاء في بعض هذه الألـوان الشعبية يظهـرن في صف يقابلـه صف من الرجال، كان ذلك في السابق حتى جاء المنع والتنبيه، ونجـد في إحدى الوثائـق الموجهة من الشيخ محمـد بن عبدالله بـن إسماعيل، لإحدى قبائـل البادية قوله جاء فيها: «... وقد بلغنا عندكم منكرات في الأعراس والختان مثل اختلاط الرجال والنساء وهذا أمر لا يجيزه الشرع ولا نرضى به» (٦) .

---

(١) مقابلة مع الرحال سالم بن مسفر عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٢) هذه العادات اتصف بها أبناء السروات من بدو وحاضرة. انظر: غيثان بن علي جريس، ٩٥.

(٣) مقابلة مع فالح بن شعوان في عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

(٤) مقابلة مع محسن بن فهاد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

(٥) مقابلـة مع مبـارك بن علـي العاطفي عام (١٤١٩هــ/١٩٩٨م)، مقابلة مـع الشيخ محمـد آل شايب عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) وانظر: صالح عون، ٨٠ .

(٦) الوثيقـة رقم (٢/٤٣١) صورتها في مكتبه الباحث وهي مرسلـة إلى أحد مشائخ البادية في منطقة عسير. مازال هناك عشرات الوثائق الاجتماعية التي تعكس حياة الناس في جنوب المملكة العربية السعودية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

من الألعاب الترويحية مايُعرف بالضمير أو الخشيتا للأطفال ، والدوملة أو المدارهة، وتعرف بالمرجيحي، والسليطي على الصخور الملساء، ولعبة الطمر، أي الضرب بالرجل ثم القفز على شجيرات شوكية، أو حواجز مرتفعة، أو القفز فوق النياق، والعكز سريعاً على رجل واحدة فقط، ولعبة عصب صبيح، رمي أي شيء بعيداً عصا أو حجر أو خلافه ومن يستطع التقاطه فهو الفائز. ولعبة المقاعرة، ويسميها آخرون بالمطارحة، وهي قريبة من المصارعة الحرة[١]. ولعبة القراديع، أو المطاوحة وتشبه لعبة رمي الجلة، والزرق بالرمح والجراع وسباق الهجن والخيل والرمي بالبندقية[٢]. ولعبة المطمار اعتلاء مرتفع ثم السقوط منه[٣].

رابعاً: مقتطفات من الحياة الاقتصادية في بادية منطقة عسير (١٣٤٠ـ ١٣٧٥هـ/ ١٩٢١ـ ١٩٥٥م):

١ـ الثروة الحيوانية:

كانت الحياة الاقتصادية في عسير (بادية وحاضرة) تقوم على الزراعة والثروة الحيوانية خلال القرون الماضية، ووفرة الأمطار لم تكن سيئة، والثروة الحيوانية لدى البادية الإبل فهي أكثر مواشيهم، يليها الماعز. وتشير بعض الوثائق إلى زكوات مواشي قحطان عام (١٣٥٧هـ،/١٩٣٨م) . من المواشي فكانت الإبل في الصدارة حيث بلغت مائتين وأربعين نصاباً، والضأن أربعين نصاباً، والماعز واحداً وستون نصاباً[٤]. وفي وثيقة أخرى تنص على ما يلي:» بموجب أمر سعادة أمير عسير وملحقاتها ورئيس المالية فقد خرجنا لزكوات مواشي قحطان لعام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، وتقدر منهم ما هو موضح بهذه الخلاصة البالغ مئة وتسعين نصاب إبل، وألف ومئتين وعشرين نصاب ضأن، ومئتين وأربعة وسبعين نصاب ماعز منها ستة آلاف وخمسمائة وواحد وخمسين ريال عربي ومئة و خمسين ريال فرانسة فقط لا غير، وقد لحق بنا الشرح والتصدق لما ذكر . تحرر في (٢٠/٥/١٣٥٨هـ/٧/٧/١٩٣٩م) أمير عاملة قحطان المواشي»[٥].

---

(١) مقابلة مع محسن بن فهاد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) .

(٢) مقابلة مع النائب على بن تويم في عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

(٣) قضيت أكثر من أربعين عاماً وأنا أتجول في بلاد السروات وتهامة، وزرت بواديها، والتقيت بالكثير من رجالها، وجمعت مئات الوثائق التي تحتوي على تفصيلات جيدة جداً من تاريخهم وحضارتهم . وآمل بذل جهود أكثر وأفضل لدراسة حياة البدو الاجتماعية، فهي من الميادين الثرية والجديرة بإصدار عشرات الدراسات العلمية الجادة.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، الرياض، العبيكان، ١٤٣٠هـ ، ط١٨، ٣٧. يوجد آلاف الوثائق الصادرة من مالية عسير، وفيها تفصيلات كثيرة عن مقدار زكوات مواشي بوادي منطقة عسير، وهذه المصادر مازالت تستحق أن تدرس في عدد من الدراسات .

(٥) الوثيقة رقم (٢/٢٣٦) مكونة من ورقة واحدة ضمت قبائل من البادية وأخرى من الحاضرة تحت عنوان

ففي الوثيقة الأولى كانت أنصبة الإبل مائتين وأربعين نصاباً، وهي لقبائل بادية شرق منطقــة عســير، أما أبناء البادية في الجزء السروي مع بعض إخوانهم المجاورين لهم في الجهات الشرقية مائة وتسعين نصاباً في الإبل والفروق كبيرة جداً في ملكية الضأن والماعز حيث كانت في البادية قليلة، وإعداها أكثر عند أبناء عمومتهم من الأرياف والحواضر.

لم تكـن أمور أهل الإبل مع لجان الزكاة تبــدو على ما يُرام، ففي الوثيقة رقم (٩٩٢) والمــؤرخ في (١٣٦٠/٣/٢٥هـــ ـــ١٩٤١/٤/٢٢م)، والموجه من الهيئة التــي كلفت بدراسة الشــكاوى المقدمة من أهــل المواشي والمزارع على حد سواء، وتم معالجة الشكاوى، وورد في الوثيقة ما نصه «حضرة المكرم أمير عسير وملحقاته المحترم بعد التحية بناءً على الشكاوى التــي تقدمت للهيئة أثناء تجوالها في نواحي قضاء عسير، قد وضعت الهيئة قرارها المرفق عــدد (١١٨)، وتاريخ (١٣٦٠/٣/٢٥هـ ـ ١٩٤١/٤/٢٢م)، وذلك بعد (...) مع حضرتكم في هــذا الموضوع، فنرغب الاطلاع عليه وتطبيق ما يمكن تطبيقه من الآن، مع العلم أنه قد رفع القرار المذكور للمقام السامي بصدور أمر المقام الكريم والله يحفظكم»[١].

بعــد الاطلاع علــى الوثيقة المكونة من (٨) صفحات وجــدت أن الشكوى بخصوص أهــل الماشية، وتشتمل على بنود عديدة، مثـل: (أ) مطالبتهم بأن تؤخذ الزكاة منهم عينــاً. (ب) الشكـوى من أخذ العمــال لأحسن حلالهم ليضطـروا إلى دفع عوض عنها دراهــم. (ج) الشكوى من اعتبار بعضـ الأنصبة غير المكتملة نصابــاً كاملاً ويطالبون عمــال لجــان الزكاة أن يتحلوا بالأمانة. (د) التذمر مــن إرهاق القبائل بجمع حلالهم وسوقه إلى مراكز بعيدة، ويطلبون أن تكون تزكية حلالهم في مراكز تكون قريبة منهم، ولا يكـون فيها مشقة عليهم (هـ) يدعون أن بعض العاملة يأخذون منهم رشوات. (و) الشكـوى من تكليف العمال لهم بذبائـح أكثر من طاقتهم[٢]. وعلى ضوء تلك الشكايات صــدرت تعليمات نوجزها فيما يلي[٣]: بعد خروج عمال المواشي فوراً يقوم مفتش المالية بمباغتــة العمال، ومفاجأتهم وتعقب أعمالهم في عدة نــواح من القضاء حتى إذا عرف العمال أنهم مباغتون في أعمالهم امتنعوا عن الوقوع في الجور والخطأ[٤].

زكوات مواشي بادية قحطان لعام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، مصدر الوثيقة مركز ألمع لصاحبها الأستاذ محمد علي آل عبدالمتعالي.

(١) وثيقة رقم (٢/٣٤٢) في مكتبة الباحث، ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

(٢) الوثيقة مكونة من ثمان ورقات، وهذا ملخص موجز لما ورد فيها.

(٣) تم إيراد التعليمات بشي من التصرف والاختصار.

(٤) ورد في الوثيقة رقم (٣) من الوثيقة رقم (٢/٢٤١)، ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

نجد أن الهيئة الحكومية قامت بمعالجة ودراسة الشكايات الواردة من أهل الإبل والأغنام من البادية وغيرهم من إخوانهم في السروات وتهامة، وأوضحت في تفصيل دقيق الأنصبة المطلوبة من كل صنف. وكم الأعداد التي يجب فيها النصاب؛ فورد فيما يخص الإبل ما نصه: «أما الإبل فليس فيما دون الخمس زكاة، فإذا بلغت خمساً تُعتبر نصاباً واحداً، ولاتزال كذلك إلى التسع فإذا بلغت عشراً فتعتبر نصابين إلى أربع عشرة، وهي لا تزال نصابين فإذا بلغت خمس عشرة فتُعتبر ثلاثة أنصبة إلى تسع عشرة، فإذا بلغت عشرين فتعتبر أربعة أنصبة إلى أربع وعشرين، وهي لاتزال كذلك، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها (بنت مخاض) وهي التي بلغت من العمر سنة واحدة وليس فيها إلا أن تبلغ خمساً وثلاثين، فإذا بلغت ستاً وثلاثين ففيها (بنت لبون) وهي التي لها من العمر سنتان وليس فيها إلا ذلك فإذا بلغت ستاً وأربعين ففيها جذعة، وهي من العمر أربع سنين إلى أن تبلغ خمساً وسبعين، وليس فيها إلا ذلك، إلى أن تبلغ إحدى وستين ففيها جذعة ، وليس فيها إلا ذلك، فإذا بلغت ستاً وسبعين بنتا لبون إلى تسعين، وليس فيها إلا ذلك ، فإذا بلغت إحدى وتسعين ففيها حقتان إلى مائة وعشرين، وليس فيها إلا ذلك، فإذا زادت واحدة عن مائة وعشرين ثلاث بنات لبون ثم بعد ذلك في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقه[1].

وفيما يخص أنصبة الأغنام من ماعز وضأن فقد أوردت الوثيقة التالية التعليمات الخاصة بها وأنصبتها المقررة وذكر فيها « ليس فيما دون الأربعين من الغنم زكاة فإذا بلغت أربعين فتعتبر نصاباً واحداً إلى أن تبلغ مائة وعشرين، وهي لاتزال نصاباً واحداً فقط، فإذا بلغت مائة وأحدى وعشرين فتعتبر نصابين إلى مائتين، وليس فيها إلا ذلك فإذا بلغت مائتين وواحدة فتعتبر ثلاثة أنصبة إلى ثلاثمائة فيها، و كل ما زادت زكاتها نصاباً واحداً أي في كل مائة شاة واحدة»[2].

ويبدو من خلال هذه الوثيقة الطويلة، التي عالجت الكثير من المشاكل والشكاوى التي تتعلق بالثروة الحيوانية، وأن بعض الأخطاء التي كانت ترتكب من بعض عمال الزكاة المكلفين بحصر الأنصبة وجمعها كانت تؤثر على مصادر دخل الناس وتسبب لهم ولمواشيهم الكثير من السلبيات، ومن ذلك تكليفهم بأن تساق قطعان مواشيهم إلى أماكن بعيدة ، ليتم تجمع أهل المواشي ومن ثم حصرها، وتحديد أنصبتها، وفي ذلك إشكالية كبيرة تؤثر على المواشي وتؤدي إلى إرهاقها وإلى ذوبان الشحوم جراء

(١) الوثيقة رقم (٢/٢٤١) الورقة رقم (٦) . ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي.
(٢) الوثيقة رقم (٢/٢٤١) الورقة رقم (٧) . ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي.

سيرهـا لمسافات بعيدة، وربما كان هناك أوامر لهم تشير إلى عقوبة التأخير مما يجعل الرعـاة يسعون إلى الإسراع في الوصول إلى المراكز المعينة، ويضاف إلى ذلك أن تعسف بعض عمال الـزكاة في الأخذ من كرائم مواشيهم وأغلاها فيها تأثير عليهم وتسبب في خسارتهـم، ويُلاحظ اهتمام الدولة بهـذه الشكاوى والمشكلات لأنها من مصادر الدخل لخزينـة الدولة، ومن المصادر التي يتم الاهتمام بهـا والحرص على سلامة الإجراءات في تحصيلها [(١)].

كانـت الثروة الحيوانية في القرن الهجري الماضي مـن الأمور التي تهتم الدولة بها وتحصيل وارداتها وسلامة الإجراءات والاهتمام بالشكاوى المتعلقة بها ومعالجتها؛ وهذا ممـا استدعى المقام السامي إلى تكليف هيئة لدراسـة الشكاوى، وهي مكونة من رئيس الهيئة واسمه (محمد علي)، كما اتضح في توقيعه وثلاثة أعضاء وُجدت توقيعاتهم بدون إيضـاح أسمائهـم، وورد في ختام التقرير ما نصه: «هذا مـا رأته الهيئة وقررت عرضه على المقام السامي لصدور الأمر الكريم على الجهات المختصة بإنفاذه، كما أنها قررت إبلاغـه إلى كل من إمارة عسير وماليتها، لتطبيق مـا يمكن تطبيقه منه الآن، وإدراجه ضمـن التعليمـات الموجودة لـدى المالية؛ كما أن الهيئـة ترى أن تقـوم المالية بطبع تلك التعليمات في شكل دفاتر صغيرة ، وتقوم بتوزيعها على النواب ورؤساء القبائل وإعلانها في الأسواق عند بداية كل خرص وزكاة مواشي؛ ليكون ذلك معلوماً لدى الأهـالي عموماً، وليعـرف كل مـن المشائخ والأهالي واجباتهـم بما لهم وما عليهم أمـام عمال الحكومة وعلى هذا حصل التوقيع متفقاً» [(٢)].

كانـت الدولة تعاني مـن تهرب البعض من عمـال الحكومة المكلفـين بجمع الزكاة (عمـال الزكاة)، أو (العاملـة)، وربما أن هذا التهرب يتعلـق بالبادية في شرق منطقة عسـير أكـثر من غيرهم حيث أنهم جبلوا على التنقل بإبلهـم إلى جنوب وشمال المملكة العربيـة السعودية. وقـد وجد في القرار المذكـور قراراً حول الترتيبـات الخاصة ببلاد عسير، ويشيرون فيه إلى قرار صاحب الولاية رقم (٤/٤/٢)، وتاريخ (١٣٥٨/٦/٥هـ - ١٩٣٩/٧/٢١م)، بإنشاء إمارة بمسمى إمارة جازان، وعالجت كثيراً من الأمور الأخرى، وكان يتضمـن البنـد (سادساً)، حيث ورد فيه ما نصـه : «وأما زكاة البادية فالأحسن أن يكـون خـروج عوامل نجـد وعاملة أبها في وقـت واحد، وبذلك لا يعـود هناك مجال للشكـوى من تهريـب العربان لمواشيها، وبمـا أن هذه هي الطريقة التـي أرى بها العمل

(١) الوثيقة رقم (٢/٢٤١) الورقة رقم (٨). ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي.
(٢) الوثيقة رقم (٢/٢٣١) والوثيقة رقم (٦/٢٣٦). ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي.

الآن فمـن الأوفق استمـرار أتباعهـا»[1]. في ٣٠رجب/١٣٥٨هـ/٤ سبتمبر/١٩٣٩م)، وتوقيع عبدالوهاب أبو ملحة وحمد السليمان وتركي السديري، ونجد في موضع آخر من التقرير ما نصه:» حتى لا تحصل خسارة على الرعايا ولا على الخزينة» [2].

اهتم العرب منذ القدم بالإبل وأجزاء جسمها الخارجي وألوانها وأعمارها وحصر مـا يتعلـق بكل نوع منها مـن إيجابيات وسلبيـات؛ فجعلوا لكل جزء مـن أجزاء جسمها اسماً، واهتموا بتفاصيل الناقة، وفيما يلي عرض لأسماء أجزاء الناقة مبتدئين برأسها حتـى الخـف، فهي تتكون مـن: الخـد، والمصنة، والمعـذر، والأذن، والعـين، وغضروف الأنف، وفتحات الأنف، والمهادل، والرقبة، والنحر، واليد، والركبة، والبركة، والكرسوع، والضـرع، والثغنـة، والكتـف، والغـارب، والسنام، والعـين، والورك، والذيـل، والفخذ، والعرقوب، والساق، والخف. وقد تغنى البدوي وأنشد القصائد في أجزاء الجمل والناقة واهتم بتفاصيلهما[3].

أمـا عن ألوان الإبل وأسمائها فهي على النحو الآتـي: الوضحاء «شديدة البياض»، المجهـم «شديدة السواد»، الصفـراء، الشعلاء، الشقحاء وفيهـا بياض مختلط بشعرة سوداء»، الحمراء، الزرقاء من صنف المجاهيم، « الصهباء، من صنف المجاهيم ولكنها أقـل سـواداً»، صفراء المجاهيـم، الحرائر المخصصـة للسباقات والركـوب، ومفردها حـرة»[4]. وحدد البدو أعمار الإبـل ، فذكروا الحوار وهي الأقل من ستة أشهر، والمفرود لعمـر السنـة، والحقة سنتان، ولقية «ثـلاث سنوات» والجذعة « أربع سنـوات»، والثنية «خمس سنوات»، وفصلوا في ذلك أكثر بشكل دقيق.

فمن الشهر الأول حتى السابع يُسمى (حوار)، والجمع حيران، وبعد الشهر السابع مفـرود والجمع المفاريد. ويبـدأ من الشهر السابع حتى الشهر الثاني عشر، وعند بلوغه السنـة الثانية من عمره يُعرف بالحقة، والجمع حقائق، وفي السنة الثالثة اللقي والجمع لقيـان، ويُسمى أيضاً «مصموعاً « والجمع مصاميـع والأنثى، تلقح في نهاية السنة، وفي السنـة الرابعـة يطلق عليهـا «الجذع» والجمـع جذعان، ثـم «الثنية» التـي بلغت خمس

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الوثيقة رقم (٢/٤٥٨) وثيقة تحت عنوان قرار حول الترتيبات الخاصة ببلاد عسير، صورة في مكتبة الباحث ومصدرهـا مركـز ألمع الثقافي لصاحبـه الأستاذ محمد بن علـي آل عبدالمتعالي، انظر أيضـاً حسين حمزة بندقجي، جغرافية المملكة العربية السعودية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م، ١٨١، ١٨٦، ١٨٧ .

(٣) فوزان بن حمد الماضي، الإبل، أنواعها وأعمارها، الرياض ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٨هـ ، ١ .

(٤) المرجع نفسه ، ٤ .

سنـوات، والنـاقة تلقح وتلد مولودها الأول وهي جذعة، ثم تسمى بعد ذلك «بكري» جمع أبـكار. وفي السنة الخامسـة تكون ثني والجمع ثنيان وفيها تنمـو الأسنان «الثنايا»، وفي السنـة السادسـة: رباع والجميع ربعـان، وهنا تنمـو الأسنان «الرباعيـات»، وفي السنة السابعـة تعرف بالسدس، والجمـع سدسان، وفي السنة التاسعة يعـرف باسم أبوثاني، وفي السنة العاشرة أبو ثالث وتعرف الأنثى في هذا العمر بـ «أم رابع»، أي أنها تلد ولدها الرابع، وفي السنة الثانية عشرة: وفي السنة الرابعة عشرة أبو سابع، واعتباراً من السنة الرابعـة عشرة يسمى المـل (هرش)، وتسمى النـاقة « فاطـر»[1]. ويفضل البدو للركوب الحـرار والمفرد» الحر»، والأنثى «حرة»، لونه أصفر وتعـرف باسم الأصايل، و«العماني» والأنثى عمانية والجمع عمانيات وهي ذات لون رمادي أصفر، و«أسحم»، وهنـاك الأوارك وتوصف بالأصايل أيضاً [2].

(*) عـرف البـدو فصـائل الإبـل في منطقة عسـيروميـزوا كل فصـيل منها، وما يعيبها ومن ذلك:

(أ) خـوار والأنثى خوارة والجمع خواوير، نوع من الإبل الصغير ذات لحية وتُعطي في الربيع كثيراً من الحليب، وحليبها يشح جداً في الصيف عند طلوع نجم سهيل والمرزم ، ولونهـا أصفـر يميل إلى الحمـرة . (ب) آركي، والجمع أوارك والأنثـى أركية والجمع أركيـات. صنف من إبل الحمولة لونها أبيض (عفر). (ج) عربة والجمع عرب وهو نوع جيد ولونه أحمر وحليبه وفير. (د) مغتر والجمع مغاتير إبل بيضاء اللون. (هـ) المجهم وأنواعهـا، وهنـاك أنواع أخرى لكنها غـير موجودة في بوادي شرق عسـير إلا في الآونة الأخيرة مثل الودي والثمالى وغيرها.

وضـع أهل الباديـة أسماء لإبلهم، ومن خلال الاسم يعـرف عددها، ويطلقون على الإبـل بشكل عام لفظة (البـل)، وجمعها أيضاً جمال، وبعير وبعاريـن» و(أباعر)، وكل هذه المصطلحـات تعني الإبل بشكل عام بغض النظر عـن جنسها، وعرفوا (الزمول)، وهـي جمـع لكلمة (زمـل) ، ويقصد بذلك الاسم العـام للذكور من الإبـل. وجيش: إبل الركـوب، أي الإبـل المعدة للركوب والاستخدام في الغزوات ، وهـي من (٣ــ ٤) ركائب أو أكـثر. وطرش أو الطرشي أي قطيـع من الإبل. وركاب أو ركايب ذكور وإناث، ومشمول

---

(١) للاستـزادة انظر: مـرزوق بن ودید القحطاني . الإبل عطايا الله، جامعـة ميتشيغان (٢٠١٠م) ٢٢ــ ٤٣. د. عبدالله محمد المخيال، في أثر أخفاف الإبل ، الرياض، العبيكان للنشر ، ١٤٢٩هـ ، ط٢ ، ١٦٢ .

(٢) مقابلة مع محمد بن فهد آل بن علي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) في محافظة السراة.

وهي مجموعة من الإبل من (٨ إلى ١٠ رؤوس). وذود والجمع ذيدان عدد من الإبل مؤلف من (١٥ إلى ٣٠ رأسا)[١].

من سلوك الإبل وطباعها وأمراضها وكيفية علاجها، ما يلي: يطلق على خروج الإبل صباحاً بـ (المسراح) ، ثم مضحى الإبل، ومقيال الإبل ، و» البل عزيب» أي الإبل التي ترعى عند البئر بعيداً عن المخيم ويستعمل فعل (عزب) للإبل والرعاة[٢]. ومن أمراض الإبل وبعض طرق علاجها : (١) الهيام في الإبل: مرض غير معد، سببه شرب الإبل من الماء الراكد؛ تمرض الإبل وتشرب من الماء بكميات كبيرة ولا تصل إلى مرحلة الارتواء؛ وتعالج بالقطران واستخدام نوع من الحشرات يعرف بالذرنوح. (٢) مرض الجرب وباء معد ويُعالج بالقطران. (٣) الذيبة: مرض يصيب الفحول من الإبل. (٤) الوذم في الأرحام: ويسبب عدم الإنجاب، ويتم علاجه بقطع الوذم من أرحام الناقة[٣]. (٥) أمراض الخف ويعالج بما يعرف بـ « رقع الخف». (٦) أمراض أخرى عديدة مثل: الباردة، والسرد، والنحاز. ومرض الجرب يأتي في المستوى الأول من أمراض الإبل، يليه مرض الهيام في المستوى الثاني ، ثم الباردة وقلب العصب في المركزين الثالث والرابع، بنسبة ضئيلة جداً، ثم مرض الذيبة والنحاز في المركزين الخامس والسادس[٤].

يعرف البدو ضالتهم من الإبل بالسؤال عنها، وعلامتهم التي يتثبتون بها (الوسمة) ، وهي الكي بواسطة آلة تعرف بالميسم قضيب معدني يحمل شكل الوسم يتم إحماؤه في النار إلى أن يصل إلى حد الإحمرار، ويُكوى به أمكنة معروفة في الناقة أو الجمل، فيأكل بحرارته شيئاً من الجلد ليمنع إنبات الشعر في الموضع الذي تم كيه، ويصبح مكانه علامة بارزة لا تتغير، وغالباً توسم الإبل على ألواحها أي الجهة التي تقابل الإبط من الخارج وعلى أوراكها، وأحياناً يكون وسمها على إحدى القوائم الأمامية أو الخلفية أو على كلتيهما أو من خلاف. وطريقة وسمة الإبل تناخ أي تبرك ويتم عقلها بربط ساقيها إلى عضديها بواسطة حبل من غزل الوبر يُسمى(العقال). يثبتون به قوائمها الأمامية لمنعها من النهوض أو الهياج ثم يثنون عنقها بواسطة العنان إلى الجهة الأخرى، ويعملون

---

(١) مقابلة محسن بن فهاد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). في محافظة تثليث .
(٢) محمد أبو اليزيد محمود خلف . مجلة المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربي . ٣٠ ـ ٣٦ . مقابلة مع محمد بن الهشل آل بزمة عام (١٤٣١هـ/٢٠٢٠م) ومقابلة مع مفلح بن علاف آل ذيبان عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).
(٣) مقابلة مع مفلح بن علاف آل ديبان عام (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) .
(٤) مقابلة مع علي بن مسفر بن عدوة، وأخيه سالم عام (١٤٣١هـ/٢٠٢٠م) في تثليث.

علـى تثبيت (الميسم)، في المكان المراد وسمه[١]. وعرفـت كل قبيلة بوسمها، وبه تصبح الإبل معروفة ومن هم مُلاكها؛ والوسم هو إثبات الملكية الخاصة من الإبل[٢].

جدول رقم (٢): بعض الوسوم عند عدد من قبائل شرق منطقة عسير وتحديداً في بلاد شهران وقحطان[٣].

م	اسم الفخذ	اسم الوسم	موقع الوسم
١	آل سلمان الحرقان	الحلقة والمطرق	على الفخذ من اليمين وبعضهم يضعه على الرقبة من اليمين.
٢	آل قريش	كلوب	على الرقبة اليسرى
٣	زهير	حلقة ومطرق	على الرقبة من اليمين
٤	آل علي	مطرق وكلوب	على اللحي الأيمن
٥	آل عايذ	مطرق	على الرقبة من اليسار
٦	آل بنهار	كلوب وسطه رقمة	على الفخذ الأيمن
٧	الكوادر	كلوب ومطرق	على الرقبة
٨	آل جمان	كلوب ورقمه	على الرقبة من اليمين
٩	آل خاطر آل جربوع	مطرقين	على الفخذ من اليمين
١٠	آل جلدة	مغزل	على الرقبة اليمنى
١١	آل مبارك	المخطاف	على الرقبة من اليمين
١٢	المراشدة	الدلو والمطرق	على الرقبة من اليمين
١٣	الصقعات	منهم من يسم دومعين ومطرقتين	على الفخذ الأيمن، على القائد اليمنى
١٤		ومنهم من يسم العرقاة	على الفخذ الأيمن
١٥		ومنهم من يسم المغزل	على الفخذ الأيمن

(١) مانع النهاري، ١٢٠ ومقابلة مع محمد بن فهد آل بن علي من العيص قبيلة وقشة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ومقابلة مع علي بن مسفر بن عدوة، وأخيه سالم في عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٢) تشتمل هذه الدراسة على نقاط وموضوعات عديدة، وكل جزئية تحتاج إلى تفصيلات أفضل وأعمق. وجل مـادة هذه المواضيـع معروفة بالرواية الشفاهية، كما أن هناك الكثير من الوثائق الرسمية عند سكان بواد منطقة عسير وغيرهم، وفيها مادة علمية تحتاج إلى جمع واطلاع ثم دراسة وتحليل.

(٣) للاستـزادة عـن القبائل ووسومهـا في الجزيرة العربيـة. انظر مساعد بـن فهد سعدون، وسـوم الإبل في الجزيـرة العربية حاضرة وبادية، ٢٠٠٥م، نسخة مصورة في مكتبة الباحث، ٢٣-٥٢. وانظر أيضاً: جودي صالح غازي، وسم الإبل عند بعض القبائل، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٩٩٥م. ١٣١-١٣٣.

تابع جدول رقم (٢):

م	اسم الفخذ	اسم الوسم	موقع الوسم
١٦	الحنفان/ آل شري	مطرقين	على الفخذ الأيسر
١٧	آل الشوافة	مطرقة ورقمة	على الرقبة من اليسار
١٨	آل هجار	كلوب	على الرقبة من اليمين
١٩	آل مقطر	المخطاف	على دقيق الرقبة من اليسار
٢٠	آل هلال	القلادة وهلال	على الرقبة من الجهة اليسرى
٢١	آل وبر	حلقتين	على الفخذ الأيسر
٢٢	آل خميس	الكوب والمطرق	على الخد الأيمن ومطرق من الخلف
٢٣	آل زبران	المغزل	على اليمين ومن فخذ زبران من يضع الكلوب والحلقة على الفخذ
٢٤	آل ذميل والدلمة	العمود	على الرقبة من اليمين والبعض يسم من اليسار ومنهم من يسم الكلوب والمطرق على الفخذ من اليمين
٢٥	العبس	مطرق وحلقة	الحلقة على الفخذ من اليمين والمطرق على الرقبة من اليمين
٢٦	آل عايذ	مطرق	على الرقبة من اليسار
٢٧	آل كيرعان	كلوب ورقمتين فوق بعض	على نهاية الرقبة اليمنى ومنهم من يسم على الفخذ
٢٨	آل فاهدة[1]	العرقاة	على الفخذ الأيمن
٢٩	آل حماد	المطرق	على الرقبة في اليمين
٣٠	آل عرفج	مطرقين وشرقة	المطرقين على الرقبة من يمين والشرقة بالأذن اليمنى
٣١	الحرجات	مطرقين ورقمة	على الرقبة من اليمين
٣٢	آل مرزوق وآل عمر	ثلاث مطارق	على الرقبة من يمين
٣٣	آل قراد	المحراك وشرقة	المحراك على الرقبة من يمين والشرقة بالأذن اليمنى
٣٤	السقعان	مطرق وكلوب	على الرقبة من يمين
٣٥	آل صويان	مطرق ورقمة	على الرقبة من يمين

(١) مقابلة مع ظافر بن حزام آل فاهدة، عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

تابع جدول رقم (٢):

م	اسم الفخذ	اسم الوسم	موقع الوسم
٣٦	الوتده	المطرق وكلوب واللقاف	المطرق والكلوب على الرقبة من يمين واللقاف في أعلى العرقوب وأسفل أنفه من يمين
٣٧	آل جرشب	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يسار
٣٨	آل سلمان وآل يحيى	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يمين
٣٩	آل فهيدان	مطرق وحلقتين	على الرقبة من يسار
٤٠	آل دبيس وآل عطيف وآل راجح	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يمين
٤١	آل شقير	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يسار
٤٢	آل عمر وآل باني وآل مزحم المباريش وآل غافل	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يمين
٤٣	آل شفران	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يمين
٤٤	آل راكان وآل سحمه وآل شايع	الحلقة ومطرق	على الرقبة من يمين
٤٥	آل بغاش	الكلاليب	منهم على الفخذ ومنهم على الرقبة من يمين أو من يسار
٤٦	بني صغير من ناهس	كلوب وعاضد	الكلوب على الخد والعاضد على العقد من يمين
٤٧		ومنهم من يسم المغزل	على الفخذ من يمين
٤٨	بني حويز من ناهس	العرقاة	على الفخذ من يمين
٤٩	آل ذيب من ناهس	مطرق وكلوب	على الفخذ من يمين
٥٠	كود(١) من شهران آل ضفدع	الحلق	على الرقبة من يمين
٥١	كود من شهران آل أبو عجله	مطرق ورقمتين	على الفخذ من يمين

(١) مقابلة مع سعيد بن محمد الصوع، عام(١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

تابع جدول رقم (٢):

م	اسم الفخذ	اسم الوسم	موقع الوسم
٥٢	كود من شهران الصقور	المغزل	على الرقبة من يمين
٥٣	كود من شهران الرساسمة	المغزل والعاضد	المغزل على الرقبة والعاضد على العضد من يمين
٥٤	كود من شهران الخضران	مغزل ومطرق (اللكاز)	المغزل على الرقبة والمطرق على الفخذ من يمين
٥٥	آل لعبان	مطارق	على الرقبة من يمين
٥٦	العواشز	مطرق وكلوب على شكل مغزل	على الرقبة من يمين
٥٧	آل سند	مطرق وكلوب	المطرقة على الرقبة والكلوب على الخد من يسار
٥٨	آل سعد	مطرق وكلوب	على الفخذ من يسار
٥٩	الحتارشة	مطرق وكلوب	على الرقبة من يسار
٦٠	آل حسن	الحنوه	على الرقبة من يسار
٦١	آل عيزرة	المطرقين ووسطها رقمه	على الرقبة من اليمين
٦٢	آل صبرة	مطرقين	على الفخذ اليمين
٦٣	آل فرسان	كلوب ومطرق	على الرقبة من اليمين
٦٤	آل شريم	العرقاة والكلوب والدلو	من اليمين على الفخذ وعلى الرقبة
٦٥	الدخن	الكلوب والمطرق	على الرقبة من اليمين
٦٦	آل مسعود	المطرق	على الرقبة من اليسار
٦٧	المشاعلة	الشاو	على الخد من اليمين قدام العين
٦٨	الزناعرة	حنوة ومطرق	على الفخذ من اليمين
٦٩	آل شبوة	المخطاف المشط	على الفخذ من اليمين
٧٠	آل مسفر	الكلوب	على الخد من اليسار
٧١	آل الخوير	حلقة	على الرقبة من اليمين وفوقها العاضد على الكرسوع
٧٢	آل خميسة	كلوب ومطرق	من اليسار ما عدا آل شويمان عن اليمين
٧٣	آل عيفان	الباب (قراعة)	على الرقبة من اليمين

تابع جدول رقم (٢): بعض الوسوم عند عدد من قبائل شرق منطقة عسير وتحديداً في بلاد شهران وقحطان[١].

م	اسم الفخذ	اسم الوسم	موقع الوسم
٧٤	آل بزمة	حنوه	على مقطع الرأس من الرقبة على الرقبة من اليمين
٧٥	آل مخثلة	حلقة ودامع	على الرقبة من اليمين والدامع على الفخذ الأيمن
٧٦	آل شايب	كلوب ومطرق	منهم من يسم على اليمين ومنهم من يسم على اليسار
٧٧	آل سعيد	حلقة	على الفخذ من اليسار
٧٨	آل سلطان	حنوه	على الخد الأيمن على الرقبة من اليمين
٧٩	آل زيدان آل ميراد	كلوب ومطرق	على الرقبة اليسرى
٨٠	الجرابيع الضلافيع	كلوب ومطرق	على الرقبة اليمين
٨١	آل كناد	كلوب ومطرق	على الرقبة اليمين
٨٢	آل سلطان	كلوب ومطرق	على الرقبة من اليمين ولكل فخذ شاهد
٨٣	آل قنفذ	كلوب ورقمه ومطرق	على الرقبة من اليمين
٨٤	آل جحيش	كلوب ومطرق وسم السليمان/ الحرقان	على الرقبة من اليمين
٨٥	آل جابر	كلوب ومطرقه	على الرقبة من اليمين
٨٦	آل بوجمعة	كلوب ومطرقه	على الرقبة من اليمين
٨٧	آل سالم والمصاليم	المغزل	على الرقبة من اليمين
٨٨	آل حارث	الباب	على الرقبة من اليمين
٨٩	النطعان	الكليليب	على الخدة اليمنى
٩٠	القراقحة	الدلو والمطرق	للقراقحة على الرقبة اليمين وللمصاليم على الفخذة اليمين
٩١	المصاليم منهم من يسم	الحلقة والمطرق	من الرقبة من اليمين ومنهم من يسم وسم الدلو والمطرق

(١) لقد اجتهدنا في تدوين هذه المعلومات الخاصة ببعض الوسوم عند بدو شهران وقحطان، أرجو من يجد أخطاء وقعنا فيها بدون قصد أن يوافينا بالعيوب والأخطاء حتى نصوبها. كما أن تاريخ الوسوم في منطقة عسير أو عموم السروات من نجران إلى الطائف موضوع كبير وجيد، ولا نجد عنه دراسات علمية دقيقة وجادة، فأرجو من طالباتنا وطلابنا في جامعاتنا المحلية أن يهتموا بهذا المجال، وحبذا أن نرى بعضهم يدرسونه دراسة علمية عميقة وتفصيلية.

يقسم البدوي الحليب الذي تنتجه نياقه بينه وبين الحيران ويرمز لها بشق للحوار وشق العرب، وعرف صراخ الإبل بالحنين، والرغاء للناقة ، والهديل للجمل(١). وتختلف أماكن رعي الإبل، باختلاف البيئة المحيطة بها(٢)؛ فمن أنواع المراعي ما يكون تربتها طميَّة، ورملية، وصخرية، ورسوبية، وبعضها تتعرض للانجراف بسبب نقل التربة والاحتطاب(٣).

تتأقلم الإبل مع التضاريس، وأن كانت بعض الأنواع تعيش في بيئة أفضل من أخرى، وتتنوع الأشجار والنباتات في بادية عسير، وتزيد عن الثمانين نوعاً . ومنها: الأثل، وأراك، وسحاية، وعوشز، والبشام، وجمباز، والحميض، والضبيان، وسلعة، والطلح، والوهط، وسمر، والكداد، وقتاد، والقطف، والشبرق، والسّنا ،ومرام، والعلقا، والخبيز، وحرمل، والزهر، والشرشر، وخزيمة، والقرمل، والرمث، وعيصلان، والشوحط، وقضوم الراعي أو(حب الرعيان) ، والصدر، وثنداء، وتنوم، واللبنة، ورقمة جريشا ، وعشر، والمرخ، والفعم، وغلفة، والعطف، والرخام، وخاتمي، وريف، وحنظل،ومكر، وخنيزة، وسرح، وتربة، والرمل، وشبرم، وخرشف، والمرار، والساف، وجثجاث، ومكب، ونصي، ونحل، والعنصل، والسعدان. وغيرها (٤). ومع كثرة الأشجار والنباتات أن فيها البعض غير مستساغة ، ولا ترعاها قطعان الماشية، ولا تفضلها في كثير من الأحيان مثل: السكرة، والحنظلة، واللبنة والعشر.

يغلب اللون الأبيض على الضأن، والماعز اللون الأسود، وأصحابها يعرفونها بأسمائها ، ومع كثرتها لا يصعب التفريق بين الشاة أو العنز وأختها، وذلك لوجود ما يميز كل واحدة عن الأخرى، فيطلقون عليها الاسم الذي يناسبها، ومن الألوان المختلفة التي يدعون بها أغنامهم: الشعلا ، والرقطاء، والسحما ، أو الصبحا ، أو الدرعا ، أو الغبثا ، والبقعا. وتوسم الأغنام في آذانها بواسطة آلة حادة أو شرخ من الأذن لاستحداث علامة، ومنها ما يكون بقطع جزء يسير أسفل طرف الأذن، وهناك الصلعاء إزالة ما يقارب من نصف حجم الأذن، أو إحداث شق مع طول الأذن (٥).

---

(١) مقابلة مع ناصر بن محمد العبدي الحبابي عام (١٤٣٣هـ/٢٠٢٢م).

(٢) محمد أبو اليزيد خلف. (الخروج في أثر المرعى تثليث الرعي والمرعى والرعاة) ، مجلة الجنوب، الغرفة التجارية بأبها، العدد (٥١).

(٣) مانع بن سعد النهاري ، ٨٩ ـــ ٩٠ .

(٤) سعد بن فرج خليفة، الأشجار والشجيرات في المملكة العربية السعودية ، الرياض: مطابع الخالد للأوفست ، ١٩٧٩م، ط٢، ٨٧. ونباتات جنوب المملكة العربية السعودية جديرة أن يُعمل عنها دراسات جغرافية ، وصحية، وتاريخية، ولغوية.

(٥) مقابلة مع محمد بن فهد آل بن علي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

٢ـ موارد المياه وسقاية المواشي ورعايتها :

قطعــان الماشية من إبـل وأغنام في حاجة ماسة إلى المــاء ، وإن كانت الإبل تصبر وتتحمــل، فالأغنــام قليلــة الاحتمال والصبر عن المــاء، واشتهرت باديــة منطقة عسير بكثـير من المياه والموارد والآبار ومنهــا ما يلي: (١) عقيلان يقع في أسفل بيشة في ناحية الشمــال الشرقي[١]. (٢) عقلان يقع في الميثب بين «تثليــث» وبيشة. (٣) مارد ضشوك عقرة شمال تثليث شرق بيضة. (٤) مارد جرير، شمال تثليث .(٥) مارد حبية، شمال تثليــث[٢]. (٦) عد الراطة: شمــال آبار ملح في تثليث.(٧) بئر طيب الاسم في الحصير وفي كحــلان شمال غرب تثليث.(٨) بئر العليــب. في الحصير شمال غرب تثليث. (٩) عــد الحنثريــة. في باطـن الصحفة بين تثليث وبيشــة شمال غرب تثليــث[٣]. (١٠) بئر الحفايـر شرق الثقب بالشمال الغربي لتثليث.(١١) بئــر الخاطبية. شرق بيضة شمال تثليــث في أسفـل المعرو. (١٢) مارد العين. وتسمى الآن عين قحطان شرق تثليث. (١٣) بئــر العــرج، بئر عذبة أخذت اسمها مــن شعيب العرج غرب جاشــ[٤].(١٤) بئر روية، من الآبار القديمة في جبال القنة، في بطن وادي رؤية السوداء أحد أودية القنة الرافدة لوادي جاش.(١٥) بئر العويضة، جنوب غرب جاش. (١٦) بئر الحمري، بئر قديمة في جبال القنة. (١٧) بئر المشاش، بئر قديمة في بطن وادي المشاش. (١٨) بئر دغيبجة. في قرية الروضة القديمة حفرها لإخوان في عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)[٥] (١٩) بئر ناشب، بئــر قديمة تقع في جــوف «وادي الثفن» الأوســط بين أبارق صغيرة جنــوب شرق سهل. (٢٠) بئــر العضبــط، في أعلى وادي العضبط. (٢١) بئــر الحفيرة. في بطن ادي الثفن الأسفـل غرب جبال الحمرة العليا، وتاريخ حفرها التقريبي في منتصف الستينيات من القرن الهجري الماضي[٦] .

تمثـل تلك الآبــار والمواد المائية، صمــام الأمان لأصحاب قطعــان الماشية من الإبل والأغنــام، وبسبب هذه المصادر المائية حصلت العديد من الصراعات والحروب، وأكثر مــا كان يؤجـج الفتن، ووقوع ما يعــرف بأيام العرب الصراع علــى المراعي وموارد المياه حتــى امتن الله على سكان هذه الجزيرة بالملــك عبدالعزيز (غفر الله له) وقطع دابر

(١) فهيدعبدالله السبيعي، مواضع بين بيشة وتثليث ، مجلة العرب ، ج٥، س٣١. (١٤١٦هـ)، ٣٨١ .
(٢) مقابلة مع زنيفر بن علي عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .
(٣) مقابلة مع مسعود بن عليان آل خميسة عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).
(٤) مسعود بن فهد المسردي، جاش عبق الماضي وإنجاز الحاضر، الرياض . [د. ن] ، ١٤٣١هـ، ٢٤٠ .
(٥) المرجع نفسه ، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢ .
(٦) المرجع نفسه ، ١٨ـ١٢٢ .

الخصومات والاحتراب[١] . ويوجد الكثير من الخطابات وقضايا الصلح التي أشرفت الدولة عليها من أجل حفظ الأمن وقطع دابر الفتن[٢] ففي إحدى الوثائق ورد ما يلي: « برفقة خمس رسائل نصائح من الشيخ عبدالعزيز بن باز لأهالي طرفكم»، وهي خطاب صادر من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز (الملك فيصل فيما بعد) موجه إلى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية، وصورة منه لأمير أبها فيها: « وسبق أن أبرق أمير آل عاطف... لأنظار جلالة الملك يقول: إن بلاده العين بالقرب من حد يام وعلى طرف من الربع الخالي من جهة الشرق وبعيدة عن المراكز، وقد كثر فيها السرقة، ولا يوجد من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فالتمسوا تعيين نقطة دورية بهذه المناسبة تحفظ الأمن، وبسؤال أمير أبها الذي تبعه هذه الجهات أجاب بوجاهة هذا الطلب، وأن العين هذه مورد للبادية من قحطان ويام والدواسر يحلون عليها في القيظ ويبارحونها في الشاء ويحيط بها جبل القهرة[٣] .

في هذا الجزء من الوثيقة يتضح اهتمام ولاة الأمر في وقت مبكر بطلبات المواطنين ومشائخ القبائل فهذا أمير آل عاطف (ناشر بن محمد) يرفع ماتعانيه بلاده العين، ويجاوب أمير أبها بأن أمير آل عاطف في طلباته التي تقدم بها لها وجاهة، ويوضح أن العين مورد ماء ترد عليه قبائل قحطان ويام والدواسر. ويتضح أن العين كانت في فصل الصيف تعاني من ازدحام القبائل بقطعانهم في هذا الموضع، ويُدلي باقتراحه ويكتب أن هذه الناحية من توابع مركز «تثليث» وتبعد عنه بنحو مائتين وخمسين كيلومتراً من الجنوب الشرقي، واقترح تأسيس نقطة أمنية لا يقل عدد أفرادها عن خمسة عشر نفراً، ويعين لهم أميراً براتب مناسب، ويعطى لهم أربع خيام وسيارة للقيام بالمهمات الرسمية، وتكون مراجعتهم مع أمير تثليث، وقد صدرت الموافقة الملكية الكريمة على تأسيس المركز المقترح[٤] .

---

(١) حملت الذاكرة الشفهية الكثير من الأحداث والصراعات على موارد المياه والأراضي الخصبة في البادية أو في الحاضرة في منطقة عسير وغيرها من بلدان السروات وتهامة ، وهذا الأمر الذي كان منتشراً حتى قيض الله لهذه البلاد الملك عبدالعزيز؛ فاستتب الأمن والأمان وانتهت هذه الصراعات، انظر: مسعود المسردي ، ١٠٨ .

(٢) الكثير من الوثائق نصت على حفظ الأمن، وتوعية الناس، وتوضيح حرمة الدماء والأموال والأعراض، ومن ذلك الوثيقة رقم (٣/٣٧٠) والمحفوظة في مكتبة الباحث ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي. وهي خطاب من الملك سعود عندما كان ولياً للعهد موجه لأمير عسير في (١٧/٤/١٣٧٠هـ/٢٤/١/١٩٥١م) . ومازال هناك آلاف الوثائق الأهلية والرسمية التي تشتمل على مواد علمية جيدة وجديدة، وتعكس مسيرة الدولة في توطيد الأمن في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، وهذه مصادر تستحق أن تدرس في كتب ودراسات عديدة.

(٣) وثيقة رقم (٣/٣٦٢) في مكتبة الباحث مصدرها مركز ألمع لصاحبها الأستاذ محمد بن علي عبدالمتعالي.

(٤) المصدر نفسه .

في وثيقــة أخرى يتضح وجود خلافات عميقة بين مجموعــة من قبائل البادية حول أحقيتهم في أحد الأودية، ووصل النزاع إلى إحداث فتنة، حيث جاء في نص هذه الوثيقة [نحن الموقعون أدناه أمراء .... نقر، ونعترف بأن جر وادي تثليث فيه شركاء خصوص المــاء، مــا أحد يختص بشــرع دون الثاني، وكل من احتاج إلى المــاء في جر تثليث يحفر، ويشرب ولا يمتلك، ولا يمنع أحداً من المسلمين، ومن كان له في جوانب تثليث ملكاً سابقاً ثابتــاً شرعاً مثل صاحب النخلة والجدار مثــل الحمضة ورغوان وبلاد آل مسعود وبلاد المشاعلــة، وبــلاد آل سويدان، وبلاد آل سعد وبلاد آل شبــوة التي بجوانب «تثليث»، فكل ملــك متقــدم ثابت شرعاً؛ فهو لصاحبــه، وأما جر تثليث من أعــلاه إلى أسفله؛ فهو لم يختصــ به أحد دون أحــد، لقول الرسول ﷺ (الناس شــركاء في الماء والكلأ والنار)، وجــر تثليث علــى عوائده السابقة، ومن يمنــع فضل الماء فهو يستحــق الجزاء والوعيد، وذلك الــذي قررناه وتراضينا عليه برضائنا واختيارنــا. ونشهد على أنفسنا من حضر المجلس ....، ولذا حرر (٧/٩/١٣٧٠هـ/ ١١/٦/١٩٥١م)].

في ظهر الوثيقة السابقة ورد ما نصه: «... الحمد لله وحده حضر لديَّ أمراء ونواب الجحــادر أهل تثليث من قحطان وأقروا واعترفوا بمــا اتفقوا به في الورقة المرفقة بهذه على جر تثليث على عوائده السابقة، وأنهم شركاء فيه، ولا يمنع أحدٌ أحداً، ومن خالف ذلك فهو يستحق للجزاء والعقوبة ولذا حرر (٧/٩/١٣٧٠هــ ٦/١١/١٩٥١م) [١].

لم يكن دور الدولة فقط حفظ الأمن، وقطع دابر الفتن بين أبناء البادية على موارد الماء التي تعتبر مهمة لحياة الإنسان والحيوان، بل كانت تسعى إلى حفر الآبار وتعميرها، ومــن ذلك ما قام به الإخــوان عندما حفروا العديد من الآبــار أو إعادة حفرها في عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م). ونجد في خطاب صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز ابــن عبدالرحمــن الفيصل ولي العهــد (الملك سعود فيمــا بعد)، إلى تركــي السديري أمــير عسير وملحقاتها في عــام (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، حيث ورد فيــه : (السلام عليكم ورحمــة الله وبركاته، وبعــد، وصل إلينا كتابكم رقــم (٤٩٤٢)، وتاريخ (٧/٨/١٣٦٨هـ - ٣/٦/١٩٤٩م)، ومــن طيه قاضي تثليث وأميرها عمــا يلزم من المبالغ لإنشاء مسجد وبئــر في جاشــ، وقد عمدنا وزارة المالية بإجراء ما يلزم للقيام بذلك هذا ما يلزم بيانه والسلام»[٢].

(١) الوثيقة رقم (٢/١٦٢) في مكتبة الباحث ومصدرها مركز ألمع لصاحبه محمد بن علي آل عبدالمتعالي.
(٢) المصدر نفسه.

في وثيقة أخرى ما يلي:» حضروا عندي كود وآل معمر من طرف ما شجر بينهم على الماء»، وفيها ذُكر حكم القاضي سعد بن محمد بن سعدان لأشخاص من القبيلتين تشاجروا بسبب الماء وأوضح مقدار كل منها، وذكر بأن المدعين إن ثبتت دعواهم بالبينة وإلا فهم في الماء سواءً، وهي مؤرخة في (٢٥ شعبان١٣٥٤هـ ـــ٢١نوفمبر١٩٣٥م) [(١)].

إحضار الإبل إلى موارد المياه لها أسماء وصفات لمواعيد سقايتها، ومن ذلك:

(أ) الغب : تُسقى الإبل في اليوم الأول، ثم يقومون بمنعها من الشرب في اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث ترد على الماء مرة ثانية. (ب) تُسقى في يومهم الأول، ثم تمنع من الشرب لمدة يومين ورابع يوم يقومون بإيرادها على مورد المياه. (ج) تسقى الإبل في يومها الأول، وتُمنع من الشرب لمدة (٣) أيام، ثم خامس يوم تشرب الماء. (د) والسدس، وكذلك السبع تسقى في اليوم الأول ثم تشرب بعد ستة أو سبعة أيام[(٢)] . وربما كان سبب هذا التوزيع والترتيبات لشرب المياه كثرة الإبل والخوف من ازدحام القبائل على موارد المياه، ولضمان العدالة في توزيع الماء على أصحاب الإبل بما يكفل حصول قطعان الإبل على الحد الأدنى من الضروريات لاستمرار الحياة .

ومن موارد المياه العيون، أو الآبار المحفورة، والغدران ومفردها غدير: وهي مواقع تجمع المياه التي تخلفها السيول عقب الأمطار[(٣)] . ويقوم الرعاة برعاية وسقاية الإبل الجل والعشائر والخلفات بدون حيران ويقصد بالجل كبار الإبل، وهناك دق الإبل وهي صغارها إلا الحيران فتبقى حول البيوت (بيوت الشعر) ، ويبقى معها ناقة كبيرة أو فحل، يسمى بـ (المقهور) [(٤)] .

الثروة الحيوانية قوام حياة أهل البادية، والإبل ليست للركوب أو للحمولة، بل مصدر رئيسي للحليب واللحم والصوف والجلد. وهي مصدر أساسي للدخل من خلال الاتجار بها نقداً أو بالمقايضة[(٥)]. والأبناء والبنات في البادية يمارسون مهنة رعي الأغنام، وإذا استأجروا من يرعى لهم، ففي الغالب يستقصون أخباره والبحث عمن يزكيه، ويُثني على أمانته ونزاهته، وأنه إنسان مبروك يتمتع بالفال الحسن، والبدوي بطبيعته سريع

(١) الوثيقة رقم (٢/١٦٣) في مكتبة الباحث ومصدرها مركز ألمع الثقافي .
(٢) مقابلة مع مبارك بن علي العاطفي عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) والشيخ ظافر بن مسعود عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). وآخرون.
(٣) مقابلة مع عبدالله الرباع آل جميح عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .
(٤) مقابلة مع مانع بن عائض بن زهرة عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .
(٥) مقابلة مع حمد بن مانع بن هطيل عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

التفاؤل سريع التشاؤم بالأحداث التي تمر به أو بالأشخاص الذين يتعاملون معه [١] . ويوفر للأجير ما يحتاجه من الغذاء والماء قبل خروجه مع قطعان الماشية أو يرسل له الطعام وهو في المرعى، وعند عودته يكون عشاؤه جاهزاً ، أما أجرته فيتم الدفع له وقت تمام الإنتاج من الإبل أو الغنم حسب ما تم الاتفاق عليه، واستيفاء حقوقه تكون على تمام الحول[٢] .

عند شروق الشمس يكون الراعي قد وضع على ظهر دابته الجلال، غطاء يقيها القروح من أثر نقل الأغراض والركوب، ويربطه بالبطان قطعة من القماش تشد إلى بعضهما من تحت بطن الذلول، ويجعل ما يُعرف بالسفيفة، حبل من الغزل المجدول يثبت تحت عجب الذنب وفوقه الخرج المنسوج على شكل كيسين يقال لهما: النّخالتين أو الصرعتين يضع في إحداهما الطعام، والأخرى قربة مصنوعة من جلد الماعز الصغير[٣] . يتجه الرعاة بقطعانهم متمهلين إلى (المراعي) لا يتعجلون المسير كي لا تتعب، ويجري مراقبة آخر القطيع حتى يتلاحق مع أوله؛ فإن تباعد آخره توقف السير حتى يجتمع، وإذا وصل الرعاة إلى مكان الرعي حطوا رحالهم وقاموا على رعي بهائمهم [٤] .

لا يمكث الراعي في مرعىً واحد وقتاً طويلاً؛ لأن الماشية تسأم الكلأ والمكان بل يغير مكانها بين وقت آخر ويتحسس الراعي الأرض الطيبة، وتُعرف عندهم بـ (البر) ، ويبتعد عن الأرض الوخمة والماء الآسن الراكد، والراعي ليس مهمته فقط الحرص على تغذية القطيع والاهتمام به بل معالجته ومعرفة وقت الإنتاج، وإذا ولدت يصرف كل حوار وأمه من النياق[٥] . ولمهنة الرعي أسماء وأوقات، ولها (سراح) في الصباح الباكر، و(المضحى) قبل الظهر، و(القيال) ، من ظهر إلى قبيل العصر، وبعد العصر يُعرف بـ (الوجاهة) أي توجيه الحلال أو الإبل أو الأغنام إلى المراح أو المبيت[٦] .

أهل البادية والرعي متلازمان لا ينفصلان عبر أطوار التاريخ. والرعي من الحرف المهمة في المملكة العربية السعودية، ومصدر أساسي من مصادر الاقتصاد للدولة قبل ظهور النفط.. ونجد الرعاة وأهل الماشية في بوادي شرق منطقة عسير وعموم السروات وتهامة أمدو الأسواق باحتياجاتهم، ويجلبون ما يحتاجونه من أغراض في حياتهم[٧] .

---

(١) مقابلة مع ناصر بن صليح آل قريش في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٢) كان الناس قديماً هم الذين يقومون على رعي مواشيهم، وبينهم طرق عديدة من التعاون في ممارسة مهنهم.

(٣) مقابلة مع حمد بن مانع بن هطيل عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) فوزان بن حمد الماضي، الإبل السلوك والطباع، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، (١٤٣٨هـ) ١٩ و٢٢، و٥٠.

(٥) مقابلة مع صالح بن مريط آل حويل عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٦) مقابلة مع محمد آل شايب عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) مركز عين قحطان محافظة تثليث .

(٧) اتضح ذلك في عدد من الوثائق التي تخص الزكاة وجمعها والكشوفات المعدة لإحصائها وتتبع ومعاقبة المتأخرين أو المتهربين عن أدائها. والحديث عن الحياة الاقتصادية قبل ظهور البترول من الموضوعات

٣ـ الغزو ودوره في اقتصاد البادية[١] :

قبل البدء في الحديث عن الغزو لابد أن نتعرف على علاقة البدوي بالبادية وشركائه في المجتمع البدوي، وسنعرف مشروعية الغزو بين القبائل، فالبيئة البدوية تمر عليها أعوام من الخصب والرخاء والوفرة في الماء والكلأ، وأحياناً يعصف بها الجفاف وقلة الماء والكلأ وهلاك الإنسان والحيوان. ونجد ابن خلدون يصف البدو والغزو بقوله» أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة، وكان عندها ملذوذاً لما فيه الخروج عن ربقة الحكم، وعدم الانقياد للسياسة»، ويستمر في شرحه حتى يأتي إلى التعرض للغزو فيقول: « فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه». ثم ينتقل إلى وصف آخر لهم فيقول: «إنما همهم ما يأخذونه من أموال الناس أو غرامة.»[٢] .

في وصف ابن خلدون تهجم على البدو، وإن كتب مصطلح (العرب) إلا أنه لم يقصد العرب بالمعنى الكبير بل يعني البادية، وهذا ما جعل البعض يظن أن ابن خلدون كان محاربا للعرب، ومفضلا لغيرهم وهذا الأمر ليس محل بحثنا، وسنتناول الغزو، وما يُبنى عليه من سلب، أو الحروب في سبيل الكسب أو الدفاع عن قطعان المواشي أو موارد المياه أو الأراضي المخصصة للرعي، أو التوسع على حساب الغير، وظهر محاربون أشداء وقبائل ذات سطوة أجبرتهم حياتهم القاسية على حماية مواردهم الاقتصادية، أو التوسع سعياً في تنميتها. وما كان للغزو من أدبيات وخطط وتوزيع للمكاسب، جعل المتأمل يقف منبهراً للذكاء والشجاعة وبعد النظر عند البدوي أثناء قيامه بالغزو، وكذلك المروءة والترفع عن دناءة الأخلاق أو هتك المحارم والأعراض، وحتى القتل

المهمة، ولهذا الباب مصادر ووثائق منشورة وغير منشورة. واعلم أن في مؤسسات الدولة والكثير من السجلات، والإحصائيات، والتقارير، والمذكرات التي تحتوي على معلومات لها صلة بحياة الناس وبخاصة الحياتين الاجتماعية والاقتصادية.

(١) الغزو من العادات التي ارتبطت بالبادية بشكل خاص، والمجتمع القبلي عموماً، ومن مصادر الفخر، وأغلب مراجعنا من الروايات الشفهية وبعض الوثائق والكتب العامة. ويوجد بعض الكتب التي عالجت وتناولت الغزو والبادية في المملكة. للمزيد: انظر سعد الصويان، الصحراء العربية،٨٢ـ ٨٣، علي عفيفي غازي، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، بيروت، دار الرافدين للطباعة والنشر، ٢٠١٦م، ٢٢، وعبدالرحمن العريني، بادية نجد من القرن العاشر الهجري إلى سقوط الدرعية (١٢٣٣هـ/١٨١٨م) ، سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية. الرياض، مطابع جامعة الإمام.

(٢) ابن خلدون، ج٢، ٤٥٤. وانظر كذلك، سلسلة محمود محمد عبدالقادر، منهجية ابن خلدون في تدوين السيرة النبوية وتفسيرها، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٣١هـ، ٧٢ـ٧٤.

لم يكونـوا يستزيدون من ارتكابه، فلكما استطاعـوا الوصل إلى مقاصدهم الاقتصادية بـدون سفـك للدم فعلوا ذلك. وكان الغـزو مدعاة لفخر القبيلة الغازيـة أو القبيلة التي تتأثر لما أصابها[١].

مـن دوافـع الغزو رد المسلـوب، والقيام بغـزو الأعداء واسترداد المـال المنهوب من الإبـل والمواشي، بالإضافة إلى أخذ أموال المعتدين، وذلك من باب العقوبة وإثبات القوة وتلقينهم درساً لا ينسونه وجعلهم لا يتجرؤون على تكرار ذلك مرة أخرى[٢]. ويستخدمون مـا يعرف بـ (النكـف) أو النكايـف، وتقوم القبيلـة بالاستعانة بعدد مـن القبائل التي تربطهـا رابطة الـدم أو رابطة حلف على غزو قبيلة معينة كانـت ذات قوة ومنعة، وبعد نجـاح الغـزو يبدأ أبنـاء القبيلة التي تعرضـت لهجوم من عدة قبائـل باستخدام نفس أسلوب (النكايف)[٣]، ويتم ذلك بأخذ مجموعة من الإبل يربطون في أعناقها ما يعرف بالشليل، وجمعها شلايل، وهي قطع قماشية سوداء، ثم يركبونها الرجال ويستصرخون بأبنـاء عمومتهـم وطلب العون ضـد أعدائهم، وهذا الأسلوب لا يقـع إلا بعد أن تتعرض قبيلـة ما لاعتداء، ويكون المعتدي مرتكباً محظـورات في عرف القبائل، وتعرف عندهم بـ (المعيبـات). مثل قتل النساء والاعتداء على جار القبيلة الأجنبي وأخذ ممتلكاته من المواشي أو قتله، وقتل الجاني أو الخال أو الخوي، أو الأطفال، أو المرغل[٤].

يظهر المستصرخ لأبناء العمومة على الذلول، والشليل مربوطاً على عنقها، ويعطيهم تفاصيـل الغزو الذي تعرضوا له، والإجابة التقـدم وقطع الشليل من عنق الذلول. وتلك علامـة تـدل على الغضـب والوعد بالنصـرة والمساعـدة للمعتدى عليهـم. ومن دوافع الغـزو ما عرف بغـزو البطرة[٥]. فتقوم قبيلة بمفردها دون وجـود من يسندها بالغزوة أو المغـازي من باب الطمع وإظهـار القوة والنفوذ وصقل مهارتهـم ومواهبهم القتالية. وسعيـاً إلى الصيت وتنمية مواردهم الاقتصادية المتمثلـة في قطعان المواشي من إبل أو غنـم أو ما يُعرف بقلايع الخيل، والقليعة من الخيل بعد أن يقتل فارسها أو يسقط عنها

(١) للأسف كان ذلك ديدن القبائل في جزيرة العرب قبل توحيدها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل.
(٢) مقابلة مع محسن بن فهاد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
(٣) مقابلة مع مبارك بن علي العاطفي عام(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
(٤) مقابلـة مـع مسفـر بـن عوض بـن جفشـر عـام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ومقابلة مـع محمـد آل شايب عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
(٥) مقابلة مع محمد آل شايب عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). وغزوة البطرة عرفت بغزو الكسب وغزو الطمع وذلك وصف لغزوات التعدي التي ليس لها سبب مقبول من حماية المال أو العرض، وأقصد مقبول في عرف الغزو، وإلا فالاعتداء على المسلم حرام مهما كانت الأسباب والدوافع.

سواءً كان جريحاً أو أسيراً[١]. وهناك غزو بسبب دوافع الجوع والجفاف والقحط وقلة الأمطار وهلاك المواشي، فيكون دوافع الغزاة الصراع من أجل البقاء[٢]. وعرف غزو احتلال الأراضي، ويسمى الغزو بالطعن والطعينة، فتخرج القبيلة من أرضها بجميع أفرادها من أطفال ونساء ورجال وممتلكاتهم وبيوتهم. وتدخل إلى أرض خصبة ليست من أملاكهم، ويبنون بيوتهم ويعلنون ملكيتهم لها، ويقومون بطرد من فيها بقوة السلاح عنوة، ومن أنواع الغزو استرجاع الأموال المسلوبة، والأخذ بثأر القتلى، وإجلاء الذم وجمعها الذموم. عندما يتعرض الجار، أو الخال، أو أحد الأصهار والأنساب أو ما يعرف بـ (العاني) للاعتداء سواءً على نفسه أو ماله، وهؤلاء الأصناف لهم قدسية كبيرة عند البادية، حتى أن القبيلة الغازية إذا انتصرت وساقت غنائمها، واتضح أن من بين هذه الغنائم المتمثلة في قطعان الإبل أو الغنم شيئاً يخص إحدى بنات قبيلتهم عند القبيلة المغزية، فإن الغازي يقوم بإرجاعها، وهذا الحلال الذي رده يُعرف في مصطلح البادية بحلال الشوفة، يقول أحد الشعراء في ذلك:

لـولا فيدنا يا ربعنا ما جابه إلا الضرب والفرادعي
ذمنا يا ربعنا (...) يا جعلها النكاعي
هم راح في ا لحرب كل مجرب ياكل ضوء للشنف هزاعي[٣]

وهناك غزو البيرق[٤]: الغزو بأكثر من قبيلة، وهو أكثر حالات الغزو عدداً في أعداد الفرسان من خيالة وهجانة والسقمان. أي المقاتلون المشاة (الرجالة)، ويُطلق على هذا الجيش الغازي تحت البيرق اسم (القيمان)، ويتكون من ثلاثة أركان هي: (أ) العقيد، القائد العام للقيمان أو رئيسها والآمر الناهي، وقائد المعركة الذي ينصاعون لأوامره وتوجيهاته. (ب) الضمين، الذي يضمن ما يعرف بالقيد، أي (الكسب) أو الغنائم وعليه أن يضمن حق كل غاز، وحقوق من لهم حق في الغنائم، ولو لم يكن مشاركاً في المعركة أو المعارك كبعض مشائخ القبائل أو الفرسان الذين تقدم بهم السن، وكان لهم مكانة فيحفظون مكانتهم رغم عدم مشاركتهم. (ج) حامل البيرق، وكان لكل قبيلة راية

---

(١) مقابلة مع فالح بن شعوان عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
(٢) مقابلة مع سعيد بن عواض آل كناد عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .
(٣) مقابلات مع كل من قبلان بن بجاد عام(١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وسعد وهياف أبناء سالم عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وسعد بن عنون عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .
(٤) مقابلة مع محمد بن فردان عام (١٤٤٠هـ)، وعبدالله بن حسين بن فجعة عام (١٤٢٧هـ) ، وهادي بن حسن آل مهمل في عام (١٤٤١هـ /٢٠٢٠م) .

وشعار، ولها عزاوي خاصة بها ونادب وصارخ يُعرفون بها عن غيرهم من القبائل وسبب غـزوة البـيرق، وحمله أي خلاف أدى إلى وجـود نية للغـزو، إلا أن القبيلة العازمة على الغزو تخـبر أعداءها بنيتها بالغزو، وتحدد وقتـه، أو أن أخبار استعداداتهم قد وصلت لأعدائهم لكبر الاستعداد وكثرة المشاركين في الغزوة[١] .

غزوة تتكون من عقيد وضمين وعدد محدود من المقاتلين أو الغزاة بدون رفع البيرق، وبـدون علم القبيلة المـراد غزوها ويسيرون ليـلاً ، ويخفون أنفسهم نهـاراً حتى يقومون بالهجوم على أعدائهم ، وأن كان وقت هجومهم في الصباح سمى غزوهم (صِباح) ، وإن كان في المساء سمي (الهجاد) ، أو (البيات) ، والبيات المصطلح الأكثر تداولاً[٢] . وعرف البـدو غزو الحنشل، وهم مجموعة من الأشخاص الذي يكمنون في النهار، وينتشرون في المساء للتواري عن الأنظار، وعدم كشف أمرهم[٣] . وفي ذلك يقول الشاعر:

دبـــرة بـين الجـحـادر والحـبـاب ديـــرة حنشـولـها مـا مـاج منـهـا

من أنواع الغزو تلبية طلب الحاكم، حيث يقوم بالإرسال إلى مشائخ القبائل ونوابهم ليخرجـوا غزوهم ويسمى هذا الغزو الشوكـة، وفي كل قبيلة مسؤولون عن الغزو يُسمون (معدلـة) ، مشتقة مـن العدالة يقومون باختيار من يجب عليهم سهم الغازي. وتحديد الغـزاة مرتبطـاً بالوضع الاقتصادي للقبيلة، ويتضح ذلك من خـلال أداء الزكاة سواءً قبائل البادية أو أهل الحواضر والأرياف.. وإعداد الغزاة مرتبط بغنى القبيلة من عدمه، ويتـم تجهيز الغازي مـن راحلته وسلاحه وبندقية ورصاص وكذلـك تأمين طعامه. وفي توزيـع الغزاة تظهر الوثائق أعداد الغزو؛ فنجد أن إحدى القبائل عليها من الغزو واحد إلا ربـع أو واحـد ونصف، فتقوم القبيلة بتجهيز الغازي ومـا زاد عنه من أجزاء الواحد يقومـون بدفعه نقداً أو عيناً حسب ما يتم الاتفـاق عليه بين الحاكم أو مندوبه والقبائل المعنية بإخراج الغزاة. وهذا الغزو لم تظهر تنظيماته وأعداده وترتيبه إلا في عهد الملك عبدالعزيـز آل سعود إبان توحيد المملكة العربية السعودية أو في حرب اليمن للدفاع عن المملكة. ووجدت وثائق تناقش هذا النوع من الغزو. ففي إحدى الوثائق « بيان تفريق غزو بموجـب تفريق الأمناء الذين تراضوا عليها الأمراء والنواب والعقال» وفي نهاية الوثيقة ورد « جملة الجميع سبعمائة غازي المحرر أعلاه قبيلة بقبيلة قد صار تفريقها بمعرفتنا

(١) المصدر نفسه .
(٢) مقابلة مع علي بن تويم آل عنون عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، وناصر بن فارس الشواطي عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) .
(٣) مقابلة مع عيد بن جربوع الجروي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

يا أمناء ليكون معلوماً وبالله الاعتماد في (٢٠ذي القعدة ١٣٥٥هـ/١فبراير ١٩٣٧م) [١].

من آليات الغزو وخططه يبدأ اجتماع يعرف باسم (البريزة)، أو (المشورة). لاختيار شخص يُعرف بالدرويش أو الشفلوت، وهذا الاسم للتورية عن مهمته الرئيسية، وغالباً لا يكون من أفضل القوم، لكنه لابد أن يتسم بصفات الذكاء والفطنة. وتجعل أعين الأعداء لا تهتم بشأنه، ولا يُعرف باسم قبيلته، ويكون متنكراً بأزياء وهيئة تجعله في نظرهم بعيداً عن الشك، ومهمته معرفة وضع الأعداء العام، أعداد رجالهم، وبيوتهم ومواقعهم وقوتهم، وموارد الماء وأعداد خيولهم، وأماكن تجمعهم وتعرف أماكن مواشيهم ومراتعها، وأعداد الرعاة وهل معهم من يحميهم أم لا ومدى قوتهم ، وبعد الحصول على المطلوب يعود إلى أهله وقبيلته ويخبرهم بكل ما شاهده وعرفه، ثم تعقد المشورة بين رجال القبيلة، ويتداولون الرأي ثم يتفقون على خطة موحدة، ويختارون منهم رجلاً على أن يكون عقيداً للغزو، ويجب أن يتصف بالشجاعة، وحسن سيرته مع قبيلته، والسلوك الطيب[٢]. ومن شروطهم أحياناً ألا يشارك معهم في الغزو من اتصف بعقوق الوالدين، أو عرف عنه ترك الصلاة، حتى لو عرف واشتهر بأنه ذو حظ، ويعرف بـ (كبير البخت)، ويسمونه (المشبب) [٣]. وقبل تحرك الجيش بيوم، يقول أحد الشعراء القدماء من البادية.

قدها ضني بالغنى غزواً غزو ميتعب أطلعوهم عشرين رجالي[٤]

عُرفت طلائع الجيش للاستكشاف، والتأكد من خلو الطرق المؤدية إلى أعدائهم من الكمائن أو الحراس الذين يراقبون الطرق، وفي الغالب يكون عددهم ثلاثة، ممن عرف عنهم الذكاء والشجاعة ومعرفة الديار والدروب بشكل مفصل. وأحياناً يزيد العدد حسب كبر الغزوة وبعد المسافة وقوة القبيلة المراد غزوها، ومن أعمال هؤلاء الطلائع إذا افترضنا أن عددهم ثلاثة رجال فقط، فيقوم الأول باستجلاء الطرق والمراتع، والتأكد من خلوها من حُراس أو كمائن في المناطق المحيطة بمراعي المواشي

---

(١) الوثيقة رقم (٢/٣٥٢) في مكتبة الباحث ومصدرها الشيخ عبدالله بن فهد بن دليم شيخ شمل قحطان وادعة. لقد اطلعت على مئات الوثائق التي تحتوي على معلومات كثيرة عن نظام الغزو والغزاة في بلاد تهامة والسراة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، حبذا أن يجمع هذا النوع من الوثائق ثم تدرس وتنشر في عمل علمي جاد ورصين.

(٢) مقابلة مع سعيد بن عواض آل كناد، عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ومقابلة مع سعيد بن جردان آل مهمل عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). وهادي بن حسن آل مهمل عام (١٤٤١هـ) .

(٣) مقابلة مع الشيخ دليم بن عجيم عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .

(٤) مقابلة مع الشيخ دليم بن عجيم عام(١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

سواءً أكانت إبلاً أو غنماً، والإبل تسمى (الذيدان)، والغنم بالنشر، أما الاثنان الآخران يكونـان في موقع آمن كل واحـد منهم في موقع خاص. وغالباً يكون أحد الثلاثة في مكان وسـط واستراتيجي ويخبر رفاقه بما وجد، وهما أيضـاً يخبرانه بما لاحظاه أو شاهداه من تحركات أو رعاة أو قطعان مواشي، أو أي ملاحظة أخرى. وبعد جمع المعلومات المهمة والصحيحة يذهبون إلى العقيد ومن معه في مقدمة الجيش ويخبرونهم بما عندهم من أخبار، ثم يبدأ الجيش بالهجوم على قطعان الماشية سوءاً أكانت إبلاً أو ضأناً أو ماعزاً ويحاولـون أن يستاقوا الفحل، وتركيزهم يكون عليه؛ لأنهم إذا ظفروا به فالإبل الأخرى سـوف تذهب خلفه بدون عنـاء [(١)]. ومن واجبات مقدمة الجيش استياق قطعان الماشية التـي تعتبر غنائـم، وذات أهمية، ويحثـون في الرجوع المسـير إلى مضاربهم، وهم إما خيالـة، أوهجانــة أو مشاة. والجزء الآخر من الجيش يعـرف باسم قطاعين الملاحق أو قطاعين الطلب. أو حماية التالي أو العقاب أو المخلا [(٢)]. ويقول الشاعر في ذلك:

انـصـر قـعـمـط[(٣)] يـا وايـ العـد حـامـي الخـيـل بـعـقـابـهـا[(٤)]

إن البـدو يرتحلون من أجـل الماء والكلأ وربما استقروا في فصل الشتاء في الأماكن المتسعـة الرمليـة (الصحراويـة). وفي الصيـف أو القيـظ ينزلـون علـى مـوارد الماء القريبـة من الجبال والأماكن المرتفعة؛ وحيـث أن الصحراء أرض مفتوحة لا يوجد بها أماكـن طبيعيـة تساعد على الالتجاء بها، فـإن البدوي يقوم بتعبئـة وعاء جلدي يسمى (الزمالة)، يتسع إلى خمسين كيلو يقومون بتعبئته بالرمل لتشكل لهم متاريس تحميهم من الطلقـات النارية لأعدائهم وتعين على الدفاع عن أنفسهم ومضاربهم. أما في حالة وجودهم بالقـرب من المرتفعات فهم يتحصنون فيما يُعرف بالمحاجي ومفردها المحجا أو الحجية، حجارة مبنية على أشكال حجرات صغيرة تكفي لشخص واحد أو اثنين وقد وصف أحد الشعراء هدمه لمحاجي أعدائه فيقول:

فـلـه لـيـعـنـاك هـدمـنـا حـجـايـهـم ودميهم في نحى الفرضا في نساعي[(٥)]

---

(١) مقابلـة مـع سعيـد بـن عويـرة عـام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). وفراس بـن عبدالرحمـن بـن رقعـان عـام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

(٢) مقابلة مع محمد بن إدريس عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٣) قعمط: اسم شيخ في سراة قحطان.

(٤) الشاهـد هنا في (حامي الخيل بعقابها) هي أخطر مهمة دفاعية وبها مكاسبه وغنائمه ودائماً لا يكون لها إلا أشجع الرجال.

(٥) مقابلة مع كل من عيد بن جربوع عام (١٤٣٣هـ/٢٠١١م) ومبارك بن علي العاطفي عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

تخريب المياه أو موارد الماء من خطط الغزو عند البادية، وذلك بهدمها أو دفنها أو قتل الحيوانات وتلويث المياه، والهدف إضعاف أعدائهم، أو منعهم من اللحاق بهم، وفي ذلك يقول أحد شعرائهم بعد أن استطاعوا الثأر من أعدائهم الذين قتلوا رجالهم وسلبوا أموالهم وخربوا موارد المياه الخاصة بهم:

هذا قضى هيه الرقين يا(...) هبنا لكم في الرخيلة خبته البالي
المال بالمال وأما الماء قضى في الماء وأما الرجاجيل فاطولات للتالي[(١)]

يُمنع خلال الغزو قتل النساء أو ضربهن أو التعرض لهن، وكذلك الأطفال، أو الاعتداء على (المرغل)، والرجل الطاعن في السن الذي لا يقدر أن يحمل السلاح الأعزل، وأصحاب المهن اليدوية لا يتم الاعتداء عليهم، ولا يؤخذ من بيوتهم أي شيء من أملاكهم[(٢)]. ويمنع عقر المواشي، وقتل المنيع أو التعدي عليه: والمنيع المغلوب الذي يؤمنه الغالب، أو يقول الغالب للمغلوب: (أنت في وجهي)، ويُسمي نفسه، فيقول المغلوب (عليها الله) فيرد الغالب (عليها الله وأمانه)، ويؤخذ سلاح المنيع وذلوله أو فرسه، ويترك لحال سبيله أو يصحبهم ويكرمهم ثم يطلق سراحه[(٣)]. ومن المعلومات سلب سلاح الرجل بعد قتله يُمنع أخذه إذا كان الاثنان كليهما من قبيلة واحدة، ولكن لأسباب معينة أدت إلى وجود فتنة وقتال بين عشيرتين من عشائر هذه القبيلة، أو قبيلتين فرعيتين من أصل قبيلة واحدة فهذه أيضاً من الممنوعات[(٤)].الاعتداء على (الصليح) والصليح[(٥)]. مشتق من الصلح، ولا يقصد بذلك من يتم معهم الصلح بشكل دائم بل مبنية عند البادية على عرف (البدع والقطع)، عندما تسقط الأمطار على ديار قبيلة ما، فيعم الرخاء والخير مضاربها ومراعيها في حين أن هناك قبائل بعيدة عنها جغرافياً أو غير بعيدة، لكنها تعد قبائل من نسب آخر، وتكون ديارهم ممحلة قد أصابهم القحط؛ فيرسلون على القبيلة التي ازدهرت أراضيها يطلبون الصلح أي: السماح لهم بالانتقال إلى أراضيهم والاستفادة من خيرات أراضيهم من ماء وكلأ، وربما كان بين القبيلتين قتال وقتلى أو مع أبناء عمومتهم سواء أكانت القبيلة التي تزمع الانتقال، أو القبيلة التي ستسمح لهم

---

(١) مقابلة مع سعيد آل سفران، مركز العرقين، عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٢) سعيد بن سعد آل سحيم، صفحات من الماضي، الرياض، فنون التميز، ١٤٢٨هـ، ط١، ١٦٩ .

(٣) مانع بن دليم آل مهدي الملاطي، محافظة الحرجة ماض وحاضر وعادات وتقاليد ، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، (١٤٣٩هـ) ، ٢٦٨- ٢٧٠ .

(٤) مقابلة مع عويضة آل شايب عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ومقابلة مع فراس بن عبدالرحمن بن رقعان عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) .

(٥) مقابلة مع زنيفر بن علي عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

بالانتقـال، ويُسمى الاتفاق على الصلح (البـدع)، ويستمر من ثلاثة إلى أربعة شهور يضمنـون لهم القبيلة المعطية للصليح الأمان، وعـدم الاعتداء على المال والرجال مقابل أن يكون بيوت الشعر متلاصقة ببعضها البعض كما يقول أهل البادية (الطنب بالطنب). كما يجب إعادة أي مسلوبات تم سلبها من القبيلة المستضعفة أو من أي قبيلة تتصل مع القبيلة المستضعفة برابطة نسب فيتركون كل شيء غنموه أو سلبوه، إلا الرقاب أو القتلى فهذه لا تدخل في شروط الواجب توافرها ليتم التعايش بين أبناء البادية[١].

عُرف عن الإبل بعض الأساطير التي جعلها البدوي قاعدة من قواعد التعامل مع غيره من أبناء البادية، وإن كان فيها شيء من الطرافة والأسطورة التي لا يستسيغها العقل، ولا يوجد ما يؤكدها من النقل إلا أن لها معانيها ذات المرامي البعيدة والعميقة في تحفيز ثقافة الغزو، تلك الأسطورة تقول: «إن الإبل خُلقت يوم الأحد وليست لأحد دون أحد»[٢]. وهذه القاعدة ربما أثارت السخرية من العقلاء أو الدارسين، لكنها موجودة وقاعدة مقدسة يعتبرها أهل البادية ركيزة تدفعهم للاستمرار في الغزو كمصدر من مصادر الكسب والرزق وتنمية الثروة، وتؤيد الغزو وتبيحه من خلال الأنظمة القبلية، ويدعمون هذه القاعدة بقاعدة أخرى بأن الإبل لا تُعطى للرجل الضعيف، بل يعوض عنها بأنواع الماشية الأخرى من ضأن وماعز[٣]. لأن الإبل في نظرهم تحتاج إلى رجل قوي يستطيع أن يقوم بحمايتها وتنميتها بالغزو، فهم يرون حتى أن أبناء الرجل الواحد إذا أراد والدهم أن يقسم بين أبنائه تركته من الإبل فإن عامل أخذ الإبل وتقاسمها القوة وغير القوة لا يوجد مسوغ. وفي ذلك يقول شاعرهم:

لقسم البل شابين وعواله ما تجوز ياكون بالمعمادي[٤]

وهنا يشير الشاعر أن الوالد إذا أراد أن يقسم تركته من الإبل بين أبنائه، فإنها لا تجوز القسمة إلا بضرب الأعمدة بين أبنائه، ومن يثبت قوته فهو من يستحق الإبل[٥].

---

(١) مقابلة مع عبدالله بن حسين من فجعة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وظافر بن مسعود آل غازي، وربيع بن سعد آل عيفان عام (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

(٢) مقابلة مع حسين بن ذيب القحطاني عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

(٣) مقابلة مع سعيد بن مسفر في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) في منزله بمحافظة طريب.

(٤) مقابلة مع عثمان آل فطيح المشاعلة عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) في هجرتهم في مدينة تثليث.

(٥) ظاهرة الغزو عند البدو قديمة جداً من عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. وقد اطلعت على آلاف الوثائق وسمعت الكثير من القصص والروايات والأشعار الشعبية التي تذكر جزئيات من حياة أهل البادية وغزواتهم خلال القرون الثلاثة الماضية (١٢ــ ١٤هـ/١٨ــ٢٠م)، وفي النهاية أن الملك عبدالعزيز آل سعود (يرحمه الله) استطاع أن يقضي على مشكلة الغزو ويوجد البلاد تحت

٤ـ مظاهر أخرى للحياة الاقتصادية في البادية :

أ ـ الأنعام (الماشية) :

يقوم سكان بوادي منطقة عسير، أو عموم السروات بتربية الضأن والماعز، ويبيعون ويشترون من الإبل والضأن والماعز. ومنتجاتها من زبد وسمن وأقط يجلبونها إلى الأسواق القريبة والبعيدة. وربما وصلت معاملاتهم التجارية إلى نجد وحايل في الشمال، والإمارات العربية المتحدة التي كانوا يسمونها في ذلك الحين (عُمان)، وكذلك قطر، ووصلوا إلى أرض اليمن في البيع وشراء الإبل. وكذلك الخيول، والخيل وبيعها له أنظمته وأدبياته، فربما اشترك أكثر من شخص في ملكية حصان أو فرس واحدة، وأحياناً إذا باعوا الفرس اشترط البائع من إنتاج الفرس رأس أو رأسين من الخيل حسب الاتفاق الذي يُعقد بينهم (١) .

ب ـ البيع بالرهان :

يذكر أن البدوي يرهن سلاحه الأبيض، أو الناري عند تاجر معروف مقابل شراء حبوب أو حيوانات أو غيرها من احتياجاته، ويكون موعد سدادها عند سقوط الأمطار، وإذ عم الرخاء وأنتجت الإبل والأغنام قام ببيعها وسدد الديون التي عليه، واستعادة الرهان الذي قدمه، وفي حالة عجزه عن السداد يُعرف هذا الأمر بـ (الحلاط)، وهو أخذ الرهان الذي مقابل ما تم شراؤها إلا أن الرهان يعرض على محكم يقوم بتقييمه، ومعرفة هل الرهان يكفي للسداد أم يحتاج إلى زيادة من مالك الرهان؟ أو أنه أغلى من السلعة التي تم شراؤها؟ فيقوم البائع بأخذ الرهان وتسديد الفرق في القيمة للمشتري، وأغلب المحكمين هم ممن يبيع في السلاح الناري أو السلاح الأبيض أو من يقوم بصناعتها لمعرفتهم بالأسعار الصحيحة(٢).

ج ـ الاحتطاب والالتقاط(٣) :

أهل البادية يمارسون الاحتطاب، لأنه حاجة ماسة أساسية في حياتهم، والتعامل مع الاحتطاب يختلف فالبادية البعيدة عن الأسواق الأسبوعية لا يقومون ببيع الحطب، والذي

مؤسسات حكومية تفرض الأمن والأمان على البلاد والعباد، فلله الحمد والشكر على نعمه وجوده وبركاته .

(١) مقابلة مع محمد فردان عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) في مركز المضة. ويوجد مئات الوثائق التي تفصل الحديث عن البيع والشراء للأنعام في بلاد تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)

(٢) مقابلة مع الأستاذ محمد بن سعيد بن صليح آل قريش عام (١٤٣٧هـ) مدير مدارس طريب الثانوية.

(٣) مقابلة مع عبيد بن جربوع الجرو عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

يتاجـر في هذه السلعة القبائل البدوية التي مواقعها قريـب من الأسواق الشعبية، يُضاف إلى ذلك استخراج بعض المواد للفائدة الصحية والاقتصادية: مثل الصمغ الذي يُستخرج مـن أشجـار الطلح الذي يكثر في الجبال، والأودية ومادة الدبـاغ، كأوراق أشجار القرض وتسمـى (الرشف) فيتـم جمعها والتقاطها، ويجمعـون الأخضر، ويقومـون بتجفيفه، أو يلتقطون المتساقط الجاف ثم يُطحن ويستخدم في دباغة الجلود، وتوضع المادة نفسها في قرب الماء التي تستخدم يوميا للشرب ويذكر أنها ذات فائدة صحية للباطنية.

يستخدمون من العشر مادة لبنية مع رماد بعض الأشجار وتخلط مع نوع من الحشرات لاستخـراج ما يسمى (الذرنـوح)، بديلاً عن مادة القطران لعـلاج الجرب. وهناك من يستخـدم بعض الأشجار لاستخـراج القطران وعلاج جرب الإبـل والماعز ، ويعتبر مادة اقتصاديـة مهمة للعـلاج. ويستخدم اللحاء والشويط من الأشجـار لإطعام مواشيهم في أوقـات الجدب ويحصلون على اللحاء من أشجـار عديدة مثل: السمر، والسلم، والوهط وغيرها من النباتات الشوكية، يتم تقطيعه قطعاً صغيرة وتغذى به المواشي [١].

يقوم أبناء البادية باستجلاب المياه من الآبار بواسطة الرشا (الدلو)، ويستخدمون الرحول أو الذلايل التي تكون من سهمها حمل الماء، ويذهبون إلى الآبار لسقاية مواشيهم، وعنـد شح الآبار بالماء يقوم أحدهم بالنـزول إلى أسفل البئر ويملأ الدلو، ويعرف ذلك بـ (المياح)، وشخص آخر في أعلى البئر يُسمى (الباد) يجذب الماء ويصبه في الحوض لسقاية الإبل. يقول الشاعر:

يـا قـلـب يـالـلـي راح بـيـن الـمـزاريـين   مـا بـيـن مـيـاح ومـا بـيـن جـبـاد[٢].

عند غور المياه تسمى (الجمة) أي البئر ذات الماء القليل، وفي الصيف كل قبيلة لها يـوم مخصص لشرب إبلهم. وتعرف هذه العمليـة بـ (الورد)، أما في أيام الأمطار فلا يحتاجون إلى ذلـك[٣]. ويستخدم أهل البوادي والأرياف عصياً وهروات للفؤوس؛ لأنها ذات استخـدام يومي في الاحتطاب، ويؤخذ من الأشجار وحطبها (الأشدة) التي توضع على ظهور الإبل للركوب عليها وتسمى المراحيل وهي من الشجر الأخضر. يقول الشاعر:

---

(١) مقابلة مع جبران بن عبدالله عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) في مركز العسران بمحافظة السراة.

(٢) مقابلـة مع ناصر بن محمد العبدي عام (١٤٤٢هــ/٢٠٢١م) في بلاد الحباب قحطان، ومقابلة مع محسن بـن فهاد عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) في تثليث ومقابلة عويضة بن شائع آل عادي عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) في محافظة طريب.

(٣) مقابلة مع ناصر بن سعيد بن فهد بن جافل عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

يباسة تحتطب به وخضرة للمراحيل[١].

يُعمل من الشجر عصا طويلة تُسمى المحجان يستفاد بها في سحب الفروع الطويلة لتسهيل أكلها من قبل الإبل، ويُستخدم كذلك للمساعدة على إسقاط ثمار أشجار السّدر في المناطق العالية من البادية، ويستخدمون من الأشجار ثلاثة عيدان تُعلق عليها القرب الخاصة باللبن وتجهيزه، وعرفت بعض الأدوية من الأشجار فيلتقطون زهورها أو أوراقها أو ثمارها[٢].

د ـ النخيل كمورد اقتصادي للبادية :[٣]

علاقة أهل البادية ليست فقط مع الإبل وقطعان الغنم (الماشية)، ولهم علاقة وثيقة مع النخلة، ويتضح ذلك في بلاد الجحادر في محافظة تثليث ففي فصل الشتاء يتم الاهتمام بأشجار النخيل في وادي تثليث، والحمضة، وجاش، والصبيخة، والمضة، والبوادي القريبة من بيشة وتلك واحات من النخيل لاتحتاج عناية من المزارعين أهل الفلاحة، وهو عطاء من الله لأهل البادية، وكلاً منهم يعرف ملكه من النخيل الذي يسقى من مياه الأمطار، وبعضه من الآبار، ومع امتلاك البدو مثل هذه المزروعات، إلا أنه لم يتغير في حياتهم البدوية أي شيء[٤]. وفي فصل الصيف وقت ثمر النخيل تكون بيوت شعرهم منصوبة بالقرب منها للاستفادة من ما يعرف لديهم بـ (الخرفة)، وربما كان لبعضهم منازل من طين لا يسكنونها إلا في وقت إنتاج النخيل للتمور، مع وجود بيوت الشعر التي لا يتركها البدوي أبداً[٥].

هـ ـ بيع السلاح الأبيض الناري وصناعة بعض مكوناته :

تنوعت الأسلحة عند أهل البادية من سلاح ناري وأبيض وبعض مكوناته مثل البارود والرصاص. وكان البدوي يعتز بالسلاح واقتنائه، ويُعتبر الحصول عليه من الأمور التي تعزز من مكانته الاجتماعية، وربما افتخر بذلك، وعرفت بعض الأسلحة من بنادق وخناجر بأسماء أصحابها فهذه (بندقية فلان)، وتلك (جنبية فلان)، ويرتفع

---

(١) علي بن محمد شافع، بلاد سنحان وما حولها ، ٢٨، سعد بن جنيدل، معجم التراث،١٧، ٨٨، ١٢٨ .

(٢) مقابلة مع فالح بن شهوان، عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

(٣) مقابلة مع محمد بن فردان في مركز المضة، وذيب بن عائض آل كعدة ، في مركز الحمضة عام (١٤٤٠ه/٢٠١٩م) .

(٤) مقابلة مع محمد بن فردان في مركز المضة ، عام (١٤٤٠هـ /٢٠١٩م) .

(٥) مقابلة مع ذيب بن عائض بن كعدة آل مسفر، في مركز الحمضة في عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) .

سعرهــا من ارتفاع شأن صاحبهــا، والبدو يشرون البندقية والخنجر والرماح والجنابي والسيـوف[١]. إلا أنهـم لا يصنعـون شيئاً منهـا ويأنفون من ذلـك، ولا يعملون الأحزمة والأغلفـة التـي هي من ضروريات السـلاح الناري والأبيض، بـل يشترونها من حرفيين أصحـاب مهارة فائقـة في صناعة الحديـد، والجلود وغيرها، وربمـا كان أولئك المهرة مجاوريـن لبعض القبائـل البدوية، وملبين لمتطلباتهم في هذا الشـأن وهم يتكفلون بهم ويوفرون لهم الأمان والحماية[٢]

عرفـت العديد مـن الرماح والبنـادق والجنابي والخناجـر، وورد في بعضها أبيات شعريـة تغنـى بها أهـل الباديـة وعدوها مـن مفاخرهم، وكانـت أيضا مـن مواردهم الاقتصادية. ومن الرماح التي اشتهرت عندهم المرهاش، رمح غير مدبب ورأسه دائري لكنه حاد ويقول الشاعر في وصفه :

سجة بمرهاش فاتقة ابـن حواش　　　كنه لسان السلق ما صار يعتالي[٣]

أخشاب الرماح تكون مـن أشجار، أو شجر الشوحط؛ لأنه يتميز بقوته وخفته، وفي ذلك يقول الشاعر في وصف خشب العلب مع الرمح:

أمـا ابـن (...) فاليمين سخية　　　يا عـود علبن في الحشا ورادي[٤]

والآخر وصف شجر الشوحط :

راعـي الغنم عنده اثنين توفاهم　　　بمحدد في عصا من شوحط بـالي[٥]

وذكـر الشاعر عنايته في اختيار الخشب الذي صنـع به رمحه والحديد الذي صنع به حديد الرمح، فقال:

الـعـود مختـارة وهــو جنبيـة　　　غير القدر بيد إلـه الـــروافي[٦].

(١) مقابلة مع محمد آل شايب من الجحادر عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٢) مقابلـة مع علي بـن تويم آل عيفان عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). الحرف والصناعات مـن المهن التي عرفها أهـل تهامة والسراة، وكان لها أيدي عاملة متخصصة في العديد من الصناعات لأن البدو لا يفضلون هذه الصنعة ويحتقرون من يمارسها.

(٣) مقابلة مع حمد بن علي آل بزمة عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٤) مقابلـة مـع ناصر بن جرمان آل بزمة عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، مقابلة مع عائض بن محمد أبو ركبة. عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). مقابلة مع مسعود بن عليان آل خميسة عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

(٥) مقابلة مع شايع بن محمد بن إدريس آل كناد آل سليمان عبيدة قحطان في عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) .

(٦) مقابلة مع عبدالمحسن بن كعدة في مركز الحمضة عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

إن الخناجر أو ما يعرف عند البدو والحضر بالجنابي، لها أسماء واستعمالات مختلفة، وتختلف قيمتها المالية باختلاف استعمالاتها وإتقان صناعتها، ومن أنواعها الحشفاء، والقديمي، والشفرة وتسمى (الخوصة). والبنادق أنواع متعددة مثل: الروم، والعربيات(الفتيل)،وأم أصبع،والغتم،والموارت (المارتين)،والطوال (أم تاج)،والقصار (أم تاج)، وغيرها. وهناك الدبوس مصنوع من الحديد يصل طوله(٥٠) سم. ويستخدم في تهشيم الرأس[١] .

إن صناعة البارود، وإعادة تصنيع الرصاص يُعرف يالرصاص المنقض، وجلخ الحديد من خنجر أو جنبيه أو رمح يتم باستخدام قطع من حجر الرحى، وربما قام بالعمل الحداد، ويتفاخرون أهل البادية باقتناء السلاح، ويقول شاعرهم في ذلك:

أهل السيوف الحدب والخيل والقنا وعلط الرماح اللي تدهن عصيها[٢] .

يصيد أهل البادية الحبارى، والضباغ وغيرها ويأكلون لحمها؛ وأدوات الصيد عندهم البندقية، أو عيدان الرماح، ويستخدمون أحياناً ما يعرف بالكماين أو الوشقة. وخاصة الطيور بعد نثر بعض الحبوب مما يجلب الطير إليها، ثم يتم صيدها، ويقول الشاعر في وصف ذلك :

الزاد يربع في الوشق للطير خفاق الجناح[٣] .

وكانت حبال تلك الكمائن دقيقة جداً وقوية، وتصنع من أذيال الخيول.

يستخدمون ذوي الوازي لتزيين بنادقهم، وكذلك جلود رؤوس الوعول يقطعونها بعد سلخها على أخمس البندقية، وتُسمى عند البادية الخدوة أو القفد، وآخرون يسمونها المترش. وتستخدم بعض القرون لوزن البارود وحفظه، ويصنع من قرون الوعول مقابض للسكاكين والجنابي[٤] .

---

(١) مقابلة مع محمد بن إدريس من آل كنادعام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

(٢) مقابلة مع عبدالمحسن بن كعدة عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ومحمد بن إدريس من آل كناد عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

(٣) مقابلة مع الرحال سالم بن مسفر بن عدوة آل خميسة عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(٤) مقابلة مع الشيخ هياف بن سالم القرقاح عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ومقابلة مع الشيخ عبدالله الرباع آل جميح عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

و ـ الصيد :

يعد الصيد من المهن أو الهوايات التي تعتبر مصدراً اقتصادياً مهماً لأهل البادية، ومن ركائز فخرهم واعتزازهم بقيم الفروسية، وحسن الرماية وممارسة الصيد والتميز فيه، ومن أهم أنواع الصيد الوازي ويعرف بالوضعي، وصيد الوعول ويسمونها الغثيرة، والوعول تعيش في المناطق الجبلية مثل: جبال القهرة وما حولها، ويسمون الأنثى منها السيافة، وهناك صيد الظبي ويسمون صغارها الغفر. ومما قال الشاعر عبدالله بن سحمه :

أخيل من مرقبي ... جلن وغفراني وأخيل نشر الحادر...والذي دونه[١] .

ويقول آخر في وصف بندقيته ووصف الصيد والمقناص أبيات تُعتبر من أشهر القصائد التي تحدثت عن الصيد، وصيد الوعول بالذات ومما قال:

حمي الطويلة وخي اللي شرا هالي من واجد جابها في السوق جالبها
واضرب بها الوعل لا منه تهيأ لي أبو حنية كبير الرأس شايبها

وهناك صيد الضب ويسمونه الأكفاي وفي ذلك يقول الشاعر:

يارزاق اللي لا كنان ولا ذرا ويارازق اللي مسيرة فوق الأكفاي

وكذلك صيد الوبر والأرنب والحجل والفرد. والفرد من أنواع الطير فيه لون أصفر، وهو من الطيور المهاجرة، ويقال: بأنه لا يأكل ما علا الأرض، وأكله فقط من الأشجار.

ز ـ الصناعات عند أهل البادية :

البدوي لا يصنع ولا يتعلم الصناعة، وللصناعات المختلفة التي يحتاجها البدوي في باديته أشخاص وأسر عرفت بمهارتها الفائقة في الصناعات، ويتوارثونها من آبائهم ويعلمونها أبناءهم، وكل صناعة اشتهرت بها أسر معينة وتميزت بها، إلا أن الرجل البدوي يصنع البارود، ويجمع مكوناته ويعيد تصنيع الرصاص، وإذا اضطر قام بجلخ أو سن خنجرة أو سيفه أو رمحه.

تقوم المرأة البدوية بالعديد من الصناعات[٢] مثل: صناعة القطوف من الجلد

(١) مقابلة مع مسفر بن حسن بن كردم عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) .
(٢) علي بن شافع ، اللباس والزينة، ٢٨ .

لحفظ القهوة، والحساكل ومفردها حسكول ويصنع من القماش ويقوم بنفس عمل المقطف النساء ويقمن بصناعة ما يشب رضاعات الأطفال من ضروع الماعز، وينسجن المريرة التي تُوضع خلف رأس البعير، واللبب، حبل يُربط في حلق الدابة من الإبل والحمير لموازنة حمل الحطب، والسفايف، والحبال، والخطام، والخروج والعياب: وكلها أكياس جلدية ومهمتها حفظ الطعام. وكذلك الجراب والمزودة، والمبطن، حقيبة توضع فيها مبالغ نقدية أشبه ما يكون بالمحفظة، ويصنعن النساء خيوط للزينة والنسيج وغيرها ، وإذا وصل الأمر إلى الخرازة فإنها تسلم لأشخاص يعرفون بالخرازين ليقوموا بخرازتها(١) .

ح ـ أعمال الأمن وأنشطة أخرى :

هناك أعمال أخرى تعتبر كمصادر اقتصادية وأمنية للبادية: كالمشاركات الحربية لأجل توفير بعض الموارد المالية، مثل: (أ) الخاوة : نظام فرضته حياة البادية على أهلها، وارتبط ذلك بالحماية لأصحاب أشجار النخيل بالدفاع عنها ومنع حرقها أو قطع عذوق التمر وسرقة الإنتاج، وبالتالي يقوم أهل المزارع بإعطاء كميات من التمر لشيخ القبيلة أو لكبيرها الذي يلتزم بالحماية لأصحاب النخيل هو ومن تحت سلطته(٢). (ب) الخاوة أيضا مقابل أجر مالي، وهذا النظام تم منعه بعد ظهور حكم الملك عبدالعزيز ويقول الشاعر في ذلك:

يا وجودي وأن الوقع فينا … كان الأرفاق سلمت في العهود

ط- الارتزاق بالحرب:

كانت هذه العادة عند بعض القبائل، حيث يتم استمالة البعض من قبل الأمراء والشيوخ والحكام قبل عهد الملك عبدالعزيز، ويُعطون أمولاً وأعطيات مقابل دعم مساندة أمير أو شيخ ما، وليس ولاء له، أو تبعية بل مصالح اقتصادية بحتة(٣) .

---

(١) سعد بن جنيدل ، بيت السكن، ٩٨، ١٠٥، ١٠٨، ١٣٩، ٢٨٧.

(٢) مقابلة مع كل من دليم بن عجيم عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، وذيب بن عايض آل كعدة، (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٣) انظر: يوسف بن حسن محمد العارف. العثمانيون، حكومة الأدارسة في عسير (١٣٣٥ـ ١٣٣٧هـ)، جدة، دار أبو المجد للطباعة، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) م. ط ١، ٢٢٧ـ ٢٣٠. ومحمد عبدالعزيز اليمني، مختصر دور قبيلة قحطان في التصدي لعدوان محمد علي باشا على الجزيرة العربية من خلال بعض الوثائق العثمانية. الكويت آفاق للنشر، (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ط١، ٤ـ ٣٥ . من يستقرئ تاريخ العرب عبر عصور التاريخ يجد أن هناك منافع اقتصادية كثيرة يحصل عليها أبناء القبائل من مشاركتهم في الحروب العامة والخاصة. وهناك الكثير من الأمراء والقادة وأصحاب القرار الذين سعوا إلى استمالة قبائل، أو عشائر، أو أفراد، أو أحزاب للانضمام لهم في حروبهم مع غيرهم. وكانت جزيرة العرب ميداناً واسعاً لهذا النوع والصراعات، بل كانت القبائل تتصارع وتتحالف مع غيرها من أجل الحرب والانتصار. ومازال هذا الموضوع غير مخدوم

خامساً: آثار الدولة السعودية الحديثة الإيجابية على حياة سكان البادية شرق منطقة عسير:

١ـ تأثيرات الدولة على الحياة الاجتماعية:

سعت الدولة السعودية في جميع مراحلها (الأولى، والثانية، والثالثة) إلى الدعوة الإصلاحية التجديدية لهذا الدين، واهتمت بأهل البادية وضمهم إلى دعوتها. استشعاراً من قادتها وأئمتها بأن أبناء البادية قوة لا يُستهان بها، متى ما أحسن توجيههم التوجيه الإسلامي الصحيح من غير تعصب أو غلو أو تطرف. وهذا الأمر كان من أبرز أعمال الدولة السعودية للبدو والبداوة؛ حيث سَعوا إلى صقل حياتهم بجميع جوانبها الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، والعسكرية، والأعراف والتقاليد، والقضاء القبلي، والاحتكام إلى العوارف[(١)].

اجتهد الملك عبدالعزيز آل سعود في توجيه البدو الوجهة الشرعية، وحرص على هذا الجانب، وجعل العلماء يقفون معه، ويكونون خير مُعين له في محاربة الأخطاء والمخالفات الشرعية، وكذلك الغلو والتعصب؛ وقد استفاد (رحمه الله) من أهل البادية والبدو في مرحلة التوحيد في أنحاء البلاد بما فيها منطقة عسير وغيرها من مناطق السروات وتهامة[(٢)].

إن سياسة الملك عبد العزيز للبدو والبادية كانت موفقة ومسددة، وكيف لا؟ وهو من اتخذ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دستوراً، وجعل معظم مستشاريه ومعاونيه من العلماء والدعاة والقضاة الذي حازوا احترام الجميع وثقتهم، وكان لهم أثرهم على البادية وأهلها[(٣)]. ولهم جهود مباركة في بناء هذا الكيان العظيم (المملكة العربية السعودية) بقيادة الملك عبدالعزيز الذي سار على منهج أسلافه في الدعوة الإصلاحية،

بحثياً في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده.

(١) للاستزادة والتوسع في دور الدولة السعودية، في جميع مراحلها والاهتمام بالبادية وأهلها، انظر: عبدالرحمن العريني، بادية نجد من القرن العاشر الهجري إلى سقوط الدرعية، ٢٣ ومضاوي حمد الناصر الهطلاني. مدينة الرياض، دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي (١٣٢٠ـ١٣٩٥هـ/١٩٠٢ـ١٩٧٥م) الرياض، مكتبة العبيكان، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ط١، ٢١ـ ٢٤. وعبدالله الصالح العثيمين، مرجع سابق، ج٢، ٣٣ـ ٤٦.

(٢) صدر في هذا الباب بعض الكتب والبحوث والرسائل الجامعية، ومازالت أوطان السراة وتهامة تستحق مزيداً من الدراسة في هذا المجال.

(٣) انظر: سعيد بن عبدالله جفشر، تاريخ القضاء في عسير في عهد الملك عبدالعزيز، (١٩٢٠ـ١٩٥٣م/١٣٣٨ـ١٣٧٣هـ). رسالة ماجستير عام (١٤٣٥هـ)، نشرت في (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) الطبعة الأولى، مطابع الحميضي، (١٤٤٢هـ) الجزء ٢١، ١٧٧ ــ ٢٦٤.

واستنار بنور القرآن والسنة، وعرف أن عناصر الخير متوفرة عند أهل البادية؛ وهذه الخيرية التي امتدحها القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾[١].

كذلك أشار الرسول (ﷺ) إلى أهل البادية الملتزمين بثوابت الدين وآدابه؛ وهذا يظهر فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ـ t ـ قال رسول الله r: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)[٢]. ويروي الإمام أحمد في مسنده أن شهاب بن مدلج جاء المدينة فلقي أبا هريرة (رضي الله عنه) فسمعه يقول: قال رسول الله (ﷺ) (أفضل الناس رجلان: رجل غزا في سبيل الله حتى يهبط موضعاً يسوء العدو، ورجل ناحية البادية يقيم الصلوات الخمس، ويؤدي حق ماله، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين فجثا على ركبتيه، قال: أنت سمعته من رسول الله (ﷺ) يا أبا هريرة يقوله: قال: نعم، فأتى باديته فأقام بها»[٣].

كان أهل البادية في معزل عن الكثير من التعاليم التي تهذب عاداتهم وتقاليدهم مما جعل هذه العادات والتقاليد تصبح من المواثيق التي يجب عدم الخروج عليها؛ ومن سولت له نفسه وتجاوزها فسوف يعرض نفسه لغضب القبيلة، ويترتب عليه تبعات معنوية ومالية، وربما وصلت للقطيعة، وبعض عادات البادية شجعت على الجريمة والاعتداء وترويع الآمنين من غير ذنب اقترفوه وربما بعضها كان له مفاسد اجتماعية جرت على أهلها الكثير من الويلات. وهناك تقاليد جعلت التعدي على الدماء والأموال هي المقياس الحقيقي للجاه والمكانة؛ مما أورث الكبر والفخر والظلم الذي أفسد عليهم حياتهم، وكثرت القطيعة والهجر، وفقد الأمن والأمان وحسن الظن، بل ربما كانت بعض الأعراف لدى البعض في مكانة أعظم من توحيد الله ـ عز وجل ـ وأعلى لشريعته[٤].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٩٩.

(٢) صحيح أبي داود ، ٤٢٦٧ .

(٣) محمود نصار. جامع الروايات في تحقيق نبوءات النبي ﷺ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٣٠٨. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل، المجلد الثاني، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان. (١٤٣٠هـ). ٧٠٦ .

(٤) للاستزادة والتعرف على العادات السيئة التي لا يقرها الشرع. انظر: سالم بن سيف بن سعد آل جربوع، الأعراف والأحكام القبلية، ٤١ـ٥٧. وحمدان بن حضيض المخلفي، الدعوة إلى الله تعالى في القرى والبوادي، رسالة ماجستير، جامعة طيب، كلية الدعوة، ١٤٢٦هـ .

فطـن الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمـن الفيصل لهـذا الأمـر، ومنـذ أول يوم بـدأت جهـوده لتوحيـد هـذا الكيـان العظيـم (المملكـة العربيـة السعوديـة)، وجعـل الشريعـة الإسلاميـة مصـدر التشريـع والقانون لدولتـه . ومنهج الحياة لـدى البادية بشـكل خاص وجميـع فئـات المجتمـع بشـكل عـام[١]. ونجـد في رسالـة مرفوعة من أحـد مشائـخ قحطـان للملـك عبدالعزيـز عـن إقامة الديـن وشعائـره ويذكـر فيها أن الديـن أمـر يتمسكـون بـه وأنهـم جاهـزون وفي انتظـار توجيهاتـه؛ وممـا قـال: (بسـم الرحمن الرحيم إلى حضرة إمامنا المكرم العزيز الأحشم عبدالعزيز بن سعود في الدنيـا والآخـرة أمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه ، ثم لا يخفاكم أنه وصلنا الشيـخ معيض بـن جعفر بن عبود وأخبرنـا بحسن سيرتكم وإقامتكـم للدين، وحمدنا الله رب العالمـين ونحـن من الذيـن يحبون الديـن وأهل الدين، ومن يتعـب في الإسلام أولنـا وآخرنا (...) ما نحمل سهل فما ديارنـا وأرضنا محكومة أمان وضمان ومستقيم شريعتهـا، وأمـا باقـي ما نحن منطوين عليه ــ إن شاء الله ـ ما نحمـل سهل وبما يثبت (...) ونحـن جميـع أهل الجنوب حاضرون في حما الله ثـم في رجاء دعوتكم الصادقة معكم بأموالنا وأنفسنا. والسلام)[٢].

مـن السياق يتضح لنـا أن الشيخ معيض بـن جعفر بن عبود[٣]. قـام بنقل جوانب مـن سيرة الملـك عبدالعزيز وأعماله واهتمامه بالدين وأهلـه؛ ولكن من سياق الرسالة لم يتضـح: هـل كان ابن عبود مبعوث مـن الملك عبدالعزيز، أم كان فقـط زائراً وناقلاً لأخبـار الملك عبدالعزيز؟ ولكن ما يهمنا هـو تأكيد الشيخ على أن بلاده محكومة بشرع الله، وأن الشريعة ثابتة فيها وإظهار تأييده للملك عبدالعزيز. ويبدو أن ابن عبود ــ من سياق الرسالة ـ كان مبعوثاً من الملك عبدالعزيز، وكان يريد أن يثبت للملك عبدالعزيز أن عـادات وتقاليد وأنظمة قبيلته ملتزمة بالشريعة الإسلامية. وربما أن هناك تنبيهات وتعليمـات نقلهـا ابن عبود إلى هذا الشيـخ وقبيلته، ومصدرها الملـك عبدالعزيز الذي كان حريصـاً كل الحرص أن تكون الشريعة الإسلامية وتعاليمها هي المقدمة على جميع العادات والتقاليد.

---

(١) عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمـرور مائة عام علـى تأسيس المملكة، الرياض (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٥، ٣٨، ١٧٣. وخالد خليل الظاهر، ديوان المظالم في المملكة العربية السعودية قضاء الإلغاء، قضاء التعويض، دراسة مقارنة. الرياض، مكتبة القانون والاقتصاد، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). ط٢، ١٨ .

(٢) وثيقـة رقـم (٣٠١) صورة في مكتبة الباحث، وهي رسالة مـن الشيخ محمد بن دليم شيخ قحطان مرفوعة للملك عبدالعزيز آل سعود.

(٣) معيض بن جعفر بن عبود شيخ آل مسعود آل الجمل الجحادر قحطان، مقابلة مع ذعار بن نايف بن عبود.

وفي وثيقة أخرى من الملك عبدالعزيز مؤرخة في عام (١٣٥٢هـ) ورد فيها: «من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى من يراه من طوارف المسلمين السلام وبعد: إذا حصل على ابن عبود وجماعته أمر فيه خطأ أو ضرر وحاكم من طرفه فأنتم ـ إن شاء الله ـ تساعدون فيه على ما تقتضيه الشريعة ؛ لأن الشرع مقدم في جميع الأمور ويكون معلوماً. الختم»[١]. وفي هذه الوثيقة قاعدة أساسية أرساها الملك عبدالعزيز في تعامل القبائل مع بعضها البعض سواءً أكان وقوع خطأ أم غيره؛ وهي الالتزام بمقتضى الشرع، ويعلل (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) ذلك بأنه مقدم على جميع الأمور، والأمور تعني المصالح أو العادات والتقاليد المخالف التي لا يقرها الدين وبذلك فالدولة لا تقرها، وهذه توجيهات واضحة وصارمة.

استطاعت الدولة أن تقضي على العصبية القبلية وكل ما يساندها ويزيدها، وتقف موقفاً صارماً من أي أمر يحرك النعرات القبلية من قول أو فعل؛ ونجد الوثيقة التالية تؤكد على ترك الماضي ، والنظر إلى المستقبل، فورد فيها: «وهم يقضون بينهم بالشرع ـ إن شاء الله ـ، ومن جهة القتل الذي سبق قبل الدعوة وتوابعه من جنايا وديون كالسرقة ما فيه كلام، وهو ساقط لأنه لو فتح بابه حصل النزاع في المستقبل، وبقي المستقبل والماضي على حد سواء ،ونحن مطالبون بصلاح المستقبل»[٢].

هذه الكلمات في الوثيقة السابقة ذات مدلولات عميقة توضح هدف الدولة في القضاء على العصبية، وعلى كل أمر يثيرها؛ لأن النعرات القبلية ارتبطت بها الكثير من العادات والتقاليد التي اعتبرها أهل البادية من رموز القوة والوجاهة ومما يوجب المدح والثناء، ومن تلك العادات الإرفاق ،والمغازي والغزو، والخاوة أو ما يعرف بالضمة، وقطع الطريق، وحجر النساء، ورد البرا وهذه العادة مرتبطة بالغزو[٣]. والنكايف والشلاليل وما يتعلق بها من أعراف ارتبطت بالغزو والمغازي، والقطع والبدع، والجيرة والوجه؛ إلا أنها مُنعت امتثالاً لتوجيهات الدولة المبنية على حكم الشريعة الإسلامية، والدخيل، واختلاط الرجال بالنساء في الأفراح وغيرها، ووسم الإبل على وجهها، والطهارة (الختان) لكبار السن، والسجون، والموازين الخاصة بالقبائل، وتملك الأرض بالقوة. وغيرها من العادات والتقاليد التي تخالف تعاليم الإسلام، وكانت التعليمات تصدر من

---

(١) وثيقة رقم (٣٠٤) صورتها في مكتبة الباحث ، وهي إيضاح أن مرجع جميع رعيته إلى الأحكام الشرعية، ومصدرها الشيخ ذعار بن نايف بن عبود آل مسعود الجحادر.

(٢) وثيقة رقم (٣٠٩) في مكتبة الباحث، وصورتها في مركز ألمع للوثائق لصاحبه محمد بن علي آل عبد المتعالي ،وهي خطاب من الملك عبدالعزيز لقاضي تثليث شعوان ابن مشبب وشيخ آل خميسة مؤرخة في عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) .

(٣) وتعني إعلان الحرب وإشعال فتيلها. مقابلة مع علي بن مسفر بن عدوة عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

الملـك عبدالعزيز شخصيـاً أو من عماله الأمراء، أو القضـاة والدعاة المكلفين بالدعوة والإرشاد والقضاء بين الناس.

في إحـدى الوثائـق الموجهة مـن القاضي محمد بـن إسماعيـل[١]. إلى أحد القبائل البدويـة اشتملت على الكثـير من التوجيهات والنصائح والتعليمـات والتحذيرات، حيث ورد فيهـا: (لا يخفاكـم أن الله ـ تبـارك وتعالى ـ إنما خلقنا لعبادتـه وركب فينا العقول لطاعتـه ومعرفتـه. وقـد بلغنا ما يحدث عندكم مـن منكرات في الأعراسـ والختان من اختـلاط الرجـال والنساء، وهذا أمر ما يجيـزه الشرع، ولا نرضى بـه فحق عليكم منع النـاسـ منـه، وكل راع مسؤول عن رعيته، ولا تتعدوا حـدود الله فتعرضوا بالعقوبة منه، وما في ذمتنا في ذمتكَ أنت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١٣٤٤هـ. الختم)[٢].

مـن الأمور التي كانت بين القبائل الغزو على موارد الماء أو الاستيلاء على الأراضي أو الإبـل وغيرهـا من الماشيـة، وكان الاستيلاء عليهـا بالقوة من عـادات البادية ومما يتفاخـرون بـه[٣]. فظهرت دعاوى ملكية الأرض بحجة وضع اليـد، وهذا أمر جبل عليه أهـل الباديـة وغيرهم. وعملت الدولـة على إيقاف هذه العادة الناشئـة في أساسها من الغزو وثقافة التسلط بالقوة؛ ومنع ذلك يظهر في خطاب موجه من معاون رئيس مجلس الـوكلاء لأمـير أبها ورد فيه مـا نصه: «إلحاقاً بمـا سبق إبلاغكم إيـاه برقم (٢٤٠٣) وتاريـخ (١١/٦/١٣٦٢هــ ١٣/٦/١٩٤٣م) بشـأن الأمور القديمة السابقة لولاية جلال الملك المعظم نخبركم أنه قد صدر الأمر الملكي الكريم أخيراً برقم (٨/٦/١٩٦٢) وتاريخ (٢٢/٦/١٣٦٢هـ ـ ٢٤/٦/ ١٩٤٣م) بخصوص المادة الثالثة المتعلقة بقضايا وضع اليد، بأن ينظر فيها طبقاً للوجه الشرعي الذي نص عليه الفقهاء بالشروط المنصوص عليها في كتب الفقه، فيقتضي اعتماد مضمون هذا الأمر العالي وإبلاغه إلى المحكمة بطرفكم وإلى الأمراء التابعين لكم لإبلاغه إلى محاكمهم للعمل بمقتضاه الكريم»[٤]. وفي الوثيقة

(١) الشيـخ محمـد بن إسماعيل بن عبدالوهـاب النجدي، عين قاضياً في عسير. وضعـه الملك عبدالعزيز بأنه نائب عنه في منطقة عسير في تنفيذ الأحكام الشرعية للاستزادة. انظر: ابن جريس، غيثان بن علي؛ أبها حاضـرة عسير. دراسة وثائقية، الرياض، مطابع الحميضي (١٤١٠هـ/ ٢٠٠٩م) ط١، ١٥٢ـ ١٥٣. وثيقة (بـدون رقم) تاريـخ (١١/١٢/١٣٣٩هـ/١٤/٨/١٩٢١م) بشأن أوامر وتعليمات لإحـدى القبائل (مكتبة الباحث)، جفشر، صفحات من تاريخ القضاء، ٩٣ـ ٩٨.

(٢) وثيقة في مكتبة الباحث محفوظة برقم (٦/٤٠٦) وتاريخ (١٣٤٤هـ).

(٣) مقابلة مع مسفر بن فهد آل غاصب في عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)

(٤) وثيقـة في مكتبـة الباحث محفوظـة بدون رقـم وتاريـخ (١٣٦٢هـ)ومصدرهـا دار ألمع للوثائـق والثقافة لصاحبها الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

يشير إلى وجود أمور قديمة لولاية جلالة الملك المعظم» الملك عبدالعزيز (رحمه الله)، وتلك الأمور لم تكن قوانين دولة ولا تنظيمات وتعليمات رسمية، عادات يُنظر إليها، من قبل أفراد المجتمع في البادية وغيرها، على أنها قوانين لا يمكن مخالفتها، ومن ذلك يتبين لنا أن التوجيه كان واضحاً وصريحاً بإيقاف الأمور القديمة. إلخ.

من الوثائق التي تشير إلى منع بعض العادات والتقاليد ذات الصلة بالمكاييل والأوزان الخاصة بالأسواق: فقد كان لكل سوق وقبيلة وبادية أو حاضرة موازينها ومقاييسها الخاصة، وربما كان (المد) عند قبيلة من القبائل يعادل مدين أو ثلاثة عند قبيلة أخرى. ومن هذه الوثائق وثيقة ورد فيها الآتي: « اشتكى أهل البادية من اختلاف (الأصواع) في السوق فيوصلكم .. لترويج الأصواع الحديثة وسحب الأصواع القديمة وما ارتبط بها من عادة سابقة؛ وأنتم ــ إن شاء الله - تساعدونه باللازم والاشتراك معه في خصوص الكيالين وتنظيم حالة السوق حتى يسلم من التلاعب. يكون معلوماً (١٣٦١هـ/١٩٤٢م) [(١)]. ومن هذا المصدر يتضح أن التنظيم لم يشمل توحيد الأصواع التي سبقت حكم الملك عبدالعزيز، بل جميع تنظيمات السوق مثل فئة الكيالين، وكل ما له علاقة بالأصواع القديمة. ومما سبق يتضح دور الدولة الريادي في تلك الفترة المبكرة والقيام بمنع أي عادة قديمة تخالف الشرع، أو تسبب ضرراً لأي فئة أو فرد من الناس، والواجب حلها بالرجوع إلى الشرع وتعليماته.

من الوثائق التي تدور حول الأصواع واعتماد المكاييل التي اعتمدتها الدولة ومنع أي عادة أو مكاييل مخالفة لذلك ما جاء في إحدى الوثائق ما نصه:» نهينا عن استخدام هذه المكاييل ونحن نستنكر عدم امتثالكم للأوامر، وهذا الأمر يضر مرتادي السوق من بادية وغيرهم». وفي جزء من الوثيقة نفسها يورد وعيداً للمخالفين بما نصه: (وتحذيرهم من عقوبتنا الصارمة) [(٢)].

كانت بعض العادات القديمة كالغزو ، وقطع الطريق ، والخاوة وغيرها من مصادر الدخل عند البادية ، ومن الأمور التي تخص زعماء القبائل وشيوخها دون باقي القبيلة، وهذا الأمر عالجته الدولة بإعطائهم العطاء وتخصيص جزء من الزكاة لهم، ولم تهتم فقط بالأعيان بل ساعدت جميع أفراد القبيلة من المحتاجين[(٣)].

---

(١) وثيقة في مكتبة الباحث محفوظة برقم (٤٢٢) وتاريخ (١٣٦١هـ /١٩٤٢م)، مصدرها الشيخ سعد بن ناصر بن راسي .

(٢) وثيقة في مكتبة الباحث محفوظة برقم (٣٣٢) وتاريخ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) .

(٣) صالح عون هاشم، توطين الملك عبدالعزيز البدو ونتائجه العامة، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٩٩٩م، مجلد ١١، عدد ٢١،٢٢، ٤٣، ٥٠ .

فيما يخص الخاوة لم نجد وثائق تشرح نظامها وكذلك الإرفاق وما يتعلق بالغزو[١]، لكننـي وجدت وثائق حديثة التاريخ تشـير إلى الخاوة[٢] والضمة ودفعها قبل عهد الملك عبدالعزيـز؛ ففي إحدى الوثائق ورد ما نصه: «عندي وبمعرفتي من آبائي وأجدادي أن مركز (.....) التابع لمحافظة (...)، قبيلة (.....)، منطقة تاريخية قديمة جداً يوجد بها آبارهـا ولازلنا نعرف (ضمامة) منطقتنا مـن القبائل الأخرى، وذلك من قبل المؤسس الملك عبدالعزيز (طيب الله ثراه)»[٣].

وقد وردت الخاوة باسم الضمة، وفي وثيقة أخرى إشارات إلى الخاوة، ونصت» إلى من يهمه الأمر بخصوص(...)، هي ملك(.....)، وهي في وادي (.....)، وكنا على وقت والـدي(...)، نأخذ خاوتهـا ونحميها من قبائـل) (...) وكان المعروض فيها هو الشيخ (...)، ولم يعرف في ذلك الوقت إلا(...)، وهذا قبل عهد الملك عبدالعزيز»[٤].

كانـت السجون والسجن من صلاحيات مشائخ القبائل وكبارها والقبيلة، وعندهم أمكنة يُسجن فيها المخالفون، كغرفة (حجرية) أو مغارة (كهف)، أو حفرة في الأرض، يحبـس فيها السجين، وعادة توضع سلاسل في قـدم المسجون، أو يربط في جذع شجرة ضخمة، أو طرق أخرى عديدة. وقد حاربت الدولة هذه العادة ومنعتها وحذرت من فعلها وفاعلها مخالف لأنظمة الدولة ومستحق للعقوبة، وجاء في ذلك وثائق وخطابات كثيرة، ومن ذلك الوثيقة التالية التي ذكرت «حضرة المكرم أمير المشرق يبلغنا أن بعض مشائخ القبائل والنـواب يستعلمون سجوناً لديهم يسجنون فيها من يرغبون من جماعتهم دون علـم الحكومة وهذا ما كنا نهينا عنـه ولا زلنا نستنكر هذا العمل؛ فيقتضي التنبيه على عموم المشائخ والنواب التابعين لكم بمنع استعمال أي سجون لديهم وإخطارهم بالعقوبة الصارمة في حال تجاسر أحد منهم على سحب أي شخص من جماعته»[٥].

---

(١) هناك إشارات تناولت الخاوة والإرفاق وغيرها، انظر: صالح الغامدي، ٣٥، وسعيد آل سحيم، ٢١-٢٤.

(٢) موضـي بنـت منصـور آل سعـود، ٩٠، ٩٢، حيـث أوردت حديث للملـك عبدالعزيز في مؤتمـر العقير عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٢م) (إن العشائر لا يفهمون إلا السيف؛ أشهروا السيف يرتدعون، وأغمدوا السيف ينهبون ويقتلون ويتقاضون الخاوة).

(٣) وثيقتان في مكتبة الباحث تحت الرقم (٧/٣٤٦)، (٧/٣٦٦) وتاريخ (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م).

(٤) منع الملك عبدالعزيز الخاوة وتوعد من يأخذها. انظر صالح عون هاشم، ٤٧.

(٥) وثيقـة في مكتبـة الباحث محفوظة بالرقـم (٧/١١٢) وتاريخ (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م). لقـد تجولت في أرجاء السـروات وتهامة خلال الثلاثين سنة الماضية، وزرت العديد من المنازل والقصور القديمة الخاصة لبعض الشيوخ وشاهدت أماكن السجن وما تشتمل عليه من أدوات تستخدم في سجن المساجين.

من العادات التي هذبتها الدولة، وربما استخدمت القوة، القضاء العرفي وما يتعلق به من عادات وأنظمة قبلية؛ وركزت الحكومة على فرض القضاء الشرعي وإرسال القضاة إلى البوادي والهجر، ولم يكن دور القاضي الحاكم الشرعي فقط بل كان واعظاً ومرشداً، والقضاة أصحاب الدور الفاعل في الإصلاح بين الأطراف المتنازعة ولجميع أنواع الخصومات من دماء وأموال وحدود قبلية وخلافات أسرية، وربما اشترك القضاة مع مشايخ القبائل أو بعض الأعيان في الصلح أو في استشارتهم فيما يخص بعض العادات والتأكد من توافقها مع تعاليم الشريعة الإسلامية؛ ومن ثم الحكم على ضوء اكتمال الصورة لدى القاضي الشرعي، الذي حل محل العوارف ومقاطع الحقوق، وكان العوارف يلتزمون بالشريعة في مجريات الصلح، وجاء في إحدى الوثائق: «فخيرناهم بين الصلح والحكم الشرعي فاختاروا الصلح، فأصلحنا بينهم بما يرضي الله ورسوله ولا يعارض الشريعة»[١].

من الوثيقة السابقة يتضح أن العوارف أصبحوا ملزمين بتعاليم الشريعة الإسلامية . كما توقفت الإيجارة ومنعت وتم التحذير منها، وأي خلاف بن أفراد القبيلة أو مع شيخهم فمرده إلى حكم الشريعة الإسلامية، وفي هذا الأمر نجد أن خلافاً وقع بين شيخ وأفراد قبيلته فصدر خطاب من الأمير عبدالله بن عسكر يذكر: «بلغنا أن فيكم ناساً باليتهم العافية والراحة، ويريدون المخالفة واتباع الأهواء، أنتم أبلعوا العافية وما حدث بينكم بسدة أميركم.. وما أشكل على الجميع فيرفع إلينا وإلى الشرع، ومن شذ وخالف منكم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه، الخطر على المخالف ليكون لديكم معلوم (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) الختم»[٢]. ونجد الأمير يرجع أمر القبيلة في خلافاتها إلى حكم أميرها الذي لم يحل له الأمير خلافات قبيلته إلا وهو واثق من حكمته وعلمه، وأنه سيتخذ العادات منهجاً في تصرفاته مع تقييده بالشريعة، ثم يشير وفي حالة وجود ما يشكل على الجميع، أي القبيلة وأميرها، ولا يمكن حلها تُرفع للأمير والحاكم الشرعي. وجعلت الدولة التحاكم إلى القضاء الشرعي هو الأساس، وكذلك احترمت العادات والتقاليد إذا توافقت مع الشرع الحنيف. واهتمت أيضاً بالتقاليد المحلية من باب حماية المجتمع من الأعراف التي يخالطها انحرافات وبدع تضر بصفاء العقيدة، وكتبت الكثير من الوثائق والخطابات الرسمية عن العادات غير المسموح بها، وحذروا من خطرها على المجتمع .

---

(١) سعيد عبد الله جفشر، صفحات من تاريخ القضاء في عسير في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٣٨ـ ١٣٧٣هـ/١٩٢٠ـ١٩٥٣م)، منشور في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ج٢١، ط١، (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ٨٧وما بعدها، وثيقة في مكتبة الباحث بالرقم (٧/٢٧٧) في تاريخ (١٣٤٥هـ/١٩٢٧م) مصدرها الدكتور عبدالعزيز بن دلية آل مشعل .

(٢) وثيقة في مكتبة الباحث محفوظة بالرقم (٧/٢٨٠) في تاريخ (١٣٤٨هـ/١٩٣٠م) .

شكل الملك عبدالعزيز آل سعود عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) هيئة ملكية برئاسة الشيخ محمـد البشير لدراسة أحـوال بلاد عسير وإبداء رأيها في الحالـة الاجتماعية، ورفعت تلك الهيئة قرارها رقم (١١١) بتاريخ (١٣٦٠/٢/١٦هـ/ ١٩٤١/٣/١٤م) [١]، ورأت أن الدواء الناجع للعادات المخالفة هو إفهام الناس وإسماعهم من المواعظ ما يقنعهم بفساد تلك التقاليد مع الزجـر والتخويف من قبل الأمراء والقضاة والدعاة ومشائخ القبائل ؛ واستثنـت بعض الأعراف التي رأت اللجنة عدم التـدرج في منعها والحزم تجاهها دون هـوادة ولا مجاملة كعادة الختان، واختلاط الرجـال بالنساء، وكذلك الدخيل والإجارة وهو ما يعرف شرعاً بإيواء المحدث [٢].

لقـد صدر من أمير مقاطعة عسير في تاريـخ (١٣٦٠/٦/٩هــ٣/٧/١٩٤١م) إلى أمـراء تابعين لـه يوجههم بدعوة مشائخ القبائل وتحذيرهم مـن الاعتداء على بعضهم البعض وفي ذلـك يقول: «التعديـات الواقعة من .... على .... وعلـى عابري السبيل ... إلـخ . فتعمدكم ببعـث خوياكم للتواصل مـع المفسدين واتخاذ التدابـير اللازمة لقطع دابر التعديات من.... على .... وغيرهم، وبالعكس وإلقاء القبض على المعتدين من.... وسجنهـم لديكـم وإحالتهم إلى الشرع وجميـع عموم مشائخ ... وإلقـاء الدرس عليهم بحضـور القضاة يحذرون فيه من مغبة الأمر إن تمـادت قبائلهم في مد أيديهم على... أو غيرهـم من عابري السبيل وإخطارهم بأن الحكومـة ستقمعهم، إن حصل منهم أي شيء من التعديات بعد الآن، وبعد ذلك يؤخذ على المشائخ مضبطة بإبلاغهم أمرنا هذا وأنهـم المسؤولون عن كل مـا يحدث من قبائلهم، وأن كل مسؤول عن قبيلته ويُصدق من القاضي، وترفع إلينا ـ التوقيع ـ أمير عسير» [٣].

تشـير هذه الوثيقة إلى جانب مهم مـن القضاء على العـادات السيئة، ومن أهمها وأخطرهـا تقاليـد الغـزو وما يتعلق بها مـن أعراف سيئـة واستباحة للدمـاء والأموال وقطعـان الماشية، وسعـت الدولة إلى تحقيق كل مـا يحفظ المجتمع ولُحمتـه، وإبعاد ما يضـر الناسِ، والحرص على تفاهم أفراد المجتمع، وفي حالـة الاختلافات التي يصعب حلها، فإنها تُحال إلى المحاكم الشرعية .

---

(١) وثيقـة (بـدون رقـم) في مكتبـة الباحـث وصورتها مـن مركز ألمع لصاحبه الأستـاذ محمد بـن علي آل عبدالمتعالي.

(٢) هنـاك عـادات وأعـراف كثيرة عنـد أهـل البـوادي والأريـاف وكذلـك الحواضـر كانـت لا تخلـو مـن التجاوزاتالشرعيـة، وقـد بذلت الدولة جهـوداً كثيرة في توعية الناس، والأخذ علـى يدي المخالفين ، فلله الحمدوالشكر.

(٣) وثيقة في مكتبة الباحث (بدون رقم وبدون تاريخ) .

ورد في إحدى الوثائق حضور أحد القبائل وأميرها لدى الأمير ابن عسكر، وقد تباحثوا فيما بينهم من الدعاوى والنزاع وخروجهم من يد أميرهم، فلما اطلعنا على ما ذكروه جميعا، ووضحت لنا جميع أمورهم فجعلناهم على أربعة، وألزمناهم على أن أميرهم خامسهم، وعلى هذا انقطع الخلاف، ولم يبق بينهم بعد لا دعوة ولا طلب؛ وكل ما أشكل فيُرد لهم وإلا فيُرفع الأمر للمنصوب والشرع، ومن خالف ـ بعد هذا من الجميع ـ فلا يلومن إلا نفسه ويستحق لما يلحقه من أدب (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) (١).

نلحظ في الوثيقة السابقة وغيرها حرص الدولة على توحيد القبيلة الواحدة، وعدم تفرقها وحل خلافاتها بالصلح وتطييب الأنفس، وفي حالة استمرار الخلاف فمرده إلى مؤسسات الدولة الرسمية . ونجد في وثيقة أخرى من الأمير عبدالعزيز العسكر إلى إحدى القبائل يقول فيها: « إلى كافة.... السلام وبعد، يذكر أميركم ... أن بعضكم يتوقف إذا ورد عليه أمر من الولاية ويخالف شوفته وهذا أمر ما نجيزه ولا نرضاه؛ كل منكم يطلب العافية ومرجعكم إلى الشريعة هو الحكم (٢٢ ذي القعدة ١٣٤٩هـ ــ ١٠أبريل١٩٣١م. الختم) (٢).

٢ـ توطين البادية وإنشاء الهجر:

أدرك الملك عبدالعزيز أن استقرار البادية عامل قوة إلى وحدة البلاد واستقرارها(٣). وكان من أهدافه العامة توطين البادية في أنحاء مملكته الناشئة وإنشاء الهجر(٤). وبدأت فكرة توطين البادية في وقت مبكر من حُكم الإمام عبدالعزيز، واستطاع إخراج هذه الفكرة من حيز التفكير إلى ميدان التطبيق بعد أن وجد التأييد من والده الإمام عبدالرحمن وكبار آل سعود والعلماء(٥). وتم التنفيذ والعمل متخطيا جميع

(١) وثيقة برقم (٧/٣٨١) محفوظة في مكتبة الباحث.

(٢) وثيقة رقم (٧/٣٨٨) وتاريخ ١٣٤٩هـ محفوظة في مكتبة الباحث ومصدرها مركز ألمع للوثائق لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي. رحمك الله يا عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، فلقد كنت خيراً وفتحاً وبركة على جميع سكان المملكة العربية السعودية التي كانت في حروب وصراعات مستمرة، وبعد ظهورك على مسرح الأحداث سلكت كل ما في وسعك لتوحيد هذا الكيان العظيم (المملكة العربية السعودية)، ونحن اليوم نعيش في أمن وأمان وفضل من رب العباد، وذلك بفضل الله (عزوجل)، ثم بجهودك المباركة وجمعك شتات الناس، ونهضت ببلادك على منهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(٣) انظر موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود. الهجر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٨، ١٤٠٨هـ، ٢٢٨ .

(٤) طه بن عثمان الفراء، الملك عبدالعزيز وتوطين البادية، مجلة القافلة، شركة أرامكو، مج٤٨، ع١، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ٢٤ــ ٣٠ .

(٥) حسين حسان محمد. توطين البدو في البحر زمن الملك عبدالعزيز آل سعود. مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد ٢٥، ٢٠٠٦م، ٢٠٦. صالح عون هاشم، ٤٤ .

ما كان يعترض هذا المشروع من صعوبات، وأخيراً تمكن من تحقيق أكبر تغير اجتماعي شهدته الجزيرة العربية منذ عدة قرون، وفكرة التوطين تعطي صورة واضحة عن مدى سعــة أفق الملك وبعد نظــره حينما نظر إلى النواحي المدنيــة والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي يمكن بواسطتها تحسين أوضاع مجتمعه البدوي[١].

إن الاستفــادة مــن تحقيــق التوطين لم تكــن فقط مدنيــة واقتصاديــة واجتماعية وعسكريــة؛ بــل كانت أمنية أيضاً. واخــذ الملك عبدالعزيز العديد مــن الأساليب لإقناع رؤساء القبائل البدوية بالحضور إلى الرياض من أجل الدراسة في مسجدها الكبير على يــد مجموعة من علماء الديــن، الذين خصصتهم الدولة للقيــام بتعليم رؤساء القبائل الأمــور الدينيــة ، وحثهم علــى ترك حياة البــدو والترحال إلى حياة العمــل في الزراعة والاستقــرار حــول مــوارد المــاء[٢]. ويذكر الريحــاني في ذلك قولــه: «باشر ابــن سعود إصلاحــه الكبير بالوسائل الدينية، فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيهم إلى(أ) إيمان يستشعرون.(ب) وبيت يأوون.(ج) وأرض يحرثون»[٣].

قــرب الملــك عبدالعزيز رجــال الباديــة إليه وزعماءهــم، ومنحهــم الهدايا والمنح والعطايــا، وأصدر أوامره بإعطاء شيــوخ القبائل بيوتاً في مدينة الرياض. كما شكل من هــؤلاء الرؤساء القيادة في قواته العسكريــة[٤]. والهدف الذي سعى له الملك جمع شمل القبائــل البدوية تحت سيطرته المباشرة ، والخضوع لسلطتــه السياسية، وإضعاف دور شيوخ القبائل وتحجيمه؛ فنشر الدعاة الذين كانت مهمتهم توضيح أهمية طاعة ولي أمر المسلمــين، وأن الدين الإسلامي قد حث على ذلــك من خلال القرآن الكريم والأحاديث النبويــة الشريفة[٥]. والهدف الرئيسي من مشروع الملك تحويل البدو من حياة الترحال إلى حيــاة الاستقــرار وإنشاء مجمعــات سكنية تقوم على الزراعة، وتكــون الأرض أساس حيــاة الاستقرار للقبائــل البدوية، ولم يجبر البدو كلهم على التوطــين وإنشاء الهجر، بل

---

(١) عبدالفتــاح حســن أبو عليه، الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيــرة العرب، الرياض، دارة الملك عبدالعزيــز، مجلــد ١، ١١٨. ١٩٧٥م، ١١٧. إنها حقيقة، فإدراك الإمام ابــن سعود إلى تطوير إنسان هذه البــلاد واستقراره تعد من أعظــم الأعمال التي حققت قيام دولة عربية حديثــة في شبه الجزيرة العربية. فرحم الله الملك عبد العزيز وأسكنه الجنة.

(٢) أبو علية ، ١١٨ .

(٣) أمين الريحاني ، تاريخ نجد وملحقاته، بيروت، المطبعة العلمية ، ١٩٧٣م ، ٢٦١.

(٤) حسين حسان محمد ، ٢٦١ .

(٥) صالح عون، ٤٤ .

سمح لكل قبيلة من قبائل البدو الكبيرة التي دخلت في مشروع الهجر أن تبقي قسماً من أفرادها في الصحراء يعملون في الرعي[١]. ومرونة التوطين وترغيب البدو فيه من العوامل المشجعة والمقنعة على قبول الاستقرار. ووصفت الهجر التي أنشئت بالقول: «فالهجرة إذا هي الهجرة إلى الله والتوحيد، وهي كذلك هجرة مدينة. فمن بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر، ومن الفقر والغزو إلى أرض لا تخون صاحبها إذا أعمل بها المحراث، ومن الخوف والحذر إلى طمأنينة لا تهجره مادام عاملاً مفيداً لنفسه ولبلاده»[٢].

تحدثت المصادر والمراجع والدراسات عن توطين البدو في عهد الملك عبدالعزيز، وذكرت أن (الأرطاوية) أول هجرة في هذا العمل العظيم، ووصفوها بأنها (أم الهجر)، وهي فاتحة برنامج الهجر[٣] الذي كانت فكرته عام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) [٤]. وأنشئت الأرطاوية في أطراف القصيم على الطريق من الكويت إلى بريدة في وسط الطرق بين نجد والأحساء، وأخذت تنمو بسرعة وتزدهر، وبعد عام قامت عتيبة بإنشاء هجرة الغطغط في وادي ثمامة [٥]، وهجرة العضبان بالقرب من جبل النير، وهجرة المانية لنايف بن مارق بن ضنيان، وهجرة المش، وهجرة الحصاة، حصاة قحطان، وحصاة آل عليان، وهجرة الرين، ثم توالت الهجر حتى وصلت إلى مائة وخمس وخمسين هجرة، وزعت عليها العديد من قبائل وسط وشمال المملكة العربية السعودية . وهناك هجر أخرى قامت في نفس تاريخ قيام هجرة الأرطاوية عام (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) ، لكن لا نستطيع تحديد الأسبق هل هي هجرة الأرطاوية في أطراف القصيم؟ أم هجرة منطقة «تثليث» التي كانت أول هجرة أنشئت خارج نجد[٦].

تذكر المرويات الشفهية وبعض الدراسات والمصادر الأولية أن أول هجرة قامت في تثليث كانت في عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، قام بإنشائها محمد بن جعفر بن عبود بعد وصوله إلى تثليث، وكانت نواة لتأسيس عدة هجر حول ذلك الوادي، وقد اختطها ابن

---

(١) عبد الفتاح حسن أبو عليه، ١٢١. محمد عبدالله السلطان، توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، المدينة المنورة، الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة (١٤١٦هـ/١٩٩٦م). ٢٧٠ .

(٢) أمين الريحاني ، ٢٦١ .

(٣) في عام (١٣٢٩هـ/١٩١٢م) اجتمعت جماعة من قبيلة حرب في مكان بالقرب من المجمعة عرف باسم الأرطاوية. انظر: فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ، (٢٠٠٢م)، ٣٧٢ .

(٤) صالح عون ، ٤٤ .

(٥) موضي بنت منصور آل سعود، ٨٧، ١٠٢، ١١٩. عبدالله بن حمد الحقيل، بعض من سيرة الملك عبدالعزيز توطين البدو، دارة الملك عبدالعزيز، مجلة الدارة، ١٩٨٥م، ١١٦ـ ١٢٦ .

(٦) موضي آل سعود ، ١٢٠ ـ ١٥٠ .

عبـود في موضع يُعرف بالمدينـة، وسُميت باسم (هجرة المدينـة)، وكان ذيب بن عبود قد بايع الملـك عبدالعزيز بعد دخوله الرياض في أواخر سنـة (١٣١٩هـ/١٩٠٢م)، وهو قادم من تثليث إلى نجد واستمر في ولائه حتى وفاته عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)[١]. وإغفال الهجر التي أنشئت في منطقة تثليث في شرق منطقة عسير فيه شيء من الإغفال لجانب مهم من مشـروع التوطـين وإنشاء الهجر، وتلك الهجر أنشئت بتشجيـع ودعم من الملك عبدالعزيز لأهـل البادِيـة، رغم أن منطقة عسير لم تنضم بعد إلى تاج ملكه، إلا أن ولاء منطقة عسير كان سابقاً لدخول عسير تحت حكم الإمام عبدالعزيز بما يقارب عقد من الزمان.

كان لهجـر تثليـث وسكانهـا دور رئيسـي في التواصل مـع أبناء عمومتهـم من قبائل قحطـان، حاضرة وبادية، وإيضـاح الأهداف السامية للملـك عبدالعزيز وسعيه لتوحيد البلاد والعباد، وقد ورد معنا في صفحة سابقة خطاب أحد مشائخ قحطان المرسل للملك عبدالعزيـز الـذي قال فيه: «وصلنـا الشيخ معيض بـن جعفر بن عبـود وأخبرنا بحسن سيرتكم وإقامتكم للدين، مدنا الله رب العالمين، وحن من اللي يحب الدين وأهل الدين»[٢].

يوجـد اختـلاف في أول هجـرة في تثليـث، فهنـاك من يذكـر هجـرة المدينة لابن عبـود كأول هجـرة أنشئت خـارج نجد عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، ورأي آخـر يذكر أن هجـرة الحـرف التي اختطهـا شيخ قبيلـة المشاعلة الشيـخ محمد بن بخيتـان في عام (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، تعد الأولى بعد هجرة المدينة المذكورة آنفاً، وإذا صح هذا القول، فهذا يعني أن إنشاء هجرة المدينة كان قبل عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، وهذا يشير إلى أن تثليـث أول منطقة استجابت لمشروع الملـك عبدالعزيز في توطين البادية وإنشاء الهجر. والحقيقـة أن هـذا المشروع لم تكن بدايـة فكرته في عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) وتطبيقه في عـام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) في الأرطاوية، بل كان حاضـراً في عقل الملك المؤسس منذ دخوله الرياض مما يدل على هذا البداية المبكرة في إنشاء هذه الهجر[٣].

يذكـر العمـروي أن أول هجـرة خـارج نجـد لابـن بخيتـان شيـخ المشاعلـة عـام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، وقـول آخـر يذكـر أن أول هجـرة ابـن بخيتـان كانـت في عـام (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، وهجـرة ابن عبود كانـت أول هجرة بعدها[٤]. وقـد بذلت جهود

---

(١) عمر بن غرامة العمروي، ٧١، هند القحطاني، ٤٤، ٤٥.
(٢) وثيقة مرفوعة من محمد بن دليم شيخ قحطان وودادعة إلى الملك عبدالعزيز في عام (١٣٣٥هـ/١٩١٧م).
(٣) عمـر بـن غرامة العمروي، ٧٠، وموضـي آل سعود، ٨٧ـ ٩٥. وللاستزادة انظـر عبدالله حمد الحقيل، ٢٧ وحسين حسان محمد، ٣٧ـ ٤٢.
(٤) انظر العمروي، ٧٠، وهند بنت حسن القحطاني، ٤٦.

كبـيرة لمعرفة الحقيقة إلا أنني لم أجد أي وثيقة تشير إلى البداية الفعلية لإنشاء الهجر في بـلاد تثليـث[١]. سواءً أكانـت الهجر في تثليـث أنشئت في عـام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ومـا قبلهـا، أو في عام (١٣٣١هـ/١٩١٣م) فكل هذه الاحتمـالات لها دلالة واحدة، هي: أسبقيـة إنشاء الهجر في تثليـث، وأسبقيتها أيضاً للكثير من الهجر التي أنشئت في نجد وبخاصـة شمالها خـلال الفترة مـن (١٣٣٠- ١٣٤٨هـ/ ١٩١٢- ١٩٢٩م)[٢]. وجميع مـن تنـاول هذا المشروع الضخم للملـك المؤسس لم يشر إلى هجـر تثليث رغم أهميتها ومشاركـة أهلها في الكثـير من الغزوات في جيوش الملـك عبدالعزيز قبل ضم عسير في عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م).

سنقوم بعرض للهجر التي قام أهل البادية في منطقة عسير باستيطانها واتخذوها هجـراً لهـم؛ وذلك ساعـد على إيجـاد قاعدة بشريـة عسكرية مهمـة ذات ولاء للملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل في منطقة عسير، وكان ذلك يحدث بهدوء وصمت لا يثـير اهتمام أحد من القوى المتصارعة في عاصمـة هذا الإقليم (أبها)، سواءً أكانت المتصرفية العثمانية أو الإدريسي[٣]. ومن تلك الهجر ما يلي:

أـ هجرة آل عبود:

اختطهـا الشيخ محمد بن جعفر بن عبود في موضع يُعرف بـ (المدينة) على اختلاف بين المصادر: هل هي الأولى أم هجرة الحرف. وهـاتان الهجرتان أضعهما في ترتيب واحد ولا أستطيـع أن أرجـح إحداهما على الأخـرى، وهجرة آل عبود أسسهـا الشيخ محمد بن عبود، ثم قدم إليه أخوه معيض من هجرته في المنيصف جنوب الدِّلم بمنطقة الخرج بنجد واختط هجرة آل عبود الثانية في موضع يُعرف بـ (النقرة). ومعه أخوه محمد وعشيرتهما آل مسعود، وهـاتان الهجرتان تقعان إلى غرب وشرق تثليث، ومن الشمال هجرة آل سويدان التي سيأتي ذكرها، ومن الجنوب صفا العبد، وبلاد المشاعلة، ومن الشرق جبال جميجان، ومن الغرب سلسلة جبال الحمرة الممتدة على جانب وادي تثليث من النـاحية الغربية[٤].

---

(١) الـذي وجـدت عن الهجر في تثليث ما أورده العمروي في كتاب: (تثليـث) وما حولها، ومسعود المسردي في كتابـه (جاشـر)، وهند القحطاني في كتاب (إعمار الهجر) وأغلبها مبني على روايات شفهية، ولم نجد ما يساندها من مراجع أخرى أو وثائق صحيحة ترجح رأي على رأي.

(٢) هند القحطاني، ٤٦، ٤٧، وموضي آل سعود، ٥٤، والعمروي، ٧٠ ـ ٧١.

(٣) مـازال هـذا الموضوع يستحـق مزيداً من الدراسة الجـادة والرصينة. ويبـدو أنه كان هناك علـم عند القوى السياسية في منطقة عسير بما يجري في شبه الجزيرة العربية وبخاصة في بلاد نجد. ومن المحتمل أن أوضاع تلك القوى كانت في وضع ضعيف حتى لو عرفت بأعمال ابن سعود واتصالاته مع بوادي تثليث وما حولها.

(٤) العمروي، ٧١ـ٧٢.

ب ـ هجرة الحرف:

اختطهـا أمير قبيلـة المشاعلة الشيخ:محمـد بن بخيتان. والمشاعلـة أحد بطون آل السلطـان مـن آل دهيم، وآل دهيم مـن آل محمد بن سليمان من الجحـادر. وتقع على جانب وادي تثليث من الناحية الشرقية ، وتحدها من الشمال شعيب العضاض الأسفل، ومن الجنوب شعيب العضاض الأعلى، ومن الشرق جبال جميجمان ، ومن الغرب وادي تثليث، ثم هجرة المصبح: ويوجد في هذه الهجرة مسجدها الأثري الذي بناه ابن بخيتان سنـة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م) ، وآبار ونخيـل قديمة. وهي الآن مأهولة ومعمورة، وتبعد عن سوق تثليث الحالي أربعة أميال[١].

ج ـ هجرة المصبح:

الهجرة الثانية للشيخ ابن بخيتان، تقع على جانب وادي تثليث من الناحية الغربية، ويفصل بينها وبين هجرة الحرف الأولى مجرى وادي تثليث البالغ عرضه أربعمائة متر تقريباً، ويحدها من الشمال شعيب أم حرمل، ومن الجنوب قرية آل سويدان، وهم أحد بطـون آل الجمل مـن قبيلة الجحادر، وتبعد هجـرة المصبح عن مدينـة تثليث الحالية أربعة أكيال. ويحدها من الشرق مجرى وادي تثليث، ومن الغرب شعيب المشرب المنتهي بجبـال الحمـرة الشاهقة[٢]. وقـد استوطنها خلق كثـير من قبيلـة المشاعلة وغيرهم، ونقـل الجامع من هجـرة الحرف إلى هجرة المصبح. ولازال قائماً حتى الآن، تم تشيده من السعف أولاً، ثم جدد البناء من الطين، ثم هدم وبني من الطين للمرة الثانية، ثم بُني حديثاً بالبلـك الخرساني وهو الجامع الحالي للهجرة ووضع عليه لوحـة تعريفية، جاء في نصها: «جامـع هجرة ابن بخيتـان بهجرة المصبح أسـس سنة (١٣٣١هـ/١٩١٣م) »، وفي هجرة المصبح مزارع وبيوت كثيرة تتوسطها بيوت آل بخيتان، وكانت المصبح مقراً للمركز الإداري الحكومي، والمحكمة الشرعية حتى صدرت الأوامر من الجهات المختصة بنقلها إلى مكانها الحالي حيث إنها ملتقى الطرق من الرياض إلى خميس مشيط وأبها وبيشة وما جاورها.

د ـ هجرة آل سويدان:

أسسهـا الشيـخ هذال بـن حويزي على أنقاض حجرة قديمة، كان قـد بناها جده أمـير قبيلة آل سويدان في الماضـي، وكان هذال مندوب الملك عبدالعزيز إلى أهل تثليث وغيرهم في منطقة عسير، ويعمل ساعياً للبريد ـ أيضاً ـ تقع هذه الهجرة إلى الجنوب

(١) المرجع نفسه .
(٢) المرجع نفسه .

مـن هجـرة المصبح، ويحدها من الشـرق وادي تثليث، ومن الغـرب جبال الحمرة ومن الشمـال هجـرة المصبح، ومن الجنـوب هجرة آل عبـود، وآل سويدان: أحـد بطون آل الجمل بن جحدر بن عبدالله بن سنحان بن مذحج.

هـ- هجرة ابن شفلوت في الصبيخة واسمها: القهر[1]:

بناهـا الأمـير عشق بن زيد بن شفلوت في أعلى مزارع نخـل بلدتهم الصبيخة، وقد اختطهـا بعـد هجرته الأولى التـي أسسها في الغطـط. وتقع في موضع يُعـرف بـ (خشم المبعوث)، جبل متوسط إلى الشرق من وادي طريب وخلفه ابنه ذيب الذي اختط له هجرة أخـرى فوق هجرة والـده، والصبيخة بلدة قديمة لقبيلة الفهـر، وقاعدة ولد الحارث من عبيدة، بها مزارع النخيل الكثيرة، وتقع على جانب الطريق العام من الرياض إلى خميس مشيط. وأصبحت اليوم مدينة حديثة وقديمة بها القصور والحصون التراثية والحديثة.

و- هجرة الحزم الأولى بجاش:

أُسسـت في موضـع يُعـرف بحزم ابن شبعـان، واختطها الأمـير: وازع بن شائع بن شري سنة (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، ثم قام ابن أخيه جعفر بن جمل بن شري وأسس هجرة الروضـة الثانية، وأمر على قبيلته المسـاردة بعد وفاه عمه وازع، وقد أسسها في الروضة لوجـود الماء الحلو فيهـا؛ ولأن المياه في موقع الهجرة الأولى بالحـزم مالحة. ثم جاء الشيخ الغميصـ بـن هرسـان وأسس الهجـرة الثالثة [2] في أعلـى جاش وهي الهجـرة الأصل[3]، بالقرب من الفرعة، ثم خلفه شبيب بن حيبان شيخ الصقعات في تلك الهجرة ، وتقع هجر المسـاردة كلها في الجانـب الغربي من وادي جاش أحد روافد وادي تثليث الكبير، وتبعد عن مدينـة تثليث .(١٧) كيلا تقريباً إلى الجنـوب الغربي. وجاش بلدة قديمة معروفة، ذكرها الهمداني في كتابه: صفة جزيرة العرب، وقبيلة المساردة إحدى قبائل عبيدة من قحطان[4].

(١) العمروي ،٧٢ .

(٢) مسعود المسردي، ١٣١.والعمروي ،٧٣ .

(٣) للأسـف إن شرق منطقة عسـير، وخاصة بوادي قبائل شهران وقحطان لم تخدم بحثيـاً وعلمياً وتوثيقياً حتى الآن، وآمـل مـن جامعتي الملك خالد وبيشـة أن تدعم وتشجـع أساتذتها لدراسة هـذه الناحية ،وهي جديـرة بالاهتمام البحثي.

(٤) العمـروي، ٧٣ــ ٧٤. انظر أيضاً مسعود المسـردي، ٣٧ - ٥٨. في شرق منطقة عسير مـن مدينة بيشة إلى نجـران أمكنـة كثيرة لها تاريخ قديم قبل الإسلام وخلال القـرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة، ولا أجد عنها دراسات علمية جادة . (ابن جريس).

ز ـ هجرة آل شبوة :

بناها الشيخ محسن التوم ومعه عشيرته آل شبوة من قبيلة آل الجمل من الجحادر وتقـع علـى الجانب الغربي مـن وادي تثليـث[١] ،ويحدها من الشـرق وادي تثليث، ومن الغرب هضبة الزويكبة، ومن الشمال الربوعية، ومن الجنوب هجرة آل سعد .

ح ـ هجرة آل سعد ـ ويقال لها : هجرة آل خميسة :

أسسها الشيخ: شعوان بن مشبب شيخ آل خميسة من قبيلة آل سعد في موضع يعرف بالكهيـف وتبعـد عن مدينـة تثليث ستة أكيـال، وتقع على جانب واد تثليـث من الناحية الشرقيـة، وتجاورها هجرة المستـوى لآل فاضل: التي أسسها الشيخ: تركي بن عريج بن ريحان شيخ آل فاضل من قبيلة آل سعد، وأفادنا بعض الرواة بأن الهجرتين اختطتا على ما يُرجح في سنة (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) .

كان نظـام الهجـر الإداري في عهد الملـك عبدالعزيز إذا توفي الأمـير خلفه ابنه أو أخـوه أو قريبه. فمثلاً عندما توفي أمير هجـرة آل عبود محمد بن جعفر وصنوه معيض بـن جعفر خلفهما الابـن مناحي بن معيض بـن جعفر، ثم نايف بن جربـوع ابن أخيه. وعندمـا توفي محمد بـن بخيتان خلفه ابن أخيــه محمد بن جخدب بـن بخيتان، وابنه محمـد بن بخيتان الملقب بالمطـوع. وكذلك هجرة المساردة فإنه عندما توفي الشيخ وازع بـن شائع خلفه جعفر بن جمل بن شـري. وعندما توفي مترك بن شفلوت خلفه ذيب بن شفلوت في هجرته بالصبيخة[٢] .

وعـن اختطـاط الهجر، نجد بعض معاجم اللغة تشـير إلى الخط أو الخطة، فتذكر أن الخـط: الطريقة المستطيلة في الشيء، والخط الطريق، والتخطيط التسطير، ويقال: فـلان يخط في الأرض إذا كان يفكـر في أمرهِ، والخط والخطة: الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك، وقد خطها لِنفسه خطاً واختطها: وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلـم أنه قد اختارها ليبنيها داراً ، ومثلها خطـط الكوفة والبصرة، واختط فلان خطة إذا تحجر موضعاً وخط عليه بجدار، وجمعها الخطط؛ والخطة، بالكسر: الأرض، والدار يختطهـا الرجل في أرض غير مملوكـة ليتحجرها ويبني فيها، وذلـك إذا أذن السلطان لجماعة من المسلمين أن يختطوا الدور في موضع بعينه ويتخذوا فيه مساكن لهم [٣] .

---

(١) العمروي ، ٧٣ـ ٧٥ .
(٢) العمروي ، ٧٥.
(٣) للمزيد انظر معاجم اللغة الرئيسية مثل: لسان العرب لابن منظور وغيره.

أمـا الآلية التي اتبعـت في بداية تكوين الهجر فتتضمن أخذ إقـرار الملك وموافقته علـى استقـرار الأمير وجماعته في منطقة تثليث؛ وكانـت الموافقة على الجهة فقط دون تحديد حدود الأرض، فقد تُركت الحرية لأمير القبيلة باختطاط هجرته لقبيلته وتكفلت الدولـة بتقديم الإعانـات المالية والزراعيـة لسكان الهجر، وذلك خـلال الفترة ما بين (١٣٣٠ـ١٣٤٥هـ/ ١٩١٢ـ ١٩٢٦م)، وفي ذلك الزمن حاولـت الدولة تجنب مصادمة القبائـل ، فكان الحكم لا مركزياً ويتم في كل منطقة حسب العادات والعرف السائد[١]. وكانـت كل قبيلة بدوية تختار مكانها حسـب انبساط الأرض ووفرة نخيلها ومائها وعدد الآبـار المتوفـرة في الموضـع المختار. وتعتـبر طبوغرافيـة الأرض السبـب الأول في اختيار الموقـع، وبسبـب الطبيعية الجبلية للأرض فقد تجمعت القبائل حـول وادي تثليث الكبير، وهذا يتضح من خلال المشاهدة التركيز السكاني على ضفاف الوادي، وقد ورد في إحدى الوثائق القول: « نحن الموقعين أدناه حنا يا أمراء ونواب الجحادر من قحطان نقر ونعترف بأن جر وادي تثليث فيه شركاء خصوص الماء ما أحد يختص بشرع دون الثاني»[٢].

في هذه الوثيقة يتضح تنافس القبائل على جر وادي تثليث وظهر العديد من الأملاك على ضفافه وجوانبه، وقد ورد ما نصه: « ومن كان له في جوانب تثليث ملكاً سابقاً ثابتاً مثل صاحب النخلة والدار مثل الحمضة ورغون وبلاد آل سعود وبلاد المشاعلة وبلاد آل سويدان وبلاد آل سعد وبلاد آل شبّره التي بجوانب تثليث..»[٣].

يبدو أن حدود اختطاط كل قبيلة لم توضح بعلامات أو حدود معلومة، وإنما تعارفت القبائل على حدود الأرض شفهياً، وبالمعالم الثابتة والأراضي الشاسعة التي كانت تُعرف بين خطة كل قبيلة وأخرى. ولما كان عدد الأفراد لا يقارن بمساحة الوادي الواسعة فكان أمير القبيلة وما يقرب من ثلاثة إلى أربعة أفراد يختارون موقع المسجد أولاً ثم يبدأ كل فـرد باختطاط الأرض التي تناسبـه، ودرجت العادة أن يتوسط الأمير وأقرباؤه وأعوانه الأرض، في حين يتأخر الأفراد إلى الأطراف؛ وكانـت مساحة الأرض من حيث الصغر أو الكـبر تختلف بحسب مكانـة الشخص الاجتماعية وعدد أفراد أسرته وحسب حاجته تبعـاً لنوعية ما يرعاه؛ فصاحب الإبل يحتاج إلى أرض كبيرة، في حين لا يحتاج صاحب الضـأن والماعز إلى مثل تلك الأرض[٤]. وأحياناً يستخدم شيخ القبيلة صلاحياته فيوزع الأرض حسـب مـا يبدو له، مما قد يولـد الضغينة بين أفـراد القبيلة وهـو الأمر الذي

(١) هند القحطاني، ٤٨.
(٢) صورة الوثيقة ضمن أوراق الباحث.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) هند القحطاني، ٤٩.

أدى بعـد ذلك إلى منع اختطاط الهجر[١]. وبشـكل عام فإن مساحة الأراضي الشاسعة سمحـت لكل فـرد أن يأخذ من الأرض ما يريد دون أن يحتـاج إلى موافقة أمير القبيلة على مساحة محدودة[٢].

شيـد البـدو بيوتهم مـن العريش والطـين لأول مرة محاكين بذلك مـا رأوه في حلل منطقـة نجـد، إلا أن خلفيتهم البدوية التي يرجعون إليها أثرت في هذه البيوت فكان كل مـن السكان يبني بيته في وسط أرضه تماماً، كمـا كان وضع خيمته في وسط الصحراء دون أن يقـترب من جـاره الذي يبني بيته بنفس الطريقة، وقد سمحـت لهم الأراضي الشاسعـة بالتصـرف بحرية حيث لم تكـن للأرض قيمـة شرائية آنـذاك، لأن الأرض تُقطـع للقبيلة مجاناً من الدولة. وتفاوتت أحجام البيـوت حسب حاجة ساكنيها، فوجد بيـت يتكون مـن غرفتين وحوش، وبيت آخـر يوجد فيه أكـثر من إحـدى عشرة غرفة وحوشـين منفصلـين. إلا أن الغالب في كل البيـوت أنها تتكون من أقسـام متداخلة تتبع ملكيـة الفـرد: قسم خاص بالأهل وحدهم، وقسم الحوشـ الداخلي والخارجي ويخص الغنم أو الإبل.

بعـد سكن البـدو في البيـوت تحولوا إلى عـالم يكفل لهـم استقراراً أكـثر، وبدأوا يمارسـون الزراعة بمساعدة مـن الحكومة، وكان اختطاط المزارع حسب ما يستطيع أن يحييـه، فصاحـب القدرة يأخذ أرضاً أكبر لإمكانية إحيائهـا، في حين أن آخر لا يتمكن من إحياء سوى ثلاث أو أربع نخلات .

إن هـذه الهجَر التي ذكرتها سبقت ضم منطقـة عسير وبعدها لم تكن الوحيدة بلٍ سبقتهـا هجر وأعقبتها أخرى، وأصبح لكل عشيرة هجـرة أو أكثر، وكان ذلك إنعاسكاً لحيـاة الأمن والأمان، وثمـرة من ثمار توحيد هذه الأجـزاء المترامية في كيان واحد هو المملكـة العربيـة السعودية. وكان من أعظم أعمال الملـك عبدالعزيز (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) توحيد الجزيرة العربية وقبائلها ثم توطين البادية الرّحَّل في ربوع الجزيرة العربية حتى يتسنى للدولـة تقديم كل متطلباتهم من التعليم والأمن والأمان ونبذ العنصرية والقيام بجهود متميـزة في توحيد أجزاء الوطن. وكانت باديـة منطقة عسير عماد جيوش الملك الموحد

---

(١) إن الصراعـات على العقارات والأملاك من المشاكل الكبيرة التي عانى منها سكان شبه الجزيرة العربية؛ بل هناك الكثير من الحروب التي كان سببها الصراع على العقار والممتلكات .

(٢) هـذا الأمر يكون موجود وممارس في البوادي والصحاري الشاسعـة، أما مناطق الحواضر والأرياف، فكل واحـد يمتلك عقاره وأرضه، ويحصـل صراعات على ذلك كثيرة. ومن يطلع على سجلات المحاكم وغيرها من مؤسسات الدولة سوف يجد مصادر ووثائق كثيرة في هذا الباب.

في الكثير من المعارك خارج عسير، وأثناء توحيد جنوب المملكة العربية السعودية ، من الطائف ومكة المكرمة إلى بلاد عسير، وجازان، ونجران[١] .

٣ـ تأثيرات الدولة في الحياتين الدينية والعلمية :

قامت الدولة السعودية الأولى على التعليم الذي يرتكز على تعليم علوم الدين وجهاد أعداء الدعوة الدينية الإصلاحية التعليمية. وكان لتلك الدولة أثر كبير في إحداث تغيرات مهمة سياسيا واجتماعيا وعلمياً وفكرياً ليس في موطنها الأساس نجد، بل في جميع بقاع الجزيرة العربية التي وصلت إليها تلك الآثار التي استمرت مع أئمة الدولة السعودية الثانية، ودعا إليها وتبناها الملك عبدالعزيز في مسيرة التوحيد التي بدأت منذ استعادة مدينة الرياض في عام (١٣١٩هـ/١٩٠٢م) ، واهتمامه ومن كان معه من علماء ودعاة وقضاة في تعليم الناس أمور دينهم وحثهم على ذلك[٢] .

انحصرت أماكن التعليم في تلك الفترة المبكرة على الكتاتيب والمساجد والأسواق والهجر وكل مكان يتجمع فيه الناس فكان الوعاظ والدعاة والقضاة يقومون بتعليم الناس أمور الدين، وكانت الكتاتيب تخصص جانباً منها لتعليم القراءة والكتابة وجزءاً آخر لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي، وفي فترات متأخرة دخل الحساب والجبر والفقه والأحكام الدينية في تلك الكتاتيب[٣] .

سبق الإشارة إلى أحوال البادية في عسير بأنهم قوم رحل يعتمدون في حياتهم على الإبل والخيول والأغنام، وأن تنقلاتهم وصلت إلى نجد وجهات أخرى في شمال الجزيرة، وتلك الرحلات جعلت لأهل البدو صلة وثيقة بحكام آل سعود في أدوارهم الثلاثة والدعوة السلفية الإصلاحية، كما أحب البدو تلك الدعوة وأيدوها وحضروا مجالس علمائها وأخذ العلم عنهم طلباً لمرضاة الله والدار الآخرة. ونجد ابن عبود بايع الملك عبدالعزيز بعد استعادته للرياض أواخر سنة (١٣١٩هـ/ ١٩١٠م) ، واستمر في

---

(١) رحمك الله يا الإمام عبد العزيز آل سعود، فقد أنعم الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ بك على هذه البلاد. عند خروجك في بدايات القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ثم قيامك بالكثير من الجهود والأعمال الكبيرة لتوحيد هذه البلاد العظيمة (المملكة العربية السعودية) ، وتغيير وجه الأرض، ثم جمع وتطوير إنسانها العربي الأصيل حتى أصبح خادماً وحامياً ومدافعاً عن بلاده ومقدساته، فلله الحمد والشكر على ما تفضل الله به على هذه الديار المباركة، ورحم الله وغفر وبارك في ملوك آل سعود الذين بذلوا ما في وسعهم لخدمة بلادهم وشعبهم، وصلى الله وسلم على رسول الله .

(٢) انظر سالم محمد السالم، المكتبات في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام (١٩٩٠م) .

(٣) للاستزادة عن التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، انظر: محمد بن عبدالله بن سليمان بن سلمان، التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٩٩٩م، ٧، ٥٣، ١٥٢، و سعيد عبدالله جفشر، صفحات من تاريخ القضاء في عسير، ٢١٧ .

ولائه إلى عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، إلا أن المصادر المكتوبة أو المروية لم تسعفنا بأي ذكر لسعي ابن عبود إلى التعليم عند علماء الرياض، ويذكر أن أول من ذهب للرياض للتعلم علـي بن محمد بن بخيتان، ومحمد بن جخدب، فقد وفدا على سماحة الشيخ عبدالله بن عبداللطيـف آل الشيخ سنــة (١٣٣١هـ/١٩١٣م)،ولازماه حتى سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٥م)، وقـرأ على سماحته القرآن الكريم حتى حفظاه، وتعلمـا الأصول الثلاثة والقواعد الأربعة والفقـه والتفسير واللغـة. كما تعلما على يد عـدد من العلماء ومنهـم: أصحاب الفضيلة الشيـخ ابن عتيق، والشيخ حسن آل الشيخ، والشيخ القريشي. وتذكر المراجع أن الشيخين علـي ومحمد آل بخيتان كانا يحضران مجالس الملك عبدالعزيز ويجتمعان معه ويسألهما عـن أحـوال قومهمـا وأراضيهما، وعن حـال القبائل المجـاورة، وعـن آراء إقليم عسير، وولاء أهـل البادية وغـير ذلك[١]. وفي أواخر عـام (١٣٣٣هـ/١٩١٥م)، عـادا إلى تثليث للاطمئنــان على ذويهما، ثـم رجعا إلى الرياض سنة (١٣٣٤هــ/١٩١٦م)، ولزما الشيخ عبدالله بن عبداللطيف حتى عام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م)، ثم عادا إلى قومهما في بلاد تثليث ومعهما بعض مؤلفات شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب ومنها الأصول الثلاثة، والصـلاة وشروطها وأركانها وواجباتها، وتفسير سورة الفاتحة، وقواعد الدين الأربع[٢]. ويذكـر أن الأمـير محمد بـن بخيتان طلب من الملـك عبدالعزيز أن يرسـل لهم في تثليث مرشـداً دينياً فبعث إليهم الشيخ ابـن رشيد الدوسري سنة (١٣٣١هـ/١٩١٣م) ، فأرشد الناس وبصرهم بأمور دينهم ودنياهم، ومن حرصهم على بقاء الشيخ ابن رشيد عندهم وفي هجرتهم زوجوه، وأسندوا إليه الإمامة والخطابة في مسجد هجرة المصبح[٣].

كمـا طلـب الشيـخ وازع بن شري من الشيـخ محمد بن حمد بن عتيـق من الأفلاج القـدوم إلى جاشـ بتثليث لتعليم عشيرته ومن حولهم من سـكان الهجر القرآن الكريم والتوحيـد وقواعـد الدين وأصوله وكل ما يجب عليهم، وجـاء الشيخ وقام بتعليم الناس وتنويرهـم في أمـور دينهم، ودعا الشيخ حنثل بن جعفر الشيـخ عبدالعزيز بن فالح من أهـل الليلى سنة (١٣٤٤هــ/١٩٢٥م)، فوصل لجاش وقام بتعليم أهلهـا[٤]. ومثلهم آل شفلـوت في الصبيخــة فقد زارهـم أكثر من شيخ ومعلـم حتى أصبح جامـع الصبيخة ومساجدهــا تغص بالدارسين وطلبة العلم الشرعي. وأثـرت الحركة العلمية والتعليمية والدينية في البدو؛ حتى وُصفت قبيلة بني واهب بالصوامين، وأصبح يوم الجمعة مقدساً

(١) أشارت بعض المراجع إلى هذه المعلومات كما سمعت ذلك من بعض الرواة في محافظة تثليث أثناء جمع مادة هذا البحث.
(٢) إن بلاد تثليث وما حولها من مناطق شرق بلاد عسير لها تاريخ وذكر في مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة، ولها أيضاً ذكر في التاريخ الحديث وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية الجادة الرصينة.
(٣) العمروي، تثليث، ٧٥ .
(٤) المرجع نفسه، ٧٦ ــ ٧٧ .

إلى درجة أنهم سموا يوم الجمعة يوم السربلة، أي أنه: يوم لا يتقلدون فيه السلاح وأن العدو يأمن عدوه يوم الجمعة[١]. وظهر من ابناء البادية معلمون يعلمون ما جاورهم من البلاد مثل: عبدالهادي آل عياف الجحادر، ومحمد بن ضويحي آل عياف، وقد درسا في جهات بيشة القرآن الكريم وبعض العلوم الأخرى[٢]. ونجد الملك عبدالعزيز يحرص دائماً عند تعيين أي أمير لأي بلد أو هجرة أو حاضرة أن يجعل مع الأمير قاضياً ، ولم يكن دور القضاة محصوراً في أعمال القضاء بل كانوا مرشدين ودعاة ومعلمين[٣].

نجد في إحدى الوثائق التي صدرت من الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي في تثبيت أحد مشائخ القبائل أميراً على قبيلته ورد فيها ما نصه: « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك ألفا[٤] علينا أميركم وأعطانا العهد على دين الله ورسوله القيام بالأوامر الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسمع والطاعة لولاة الأمور: آل سعود، وتغيير المنكرات الظاهرة ومنع اختلاط النساء بالرجال في الأسواق وغيرها. وستر عوراتهن والاجتماع على الصلوات الخمس في المساجد، وتأديب المتخلف عنها وغير ذلك من الأوامر الشرعية فالتزم بها «[٥].

في وثيقة أخرى ذكرت إرسال قاض ومعلم إلى المساردة في جاش، ونصت على الآتي: (من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم حنثل بن جعفر، ومناحي أبو وازع... وكافة المساردة سلمهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط الكريم وصل، وما عرض كان معلوماً مخصصاً من قبل عيسى بن رشود، وقد عرفناه يتوكل على الله ويستقيم عندكم مطوع لكم وفيه ـ إن شاء الله ـ بركة، والذي... في بيشة ومع العمار فيه ـ إن شاء الله ـ الكفاية؛ هذا ما لزم تعريفه»[٦].

من التعليمات الدينية الصارمة التي كان الهدف منها صلاح الفرد والمجتمع، ومن ثم صلاح المستقبل، فقد جعل الملك عبدالعزيز بحكمته وبُعد نظره للقضاة الذين يبعثهم إلى عسير دوراً آخر غير أدوارهم السياسية وممارسة أعمال القضاء، وكذلك جعلهم

(١) مقابلة مع الدكتور: محمد بن سعد آل خذام الواهبي الشهراني ، عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) .

(٢) محمد جرمان العواجي، صفحات من التاريخ التعليمي والفكري والثقافي في محافظة بيشة خلال العصر الحديث والمعاصر. دراسة منشورة في القول المكتوب في تاريخ الجنوب لغيثان بن جريس ، ط١، الرياض، مطابع الحميضي ، ج١٩، ٤٨٠ .

(٣) سعيد جفشر، القضاء في عسير ، ٢٢٥ .

(٤) وردت في الوثيقة (ألفا) والصحيح ألفى بمعنى قدم أو أتى .

(٥) سعيد جفشر،٢٢٥ .

(٦) مسعود بن فهد ، جاش، ٢٢١ .

يتجهـون إلى التدريس والوعـظ في البادية والحاضـرة. وفي كل موضع يمكـن أن يرشدوا الناس ويعلمونهم أمـور دينهم. ومن جهة أخرى، كان القضـاة في عسير هم رموز الحياة العلمية والفكرية في البادية؛ فلم يقتصر دورهم على ممارسة أعمال القضاء فحسب وإنما اتجه أغلبهم إلى التدريس والوعظ واتخذوا من مجالسهم[١]. في منازلهم أو مجالس بعض أفـراد المجتمع في عسير أماكن لنشر العلم والوعـظ وإرشاد الحاضرين إلى ما فيه الخير والصـلاح، وكانـوا يحرصون على إقامـة الدروس، وإلقـاء المواعظ بالمساجـد في أعقاب الصلوات؛ ومـمـا ميز مجالسهم أنها كانت مفتوحة للخاصة والعامة، دون أدنى تفرقة بين الفئتـين[٢]. يضـاف إلى ذلك أن الذي كانـوا يقومون به من تدريـس أو وعظ بدون مقابل يحتسبون ذلك عند الله، ويرون أن أعمالهم في الوعظ والتدريس لا تقل أهمية عن عملهم في القضـاء، وأن عليهم توعية الناس بأهمية تحكيم الشرع الحنيف في جميع أمور الحياة، وتحجيم دور القبيلة وتقاليدها التي كانت سائدة في البلاد، وكانوا يقومون بالزيارات لأهل البادية، في سبيل التعليم والدعوة والإرشاد. ويقومون بإلقاء الدروس والمواعظ في المساجد، والمجالس العامة والخاصة، ومنهم من خصص مكاناً في منزله للتدريس والوعظ[٣].

(*) أما أسلوب المراسلة:

فإذا وصل إلى أحدهم خبر بوجود بعض المخالفات الشرعية في قبيلة أو بلد ما فإنهم يبـادرون إلى مراسلة أمير البلد، أو شيـخ القبيلة، أو أحد الأعيان والوجهاء؛ ليوضحوا له المخالفـة التي وصل إليهـم خبرها، ثم يذكرون لـه الوجه الصحيح استنـاداً إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة[٤]. ومما يؤيد ما ذكرناه رسالة من أحد قضاة عسير الشيخ محمد ابن إسماعيل بن عبدالوهاب إلى شيخ شمل إحدى قبائل البادية من شهران[٥]. ومما ورد

(١) تشـير العديد من المراجع والمرويات الشفهيـة، إلى اتخاذ هذه المجالس كدور للتدريس، انظر ابن جريس، عسـير، دراسة تاريخية والحيـاة الاجتماعية والاقتصاديـة. (١١٠٠ــ ١٤٠٠هـ/١٦٨٨ــ١٩٨٠م)، ١٠٢، المؤلـف نفسـه. أبها، حاضرة عسير، دراسة وثائقية، ١٥٥ــ١٥٦؛ الحميـد، عبدالله ابن محمد. من أعلام العلمـاء والأدبـاء في منطقة عسير. العلامة الزاهـد الشيخ عبدالله بن يوسـف الوابل (١٢٢٨ــ١٤٢٢هـ)، القاهرة، مكتبة الصحابة، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ط١، ١٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ١٩.

(٣) انظـر ابن جريس، عسير. دراسة تاريخية في الحيـاة الاجتماعية والحياة الاقتصادية. ٨٨. المؤلف نفسه، أبها. حاضرة عسير، ١٢٨، الحميد. الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، ٣٢؛ عارف بن مفضي المسعر، الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك مدرسة ذات منهج، سكاكا، [د ن]، ١٤٢٩هـ [دط]، ١٠٩ ــ ١١١.

(٤) ابـن جريس. غيثـان بن علي. أبها. حاضرة عسير، دراسة وثائقيـة، ١٥١؛ النعمي، هاشم، شذا العبر من تراجـم علمـاء وأدباء ومثقفـي منطقة عسير، ١٣٠. كما وجدنـا العديد من الوثائق التـي اعتمدت أسلوب المراسلـة بين القضاة، وأمراء البـلاد والقبائل، انظر أيضاً، عسير دراسـة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. ١٠٥ــ١١١.

(٥) بـلاد شهـران المقصود بها البلاد والمناطق التي تسكنها قبيلة شهـران، والممتدة من محافظة بيشة شرقاً،

فيهـا: «من محمد بـن عبدالله ابن إسماعيل إلى جناب الأخ المكـرم الأمير .... وجماعته سلمهم الله - السلام عليكم .. إن الله - تباك وتعالى - خلقنا لعبادته. وترك فينا العقول لطاعتـه ومعرفتـه، ويدخل في العبادة جميع المأمورات، واجتنـاب جميع المنهيات»[١]. وفي هـذا نجـد أن القاضي ابن إسماعيل، يتوجه للشيخ (....) حيـث ينصحه فيها بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومحاربة كل ما يعارضهما .

بذلك يظهر لنا ما كان للقضاة ورجال العلم من أعمال عظيمة يؤودونها في الوعظ، وإرشاد الناس، وتدريسهـم العلوم الشرعية التي تبين لهم الصواب؛ ومن رسالة الشيخ سليمان بن محمد بن جمهور إلى شيخ من مشائخ البادية يوصيه فيها بالقيام بما يجب عليه من واجبات تجاه محاربة الفوضى، وتحمل المسؤولية ، ومما ورد في ذلك الخطاب: «مـن سليمان ابن محمد بـن جمهور، إلى جنـاب المكرم الأمير...أيقظـه الله من سنة الغفلـة - السلام عليكـم ورحمة الله وبركاته، أما بعد... إنـك أمير مقدم تأخذ على يد السفهاء، وتنصف الضعفاء من الأقوياء، وتأطر الظالم على الحق أطراً «[٢].

كما وجه للشيخ سليمان بن محمد بن جمهور ردود على بعض مشائخ قبائل المنطقة الذيـن كانوا يطلبـون توجيـه أو الاستفتاء لهم أو لبعضـ القبائل التابعـة لهم[٣]. ومن رسائـل القضاة في هذا الشـأن رسالة من قاضي عسير فيصـل آل مبارك[٤]. إلى أحد شيـوخ الباديـة قال فيها: « بسـم الله الرحمن الرحيـم، من فيصل بـن عبدالعزيز آل المبـارك إلى جناب الأمير المكـرم ..... وكافة ...... - سلمهم الله تعالى وهداهم - آمين السـلام عليكم ورحمـة الله وبركاته..» إلى أن قال: «.. أما بعد ، فلا يخفى على جنابك الشريف: أن الموجب لتسطير هذه الأحرف وتحرير ما عليه. هو النصيحة لا غير، فإنها للمسلمـين وللخلـف أجمعين، ثم إنه مـن المعلوم أنه ورد في الحديـث: (كلكم راعٍ وكلكم

إلى وادي بيشـ في تهامـة غربـاً، فهي تعرف باسم شهـران العريضة، ومـن قبائلهـا ذات الطابع البدوي كـود وناهسـ وبني واهـب وغيرهم. مقابلة الدكتور محمد خـذام الشهراني من قبيلة بنـي واهب. في عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) .

(١) ابن جريس، غيثان علي ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ٨٥ .

(٢) النعمي ، شذا العبير، ١٢٦ .

(٣) هذا ما ذكره لي الأستاذ تركي بن ناصر بن غوي، نقلاً عن وثائق جده الشيخ محمد بن منصور غوي .

(٤) فيصـل بـن عبدالعزيـز بـن فيصـل بـن حمـد الرباعـي الحسنـي البشـري العنـزي الوائلي، ولـد عام (١٣١٣هـ/١٩٨٦م)، في حريمـلاء، حضـر افتتـاح الأحسـاء سنـةٍ (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، غـزا مع الملك عبدالعزيـز عـدة غزوات، وفي عام (١٣٣٨هـ/١٩١٨م) كان مرافقـاً للشيخ عبدالله بن راشد في حملة ابن جلـوي علـي عسير، وكان من ضمـن الوفد الذي انتدب لعقد معاهدة مع الإمـام محمد بن علي الإدريسي، عمل في القضاء سنوات عديدة، توفي عام (١٣٧٦هـ) انظر عارف بن مفضي المسعر، ٦٦ .

مسـؤول عن رعيتـه) فأعلاها السلطان، وأدناها المرأة في بيـت زوجها .. والموجب لهذا الكتـاب النصيحة له ولكتابـه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهـم. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(١). والـذي أوصيكـم ونفسـي بـه تقـوى الله في السر والعلانية، والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكـر، والمحافظة على الصلوات في الجمع والجماعة، والاجتماع لها في المساجد والأذان في الأوقات»(٢).

مـن أشهر القضاة الذيـن قاموا بالتدريس والوعظ، القاضـي محمد بن إسماعيل، والشيخ فيصل بن مبـارك ، والشيخ سليمان بن جمهور، والشيخ عبدالعزيز الثميري(٣). وهم من الذين شغلوا القضاء في أواخر الأربعينيات وخلال الخمسينيات من القرن الرابع عشـر الهجري، وحصل التحـول الكبير في التدريس والوعظ في عسـير اعتباراً من سنة (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، إذ بدأت مرحلة جديدة من الانتظـام في حلقات التدريس، وجرى التوسـع في أنـواع العلوم؛ مما أدى إلى قفزة نوعية في الكـم والكيف وتوافد طلاب العلم إلى مدينـة أبهـا، وتم ذلك عندما وصل الشيخ عبدالله بـن يوسف الوابل إلى مدينة أبها عـام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، رئيسـاً لمحكمتهـا حيـث كان حريصـاً على إلقـاء الدروس علـى طلابـه في مسجـده بحـي مناظـر في شتـى العلـوم، تفسـير، وفقـه، وتاريـخ، وعقيدة، ونحو(٤).

بهذا أصبح المسجد يمثل النواة الأولى لمدرسة العلوم الشرعية ، التي أسسها فضيلة الشيـخ عبـدالله بن يوسف الوابـل في مدينة أبها، فـكان لما قام بهِ مـن افتتاح لحلقات تدريس القرآن الكريم وعلومه أثر واضح، واستمر على ذلك مفرغاً نفسه لتدريس العلوم الشرعيـة، وتخرج على يده علماء أجلاء من قضاة ودعاة ووعاظ وغيرهم، وكان يعاونه عبدالله بن مهدي الحكمي في تعليم وتدريس النـاس. وعمل واستمر الشيخ رئيساً لمحاكم المنطقـة إلى جانب نشاطاته التعليميـة لتنوير النـاس في عقيدتهم، وإزالة الجهل والبدع والخرافات، لمدة تزيد عن عشر سنوات امتدت من (١٣٦٠ـ١٣٧١هـ/ ١٩٤١ـ١٩٥٢م)(٥).

---

(١) سورة المائدة : الآية : ٢ .

(٢) غيثان بن علي جريس ، صفحات من تاريخ عسير، ١١٧ .

(٣) عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثميري ، باشر عمله في أبها بعد صدور الأمر الملكي عام (١٣٥٥هـ)، واستمر بهـا قاضيـاً إلى عام (١٣٦٠هـ)، ونقل بعدهـا إلى محكمة صبيا حتى وفاتـه، كان عضواً في لجنة الحدود السعودية اليمنية. التي بموجبها تم عقد اتفاقية الطائف. محمد بن عبدالله آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز ، ٥٥؛ النعمي ، شذا العبير ، ١٧٥ .

(٤) عبدالله بن محمد الحميد، عبدالله بن يوسف الوابل ، ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م)، ٢١ .

(٥) ابن جريس، غيثان بن علي، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣٢، ٤٩٠ .

ولم يكتف الشيخ بنشر الوعي الديني في محيط مدينة أبها فقط، بل أرسل الوعاظ والمرشدين إلى القرى النائية، وكان هو وإخوانه من قضاة المحاكم الملحقة بمحكمة أبها، يلبون نداءات مشائخ القبائل، وأمراء البلدان، في افتتاح المدارس عندهم ، وتعليم أبنائهم[١] . وقد وجدت العديد من المراسلات والوثائق، التي يطلب فيها مشايخ القبائل من قضاة بلدانهم الرفع إلى قاضي أبها وطلب معلم أو مطوع لافتتاح مدرسة وكانت المدارس متواضعة في المسجد أو تُبنى حجرة قريبة من المسجد لتعليم الأبناء[٢] .

في رسالة من الملك عبدالعزيز، إلى أحد قضاة بادية منطقة عسير، منع فيها النظر في قضايا الدم السابقة لفترة حكمه إلا بأمر منه شخصياً، ومن ذلك ما ورد في خطاب بتاريخ (٥/صفر/١٣٥٥هـ/ ٢٦أبريل/١٩٣٦م) قال فيه «بعض الأخبار أزعجتني وأحببت تبليغكم ... فيه ناس يتكلمون مع الآخرين ، أحد يقول أنا متهمكم بدم، وواحد يقول: أنا متهمكم بضربة ،وعندكم لي ضربة [٣] . تعرفون أن هذا قد دميناه[٤] . ولا لأحد حق يتكلم فيه، إلا دعوى صادرة بأمر شرعي من عندنا هنا ، لنظر المصلحة، ولو أنها من الغائبات، وإلا الحكم الشرعي إلى معطية غيري أمير أو غيره، فلا قبول له لأني مانع الناس عن ذلك»[٥] . ومن هذه المقتطفات، يتبين لنا أن الملك يرفض أيٍ تصرف في الدماء السابقة إلا بأمر منه شخصياً، والسعي لإصلاح المجتمع وتعظيماً لأمر الدماء بين أبناء البادية وغيرهم، وحفظاً للحقوق، والتطلع لإصلاح المستقبل الذي كان يهتم بدعمه ورعايته.

في وثيقة تشير إلى إرسال من يرشد ويعلم أهل البادية ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فذكر: « فقد وصلني كتابك المؤرخ (١٣٦٥/٥/٢٤هـ ـ ١٩٤٦/٤/٢٦م)،

(١) كان من أعمال القضاة الرئيسية الإشراف على العلوم والمعارف، وافتتاح المدارس النظامية، ومتابعة أعمالها وهذا ما نص عليه المرسوم الملكي (١٣٤٦/٢/٤هـ) حيث نص على أن تؤلف هيئة المراقبة القضائية ومن وظائفها ما يلي: (أ) النظر في جميع الحدود الشرعية. (ب) النظر في المنازعات المالية. (ج) النظر في الأحكام التي تخص الوقف والمحجور عليه. (د) المراقبة على المعارف أو المحاكم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر آل الشيخ، عبدالله بن حسن. التنظيم القضائي، ٣٤ـ ٣٥ .

(٢) وثيقة رقم (بدون) بتاريخ (١٣٩٦/٦/١٠هـ) خطاب من معتمد المعارف بمدينة أبها، إلى أمير عسير. بشأن مخاطبة قاضي أبها، التي يطلب فيها فتح مدرسة بقرية العسران ببلاد بني بشر، مكتبة الباحث. وثيقة رقم (١١٠٣) بتاريخ (١٣٩٦/٥/٦هـ) وخطاب من قاضي السراة إلى نائب قاضي أبها بشأن طلب افتتاح مدرسة بقرية العسران، تلبية لطلب شيخ القبيلة. ابن ثقفان ، مكتبة الباحث.

(٣) المقصود هنا أي مشكلة سابقة .

(٤) دميناه : دفناه .

(٥) وثيقة رقم (بدون) بتاريخ (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، بشأن تعليمات صادرة من الملك عبدالعزيز.

مبشـراً بصحتك وبمـا يخصك وقيامك بالأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر في قبائل قحطان شرقي أبها، فالحمد لله على ذلك وفقنا الله وإياك لما فيه رضاه»[١].

وفي وثيقـة أخـرى مرسلـة لأمـير عسـير وملحقاتـه تركـي بـن أحمـد السديري في(١/٧/١٣٦٥هـ - ٣/٥/١٩٤٦م) مـن أحـد أفـراد البعثـة العلميـة في بادية وقرى قحطـانٍ كما وصف نفسـه حيث ورد فيها: (بعـد السلام عليكم ورحمـة الله وبركاته، تسهيلاً لطـرق الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عنِ المنكر ونشر العلم والتعلم بين البادية والحاضرة على حد سواءِ وتبرئة للذمة وخروجاً من العهدة»[٢]. ودون (١٣) مادة من الأمور التي رصدها ويرى أنها مخالفات ويجب معالجتها)، ونصوصها كالتالي: (١) إذا نودي للصلاة فعلى أهل السوق والدكاكين والمقاهي المبادرة إلى المساجد، ومن تخلـف عن الصـلاة عند سماع النداء يؤدب الأدبٍ الشرعـي؛ فإن الصلاة عماد الدين ومـن ضيعها فقـد ضيع الدين. (٢) ممنوع ـ شرعاً ـ سـب الدين والسفهٍ بالألفاظ غير اللائقة، والحلف بغير الله كالتمثيلٍ بالأم والحلف بالطلاق، ومن فعل شيئاً من ذلك أدب الأدب الشرعـي. (٣) ممنوع شرعاً النياحة على الميـت.(٤) إن عقد الاجتماعاتٍ التي تجري بعد دفنِ الميت لأجل العزاء، وصرف الأموال باسم عشاء الميت ممنوع شرعاً.(٥) ممنـوع شرعاً اختلاط الرجال والنساء في الأفراح وغيرها (٦) ممنوع شرعاً استعمال الربـا بأنواعه كلها. (٧) يجب على عمـوم الباعة وأهل الصناعات أن يجتنبوا الغش في معاملاتهـم ومناقبهـم.(٨) إن الذي يظهر منه الغش يـؤدب الأدب الذي يردع أمثاله، ويُمنـع من صناعته إذا تكرر منـه الغش.(٩) ممنوع شرعاً تلقـي الركبان وبيع حاضر لباد كما يقع من الدلالين الذين يستدخلون جميع ما بيد البدويٍ من السمن ثم يبيعونها بغـلاء فاحـش ويتهكمون بالمحتـاجٍ إليها.(١٠) ممنـوع شرعا خروج النسـاء متزينات متعطـرات، وكذلك خروجهن ليلاً إلا لضرورة مع محـرم، ومزاحمتهن للرجال. (١١) ممنـوع شرعاً التعاطي بأنواع السحر والتنجيم وقصد الكهان والرمالين وما أشبه ذلك مـن أنواع الخرافات.(١٢) رؤساء القبائل ونواب القـرى مسؤولون عما يقع في قبائلهم من المنكرات.(١٣) إذا وجدت هيئة الوعظ والإرشاد أو الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر نائب القرية ساتراً على أهل الفساد الذين هم من أتباعه عدته شريكاً للفاعل[٣].

---

(١) وثيقـة رقم (بـدون) في (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م) صورتهـا في مكتبة الباحث وهي مصورة مـن مكتبة الأستاذ عبدالعزيز المتحمي.

(٢) وثيقة رقم (بدون) وبدون (تاريخ) صورتها في مكتبة الباحث، وهي مصورة في مكتبة الأستاذ عبدالعزيز المتحمي.

(٣) المصـدر نفسـه. غفر الله لك يا عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل فلقد كنـت نبراساً لهذه البلاد، حيث عملت واجتهدت في بناء مجتمع يعمل بشرع الله، ويحارب المخالفات التي تتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ).

هذا ونرجو لكم التوفيق للأعمال الصالحات، والله ولي التوفيق.»

هـذا عمل أحـد أفراد البعثة العلمية في بادية وقرى قحطـان، إنه محمد بن يوسف الطيب (١/٧/١٣٦٥هـ ـ ٣/٥/١٩٤٦م)؛ وهو لم يكن الوحيد فقد تأثر الكثير من أبناء بادية منطقـة عسير بالدعوة الإصلاحية التي واكبت نشـوء الدولة السعودية ، وظهرت فيهم أسر وأفراد علمية اهتمت بالدين والدعوة والتعليم في بادية منطقة عسير والذين سبـق أن أوردنـا أسماءهـم كالمشايخ علي ومحمـد آل بخيتان وغيرهم مـن طلبة العلم والقضـاة الذين كان لهـم دور في الدعوة والإرشاد ومحاربة البـدع، ومنهم: شعوان بن مشبب آل خميسة، شيخ آل خميسة، وقاضي تثليث[١] . وقد اهتم هؤلاء الدعاة والمعلمين والقضاة بمحاربة البدع كما مر بنا، وكانت الدولة حريصة على ذلك منذ الأيام الأولى لدخول عسير تحت الحكم السعودي في بداية الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

اجتهد أمير الحملة السعودي الأمير/ عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي على النصح والتأكيـد علـى الآداب العامة والالتـزام بالشريعة الإسلامية وتعاليمهـا، ووجه منشورا إلى العديـد مـن قبائل منطقة عسير قبيل عودته إلى الرياض يؤكد فيه على التعليمات والأنظمـة والأوامـر الشرعية التي يجـب الالتزام بها[٢] . وورد في المنشـور الآتي العديد مـن التعليمـات من حيث الالتزام بـالآداب العام ومحاربة البدع ،وممـا ورد في المنشور «أعطانا العهد والميثاق، على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسمع والطاعة، وتغيير المنكـرات الظاهرة، ومنع النساء في الاختـلاط بالرجال في الأسواق وغيرها، وتميزهن عن الرجال في اللباس، وستر عوراتهن»[٣] .

كانـت بادية عسير ـ كغيرها من مناطق المملكة ـ تكتنفها بعض البدع والانحرافات العقديـة، ومن أبرز تلك المخالفات مـا يلي: (أ) اختلاط النساء بالرجال. (ب) اللجوء إلى السحـرة والمشعوذيـن . (ج) عادات الختـان المخالفة للشـرع. (د) سفور النساء .

---

(١) شعـوان بـن مشبب آل خميسة. وقاضي تثليث ، كما ورد في عدد من خطابات الملك عبدالعزيز له. مقابلة مع فالح بن شعوان عام (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) انظر: العمروي ، تثليث. مازال موضوع محاربة البدع والضلالات في جنوب المملكة العربية السعودية خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي من الموضوعات المهمة والجديدة في بابها، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يعكف على هذا الموضوع في دراسة علمية جادة.

(٢) كانـت أغلـب الوثائـق المتكررة للعديـد من مشايخ المنطقـة بنفس الأسلـوب والخط مؤرخـة في (٣/صفر ١٣٣٩هـ) أو شهر محـرم (١٣٣٩هـ) وكانت عودة ابن مساعد للرياض (٤ صفر/١٣٣٩هـ) حيث صدرت أوامر من الملك عبدالعزيز بعودته إلى الرياض، انظر، آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ٤٢ .

(٣) وثيقـة رقم (بدون) بتاريخ المحرم(١٣٣٩هـ) عبارة عن تعليمات صادرة من الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي لإحدى قبائل منطقة عسير، صورتها محفوظة لدى الشيخ محمد بن سعد بن مشهور؛ ووثيقة رقم (بدون) وتاريخ ٢/صفر/١٣٣٩هـ) محفوظة لدى الشيخ محمد بن ناصر بن شويل.

(هـ) خدمة النساء في المنازل التي تستعمل كبيوت ضيافة للمسافرين. (و) الحلف بغير الله. (ز) الذبـح عند بعضـ الأشجار أو القبور. (ح) عادات السمـاوة[١]. (ط) انتشار بعض الفرق المخالفة، للسنة النبوية في بعض جهات عسير الشرقية والجنوبية[٢]. (ي) وجـود بعض الطـرق الصوفية في الأجـزاء التهامية من عسـير. (ك) بعض المخالفات والبدع في العبادات[٣].

كان دور القضـاة في محاربـة البدع موازيـاً لدورهم في الوعظ والتعلـم والتدريس والإفتـاء، فكلهـا أعمال متلاحمة متتابعة مكملة لبعضها البعضـ، والهدف منها أن يتم توعيــة الناس بدينهــم، وشعائرهم وأمور دينهــم ودنياهم[٤]. وتم الاطـلاع على وثائق كتبـت بين أفراد قبائل بادية منطقــة عسير، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكرات وتقرير العقوبـات على من يخالـف. وأشارت إحدى الوثائق إلى بعض هــذه البدع والانحرافات فقالت: « ومن خالط النساء في الملاعب، فعليه الحبس والنكال ريالين، ومن تتبع النساء على البير وخارجه، فعليه الحبس والنكال ريالين، ومن الاختلاط في ختان أو عرس نكال خمسة بعد الحبس..» [٥].

في وثيقــة أخرى من أحـد قضاة المنطقة مؤرخة في (١٣٤٣هــ/١٩٢٤م) تشير إلى وجود بعض المخالفات عند بعض القبائل؛ ومما ورد فيها: «وقد بلغنا أنه يحدث عندكم منكـرات في الأعراس والختان من اختلاط الرجال والنساء وضرب الطبول وهذا الأمر لا يجيزه الشرع»[٦].

---

(١) عـادات السمـاوة: المقصود منها، إيجاد رابطة محبة بين شخصين؛ ربما كان الهدف منه إيجاد رابطة بين أسرتـين أو قبيلتـين وذلك بأن يتيمن أحدهمـا، فيسمي ابنه باسم الآخـر، وكان يصاحب ذلك الكثير من المناسبات التي كان يحدث فيها شيء من الإسراف.

(٢) مقابلـة مع علي بن شافع في عـام (١٤٣٣هـ/٢٠١٣م)، يحيى إبراهيم الألمعـي، رحلات في عسير نصوص وانطباعـات ووصف ومشاهدات، ج١، جدة، مطابـع دار الأصفهاني ،١٤٤، حيث يذكر وجود نقش ورد فيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلى ولي الله، وفاطمة أمة الله»، وهذا الأمر فيه دلالة على وجود التشيع في فترة من الزمن في تلك الجهات .

(٣) جمال حجر، الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ،٢٠٠٨م ، ١٤٢، فؤاد حمزة، بلاد عسير، ١٣٤ــ ١٣٧ .

(٤) جريس ، أبها حاضرة عسير، ١٥٢، الحميد، عبدالله بن يوسف الوابل ، ٣١ .

(٥) وثيقــة رقم (بدون)، بتاريخ شهر رجـب (١٢٤٥هـ/شهر يناير/١٨٣٠م) ، بشأن تعليمات إلى إحدى قبائل منطقــة عسير، وهي مدونة مــن أنفسهم، لضبط أفراد قبيلتهم. ومنع البــدع والانحرافات، مركز دار ألمع للتراث والوثائق .

(٦) رسالــة مــن الشيخ محمد بن إسماعيل، إلى إحدى قبائل البادية ، انظــر: ابن جريس ، صفحات من تاريخ عسير، ج١، ١٠١ .

وقف الأمراء والقضاة جنباً إلى جنب في محاربة البدع والانحرافات؛ ونجد العديد من المراسلات لعدد من القضاة موجهة إلى مشايخ القبائل وعقلائها تنصحهم الالتزام بالدين وتعاليمه، وترك المخالفات، والاختلاط، والبعد عن العوائد المنافية للشرع، ففي رسالة من الشيخ سليمان بن جمهور لشيخ إحدى قبائل بادية منطقة عسير، نص فيها على أنه يؤخذ بالعادات التي يقرها الشرع، ويحارب غير ذلك؛ فقال: «من طرف العوائد السابقة هل تثبت شرعاً أم لا؟ إذا كان لها أصل في الشرع فتبقى - كل على عادته - كالجهاد، والعقل، وغير ذلك، والله أعلم»[١].

عندما قدمت القبائل تبايع الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي على السمع والطاعة، وتهنئته بالنصر، وكان المشائخ المرافقون لحملته، ومعهم القضاة، يختبرون القبيلة وأعيانها ومشايخها في مبادئ دينهم؛ فإن وجدوا من يعرفها ويلم بها، وهو شيخ القبيلة جعلوا من مهامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإن كان من أعيانهم كلفوه بتكليف رسمي بالقيام بأمور الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وربما كانت هذه الاختبارات، إن جاز التعبير، أو التعيينات بصفة دورية تجدد من فترة إلى أخرى؛ مما يظهر مدى المتابعة والاهتمام من ولاة الأمر بهذا الشأن المهم في حياة الناس[٢].

هناك خطابات مباشرة من الملك عبدالعزيز لقضاة عسير عن دورهم في محاربة البدع التي تؤدي إلى الفتن مثل: القتل والتشجيع على الثارات القبلية، حيث نجد خطاباً موجهاً للقاضي شعوان بن مشبب في تثليث .. ينص على التأكيد على عدم فتح باب الثارات، أو الادعاء في دماء أو جروح سابقة للحكم السعودي إلا بأمر مباشر من الملك عبدالعزيز دون غيره محملاً الجميع المسؤولية، بدءاً من القاضي، وشيخ القبيلة والقبائل كلها مسؤولة عن أي ثأر قبلي أو سفك دماء يحدث لهذا السبب دون استثناء أحد[٣].

مما كان منتشراً ويدلس على الناس أمر دينهم وجود السحرة والمشعوذين، فهم يستترون بستار الدين؛ والناس البسطاء يرون الأمر كأنه من الكرامات لهؤلاء

(١) للمزيد: ابن جريس، صفحات من تاريخ عسير، ج١، ٩٩، ١٠١، ١٠٧، ١٠٨، للمؤلف نفسه، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ٢٠٤ .

(٢) حدث ذلك مع كبار وأعيان إحدى قبائل قحطان أثناء مبايعتهم للأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، فقد كان مقدمهم والمتحدث عنهم وكبيرهم في ذلك اليوم هو الشيخ محمد بن عبدالله بن الحنيش، وبعد أداء البيعة وجهت أسئلة دينية كان الغرض منها اختبار هذا الشخص المسؤول عن قبيلته والمتحدث عنها، فأحال السائل إلى علي بن مريع أبو شلعة لعلمه الشرعي فكلف هو وابن أخته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) الوثيقة رقم (بدون) في (١٣٥٥/٢/٥هـ) بشأن خطاب موجه من الملك عبدالعزيز إلى قاضي تثليث .

الصالحــين. وقد قام القضاة بمحاربة هذه الفئة الضالة، وأصبح معتاداً تفتيش بيوتهم وحــرق كتبهــم إن وُجدت، ومن ثبت عليه التهمة قتل، ومن أتهــم بها ولم تثبت عليه كان جزاؤه الجلد والنفي أو ربما تم الاكتفاء بإحدى العقوبتين[١].

يذكـر أن القضاة كانوا يقومون بجمع أهالي البلد للوعظ والإرشاد والإيضاح لهم أن الشافي هو الله ، وأن المعين هو الله، ثم يتم توجيه سؤال خاطف إليهم؛ من يقوم بعلاجكم إذا مرضتم؟ وبهذه الطريقة يتم كشف أسماء من يقومون بأمور العلاج غير الشرعي التي هي ضروب من الشعوذة والسحر، وفي إحدى الوثائق الصادرة من الملك عبدالعزيز، لأحد قضاتــه في منطقــة عسير ، ورد ما نصه: «وأن الفاســق الخارج من دينه ودنياه وما يدخر فســاداً، فــالأول: أنصحكم وأدخل علــى الله ألا تحطوا أنفسكم عرضــة للبلاء، وأنذركم إنذاراً تاماً تبرأ به ذمتي، وتقوم الحجة على الفاعل والراضي أن جميع ما يكون، ولا لأحد يتكلـم فيه، إلا دعوى صادرة بأمر شرعي من عندنا، وربما يكون شخص من قبيلة ويفعل فعلاً وبعد الفعل تتبرأ قبيلته منه؛ فهذا قبول، وجرم قبيلته مثل جرمه»[٢].

ربما وجدت أصنام أو أحجار يتم التبرك بها؛ فينتبه بعض من كُلف بالتعليم بها ويكتب للمسؤولين بذلك فيكون الرد الحازم بهدمها؛ حيث ورد ما نصه في إحدى المخاطبات التي يــرد بها منصــوبٍ الدولة فقال: «وبخصوصــ ما ذكرتم عن الحجريــن اللذين اتخذهما الجهــال معتقــداً؛ فسنرســل إليكم ـــ إن شــاء الله ـ أحــد الخويا ليقوم بالــلازم ويكلف المذكورين بكسرها وإعدامها بارك الله فيكم (١٣٦٢/١٢/١٥هـ - ١٩٤٤/١١/٣٠م)»[٣].

إن الأمــر لم يتوقــف على إرســال القضاة والدعــاة والمعلمين: بل وجــدت الرسائل الوعظيــة والنصائح المكتوبة، ومن تلك الرسائل رسالة نُصح من الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله)، أرسلت إلى أمير عسير وملحقاتها لتعميمها على أهالي المنطقة بادية وحاضرة، وقد بُعثت بتوجيه من الملك سعود، ولي العهد آنذاك، بتاريخ (١٣٧٠/٦/١٧هـ ـــ ١٩٥١/٣/٢٦م)وكانــت نصائح تتعلــق بالعقيدة ونبذ الشرك والبــدع وجاء في نص الوثيقــة (مــن سعود بــن عبدالعزيز بن عبدالرحمــن الفيصل إلى المكــرم أمير عسير وملحقاتــه ـ سلمه الله ـ بعد الســلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يصلكم برفقته خمس

(١) مقابلة مع سعد بن ظافر بن حنش في منزله بآل السواد في شهر رجب عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٢) وثيقــة رقــم (بدون) بتاريخ ١٣٥٥هــ/١٩٣٦م) بشأن تعليمات لأحد القضــاة في منطقة عسير صادرة من الملك عبدالعزيز، مكتبة الباحث.

(٣) وثيقــة في مكتبــة الباحــث (بدون رقم) بتاريــخ (١٣٦٣هـ) ومصدرهــا الباحث الأستــاذ عبدالعزيز بن سليمان المتحمي.

رسائل من الشيخ عبدالعزيز بن باز للأهالي طرفكم ـ إن شاء الله ـ تأمرون بقراءتها في الجُمع والمجتمعات ـ بادية وحاضرة ـ نرجو الله أن ينفع بها وينصر دينه ويُعلي كلمته ؛ هذا مُلزم بيانه والسلام . حرر في (١٣٧٠/٦/١٧هـ ـ ١٩٥١/٣/٢٦م) [(١)].

كما وُجد مُعلم أَحبَّة الأهالي حتى إذا نقل لمنطقة أخرى استشفعوا يطلبون بقاءه وما ذاك إلا ثمرة استشعار البادية بأهمية التعليم والتعلم لأبنائهم. ومن ذلك ما ورد في خطاب مرفوع من بعض الأعلام، إلى أمير عسير» تركي السديري» الذي حرر منهم في عام (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، وورد فيه:» نعلم إنكم تفضلتم علينا بالمطوع وهي ذا ليوم عندنا أكبر نعمة؛ حيث أنكم وصلتم العلم إلى هجرنا وقبائلنا فجزاكم الله خير الجزاء؛ والآن بلغنا أنه ترخص منكم ومن بدا بالمكارم فليتمها فنحن نبي تمام النعمة علينا حيث إنا تعبنا وصار اليوم أقبلت نتيجة التعب بين الذكر والأنثى والصغير والكبير، وكل يوم بزيادة معرفة ومحبة في الدين ، والله يا الأمير ما عاد نبي غيره حيث إنه ما جاءنا منه خلاف من يوم وصل ديارنا إلى اليوم...» [(٢)]. وفي هذه الوثيقة يظهر إن التعليم لم ينحصر على الرّجال فقط بل كان هناك تعلم للنساء .

اقتصرت العلوم على القرآن الكريم وعلوم الدين، ومن الكتب التي كانت تدرس ما ذكر وجودها في إحدى هجر البادية في تثليث مثل: الثلاثة الأصول، والصلاة وشروطها، وتفسير سورة الفاتحة، وقواعد الدين الأربع، والجزء الأول من زاد المعاد، وإغاثة اللهفان، ورفع الإشكال، للشيخ سليمان بن عبدالله وهذه المخطوطات لدى الشيخ عيسى الرشود[(٣)].

في بيان تسليم كتب من أحد أعضاء اللجنة العلمية المكلفة بتعليم بادية قحطان الشيخ القرعاوي ورد عدد من كتب الدين، وفي الوثيقة التالية ما نصه: «الكتب التي سُلمت ليد الشيخ عبدالله القرعاوي هي: المسلك الخاص في الفرائض، الثمرات الندية في الأسئلة النحوية، ستة نسخ من الأصول الثلاثة، شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، هداية المستفيد في التجويد، مجموعة الصرف وشروحها وحواشيها، خلاصة الأحكام للنووي»[(٤)].

---

(١) وثيقة بدون رقم وتاريخ (١٣٧٠/٦/١٧هـ ـ ١٩٥١/٣/٤م)، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي .

(٢) وثيقة مرفوعة من عدد من المشائخ لأمير عسير تركي السديري، في عام (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م) وهي من محمد بن الذيب شيخ المسقي شهران وصورتها في مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي .

(٣) العمروي، ٧٦، مسعود المسردي، ٢١٩ .

(٤) وثيقة (بدون رقم) و (بدون تاريخ) مصدرها الأستاذ عبدالعزيز بن سليمان آل المتحمي .

عرفـت باديـة منطقة عسـير التعليم النظامـي في أواخر الخمسينيـات من القرن الرابع عشر الهجري، واستمرت الدولة في التوسع في تعليم أبناء البادية وتكوين اللجان التـي تجوب بواديهـم وتعلمهم وتحفزهم على التعليم. وفرضـت الأرزاق والمكافآت على المتعلمـين. وفي خطـاب موجـه مـن أحد المسؤولـين إلى أحـد المعلمين يُحثـه على الجد والاجتهـاد والتعليـم؛ لأن أهـل البادية يحتاجـون إلى الإرشاد والتعلـم في كل ما يصلح لدنياهـم وآخرتهم على أن يكون التعليم والإرشاد بهـدوء وسكينة، وبالتالي هي أحسن لكـي يتمكن الواعظ المعلم من إنجاز مقصـوده ويعلمهم التعليم.. وعلى هذا فإنني أرى بأن التجول إلى كافة قراهم وهجرهم، وأن تقيم في كل جهة وقرية وهجرة خمسة عشر يوماً ترشدهم وتعلمهم التعليم اللائق»[١].

ازدهـر التعليم في البادية واقترن بالدين وعلومه متأثراً بالدعوة الإصلاحية، وقام على جهود فردية لأهل البادية؛ وإقبالهم النسبي على التعليم من خلال دفع أبنائهم إليه كان إمـا بدافع ديني وإمـا بدافع دنيوي إلا أن الدافع الديني كان الأغلب؛ فمن الترغيب بطاعـة ولاة الأمر إلى معرفة التكاليف الدينية كانت دوافع للعلم والتعلم[٢]. إضافة إلى تشجيع الدولة وسعيها إلى دعم التعليم حيث كان الملك عبدالعزيز مدركاً لأهمية التعليم ؛ بل إن النهضة التعليمية في عهده اهتمت بأهل البادية كما اهتمت بإرساء قواعد التعليم النظامي التي بدأت في عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م)، بتشكيل أول مجلس للمعارف[٣]. الذي أشـرف على جميع شـؤون التعليم في المملكة، وفي وثيقة مرفوعـة إلى مدير المعارف من نائـب جلالة الملك ورد فيها: «حضرة المكرم مدير المعـارف العام للاطلاع على ما جاء بمكاتبة إمارة أبها المشفوعة رقم (٤١٣٤) وتاريخ (١٣٦٥/٨/١٨هـ ــ ١٩٤٦/٧/١٨م)، في طلـب فتـح مدارس لأهلها وإفادتنا بما لديكم ورأيكم نحـو الطلب حرر. نائب جلالة الملـك»[٤]. حيث وجد ذكـر لـ (٣٩) مدرسـة لجميع أنحاء منطقة عسـير، كان نصيب الباديـة منها خمس مدارس، كما وُجدت قوائم بمرتبات المدير والمعلم والخادم[٥]. وهي على النحو الآتي:

---

(١) وثيقة (بدون رقم)، و (بدون تاريخ) ، مصدرها الأستاذ عبدالعزيز بن سليمان آل المتحمي.

(٢) موضي آل سعود، ٣٦٢ .

(٣) انظـر: مصطفـى حسـين خطـار، الملـك عبدالعزيـز والتعليـم ، منشـور في بحـوث المؤتمـر العالمـي، (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، المجلـد٣، ١٧٣، ومحمد بن عبدالله السليمان، الكتاتيـب في عهد الملك عبدالعزيز، منشور بمجلة الفيصل ، العدد ١٩١، ١٤١٣هـ .

(٤) وثيقة رقم (٢١/ت)و (بدون تاريخ) مصدرها مركز ألمع، لصاحبه الأستاذ محمد بن آل عبدالمتعالي.

(٥) وثيقة رقم (٣٢/ت) و(بدون تاريخ)، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي .

م	المسمى الوظيفي	الراتب
١ـ	مدير	١٤٥ ريال
٢ـ	معلم	١٣٠ ريال
٣ـ	خادم	٦٠ ريال

إن الباحث عن الحياة العلمية في منطقة عسير، بشكل عام وباديتها على وجه الخصوص، يجد نقصاً كبيراً في توفر المادة العلمية خاصة فيما يخص البادية حيث لم تصلنا إلا القليل من أسماء المعلمين في بادية منطقة عسير رغم أن هناك حراكاً تعليمياً دينياً كبيراً، وهذا يتضح في كثرة الموالين للملك عبدالعزيز والمتأثرين بتوجيهات العلماء والوُعاظ والمعلمين والمطاوعة؛ وفيما يلي نورد أسماء لأشهر من علَّم أهل البادية ومنهم: الشيخ عبدالعزيز بن عتيق، الذي حرص على تعليم النساء القرآن وعلوم الدين دون الكتابة، وقد تخرج على يديه عدد من الحافظات اللاتي أصبح منهن المعلمات(١). والشيخ عيسى بن رشود قاضي تثليث(٢). وعبدالهادي آل عياف، ومحمد بن ضويحي آل عياف وهما من قبيلة آل عياف الجحادر، قاموا بالتعليم في قرى بيشة والبادية؛ وهذا يدل على أن أبناء البادية نبغ منهم من أصبح يعلم خارج ديار قبيلته(٣). ومطر بن عيد بن عبدالله العفيش آل حمدان آل سالم الفهر الذي استطاع ختم القرآن في عام ونصف عام وعمره لم يبلغ تسع سنين ودرس في مسجد الصبيخة وكان يجيد اللغة العربية الفصحى واللغة الفارسية، ومن طلابه عبدالهادي ومسفر وفيصل أبناء ثامر المطوع، وعبدالله بن سفر بن بديع وذعار بن ذيب بن شفلوت(٤). وعبدالله ابن علي بن عبود العجيري الشهراني من أهل تمنية وهو من المعلمين الأوائل الذين درسوا في هجر الإخوان ومع مدارس القرى المجاورة ودرس في هجرة الروضة وهجرة الرفائع في بلدة جاش، وكلها مواضع متقاربة، ثم انتقل إلى صمخ(٥). وسعد ابن غانم المسردي الذي كان كُتابه في جاش ثم انتقل إلى بيشة(٦). ومن النساء: خرماء بنت عامر ، وغلباء ومنيرة بنات ناصر بن عبود الذي قام بتعيينهم لتعليم نساء الشيخ ابن شفلوت ، والشيخ القرعاوي(٧).

(١) محمد جرمان العواجي ، ٤٧٦ .
(٢) المرجع نفسه، ٤٧٧ .
(٣) المرجع نفسه، ٤٧٨ .
(٤) المسردي ، ٢٢٠ .
(٥) محمد جرمان العواجي، ٤٧٦ .
(٦) المسردي، ٢٢١ .
(٧) العواجي، ٤٧٥ .

كانــت أدوات الدراســة من الألــواح الخشبية التي تقطع من الأشجــار، وتهذب على هيئــة ألــواح مستطيلة الشكل، وللكتابة علــى هذه الألواح يستخدم دخــان السراج كحبر حيــث يجمع من السراح في علبة ثم يضاف عليه قليل من الماء ليصبح سائلاً أسود، وإذا عُدم يجمع الفحم ثم يطحن ويوضع في قدر ويوضع معه الماء والصمغ؛ أما الأقلام فكانت من الريش أو جريد النخل أو أعواد الشجر الناعمة، ولمعاودة الكتابة مرة ثانية على هذه الألــواح، يتــم غسلها بالماء أو مسحهــا بأي أداة أخرى وطريقــة التعليم في هذه الكتاتيب علــى ثلاث مراحل: الأولى: يقــوم المعلم بتعليم الطلاب حروف الهجاء مفردة، مع كيفية نطقهــا بحركاتها وسكناتها فإذا أتقن الطلاب تعلم الحــروف، انتقل المعلم إلى المرحلة الثانية، وتركز على عملية تجميع الحروف مع بعضها ونطقها وتكوين الكلمات، ثم ينتقل المعلم إلى المرحلة الثالثة: ويتم تلقين الطلاب القرآن الكريم، وحفظه، وإذا ختم الطلاب القرآن الكريم يتم الاحتفال بهم وتُعد لهم وليمة تسمى (وليمة حفظ القرآن) .

الدراسة تكون على فترتين: (١) تبدأ من الصباح الباكر وحتى صلاة الظهر. (٢) قبل أذان العصر وتستمر حتى مغيب الشمس وكانت أجور المعلمين محدودة وغير موحدة فكانوا يأخذون تمراً أو حباً، أو قهوة، أو ريالات قليلة، وبعضهم يعلم لوجه الله تعالى [١] .

شكلــت الهجر انطلاقة للتعليم في البادية، وكانــت مساجدها تُعتبر مراكز تعليمية وإرشادية مهمة، والأسواق التجارية الأسبوعية لا تخلو من وجود الوعاظ والقضاة الذين يعلمــون الناس أمور دينهم ويرشدونهــم، والمجالس الخاصة والعامة التي تعتبر مدارس للتعليــم حتــى ضُرب بها المثل (المجالــس مدارس) . أما عن التعليــم النظامي فلم نجد مــا يشير إلى تأسيــس مدارس التعليم النظامي في المناطق التابعــة لأهل البادية؛ إلا أن أغلبهــم وأغلب ديــار أهل البادية ارتبطــت تعليمياً ببيشة، وربمــا كان أبناؤهم ينتقلون للتعلم إليها[٢] .

نجــد التعليــم النظامــي في منطقة عسير بــدأ في أبها ، وبيشة، ثــم النماص، ومحايل عسير، ورجال ألمع، وخميس مشيط خلال الخمسينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ثم تطور

---

(١) مقابلة مع الدكتور محمد بن سعد بن خذام ، عام (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م).

(٢) أول المدارســ الابتدائيــة النظامية في المملكة العربية السعودية عُرفــت باسم المدارس(السعودية) واعتقد أن مدرســة بيشة عــام (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، كان اسمها المدرسة السعودية مثــل المدارس الأخرى في أبها، وجــازان، والباحــة، انظــر: ابن جريس، تاريــخ التعليم في منطقة عسيــر، ج١، ٥١ وما بعدهــا. إن التعليم النظامــي في عموم الســروات وتهامة لم يخدم حتى هذه اللحظة في بحوث علميــة جادة، وهو مشروع مهم وكبير لمن تخصص في هذا المجال.

تدريجياً خلال الستينيات والسبعينيات من القرن نفسه، وافتتحت مدارس في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير. وقد اجتهدت في الحصول على مصادر توضح لي انتشار التعليم في بوادي شهران وقحطان لكنني لم أعثر على مادة علمية موثوقة ، مع أن إدارات التعليم في أبها وبيشة كانت ومازالت تشرف على التعليم النظامي في هذه البلاد [(١)].

سادساً: تأثيرات الدلة على الحياة الأمنية والعسكرية في بوادي منطقة عسير الشرقية (١٣٤٠ـ ١٣٧٥هـ/١٩٢١ـ ١٩٥٥م):

١ـ جهود الدولة في الحياة الأمنية:

اهتمت الدولة منذ وقت مبكر بحفظ الأمن ، وتوجيه مشائخ وأعيان البادية وقبائلها بما يحفظ الأمن حتى أصبح هذا الأمر ليس مصدره أوامر وتوجيهات ولاة الأمر فقط، بل وجدنا الكثير من الوثائق التي تبادر بها القبائل وتؤكد على إعطاء الحقوق الشرعية والتساوي والعدل. وكل هذه أمور تدل على استشعار المسؤولية عند أفراد المجتمع مما جعل الأمن يعم منطقة عسير باديتها وحاضرتها، وربما كانت البادية أكثر لما عانوه من ثارات وغزو. وذكرت إحدى الوثائق قبيلة ذا أغلبية بدوية تأييدها وامتداحها الأمن والأمان الذي فرضه الملك عبدالعزيز فقالت: «نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يؤيد وينصر من نصب لواء العدل والإنصاف والأمر بالعفاف والكفاف، المعاقب لمن شذ وطلب طرق الخلاف الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل ـ أيد الله ـ مُلكه بالدين القوي والقهر لكل باغ وغوي...» [(٢)].

يتضح من نص الوثيقة استشعار القبيلة بأهمية الأمان والعدالة والإنصاف والعفاف، وفي ختام الوثيقة ورد ما نصه: « ثم الوصية تقوى الله ـــ سبحانه وتعالى ـ وطاعة ولي الأمر والانقياد للحقوق الشرعية واللوازم السلطانية، والتعاون على البر والتقوى وحسن الاتفاق على التآخي والتساوي والأنصاف والقوامة التامة على المساجد والأوقاف، والتفقد لأحوال الأيتام والأرامل في عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٨م) » [(٣)].

(١) آمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ الحياة العلمية والتعليمية في بوادي منطقة عسير، وبخاصة في الأجزاء البدوية الشرقية الممتدة من بيشة إلى تثليث وطريب والعرين.

(٢) وثيقة مكتوبة لقبيلة شملت جميع فئاتها من بادية وحاضرة محفوظة في مكتبة الباحث برقم (٧/٣٦٩) في عام (١٣٥٦هـ/١٩٣٨م). يوجد الكثير من الكتب والدراسات التي أرخت لحياة الأمن والأمان في المملكة العربية السعودية . لكن بلاد السروات وتهامة، من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران، مازالت بحاجة إلى دراسة علمية نوعية وعميقة في هذا الباب .

(٣) المصدر نفسه .

إن الأمــن الذي فرضه الملك عبدالعزيز في البلاد ليس ضد الخوف فقط، بل سعى إلى توفـير الأمن الفكري في وقت مبكر فجعل المشائخ والوعاظ يحثون البادية والأرياف والحواضــر على نبذ العصبية القبليــة[١]. وحث النـاس على طاعة ولي الأمر وأن طاعته من واجبات الديــن وسلامة الدنيا، وحرصت الدولة على ذلك، وجرى توثيق الكثير من الوثائــق والخطابات إلى الأمــراء ورجال الحكومة المرسلــين إلى كل ناحية. وقد ورد في إحــدى وثائق الأمــير عبدالعزيز بن مساعــد آل سعود في أثناء حملتــه لضم عسير، ما يلــي: « وما كان من الدعاوي المتقدمة في دماء وغيرها فهي مدفونة والنظر في المستقبل ومن أحدث فيها أمــر فنحن آمرين مشائخ..... بالاتفاق عليه ويؤدبونه بما يردعه حتى حضور الطارفة من الإمام» [٢].

أدرك الملــك عبدالعزيز محبة البدوي للغزو فقــام باستغلال هذه المحبة والاعتزاز بها ووجهها التوجيه الحسن نحو الأهداف السامية التي جاءت بها التعاليم الإسلامية، وجعــل ذلك من الأعمــال الإيجابية لتوحيد كيــان سياسي منظم يوحــد السكان ويجعل عصبيتهــم هي للديــن وولائهم للإمام، وهدفهم عبادة الله، ثــم طاعة ولي الأمر الذي يــرون في طاعتــه طاعــة لله، والبــدو في السابق كانــوا يستأثرون بالنصيــب الأكبر من الغنائم. وفي عهد الملك عبدالعزيز صارت الغنائم توزع على جميع المحاربين والمحتاجين مــن الفقراء والمساكــين، وأوجد ذلك تكافلاً اجتماعياً لجميــع طبقات المجتمع، وعثرت علــى وثائق جاء فيها الاهتمام بمــوارد البادية الاقتصادية ودعم البــدو مالياً وتعويضاً لهــم عما كانوا يستحصلونه من (الخاوة والضمة) التــي كانت تشكل مورداً مالياً جيداً لهــم[٣]. ونجــد في الوثيقــة التالية جهود الملك سعــود بن عبدالعزيــز آل سعود (رحمه الله) وعطفــه ودعمه ورعايتــه لشعبه في البوادي وغيرها، ونصت على ما يلي: «تعلمون أنــه أكبر ما يهمنا صلاح أمر دينكــم ودنياكم وغايتنا الوحيدة أن نسعى لما فيه راحتكم ورفاهيتكــم، وقد رأينا أن تكليفكم للحضــور إلى الرياض في كل سنة لاستلام عوائدكم أمر يشق عليكم ويكلفكم كما أنَّ عوائدكم السنوية ربما لا تقوم بشؤونكم، وقد رأينا من

(١) يظهــر ذلــك في الكثير مــن الوثائق والمخطوطات. انظر: محمــد سعد النهاري، صفحات مــن تاريخ قبائل قحطان المعاصرة، الرياض .[دن] ، ١٤٣٩هـ. ط٣، ٤٩٨ .

(٢) وثيقة رقم (٦١٧/٧) وتاريخ صفر (١٣٣٩هـ/٢٠١٨م) وصورة منها في مكتبة الباحث .

(٣) صالــح عــون الغامــدي، ١٦ ومحمد حسين حســان، ٤٢، ومقابلــة مع الشيخ حمــد بن علــي آل بزمة. عام (١٤٣٣هـــ/٢٠١١م) علي محمد آل شافــع، ٨١، ٨٢. كان للملك عبدالعزيز الكثير من الفضائل على بلاده وشعبــه. وجنوب المملكة العربية السعودية مازالــت بحاجة إلى إنجاز دراسات علمية جيدة تعكس ما بذلته الدولة أثناء العقود الأولى من توحيد البلاد من أجل توفير الاستقرار والأمن والأمان لكل الناس.

مصلحتكـم أن نطبق عوائدكم جميعا[١] . وأن نتحمل عنكم مشقة السّفر وكلفت هيئتان مـن طرفنـا تصلكم إلى هجركم وبلدانكم ، وتسلم لكل إنسـان عادته مطبوق بيده دون أن يتكلـف بالسفر أوغيره، وبذلك تتمكنون أنتم مـن الالتفات إلى مصالحكم وما يعود إلى منفعتكـم الشخصية، فمن كان له هجرة تصل إلى هجرته، ومن كان في بلاد تصل إلى بلاده، ومن كان في البادية فتصل الهيئات إلى آبارهم وقت الزكاة، وقد أمرنا رأفة بحالة الرّعية أن كل إنسان له في عادة ومتوفي عن أطفال أو أرامل فتجري عادته مطبوقة لأيتامه ، وكذلك ربما يوجد أشخاص مستحقون في الهجر أو غيرها ولم تكن لهم عوائد سابقة فتجري لهم عوائد مثل أمثالهم، وبهذا تعم المصلحة كافة المستحقين.. وتسلم كل ذي حق حقه بيده مطبوقه...»[٢] .

مـن خلال هذه الوثيقة يتضـح اهتمام القيادة بالبادية وعمـوم سكان البلاد، لكن بشـكل يشملهـم ويساوي بينهـم ويسد حاجاتهـم، ويوفر عليهـم مشقـة السفر، وتلك الأعطيـات وغيرها ساعدت على توطين الأمن واستقراره والقضاء على ظواهر السرقة وقطـع الطريق والغزو، وأخذت التعهدات على زعمـاء القبائل بعدم القيام ما من شأنه تعكـير صفـو الأمن، وكلفوا وكلفـت قبائلهم بحمايـة الطريق وتحمـل مسؤولية تأمينها وحمايتها، وهـذا التنظيم عمَّ جميع القبائل التي تمر بها طرق الحج وقوافل المسافرين أو التوجه إلى الأسواق أو غير ذلك[٣] .

نجـد في وثيقـة مؤرخة في عـام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) ذكـر فيها ما يعالـج الناحية الأمنيـة، وأخذ التعهدات على القبائل وتوضيـح حدودها وما يجب عليها من مسؤوليات وجـاء في نصها: «وعقدت الهيئـة جلساتها وصار درس ومطالعة حدود القبائل المواجهة لخـط الطريق، وتقـرر إلزام مشائـخ القبائل وعقلائهـا بمسؤولية وقـوع أي حادث في الطريـق مما يخل بالأمـن العام أو بالمصلحة العامة، وحيث قـد أحضرنا جميع مشائخ القبائـل وعقلائهـا الموضحـة أسماؤهـم بالوجه الثاني من هـذه الصحيفـة. وتعهدوا بالمحافظة على سلامة الطريق والأمن فيه جرى تصديقه على أن تُعطى صورة للأمراء

---

(١) نطبق : أي نضاعف عوائدكم.

(٢) خطاب من الملك سعود في بداية توليه الحكم إلى الشيخ ابن عبود، وسبب ارساله أنه تضمن أن من عادة ابن عبـود القدوم إلى الرياض لاستلام العوائد المقررة لـه في عهد والده الملك عبدالعزيز فسار الملك سعود على سـيرة والـده ولكن ضاعف العادة المقررة وأمـر ببقائهم في ديارهم وستأتي إليهـم القواعد المقررة. الوثيقة محفوظة لدى الباحث في مكتبته والمصدر شيخ قبائل آل سعود الجحادر الشيخ سعود بن ذيب بن عبود.

(٣) هـذه نقـاط مهمة وجديرة أن تُدرس في كتب وبحوث علمية مطولـة. وهذه مسؤولية الباحثات والباحثين في بلادنا ، نأمل أن نرى طالباتنا وطلابنا يخدمون مثل هذه النقاط في بحوث علمية جادة.

لمراقبــة العمــل بموجبــه»[١]. وفي وثيقة أخــرى تعالج النواحــي الأمنيــة وورد ما نصه: «حضر عقال وأعيان... وتقابلوا على أمان السبل وجلب العاصي كبيراً أو صغيراً...»[٢]. واطلعــت علــى وثيقة تغريم قبيلة نكالاً لحدوث سرقة ونهــب في طريق يمر بها حيث ورد مــا نصــه: « فأنتــم يا مشايــخ أقرب ما يكــون في السبيــل من غيركم ومــن تعدى على السّبيــل المذكــور فما له مدخل أو مخرج إلا من بلادكــم ولأجل هذا حملناكم قيمة المال المنهوب..»[٣].

من هذه الوثائق يتضح أن وظائف البدو سابقاً، كانت من مصادر اعتزاهم وفخرهم ومــن أسبــاب مداخلهم الاقتصادية، ثم أصبحوا هم رجــال الأمن المحافظين على أمن وسلامــة الطرق والمستفيدين منها كما حرصت الدولة على التكافل الاجتماعي والسعي إلى الصرف على البادية ودعمهم ماليا؛ وهذه السياسة والتنظيم كان عاملاً من عوامل الاستقرار وشيوع الأمــن في المجتمع، وكانت دوافع السلب والنهب والغزو قديماً الحاجة والفقــر والفاقــة. وقد اهتمت الدولة بالصدقات والإكثار منهــا، وكان شهر رمضان من المواســم التي يستبشر بهــا المحتاجون والفقراء[٤]. وفي إحدى الوثائق تم حصر الفقراء المستحقــين في إحدى نواحي جنوب البلاد السعودية حتى توزع عليهم المبرة الملكية التي أمــر بها الملك عبدالعزيز في شهر رمضان مــن عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، وذكر فيها ما يلي:» قد بلغ مقدار إحصاء الفقراء المستحقين المبرة الملكية حسبما توضح بعاليه ثلاثة آلاف وثمانــين شخصاً وذلك أعمى وحائر ومصاب ومعتوه وأرملــة أم الأيتام بأيتامها، فللمعلومية جرى الشرح والتصديق (١٠/٩/١٣٦٥هــ ٢٩/٧/١٩٤٦م)[٥].

في هــذا النص يتضــح فئات الفقراء الذين استحقوا تلك المــبرة الملكية فمنهم من يعــاني مــن العمى، والحائــر أي العاجــز، والمصابين، والمعتــوه، والأرامــل، وأم الأيتام،

(١) وثيقة رقــم (٧/٥١٨) في عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٥م)، ومحفوظة صورتها في مكتبة الباحث، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي.

(٢) وثيقة رقم (٧/٥١٢) في عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م) محفوظة في مكتبة الباحث، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آلعبد المتعالي.

(٣) وثيقة رقم (٧/٥٠٩) في عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٦م) محفوظة في مكتبة الباحث، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبد المتعالي.

(٤) مقابلــة مع مسعود بن عليان آل خميسة عام (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، وعلي محمد شافع، ١٨٢. إن تاريخ البدو والباديــة في عموم مناطق جنــوب المملكة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) من الموضوعات الجديدة الجديرة بالدراسة والبحث في بحوث وكتب عديدة.

(٥) وثيقــة رقــم (٦/٩٠١) محفوظة صورتها في مكتبة الباحث ومصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ : محمد علي آل عبد المتعالي.

والأيتـام، فقد كانت شاملـة لكل أفراد المجتمـع العاجزين والمحتاجـين. وهذه الأعمال الخيرية من أسباب حفظ الأمن واستتبابه ومعاقبة المعتدين على الأنفس والأموال(١).

كان القضـاء يقف موقفـاً رادعاً للعابثـين والمرجفين، والأحـكام الشرعية صارمة وعاجلة، وتستقبل بالترحيب والرضا والقناعة(٢)، ولم يحدث أن استؤنف الحكم أوتمت معارضته على أقل تقدير خلال العشرين سنة الأولى من فترة الدراسة في عسير، وكانت الأحـكام تنفـذ حرفياً، ولا يُقبل التأجيـل أو التأخير أو التمييـز(٣)، علماً أن هناك هيئة تمييـز الأحكام الشرعية في عسـير شُكلت بأمر ملكي للنظر في أحـكام الشريعة، وجاء في نصـ هذا الأمر. «حضرة المكرم أمير أبها، حيث قد صدرت الإرادة السنية بالموافقة علـى تعيين الأشخاص الذين قام أهل طرفكم باختيارهم لهيئة التمييز التي نص عليها المرسـوم الملكي الكريم رقم (١٥٥٥/٣/٥) بتاريخ (١٣٦٠/٦/٢٧هـ ــ ١٩٤١/٧/٢٢م) لإبـلاغ الأشخاص المذكورين بمباشرة أعمالهـم ، المنوه عليها حالاً»(٤). ويجب على هذه الهيئـة القيـام بالمهمة التي اوكلـت إليهم، حسبما نص عليه الكتـاب الكريم(٥). ويكون التنفيـذ بعد اكتساب الحكـم القطعي أو تمييزه، إلا أن الأحـكام كانت تكتسب القطعية بمجـرد نطـق القاضي بها شفهيـاً، والخصمـان يتقبلان الحكـم بكل رضـا(٦). إلا ما استوجـب القوة في تنفيذ الأحكام(٧). والتنفيـذ يشمل أطراف الدعوى، وتنفيذ الأحكام

---

(١) يوجد في مالية منطقة عسير، والإمارات وغيرها من المؤسسات الإدارية في جنوب المملكة العربية السعودية آلاف الوثائـق التـي تعكس تاريخ الناس المحلي، وما بذلت الدولـة السعودية الحديثة في نشر الأمن والأمان والاستقرار في البلاد.

(٢) آل الشيخ. حسن عبدالله؛ التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، جدة، تهامة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م. ط٢، ٢٠ـ٢١: ابن جريس، عسير في عصر الملك عبدالعزيز .. دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية. جدة ،[دن] ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

(٣) كان ذلـك قبل عام (١٣٦٠هـ١٩٤٢م) برئاسة الشيخ عبـدالله بن حسن آل الشيخ، عند توحيد القضاة ثم ربطه بسماحة رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، انظر: ابن جريس، ٧٠ .

(٤) صـدر الأمـر الملكي بتعيين هيئة للتمييـز في أبها وتتكون من: (أ) قاضي أبها الشيـخ عبد العزيز الثميري. (ب) أمـير بنـي مغيد. (ج) رئيـس بلدية أبها. (د) مدير مدرسـة أبها. (هـ) الشيخ أحمـد أبوهليل. (و) الشيخ أحمد الشريف. (ز) عبدالله بن مسفر. (ح) عبدالله الحمراني .

(٥) وثيقـة رقم (٨٤٣) بتاريخ (١٣٦٠/١٢/٢هــ ١٩٤١/١٢/٢٠م)، بشان تعيين هيئة التمييز في أبها، مركز دار ألمع التراث والثقافة

(٦) ابن جريس، عسير في عصر الملك عبدالعزيز ، ٣٧ .

(٧) ورد في العديـد مـن الوثائق مسمى (والي التنفيذ) وكان من يكلف بتنفيـذ الأحكام يعرف باسم (الخدام أو الأخويـاء)، كانـوا مرتبطين بأمير البلد. وثيقة رقم (١١) بتاريخ جمـادى الأولى (١٣٧١هـ/١٩٥٢م). خطـاب مـن محكمة رجال ألمع إلى أمير رجـال ألمع، بشأن تنفيذ أحكام صادرة مـن المحكمة، من قبل ولاة

القضائيــة المشكلــة دون إثارة إشكاليــات أو مماطلات، إلا أننا وجدنــا في قضية معينة وجــود مماطلة دافعها العصبية القبلية، فما كان من أمير المنطقة، إلا أن أمر بالتنفيذ، وأشرف عليه هو، وأهل الخبرة من أعيان المنطقة(١).

ساحــات التنفيذ تختلف مــن جهة إلى أخرى، حسب القضيــة ونوعها، ففي قضايا الحدود والقصاص، يكون التنفيذ في السوق الأسبوعي، أو بعد صلاة الجمعة، وفي بعض القضايا ينفذ القصاص أو الحكم في موقع الجريمة نفسها(٢). وربما كلف القاضي شيخ القبيلة بالتنفيذ(٣).وكانت الأحكام فورية، وغالباً يكون المنفذ للقصاص ولي الدم نفسه؛ ويتــم قتل الجاني بحضور الجهات الأمنية والقضائية(٤). ولم يكن يقبل في قضايا القتل أي تهاون ومماطلة، بل كانت من القضايا التي لا تقبل التأجيل سداً لأبواب الفتن خاصة وأن أهــالي منطقــة عسير عانوا الكثــير من الثورات وانعدام الأمــن، خلال الفترة التي سبقت الحكم السعودي(٥).

تذكــر الروايــات الشفهية المحليــة في عسير وما جاورها من مناطــق جنوب المملكة العربيــة السعودية الكثير من قصص من تم القصاص منهم، أو إقامة الحد عليهم، في مختلــف أسواق المنطقة، وربما وُجد في بعض الأحكام شيئــاً من التجاوز أو القسوة كأن تكون عقوبة السارق قطع يده اليمنى من المرفق(٦).

نجــد الملك عبدالعزيز في أثنــاء إنشائه لدولته وتعامله مع البادية في منطقة عسير اتخــذ أساليب الترغيب والاقناع والدعم المــالي، وكان للمخالفين العقوبة الصارمة من قبــل قضاء عــادل حازم،، وكان الملك أثناء مسيرته لتوحيــد البلاد، وعندما يعين أميراً لأي بلــد أو جهة ضمها يقوم بتعيين قاضٍ لإقامة الأحــكام الشرعية. والقضاة يستلمون

النفيــذ، مكتبة علي بــن الحسن الحفظي، ومقابلة مــع محمد بن سعد بن مشهور بــآل الشواط في منزله. بتاريخ (١٢/٢/١٤٣٤هـ/ ٢٥ ديسمبر/٢٠١٢م).

(١) انظر: محمد بن عبد الله آل زلفة. المراغة وقصر النائب. الرياض. دار البلاد. ١٤٢٣هـ، ط١، ٢٠٠٢م .

(٢) آل عامر ، منصور بن عبدالله، مذكرة تاريخية عن القضاء، ٤ .

(٣) وثيقــة رقــم (بدون) بتاريــخ (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) بشــأن طلب القاضــي عبدالله بن مرعي أمــير قبيلة آل عاصمي من عسير سراة وتهامة معاقبة أحد المتعاملين بالربا، مصدر الوثيقة أحمد بن عبدالله بن مانع.

(٤) مقابلة مع سعيد بن عبود آل غشام في منزله بأحد رفيدة في شهر رجب (١٤١٨هـ/نوفمبر ١٩٩٧م).

(٥) ابــن جريــس، أبها حاضرة عســير، ١٥٤، ١٥٥. اطلعت على مئات الوثائق الخاصــة بإجراءات القضاء في الســروات وتهامة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وهذا الموضوع حسب علمي لم يُدرس دراسة علمية جادة في عموم مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة، آمل أن نرى من الباحثين من يخدم هذا الموضوع بحثياً.

(٦) ربمــا كان ذلــك في الأحــكام التعزيزية، أما الحــدود فقد كانت محكومــة بما ذكر القرآن الكــريم والسنة النبوية؛ مقابلة مع عبدالعزيز بن مشبب بن الذيب بالمسقي، في (٢٦/٢/١٤٣٤هـ/٨/يناير٢٠١٣م).

الأوامـر والتعيينات من الملك[١] . ووجدت عـدة وثائق تذكر أن مرجع القاضي إدارياً هو الملك مباشرة . ومن ذلك قوله: «والشيخ محمد نائب عني في أحكام الشريعة. وأوصيناه بما يلزم من تقوى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل في الرعية»[٢] .

كانـت سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) ، وكان تاريخ نشـأة القضاء في عسير في عهد الملك عبدالعزيـز ، عندمـا عين الشيخ عبـدالله بن راشد. قاضيـاً ، وكان لا يقتصر دورة على الحكـم في المخاصمـات[٣] ، وتطبيق الأحـكام الشرعية، وتوجيه الجنـد ، وزجرهم عن الظلـم والتعدي، بـل مارس بعضـ الأدوار السياسيـة المهمة: وعين الشيـخ عبدالله بن مرعـي[٤] . قاضي ربيعة ورفيـدة قاضياً لأبها بعد إخراجه من سجـن ابن عائض بأبها وهـو أول قاضـ لأبها يعين بعـد القاضي عبدالله بـن راشد، ثم خلفـه الشيخ ناصر بن عبدالعزيـز بـن حصام[٥] . ثـم الشيخ محمد بـن إسماعيل، الـذي كان مرافقاً للأمير شويشـ بن الضويحي، وجاء بعـده الشيخ محمد عبداللطيـف آل الشيخ[٦] . الذي خرج مغاضبـاً للأمير عبدالله بن سويلم، فالشيخ عبـدالله بن حسن آل الشيخ[٧] الذي رافق الأمـير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود[٨] أثناء حملته لإخماد تمرد آل عائض في منطقة

---

(١) انظر النعمي، تاريخ عسير، ٣٥٢، ٣٦٠؛ محمد بن عبدالله آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز ، ٢٤ـ ٣٧.

(٢) وثيقـة رقـم (بدون) بتاريخ(١٣٣٩هـ /١٩٢١م) ، رسالة من الملـك عبدالعزيز إلى عدد من مشايخ منطقة عسير يخبرهم بقدوم الشيخ محمد بن إسماعيل قاضياً. وشويش الضويحي أميراً ، وأن محمد بن إسماعيل نائب الملك في الأحكام الشرعية والقضاء، محفوظة بمكتبة الباحث .

(٣) عبـدالله بـن محمد بن راشد، تولى عـدة مهام في عسير وغيرهـا بتوجيه من الملـك عبدالعزيز، ثم رافق الأمـير عبدالعزيـز بن مساعد إلى عسير كقاض للجيش، وقام بعدة مفاوضات سياسية مع مشايخ القبائل في عسير، ومع الإدريسي، انظر النعمي، شذا العبير، ٣٥٠ .

(٤) عبـدالله بن مرعـي المسقوي، قاضي ربيعـة ورفيدة في أواخر الحكـم العثمـاني، وكان معارضاً لحسن آل عائضـ، فقـام باعتقاله وسجنـه، وبعد ضم عسير تم تعيينـه قاضياً لأبها انظر: النعمـي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ٢٢٦ـ ٣٤٧.

(٥) الشيـخ ناصر بـن عبدالعزيز الحسن الملقب بـ (حصـام) ، عين قاضياً في عسير أواخـر عام (١٣٣٩هـ / ١٩٢١م) وعاصـر إمـارة بـن سويلم انظر: النعمي، شـذا العبير، ٣٧٦؛ ابن جريس ، غيثـان بن علي، أبها حاضرة عسير ١٥٤ .

(٦) الشيـخ القاضي محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، يُعد من العلماء البارزين في المملكة العربية السعودية، عُين قاضياً في أبها، وخرج مغاضباً للأمير ابن سويلم؛ لسياسته الشديدة على الأهالي، انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ١٥٤ .

(٧) عبدالله بن حسن بن إبراهيم بن عبدالملك بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان، ولد في حوطة بني تميم، في شهر ذي الحجة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) رافق الأمير فيصل بن عبدالعزيز أثناء حملته على عسير لإخماد تمرد آل عائض، كانت له أدوار بارزة في تلك الحملة، عين قاضياً لمحكمة بيشة عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٦م) .

(٨) الأمـير فيصل بـن عبدالعزيز آل سعود: المقصود به الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود. انظر: الزركلي، خـير الدين، الأعـلام قاموس تراجم لأشهر الرجـال والنساء من العرب والمستشرقـين، ج٥، بيروت، دار العلم للملايين ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .ط١، ١٦٦ـ ١٦٨ .

عسـير[١] وتوالـت التنظيمـات القضائية في عسير كغيرهـا من مناطق المملكـة، إلا أن التطبيـق في عسـير ظهر بشكل جلي في توحيد مرجعيـة القضاء في الحكم، حيث أصبح المذهـب الحنبلي في القضاء[٢]، وفي حالة الخروج عن المذهب، يلزم تعليل ذلك بالدليل الشرعي[٣].

كان القضـاة كعيسـى بن رشود، وشعوان بن مشبب في شـرق منطقة عسير مرجعاً للأحكام عند البادية وعند غيرهم، بل كانوا سيف عدالة يضرب بقسوة على يد العابثين والساعـين بالفتنة أو السرقـة أو النهب، وكانت سياسة التعامل مـع البادية بين ترهيب المخالفـين والأخذ على أيديهم وترغيـب المتبعين للتعليمات والمجانبـين للمنهيات. ومن وسائل الترغيب ـ كما ذكرنا ـ دعم أهل الهجر والبادية بالأعطيات. وتعددت الأعطيات وأنواعها فمنها: ما كان يختص به كبار القبائل من أمراء ومشائخ ونواب، ومنها: ما كان عاماً لجميع أفراد القبائل .

كان الاهتمـام بجميـع فئات المجتمع وبخاصـة الفقيرة والمحتاجة أكـثر، ومر معنا ذكـر المبرة الملكية المخصصة للفقراء وأهل العاهات وغيرهم. وهناك العوائد أو العادة وتعـرف باسـم القاعدة: قدر من المال في كل سنة لكل فرد مـن أفراد الهجرة أو القبيلة سواءً كان شيخاً أو أميراً أو فرداً من عامة الناس. والشرهة: مبالغ مالية يعطيها الملك مـن خزينتـه الخاصة. والبروة: مبلغ من المال يتسلمه مـن يطلبه، أو من الثمار بتحويله إلى بيـت المـال أو عامل الزكاة أو أحد مشائخ القبائل مع الوعد أن يخصم العين أو المال المأخـوذ من الـزكاة[٤]. وفي وثيقة صـادرة من أمير تثليث لأحـد مشائخ بادية قحطان الذيـن لهم حاضرة وباديـة ونخيل ورد فيها « السلام عليكـم ورحمة الله وبركاته وبعد

---

(١) تمرد آل عائض بقيادة حسن بن عائض على أمير عسير فهد بن عبدالكريم العقيلي؛ مما جعل الملك عبدالعزيز يرسل ابنه الأمير فيصل، على رأس حملة لإخماد التمرد. انظر النعمي ، تاريخ عسير، ٣٦٣ ـ ٣٦٧ .

(٢) أحـد المذاهب الأربعة المشهورة لأهل السنة والجماعة، ورائده الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. المتوفى عام (٢٤١هـ – ٨٥٥م) وهو المذهـب الذي تبنته دعوة الشيـخ محمد بن عبدالوهـاب الإصلاحية. للاستزادة انظر: آل دريب، سعود بن سعد، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية، الرياض: مطابع حنيفة للأوفست،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ط٤،٢٩٤،١ـ ٢٩٧؛ آل الشيخ، عبدالعزيز بـن عبدالله، لمحات حول القضاء في المملكة العربية السعوديـة (١٣٣٦هـ/١٩١٨م)، الرياض، عالم الفوائد، ٢٠٠٠م، ط٢، ٧٧ ـ ٧٨ .

(٣) حبـذا أن نـرى مؤرخـين جاديـن يدرسـون التاريـخ الإداري في بـلاد السـروات وتهامـة خـلال القرنـين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ ٢٠م)، وهذا الموضوع غير مخدوم علمياً وبحثياً.

(٤) مقابلة مع كل من: (أ) علي بن سعيد بن درع آل خزيم. (ب) محمد بن علي بن درع آل خزيم. (ج) محمد ابـن علـي آل جفشـر الحنيش في عـام (١٤٣٤هـــ ٢٠١٣م)، في حديث لهم عن هذه الإعانـات بناءً على خبرتهم حيث عملوا في مالية عسير، انظر أيضاً: محمد منير البديوي، المتوكل على الودود . ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

فقد طلبنا حبوباً من المالية وحولتنا عليكم بخمسة وعشرين فرق حنطة، (خمسة وعشرون)، فرق شعير، الجميع خمسين فرق وهي من زكاة صيف (تسعة وستين)، فأنت حال وصول الخطاب تجمع الخمسين فرقاً عندك لأجل أنه لابد يجيك منا رسول ويجيك أمر المالية والسند اللازم، الله الله في الحب الطيب والسلام (١٣٦٩/٩/٢٧هـ ـ ١٩٥٠/٧/١٢م) أمير تثليث»[1]. وفي خطاب آخر من أمير عسير موجه لأحد مشائخ البادية بشأن تخصيص عشر الزكاة للمشائخ والنواب عوضاً عن إعطائهم رواتب حيث جاء في النص «بعد التحية المخابرة الدائرة من المقام السامي في موضوع عشر المشايخ والنواب والزكوات تلقينا الأمر الكريم ما نصه: عشور المشايخ والنواب يقضي بأنه صدر أمر جلالة الملك المعظم بأن يكون للمشار لهم العشر كالعادة ويكون ذلك من رواتبهم، وقد بلغت وزارة المالية بموجبه الكريم عن طريق المقام السامي...»[2]. ونجد في الوثيقة اهتمام الدولة بالمشايخ والنواب وتعويضهم عن مداخلهم الاقتصادية من الخاوة والضمة وغيرها، وكل ذلك من عوامل إرساء الأمن والأمان والحفاظ على سلامة المجتمع وأفراده وأمواله.

وفي إحدى الوثائق ورد ما نصه: «بيان تسليم عشور كبار القبائل (سبعة وخمسون) نصاب يكون تسليم عشور المشائخ والنواب المذكورين أعلاه مع الأمراء حسبما وضح ذلك وجرى شرحه ولعدم الختوم عنهم بالإصبع ليكون معلوماً وأسباب عدم الرسوم؛ لأنهم بدو وأعراب وتم تصديق أمير العاملة (١٣٥٨/٦/١٩هـ ـ ١٩٣٩/٨/٤م)»[3].

يتضح في العديد من الوثائق الصادرة حرص الدولة على استتباب الأمن والاستقرار وحفظ الحقوق التي للدولة والناس وإيقاف الفتن والحرص على مراقبة الأمراء والمسؤولين مثل مراقبتهم للشعب وأفراد المجتمع، وفي وثيقة صادرة من الملك عبدالعزيز تتعلق بتعيين تركي السديري أميراً على عسير وملحقاتها صدرت توجيهات الملك إلى تكوين لجنة استشارية مع الأمير تركي السديري، وتلك اللجنة التي رأى الملك عبدالعزيز تكوينها بناءً على رأيه والاستشارة ورد فيها الآتي: «حبينا سد الغائب والنظر في المقبل فبموجب استشارة بعض كبار المسؤولين ورأيي أرسلنا لكم تركي السديري

(١) وثيقة رقم (بدون) في ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م)، مرسلة لابن طمسان في محافظة طريب، صورتها في مكتبة الباحث.

(٢) وثيقة رقم (بدون) وبدون تاريخ ، محفوظة في مكتبة الباحث، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي .

(٣) وثيقة رقم (بدون) وتاريخ ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م). صورتها في مكتبة الباحث، أصلها عند الشيخ فهد بن عبدالله بن دليم شيخ شمل قحطان وودعة.

الـذي هو مقام حدا أولادي، وأمرته بما يلزم ولابـد أنه مبين لكم بعض أوامري اللي أنا أمرته بها»[١]. بعد اختيار تركي السديري أميراً، أمر بتكوين مجلس استشاري اختار هو أعضـاءه، ومكون من مشائخ القبائل ومشائـخ العلم والقضاة، ومنهم مشائخ الحاضرة ومشائـخ البادية ويمثلون جميع فئات مجتمع منطقـة عسير موضحاً أسمائهم، وورد في نصـ الوثيقة: «اخترنا أن يكون بـن مشيط، وبن دليم، والشيخ فيصل بن مبارك..إلخ ، وأهـل مجلس أبها، أما الأمـور اليسيرة يسديها الحاضرون المذكـورون والأمور الكبيرة يجتمعون فيها كلهم وهم وتركي...»[٢].

أوضح الملك عبدالعزيز أهداف إقدامه على تعيين تركي السديري واختياره لمجلس أبهـا بقولـه: «حنـا الحمد لله أهل شريعـة ولا نقبل ــ إن شاء الله ـ أن تكـون ولايتي إلا ملتزمـة بالديـن الحقيقي قائمـة بالشريعـة المحمدية وكما قـال ـ سبحانـه وتعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[٣]. وحفظ ثغـور المسلمين وولايتهم وجبايتهم» و«حفظ الرعيـة وأمرها بالخـير ونهيها عن المنكر والعدل بها لا من جهـة الحكومة ولا من جهة بعضهـا في بعض»[٤]. والغاية من الأمـور التي ذكرها الإمام أوضحتها الوثيقة في النص التـالي:» كثرة حركات النـاس وأشغالهم التي لا تخفاكم ، وقلة الأمانة من جهتين لا من جهة بث الفتن في أطراف المسلمين ولا من جهة ظلم بعض المأمورين على الرّعية «[٥].

إن هـذه الإجـراءات تـدل على حرص الدولـة على استتـاب الأمن وعمـل الأمراء والمسؤولـين: فمـن قضاء حـازم عادل، ومن أعطيـات مالية متنوعـة إلى إيجاد مجلس استشاري ورقابي لسلامة أفراد المجتمع واستتاب الأمن والحرص عليه وتثبيت دعائمه، وقيـام القضـاة بالوقوف ضد الأمـراء في بعض مواقفهـم حرصاً علـى العدالة والأمن ومصلحـة الرعية؛ وقد وجد من القضـاة من ينكر المنكر ويحد من الظلم أو يغضب من

---

(١) وثيقة رقم (١/٦٢٨) صورتها في مكتبة الباحث ومصدرها من مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

(٢) المصـدر نفسـه. كان هنـاك الكثير من الأعلام في مناطـق جنوب المملكة العربيـة السعودية خلال العقود الوسطـى مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) لهم أداور مهمة في توحيد البلاد وتوطيد الأمن. وهم جديرون أن تكتب سيرهم في دراسات وبحوث مستقلة.

(٣) سورة الحج، الآية :٤١ .

(٤) وثيقة رقم (١/٦٢٨) صورتها في مكتبة الباحث مصدرها من مركز ألمع لصاحبه الأستاذ/ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

(٥) صورة الوثيقة في مكتبة الباحث .

الأمير، وما ذلك إلا اقراراً للعدل وإظهاراً له وحرصاً على استتباب الأمن. ومن ذلك ما قام به الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، الذي أنكر على الأمير ابن سويلم جفوته وظلمه، وخرج من أبها مغاضباً له منكراً عليه ويبدو أن ذلك الموقف لهذا القاضي كان من أسباب عزل الأمير[١].

نجد في حملة الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود على عسير لإخماد ثورة ابن عائض كان يرافقه الشيخ عبدالله ابن حسن آل الشيخ[٢]. الذي وصفه الملك عبدالعزيز بأنه ممن عركتهم التجارب وهي شهادة من واقع تجربة ومعرفة، وكان دوره في الحملة قاضياً للجيش ومستشاراً للأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكان لهذا الشيخ دور كبير في كظم غيظ الأمير فيصل بن عبدالعزيز وحقن دماء قبائل عسير، حيث أتت الأخبار للأمير فيصل: إن ابن عائض وجماعته يبطنون شراً ويتهيؤون لتمرد وفتنة جديدة: فاستخار الشيخ ربه وأشار بالدعوة إلى اجتماع عام فدعيت قبائل عسير إليه، وهناك وقف خطيباً في الجموع المحتشدة يرغب ويرهب ويدعو إلى الطاعة ووحدة الكلمة التي يكون فيها صلاح الأمر، ويحذر من دعاة الفتنة من سوء العاقبة، وعندما وجد أن كلامه قد أثر في السامعين طلب من حملة السلاح أن يلقوا أسلحتهم ويعودوا إلى رشدهم قبل فوات الأوان فاستسلم الجميع وأعلنوا الطاعة وترك الفتنة[٣]. وكانت هذه سابقة في تاريخ قبائل منطقة عسير حيث لا يعرف أن قبيلة سلمت أسلحتها كاملة دون مقاومة رغبة في السلم والإصلاح، إلا قبيلة عسير بعد الموعظة البليغة لهذا الشيخ التي حقنت بها الدماء وكسرت بها أنفس دُعاة الفتنة، وخابت خططهم وظنونهم إلى الأبد[٤].

كان من أعمال توطين الأمن والحفاظ عليه إنشاء المراكز وإيجاد دوريات أمنية لبسط الأمن في البلاد، وإيقاف تعديات بعض المعتدين على حقوق الناس وأمنهم، ومن ذلك ما ورد في أحد الوثائق: «قبيلة .. المعروفون بكثرة السرقة وعدم الاستقامة. يتم تأسيس

---

(١) عبدالله بن سويلم باشر عمله في أواخر عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م) واستمر لبضعة أشهر. انظر: هاشم النعمي، تاريخ عسير، ٣٦٢.

(٢) انظر: محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ٤٣؛ محمود شاكر، شبه جزيرة العرب عسير،٢١٣ . عبدالله بن حسن بن إبراهيم بن عبدالملك بن عبدالوهاب، ولد في حوطة بني تميم عام (١٣١٠هـ/١٩٨٣م)، في شهر ذي الحجة، كان مرافقاً للأمير فيصل في حملته على عسير وعين قاضياً لمحكمة بيشة عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٦م).

(٣) عبدالله محمد عائض الزهراني، ٢٩٦ـ٢٩٩؛ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ، ٩١ .

(٤) انظر: خلف بن دبلان الوذيناني، ٦٥ ، ١٠٥ .

نقطة دورية لا يقل عدد أفرادها عن ١٥ نفراً (...)[(١)]. وفي وثيقة أخرى ورد فيها: «حضرة المكـرم (...) أميراً بهـا .. نعيد إليكـم الأوراق الواردة حول مركز (...) المـراد تأسيسه (...) ونخبركم بأن هذا المركز محل ملاحظة واعتبار في المناقشة في لجنة الميزانية»[(٢)].

الخطوات التي اتخذهـا الملك عبدالعزيز في توطين الأمن السعي إلى إنشاء مراكز إمـارات وشـرط ودوريات أمنية والمحاكـم الشرعية وكل هذه المؤسسـات هدفها خدمة المواطنـين وتوفير الأمن، وفي خطاب للملك عبدالعزيـز لأحد المشائخ يوضح أهدافه في توطيـد الأمـن، فيقول: « وتدري أن حالنـا لا قصد في أحد ولا لنا مطلـب في زيادة دنيا لأنفسنـا، بل يعلم الله أن جل مقاصدنـا أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر، ودورة راحـة المسلمين لنكون يداً واحدة متحابـين في الله متعاضدين على طاعته واتباع سنـة نبيـه محمد (ﷺ) فإذا استقاموا فيثقوا بالله أنهم ــ إن شاء الله ـ ما يشوفون إلا مـا يسرهـم في أمر دينهم ودنياهم، ومـن خالف ذلك فإثمها وعقابهـا عليه هذا الذي لرعيتنـا علينا والله على ما نقـول وكيل...»[(٣)]. يتضح في هـذه النصوص أهداف الملك عبدالعزيـز النبيلة في توطيد الأمن والحفاظ على أبناء شعبه بادية وحاضرة، والتأكيد علـى حرصه على راحتهم وعلى نشر الوئام والمحبة بين أفراد المجتمع كل ذلك في سبيل بسط الأمن الذي هو ركيزة أساسية لبقاء الدولة والحفاظ عليها[(٤)].

٢ـ جهود الدولة في الناحية العسكرية:

استفـادت الدولـة من المهـارات القتالية لأبنـاء الباديـة خاصة ولولائهـم العميق والمبكـر للملـك عبدالعزيز، فكانوا عمـاد جيوشه في توطيد الحكم، وشكلـوا هم وأبناء عمومتهـم من الحاضرة تكامـلاً عسكريًا ساعد على حفظ حدود البلاد، وإطفاء نيران الفـتن. وأصبـح مصطلح الغـزو مقرونـاً بالشوكة[(٥)]. وتعنـي الجيوش المتطوعة التي

---

(١) وثيقـة (بدون رقـم) محفوظة بمكتبة الباحث ، مصدرهـا مركز ألمع لصاحبه الأستـاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

(٢) وثيقـة (بـدون رقم) وبدون تاريخ محفوظة بمكتبة الباحث ، مصدرها مركز ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي .

(٣) وثيقـة (بدون رقم) وتاريخ ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، صورة محفوظة بمكتبة الباحث، ومصدرها الشيخ عبدالله بن علي بن جفشر الحنيش.

(٤) من يتحدث عن الأمن والأمان في جنوب المملكة العربية السعودية، أو في منطقة عسير تحديداً فإنه سيجد الكثير من الوثائق والمصادر التي تفصل الحديث عن حياة الأمن في هذه البلاد خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، والجهـود المبذولـة من الدولة على تطوير البلاد في شتى المجالات . آمـل أن نرى مؤرخين محليين يخدمون بلادهم بحثياً معتمدين على مصادر أولية في هذا الباب.

(٥) حديث للشيخ فهد بن عبدالله بن دليم في ضيافته عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) أثناء حديثه عن جهود أسلافه

كانت تتكون من أبناء القبائل بتنظيمات وترتيبات معينة يقومون على اختيار الغزاة وتحديد أعدادهم حسب حجم القبيلة، وعدد أفرادها، ووضعها المادي، واستطلاعهم لتجهيز الغزاة. وفي توزيع الغزاة لقبائل من البادية والحاضر واختلافات بينهم في تحديد الأعداد، نجد الوثيقة التالية تشير إلى شيء من ذلك فتذكر: «سبب تحرير هذه القاعدة بأنا يا أمراء ونواب وعقال قحطان ووادعة حضر وبادية المحررين أسماءنا وحقوقنا أدناه إلى مقام ولي أمرنا هو الأمير الأفخم تركي بن أحمد السديري ـ حفظه الله ـ نطلب في السواء في الجهاد المقرر علينا بسبب الزود والنقص والقوة والضعف الحاصل.. فلما سمع شكوانا أجاب علينا نجتمع ونتشاور في ذلك وما رأينا الأصلح والأوفق فيما يخصنا أيضاً وأجراه...» [١]. ثم يشير المجتمعون أنهم خلصوا إلى رأي واحد وهو أنهم اختاروا أبناء من العقلاء والأخيار من البادية والحاضرة وهم كل من: (أ) حسين بن صمان بن سالم [٢]. (ب) حسين بن سلطان بن الحسنية [٣]. (ج) محمد بن حية [٤]. (د) حامد بن علي بن زهرة [٥]. (هـ) ملفي بن سفر [٦]. (و) سعد بن فرحان بن حمري [٧]. ويذكرون أنهم راضون بما سيقررونه وورد ما نصه: «يمعنون النظر في ذلك وما اقتضاه رأيهم من قرار نقبله ونرضاه..» ثم نجد وثيقة ملحقة بهذه الوثيقة فيها ما نصه: «بيان تفريق غزو قحطان بموجب الأمناء الذين تراضوا عليها الأمراء والنواب والعقال، جملة الجميع سبعمائة غاز..» [٨]. وفي موضع آخر من الوثيقة جاء ما نصه: «السبعمائة غاز المحرر أعلاه قبيلة بقبيلة قد صار تفريقها بمعرفتنا يا أمناء

في قيادة قبائل قحطان في جيوش الموحد الملك عبدالعزيز (رحمه الله). مقابلة مع الشيخ عبدالله بن جفشر الحنيش في مذكراته عن مشاركة قبيلته في جيوش الملك عبدالعزيز عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

(١) وثيقة توزيع غزو قحطان صورة منها في مكتبة الباحث مأخوذة من صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد عبدالمتعالي، ذكر لي الشيخ سعيد ابن فهد ابن دليم أن أصلها لدى والد الشيخ فهد بن دليم شيخ شمل قحطان ووادعة. وهناك الكثير من الوثائق ذات الصلة بالشوكات والغزو في عهد الملك عبدالعزيز في مناطق جنوب المملكة، آمل أن تجمع هذه المصادر ثم تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية الجامعية.

(٢) حسين بن صمان شيخ ذعي وبني قيس وأسلافه شيوخ شمل رفيدة كافة، مقابلة مع سعيد بن عبود بن غشام في عام (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

(٣) حسين بن سلطان بن الحسنية من قبيلة آل بسام عبيدة انظر: سعيد بن سعد آل سحيم، ٦٧ـ٩٣.

(٤) محمد بن حيه من قبيلة بني بشر قحطان.

(٥) حامد بن علي بن زهرة من آل جبران الحباب.

(٦) ملفي بن مسفر لم أجد من يفيدني عنه وأظنه من أهل الطلحة، قبيلة آل منصور.

(٧) سعيد بن فرحان بن الحمري ولم أجد له ترجمة وهو من آل الحمري الحباب.

(٨) الوثيقة ملحقة بالوثيقة المشار إليها سابقاً ومصدرها صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد عبدالمتعالي.

قحطـان ليكون معلوماً وبالله الاعتماد في (٢٠ ذي القعدة١٣٥٥هـ - ١٩٣٧/٢/١م) [١].
ثـم جاء مصادقة المشايخ حيث ورد ما نصه: (قد رضينا ما قرروه وقدره أمناؤنا الذي ارتضاهـم قحطان للسواء ما هـو محرر أعلاه وهذا أسماؤنا وختومنا شاهدة على ذلك وبالله الاعتماد في(٢١ ذي القعـدة ١٣٥٥هــ٢/٢/ ١٩٣٧م) [٢]. في ختام الوثيقة جاء اعتماد أمير عسير وملحقاتها مدموغاً بختمه وختم رئيس مالية أبها، وجاء في ذلك : [بسم الله الله الرحمن الرحيم . من قبل تراضي قبائل قحطان المذكور أعلاه بخصوص توزيـع جهادهـم فقد جرى باطلاعنا فيكـون العمل بموجبه ولذا حـرر (٢١ ذي القعدة ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٧/٢/٢م)، أمير عسير وملحقاتها ورئيس مالية أبها][٣].

نجـد في إحدى الوثائق لإحدى قبائل الباديـة ذكر أنهم قاموا بإعداد الغزاة المقرر عليهـم مـن قبل الدولـة، ولكنهـم زادوا العدد بناءً علـى طلب الدولة بمـا يعرف باسم (النفـور) أي النفير وهـو عدد مضاف لإعـداد الغزاة المقررين، وذلـك لأسباب تتعلق بأهميـة المهمـة أو خطورتها وما يتعلق بها. هـذا الذي ذكر في إحـدى الوثائق المرفوعة لأحـد الأمراء التابعين لأمير عسير وملحقاتها، فقـال:» بموجبها نخبركمٍ بعدد شوكتنا في الجهـاد التي مرة علينـا، وسوف نزيد عليهم من قبل طلبكـم أشخاصاً كثيرة ونفرة المقررين ونسردهم ونفـرد النفور ونسردهم طي الورقة وكل ملزوم فيمن تبعه ومسؤول عنهـم. ونسأل الله الهدايـة والتوفيق والسلام عليكم ورحمـة الله وبركاته»[٤]. ويرد في هـذه الوثيقة أعداد الشوكـة المقررين مائة واثنين وسبعين لا غـير، ومجموع المشاركين ثلاث مائة واثنا عشر غازي بين شوكة ونفير تلبية لطلب الدولة.

كانـت تنظيمـات الدولة في ذلك الحين تقضي بأن القبيلة هي المسؤولة على تجهيز الغــازي بالسلاح والراحلة (الذلول) والمؤونه والطعـام والكساء وكل ما يحتاجه الغازي إلا الذخـيرة؛ فالدولـة تتعهـد بتوزيعها، وتعد بيانـات في ذلك لتوضيح أنـواع الذخيرة وأعدادهـا ومستلميهـا من مشائـخ أو من مناديبهـم الذين يقومون باستـلام الذخائر بالنيابـة عنهم، وفي إحـدى الوثائق المتعلقة بالغزو وجد خطاب من أمير عسير إلى أحد المشايخ ، قال فيه: وبعد أوجب الحال أنا نمشي في سرية من طرفنا تنزل وتصلح جميع التهـم التابعـين للسراة « فليلزمكم حـال وصول الخط إليكم تنظمـون لنا ثمانية رجال

(١) الوثيقة نفسها .
(٢) الوثيقة نفسها.
(٣) الوثيقة نفسها .
(٤) الوثيقة (بدون رقم) وتاريخ (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) وصورتها في مكتبة الباحث .

من الطيبين بسلاح كامل، ومعهم زاد شهر وجمال لذهابهم وخيمة ما لكم عنها عذر والحذر تكاسلون عما ذكرنا فإن نقص منه شيء فأنت المسؤول فيه..»[(١)].

في وثيقة أخرى لقبيلة من قبائل البادية صادرة من الإمارة تنص على أن الأثاث والأرزاق مسؤولية الشيخ والقبيلة مشيرين إلى أن هذا الأمر أسوة بغيرهم من القبائل، وجاء ما نصه: «وقبائلكم يذهبون أنفسهم أسوة بالقبائل سنعطي عندما نجتمع بكم»، وربما وجدت إشكاليات تتعلق بمن يتم اختياره للغزو أو بعض التبعات فيكون صارماً ويحمل وعيداً للمخالف، وهذا الوعيد يعطي مجالاً لصاحب الحق في الترافع لدى القضاء، ومن ذلك ما ورد في نص إحدى الوثائق الصادرة من الأمير تركي السديري حيث جاء فيها: «من خصوص. هو أميركم ولا له معارض في إمارته وقد وصيناه بموجب خطابنا في الرجال الطيبين والسلاح الطيب والجمال وذهاب شهر مثل ما أمرنا على القبائل، ومن عارضه أو تكاسل عن أمرنا فلا يلومنَّ إلا نفسه إلا من له دعوى شرع فيقبل إلى طرفنا حالاً يكون معلوم..»[(٢)].

فيتضح من نص الوثيقة إغلاق باب المعارضات ضد أمير القبيلة وذلك سعياً لإرساء الأمن المجتمعي، وإيقاف أي أمر يؤدي إلى تأخير تجهيز الغزاة، وإن وُجدت دعوى صحيحة فمجال إثباتها مفتوح من خلال إجراءات التقاضي الشرعية.. من الأنظمة التي ارتبطت بتنظيم الغزاة والغزو. وعرفت ضريبة الجهاد، ففي سند واردات المالية وجد مبلغ مائتين وستة وعشرون ريالاً سعودياً وخمساً وثلاثين بارة أخذت من أحد مشايخ البادية، وذلك كضريبة جهاد عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٥م)، وجاء في النص «ورد لصندوق المالية بأبها المبلغ المرقوم أعلاه وقدره عشرون ريالاً عربياً وستة قروش وخمس وثلاثون بارة عن مبلغ مائتين وستة وعشرين قرشاً سعودياً وخمسة وثلاثون بارة مناولة من.... وذلك تكملة نصاب جهاد عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٥م) وتحرر هذا إعلاماً بذلك في (٤/٢/ ١٣٥٦هـ ــ ١٩٣٧/٨/٣٠م)[(٣)].

---

(١) الوثيقة (بدون رقم) وتاريخ (١٣٥٢هـ ــ ١٩٣٤م). في مكتبة الباحث وهي صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد بن علي آل عبدالمتعالي.

(٢) الوثيقة (٢٢٤) في (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) صورة في مكتبة الباحث.

(٣) الوثيقة (٢٢١) في (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) صورة في مكتبة الباحث، وثيقة (بدون رقم) وتاريخ (١٣٥٦/٢/٤هـ/١٩٣٧/٤/١٥) صورة منها محفوظة في مكتبة الباحث والمصدر للدكتور محمد بن سعد آل خذام الواهبي.

لقد دفع بالقبائل إلى إيجاد ترتيبات داخلية تحدد المبالغ التي تُدفع لضريبة الجهاد ويتـم تحصيلها في حالة عدم وجود جهود عسكرية توجب مشاركة القبائل، وإذا توفرت واجبـات عسكرية عُرفت باسم (الجهاد) فإن هذه الضرائـب لا يتم تحصيلها ويُكتفى بمـا تقـوم به القبائـل البدوية فيما يخص أعـداد الغزاة وضريبة الجهــاد، وقد ورد ما نصــه: «حســاب بدل الجهــاد ألف وثلاثمائة وأربعــة وثلاثون ريالاً وعنــد شلت البيرق فغزاتهم اثنان وأربعون رجلاً »[١].

كانت الجيوش من الغزاة أو الشوكة يُختارون أطيب الرجال وأشدهم ، ولم يكن يُسمح بأن يكونوا من الضعفاء أو غير المؤهلين على حمل السلاح. وورد في إحدى الوثائق ما نصه: « بموجب امر الأمير يقتضي أن تنبه على جميع قبائلكم بإحضار الشوكة العادة. ويكونون متزهبين زهاب شهر كامل، ومسلحين بالسلاح الطيب، ومتحضرين تحت الطلب. ولا يتم عشرين يوماً من شهرنا هذا إلا وهم حاضرون والله الله في الرجال الطيبين، ولا ترسلون عمالاً وما شابههم ودمتم في سلام (١٥/٢/١٣٦٣هـ ٩/٢/١٩٤٤م) »[٢].

في هــذه الوثيقة تنبيــه أن يكون المختارون رجــالاً أكفاء، وليســوا بضعفاء، ولك أن تتمثـل من خلال قراءة هذه الوثائق هيئـات هؤلاء الغزاة من أسلاف البادية في منطقة عسير، ومقــدار جهودهم وإخوانهم من الحاضرة الذين بذلوا المال والأرواح طاعة لله، ثـم لولي أمر المسلمين الملك عبدالعزيز الذين كانــوا يرون طاعته قربة دينية يتسابقون في بذل الأرواح في سبيل الله، ثم لولي أمرهم الذي يعاملهم معاملة الأخ بل عامل أعداءه كأبنائــه فكيف بمــن صدق معه ووالاه ونصــره. ونجد في إحدى الوثائــق أن الملك يذكر أعــداءه أنهم في حسبة أبنائه، جاء ذلــك في حديثه الموجه لمشائخ من البادية في إيضاح وضــع آل عائض بعد معركة حجلا عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) فذكر الآتي: «وافهموا أننا نجــازي الإنســان بعملــه، وذلك من طرف آل عائض فهم حسبــة أولاد آل سعود وصار القرار فيما بيننا وبينهم كما ترون في ورقتهم الذي عليها أمضاهم برضاهم»[٣]. وسكانٍ البــوادي أكـثر أعداد الغزاة في جيوش الملــك عبدالعزيز، وقــد وردت أسماؤهم شيوخاً وقبائل منفردين أو مع غيرهم من أبناء عمومتهم الحاضرة. ونجد بعض المراجع تذكر عدد الغزاة في بعض مناطق قحطان، وكانت على النحو الآتي:[٤].

---

(١) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورة منها محفوظة في مكتبة الباحث .

(٢) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ (١٥/٢/١٣٦٩هـــ ٥/١٢/١٩٤٩م)، صورة منها في مكتبة الباحث والمصدر علي بن محمد آل شافع.

(٣) وثيقة (بدون رقم) في عام (١٣٣٩هـ/١٩٢١م) صورة من الوثيقة في مكتبة الباحث مصدرها الشيخ محمد بن ناصر بن شويل آل الجحل رفيدة قحطان.

(٤) انظـر محمد بـن سعد النهـاري، صفحات من تاريـخ قبائل قحطـان، ٥٠٥، ٥٠٦: مجلة كليـة الملك خالد العسكرية. العدد٥٧، (شوال١٤١٩هـ، يناير ١٩٩٩م)، ٦٢، ٦٣، العمروي ، ٢٠١، ٢٠٢ .

م	اسم القبيلة	الهجرة	أعداد الغزاة	اسم الشيوخ أو المسؤول
١-	بادية قحطان	نجد ومنطقة عسير	٩٠٠	خليل بن عمر
٢-	عبيدة	الصبيخة	٢٢٨	مترك بن شفلوت
٣-	آل مسعود والمشاعلة	تثليث	١٠٤	محمد بن جعفر ومحمد بن سعد وآل سويدان
٤-				جخدب ومحماس بن ريحان وهذا الحويزي
٥-	الحباب	الأمواه وتثليث وما جاوها	٢٨	جراب بن حسن
		المجموع	١٢٦٠	

والحقيقة أن أعداد الغزاة لبادية قحطان في منطقة عسير ونجد كان كبيراً ، وأحياناً يجتمع الغزاة من بوادي عسير ونجد . وفي بيان من أعداد الغزاة في هجر قحطان وردت الإحصائيات التالية:

جدول رقم (٣) : أعداد المجاهدين المطلوبين من هجر قحطان (بادية وحاضرة) في منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م)[١].

م	اسم الهجرة	عدد الغزاة
١.	الهايثم حاضرة	٨٠٠
٢-	الهايثم بادية	١٠٠٠
٣-	الحفير	٣٠٠
٤-	الحصاة	٨٠٠
٥-	الرين الأسفل	٢٠٠٠
٦-	الرين الأعلى	٢٠٠٠
	المجموع	٦٩٠٠

(١) محمد بن أحمد البديوي، ٢٧١ .

سبب إيراد هذه السرايا وأعدادهم في نجد، أن هناك روابط عميقة بين بادية شرق منطقة عسير وأبناء عمومتهم في بادية نجد وحاضرتها، وأغلب الحواضر كانت في السابق هجر بدوية. كما أن بوادي شرق عسير وبادية نجد اجتمعوا واشتركوا في غزوات وحروب عديدة في جنوب البلاد السعودية، والحجاز وغيرها[١].

٣- مشاركات سكان البادية في جيوش الملك عبد العزيز آل سعود بمنطقة عسير وغيرها :

سعت الدولة السعودية الأولى إلى توسيع سلطتها إلى جنوب غربي شبه الجزيرة العربية، وتذكر المصادر قبول وامتداح بعض العلماء مبادي الدولة السعودية الأولى، كالأمير الصنعاني والعلامة الشوكاني. كما ظهرت تأثيرات الدعوة الإصلاحية على العديد من الزعماء القبليين في الجنوب من بيشة، ورنية، ووادي الدواسر، وأجزاء من تهامة والسراة التي انضمت إلى الدولة السعودية الأولى في بدايات القرن (١٣هـ/١٨م). ولا يوجد بين أيدينا ما يثبت أن قبيلة قحطان في نجد أثرت في أبناء عمومتهم في الجنوب للانضمام إلى الدولة السعودية الأولى إلا أن صلاتهم ببعضهم معروفة، وربما شاركوا بني عمومتهم بعض المعارك، ومواجهة أعداء لهم، أو سعوا إلى حل مشاكل بينهم، ومن الدلالات على ذلك وجود وثيقة تشير إلى حل بعض الخلافات بين أبناء عمومتهم وأن من قام بحل هذه القضية بين قبائل قحطان في الجنوب هو أحد مشايخ قبائل قحطان البادية في نجد[٢]. ومن المحتمل أن بوادي قحطان أثرت على أبناء عمومتهم وغيرهم من ديار منطقة عسير للانضمام للدولة السعودية. ونجد أن قبائل السروات الممتدة من ديار يام في نجران إلى بلاد غامد وزهران قد انضمت دون حرب في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام (١٢١٥هـ/١٨٠١م).

ما من شك أن بوادي شرق منطقة عسير كانت سباقة في الانضمام للدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية)، بل كانوا من الجيوش السعودية الرئيسية التي ساهمت في ضم منطقة عسير، وغيرها من بلدان جنوب البلاد السعودية. ونجد في خطاب من الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) يرسله إلى الإمام

---

(١) يوجد مئات الوثائق التي تؤكد على اجتماع أهل نجد مع أهل السروات وتهامة في غزوات وحروب عديدة في جنوب المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان. وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة الجادة.

(٢) وثيقة صلح بين قبيلة خطاب رفيدة قحطان، وقبيلة جنب بن سعد وكان المصلح فيها الشيخ هادي بن قرملة، تم الاطلاع على صورة لها في ضيافة الشيخ حسين أبوحاوي عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). والصلات التاريخية والحضارية بين قحطان الجنوب وقحطان نجد من المواضيع العلمية التي لم تُخدم بطريقة جادة، آمل أن نرى مؤرخين جادين منصفين يتولون هذا الموضوع بالبحث العلمي الرصين.

عبدالرحمن الفيصل والد الملك عبدالعزيز، ويذكر له طرفاً من أحوال البلاد شرق عسير، وكيف الأمور تسير على ما يرام، ونص الخطاب على النحو الآتي: «من عبدالله ابن محمد بن راشد إلى جناب الأشم الأحشم الإمام المكرم عبدالرحمن آل فيصل[١]. لازالت سعوده في غالبية البلدان طالعة، وسيوفه عن أهل الشرك والتوحيد قاطعة فارقة آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخطاب إبلاغ جنابكم الشريف جزيل السلام، والسؤال عن أحوالكم الفاضلة الكرام وعن مجدكم نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وعلى حلو النعم ومر البلوى الله يجعلنا وإياكم من الشاكرين، وكتابكم المكرم الشريف وصل وبه السرور لمحبكم حصل، وما عرف جنابكم كان لدى مُحبكم معلوم من طرف الخدم ـ إن شاء الله ـ نحطهم على الجبال لأننا حال التاريخ في تثليث، متجهون للصبيخة أعلى الهجر، ثم نخبر جنابكم المكرم لما جينا على المهاجرين من وإذ أنهم جامعون جيشهم همتهم المغزا على يام وقرعناهم، وامتثلوا وما صار عندهم من شدة في الدين على غير دليل، وفي قليل حين سمعوا بكراهيتنا لذلك انتهوا قبل أن ننهاهم، ولوجب بهم واحد منا بالإخوان بكتاب ولي الأمر وأمرهم بالخروج من أموالهم خرجوا من ذلك، يرون السمع والطاعة من أعظم الدين، والحمد لله الذي أرانا فيهم العفاف ومحبة الخير والرغبة، فالسمع والطاعة من ولاة الأمور، كذلك نبشر جنابكم بأن عربان الجنوب وقراهم الذين دون عسير مقبلون على الخير رغباً ورهباً من ولاة الأمور، ومن الذين يلومونهم من المهاجرين، ولابد ـ إن شاء الله ـ يأتيكم منا تعريف بعد وصولنا إلى القرى والبادية الجنوبية هذا ما لزم أن تعرفه جنابكم المكرم مما يداوم لازم الخادم وغير، وعلى جنابكم تبليغ السلام الابن المكرم عبدالعزيز وإخوانه والشيخ عبدالله ... والمشايخ ومن لدينا الإخوان يسلمون كثيراً ودمتم ساعين محروسين...»[٢].

هذه الوثيقة تؤكد على أسبقية رجال البادية في شرق منطقة عسير وانضمامهم للملك عبدالعزيز، وصادق ولائهم حتى أنهم يرون أن طاعة ولي الأمر من الدين، ويظهر اهتمام الملك عبدالعزيز بهذه الجهات وتواصله الدائم معهم، إلا أن المصادر لا تُسعفنا بمعلومات مشاركة أبناء بادية عسير في جيوش الملك عبدالعزيز عام (١٣٣٧هـ/

(١) الإمام عبدالرحمن الفيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود، آخر أئمة الدولة السعودية الثانية، ووالد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) حكم لفترتين الفترة الأولى (١٢٩١ـ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٤ـ١٨٧٦م)، الفترة الثانية من عام (١٣٠٧ـ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٠ـ١٨٩٢م)، توفي في عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م)، في مدينة الرياض، وتنازل عن الحكم لابنه عبدالعزيز في باحة جامع الإمام تركي بن عبدالله في وسط الرياض عام (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م).

(٢) محمد بن سعد النهاري، ٤٩٨ .

١٩١٩م). ففي روايــة أحد الباحثين المتأخرين يذكر مشاركتهم في معركة تربة في شهر شعبــان سنة (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)، ثم عــادوا إلى ديارهم وصاموا رمضان في تثليث[١]. وبعــد أن أفطروا مــن صيامهم جاءتهم الأوامر بالتوجه إلى نجران[٢]. وما حولها لصد قــوة كان قد بعثها إمــام اليمن[٣]. فتقابــل الجمعان في وادي بــدر ودارت المعركة وكان النصر حليف أهل تثليث وما جاورها.

هــذه رواية العمــروي في كتابه: **منطقة تثليث وما حولهـا**، نقلها عن الشيخ: راشد بــن علي بن بخيتان من المشاعلة، والشيخ خنثل بن جعفر بن شري من المساردة بجاش، والشيــخ محمد بن مذكــر بن سجعان من آل فطيــح المشاعلة موضحــاً أنهم شاركوا في ضــم الحجــاز وعسير وما تغيبوا عن وقعة من الوقائــع، وفي الحقيقة أن الاشتباكات مع قبائــل يام تحتاج إلى دراسة وتحقيق حــول ما ورد عند هذا الباحث، وما ورد في العديد مــن المصادر المحلية التي تثبت أن بعضها موضــوع، والآخر لا يخلو من معلومات غريبة أو مغلوطــة ومختلفــة. وفي مرجع آخــر ورد ما نصــه: «فعندما عزم الملــك عبدالعزيز علــى إخضــاع عسير السراة نراه قبل فتحه أنها قد أنفــذ إلى بلدة بدر في نجران سرية عسكريــة بقيــادة ابن عبود الذي تمكن من ضبطها وأخــذ العهد على المكرمي بأن يكون وقومه صادقي الولاء لعبد العزيز، والذي تمكن بعد فتح عسير بتوجيه قوة أخرى بقيادة ابــن عمر، وهو حمود بن عمــر بن قرملة إلى حبونة وألحقها بدولتــه بعد أن أخذ العهد والميثاق على أهلها»[٤].

إن المرويات الشفهية لهذه الأحداث ذكرت الكثير من الأقوال المتضاربة في الأحداث والنتائــج، واختلفت في تحديد تاريخها. فيذكر أن معركة بدر الجنوب كانت بقيادة ابن عبود وشعوان بن مشبب وابن جافل[٥]. ومعركة حبونا قادها بيرم آل مالك[٦]. ومعركة نجــران وتحديــداً في قرية آل منجم بقيادة حمود بن عمر بن قرملة[٧]. ففي معركة بدر يذكر أن محمداً بن جعفر بن عبود توجه أول سنة (١٣٣٨ - ١٩١٩م/١٩٢٠م) إلى بدر

---

(١) العمروي، ٤٨.
(٢) المرجع نفسه، ٤٩.
(٣) هذا الخبر تفرد به صاحب السراج المنير، للمزيد انظر، العمروي، ٤٨.
(٤) عبدالكريم المطهر، سيرة الإمام يحيى، تحقيق محمد بن عيسى صالحية، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات نشر. ١٩٠، ٢٣١، ٢٦٩.
(٥) مقابلة مع الشيخ علي بن فهاد بن جافل عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
(٦) مقابلة مع علي بن محمد بن شافع السنحاني. (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).
(٧) مقابلة مع الشيخ عجيم بن مطارد من مشائخ يام، عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

لصد قوة بعث بها الإمام يحيى وورد في مخطوطة عبد الرحمن بن ناصر: « وكذلك في تلك السنة (١٣٣٨هـ ـ ١٩١٩م/١٩٢٠م)، أنفذ إلى بلدة بدر سرية وأمر عليها ابن عبود فاستولى عليها وتمكن من ضبطها وأخذ العهد على رئيسها المكرمي بأن يكون وقومه صادقي الولاء»[١]. ثم وقعت معركة بين قبائل البادية وقبائل نجران بعد اعتدائها على إحدى قبائل شرق منطقة عسير، وحدثت تلك المعركة عام (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، في موضع اسمه مخصوب، وقبلها معركة في الصفاح وكان النصر حليف البادية الذين كانوا يمثلون جيوش الملك عبدالعزيز[٢]. والنصوص السابقة وغيرها تؤكد على أن معركة بدر كانت قبل معركة حجلا عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، إلا أن هذه الأقوال لا يُعول عليها كثيراً لعدة أمور:

أ ـ تذكر وجود جيش للإمام يحيى يتمركز في بدر الجنوب والقوة تحركت لإيقافه، ثم تذكر هزيمة أهالي بدر وأخذ العهود على المكرمي في الولاء للملك عبدالعزيز[٣].

ب ـ يوجد في جزء من هذه الروايات أن إرسال الجيش كان بسبب مكائد من مشائخ وقادة البادية وحاضرة قحطان ضد قبائل بدر، وأنها قبل معركة حجلا، وفي الفترة ما بين أواخر عام (١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، وبداية عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) وتذكر أيضاً استشهاد عدد من قادة تلك الحملة[٤].

ج ـ تذكر بعض الروايات وجود عدة معارك ضد قبائل شهران وخاصة ناهس وكود وهذا ما لم نجد ما يؤيده في المراجع أو الوثائق التي اطلعنا عليها[٥].

أغلب ما كتب في تلك الأحداث روايات شفهية والمراجع التي أشارت إليها لم تشر إلى مصادر موثوقة، في حين أن الوثيقة المرسلة من الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد إلى الإمام عبدالرحمن الفيصل، والد الملك عبدالعزيز المؤرخة في (٢٠ ربيع الأول ١٣٣٨هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩١٩م) أن الإخوان من البادية كانت همتهم الغزو على

(١) العمروي، ١٤٨.

(٢) روايات شفوية عديدة إلا أننا لم نجد نصوص مكتوبة تؤكد ذلك.

(٣) ورد ذلك في كتاب: تاريخ عسير خلال خمسة قرون وهو ـ كما ذكرنا ـ من الكتب التي لا يعول عليها ولا يعتد بها وللأسف استند إليه بعض الباحثين في أعدادهم لأبحاث ودراسات عن تاريخ عسير.

(٤) هذه الروايات لم نجد ما يسندها لا في الوثائق ولا المصادر والمراجع المعتبرة .

(٥) العمروي، ١٤٨، في هذه المعلومة يشير إلى مصدره تاريخ عسير خلال خمسة قرون وهذه الرواية لا يستند إليها وخاصة وأن هناك وثائق تشير إلى أن قبائل شهران البادية بني واهب وناهس كانت من القبائل المؤيدة للملك عبدالعزيز.

بعض القبائل، ولم يشر إلى أي غزو سابق حدث بين الأطراف ، وفي هذا دليل قاطع أن من يذكر أن تلك الصراعات سبقت معركة حجلا فيه الكثير من مجانبة الصواب، وعدم الدقة[١] . وفي وثيقة أخرى أرسلت لمشايخ من البادية من الشيخ عبدالله الراشد مؤرخة في(٩ جمادى الأولى ١٣٣٨هـ الموافق ٣٠ يناير ١٩٢٠م)، ورد في نصها: «إنا أرسلنا المسردي لابن معمر على وعد عند ابن هشبل وخفنا يضيق علينا الوقت وما مر بنا على .. وأنا المسردي فعارضه ناس من ناهس معهم خطوط من الإمام مرو بها السليل وخطوط من بيشة من ابن معمر وابن ثنيان وناهس ظنوا أنا نحتاج للمسردي فرد جواب الخطوط فالظاهر أنا نتواصل إلى بيشة إن شاء الله»[٢] . وفي هذه الوثيقة إشارات واضحة إلى أن البادية في منطقة عسير من قبائل قحطان وشهران وأبناء عمومتهم من الحاضرة قد بايعوا الملك عبدالعزيز، وأصبحوا كلهم دعاة للملك ولدعوته التي بنيت على العدل والمساواة ورفع المظالم. وأن ذكر الصدامات المسلحة بين قبائل البادية في منطقة عسير وقبائل البادية فيما بينها تحتاج لكثير من التروي والدراسة. وبعض المعلومات التي كتبت لا يركن إلى صحتها»[٣] .

يبدو تمنع القبائل في نجران لم يكن رفضاً للانقياد للملك عبدالعزيز؛ بل ربما كان خوفاً من التعصب الديني الذي صاحب حركة الإخوان.

وفي ذلك يقول شاعر من يام :

مرة يركب ومرتب يقوده ... نصه ابن سعود راعي الكلام
خبر ابن سعود يردع جنوده ... ما يبني بأرض يام خيام

في هذه الأبيات يتضح أنهم لم يتضجروا من ابن سعود، وإنما الضجر من جنوده الذين يطلبون منه أن يردعهم حتى أنه يقسم أنه لن يرتدي الرواء الذي ميز الإخوان، وهي العمامة البيضاء وتلك كناية عن التعصب الديني الذي تميز به الإخوان أثناء حروبهم ضد أعداء الملك عبدالعزيز . الراجح عند الباحث أن معركة بدر لم تكن قبل معركة حجلا بل في أعقابها. وفي وثيقة تثبت أن بدر الجنوب وأهلها دخلوا في أمان الملك

---

(١) الرأي الذي وصل إليه الباحث .

(٢) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ وصورتها في مكتبة الباحث وهي صورة من الأستاذ الباحث سعيد بن سحيم البسامي.

(٣) هذا ما وجدنا عند الكثير من الرواة والحقيقة غير ذلك بل هي قوات ضمن جيوش الملك عبدالعزيز وكانت أهداف تحركها هو بث الأمن وتوحيد الأمن. نعم الصراعات القبلية كانت قائمة ومنتشر في كل مكان. وهذا الموضوع صعب وشائك وفيه الكثير من التفصيلات السلبية على حياة الأرض والناس.

عبدالعزيـز، وهـي مرسلة من أمير عسير ابـن عسكر قال فيها: «مـن عبدالله العسكر ومحمـد بن دليم إلى من يراه من الإخوان وكافـة قحطان...عرفتوا أن أهل بدر وجميع مـن قـد عاهد عند عمر من يـام تركم مقروعـين منهم ولا عليهـم اعتراض في البلاد والأسواق تراهم آمنين بأمان الله ثم أمان ابن سعود ثم أماننا..»[١].

بعد جلاء الأتراك عن عسير حاول حسن آل عائض الإمساك بمقاليد الأمور إلا أن سياسته اتسمت بالقمعية والتعسفية في الإقليم الجبلي للمنطقة، وفي الأجزاء التهامية التـي كانت منقسمة الولاء. وقبائـل قحطان وشهران وإن أظهرت الـولاء للإدريسي إلا أن المراسـلات بينهم وبين أبناء عمومتهم من البادية مستمرة، ودعاة الملك عبدالعزيز والمبشريـن بحكمه العادل والحاملـين لكتبه المرسلة للمشائخ والأعيـان يجوبون البادية وغيرها من الديار التي كانت بعيدة عن مراقبة ابن عايض[٢].

كانـت سياسة حسن آل عائض غير مستقـرة، فهناك صدامات عسكرية مع أجزاء مـن قبيلة عسـير السراة وتهامة وتدعمها قوات الإدريسي ضـد ابن عائض، وصراعات أخـرى مـع بعض قبائـل رفيدة وتقـف معهـم قبائل قحطـان بزعامة محمـد بن دليم والإدريسي[٣]. وأسباب الحرب بين قحطان الحاضرة وابن عائض لم تكن فقط سياسية وسعيـا للسيطرة كما ذكر النعمي وابن زلفة، بل كانت التعديات واضحة من ابن عائض مما جعل الشكاوى ترفع إلى مقام الملك عبدالعزيز والوفود تذهب إليه خاصة من قبائل قحطـان. وبسبب ذلك نفرت منه القبائل، وأرسلت وفودها شاكية إلى الإمام ابن سعود وتشرح له ما آلت إليه المنطقة من الفوضى والاضطراب، وكان الملك عبدالعزيز لا ينفذ سياستـه بالقوة إلا بعد أن تُسد الأبـواب في وجه المساعي الحميدة للسلام. فبعث إليهم بستـة مـن علماء نجد للإصـلاح بينهم، وكتب إلى الأمير حسن يدعـوه للرجوع إلى ما كان عليه أجداده[٤]. لكن حسن استمر في سياسته القمعية والتعسفية، ولم يقبل توسط العلماء، وعد تلك الوساطة تدخلاً في شؤون عسير الداخلية. وردهم مكابرا. وقال: «إذا كان ابـن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسـير سنمشي إلى بيشة النخل ونستولي عليها،

---

(١) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورتها في مكتبة الباحث .

(٢) حبـذا أن نـرى باحثاً جاداً يجمع المراسلات الأولى بين الإمـام عبدالعزيز آل سعود وشيوخ وأعيان قحطان وشهران، ثم دراستها دراسة علمية توثيقية تحليلية.

(٣) تذكـر الروايات أنه بعد خـروج الأتراك قامت قبائل قحطان بمبايعة الإدريسي إلا أن الإدريسي طلب منهم المكـوث حتى قدوم محمد بن دليم أبو لعثة شيخ قحطـان ووادعة، فمكثوا حتى قدم إليه وبايعه على السمع والطاعة، إلا إذا قدمت جيوش الملك عبدالعزيز فهو في حل من بيعته وقد أقره الإدريسي على ذلك. مقابلة مع أحمد بن حسين آل شايع ، ومع علي بن محمد آل محسنة الأزرقي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) سعيد جفشر،٢١، وأمين الريحاني، ٢٠٠، هاشم النعمي، ٣٥٤ .

حيــث إنها كانت تابعة لأجدادي في الماضــي»[١]. عندئذ اضطر السلطان عبدالعزيز إلى تجهيز حملة عسكريــة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بــن جلوي؛ لتوطيــد الأمن، وإنهــاء الفوضى في بلاد عســير، وأمــره أن يدعو حسن بن عائض للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان أسلافه الأوائل[٢].

ســار الأمير عبدالعزيــز بن مساعد بحملتــه عندما لم تنجح الوساطــة السلمية في شهر شعبان (١٣٣٨ه الموافق مايو١٩٢٠م)، وواصلت تقدمها عن طريق رنية حتى وصلت إلى بيشــة، التي اتخذهــا الجيش السعودي قاعــدة لعملياته العسكريــة[٣]، وقيل: واصل زحفه إلى القاعة[٤]. وهي أرض منبسطة تقع في شرق بلاد شهران، حيث عسكر بجيشه هنــاك، وفيها انضمت إليــه قبائل قحطان وشهران، وخاطب الأمــير عبدالعزيز مشايخ وقبائــل قحطــان وشهــران باديــة وحاضــرة يدعوهــم إلى مقابلتــه في القاعــة ويطلب منهــم السمع والطاعة وجمــع الشمل، واتحاد الكلمة، وتطبيــق الشريعة ويحذرهم مغبة التأخير[٥].

مــن القاعة بعــث الأمــير عبدالعزيز بــن مساعد الرسائــل التــي كان يحملها إلى أصحابهــا مصحوبــة برسائل منه شخصيــاً يحثهم فيها على تجنــب مخاطر الحروب والجنوح إلى السلم، والدخول تحت الطاعة للملك عبدالعزيز فسارت إليه وفود القبائل مؤيــدة له بكامل عدتهــم وعتادهم، وأرسل الأمير ابن مساعــد الشيخ سعيد بن مشيط عينــاً له تجــاه أبها[٦]. كما بعث الأمير عبدالعزيز بن مساعــد برسالة الملك عبدالعزيز ومعهــا رسالــة أخرى منــه إلى حسن بن علي بــن محمد بن عائض يحملهــا وفد يتكون مــن كبار قادة الجيشــ برئاسة القاضي الشيخ عبدالله بــن راشد، ومحمد بن سلطان، وفيصل بن جفشر القحطاني وآخرين، وكان مضمون رسالة السلطان عبدالعزيز دعوة ابــن عائض إلى اجتمــاع كلمة العرب بتقويم دين الله والتعاضــد على كلمة الحق لتكون هــي العليــا، وأنه ليس له قصــد في الأذى أو التعدي على أمر مــن أمور الدنيا غير راحة

(١) أمين الريحاني، ٣٠٠، هاشم النعمي، ٣٥٤.
(٢) أمــين الريحاني، ٣٠٠. وعبدالرحمن الحصين: فيصل بن عبد العزيز آل سعود. رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٤٢.
(٣) أمين الريحاني، ٣٠٢ـ ٣٠٥.
(٤) قاعــة ناهس: حيث يقع تجمع رجال قحطان، وتبعد عن مدينة أبها في الاتجاه الشرقي حوالي سبعين كيلاً. انظر: هاشم النعمي، ٣٥٥.
(٥) آل زلفة: عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ٢٩، ٣٠.
(٦) حسن حسن سليمان، ٧٤ـ ٧٧، عصام الدين السيد، ٤٧.

المسلمين، وتضمنت الرسالة أيضاً تفويض الأمير ابن مساعد في المفاوضات معه على ما يتفق عليه الطرفان[١].

استدعى الأمير حسن كبار قومه بعد وصول الرسالة، للتشاور والرد عليها للأمير بن مساعد غير أن رد ابن عائض امتاز باللياقة عندما استعرض فيها العلاقات بين الإثنين، ورحب بتطبيق الشريعة الإسلامية واتحاد الكلمة، وأظهر رغبته لإيفاد من يدير المباحثات معه إلا أنه في الوقت نفسه تمنع من الدخول تحت طاعة آل سعود عندما قال:» إن آل عائض ملتزمون بحدود الله وتطبيق شريعته ،ولسنا بخارجين عن طريق الحق والشرع»، ثم بعد ذلك أفصح عن حق عسير في الاحتفاظ باستقلالها ضمن حدودها المعروفة، وما أشكل يعرض على هيئة تحكيم شرعية تفصل بين الطرفين[٢]، ثم قال: «وتعلم ـ بارك الله فيك ـ ما بين الحمولتين آل سعود وآل عائض من مراعين قواعد ما نحن ممن يخلف العادة ولا تستنكر السوابق أخبارنا إلا الأنام على ما تحب.... الله ورسوله وأمرنا من فضل الله على الشرع الأنور آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر نحل الحلال، ونتجنب الحرام وعلى ما عليه أوائلنا السابقين..»[٣].

يؤكد ابن عائض تمسكه بالدين والأخلاق الإسلامية والحذر من سماع أخبار عنه غير صحيحة، والحقيقة أن هناك بعض الأخبار والتعدي منه على بعض شيوخ قحطان وغيرهم، ويذكر ابن عائض في خطابه مطالباً الأمير ابن جلوي بما يلي: «حدود ابن عائض لا يصير فيها هتك وتعدي، وإن اشتبه حال بيننا فلا نزكي أنفسنا وقارعيكم بالقرع المحمدي»، ثم يظهر تمسكه بدعواه، ونفوذه على البلاد ويقول:» ونحن آل عائض بحمد الله ملوك أرضنا من ساعدنا وعاملنا بالجميل ساعدناه، ومن أراد هتك أمرنا فلا قد أطاح الباري لنا حظ»[٤]. الرسالة في (١١شوال ١٣٣٨هـ – ٢٧/٦/١٩٢٠م)[٥].

في تلك الأثناء كان الأمير ابن مساعد يبعث للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الرسائل من بيشة، ومن القاعة ويوضح له أخبار الحملة وخطواتها وما يستجد مع ابن عائض والمراسلات معه، ولم ييأس ابن جلوي؛ بل بذل محاولة سلمية أخرى، فأرسل إلى ابن عائض وفداً برئاسة القاضي عبدالله بن راشد؛ لمناقشته لإعادة النظر

(١) هاشم النعمي، ٣٥٦. عصام ضياء السيد، عسير، ٣٢٥، محمد آل زلفة، ٣٠ .
(٢) عصام الدين السيد، ٤٦ ـ ٤٧، محمد آل زلفة ، ٣٠ .
(٣) محمد آل زلفة، ٣١ـ ٣٢ .
(٤) محمد آل زلفة ، ٣٣، ٣٥ .
(٥) عصام الدين السيد، ٤٧ .

في السلـم ودخول الطاعـة[١]، وقد فضل الأمير حسن السلـم، إلا أن جناح متصلب من قبيلتـه بنـي مغيد كان يرى عكس ذلك؛ فقاموا بتهديده بالخلع لو جنح للهدنة والسلام، وقالـوا «إن القوة لا تُواجه إلا بالقوة»، وفشلـت المساعي من قبل أولئك المعارضين، ووقع الصـدام بـين الطرفين، وبخاصة بعـد أن قام ابن عم حسن بن عائض بإخراج مشط رصاص للوفـد، وهذا معناه علامـة الرفض للمفاوضـات السلمية. واصـل الأمير ابن مساعـد تقدمه من القاعة، وعندما دنا من جبـال عسير انضمت له قبائل شهران التي سبـق أن أعلنت طاعتهـا، وعلى رأسها رئيسهـا سعيد بن مشيط، ثـم واصل زحفه إلى أبهـا، فخرج إليه حسن بـن علي آل عائض من أبها ومن معه مـن قبائل عسير، والتقى الفريقـان يوم الخميس مـن النصف الأخير من شهر شوال في حجـلا الواقعة بين أبها وخميـس مشيط، فكانـت المعركة شديدة، والهزيمة فيها من نصيـب حسن وأتباعه[٢].

وكان دور البادية في تلك المعركة مؤثراً فلم يشارك فيها إلا الجيش القادم مع الأمير ابن جلوي، وبدو قحطان وشهران وأبلوا بلاء حسناً واستشهد منهم خلق كثير. كانت معركة حجـلا من أعنف المعارك، ومن المرجـح أنها آخر أسبوع في شهـر شوال عام (١٣٣٨هـ الموافـق شهر يوليو١٩٢٠م)، وأول أسبوع مـن شهر ذي القعدة من العام نفسه. وتمركز جيشـ ابن عائض في جبل قحطـان وكان معه مدفعية ركزت على البل ووضعت المتاريس (المحاجـي) للرماة وتحصنـوا في الأبراج والمنازل في حجلا ممـا أدى إلى مقتل الكثير مـن جيش الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي الذي قام بالالتفات من خلف الجيش العسـيري[٣]، وإخماد نـيران المدفعية مما جعل الكفة تنقلب ويكـثر القتل في جيش ابن عائـض، وانتهت المعركـة قبل غروب اليوم الثاني، إلا أنه أسـر عدداً من المتحصنين في إحدى قصور حجلا، وكان لرجال قحطان وشهران جهوداً كبيرة في تحقيق النصر، وفي ذلك يقول الشاعر:

يـوم الخميـس أنشـى علـى كـل ديـرة　　　وأنـشـي علـى حجـلا بصفـر المعابـر[٤]

---

(١) عصام الدين السيد، ٤٧ .

(٢) محمـد آل زلفـة، ٣٤ ـ ٣٥، وأمين سعيد: تاريخ الدولة السعوديـة، ج٢، بيروت، دار الكتاب العربي، [دت]، ٩٦، وسعود بن هذلول، ١٤٥.

(٣) محمـد آل زلفـة، ٣٦ ـ ومقابلـة مع الدكتور عوض آل ناحي (١٤٤٢هـ/٢٠٢٢م)، رواية عـن والده الشيخ عبدالله بن ناحي من قبيلة آل حبشي من قبيلة بني مالك عسير.

(٤) مقابلـة مـع مسفـر بن عوض بـن جفشر، ويذكـر أن عمـره آنـذاك عشـرون سنـة، كانـت المقابلة عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

دخلت قوات الجيش السعودي المكونة من قحطان وشهران وغيرها حاضرة أبها، ويبدو أن البدو تم منعهم من دخول المدينة. أما ابن عائض فذهب إلى السقا والحرملة[١]، وفي رواية لأحد المقربين لحسن آل عائض يروي ما نصه:» بعد المفاوضات مع عبدالعزيز بن مساعد قائد جيش ابن سعود تأزم الموقف وأصبح حسن بن عائض في موقف حرج بعد أن وصلت أنباء زحف جيش ابن سعود من القاعة باتجاه أبها، وعلى إثر ذلك طلبني ابن عائض على وجه السرعة ، وأمرني أولاً أن أخرج المساجين من أبها وأنقلهم إلى ريدة في تهامة، ثم أمرني بأخذ عدد من الرجال المسلحين، ثم قرصني في عضدي الأيمن بشدة. وقال يا محمد بعد أن تترك المساجين في ريدة ، اصطحب الرجال الذين انتدبتهم معك وتمركزوا في جرف ريدة عند بداية طريق العقبة وراقبوا الجانب السروي والتهامي في آن واحد، وإياك أن تسمح لأحد أياً كان بالنزول أو الصعود عبر العقبة»[٢]. ويكمل ذلك المعاصر روايته فيقول: «مع إشراقة يوم الخميس بدأ صوت دوي المدافع في حجلا يصل إلى جرف ريدة حيث يتمركز محمد بن راشد مع رجاله لتأمين ومراقبة العقبة، ودارت رحى المعركة وهزم جيش ابن عائض هزيمة ساحقة، وتراجع إلى أبها، ولما رأى ابن عائض أنه لا جدوى من المقاومة اختار اللجوء إلى حصنه المنيع في حرملة بتهامة..»[٣]. والأمير حسن بن عائض لم يتوجه إلى السقا بل إلى الحرملة لأنها من أمنع المواقع التي توجد بها قلاع وحصون آل عائض[٤].

اجتهد الأمير عبدالعزيز بن مساعد والشيخ عبدالله بن راشد في توطيد النظام الجديد في المنطقة، وبعث الملك عبدالعزيز بالتعليمات والتوجيهات إلى الأمير ابن مساعد وفيها العديد من النقاط: وذكر أسماء شيوخ في شهران وقحطان كل على قبيلته وديرته ومرجعه الملك مباشرة. وكذلك سحب جميع المعدات الحربية من مدافع وذخيرة بجميع أنواعها من المنطقة، والأهم في تلك التوجيهات وجوب مرابطة جيش الإخوان في

---

(١) مقابلة مع مضواح بن حسين آل حمران، وكان والده أحد المشاركين في المعركة وتاريخ المقابلة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، علي آل زحيفة، مذكرة عن معركة حجلا (١٤٤٣هـ) غير منشورة، مكونة من ورقتان. وانظر أيضاً محمد بن زلفة، تاريخ عسير، ٣٨، النعمي، ٢٣٥.

(٢) محمد بن راشد الوقشي القحطاني، كان من المقربين لحسن آل عائض ومن المخلصين للدولة السعودية فيما بعد. مقابلة مع الأستاذ عبدالكريم آل أحمد آل عمرة في مكتبة الأستاذ محمد أحمد معبر في مدينة خميس مشيط عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).

(٣) عبدالكريم آل أحمد، مذكرة عن ما رواه الشيخ محمد بن راشد الوقشي القحطاني لجد الأستاذ عبدالكريم آل أحمد (١٤٤٣هـ) غير منشورة.

(٤) المرجع نفسه. انظر آل زلفة، ٣٨، النعمي، ٢٣٥. مازال هناك العديد من الوثائق غير منشورة عن الصراع بين ابن سعود وآل عائض في نهاية الثلاثينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، آمل أن تجمع هذه المصادر ثم تدرس وتحلل في عمل علمي جاد.

حاضرة أبها، وإذا قاموا بأي غزوة في الأطراف الجنوبية القريبة ينفذونها ويعودون إلى أماكنهم لحين صدور الأوامر[١].

كان في الجيش من بادية شرق عسير (إخوان من طاعة الله)، وأغلبهم من الجحادر وعبيدة من قحطان وبني واهب من شهران، وعرف الكثير من قادتهم، مثل: معيض بن جعفر بن عبود، ومترك بن عشق بن شفلوت، ومحمد بن جخدب بن بخيتان، وجعفر بن جمل بن شري، ومحماس بن ريحان، وهذال بن حويزي، وناشر بن محمد بن ولمه، وجراب ابن حسن آل جميح[٢]، وفهاد بن محمد بن جافل[٣]، وابن نورة، والفوية من بني واهب وغيرهم كثير[٤].

تم تعيين شويش بن ضويحي أميراً على عسير ومعه القاضي محمد إسماعيل، وذلك بعد البيعة من آل عائض والإذن لهم بالرجوع إلى المنطقة، ونجد وثيقة مرسلة من الملك عبدالعزيز إلى بعض مشائخ البادية، قال فيها: «حطينا خادمنا شويش أمير؛ لأن القصد بذلك دوره الذي يصلح عليه الحال، وأمركم وأمره راجع إلى حكم الشريعة، والشيخ محمد نايب عني في أحكام الشريعة»[٥]. وذكر أيضاً: «من طرف آل عائض في حسبة أولاد آل سعود وصادر القرار فيما بيننا وبينهم كما ترون في ورقتهم التي عليها أمضاهم برضاهم»[٦].

كان البدو ضمن جيش ابن سعود يقومون ببعض العمليات العسكرية لبسط نفوذ الدولة، ولهم نشاطات أخرى ومنها نشر العلم وتعليم الناس أمور دينهم، وكانت التعليمات الموجهة لهم تؤكد على أن يكون تعاملهم بالرفق واللين وبالأخلاق الطيبة. وفي خطاب موجه من الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ إلى أحد قادة البادية وإرشادهم وبسط نفوذ الدولة على رعاياها[٧]. ونجد نص ذلك الخطاب

(١) آل زلفة، تاريخ عسير، ٣٩، ٤٠.

(٢) جراب بن حسن آل جميح، من رجال الملك عبدالعزيز وله دور معروف في تأييد الدولة السعودية الثالثة.

(٣) فهاد بن محمد بن جافل شيخ آل سليمان الحرقان.

(٤) انظر: ناصر بن سيف بن سعد بن نورة الحرقان، روضة بن نورة ورسالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود (رحمه الله)، بدون معلومات نشر، (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) نسخة مصورة في مكتبة الباحث، وأصلها عند الشيخ سيف بن سعد بن نورة الحرقان، ومحمد آل زلفة، ٣٨، ٤٠.

(٥) وثيقة (بدون تاريخ) وبدون رقم وصورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الشيخ محمد بن شويل في محافظة أحد رفيدة.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) كان الخطاب مرسل إلى الشيخ مترك بن عشق بن شفلوت أحد القادة السعوديين الذين عرفوا بالشجاعة

كالآتـي: «مـن محمد بن عبداللطيـف بن عبدالرحمـن آل الشيخ إلى جنـاب الأخ المكرم الأمير مـترك بن عشق بن شفلـوت (....)، الخط المكرم وصلنا وما ذكـرت كان معلوما، وجيشك أنت والإخـوان هذا هو الظن فيك، والواصل إليك الإخـوان فهد بن عبدالرحمن الصميت، وعبدالله بـن إبراهيـم ووصيناهـم بالرفق واللطف واللـين في الله، والقـول باللسان بالنصـح، وأما اليد فـلا لأحـد مدة يـد لا صغير ولا على خاص ولا عـام ، وأما الكلام فهو موقـوف على الإثنين فهو وعبـدالله وإلى غيرهـم مـن الإخوان مالـه رخصـة لا في كلام ولا مدة يـد، واعتمادنا على الله ثـم عليـك ياولد عشـق، لأننا نظن فيك الخـير، وإن شـاء الله من يحامي على ولايـة المسلمين، لكـن خوفنا من زلـة سفيه تغفل عنها ويصير ضررها كبير، وأنت فاهـم ونبي الإخوان يعلموهم دينهـم بسلاسـة وحسن خلق، لأن أهل تهامة تعرف حالهم كل شـيء يخيل إليهم، ويجعل كذلك طوارف السيد من بادية وحاضرة الحذر من تعرضهم أو أمرهم أو نهيهم؛ لأن ما هم في لزمتنا ولا في لـزم أمامنـا، كذلك طـوارف الشريف القنفـذة ومن حولها لا تعترضوهـم، إنما روحتكم لأهـل تهامـة اللـي في ولايـة عبدالعزيـز، الله الله يـا مـترك ياخـوي الحـذر الحـذر مـن أمـور تنقدنـا وتنقـدك، إيـاك إيـاك تظهـر مـن شوفـه فهـد وعبـدالله، وإنـا مـا حرصـت عليك إلا خوف من أمور تقع وإلا الإخوان فيه بركة والنصايح مع الإخوان، وفيها الكفاية هذا ما لزم وسلم لي على من عندك وأنت سالم والسلام (٣٠/صفر/١٣٤٠هـ ـ ٣١/١٠/١٩٢١م) (١).

هـذا الخطـاب مرسل لأحـد أهم قـادة البادية في منطقـة عسير، والهـدف ليس عسكريـاً بـل تعليم النـاس وتوعيتهم والحرص علـى حسن الجوار مع القـوى المجاورة للبـلاد التابعة لحكومة الملك، وتأكيد على محاربة الجهل ونشر العلم. وتضمن الخطاب تحديـد المسؤوليـات والصلاحيات ومنع التعدي باليد أو بالـكلام، وفيه توجيهات راقية سلميـةٍ توضح حرص الدولة على احتواء أبنائها باديـة وحاضرة. والسعي إلى خدمتهم توعويـاً ومعرفياً. والفترةٍ بين معركـة حجلا عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) وثورة حسن آل عائض لم تكن كلها أحداثاً عسكرية، وللأسف لم تدرس الجوانب التعليمية والاجتماعية والإنسانية في ذلك التاريخ، والاهتمام فقط بالحوادث السياسية والحربية (٢).

والإخلاص وهو من رجال الملك عبدالعزيز المعدودين انظر: العمروي، ١٥٩ـ ١٦٣. اطلعت على الكثير من الخطابـات التي كان يرسلها الملك عبدالعزيـز وبعض العلماء في نجد، وفيها حث قادة الجيش على التحلي بالرفـق وضبـط الأمن، لكـن بعض رجال الجيش كان يصـدر منهم تصرفات غير جيـدة، ومخالفة لتلك التوجيهات التي كانت ترسل لقادتهم.

(١) محمد سعد النهاري، ٤٩٦ .

(٢) انظر آل زلفة، ٤٥؛ النعمي، تاريخ عسير، ٢٤٥.

سعــى الأمير عبدالعزيز بن مساعد إلى بسط النفـوذ السعودي على السراة بجميع نواحيهـا. واجتهـد الرسل في تأمــين حسن وابن عمه محمد بــن عبدالرحمن وإعطائهم الأمــان، فسلما أنفسهما للأمــير عبدالعزيز بن مساعد الذي قــام بإرسالهما إلى الملك عبدالعزيــز، الذي أكرمهمــا واستقبلهما وعاملهما كأبنائه، ومــر معنا في أحد خطاباته مــا نصــه :«.. من طرف آل عائض في حسبة أبناء آل سعــود..». وأرسل الملك عبدالعزيز لآل عائضـ ما نصه:« مــا تخلينا أبداً عنكم يا آل عائض، وعندمــا سأل الترك الشريف عبــدالله بن عون أن يهاجمكم وينــكل بكم، أرسل الشريف يستنجد بعمي الإمام عبدالله ، فأجابــه ابن عائض رجل منا فكيــف نساعدك عليه..»[1]. وتذكــر العديد من المصادر أن الملــك عبدالعزيز عرض إمارة منطقة عسيرٍ على ابن عائض بالشروط التي تقيد بها أجــداده فرفض ابن عائض هذا العرض متعذراً بما نصه: «قد عادينا النـاس ونخشى إن أمرتنــا أن يقوموا علينا، لكننا نكون متعاونين لمن توفــدون أيديكم الله، ولا تقصروا عنا مــن جهة الدنيا»[2]. هذه الإجابة توضــح بشكل جلي علاقة ابن عائض المتوترة مع قبائل المنطقة، والعداوة بينه وبين قبائلها، وصداماته العسكرية التي سبقت معركة حجلا [3].

واصــل الأمير ابن مساعده سيره غرباً وجنوباً، وسيطر على جميع السراة، وغيرها مــن النواحي التي تتصل بحدود السيــد الإدريسي، وكان الإدريســي موالياً لابن سعود، وقد أسر بعض الفارين من آل عايض، ثم أخلى بعد ذلك سبيلهم إجابة لطلب السلطان عبدالعزيــز[4]. وبعد أن تمت للأمــير ابن مساعد السيطرة على عســير السراة. أرسل إلى حســن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عائض يؤمنهم، فرجع حسن وابن عمه مــن حرملة إلى الأمير ابــن مساعد للاستسلام، فأرسلهما إلى الرياض حيث قوبلا من السلطــان عبدالعزيز بن عبدالرحمــن آل سعود بالعفو والأمان، وأقامــا شهراً بضيافة السلطان، واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهم من قبل. وسمح لهم بالعودة خاصــة بعدمــا أعطوه البيعة والــولاء وأعطاهم خمسة وستين ألف ريــال فرانسي أي ما يعادل ستة آلاف وخمسمائة ليرة ذهبية وخصص لهم مقررات شهرية[5].

(١) المصدر نفسه. خلف الوذيناني، ٨٠ .
(٢) خلف الوذيناني ، ٨٥ .
(٣) محمد آل زلفة، تاريخ عسير، ٣٨ـ ٤٧. حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد، حياته ومآثره، [دت]. [د ط] (نسخة مصورة بمكتبة الباحث). ٨٧ .
(٤) الزركلي، ٢٥١، وسعود بن هذلول، ١٤٥ـ ١٤٦ .
(٥) للمزيد انظر: أمين الريحاني، ٣٠٠، الزركلي ، ٣٥٠، سعود بن هذلول، ١٤٦، خلف الوذيناني، ٢٨ .

عاد آل عائض إلى عسير وكان أمير عسير شويش بن ضويحي الذي اشتكاه حسن ابن عائض فعزله الملك عبدالعزيز ، وأمر مكانه عبدالله بن سويلم، إلا أن حسن آل عائض رفع للملك يطلب عزله ولم تذكر لنا المصادر ما هي التبريرات، التي تعذر بها حسن أثناء طلب العزل لهؤلاء الأمراء فلبى الملك طلباته المتكررة، وربما كان ذلك من باب إحسان النية وإكرام من الملك لحسن وأسرته [١].

تولى عبدالله بن سويلم الإمارة، لكن لم تُحمد سيرته وساءت الحالة بسبب تصرفاته وعدم خبرته. وأظهر الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ غضبه عليه وذهب للملك عبدالعزيز غاضباً، فقام الملك عبدالعزيز بعزله وعين بدلاً منه فهد العقيلي أميراً على عسير[٢].

تعاقب عدد من الأمراء على عسير في وقت وجيز دليلاً على أن هناك اضطراباً في الإدارة، وربما كان لحسن وجماعته دور في إثارة القلاقل والاضطرابات، وفي الوقت نفسه كان يتصل سراً مع الشريف حسين بن علي في مكة المكرمة لمساعدته، فقام الأمير ببعث الكثير من المال والعتاد لإعانته في حربه لابن سعود[٣]. وساعدت بعض الظروف الأمير حسن آل عائض في تخطيطه للثورة، واستغلال بعض الأحداث في إثارة حفيظة الأهالي ومن ذلك أن خادماً من خدم الأمير فهد العقيلي اشترى من السوق حطباً فلم يجد من يحمله فطلب أحد المارة في السوق حمله، فرفض فضربه[٤]. وذكرت معلومة مشابهة لتلك الحادثة في السوق، لكن لم تكن مع أحد المتسوقين، بل كانت مع امرأة من نساء مدينة أبها[٥]. واستغل حسن آل عائض هذه الحادثة ومؤيديه وأعلنت الثورة، وتناول الثورة وأحداثها العديد من الباحثين، لكن مذكرات الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن إلياس، من أفضل ما كتب في تلك الفترة، وإن كانت مختصرة لكنها كانت الأقرب للصحيح، لأنه كان أحد المحاصرين في تلك الثورة، ووثق شهادته على تلك الفترة الحرجة[٦].

---

(١) محمد آل زلفة، تاريخ عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ٣٨، ٤٧، وسعيد جفشر، تاريخ القضاء في عهد الملك عبدالعزيز، ٨٧، وورد أن شويش كان قاسياً وشديداً في تعامله. انظر: الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج١، ٤٣٩، النعمي، ٢٥٥، محمود شاكر، ٢٦٣.

(٢) سعيد جفشر، تاريخ القضاء في عسير، ٨٨، ٩٦.

(٣) أحمد عبدالغفور عطار، ٢٥٠.

(٤) خلف الوذيناني، ٨٤.

(٥) محمد آل زلفة، ٤٥.

(٦) غيثان بن علي بن جريس، أوراق من تاريخ فترة حكم الملك عبدالعزيز كما أملاه الشيخ عبدالله بن

يبـدو أن الذي شجع ابن عائض على الثـورة ما حدث لمترك بن شفلوت في بلاد رجال الحجـر والمعروفة بمعركة الخلصـة، وقد كانت متزامنة مع ثورة حسن آل عائض، أو قبلها بقليـل، لأن أثنـاء حصـار العقيلي قام مترك بـن شفلوت وابن عبود بقيـادة قوات البادية المرابطـة في خميـس مشيط بغزو سبـت آل يزيد في الشعف[١]. وإبـان تلك الغزوة تقدمت قـوات ابن عائض واحتلـت الخميس وحاصرت قصـر ابن مشيط في ذهبـان، وتم إحراق قصر عبدالوهاب أبو ملحة وتمكن من الهروب حتى وصل إلى الشيخ هيف بن ناصر الفوية ، شـرق بلادٍ شهرٍان، وكانت هجـر الإخوان والبادية في تثليث، وجاشـ، والصبيخة، وبني واهـب خطاً ثانياً لمواجهة الثـوار وحشداً لقواتهم. وقد خرج الأمـير العقيلي ومن معه من أخويـاء بعد صلحـه مع حسن آل عائض على شرط أن يتوجه إلى الرياض دون أن يبقوا في خميس مشيـط أو بيشة[٢].كانت قبائل الدواسر، وأمير بيشة ابن ثنيان يطلبون من الأمير العقيلي تأخره في الخميس، وهم مع رجالهم سيصلون لنصرته وأخوياه في الوقت المعين.

غزت قبائـل عسير خميس مشيط وألقـى العسيريون القبض علـى العقيلي وبعض الرجال معه ثم سمحوا له بالخروج والذهاب إلى نجد. واصلت قبائل عسير حربهاً حتى وصلت قرية آل عابس في بلاد عبيدة، ثم عادوا إلى أبها، واستمر الوضع مضطرباً حتى نهاية جمادى الأولى عام (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) [٣].

وصلت الجيوش في يوم (٢٢/جمادى الآخرة) إلى بيشة تحت قيادة صاحب السمو الملكـي الأمـير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، ومنها توجهـت إلى الخميس ثم إلى أبها وكان يرافقـه في تلك الحملـة الشيخ عبدالله بن حسن، وسلطان ابـن بجاد، والدويش، والدهينة، وخليل بن عمر بن قرملة، وغيرهم من الحضر والبدو. ونتج عن ذلك هروب حسـن بن علـي بن عائض وبعض أسرته ، والتجأوا واستجـاروا بالشريف الحسين أمير مكـة، وكانت إقامتهم عند أمير القنفـذة عبدالله ابن حمزة يسرد ابن إلياس ما عرفه

عبدالرحمن بن إلياس، مجلة بيادر، نادي أبها الأدبي، العدد ٢٢، ١٩٩٨م، ٥٣، ٨٥ . كما قدمت هذه الورقة في مؤتمـر المملكـة العربيـة السعودية الذي أقيم في الرياض عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) بمناسبة الاحتفال بمرور مائة على تأسيس المملكة العربية السعودية تحت عنوان: ابن الياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبدالعزيز، وخرجت في أعمال المؤتمر (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، المجلد رقم (٤) ، ص ٧ ــ ٤٤ .

(١) مقابلـة مـع مسفر بن غاصب عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) مقابلة مع علي بن فهاد عـام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) انظر: ابن زلفة، ٥٨.

(٢) مقابلـة مـع الأستاذ عبدالكريم بن محمد بن عـون العسيري عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) في مدينة أبها وهو شاعر ملم بنواحي تاريخية، ومقابلة مع الأستاذ علي بن محمد بن عون العسيري عام (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) من بني مالك عسير قرية العطف، ومحمد آل زلفة، ٤٦، والعمروي، ١٥٦ــ١٥٧.

(٣) محمد آل زلفة، ٤٥ .

وشاهده فيقول: «في تلك الأثناء وصلتني رسالة من محمد الحجازي الذي مازال يبحث عن موقع إقامتي وطلب حضوري لديه في دار أرحامه آل بن عبشان، وصلت إلى المذكور و(أنهـا أنـا ويـاه) وفي صلاة فجر تلـك الليلة (تواجدنـا) في مسجد بـرزان الذي كان فضيلـة الشيخ عبدالله بن حسن ـ طيب الله ثراه ـــ يصلي في ذلك المسجد، ثم سبقناه في منزلـه الـذي يسكن فيه وبعـد وصوله ذكر له محمد عبـدالله الحجازي عن موضوع (تواجـدي) في القصر إبان ثورة عسير على الأمير فهد العقيلي و(أخوياه). وبعد ذلك مشينـا الجميع مـع فضيلة الشيخ، حتـى حظيت بالمثول بـين أيادي قائـد السرايا التي وصلت لإخماد ثورة عسير تحت قيادة الملك فيصل ابن عبدالعزيز ـ تغمده الله برحمته ورضوانه ـ وبعد قناعته ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ أمر بأن أكون عند أمير البيارق المدعو إبراهيم ابن ودعان! وذلك لقيام إبراهيم بن ودعان المذكور بحل مشاكل الغزوان ـ كشبه كاتب عنده ، ومـن ضمنهـا ما حصل بين غـزوان آل عسيلة وغزوان آل جميـح في شأن بكرة ضلت، وذهبـت مـن إبل آل جميح ،وفي تلك اللحظة أظهروا من السجن كلاً من عبيد الحريقي ومحمـد العبسـي من عبيد المذنب وكان صـدور الأمر بـ (طق) هـؤلاء الإثنين السالف ذكرهما حتى الموت؛ وذلك بسبب بقائهما في الخميس بعد غزو عسير إلى يوم الخميس» أمـا عبدالعزيز الطبقا القحطاني وحمران الشدي، فهؤلاء هربا بعد اختفائها مع عبيد الحريقي، ومحمـد العبسي، وهذا مما يثبت لكل من يعرف الغزو آنذاك، ومنهم جواب بن حسن، على مطاردة آل عائض[١].

مشـت بعض(الغـزوان) التي تحت قيادة سلطـان بن بجاد والدويشـ، والدهينة، وخليـل ابن عمر بـن قرملة شيخ بادية قحطاني نجد، وصدر أمـر قائد الحملة صاحب السمـو الملكي الأمير فيصـل بن عبدالعزيز بعـدم احتكاك الجيوشـ السعودية بحدود الشريـف الحسـين، وأمرهم بالعودة إلى أبهـا. ومكث الأمير فيصل مـع جيشه في أبها حتـى (١٨) من شوال من العام (١٣٤٠هـ ـ١٩٢٢/٦/١٣م)، ثم تعين بأمره لإمارة أبها سعـد بن سليمـان بن عفيصان، وللقضاء ناصر بن عبدالعزيـز آل حسن، وشيخ الأمير فيصـل علـى قبيلة بني مغيـد الشيخ علي بن محمد بـن مشيبة، وتعينت أنـا ـ عبدالله ابـن إلياس ـ بأمره الكريم وكيلاً للمالية، وذلك بعد (قناعة) سموه التامة (بتواجدي) ضمن من حوصر في القصر مع العقيلي، ثم توجه صاحب السمو الملكي الأمير مع جيشه

---

(١) غيشـان بـن علي جريس، أوراق من تاريخ عسـر، ٦٥ـ ٦٩. رحمك الله يا عبدالله (ابـن إلياس)، فقد كان عنده الكثير من التفصيلات وتاريخ الناس خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد مات ومعه ذلك التاريخ، ولم نستطع الحصول منه إلا على المذكرة الآنف ذكرها.(ابن جريس) .

إلى الرياض، وقد تعين من الغزو مع ابـن عفيصان، وهم من الدواسر والحوطة. خرج واستمـرت الأمـور على مـا ذكر حتى يوم (٢٢) مـن شهر صفر عـام (١٣٤١هـ الموافق ٢٨ ديسمـبر١٩٢٢م)، حيـث وصلت السريـة التي كانت بأمر الشريـف الحسين؛ وذلك لمناصـرة آل عائض ـ السريـة التي قابلتهـا في الدرجة تحـت قيادة سيلمـان بن سعد عفيصـان، وصلت إلى الدرجة، وهناك كانـت المعركة. وقد قتل القائد سليمان بن سعد ابـن عفيصان، وولد محمد بن دليم المسمى علي ومحفر عبد آل عائض وغيرهم[١]. ثم تراجعـت السرية السعودية ،وتفـرق الكثير، ومنهم القليل من دخـل القصر مع كل من جعفر بن عبود، وجراب بن حسن مع (أخويا) الإمارة، ثم وصل محمد ابن دليم أبولعثة على أساس ما بلغه من خبر قتلة ولده وهو ملازم القصر مع ابن عفيصان [٢].

كان من بادية منطقة عسير كل من محمد بن جعفر بن عبود، ومحمد بن بخيتان، وعلي ابـن محمد بن بخيتان، (المطـوع)، وربيع بن صالح، وبطي بن حنيشـل، ومحمد بن مسفر، وشـارع بن جربوع، وعايض بن محمد بن حيدان، وعيفة بـن آل سجعان المشاعله، والعواوي من العجمان، وابن جويعد من العجمان. أما شيخ علكم أحمد بن حامد، فقد انضم إلى من كان بالقصر يرافقه محمد بن زايد من قصير علكم، ومحمد بن أحمد بن يحيى[٣].

أما شيخ بني مغيد المدعو علي بن محمد بن مشيبة يرافقه أحد عشر نائباً من نواب قبيلة بني مغيد، وانضم مع من كان بالقصر، ومن ضمنهم الشيخ عبدالله بن أحمد بن مفرح. وقد تواجدت أنا ـ عبدالله بن إلياس ـ من ضمنهم بالقصر، وأغلق القصر على مـن فيه، وصار المدفع بعد كل عصر يرمـي شدا من جبل شمسان، والرشاش يرمي من بيت دابدة زوجة علي الصنعاني، والأخرى ترمي من منزل محمد الراقدي في الربوع[٤].

استمر الحصار من (٢٥صفر حتى١٢من ربيع الأول١٣٤١هـ/١٦من أكتوبر حتى١/ نوفمبر/١٩٢٢م)، ثم قدمت السرية من الرياض تحت قيادة مترك بن عشق بن شفلوت يرافقه في تلك الحملة محمد بن سعد بن جيفان، ولدى وصولها إلى الخميس هربت سرية الشريـف الحسين تحت قيـادة الشريف راجـح وعبدالمعين ـ سالف الذكـر ـ منهما ومن معهمـا ليلاً، ومن ضمنهم أسرة آل عائض بدون قتال، ودخلت السرية أبها، وفتح القصر

---

(١) هامش (٥٣) غيثان بن علي جريس، ٦٥ـ ٦٩ .

(٢) علـي بـن محمد بن دليـم ابن شيخ قبائل قحطـان ووداعة وعرف بلقـب راعي الدرجة اشتهـر بالفروسية والشجاعة. مقابلة مع حفيده الشيخ دليم بن سعيد عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٣) غيثان بن علي جريس، ٦٩ . العمروي ، تثليث وما حولها، ١٧١ـ ١٧٢ .

(٤) للمزيد انظر: غيثان بن علي جريس، أوراق من تاريخ عسير، ٦٠ ـ ٦٩ .

بنصـر من الله تعالى؛ وذلـك بحسن نوايا الملك عبدالعزيز يرحمه الله تعالى. وفي أواخر شهـر ربيـعٍ الأول عام (١٣٤١هـ/١٩٢٢م) توفي سعد بـن عفيصان ـ رحمـه الله ـ وبعد دفنـه ليـلاً قام كل من محمد بن دليم، وعلي بن مشيبـة، وأحمد ابن حامد. وعبدالله بن أحمـد، وأنا ـ عبدالله بن إلياس ـ واتفقنا علـى تكليف محمد بن سعد بن جيفان بالقيام بأعمالٍ الإمارة، وبالفعل حضرنا في قصر شدا، فاعتذر المذكور بقوله: إنه كان في مجيئه مرافقـاً للسرية، ولا يمكن أن يقبل القيام بأعمال الإمارة إلا بأمر من الإمام عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ وفي تلك اللحظة قام محمدٍ بن دليم وطلب منه أن يقوم بأعمال الإمارة، والتزم له محمد بأنه المسؤول فيما ذكر قائلاً له: إن قصدنا نرفع للإمام التعزية في سعد بـن عفيصان، ونخبره بمـا حصل، وعلى كل حـال فالأمر لله، ثم لإمـام المسلمين. وعند ذلك ، وبعد إعطائه تعهداً من ابن دليم، وشهادتنا ـ نحن الحاضرين ـ وافق على القيام بأعمال الإمارة حتى يصدر الأمر الأخير، وطلبنا منه قيام أحد (أخوياه) بحمل رسالتنا إلى الملـك عبدالعزيـز. وقد قام بأعمال الإمـارة حتى آخر جمادى الآخـرة ـ حيث وصل عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً معيناً لإمارة عسير في أول يوم من شهر رجب عام (١٣٤١هـ الموافق ١٧فبراير١٩٢٣م) وقد استمر أميراً للمنطقة حتى آخر شهر جمادى الأولى[١].

نجـد وثيقـة من الملك عبدالعزيز لأحـد المشائخ ورد فيها خير وفـاة ابن عفيصان وتعيين ابن إبراهيم، وهذا نصها: « بلغنا ما قدر الله على ابن عفيصان في يومه الموعود الـذي لا يتقـدم ولا يتأخر ... فلما بلغناه ذلك وجهنا إليكم عبدالعزيز بن إبراهيم أمير لكم مكانه والذي عليكم لأميرنا السمع والطاعة والمناصحة والمساعدة في جلب الصالح ودفع الفاسد ومضادة العدو»[٢].

في شهر محرم عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، وعلى ما حصل من كسيرة راجح بن العرفج وعبدالمعـين ومن معهـم مِن السرية، ووصـول آل عائض إلى القنفـذة، لم يعد الشريف الحسين يصرف لهم شيئاً، يقوم بتأمين معيشتهم[٣]. على ذلك طلبوا « في وصول أحمد ابـن محيي من سكان السقى، وقد وصل المذكور إلى القنفذة، ثم كتب حسن بن علي بن

(١) للمزيـد انظر: غيثان بن علـي جريس، ٦٠ـ٧١، رحم الله أولئك الرجـال الأشاوس الذين كانوا عظماء في جميـع أعمالهـم، فقد بذلوا ما في وسعهم لتوطيـد حكم ابن سعود في سروات عسـير، ثم تلا ذلك امتداد النفوذ السعودي على جميع بلدان السروات وتهامة. وأولئك الرجال يستحقون أن يكتب تاريخهم في العديد من البحوث العلمية الجادة الرصينة.

(٢) وثيقـة (بدون رقم) وتاريخ ١شوال (١٣٤١هـ/١٦مايو ١٩٢٣م)، صورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الباحث الأستاذ سعيد آل سجيم.

(٣) للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس ، ٦٥ ـ ٦٨ .

عائضـ معه رسائل إلى كل من ابن دليم، وسعيد بن مشيط، والثالثة للأمير عبدالعزيز ابـن إبراهيم يطلبون عودتهم إلى بلاد عسير. وقد وصل أحمد بن محيي بالرسائل إلى المذكوريـن، فلبوا الطلب ورافقوا المذكور وقابلوا الأمـير عبدالعزيز بن إبراهيم فرحب بطلبهـم على أن يكون وصولهم إلى بلدهم آمنين، وفي حالة ما يطلبهم الملك عبدالعزيز فإنـه يجب عليهم السمع والطاعة، حيث يكون وفودهم إلى إمام عادل، وقد وافقوا على ذلـك. وعند وصولهم قام الأمير عبدالعزيز بما يجب اتخاذه من إكرامهم، وبعد تداول الآراء اتفقوا على أن يذهبوا بدون طلب، على أن يرافقهم كل من محمد بن دليم، وعلي ابـن مشيبة، وعبـدالله بن أحمد بـن مفرح، ومرافق منـدوب من الإمـارة، وهو صالح آل جبر وقد توجهوا إلى الرياض، وهي هي الحقيقة[١].

بذلك انطوت صفحة من الفتن وتثبيت دعائم الحكم السعودي في منطقة عسير وفي وثيقة موجهة من الملك عبدالعزيز لأحد مشائخ البادية جاء فيها: «أحسنتم الإفادة عن محبتكم وصدقكم والحمد لله أذل الله العدو ونصر الله دينه وأعلى كلمته ولا بقي عندنا لأهل الشر والفساد إلا السيف ومن دور العافية فله الكرامة أصلح الله الأحوال...»[٢].

بعـد ذلـك تم تجهيز الغزاة (الغـزوان) للمشاركة في فتح مكة وضـم الحجاز، ومر معنـا مشاركـة قـوات الباديـة في (معركة تربـة) عـام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) ، وفي عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م) تحركـت الألوية وذكر منها لواءين لأهل الريـن وأصبحا، ولواء أهل المنيصف وهي بقيادة كل من خزام بن عمر، وهذال بن سعيدان، ومعيض بن عبود، وحزام الحميـداني، هذا ما أورده صاحب كتاب **الرحـلات الملكية**[٣]. كما شارك أبناء البادية في منطقة عسير في ضم الحجاز بدون استثناء، ومن أشهر قادتهم حمود بن قرملة، ومترك بن عشق بن شفلوت وشقيقه ذيب بن عتيق بن شفلوت، وجعفر بن جمل ابن شري، وابنه، والغميصـ بن هرسان، ومعيض بن جعفر بن عبـود وشقيقاه محمد وجربوع، ومحمد بن بخيتـان وابنه علي (المطـوع)، وابن أخيه محمد بن جخدب، وفيصل ابن حشر وابن عمه محمـد بن سحمي، وقنيفذ بن لبـده، وعشق بن سفر ابن سعيـدان، وناشر بن محمد بن ولمة، وجراب بن حسن[٤]. وكذلك من حاضرة منطقة عسير ألفين وخمسمائة[٥].

(١) غيثان بن علي بن جريس ، أوراق من تاريخ عسير، ٨٤
(٢) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة عند الأستاذ محمد آل سحيم البسامي.
(٣) يوسف ياسين ، الرحلة المكية ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ، ١٧ .
(٤) العمروي ، ١٣٦ـــ ١٣٧ .
(٥) محمد آل زلفة ، تاريخ عسير، ٩٤ .

في وثيقة من الملك عبدالعزيز موجهة لأحد المشائخ يخبره فيها بتوجهه إلى مكة المكرمة، ويقول: « نحن حالا ... قافلين البيرق متوجهون إلى مكة المشرفة للنظر في أمورها وتأمين سبيلها إن شاء الله تعالى، نسأل الله التوفيق، وحررنا هذا على عجلة، وباقي الأخبار من روس الجماعة»[١] . ونجد أحد الشعراء من البادية، يوثق مشاركة أبناء بادية منطقة عسير في تلك الحرب لضم الحجاز، فيقول:

وأهل الهيائم وأهل تثليث من داني مسبلين وغالي الروح ناسنه[٢]

وآخر يطلب أن يخبر رسوله الملك عبدالعزيز بأنه وجنوده انتصروا على أعدائه المكابرين فيقول:

هيه يا مندوبنا هجرع وعلم شيخنا الإمام باللي عاجلوه
قال يا بوتركي الوريع الحر لقطعه جندك الإخوان من كابر وطود[٣]

كانت مشاركات بادية منطقة عسير مستمرة ودائمة وذات أثر قوي واستطاع الملك عبدالعزيز أن يجذب إليه القلوب حتى من أعدائه ويجعلهم في صفه ومن جنوده. واشتركوا في جميع المغازي والصدامات في الرغامة . وكان من بادية منطقة عسير من نجح في إسقاط الطائرة الحربية[٤] في (حرب الرغامة) أثناء حصار جدة ، وكذلك في إخضاع ثورة وتمرد ابن فاضل، جنوب الطائف، وفي معارك جازان ، واليمن، وحرب القهر عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)[٥] ، بل وصلت مشاركتهم إلى الدفاع عن فلسطين عام (١٣٦٦هـ/١٩٤٧ـ ١٩٤٨م) ، وسقط منهم الكثير من الشهداء[٦] ويقول شاعرهم :

ما اتقينا من الموت الحمر كون بأرواحنا بآخر لمور[٧]

---

(١) وثيقة بدون تاريخ وبدون رقم وصورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الشيخ محمد ين ناصر بن شويل.
(٢) العمروي ، ١٥٣ .
(٣) المرجع نفسه ، ١٤٤ .
(٤) يذكر أن ابن صليم من قبائل آل الجرو وعبيدة من باديِة المنطقة هومن أسقط الطائرة ونال تكريماً من الملك عبدالعزيز. مقابلة مع مسفر بن فهد آل غاصب نقلاً عن الشيخ بجاد بن قبلان، عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).
(٥) انظر إلى آل زلفة ، تاريخ عسير، ٣٧ـ ٣٩ .
(٦) العمروي، ١٦٧ـ ١٧٤ .
(٧) العمروي، ١٧٤. بلاد السروات بما فيها بلاد عسير(سراة وتهامة) لها تاريخ قديم يعود إلى عصور ما قبل الإسلام. ومن يتعقب تاريخ هذه البلاد خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة فإنه سيجد أهلها لهم مشاركات متنوعة في بناء الحضارة العربية والإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وآمل من أبنائي المؤرخين والمؤرخات أن يبذلوا قصارى جهودهم في خدمة هذه الأوطان في بحوث علمية عميقة وجادة.

سابعاً: الخاتمة: نتائج وتوصيات:

كانــت بادية منطقة عسير حاضـرة في الأحداث التاريخية التـي مرت بها المنطقة منــذ أن ارتبط تاريخها بالدول السعودية الثــلاث، وكان حضورها ودورها بارزاً ومؤثراً قبيـل ضم الملـك عبدالعزيـز لمنطقة عسـير عـام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) وبعدها خلال فـترة حكمـه، ولم تكن البادية منضويـة تحت سلطة القوى المحليـة التي حكمت منطقة عسـير قبيل ضمها للحكم السعودي، إلا أنهم كانــوا الطلائع الحقيقيين لجيوش الإمام عبدالعزيــز، كما قاموا بــدور مهم في الدعوة للملك وأخذ البيعة لــه من سكان البوادي ومــا جاورهم من أبناء عمومتهم أهل القــرى، وقاموا بإنشاء الهجر ودعموا وجود طلبة العلـم والعلماء لتعليـم أبناء البادية، فانتشرت الكتاتيـب في تثليث، وجاش، والصبيخة وغيرها من مراكز البادية. وأضافوا مناقب جديدة إلى تميزهم في عاداتهم وتقاليدهم التي اتصفت بالصـدق والوفاء والشجاعة والكرم، إلا وهي صفة العلم والإيمان بفائدة المشروع الوحـدوي الذي قاده الملك عبدالعزيز، وانضموا تحت لوائه، وآمنوا بالله رباً لا شريك له، ثم عرفوا أن طاعة ولي الأمر ضرورة دينية ودنيوية، وكانوا جنوداً مخلصين لقيادتهـم وللقضية التي تبنتها، وهي إنشاء كيان موحـد لأبناء الجزيرة العربية، فكان منهـم القـادة والجنـود وطلبة العلـم والعلماء، وأثر ذلـك الأمر فيهـم، فقامت الهجر وتحـول أغلبهـم من حياة الترحـال إلى الاستقرار ملبين في ذلك رغبـة قائدهم الإمام عبدالعزيــز، وأقلعوا عن عاداتهم التي ارتبطت بالغزو والسلب والنهب، وأصبحوا رجالاً يعتمد عليهم في بث الأمن والاستقرار وبسط سلطة الدولة وقمع أعدائها، وبذلك أصبح مجتمـع البادية الذي كان ولاؤه للقبيلة مجتمعاً موحـداً متماسكاً متعلماً مجنداً لحماية الدولة والذود عنها، وأصبح مشروعهم الرئيسي، خدمة الدين ثم الملك والوطن.

من خلال هذه الدراسة تم إبراز دور أهل البادية وحياتهم الاجتماعية المتميزة، كما تم تصحيـح بعض المفاهيم المغلوطة بالبدو والبادية، والتعرف على أدوارهم الحضارية الإيجابيـة ووفائهـم للملك المؤسس وأسلافه من قبله. كما تم بيــان أثر الدولة الإيجابي في النهوض بالبادية وأهلها من جميع النواحي التعليمية والاقتصادية والاجتماعية مما كان لــه الأثــر الحسن على جميع مناحــي الحياة لديهم، فظهـرت العديد من الجوانب الاجتماعيــة المتميزة للبادية، وكانت غير معروفة عند الكثير من الباحثين ولم يذكروها بشــكل مفصـل، ومن خــلال المقابلات ودراســة الوثائــق المنشورة في هــذه الرسالة تم التعريـف بمكانــة المرأة في المجتمع البـدوي التي حظيت بالاحـترام والتقدير؛ بل كانت شريـكاً مهمــاً في أحداث السلم والحرب لــدى أهل البادية الــذي كان مجتمعاً محكوماً

بالعديد من التنظيمات، ولم تكن مجتمعات عشوائية همجية لا رادع لها ولا منظم؛ بل وجدت العديد من الجوانب المشرقة التي حاولنا إلقاء الضوء عليها وإيضاحها.

(*) من التوصيات التي نوثقها في نهاية هذا البحث ما يلي:

١- نأمل توجيه الباحثين في الدراسات العليا بالتاريخ الحديث والمعاصر لدراسة البادية في منطقة عسير وإيجاد موضوعات جديرة بالدراسة في عهد الدولتين السعودية الأولى والثانية وتوثيق دور البدو في مناصرة أئمتها وملوكها.

٢- إنشاء متحف خاص بالبادية وتراثها المادي والثقافي في منطقة عسير وعموم السروات وتهامة .

٣- الاهتمام بتدوين المرويات الشفهية وإصدار دراسات تتناولها سرداً ودراسة ونقداً.

٤- جمع الوثائق التاريخية تحت مظلة رسمية تتناول حياة البادية في جميع جوانبها التاريخية والاجتماعية والحضارية.

٥- إعداد أفلام وثائقية ترصد تاريخ البادية السياسي والحضاري .

٦- تكوين لجان من أهل البادية وأساتذة التاريخ وعلم الاجتماع والمهتمين بالتراث البدوي لدراسة العادات والتقاليد المتعلقة بحياة البدو وتعزيز الجانب الإيجابي ومعالجة الظواهر السلبية.

٧- كل الذي وثقناه في هذا العمل العلمي مقتطفات ومداخل لتاريخ البادية في القرن الهجري الماضي ، مع أن هذا المجال كبير وواسع ويكتب فيه عشرات البحوث العلمية، نرجو أن يكون هذا الجهد لبنات أولية لأعمال علمية طويلة وجديدة وراسخة .

٨- مازال هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة، والقصص والروايات الشفهية الجديرة بالجمع والدراسة والتحليل. ومن يخدم هذا الموضوع فسوف يطلعنا على مادة علمية قيمة وجديدة.

٩- درسنا في هذه الدراسة جزئيات من تاريخ بادية شرق منطقة عسير، وهناك بوادي أخرى عديدة في جنوب المملكة العربية السعودية ، ولا نجد عنها أي بحوث علمية، حبذا أن نرى باحثين محليين جادين يدرسونها في كتب ورسائل علمية جامعية .

١٠- إن الصور الفوتوغرافية من المصادر المهمة لعلم التاريخ، وحياة البدو والبادية تستحق أن تُدرس من خلال هذا المصدر المهم والهادف .

ثامناً: بعض المصادر والمراجع

أولاً: الكتب والبحوث المنشورة:

١- آبادي، الفيروز: **القاموس المحيط**، تحقيق: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرّسالة، بيوت.

٢- أبو علية، عبدالفتاح حسن: **الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب**، دارة الملك عبدالعزيز، مجلد ١، ١٩٧٥م.

٣- أبو نهايم، ماكس: **البدو**، تحقيق ماجد شبر، ج١، دار الوراق للنشر المحدودة، المملكة المتحدة، ط١، ٢٠٠٠م.

٤- أحمد مسعود آل شوية، **درر العقود الفريدة في تاريخ جنب وعبيدة**، الجُزْء الأول والثاني، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٥- الأزهري، أبو منصور، مُحَمَّد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، الدّار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

٦- آل الشّيخ، حسن عبدالله: **التّنظيمُ القضائيُّ في المملكة العربية السعودية**، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٢م، جدة، تهامة.

٧- آل الشّيخ، عبدالعزيز بن عبدالله: **لمحات حول القضاء في المملكة العربيَّة السّعوديَّة (١٣٣٦هـ/ ١٤١٠م)**، عالم الفوائد.

٨- آل جربوع، سالم بن سيف بن سعد: **الأعراف والأحكام القَبَليَّة المخالفة للإسلام خطرها ومنهج الدّعوة في إبطالها**، دار الصّميعي الرّياض، ١٤٤٠هـ.

٩- آل دريب، سعود بن سعد: **التّنظيم القضائي في المملكة العربية السّعوديَّة في ضوء الشّريعة الإسلاميَّة ونظام السّلطة القضائيَّة**، مطابع حنيفة للأوفست. الرّياض، ط١، ١٤٠٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠- آل زلفة، مُحَمَّد بن عبدالله: **المراغة وقصر النّائب**، دار البلاد، الرّياض، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١١- آل زلفة، محمد بن عبدالله: **عَسير في عهد الْملك عبدالعزيز.. دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة.. دراسة وثائقية**، ط٣، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار بلاد العرب للنشر والترجمة.

١٢- آل سحمي القصَّاب، غانم بن مناحي: **الْمحرر في نسب شريف الْقحطانية ونُبَذٌ من أخبارها وبطونها وبلادها وأعلامها**، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، مكتبة الكويت الوطنية

١٣- آل سحيم، سعيد بن سعد: **صفحات من الْماضي**، ط١- ١٤٢٨هـ، فنون التّميز للدعاية والإعلان، الرّياض.

١٤- آل عامر، منصور بن عبدالله: **مذكرة تاريخيَّة عن الْقضاء** (بدون معلومات نشر).

١٥- آل فائع، أحمد بن يحيى: **دور آل الْمتحمي في مد نفوذ الدّولة السّعوديَّة الْأولى في عَسير وما جاورها (١٢١٥- ١٢٣٣هـ /١٨٠٠- ١٨١٨م)**، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مطابع الحميضي.

١٦- الألمعي، يحيي إبراهيم: **رحلات في عَسير نصوص وانطباعات ووصف ومشاهدات**، مطابع دار الأصفهاني، جدة، ج١.

١٧- البديوي، محمد بن أحمد: **الْمتوكل على الْودود عبدالعزيز آل سعود**، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات النّشر.

١٨- بشر، عثمان بن عبدالله: **عنوان الْمجد في تاريخ نجد، الجُزْء الْأول**، حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشّيخ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، الرّياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٩- البصريّ، أبو الفضل جمال الدّين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الْأنصاريّ الخزرجيّ: **لسان الْعرب**، دار النّوادر (نسخة مصورة بدون معلومات نشر).

٢٠- بندقجي، حسين حمزة: **جغرافية الْمملكة الْعربية السّعودية**، مكتبة الْأنجلو المصرية، ١٩٧٧م.

٢١- التّويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن: **عند الصّباح يحمَد الْقوم السُّري الْملك عبدالعزيز الجُزْء الثاني من كتاب لسُراة اللّيل هتفَ الصَّباح**، دار الشّاقي.

٢٢- جبـور، جبرائيل سليمان: **الْبدو والبادية صـور مـن حياة الْبدو في بادية الشّـام**، أشرفَ على تحريره سهيل جبرائيل جبور، دار العِلم للملايين، ط١، ١٩٨٨م.

٢٣- الجـذع، حامـد وآخـرون: مُحَمَّـد النّهاري، سعيـد آل سحيـم، مبـارك آل ملفي الحِراملة، **إصدار خاص عن قبائل قحطان**، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤- جريس، غيثان بن علي: **أبْها حاضـرة عسيـر. دراسـة وثائقيَّة**، مطابع الحِميض، الرّياض، ط٢، ١٣٤٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٥- جريس، غيثان بن علي: **الْقول الْمكتوب في تاريخ الجنْوب، ج٢.**

٢٦- جريس، غيثان بن علي: أوراق من تاريخ في فترة حُكم الْملك عبدالعزيز كما أملاها الشّيـخ عبدالله بن عبدالرحمـن بن إلياس، **بيادر، نـادي أبها الأدبـي**، العدد ٢٢، ١٩٩٨م.

٢٧- جريس، غيثان بن علي: **تاريخ التّعليم في منطقة عَسير ١٣٥٤- ١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤- ١٩٦٦م، ج١**، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٨- جريس، غيثان بن علي: **صفحات من تاريخ عسير**، دار الْبلاد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، جدة.

٢٩- جريس، غيثان بن علي: **عَسير دراسة تاريخيَّة في الحْياة الاجْتمَاعيَّة والاقْتصاديَّة (١١٠٠- ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨- ١٩٨٠م)** أبها، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٠- جريس، غيثان بن علي: **عَسير في عصر الْملك عبدالعزيز، دراسة تاريخيَّة للحياة الإداريَّة والاقْتصاديَّة**، ط٢٠.١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣١- جريـس، غيثـان علي: **بلاد بني شـهر وبنـي عمرو خـلال القرنَين الثالث عشَـر والرابع عشر الْهجريين**، الطّبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مازن للطباعة.

٣٢- جفشر، سعيد بن عبدالله: **صفحات من الْقضاء في عَسير في عهد الْملك عبدالعزيز (١٣٣٨- ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٠- ١٩٥٣م)**، منشـور في الْقـول الْمكتـوب في تاريخ الجنّوب، موسوعة تاريخية حضارية، الجزء ٢١، ط١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

٣٣- جنيـدل، سعد بن عبدالله: **الأطعمة وآنيتها، معجم التراّث، الكتاب الرّابع**، دارة الْملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ.

٣٤- جنيدل، سعد بن عبدالله: **بيت السّكن، معجم التراّث، الكتاب الثالث**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.

٣٥- حجر، جمال حمود: **الرّحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث**، الإسكندرية، ٢٠٠٨م. دار المعرفة الأمعية.

٣٦- حمـزة، فؤاد: **قلب جزيرة العرب**، مكتبـة النّصر الحديثـة، الرّياض، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣٧- الحميد، عبدالله بن مُحَمَّد: **من أعلام العلماء والأدباء في منطقة عَسير العلامة الزّاهد الشّيخ عبدالله بن يوسف الوابل (١٢٢٨- ١٤٢٢هـ)**، مكتبة الصّحابة، دار الماجد، ط ١٤٢٢، ٢٠٠٢م.

٣٨- حنبل، أحمد: **مسند الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل**، المجلد الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ١٤٣٠هـ.

٣٩- خلـدون، عبدالرحمـن بن مُحَمَّد: **تاريخ ابن خلدون المسـمى كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، اعتنى به عادل بن سعد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، المجلد الخامس.

٤٠- خليفة، سعيد فرج: **الأشـجار والشـجيرات في المملكة العربية السّـعودية**، مطابع الخالد للأوفست، ط١، ١٩٧٩م.

٤١- دلال، عبدالواحد مُحَمَّد: **البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران**، ط١، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج٢.

٤٢- أبـو داهش، عبـدالله مُحَمَّد حسين: **عَسـير في ظـلال الدّولة السّـعوديَّة الأولى**، الطّبعة الأولى، إصدار نادي أدبي الأدبي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٤٣- الـرّازي، محمد بن أبي بكر عبدالقادر: **مختار الصِّحاح**، تحقيق: عصام فارسي الخرساني، ط٩، الأردن، دار عمار ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٤- رجـب، عمر الفـاروق السّيد: **دراسـة جغرافيـة، المملكـة العربية السّعودية**، دار الشّروق، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، جدة.

٤٥- الرّيحاني، أمين: **تاريخ نجد وملحقاته**، بيروت، ١٩٧٣م.

٤٦- الزِّرِكْليّ، خير الدّين: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج٥، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٤٠٠، ٥هـ، ١٩٨٠م.

٤٧- الزِّرِكْليّ، خَير الدّين: **شبْه الجَزيرة في عهد المْلك عبدالعزيز**، الطّبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٢.

٤٨- الزهـراني، عبـدالله بـن مُحَمَّد بن عائض: **تاريخ القَضاء والقُضاة في العهد السّعودي، (١٣٤٤- ١٤١٦هـ)**، ج٥، مطابع بهادر، د ط، (١٤١٨هـ).

٤٩- سعـدوني، مساعد بـن فهد: **وسوم الإبل في الجَزيرة العربية حاضرةً وباديةً**، ٢٠٠٥م، نسخة مصورة في مكتبة الباحث، بدون معلومات الطّبع.

٥٠- سعيد، أمين: **تاريخ الدّولة السّعودية**، دار الكتاب العربي، ج٢.

٥١- السّلمان، محمد عبدالله: **توحيد المملكة العربية السّعوديَّة وأثره في الاسْتقْرار الفكري والسياسي والاجتماعي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م**، الرّياض.

٥٢- سليمـان، حسـن حسن: **الأمير عبدالعزيز بن مساعد.. حياته وشعره**، ت. ط، (نسخة مصورة بمكتبة الباحث).

٥٣- شافـع، علـي بن مُحَمَّـد : **اللِّباس والزينة في بلاد قحطان**، كتاب غـير منشور، ١٤٣٠هـ.

٥٤- شايع، دليل بنت مطلق: **الهياثم تاريخ وتراث**، ١٤٤٢هـ، الرّياض.

٥٥- شاكر، محمود: **شبه جزيرة العرب عسير**، المكتب الإسلامي.

٥٦- صابر، محيي الدّين وآخرون: **البدو والبداوة، مفاهيم ومناهج**، منشورات المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٧- صالـح، السيد: **أثر العرف في التّشريع الإسلامي**، ت.ط، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨١م، القاهرة.

٥٨- الصّويان، سعد العبدالله: **الصّحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور.. قراءة أنثروبولوجيَّة**، الشّبكة العربيَّة للأبحاث والنشر، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بيروت.

٥٩- الظاهر، خالد خليل: **ديوان المظالم في المملكة العربية السّعوديَّة قضاء الإلغاء.. قضاء التّعويض.. دراسة مقارنة**، ط٢، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، الرّياض.

٦٠- ظويفر، مشبب سعيد: **السّلطة التّقليدية في الصّلح القَبَلي**، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦١- العارف، يوسف بن حسن مُحَمَّد: **العثمانيون وحكومة الأدارسة في عَسير ١٣٣٥-١٣٣٧هـ**، (نسخة مصورة).

٦٢- عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم: **مُحَمَّد علي وشبه الجّزيرة العربية**، الطّبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨١م، ج٢.

٦٣- عبدالقادر، سالمة محمود مُحَمَّد: **منهجيَّة ابن خلدون في تدوين السّيرة النّبوية وتفسيرها**، دار الكتب العِلْمِيَّة، ١٤٣١هـ.

٦٤- العثيمين، عبدالله الصّالح: **تاريخ المملكة العربية السّعوديَّة عهد الملك عبدالعزيز**، ج٢، العبيكان، ١٤٣٩هـ.

٦٥- العثيمين، عبدالله الصّالح: **تاريخ المملكة العربية السّعودية، الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السّعودية**، ١٤١٩هـ، ج١.

٦٦- العثيمين، عبدالله الصّالح: **تاريخ المملكة العربية السّعودية**، ج١، ١٤٣٠هـ، الرّياض، العبيكان.

٦٧- العجلاني، منير: **تاريخ البلاد العربيَّة السّعوديَّة، الدّولة السّعوديَّة الأولى، الجُزْء الثاني**، الطّبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٦٨- العسيري، منصور: **قبيلة عنز بن وائل جذور وحضور**، دار الطّباني للنشر والتوزيع، الطّبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٦٩- الْعقيلــي، محمــد أحمــد: **الْمخـلاف السّـليماني**، الطّبعــة الثانية، منشــورات دار اليمامة، الرّياض،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ج١.

٧٠- الْعقيلي، محمد: **مذكرات سـليمان شـفيق باشا**، الطّبعة الْأولى، نادي أبها الْأدبي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٧١- الْعمــروي، أبو سعيد عمر بن غرامة: **قبائل إقليم عَسـير في الجّاهليَّة والإسـلام، الجُزْء الْأول والثاني**، مكتبة دار الطّحاوي، ط١، ت د ١٤٢٤هـ.

٧٢- الْعمروي، أبو سعيد عمر بن غرامة: **منطقة "تثليث" وما حولها عبر الْعصـور**، مكتبة دار الْحاوي، ١٤٢٤هـ، ط٣.

٧٣- الْعواجــي، محمــد جرمان: صفحــات من التّاريــخ التّعليميّ والفكــريّ والثقافيّ في محافظة بيشة خلال الْعصر الْحديث والمعاصر، **دراسة منشورة في الْقول الْمكتوب في تاريخ الجّنوب لغيثان جريس**، ط١، الرّياض، مطابع الْحميضي، ج١٩.

٧٤- الْعيــد، صــلاح: **رعاية الْبـدو في الْمملكـة الْعربية السّـعودية**، الْقاهــرة، الْجامِعة الْعربية، ١٩٨٥م.

٧٥- غــازي، علي عفيفي علي: **بدو الْعـراق والجزيرة الْعربية بعيـون الرَّحَّالة**، مكتبة يوسف الْإلكترونية، ٢٠١٦م.

٧٦- الْغامدي، صالح بن عون: **بيشة دراسة تاريخية شاملة**، ج١، ١٤١٨هـ.

٧٧- مشارقــة، محمــد زهــير: **الحْيـاة الاجْتمَاعيَّـة في الْوطـن الْعربـي**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٨م.

٧٨- الفـــوال، صلاح مصطفى: **علم الاجْتِمَاع الْبـدوي**، الْقاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

٧٩- الْقحطاني، معيض: وجميلة عمر مدني، "الْمؤشرات الاجْتمَاعيَّة للتنمية بمنطقة عسـير"، **الْأكاديميَّـة الْأمريكيَّـة للعلـوم والتكنولوجيـا**، الْمَجلـد ٩، الْعـدد ٢٨، ٢٠١٨م.

٨٠- القحطاني، مرزوق بن وديد: **الإبل عطايا الله**، جامعة ميشيغان.

٨١- القحطاني، هند حسن: **إعمار الهجَر آليات إنتاج العمران "تثليث" عسير**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٤هـ.

٨٢- القلقشنديّ، أبو العبَّاس أحمد: **نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرَب**، ١٩٨٤م، دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، لبنان.

٨٣- اللعود، الشمري، علي بن عبدالله: عبدالعزيز بن سلطان المرمش، **البروجُ وعلاقتها بالزراعة في المملكة العربية السّعودية**، ط٣، ١٤٣٧هـ، الرّياض.

٨٤- الماضي، فوزان بن حمد: **الإبل ..السّلوك والطباع**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٨هـ.

٨٥- ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز والمسماة تاريخ المستبصر**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٥١م.

٨٦- المخيال، عبدالله مُحَمَّد: **في أثر أصناف الإبل**، ط٢، العبيكان، ١٤٢٧هـ.

٨٧- المسردي، مسعود بن فهد: **جاش عبقُ الماضي وإنجازُ الحاضر**، ط١، ١٤٣١هـ، الرّياض.

٨٨- المسعر، عارف بن مفضي: **الشّيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك مدرسة ذات منهج**، سكاكا، ١٤٢٩هـ.

٨٩- مشيط، عبدالعزيز بن سعيد: **الشّيخ سعيد بن عبدالعزيز ابن مشيط شيخ شمل قبائل شهران (وابنه عبدالعزيز) في ذاكرة التّاريخ**، مطابع الحميضي، الرّياض، الطّبعة الثانية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٩٠- المطهر، عبدالكريم: **سيرة الإمام يحيى**، تحقيق مُحَمَّد بن عيسى صالحية، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات نشر.

٩١- الملاطي، مانع بن دليم آل مهدي: **محافظة الحرجة- منطقة عَسير عبر ماضٍ وحاضر وعادات وتقاليد**، دار الصّميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ.

٩٢- نصــار، محمود: **جامــع الرّوايــات في تحقيق نبــوءات النّبي**، دار الكتــب الْعِلْمِيَّة، ١٤٢٤هـ.

٩٣- هذلول، سعود: **تاريخ ملوك آل سـعود**، ط١، مطابع الرّياض، الرّياض، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٩٤- النّعمي، هاشم: **أبها، سلسلة "هذه بلادنا"**، من إصدارات الرّئاسة الْعامة لرعاية الشّباب.

٩٥- النّعمي، هاشم: **تاريخ عَسير في الْماضـي والحاضـر، (الأمانـة الْعامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس الْمملكة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)**.

٩٦- النّعمي، هاشم: **شـذا الْعبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عَسـير في الفترة ما بين (١٢١٥ إلى ١٤١٥هـ)**، صورة في مركز دار ألمع للتراث والثقافة.

٩٧- النّهاري، محمد بن سعد: **صـفحات من تاريخ قبائل قحطان الْمعاصـرة في الْمملكة الْعربية السّعوديَّة ودول الْخليج الْعربي**، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٩٨- النّويـري، شهاب الدّين أحمد بـن عبدالوهاب بن مُحَمَّد: **نهايـة الأَرَب في فنون الْأَدَب**، دار الكتب الْعِلْمِيَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٩٩- الْهطلاني، مضاوي حمد النّاصر: **مدينة الرّياض.. دراسـة تاريخيَّة في التّطور السّياسيّ والاقْتصاديّ والاجْتماعيّ**، ١٩٠٢- ١٩٧٥م/ ١٣٢٠- ١٣٩٥هـ.

١٠٠- الْهمـداني، لسـان اليمن أبي مُحَمَّد الْحسـن بن أحمد بن يعقوب: **صـفة جزيرة الْعرب**، تحقيق مُحَمَّد بن علي الأكوع الْحوالي، مكتبة الأرشاد، صنعاء.

١٠١- ياسين، يوسف: **الرّحلة الْملكية**، دارة الْملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ .

١٠٢- اليمني، محمـد عبدالعزيز: **مختصـر دَور قبيلـة قحطان في التّصـدي لعدوان محُمَّـد علي باشـا علـى الجْزيرة الْعربية مـن خلال بعض الْوثائـق الْعثمانيَّة**، أفاق للنشر، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

ثانياً: الرسائل الجامعية وأبحاث منشورة وغير منشورة:

١٠٣- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز: **الهجَر ونتائجها في عصر المْلك عبدالعزيز** رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، كلية الشّريعة والدراسات الإسلاميَّة، ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ.

١٠٤- آل مقوبع، عبدالله بن سعيد بن عبدالله: **تركي بن محُمَّد بن ماضي ١٣٤٢-١٣٨٥هـ، دراسة تاريخيَّة وثائقيَّة**، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م.

١٠٥- البشري، إسماعيل مُحَمَّد: **ملامحُ من تطوُّر الأوضاع الاجْتمَاعيَّة في عَسير في عهد المْلك عبدالعزيز**، رسالةُ ماجستير، غير منشورة.

١٠٦- الحرقان، ناصر بن سيف بن سعد بن نورة: **روضة بن نورة ورسالة المْلك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، رحمه الله**، بدون معلومات نشر، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، نسخة مصورة في مكتبة الباحث.

١٠٧- الحصين، عبدالرحمن: **فيصل بن عبدالعزيز آل سعود**، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٠٨- جفشر، سعيد بن عبدالله: **الحيْاة الاجْتمَاعيَّة لقبائل محافظة أحُد رفيدة في القْرن الرّابع عشر الهْجري**، بحث غير منشور.

١٠٩- جفشر، سعيد بن عبدالله: **تاريخ القْضاء في عَسير في عهد المْلك عبدالعزيز (١٩٢٠-١٩٥٣م/ ١٣٣٨- ١٣٧٣هـ)**، رسالة ماجستير عام ١٤٣٥هـ، نشرت في القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الطّبعة الأولى، مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ، الجُزْء ٢١.

١١٠- جفشر، سعيد بن عبدالله: **حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود لضم عسير**، ١٣٣٨هـ، بحث غير منشور.

١١١- العريني، عبدالرحمن: **بادية نجد من القْرن العْاشر الهْجري إلى سقوط الدّرعية ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م**، سلسلة مشروع وزارة التّعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١٢- المخلفي، حمدان بن حضيض: **الدّعوة إلى الله تعالى في القُرَى والبوادي**، رسالة ماجستير، جامعة طيبة، كليَّة الدّعوة، ١٤٢٦هـ.

١١٣- مطـوان ،أحمـد بن علي: **بني وقشـة في كتب التّاريخ.. نسبًا ومكانًا**، بحثٌ غيرُ منشور.

١١٤- النّاهسي: محمد سعيد مُحَمَّد وآخرون: **دراسة تاريخيَّة في الحياتين الاجْتِمَاعيَّة والاقْتصاديَّة خلال القرن الرّابع عشر الهجري**، بحثٌ مقدم لنيل درجة البكالوريوس، ١٤١٨هـ.

١١٥- النّهـاري، مانـع سعد مسفـر: **الرّعيُ في محافظة "تثليث" دراسةٌ جغرافيَّةٌ**، رسالـة مقدمة إلى قسـم الجُغْرَافيا بكلية العلـوم الاجْتِمَاعيَّـة في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلاميَّة، الرّياض، ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ.

١١٦- الحقيـل، عبدالله بن حمد: "بعض من سيرة الملك عبدالعزيز في توطين البدو"، **مجَلَّة الدّارة**، ١٩٨٥م.

١١٧- خلـف، محمـد أبو اليزيـد محمـود: "تصنيف الإبـل في بادية تثليـث"، **مجَلَّة المأثورات الشّعبية**، مركز التّراث الشّعبي لمجلس التّعاون لدول الخليج العربي.

١١٨- خلـف، محمـد أبـو اليزيد: "الخـروج في أثر المرعـى "تثليث" الرّعـي والمرعى والرعاة"، **مجَلَّة الجنوب**، الغرفة التّجارية بأبها، العدد (٥١)، (٥٢)، ١٤٠٨هـ.

١١٩- السّبيعي، فهيد عبدالله: "مواضع بين بيشة وتثليث"، **مجَلَّة العرب**، ج٥، س٣١، ١٤١٦هـ.

١٢٠- سليمـان، حسـن حسن: "الأمير عبدالعزيز بن مساعـد حياته ومآثره"، د. ت، د. ط، ص: ٢٣- ٣٢؛ **مجَلَّـة (أم القرى) العـدد ٤٢٥**، السّنة التّاسعة، في ٨ شوال ١٣٥١هـ/٣ فبرايـر ١٩٣٣م. مَجَلَّة كليَّة الملك خالـد العسكريَّة، العدد ٥٧، شوال ١٤١٩هـ، يناير ١٩٩٩م.

١٢١- السّليمـان، محمـد بن عبـدالله: "الكتاتيب في عهد الملـك عبدالعزيز"، منشور **بمَجَلَّة الفيصل، العدد ١٩١**، ١٤١٣هـ.

١٢٢- الفـراء، طه بن عثمان: "المَلـك عبدالعزيز وتوطـين البادية"، **مجَلَّـة القافلة**، شركة أرامكو، مج ٤٨،ع١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٢٣- محمد، حسين حسان: "توطين البدو في الهجَر زمن المَلك عبدالعزيز آل سعود"، **مجَلَّة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد ٢٥**، ٢٠٠٦م.

١٢٤- المَشعـل، عبدالعزيز بـن عبدالرحمن: "أثـر العُرف والعـادة في دراسة النّوازل الفقهيـة مع تطبيقات فقهيَّـة معاصرة"، **مجَلَّـة الدّعوة، العـدد ٢٢٣١**، مؤسسة الدّعوة الإسلامية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.

١٢٥- هاشـم، صالـح عون: "توطين المَلـك عبدالعزيز البدو ونتائجـه العامة"، **مجَلَّة العقيق**، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٩٩٩م، مجلد ١١، عود ٢٥، ٢١.

١٢٦- الوذينـاني، خلـف بن دبـلان: "حملة فيصل بـن عبدالعزيـز آل سعود لترسيخ الحُكم السّعودي في عَسير (١٣٤٠-١٣٤١هـ/ ١٩٢٢- ١٩٢٣هـ)"، **الدّارة، مجَلَّة فصلية محكمة تصدر عن دارة المَلك عبدالعزيز، العدد الأول**، المحرم ١٤٢٦هـ، السّنة الحادية والثلاثون.



القسم الثالث

مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصر الحديث

(الجزء الثاني)

القسم الثالث

مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصر الحديث (الجزء الثاني).

أولاً : مدخل :

نشــرت في المجلد رقم (٣٠) من كتاب: موسوعة القــول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الأول من هذه المقالات التاريخية الحضارية المختصرة ، وذلك الجزء يحتوي على جزئيــات محدودة من تاريخ تهامة والسراة في العصريــن القديم، والإسلامي (المبكر، والحديــث)[١]. وهذا القسم (الجــزء الثاني) المنشور في هذا المجلــد رقم (٣١) يسير علــى نفس المنهج الذي سلكناه في الجزء الأول، إلا أن جميع المادة الموثقة فيه محصورة في العصــر الحديث والمعاصر، وعددها (٢٢) مقالة. ومعظمها من إعدادي، نشرتها في بعضــ الصحف الرقمية والمحلية والإقليميــة[٢]، ثم جمعتها في هذا السفر[٣]. والمقالات الأخــرى لأساتذة سعوديين وغير سعوديين، وبعضها قــراءات ومراجعات وتعليقات على شــيء من نشاطاتي ومؤلفاتي العلمية التي صــدرت في العشرين عاماً الأخيرة (١٤٢٦ـــ ١٤٤٧هـ/ ٢٠٠٥ـــ ٢٠٢٥م)[٤].

مــازال هدفي مــن نشر مثل هذه الموضوعــات التنبيه إلى جزئيــات ومحاور عديدة في بلادنا جديــرة بالعناية والاهتمام العلمي والبحثي، وأيضــاً السعي إلى حفظ وتوثيق صفحات من تاريخنا الحديث والمعاصر، مع أن ديارنا (تهامة والسراة) مازالت بحاجة كبــيرة إلى الدراسة والبحــث والتحليل والتوثيق لتاريخها، وآثارهــا، وتراثها، وموروثها وحضارتها عبر عصور التاريخ. ونأمل أن يتحقق ذلك على يد إخواننا وأبنائنا الباحثين مــن الآثاريين والمؤرخين الجاديــن والمجتهدين. وأن تسعى مؤسساتنــا التعليمية العالية (الجامعــات، والكليات، والأقسام الأكاديمية، والمراكــز البحثية) إلى القيام بواجباتها المعرفية والبحثية تجاه أهلنا وبلداننا المحلية[٥].

---

(١) عــدد المقالات المنشورة في الجزء الأول (١٥) عمل علمــي مختصر. للمزيد انظر: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م)، ج٣٠، ص ٤٧٥ ـ ٥٦٠. (ابن جريس).

(٢) معظــم هــذه المقالات منشــورة في صحيفة النماص، وفي صحيفــة وسوم التي يصدرها موقــع رابطة أدباء الشام، وأشرت في الحواشي الداخلية رقم الصحيفة والتاريخ الذي نشرت فيه.

(٣) الهدف من جمعها في هذا الجزء سهولة الوصول إليها والاطلاع عليها في وعاء علمي واحد .

(٤) للمزيــد اطلع على هذه النشاطــات والكتب المذكورة في هذه المقالات وجميعهــا مطبوعة ومنشورة ورقياً في موقعي الرقمي الخاص، وقناتي على التليغرام، وفي برنامج جوجل الكتب، وروابط ومنصات أخرى عديدة محلية، وإقليمية، وعالمية .

(٥) لا ننكــر إن مؤسساتنا العلمية والتعليمية بذلت ومازالــت تبذل بعض الجهود لخدمة التعليم والتعلم، لكنها مازالــت مقصرة في خدمة المجــال البحثي، وأرضنا (تهامة والسراة) ميدانــاً رحباً وكبيراً لإنجاز مئات الدراسات والأعمال العلمية المهمة والجيدة .

ثانياً : مقالات تاريخية وحضارية مختصرة عن السروات وتهامة خلال العصر الحديث :

١ـ الأمن والأمان : آثارهما وإيجابياتهم (المملكة العربية السعودية أنموذجاً)[١].

بقلم أ.د. غيثان بن علي بن جريس.

إنَّ الأمن والأمان موضوعان واسعان، وصدر عنهما مئات الكتب والدراسات، ولهما تعريفـات كثيرة؛ فردية ومجتمعية، سياسية وعسكرية، اجتماعية واقتصادية، وثقافية، وفكرية، وعلمية، ودينية، وغيرها.

أما تعريف الأمن والأمان في اللغة : فهو الاستقرار والطمأنينة وعدم الخوف، والثقة وعـدم الخيانة، ويقـول عنهما ابن منظور في معجم لسان العرب: وقـد أمِنْتُ فأنا آمن، وأمنْتُ غيري من الأمن والأمان، والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة.

ومـن يبحـث في تاريخ وحضارات الأمم عبر أطوار التاريـخ، يجد أنَّ الأمان والأمن من الركائز الأساسية لبناء أي قوة، أو سلطة، وكلما كان الأمن والأمان قويين وجيدين. كانت حياة الأسر والمجتمعات والإمارات والحكومات والإمبراطوريات جيدة، وإذا كانت ضعيفة وهشة تحولت أحوالُ الناس العامة والخاصة إلى حياة سلبية ومضطربة.

الدارسـ لأوضـاع العرب قبل الإسلام يجـد أنَّهم كانوا يمارسون الكثـير من الأنشطة المتنوعة، إلَّا أنَّ عاملي الأمن والأمان غير مستقرين. وكانت القبائل العربية في شبه الجزيرة العربيـة هي الآمـرة الناهية في بلدانهـا، والأوضاع السياسية غير متحـدة، بل الصراعات القبليـة السائدة في كل مكان. وإن ظهرت بعض الدول في نواحي عديدة من جزيرة العرب، إلَّا إنَّ القبيلة والعشيرة بقيت الأقوى والمحرك السياسي والحضاري في كل مكان.

جاءت رسالةُ الإسلام، ونزل القرآنُ الكريمُ على الرسولِ محمد بن عبد الله (عليه الصـلاة والسلام). وكان من أهداف الدين الإسلامي بنـاءَ أمة إسلامية تحكم بشرع الله (عَزَّوَجَلَّ) وتبسـط الأمـن والأمـان في كل مـكان. والقرآن الكريم يشتمـل على آيات كثـيرة تذكر الأمان والأمن. قال تعـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] .

---

(١) منشـورة في صحيفـة النماص اليوم الرقمية ، بتاريخ (١٩/٢/٢٠٢٥م). كمـا نشرت في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم ، عدد (١١١٦) (٢١/فبراير/٢٠٢٥م).

وقــال تعــالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النمـل:٨٩] وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].وقال تعـالى :﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[القصص:٥٧] وقال تعـالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبـوت: ٦٧] وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقـرة: ١٢٦] وقـال تعـالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيـم:٣٥]. وقـال تعالى: يقسـم سبحانـه بمكة البلـد الحـرام،﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين:٣] وقال تعالى: عـن أهل مكة ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ٤]

أمـا كتـب السنة ففيها تفصيـلات وشروحات كثيرة عـن أنواع عديـدة من الأمن والأمان. قال الرسول (ﷺ): (من أصبح منكم آمنًا في سربه معافىً في بدنه عنده قوت يومـه فقد حيـزت له الدنيا) (رواه البخـاري في: الأدب المفـرد). وكان الرسول (ﷺ) يرشـد أمتـه إلى كل عمـل أو قول يقود إلى الأمـن والأمان والاستقـرار، ومما ذكر عنه (عليـه الصلاة والسلام) كان إذا رأى الهلال قال: (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال رشد وخير). (رواه الترمذي) .

من يطالع كتب الفقهاء الأوائـل وأقوالهم، وما تحتوي عليه مصادر التراث العربي والإسلامـي (الشرعيـة، واللغوية، والأدبيـة، والتاريخية والحضاريـة، وأعلام الرجال وطبقاتهـم، وغيرها) من المصادر المبكرة والمتأخرة فسـوف يجد فيها توثيقات مطولة ومتنوعة عن الأمن والأمان عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بل هنـاك مدونات كثـيرة عـن تاريخ الأمن عند العـرب والمسلمـين في حواضرهم، ومدنهـم، ومناطقهم، وقراهم، وكذلك صلاتهم مع غيرهم من بلدان وشعوب الأرض غير المسلمة.

(*) في هذه المقالة أدون شيئًا من مسيرة الأمن والأمان في شبه الجزيرة العربية منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، وأذكرها في البنود التالية:

١- اختار الله (عَزَّوَجَلَّ) جزيرة العرب وتحديدًا مكة المكرمة ثم المدينة المنورة حتى تكون منطلق الدعوة الإسلامية. والمصادر المخطوطة والمطبوعة تشتمل على آلاف الصفحات التي أرخت لأرض وسكان العرب قبل الإسلام، ثم نزول القرآن الكريم على الرسول محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وكيف بدأت ثم تطورت الدعوة في أرض الحجاز وبقية أجزاء الجزيرة العربية، ولم يأت القرن الهجري الأول، ويبدأ القرن الهجري الثاني إلَّا والدين الإسلامي انتشر في بلدان كثيرة من قارات آسيا، وإفريقيا، وأوروبا. وكانت رسالة الإسلام واضحة وتؤكد على توحيد العبادة لله (عَزَّوَجَلَّ) ثم نشر قيم ومبادئ الدين الإسلامي في كل مكان وصل إليه، ومن يدرس المجتمع العربي والإسلامي في صدر الإسلام يرى أنَّ حياة الناس تغيرت من الفوضى والاحتراب إلى مجتمعات يسودها الأمن والأمان والاستقرار، وتحولت طبيعة الإنسان العربي المسلم من شريعة الغاب إلى شخص مؤمن بالله، ويحمل رسالة الإسلام التي قام بتبليغها إلى خلقٍ كثيرٍ داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها.

٢- كان عند المجتمع القبلي العربي في جزيرة العرب الكثير من الأنظمة والقوانين والشرائع الوضعية التي تنظم حياتهم قبل الإسلام من أجل توفير حياة آمنة لهم. وبعد ظهور الإسلام ونزول القرآن وانتشار سيرة الرسول (ﷺ) في الآفاق أصبح هناك قوانين إسلامية شرعية تطبق على الناس في شبه الجزيرة العربية، وعلى المجتمعات الأخرى الخارجية التي وصلت إليها دولة الإسلام. وحث الإسلام على كل عادة أو عرف أو تقليد جاهلي يتوافق مع الدين الإسلامي، أما ما عدا ذلك فهو مرفوض، وكان عند العرب العديد من الصفات الحميدة واستمرت في المجتمع العربي والإسلامي، ومنها حماية المظلوم، والالتزام ببعض المواثيق والعهود، وغيرها من النظم الجاهلية التي تحث على الوحدة والاستقرار ومساعدة المحتاج وغيرها.

٣- قضيت أكثر من خمسة عقود أبحث وأقرأ في مصادر ومراجع التراث الإسلامي، ووجدت سكان الجزيرة العربية لم يكونوا على قلب رجل واحد أثناء نزول القرآن الكريم، لكن لم ينته عصر الخلفاء الراشدين إلَّا وأصبح الدين الإسلامي بجميع قوانينه وشرائعه السائدة معمول بها في دولة الإسلام وعاصمتها المدينة المنورة. وفي تلك الفترة كانت البلاد وأهلها يعيشون حياة آمنة وشبه مستقرة، مع أنَّها لم تخل من حروب وصراعات متعددة. والأجمل في ذلك أنَّ الكثير من سكان شبه

الجزيـرة حملوا رايـة الإسلام إلى خـارج جزيرة العرب، وتمكنـوا في بضعة عقود أنْ ينشـروا الإسـلام إلى شعوب كثـيرة متنوعة في عقائدها، وثقافتهـا، ولغتها. بل إنَّ تلـك الأمم كانـت تعيش حيـاة قاسية من الاضطرابـات والصراعات السياسية والعسكريـة، وعندما وصـل الإسلام إلى بلادهم على أيدي العـرب بدأت أحوالهم تتحسن دينيًا، وأمنيًا، وتنمويًا وحضاريًا.

٤- انتقلـت عاصمة الدولة الإسلامية إلى العراق ثم الشام في منتصف القرن الهجري الأول، وقامت الخلافة الأموية، ثم ظهرت دول إسلامية عديدة في العراق، ومصر، وشـرق العـالم الإسلامـي وغربه. وتحولـت شبه الجزيـرة العربية خـلال العصر الإسلامـي المبكر والوسيط (ق٢ـ ق١٠هـ/ق٨ – ق١٦م) إلى جزء صغير من العالم الإسلامي، ولم تصبح صاحبة نفوذ وريادة سياسية وعسكرية، لكنها بقيت ومازالت مكـة المكرمـة والمدينـة المنورة قبلـة المسلمـين. والسـؤال: كيف كانت حيـاة سكان الجزيـرة العربيـة أمنيًـا وحضاريًا؟ الواضـح أنَّها تحولت الحياة فيهـا إلى ضعف وصراعات قبلية شديدة، مع العلم أنَّها كانت تحت نفوذ الدولتين الأموية والعباسية حتـى القرن (٣هـ/٩م)، وبعد ذلك ظهرت الكثير من الإمـارات والقوى السياسية المحليـة في أجـزاء متفرقة من البلاد، ودخلـت في حروب دامية خلفـت الكثير من الضحايـا البشريـة والمادية. مع العلـم أنَّ بعض تلك الإمـارات وبخاصة في جنوب وشـرق الجزيـرة العربية مدت نفوذها علـى بلدان عديدة وبسطـت حكمها وأمنها عليها عشرات وأحيانًا مئات السنين، والأمن والأمان بمفهومه الواسع لم يكن سائدًا ومنتشرًا في أرجاء البلاد. وإذا أخذنا الحجاز وبخاصة المدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) التي يأتي إليها الحجاج سنويًا كنموذج لسردنا التاريخ، فقد كانت تعاني مـن الفوضى والصراعات الإقليمية والمحلية. والـدول الإسلامية الكبيرة في العراق أو مصر وغيرهما كانت في حرب وتنافس شديدين من أجل مد نفوذها على الحجـاز، وأيضًـا الإمارات المحلية متورطة في تلك الصدامـات الإقليمية، وكل تلك السياسـات الداخلية والخارجية تعيش مواجهات عسكريـة وسياسية مستمرة على أرض الحجاز. وآثار تلك الأحداث كان لها نتائج سلبية كبيرة على أمن الناس داخل الجزيرة العربية وخارجها.

٥- اجتهدت في تقصي أوضاع الناس وأخبارهم في البوادي، والأرياف، وبعض الحواضر في أمكنة كثيرة من الجزيرة العربية فوجدت أنَّ القبائل عادت بقوة في حكم بلادها بشكل عنصري وتعصب قبلي مقيت، ودخلت في صراعات محلية، وصارت كل قبيلة

أو عشيرة تعيش مستقلة عن غيرها، وأحيانًا تجتمع مع بعض القبائل في أحلاف ضد غيرها من القبائل المجاورة. وهذه العادة كانت سائدة بين الناس قبل الإسلام، ثم عادت بشكل كبير خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة؛ لأنَّه لا يوجد حكومة قوية تستطيع فرض سيطرتها على عموم البلاد. وجمعت خلال الأربعين سنة الماضية المتأخرة الكثير من الوثائق والاتفاقيات والقصص الشفهية، والأشعار الشعبية التي تبين فقدان الأمن والأمان في كثير من البلدان بما فيها الحواضر الكبيرة في أرض الحجاز. ولا ننكر أنَّ عموم سكان الجزيرة العربية مسلمون ويمارسون عباداتهم المختلفة، وبينهم من العلماء، والقضاة وغيرهم أعدادٌ كثيرة، لكن عدم وجود حياة إدارية وسياسية عامة وشاملة ومستقرة جعل الأمن مفقودًا، والاضطراب سائدًا في أنحاء البلاد.

٦- جاء العصر الحديث، ومدت الدولة العثمانية نفوذها على الجزيرة العربية، ودخلت البلاد مرحلة صراعات وحروب أشد من ذي قبل. واستمرت قبائل الجزيرة في صراعاتها المحلية، بالإضافة إلى انخراطها في صدامات عسكرية مع الجيوش العثمانية، وفي الوقت نفسه ظهرت إمارات محلية لعبت أدوارًا سياسية متعددة في الحياة السياسية المحلية، ومنها الدولتان السعوديتان الأولى والثانية، وبعض الحكومات في اليمن وغيرها. أما الحجاز فكانت منذ القرن (٣هـ/٩م) حتى القرن (١٤هـ/٢٠م) تحت إمارات الأشراف الذين يأتمرون بأمر غيرهم خارج شبه الجزيرة العربية وأحيانًا داخلها. وقد صدرت بعض الكتب والبحوث التي عكست صفحات كثيرة من التاريخ المحلي، ومازال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تشتمل على تفصيلات عن تاريخ وحضارة بلدان شبه الجزيرة العربية من القرن (١٠- ١٤هـ/١٦-٢٠م)، وفي هذه المصادر المخطوطة أو المطبوعة مادة علمية جيدة تؤرخ لحياة البلاد والعباد إداريًا وأمنيًا. ومثل هذا الموضوع مازال جديدًا ومهمًا لمن رغب دراسته وتوثيق التاريخ الأمني الذي كان غالبًا ضعيفًا ومضطربًا.

٧- دخلت الدول الأجنبية الاستعمارية في ميدان السيطرة على ديار العرب والمسلمين خلال العصر الحديث، ولم تسلم الكثير من بلدان الجزيرة العربية من هيمنة وشر هذا العدو الأجنبي الجديد. وجرت حروب عديدة داخل الجزيرة العربية، وكانت الدول الأجنبية، والعربية والإسلامية الخارجية تتصارع في مدن وموانئ وأجزاء متفرقة من بلاد العرب. أما السكان المحليون والجبهات الداخلية ففي حروب دائمة وغير متفقة، ولها أنشطة سياسية وعسكرية مع أو ضد القوى الخارجية.

٨- كان القرن (١٤هـ/٢٠م) مليئًا بالأحداث الجسام، فالأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية دخلت تحت الاستعمار الغربي، وبلاد اليمن تعيش في فوضى عارمة داخلية، وسيطرة استعمارية خارجية. أما بقية البلاد فكانت تحكمها قوى محلية لها طموحات وتطلعات متنوعة. وفي نهاية العقد الثاني من القرن الهجري الماضي ظهر الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وسيطر على مدينة الرياض، ثم واصل نفوذه العسكري والسياسي والإداري حتى جمع معظم أجزاء جزيرة العرب تحت مظلة دولته التي أطلق عليها اسم (المملكة العربية السعودية). ومسيرة توحيد البلاد أخذت من هذا القائد المبارك بضعة عقود، لكنه في نهاية المطاف استطاع أنَّ يؤسس دولة حديثة عصرية تحكم البلاد بشرع الله، وكان من أهم أهدافه توحيد البلاد، وبسط الأمن والأمان في ربوعها، وتحقق ذلك بفضل الله (عَزَّوَجَلَّ)، ثم بجهود هذا الإمام ورجال دولته الذين ناصروه حتى تحقق له ما أراد.

(*) إذا تحدثنا عن حياة الأمن في هذه الدولة السعودية الحديث، فذلك موضوع كبير يُكتب في الكثير من المؤلفات والبحوث، لكنني أشير فقط إلى محاور رئيسية اتخذها حكام آل سعود في العصر الحديث والمعاصر، ولها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتاريخ الأمني، وأسردها في البنود التالية:

أ- بذل الملك عبد العزيز ما في وسعه من أجل تطبيق شرع الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) واطلعت على آلاف الخطابات والوثائق التي كتبت في زمن ذلك الحاكم، فكانت جميع أعماله وأقواله وسياساته وتطلعاته حكم البلاد وأهلها ضمن دستور وإطار الشريعة الإسلامية الصحيحة. وهذه السياسة كانت من الأمور الأساسية في نجاحه وانقياد الناس لحكمه، ثم الاجتهاد والتعاون بين الراعي والرعية على جمع الكلمة والسير في طريق البناء والتطوير لجميع مفاصل الحياة.

ب- كانت الأماكن المقدسة تعاني من فقدان الأمن، وكثرة الصراعات والتجاذبات. وبعد أنْ أصبحت ضمن دولة الإمام عبد العزيز اجتهد في توفير الأمن والاستقرار لقاصدي بيت الله من الحجاج، والمعتمرين، وأوجد الأنظمة والقوانين الشرعية الحديثة التي توفر الراحة لضيوف الرحمن، وتفرض الأمن، وتحارب الفوضى والانفلات الأمني. ومن يبحث عن الطرق والوسائل التي اتخذها الملك ورجال حكومته يجد أنَّها كانت واضحة وصارمة وتصب في خدمة الحرمين الشريفين وزواره من الداخل والخارج.

ج ـ رأى الإمام عبد العزيز أنَّه لا يمكن القضاء على الصراعات القبلية المنتشرة في كل مكان، وتوفير حياة آمنة ومستقرة إلا بتطوير إنسان هذه البلاد معرفيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا. ومن ثم أمر بتأسيس مؤسسات حكومية عصرية تقوم على تنوير وتطوير البلاد والعباد وجعل مكة المكرمة المدينة الحضارية التي تنطلق منها التنمية السعودية الحديثة. وكانت إدارات الأمن، والدفاع، والتعليم، والمال، والبلديات، والاتصالات، والثقافة والإعلام وغيرها من المؤسسات الجديدة التي أنشئت في مكة ثم اتسعت أنشطتها ومسؤولياتها حتى شملت جميع مناطق المملكة العربية السعودية. لقد بحثت وقرأت وكتبت عن بدايات التنمية الحديثة في البلاد السعودية، فوجدت أنَّ خطط الملك عبد العزيز وجهوده في جعل انطلاقة التطويرات الحضارية الحديثة من الحجاز يدل على فكر ثاقب ورأي سديد؛ لأنَّ البلاد الحجازية متقدمة على غيرها في الجزيرة العربية تنمويًّا وحضاريًّا ومعرفيًّا وثقافيًّا وإداريًّا.

د ـ تُوفي الملك عبدالعزيز في بداية السبعينيات من القرن الهجري الماضي بعد تأسيس كيان كبير مترامي الأطراف، وتحول حياة الفرد من التقوقع والعنصرية والأنانية الفردية إلى إنسان يحمل هوية إسلامية وطنية لبلده الكبير (المملكة العربية السعودية)، وصارت جميع أجزاء البلاد تعيش في أمن وأمان ورخاء واستقرار، بعد أنَّ كان الناس يعيشون في خوف ورعب وجوع وبلاء. وقد سمعت عشرات القصص من بعض الآباء والأجداد الذين عاشوا خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذكروا لي أنَّ الإنسان كان لا يأمن على نفسه وأهله وماله من اللصوص والمجرمين والمعتدين على أموال الناس وحرماتهم. كما اطلعت على الكثير من الوثائق خلال العقود الوسطى في القرن الماضي فإذا بمؤسسات الدولة الرسمية: المحاكم الشرعية، والإدارات الأمنية، والقطاعات الدعوية والتعليمية وغيرها تعمل ليلًا ونهارًا من أجل نشر الأمن والوعي والتوجيه الذي يقود إلى مجتمع متحضر ومؤمن بربه يعمل لخدمة الدين وتطوير الحياة الفردية والمجتمعية.

هـ ـ جاء حكام البلاد بعد والدهم المؤسس (الملوك: سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبد الله، وسلمان) فاجتهدوا أيما اجتهاد في توطيد الحكم وتطوير البلاد على جميع الأصعدة العامة والخاصة، الرسمية والأهلية، الداخلية والخارجية. وإذا توقفنا مع عصر كل ملك نجدهم جميعًا لم يخرجوا عن خطط وسياسة الملك عبد العزيز الذي منَّ الله به على أرض الحرمين، وعلى معظم أجزاء الجزيرة العربية فحولها من حياة فقر وحرب وخوف وعدم استقرار إلى دولة عربية إسلامية آمنة عمَّ فضلُها وخيراتُها سكان البلاد الأصليين، وغيرهم من عرب ومسلمين في أرجاء الكرة الأرضية.

و- إني عندمـا أكتـب هـذه السطـور أتذكـر ما قرأتـه أو سمعتـه أو عرفتـه من عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) إلى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فإذا الذي حدث لإنسان هـذه البلاد كأنه من عـالم الخيال. نعم إنَّ الذي جرى خـلال ثمانين عامًا تقريبًا أحدث تحولات وتطـورات إيجابية تكتب تفصيلاتها في مئـات الكتب والدراسات. كمـا استمـر الرقي والازدهـار لهذا الوطن وأهلـه حتى أصبحنا نـراه في مصاف الدول المتقدمة حضاريًا وتنمويًا.

ز- ليسـت حيـاة الأمـن والأمـان الصفة الوحيـدة التي امتـازت بها المملكـة العربية السعوديـة، إنَّما هي جزئية واحدة من عشرات المناقب التي عرفها وعاشها إنسان هذه البلاد، ومازال هناك جوانب حضارية كثيرة جديرة بالاهتمام والتنويه عنها. وأقـول: إنَّ على أربـاب الفكر والقلم من العلماء، والأدبـاء، والمؤرخين، والشعراء، والمخططـين وغيرهم مسؤوليات توثيق الصور الحقيقية التي مرت بها البلاد منذ كانـت ممزقـة وواهية حتى أصبحـت كيانًا سياسيًـا وحضاريًا عظيمًـا له تاريخه وإسهاماته وحضوره في جميع اللقاءات والمحافل المحلية، والإقليمية، والعالمية، وهذا الواجـب على المواطن الصالح الذي يخـدم دينه وبلاده وأهله، كل حسب إمكاناته وقدراتـه وعمله وتخصصه. وآخـر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم[١].



(١) أوجـزت الحديث عـن موضوع كبير يُكتب تاريخه في عشـرات الدراسات العلميـة. وإذا درسنا بلاد تهامة والسروات خلال القرون الثلاثة الماضية الأخيرة (١٢ـ١٤هـ/١٨ـ٢٠م) وبخاصة في مجال الأمن والأمان، فإننـا سوف نجـد مادة علمية جيدة وكبيرة تفيـد في خدمة هذا الموضوع، وحسب علمـي وقراءتي لا أجد بحوثـا علميـة ورصينة في هذا الميدان، أرجو مـن أصحاب الاختصاص، ومن الجامعـات المحلية أن تدعم وتشجـع مسـيرة الناس والبلاد حضاريا وأمنيا وإداريا وتوعيا حتى أصبحت بلادنا (تهامة وسراة) تعيش اليوم في أحسن حال ماديا ومعنويا.

٢ـ علم التاريخ وأقسامه الأكاديمية في جنوب البلاد السعودية (ذكريات، وتأملات، ومقترحات)(١). بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس:

نعلم أن التاريخ ذاكرة البشرية، وقد بدأنا ندرس هذا العلم من ثمانينيات القرن الهجري الماضي في المدارس التعليمية العامة. وفي تسعينيات القرن نفسه أنشئت بعض الكليات الجامعية في بلاد السراة، وتحديدًا في مدينة أبها، واشتملت على تخصصات عالية عديدة، ومن ضمنها علم التاريخ. وبدأت دارسًا متخصصًا في هذا المجال من عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، واستمرت حياتي ورزقي العلمي والمادي والوظيفي مع هذا المجال المعرفي حتى الآن (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م).

(*) كوني أقرا وأكتب التاريخ خلال هذه العقود الخمسة ، رأيت أن يكون لي توثيقات محدودة على هذا العلم، كيف رأيته وعاصرته، وما هي آثاره على الأرض والناس؟ ولي ذكريات، وانطباعات، وتأملات، ومقترحات لها صلة بهذا الموضوع الكبير، وسوف أسرد شيئًا منها في البنود الآتية:

١- من يقرأ ويبحث عن التاريخ في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتحديدًا السروات وتهامة (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران وما جاورها) يجد أنَّ الكتب الكلاسيكية القديمة ومصادر التراث الإسلامي المبكرة والوسيطة والحديثة، رصدت صفحات وجزئيات من تاريخ وحضارة البلاد. ومؤلفو هذه المصادر والمراجع من العرب والمسلمين، والأجانب عبر أطوار التاريخ، ومن بين هؤلاء المدونين والراصدين علماء ومؤرخون وموثقون من التهاميين والسرويين، وبعضهم كانوا يعملون في مجال العلم والتعليم. وكانت رواية وتدريس التاريخ، والسير، وقصص الأولين تأخذُ حيزًا جيدًا في مجالسهم العلمية والاجتماعية والثقافية. وبعد تأسيس مدارس التعليم النظامي الحديث في خمسينيات القرن(١٤هـ/ ٢٠م)، صار هناك مواد علمية دراسية تُقدم للطالبات والطلاب ضمن برامج تعليمية واضحة. وأصبح علم التاريخ مثل غيره من المواد النظرية والعلمية الأخرى المدرجة ضمن خطط وزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات. وبعد الانتهاء من الثانوية العامة يشق الطالب طريقه في تخصص علمي محدد حتى ينتهي من المرحلة الجامعية، ثم الحصول على الوظيفة المناسبة لمجال تخصصه.

(١) نشرت في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (١٤/يناير/٢٠٢٥م). كما نشرت في موقع رابطة أدباء الشام الإلكتروني، صحيفة وسوم، عدد (١١١٨) (٧/مارس/٢٠٢٥م).

٢- إنَّ الطالبـات والطـلاب الجامعيـين المتخصصين في دراسة علـم التاريخ والتراث والحضـارة بـدأوا في كليـات فرعي جامعتي الملـك سعود والإمام محمـد بن سعود الإسلامية في أبها من عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، ثم تزايدت أقسام هذا العلم في الكثـير من الكليات في أنحاء السروات وتهامة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) حتـى صـارت أعدادهـا تقـدر بالعشـرات وجلـب لهـا في الثلاثـين سنـة الأولى (١٣٩٦ــ١٤٢٦هـ/ ١٩٧٦ــ٢٠٢٥م) مئات الأساتذة المتخصصين (ذكورًا، وإناثًا) مـن بلدان عربيـة وإسلامية وأجنبية، تولوا توجيه وتدريـس الطالبات والطلاب في أثنـاء دراسـة المرحلة الجامعية. وكانـت النتيجة أن تخـرج آلاف الخريجين الذين عملـوا في قطاع التدريـس، ووظائف أخرى عديدة. ومنهم مـن مُنح فرصة تعليمية أخـرى لمواصلـة دراسة الماجستـير والدكتوراه في مجال التاريـخ، ومئات آخرين في تخصصات أخرى من الطالبات والطلاب حصلوا على فرص مماثلة حتى أصبحوا مـن أهـل الاختصاص في علومهم الأكاديميـة. وإذا كنت حـددت في عنوان المقال (علـم التاريخ وأقسامه الأكاديمية)، فـإن الذي حصل من تطور أو تغير أو تأثير أو غـير ذلك مع هـذا المجال، قد حصل الوضع نفسه مع جميـع العلوم والتخصصات الجامعية الأخرى.

٣- بدأنـا تعليمنـا الجامعي، وكنـا دائمًا نجلس مـع أساتذتنا، ونسمـع بعض قصصهم ومنجزاتهم العلمية المتنوعة. وأخذونا في رحلات عديدة إلى جامعات وكليات وأقسام أكاديميـة في المناطق الوسطى، والشرقيـة، والغربية، والتقينـا بالعديد من الطلاب في نفس التخصص، وأطلعونـا على مكتبات علمية، ومواقع تاريخيـة وتراثية وأثرية وحضارية في جنوب البلاد السعودية، وفي مدن ومناطق أخرى في شرق المملكة العربية السعوديـة وغربها. وفي كل مرة نتعلم وتتوسع عقولنا ومداركنا، لكننا في أثناء مرحلة الطلـب الجامعي المبكر، لم نكن نستشعـر أهمية علم التاريخ في خدمة البشرية، وكل همنا أن نتخرج ونحصل على الوظيفة، مع أننا نسمع في مجالسنا الصغيرة والكبيرة، العامة والخاصة قصصًا، وأخبارًا، وروايات عن موروثنا وتاريخنا وحضارتنا المحلية، لكـن الخطـط الدراسية المفروضـة علينا تدور في فلـك التاريخ القـديم، والوسيط، والحديث العام عن العوالم العربية، والإسلامية، والأجنبية وهذه مواد تأسيسية مهمة لمن رغب التخصـص في علم التاريخ بشكل عام. وعندما رجعنا إلى أقسامنا العلمية كأعضـاء هيئة تدريس سلكنـا نفس المسلك الذي انتهجـه أساتذتنا في التدريس، مع بذل بعض الجهود الخجولة في خدمة تاريخنا وتراثنا وموروثنا المحلي.

٤- كانت عجلة التعليم العالي تتوسع رأسيًا وأفقيًا. وكان الأساتذة المتعاقدون العمود الفقري لسير العملية التعليمية. وخلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، جرى ابتعاث الكثير من الطالبات والطلاب (داخليًا وخارجيًا) لمواصلة دراساتهم العليا، ثم رجع بعضهم وصاروا عضوات وأعضاء هيئة تدريس في أقسامهم الأكاديمية. وأقسام التاريخ في الكليات المحلية حظيت ببعض الأساتذة السعوديات والسعوديين، لكن أعدادهم قليلة جدًا مقارنة بالأساتذة المتعاقدين. وخلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي (١٥هـ/٢١م) أنشئت بضع جامعات في عموم السروات وتهامة، لكنها لم تكن داعمة بشكل جيد لبعض الأقسام الإنسانية والنظرية، وعلم التاريخ في مقدمتها. وبالتالي جرى إيقاف، أو إلغاء، أو تهميش معظم أقسام التاريخ. وألغيت مرحلة البكالوريوس للبنين في معظم الجامعات، وافتتحت برامج دراسات عليا في بعضها. وحصل ارتفاع وسقوط، وأحيانًا دعم وتطوير وتشجيع، أو تقليص وتحوير وتبديل. ومن يراجع خطط الجامعات الحديثة في جنوب المملكة العربية السعودية (١٤١٩ـــ١٤٤٧هـ/١٩٩٨ـــ٢٠٢٥م) يجد صحة ما أشرت إليه على أقسام التاريخ وغيرها من التخصصات الأدبية. ودراسة هذه الخطط وما نتج عنها من إيجابيات وسلبيات خلال العقود الماضية الأخيرة مجال بحثي واسع وجديد في بابه.

٥- لا شك أنَّ أقسام التاريخ العلمية وغيرها من التخصصات الجامعية الأكاديمية في جنوب المملكة العربية السعودية لها آثار إيجابية كثيرة، ولا أجد عنها دراسات علمية موثقة (١٣٩٦ــ١٤٤٧هـ/١٩٧٦ـــ ٢٠٢٥م). أرجو من أقسام التاريخ نفسها أن تدعم دراسة وبحث مثل هذا المجال، ومصادره متوفرة (كتابيًا وشفهيًا). وخلال رحلتي العلمية والبحثية وجدت التعليم العالي في بلاد السروات وتهامة جدير أن يكتب عنه عشرات الكتب العلمية والرسائل الجامعية. وأرجو من يتولى ذلك أن يكون حياديًا ومنصفًا فيذكر السلبيات والمعوقات، وكذلك الإيجابيات والنجاحات التي حدثت أو تحققت خلال الخمسين سنة الماضية المتأخرة.

٦- **قمت خلال السنوات السبع الماضية (١٤٣٩ــ١٤٤٦هـ/ ٢٠١٨ ـــ ٢٠٢٥م) بزيارات عديدة لجامعات، وكليات، وأقسام التاريخ في جنوب المملكة العربية السعودية، وخرجت بالعديد من الانطباعات والمقترحات، وأذكر بعضها في النقاط التالية:**

أ- صارت الجامعات والكليات في وضع أفضل من ذي قبل. فأغلبها في مقرات (مدن جامعية) واسعة الأرجاء، ولديها الكثير من الإمكانات المادية والبشرية.

وحالها في الوقت الحاضر لا يقارن مع وضع التعليم الجامعي في تهامة والسراة خلال العقدين والنصف الأولى (١٣٩٦ـ١٤٢٠هـ/ ١٩٧٦ـ١٩٩٩م). والشيء الجميل الذي شاهدته مؤخرًا كثرة عضوات وأعضاء هيئة التدريس السعوديين. وآمل أن نرى جميع الأقسام الأكاديمية في المستقبل القريب من بنات وأبناء المملكة العربية السعودية.

ب - إن تأسيس جامعات مستقلة في مناطق السروات وتهامة عاد على البلاد والعباد بالخير العميم في شتى المجالات، وعاصرت وقرأت عن الكثير من الصعوبات التي واجهت الطالبات والطلاب الجامعيين الذين يذهبون لمواصلة دراساتهم الجامعية في الرياض، أو في المنطقتين الشرقية والغربية. ومثل هذا العنوان جديد في بابه ويستحق أن يكون عنوانًا لكتاب أو رسالة علمية جامعية (١٣٨٠ـ١٤٢٠هـ/ ١٩٦٠ـ١٩٩٩م).

ج - اتضح لي وجود مئات الطالبات والطلاب الذين درسوا مرحلة البكالوريوس في جنوب المملكة العربية السعودية، ثم واصلوا دراساتهم العليا داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها. ومعظمهم يعملون في قطاعات التعليم العام، أو مؤسسات حكومية وأهلية أخرى. وعرفت بينهم الكثير من المبدعين ليس في مجال التاريخ فقط، بل في مجالات علمية أكاديمية عديدة أخرى. أرجو من جامعاتنا المحلية أن تستقطب الجادين والمبدعين من هذه الشريحة، وهم ثروة وطنية كبيرة لو وُضعوا في أماكن علمية وبحثية ومعرفية حقيقية، كل حسب مجاله وتخصصه.

د - اطلعت على بعض البرامج والخطط في بعض أقسام التاريخ المحلية، ووجدت القائمين عليها، ومعظمهم من طالباتي وطلابي خلال العقود الأربع الماضية (١٤٠٠ـ١٤٤٠ه/ ١٩٨٠ـ٢٠١٩م) يعملون بكل جد واجتهاد في توفير مواد أو مسارات في مجالات الدراسات العليا ولها صلة بعلم التاريخ، مثل تخصصات الآثار، والسياحة، والتراث وغيرها. وأرجو منهم أن يطلّعوا على ما عند الجامعات والكليات والاقسام الجيدة في العالم، ويستفيدوا منهم، ويقتبسوا من خططهم وبرامجهم كل شيء يعود بالنفع والخير والبركة على وطننا الغالي (المملكة العربية السعودية).

هـ - أوجه رسالة إلى كل أساتذة التاريخ، والآثار، والسياحة، والتراث والموروث المحلي في المملكة العربية السعودية عمومًا، وإلى الباحثين العاملين في جامعات تهامة والسراة خصوصًا أن يبذلوا قصارى جهودهم لدراسة تاريخنا وحضارتنا

المحلية عبر عصور التاريخ وفي شتى المجالات. كما أرجو من المسؤولين وصناع القرار في هذه المؤسسات التعليمية العالية أن يدعموا ويشجعوا الأعمال والبحوث العلمية التي لها صلة بواقعنا الجغرافي والبشري. وبلاد السروات وتهامة على سبيل المثال من الديار التي مازالت بكرًا في علومها ومعارفها وحضارتها وتاريخها وتراثها منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر.

و- إنَّ التقدم التقني والمعرفي الحديث سهل علينا معاشر المؤرخين والباحثين الشيء الكثير. آمل من أقسامنا العلمية الأكاديمية أن توظف هذا المجال في الخدمات البحثية المحلية. كما أنَّ اللغات الأخرى غير العربية عاملًا مهمًا في ميدان الدراسة والبحث، والباحث في أي مجال مثل علم التاريخ والآثار وغيره يجب أن يكون عنده علم وخبرة بلغات أخرى تساعد في إنجاز أعمال علمية رصينة وجادة.

ز - إنَّ الحديث عن علم التاريخ وفروعه العلمية في السروات وتهامة موضوع كبير يكتب فيه عشرات البحوث. والذي وثقته في هذا المقال فقط شذرات مما عاصرته خلال خمسة عقود. آمل أن أفرد لهذا العنوان دراسة تفصيلية موثقة في إحدى أعمالي البحثية المستقبلية. كما أرجو أن يجد فيه المؤرخات والمؤرخون، والباحثات والباحثون بعض الشذرات التي قد تهديهم إلى عناوين ومشاريع بحثية عميقة وجادة، والله ولي التوفيق.



٣ــ التعليـم العام والعـالي الحديـث في (الباحة، وعسـير، وجـازان، ونجران) وآثارهمـا الإيجابيـة علـى البـلاد والعبـاد[1]. بقلـم. أ.د. غيثان بـن علي بن جريس

إنَّ الكتابة في موضوع التعليم يحتاج إلى الاطلاع على المصادر والمراجع التي ناقشت هــذا الميدان، وبخاصــة البلاد التهامية والسروية الواقعة بــين حواضر الحجاز واليمن الكبرى، وهذه الأوطان ذات تاريخ وحضارة قديمة، ومأهولة بالسكان من عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. وإذا بحثنا في الأعمــال العلميــة التوثيقية التي صدرت عن هــذه البلاد، وجدنا معظمها في العصر الحديــث وتحديدًا من القرن (١٣هــ/١٩م) إلى وقتنا الحاضــر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، أمــا العصــور السابقة فالمكتوب عنها شبــه نادر، وعموم هــذه الأحواز التهامية والسرو ية مازالــت بحاجــة شديدة إلى دراســة تاريخها وتراثها من العصــر القديم إلى القرن (١٢هــ/١٨م)، وإن وجــدت بعض البحوث والكتب عن هذه الأزمنــة إلَّا أنَّها قليلة جدًا، ودون المأمول.

حددت في هذه المقالــة حديثي عن التعليم العام والعالي الحديث في بلاد السروات وتهامة، من جنوب مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران، ولم أناقش تاريخ التعليم في هذه البلاد قبل منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، فهذا مجال واسع، وصدر عنه بعض الكتــب والبحوث العلمية، والرسائل الجامعية. ومازال يستحق مزيدًا من البحث العلمي الجاد، وهنــاك الكثير مــن المخطوطات والوثائــق غير المنشورة مــن العصر الإسلامي الوسيــط إلى القــرن (١٤هـ/ ١٩،ــ٢٠م) فهــي جديــرة بالجمــع والدراســة والتحليــل والتحقيق.

(*) حصــرت تدوينــي على عصــر التعليم الحديــث في عهد الدولة السـعودية الحاليــة، أي خلال مئة سـنة تقريبًا (١٣٤٥-١٤٤٦هـ/ ١٩٢٦ــ٢٠٢٥م)، ولا أزعم أنني سـوف أسجل دراسـة علمية عميقة، بل مقالًا محدودًا أذكر فيه خطوط عامة عــن التعليم العام والعالي في مناطق الباحة ، وعسـير، وجـازان، ونجران، ثم أخلص إلى توثيـق بعض الإيجابيات التي عادت على الأرض والناس من خلال هذا المجال الحضاري المهم. وفي البنود التالية أكتب شيئًا من هذا التاريخ الحديث والمعاصر:

(١) مقالــة منشورة في صحيفة النماص اليــوم الرقمية، بتاريخ (٥/مارســ/٢٠٢٥م). ونشرت أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام الإلكتروني، صحيفة وسوم، عدد (١١١٨) (٧/ مارس/٢٠٢٥م).

١- من يدرس مناقب وحسنات وجهود الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) فسوف يطلع على مئات المجلدات والكتب والبحوث العربية والأجنبية التي فصلت الحديث عن نشأة ثم توحيد وتطوير هذا الكيان العربي الإسلامي الكبير. ومن الأعمال المهمة لهذه الحكومة السعودية العصرية تأسيس مؤسسات إدارية حديثة تجمع بين الأصالة والتطوير ومسايرة ما يجري في العالم من تحديث وبناء وتقدم مادي ومعنوي. وكانت القطاعات العلمية والمعرفية والثقافية والإعلامية من أوائل الإدارات الحديثة التي أنشأتها الدولة السعودية الحديثة. قامت بذلك مدركة أنَّ مجتمعها الكبير مازال يعاني من الأمية والتخلف العلمي والمعرفي، ورأت أن تأسيس دولة حديثة يستوجب أن تقوم على أسس متينة، والعلم والتعليم من الركائز المهمة التي يجب توفيرها لتنوير وتطوير العقول البشرية التي تقود البلاد إلى كل عمل صالح ومفيد.

٢- من بركات حكومة المملكة العربية السعودية أنَّها جاءت مدافعة ومناصرة للدعوة الإصلاحية التي قامت عليها الدولتان السعوديتان الأولى والثانية. والدارس للأهداف الرئيسية التي جاءت بها تلك الدعوة في القرن (١٢هـ/١٨م) يجد أنَّها قامت على منهج التوحيد الخالص لله (عَزَّوَجَلَّ)، وكل العلماء وأرباب القلم والمعرفة المناصرين للدعوة السلفية الإصلاحية ينطلقون في علومهم ومعارفهم من القرآن الكريم وسنة الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام). وبعد أن ظهر الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (يرحمه الله) ووحد معظم شبه الجزيرة العربية تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وصارت المدن المقدسة تحت نفوذ حكومة (المملكة العربية السعودية)، عندئذ جعل مكة المكرمة القاعدة الرئيسية لبداية ثم انطلاق التطوير والتنمية الحديثة في أنحاء البلاد.

٣- رأى الإمام عبد العزيز آل سعود أن يؤسس إدارات عامة في مكة المكرمة، وتكون مسؤولياتها التأسيس والتخطيط لبناء دولة حديثة تقوم فيها المؤسسات الإدارية الرسمية بالبناء والإشراف على تطوير البشر والحجر. وأنشئت مديرية المعارف وكانت المسؤولة عن نشر التعليم الحديث للبنين في ربوع البلاد. وبدأت هذه الإدارة من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) فأسست المدارس الأميرية (السعودية) الابتدائية الحديثة في مكة المكرمة وما حولها، ثم توسعت في افتتاح المدارس الابتدائية في الخمسينيات والستينيات في أرجاء البلاد السعودية، وكانت مناطق الطائف، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران من أوائل المناطق التي أنشئت

فيها عشـرات المدارسـ الابتدائيـة والمتوسطـة. وفي السبعينيـات تطـورت مديرية المعـارف إلى وزارة، ونقلت مـن الحجاز إلى الرياض، وتضاعفـت أعداد المدارس، وأسسـت بعض إدارات التعليـم في جنوب البلاد السعوديـة. وفي مطلع الثمانينيات افتتحت مدارس البنات في بعض مدن وحواضر عسير، وجازان، ونجران، والباحة. وصـارت الرئاسـة العامـة التعليم البنـات تشرف وتطـور وتتابع مسـيرة مدارس البنـات في كل مكان، وأنشئـت إدارة تعليم البنات في أبها حتى تتولى الإشراف على جميـع مدارس البنات في عسير، وجازان، ونجـران. أما منطقة الباحة، والطائف، والقنفـذة، والليـث فكانـت إدارة تعليـم البنـات في المنطقـة الغربيـة تشرف على تعليم البنـات في هذه النواحي. واستمر التعليم العام للبنين والبنات في تطور رأسي وأفقي حتى نهاية القرن الهجري الماضي.

٤- جـاء هـذا القـرن (١٥هـ/٢٠ـــ٢١م)، وخـلال بضعـة عقـود (١٤٠٠ـ١٤٤٦هـ/١٩٨٠ــ٢٠٢٥م) حدثـت تطـورات تنموية كثيرة وكبـيرة، وتوسع قطـاع التعليم العام في جميع بلـدان تهامـة والسراة. وصارت مدارس البنات والبنـين بالآلاف، أما أعداد الطالبات والطـلاب، والموظفـات والموظفـين، والمعلمـات والمعلمـين أصبحت في خانة مئـات الآلاف. ومـن يبحـث في مجـال المقـرات (المدارسـ، والإدارات)، والأنشطـة الصفية واللاصفيـة، والمصروفات والنفقات فذلك بـاب واسع يكتب فيه مئات الكتب والدراسات. ولو بحثنا أكثر في أنواع المدارس ومجالات التعليم العام، فسوف نجد العديد منه مثل: مدارس التعليم العام، ومدارس تحفيـظ القران، ومدارس أهلية، ومدارس فنيـة وتقنيـة ومهنيـة، ومدارسـ صحيـة، ومدارسـ تخصصيـة لـذوي الإعاقـة، ومدارس أخـرى تخدم شرائح متنوعة في المجتمع. وقـد زرت الكثير من هذه الميادين والقطاعات خلال الأربعين سنـة الماضية (١٤٠٥ـ ١٤٤٥هـ/١٩٨٥ـ٢٠٢٤م)، وجمعت مئـات السجـلات، والتقارير، والوثائـق التي تعكس شيئًا من مسـيرة التعليم العام في جنـوب المملكة، آمل أن أجد الوقت والعـزم والصحة لدراسة هذه المصادر والمراجع وإخراجهـا في دراسة علمية عامة عن تاريخ التعليم العام في هذه البلاد خلال المئة سنة الماضية (١٣٤٥ــ١٤٤٦هـ/١٩٢٦ــ٢٠٢٥م).

٥- تطـور التعليـم العـام للبنـات والبنـين في مناطـق السـروات وتهامة، وصـار الكثير مـن الطالبات والطـلاب يذهبون مـن بلدانهم إلى مـدن الرياضـ، وإلى المنطقتين الشرقيـة والغربيـة مـن أجـل مواصلة دراساتهـم العليـا، وكانـوا يعانـون كثيرًا في أسفارهم وإقاماتهم في تلـك البلدان. وفيتسعينيات القرن الهجري الماضي

كان لأهـل منطقة عسير وفي مقدمتهـم أمير المنطقة، الأمـير خالد الفيصل، جهود عديـدة ومطالبات حثيثة تهدف إلى افتتاح كليات جامعية في المنطقة، وقد نجحوا في ذلـك فافتتحـت أول كليتين (الشريعـة واللغـة العربية، والتربيـة) في مدينـة أبهـا عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وكانت الأولى تتبع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والثانية لجامعـة الرياض (الملك سعود). وكان تأسيس هاتين المؤسستين الجامعيتين فتحًا عظيمًا على عموم سكان تهامـة والسراة؛ لأنَّه تلا ذلك خلال العقدين الأوليين من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تزايد أعداد كليات البنـين والبنات في مناطق عسير، وجازان، والباحة، ونجران، والطائف، والليث، والقنفذة، ودرس فيها آلاف الطالبات والطلاب، وقـام علـى تدريسهم آلاف العضـوات وأعضاء هيئـة التدريس ومعظمهم غـير سعوديـين، وتعددت التخصصـات. وفي نهاية العقد الثاني مـن القرن الحالـي، حـدث الفتح الكبير الثاني، فأنشئت في أبها الجامعة الحكومية الثامنة (جامعة الملك خالـد)، ولم يكـن الهدف مـن تأسيسها خدمة منطقـة عسير فحسـب، وكان ضمن خططها نشر التعليم الجامعي في مناطق عسير، وجازان، ونجران.

٦- عاصـرت نشأة وتطـور التعليم العالي في جنـوب المملكة العربيـة السعودية، وكنت طالبًا ثم أستـاذًا في هـذا القطـاع حـوالي خمسـين عامًا (١٣٩٦ـ ١٤٤٥هـ/ ١٩٧٦ـ٢٠٢٤م)، وشاهـدت وعرفت الكثير من الجهود الكبـيرة التي بذلتها الدولة في تأسيـس وتطويـر الكليـات الأولى، ثم الجامعـات المحلية (جامعـة الملك خالد، وجامعات جازان، ونجـران، والباحة، والطائف، وبيشة)، ولكل جامعة تاريخ طويل ومتنـوع، ومع أنني دونت بعض الكتب والبحـوث في تاريخ التعليم الجامعي في بعض بلدان تهامة والسراة، إلَّا أنَّ هذا القطاع الكبير والمهم والحيوي مازال غير مدروس، وتاريخـه غير موثـق. آمل من المسؤولـين في هـذه الجامعات التهامية والسروية أن يدعموا ويشجعوا من يجمع ويوثـق ويحلل تاريخها ومنجزاتها وآثارها، وهذا العمل يعتبر من أهم الأمور والواجبات التي يجب تحقيقها.

٧- جمعـت مئات التقارير السنوية الخاصة بالجامعات السروية والتهامية، واطلعت على آلاف المذكـرات، والوثائـق، والخطابات التـي تعكس شيئًا من تطور هـذه المؤسسات التعليميـة العاليـة، واتضـح لي الاهتمـام الكبير الـذي حققته الدولة مـن أجل دعم وتطوير التعليم الجامعي في أرجاء البلاد عمومًا، وفي جنوب المملكة العربية السعودية خصوصًـا. كمـا زرت معظـم إدارات تعليـم البنات والبنـين في الطائـف، والباحة، وعسير، وجازان، ونجران. والتقيت بالمئات من المعلمين وأساتذة الجامعات، ووجدت

كمًا هائلًا مـن المصـادر والمراجـع التي فصلت الحديـث عن منجزات هـذا المجال الحضاري الحديث. ومن يتخصص في دراسة هذا التاريخ الحديث والمعاصر فسوف يطلعنـا على صفحـات مكتوبة مزدهـرة تعيشها مناطق جنـوب البلاد السعودية من خمسينيات القرن الهجري الماضي إلى الأربعينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(*) أشـرت في مقدمـة هـذا المقـال أنَّ الهدف الـذي أريد تحقيقه، رصد شـذرات من الآثار الإيجابية التي نتجت عن مسيرة التعليم العام والعالي في عسير، وجازان، ونجران، والباحة منذ البداية حتى وقتنا الحاضر، وفي المحاور التالية أوثق شيئًا من ذلك:

أ ـ كانت الأميـة سائدة في أرجاء البلاد، والذين يستطيعـون القراءة والكتابة يعدون على الأصابـع. وعنـد افتتـاح المدارس السعوديـة الأولى في الطائـف، والظفير، وأبهـا، وجازان، وبيشة، ومحايل عسير، والقنفذة، والنماص، ورجال ألمع، وخميس مشيـط بدأ التعليم يسري بين الناس، وبدأت تزيـد أعداد القادرين على القراءة. واستمـرت توعية الناس وتنويرهم علميًـا وتعليميًا، وثقافيًـا، وتوعويًا، ودينيًا ولم نصل إلى نهاية القـرن الهجري الماضي، إلاَّ والجهل والأمية تراجعت بشكل كبير، ونسبـة المتعلمـين تعليمًا جيدًا ازدادت. وقرأت في بعض الوثائق وشاهدت الناس في ثمانينيـات القرن (١٤هـ/٢٠) يجدون صعوبة شديـدة في العثور على من يقرأ ويكتـب لهـم رسائلهم الخاصـة التي يرسلونهـا إلى أقاربهم في أمكنـة أخرى من المملكة، وكانت هذه المشكلة منتشرة في البوادي والقرى والأرياف، أما المدن الكبيرة فأحوالهـا أفضـل من غيرها خلال العقـود الوسطى من القـرن الهجري الماضي، وفي نهايـة القرن نفسه، وبدايات هـذا القرن(١٥هـ/٢٠م) صار القراء والمتعلمون موجودون في كل مكان. وخلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٩٥ـ٢٠٢٥) أصبحـت المدن، والقرى، والأحياء، والمنازل مليئة بالمتعلمين تعليمًا جامعيًا أو عاليًا. وهذا بفضل الله (عَزَّوَجَلَّ) ثم جهود المدارس والكليات والجامعات الحكومية التي حاربت الجهل والأمية ونشرت النور والعلم والثقافة في كل مكان.

ب ـ كانـت سياسـة الدولـة تأهيـل كـوادر بشريـة متعلمـة تقـود مسيـرة الحيـاة في كل المجالات. واطلعت على آلاف الوثائق التي يعود تاريخها إلى العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) (١٣٤٠ ـ١٣٧٠ه/١٩٢١ـ١٩٥٠م) فكان معظم العاملين في المؤسسـات الحكومية في مناطق جنوب المملكـة من المتعلمين الحجازيين وبعضهم من نجد، والسرويين والتهاميين مازالـت أعدادهم قليلة، لكنهم زادوا وتضاعفوا تدريجيًا مع انتشار التعليم الحديث في البلاد. وكان للمدارس الابتدائية والمتوسطة

دور جيد في تخريج بعض الطلاب الذين ساهموا في سير التنمية التعليمية والإدارية والمالية والدعوية. وشاهدت خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي بعض أبناء عسير، وجازان، ونجران، والباحة يتولون وظائف تعليمية، وإدارية ومالية في العديد من الإدارات المحلية. كما كانت نسبة المتعاقدات والمتعاقدين عالية في العديد من الإدارات المدنية وأحيانًا العسكرية. أما هذا القرن (١٥هـ/٢٠.٢١م) فقد تغير الحال؛ لأنَّ المدارس والمعاهد، والكليات، والجامعات خرجت آلاف الطالبات والطلاب الذين التحقوا بالكثير من القطاعات الحكومية والأهلية.

ج - عشت، وشاهدت، وعملت في قطاع التعليم العالي من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن. وخلال العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٥هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م) أتجول في أرجاء السروات وتهامة، وأزور مؤسسات التعليم العام والعالي، وأتردد على العديد من الإدارات الحكومية والأهلية الأخرى، ورأيت في جميع هذه القطاعات آلاف الموظفات والموظفين السعوديين، ومعظمهم يحملون شهادات جامعية، والأكثرية درسوا في مدارس وكليات وجامعات السروات وتهامة، ومنهم المعلمات والمعلمين، والإداريات والإداريين، وعشرات المجالات الوظيفية الأخرى المالية، والفنية، والهندسية، التقنية، والبرمجيات. كما عاصرت الحراك التعليمي والوظيفي في مناطق عسير، والباحة، وجازان، ونجران من عام (١٣٩٥ـــ١٤٢٠هـ/١٩٧٥ـــ١٩٩٩م) فكان العاملون في القطاعات الرسمية والأهلية من السعوديين وفيهم أعداد جيدة من التهاميين والسرويين. وإلى جانبهم الكثير من الأيدي الوافدة من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية. وكانت نسبة النساء السعوديات قليلة حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وفي الثلاثينيات أصدرت الدولة الكثير من اللوائح التي تمكن المرأة من العمل في مجالات عديدة عسكرية ومدنية، وبالتالي صار أعداد الموظفات السعوديات كثيرة جدًا. وأكثرهن يحملن درجات علمية عالية، وغالبية الذين شاهدت خلال العشر سنوات الأخيرة (١٤٣٥ـ١٤٤٥هـ/٢٠١٤ـ٢٠٢٣م) من خريجات الكليات والجامعات المحلية.

د - إنَّ قطاع التعليم، والفكر، والإعلام، والثقافة من أكثر الميادين التي استفادت من بدايات ثم تطور التعليم العام والعالي في أنحاء المملكة العربية السعودية. والمناطق الجنوبية فازت بالنصيب الكبير، فقد درس في مدارسها وكلياتها وجامعاتها بنات وأبناء هذه البلاد، ثم تدرجوا في سلم المعرفة، وتخصصوا في شتى المجالات الأدبية والعلمية، وصار منهم الكثير من المعلمين وأساتذة الجامعات

المميزيــن، وتخرج فيهم العسكريون المبدعون، والأطباء، والمهندسون، والمخترعون البارعــون ولم تكن آثارهم الإيجابيــة محصورة في بلدانهم التهامية والسروية، بل تجدهــم منتشرين في أرجاء الوطــن ومنهم أعداد غير قليلة ذهبوا للدراسة خارج المملكــة في بلدان عربيــة، وإسلامية، وأجنبية فأبدعــوا في تخصصاتهم، وحققوا بــراءات، وشهادات، ونتائج مميزة وعالية، ثم عادوا إلى بلادهم (المملكة العربية السعوديــة) فساهمــوا في مسيرتها التنموية الحديثــة والمعاصرة. وقد زرت معظم الجامعات السعودية خلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٥ــ١٤٤٥هـ/١٩٩٥ــ٢٠٢٤م). وحضرت مؤتمرات وندوات كثيرة، واطلعت على الكثير من الكتب الجامعية، والتقارير الأكاديمية، والرسائل العلمية فوجدت نهضة عظيمة شملت عموم البلاد، وكان لبنات مناطق عسير، وجازان، والباحة، ونجران ريادة وإسهامات في ميادين علمية وتعليمية ومعرفية وإعلامية وثقافية يصعب حصرها في عشرات الصفحات وتستحــق أن توثق في الكثير من الكتب والبحــوث العلمية. واجتهدت في جمع بعض المعلومات عن النتاج العلمي للسرويين والتهاميين داخل البلاد السعودية وخارجها فوجدت إحصائيات كبيرة جدًا من الكتب والبحوث، وبراءات الاختراع، والأعمال النقديــة، ولــو جمعت كل هذه الحصيلــة العلمية ودونت في أعمــال توثيقية فسوف تصدر في عشرات المجلدات الببليوجرافية.

هـ- كان للتعليــم العام والعالي آثار كثيرة على حياة النــاس الاجتماعية، فزاد الوعي، وتحسنت أوضاع المجتمعات المادية، وتطورت ميادين اللباس والزينة، وبناء المنازل وتنــوع الأثاث، وحيــاة الرفاهيــة في الطعام والشــراب، وتداخل وزيــادة الأنشطة الاجتماعيــة المختلفة الفردية والأسريــة والمجتمعية، وامتزجت وتداخلت الثقافات واللهجــات والفنــون الشعبية والألعــاب الرياضية. وكيف لا يحصــل كل هذا النمو والتطــور، ووزارات المعــارف، والتعليــم العــالي، والرئاسة العامة لتعليــم البنات، وغيرهــا من المؤسسات التعليمية والأكاديمية يوجد ضمن خططها برامج متنوعة، وإدارات وأقســام ووحدات متخصصــة في الإشراف والدعــم والتشجيع للأعمال والأنشطة الاجتماعية التي تصب في تطوير حياة الناس العامة والخاصة الحكومية والأهليــة، ومــن يعكف على دراســة آثار التعليم على الحيــاة الاجتماعية في عصر الدولــة السعودية الحديثة فإنــه سوف يجد مادة علمية كبــيرة تصدر في عشرات الكتب والأعمال العلمية التوثيقية الكبيرة.

و- كان ومازال التعليم العام والعالي، الحكومي والأهلي من الأسس الرئيسية لتطوير الحياة الاقتصادية. وقد عاصرت التعليم العام ثم العالي خلال العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي وأثناء هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) فكان الاقتصاد ينمو ويتطور تدريجيًا، ومخرجات التعليم محركات رئيسية في النهوض بالاقتصاد على جميع الأصعدة. وعندما كانت ميزانيات التعليم محدودة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي كان هناك بعض الصعوبات والمعوقات، وبعد تحسن الأوضاع المالية زادت المصروفات والنفقات، وتكاثرت المدارس، والمعاهد، والكليات، والجامعات. وزادت الطاقة البشرية التي تخرجت في مؤسسات التعليم المختلفة، وبالتالي عاد خيرها وبركتها على دعم وتطور الحياة الزراعية والرعوية. ومن يدرس آثار التعليم على الاقتصاد في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن فإنه سوف يحقق نجاحًا في المسيرة البحثية والتوثيقية، وأرجو أن تقوم مراكز البحوث الجامعية في تهامة والسراة بتحقيق ذلك.

ز- من خلال المعاصرة والسير في مناكب مناطق جنوب البلاد السعودية من تسعينيات القرن الماضي إلى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، شاهدت العديد من الميادين الحضارية التي تطورت، وكان التعليم العام والعالي من الروافد الرئيسية في هذه الميادين التنموية. ومن تلك القطاعات الحياة الطبية والصحية، والأنشطة السياحية والترفيهية، وفي ميدان المواصلات، والاتصالات، والتقنية، وفي التواصل الحضاري المتنوع مع أرض وسكان تهامة والسراة وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية، أوشركات، ومؤسسات، أو أفرادٍ ومجتمعات عربية وإسلامية وأجنبية. وكل هذا الفضل والخير الذي نراه مبسوطًا ومنتشرًا في كل مكان يعود إلى توفيق الله (عَزَّوَجَلَّ) ثم إلى جهود هذه الدولة المباركة (المملكة العربية السعودية) حكومة وشعبًا الذين يعملون جميعًا على خدمة دينهم وبلادهم ومقدساتهم وبلدانهم الصغيرة والكبيرة. وكل هذه المحاور جديرة أن تدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية الجامعية.

ح - قد يقول قائل إنَّ هذا المقال مختصر فلم يأت على جميع الآثار الإيجابية الرئيسية التي تحققت من قطاع التعليم العام والعالي خلال قرن من الزمن. ومن يقول ذلك فقد ذكر الحقيقة؛ لأنَّ هذا موضوع واسع ويتسع لعشرات الكتب العلمية المطولة والجادة. ورأيت إدراجه في هذه الورقات المحدودة مع الإصرار والتوصية

بأنَّــه مــن العناوين الجديدة والمهمة التــي تستحق أن تكون مشروعًــا بحثيًّا كبيرًا. ولا يستطيــع القيام به إلَّا فريق عمل متخصص، ومن جهة علمية أكاديمية رسمية تدعــم وتشجع وتشرف على هذا العمل، وأرجو أن نرى في جامعاتنا المحلية (الملك خالد، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف، وبيشة) من يتبنى هذا المقترح الذي أعتقد أنَّه يعود بالفائدة والخير على إنسان تهامة والسراة. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبد اللّه (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) .



٤ـ هجرة التهاميين والسرويين إلى مدن ومناطق أخرى في المملكة العربية السعودية خلال العصر الحديث (التأثير والتأثر)[١]. بقلم .أ.د. غيثان بن علي بن جريس.

إنَّ الهجرات البشرية موجودة من بداية الخليقة، ومازالت مستمرة حتى تقوم الساعة، ونقرأ في المصادر الكلاسيكية، والعربية والإسلامية القديمة والحديثة عن هجرات القبائل داخل شبه الجزيرة العربية من عصور ما قبل التاريخ، والتاريخ القديم، والإسلامي المبكر والوسيط والحديث. وفي هذا المقال لن أتحدث عن هجرات السرويين والتهاميين في العهد القديم، أو حتى العصور الإسلامية إلى العقود الأولى من القرن الهجري الماضي، فهذا موضوع واسع،

(*) وللأسف فهو غير مدروس أو موثق، ويستحق أن يصدر عنه عشرات الدراسات العلمية المطولة. وسوف أركز تدويني على العهد السعودي الحديث من عام (١٣٤٠ - ١٤٤٦هـ/ ١٩٢١ - ٢٠٢٥م)، ولا أدعي أنني سوف أكتب مدونة وافية شاملة، لكنني أسجل لمحات سريعة ومختصرة لعلها تفيد بعض الباحثات والباحثين، والمؤرخات والمؤرخين في ديار السروات وتهامة، الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى، الممتدة من جنوبي الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران. وأذكرها على النحو التالي:

١- إن البلاد المعنية في هذا المقال مناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران (تهامة والسراة)، لها تاريخ وحضارة قديمة وحديثة، ومستوطنات بشرية من عصور ما قبل التاريخ إلى يومنا الحاضر، وجرى على أرضها الكثير من الأحداث السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والتعليمية والثقافية، والجغرافية، وغيرها. وإنسانها كان ومازال لاعبًا مهمًا في بلاده الأصلية، وفي مواطن أخرى عديدة داخل جزيرة العرب وخارجها. وإسهامات التهامي والسروي التاريخية والحضارية داخل وطنه وخارجه من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة منذ فجر الإسلام إلى بداية قيام الحكومة السعودية الحديثة. وهناك تاريخ طويل ومتشعب خلال تلك القرون، والقبيلة هي صاحبة الحل والعقد في أرضها، ولا يوجد حكومة حقيقية تبسط سيطرتها ونفوذها على عموم السروات وتهامة. ومن أربعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) بدأت مناطق السراة وتهامة تدخل تحت نفوذ الدولة السعودية الحديثة، ولم نصل إلى الخمسينيات من القرن نفسه إلَّا وبلدان غامد وزهران (الباحة)، وعسير، وجازان، ونجران صارت جزءًا من

(١) نشرت في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (١٦/مارس/٢٠٢٥م). ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام الإلكتروني، صحيفة وسوم، عدد (١١١٩) (٢٠٢٥/٣/١٤).

حكومة الإمــام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وأصبحت الحكومة السعودية الثالثــة (المملكــة العربيــة السعودية) هي صاحبــة الأمر والنهــي في أرجاء الوطن السعودي الحديث. ولن نناقش التاريخ السياسي والعسكري. والمجالات الحضارية الأخرى التــي تعيشها المملكة العربية السعودية منــذ تأسيسها إلى وقتنا الحاضر، فذلــك ليســ من أهداف هذه المقالة، ثم إنَّ الموضــوع نفسه مكتوب وموثق في مئات الكتب، والبحوث العلمية، والرسائل الجامعية.

٢- كانــت تنقلات وهجرة التهاميين والسرويين داخل الجزيرة العربية وخارجها خلال العصر الإسلامي المبكــر، والوسيط، والحديث حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) مــن الأحــداث التاريخية التــي أشــارت إليها بعض المصــادر المكتوبــة، والقصص والروايــات والأشعــار الشفهيــة، لكــن تلك الهجــرات كانــت متفاوتــة في أوقاتها، وأعدادهــا، وأسبابها، وظروفها. ثم إنَّ الحيــاة السياسية والأمنية السائدة في تلك العصــور كانت ضعيفة، والفوضــى والفقر والجوع والأمراضــ والصراعات القبلية وصعوبــة الحياة كانت جميعها مــن العوامل السلبية التي أثرت على الناس في حلهم وترحالهم، وفي هجرتهم وإقامتهم. وبعد أن دخلت أرض السراة وتهامة تحت حكم ابن سعود من عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، بدأ فجر جديد، وحكم حديث يعمل ويجتهد على حل مشاكل البلاد والعباد، وتوفير حياة آمنة ومستقرة لجميع شرائح المجتمع.

٣- ظهــر الملك عبدالعزيز آل سعــود فجمع شتات البلاد، ثم أنشــأ مؤسسات حكومية وأهليــة تنشر العدل، والأمن، والاستقرار بين الناس. وبذل مع رجاله ما في وسعهم لتطوير الأرض والإنســان، وفتح مجالات حضارية متعددة تقوم على جهود ونشاط المواطنــين السعوديــين، الذين يعملــون لخدمة أنفسهــم ووطنهم الكبــير (المملكة العربيــة السعودية)، واطلعت على آلاف الوثائق والخطابات التي صدرت في عصر الملك عبدالعزيــز (يرحمه الله)، فكانت تدعو إلى الوحدة، ونبذ الفرقة، ومحاربة التعصــب والعنصرية المقيتة، والاجتهاد في تطبيق شرع الله القائم على كتاب الله وسنــة رسوله (ﷺ). في إطــار هذه السياســة الراشدة توحدت البــلاد وأصبحت الأنظمــة والقوانــين الرسميــة تُطبــق وتُمارســ مــن خــلال المؤسســات الحكومية الرسميــة. وفي الوقت نفسه بدأت خيرات الله مــن النفط وغيره تفيض في البلاد، وبالتالي تطورت وتحسنت حياة الأفراد، والأسر، وعموم المجتمع السعودي. ولم تعد بلاد السروات وتهامة ببواديها، وقراها، وعشائرها، وقبائلها منعزلة أو متقوقعة أو متصارعة متحاربة كما كانت في العهود السابقة.

٤- كان السرويون والتهاميون قبل الحكم السعودي الحديث يسافرون ويهاجرون في بلدانهم من ناحية إلى أخرى لظروف اجتماعية، أو اقتصادية، أو حربية وأمنية، وغيرها. ومنهم من خرج إلى مناطق الحجاز أو اليمن، وسافر بعضهم خارج الجزيرة العربية لأسباب متفاوتة ومختلفة من شخص أو جماعة لأخرى. وكان البحث عن الرزق من أهم الأسباب التي تدفع الأفراد، أو الأسر، أو حتى القبائل للهجرة، وأحياناً يكون هناك أكثر من سبب للتنقل والهجرة داخل البلاد وخارجها. والتقيت بأكثر من راوية في العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م) فذكروا لي أنَّ الكثير من الأفراد في تهامة والسراة تركوا بلادهم وهاجروا إلى أمكنة عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومنهم أعداد ليست قليلة فقدوا حياتهم، ومنهم من ذهب إلى مكة فأقام بها، وبعضهم خرج إلى بلاد الشام، أو مصر، أو بلدان أخرى في قارتي آسيا وإفريقيا. وجمعت عشرات القصص من أولئك الرواة، ومعظم معلوماتهم عن حياة الناس في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبإذن الله تعالى سوف أراجع هذ الروايات وأخرجها في عمل مستقل.

٥- أما الهجرة في عهد الدولة السعودية الحديثة، فقد تغيرت أمور كثيرة إلى الأحسن، فأصبح هناك حكومة رسمية تسود وتحكم البلاد والعباد، ثم أنشئت قطاعات وميادين حكومية وأهلية كثيرة، وتوفرت الأعمال والوظائف العسكرية والمدنية، وصار المواطن السعودي في تهامة والسراة أو غيرها يسافر من بلاده إلى مواطن أخرى داخل المملكة من أجل الحصول على وظيفة يقتات منها. واطلعت على آلاف الوثائق الرسمية خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي(١٣٤٥-١٣٨٥هـ/١٩٢٦-١٩٦٥م). فوجدت مئات الرجال من العسيريين، والنجرانيين، والجازانيين، والغامديين، والزهرانيين وغيرهم يعملون في عشرات الأقسام والإدارات والمؤسسات الحكومية في بلدن بالسروات وتهامة، وفي مدن وحواضر عديدة بالمناطق الغربية، والشمالية، والوسطى، والشرقية. ووجدت أيضا أعداداً أخرى يعملون في بعض المؤسسات الحكومية السعودية خارج البلاد مثل السفارات السعودية وغيرها. وهجرة أهل السراة وتهامة إلى داخل المملكة وخارجها، وانخراطهم في أعمال كثيرة خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي من الموضوعات التي مازالت جديدة وتستحق الاهتمام، آمل أن نرى مؤرخين جادين يدرسون هذا المجال دراسة علمية جديدة ورصينة.

٦- اتسعـت قاعدة البناء والتطـور في البلاد السعودية، وأنشئـت الكثير من المدارس، والمعاهـد، والكليـات، والجامعـات، والإدارات، والـوزارات، والمؤسسات الحكومية والأهليـة، والمدنيـة والعسكريـة. وبالتالي صـار الإنسان السعودي الـذي يعيش في جـازان، أو نجران، أو أبها، أو بيشـة، أو الطائف يتنقل ويسافر ويعمل في أي مكان يريده في شمال المملكة، أو غربها، أو شرقها. والوضع نفسه يجري على أي سعودي (ذكـر أو أنثـى) في أي ناحية من أرضـ المملكة، بل تطور الإنسـان السعودي حتى أصبـح يسافـر إلى أي مكان في العالم للدراسة، أو العـلاج، أو السياحة، أو العمل، أو التجـارة وغيرهـا. وبذلـت الدولة جهودًا كبـيرة جدًا في تنمية البـلاد سياسيًّا، وعسكريًّـا، وعمرانيًّا، وصحيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وتعليميًّا وإعلاميًّا وثقافيًّا. وتطـورت ميادين المواصلات (البرية، والجويـة، والبحرية)، والاتصالات، وكذلك الاتصال والعلاقات مع بلدان العالم العربي والإسلامي والأجنبي.

٧- عاصـرت، وقـرأت، وسافـرت داخليًّـا وخارجيًّـا خـلال الستـين عامًـا الأخـيرة (١٣٨٥-١٤٤٥هـ/١٩٦٥-٢٠٢٤م)، وشاهدت حياة الهجـرة التي كانت عند أهل تهامـة والسراة حتـى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) قـد تبدلت تمامًا، حيث كانت في السابـق صعبـة وشاقـة؛ لأنَّ ظروف الحيـاة قاسية في شتى الجوانـب، أما من ستينيات القرن نفسه إلى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م) فالسرويون والتهاميون سافروا وهاجروا وتنقلوا في بلادهم وغيرها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وفي الوقـت نفسه، تجدهم يترقون ويتطورون وتتحسن جميع أحوالهم المادية والمعنوية، والنفسيـة والجسدية، والسياسية، والأمنية، وفي جميع مجالات الحياة الحضارية. بـل أصبحت الأسفار، أو الهجرة أو الانتقال من مـكان لآخر تُعد من باب السياحة والترفيه والاستمتاع.

٨- إنني أسافر من بلادي في منطقة عسير من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى كل مدن وحواضر السراة وتهامة، وإلى جدة، ومكة المكرمة، والطائف، والمدينة المنورة، والرياض، والدمام، والظهران، والخبر، وبقيق، ورأس تنورة، والأحساء وغيرها وفي كل مـرة ألتقي بالعشرات وأحيانًا بالمئات مـن السرويين والتهاميين الذين يعيشون ويعملـون في هـذه البلدان، بل بعضهم ولدوا هناك، وآباؤهـم أو أجدادهم هاجروا من جنوب المملكة إلى تلك المدن والحواضر من ستينيات أو سبعينيات أو ثمانينيات القـرن الهجـري الماضـي. وإذا زرت بعض المدارسـ، أو الجامعـات، أو المؤسسات الحكوميـة والأهلية، أو الشركات والبنوك، والورشـ، والأسواق، والمصانع وغيرها

وجدت التهاميين والسرويين يعملون في هذه الميادين الحضارية. وخلال العشر سنوات الأخيرة (١٤٣٥-١٤٤٥هـ/٢٠١٤-٢٠٢٤م) اجتهدت في جمع إحصائيات عن الطالبات والطلاب السرويين والتهاميين الذين يدرسون في مدارس المناطق الغربية، والوسطى، والشرقية فوجدت أعدادهم عالية جدًا وتقدر بمئات الآلاف. ومثل هذا الموضوع يكتب عنه مئات البحوث والكتب والدراسات العلمية.

٩- لم أزر حتى الآن مناطق القصيم، والجوف، وحائل ، وتبوك، لكنني التقيت بالكثير من سكان تلك البلاد من مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، وتجولت أيضًا في أرجاء تهامة والسراة وعرفت وسمعت أن هناك أعدادًا كثيرة من مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة يعملون ويعيشون في تلك الأوطان السعودية الشمالية والشمالية الغربية. وهاجر بعضهم إلى تلك البلدان من نهاية القرن الهجري الماضي، واشتغلوا في مؤسسات حكومية وأهلية كثيرة لفترات طويلة، ومنهم من عادوا إلى بلادهم في جنوب المملكة، وآخرون فضلوا الإقامة في تلك النواحي بشكل دائم.

١٠- إنَّ الحديث عن خروج أو هجرة السرويين والتهاميين من بلادهم الرئيسية إلى مناطق ومدن وحواضر وأرياف عديدة في المملكة العربية السعودية، من بداية عهد هذه الدولة الحديثة إلى الآن(١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م) موضوع لم يبحث إطلاقًا، وهو مجال كبير يكتب عنه عشرات الكتب والرسائل الجامعية، ومن يتخصص في هذا الميدان، ويدرس أيضًا صلات مناطق المملكة مع بلدان ومناطق تهامة والسراة خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٤- ١٤٤٥هـ/١٩٢٥- ٢٠٢٤م). فسوف يكتب لنا تاريخًا وحضارة حديثة ومعاصرة جديدة ، وغير موثقة في أي عمل علمي جاد، مع أن المصادر المكتوبة والمروية والمصورة متوفرة في أمكنة كثيرة، وليس هناك صعوبة لدراسة وتوثيق وتحليل ورصد مثل هذا التاريخ الحديث والمعاصر، وهذا العمل من واجبات الكليات، والأقسام الجامعية، وكذلك الباحثات والباحثين، والمؤرخات والمؤرخين في جنوب البلاد السعودية على وجه الخصوص، ثم بقية المؤسسة العلمية والأكاديمية في المملكة العربية السعودية بشكل عام.

١١- إنَّ للتهاميين والسرويين تاريخ كبير من حيث التأثير أو التأثر في الأوطان والبلدان والمدن والمناطق التي هاجروا إليها، وفي الفقرات الآتية أوثق لمحات من هذا الحراك الحضاري خلال المئة سنة الأخيرة، وأوجز ذلك في نقاط عديدة:

أ- في أثنـاء نشـأة وتوحيـد البلاد السعوديـة الحديثة كان هناك صـلات بين الملك عبدالعزيـز آل سعـود وبعض الأعيان والشيوخ في السـروات وتهامة، ومن خلالها جـرى التعاون بـين الطرفين، وامتد نفـوذ الإمام عبدالعزيـز إلى مناطق عسير، والباحة، وجازان، ونجران. وكان في البداية بعض الصراعات والمقاومة من بعض القبائل، وفي النهاية صارت عموم الديار التهامية والسروية جزء من كيان المملكة العربيـة السعوديـة، وبالتالي التحق الكثـير من السرويـين والتهاميين بالوظائف الأمنية والعسكريـة. وتدرجوا وتزايدوا في هذه الميادين خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) حتى صاروا يشكلون أعدادًا كثـيرة في وزارات الدفـاع، والداخلية، والحرس الوطني. وصـار منهم أصحاب رتـب عالية، وقـادة ومسؤولـين كبارًا في أرجـاء البـلاد. وإذا نظرنـا إلى أعداد الطلاب التهاميين والسرويـين في الكليات العسكرية الدفاعية (البرية، والجوية، والبحريـة) والأمنية في الرياض، وجدة، والمنطقـة الشرقية من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنـا الحاضر، فإن أعدادهم عالية جـدًا في هذه المؤسسات التعليميـة، وعند تخرجهـم يتم توزيعهم في أنحـاء الوطن، وكانـوا ومازالوا لهم تاريخ وتراث وتأثيرات عامة وخاصة، رسمية وأهلية، فردية ومجتمعية.

ب ـ بعـد تأسيـس الحكومـة للمديريـات (الإدارات) الرسمية في مكـة المكرمة في الأربعينيـات والخمسينيات والستينيات من القرن الهجـري الماضي، وأنشئت ثـم تطورت الأجهزة الإداريـة والمالية حتى أصبحت وزارات عامة تشرف على حيـاة الناس عمليًّـا ووظيفيًا، وقد نشطـت هجرة الكثير من الرجـال بحثًا عن وظائـف في هـذه المؤسسـات الحكومية تحت مظلـة الدولة العصريـة (المملكة العربيـة السعوديـة). ونجد النصف الثاني من القـرن الماضي كان يعج بأسفار السرويين والتهاميين الذين تركوا بلادهم والتحقوا بالكثير من الوظائف المدنية في مناطق جنوب المملكة أو غيرها من المناطق السعودية. وشاهدت في تسعينيات القرن الماضي هجرة الكثير من الرجال الشباب في منطقة عسير وما حولها إلى المـدن السعودية الكبيرة في المناطق الوسطـى، والغربية، والشمالية، والشرقية، وتوظفـوا في مئـات الإدارات والأقسام المدنيـة. وكان منهم الكثـير من الأفراد الذيـن التحقوا بمحطة سكـة الحديد، وشركة ارامكو في الدمـام والظهران ثم تدرجـوا في أعمالهـم حتى صاروا مـن المسؤولـين الكبار والرئيسـين في هذين القطاعـين. وإن درسنـا إحصائيـة موظفـي الـوزارات المدنيـة والخدماتية في

الرياض وجدنًا أعداد أهل تهامة والسراة كثيرة جدًا في مقر الوزارات نفسها، أو في فروعها وإداراتها وأقسامهم المنتشرة في أنحاء المملكة العربية السعودية. ومع التطور الإداري والمالي والتنموي خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، حدث لسكان المملكة العربية السعودية، بما فيهم السرويين والتهاميين تنقلات وأسفار وهجرات واسعة بحثًا عن طلب الرزق، وتطوير النفس وظيفيًا، وماليًا، وعمليًا.

ج ـ إنَّ الجانب العلمي والتعليمي ذو أثر وتأثير كبير على حياة الناس، وقد وصل التعليم النظامي الحديث إلى جنوب المملكة العربية السعودية في وقت مبكر، وبدأ الناس (ذكورًا وإناثًا) يتعلمونويترقون في سلم العلم والمعرفة. وبعد الانتهاء من مراحل تعليمهم العام بدأوا الهجرة من بلادهم بحثًا عن الوظيفة، وكانت هجرتهم في القرن الهجري الماضي إلى مناطق الرياض، والشرقية، والغربية لتوفر المجالات والفرصة أمامهم. ومنهم من توظف في قطاعات مدينة أو عسكرية، وشريحة أخرى فضلوا الدراسة الجامعية أو الالتحاق ببعض الكليات والمعاهد العسكرية، وعند تخرج الجميع توظفوا في إدارات ومجالات حكومية وأهلية عديدة بعضها في الحواضر والمدن الرئيسية.ومنهم أعدادٌ كثيرة جدًا التحقوا بالوظائف التعليمية في المدارس الحكومية، وهناك نسبة قليلة سافروا إلى خارج المملكة لاستكمال دراساتهم العلمية العالية، وعند عودتهم عملوا في الإدارات والوزارات والجامعات الكبيرة. وجرى خلال هذا القرن تطورٌ هائلٌ في قطاع التعليم العام والعالي، وكان لأهل الجنوب السعودي (عسير، والباحة، وجازان، ونجران) بصماتهم وجهودهم الإيجابية الكبيرة داخل مناطقهم الرئيسية، وفي مناطق المملكة الأخرى. بل منهم من له تأثيرات وأنشطة وأعمال جليلة في بعض مؤسسات الدولة الخارجية السياسية، والدبلوماسية، والعسكرية، والأمنية، والإدارية، والمالية، والتعليمية.

د ـ نتج عن بدايات ثم تطور المجال العلمي والتعليمي في المملكة بروز الكثير من بنات وأبناء أهل تهامة والسراة في المجالات الثقافية، والإعلامية، والرياضية، والتقنية، والصحية والطبية. وهذه الميادين كانت قليلة ومحدودة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن بعد نشأة المدارس ومؤسسات التعليم العام، ثم ظهور الجامعات وتكاثرها في البلاد من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م) حدث تقدم وازدهار في هذه القطاعات، وعادت آثارها التنموية الجيدة على البلاد والعباد. وإذا حصرنا حديثنا على

السرويـين والتهاميين الذين ساهموا وتألقوا في هذه المجالات داخل مناطقهم ومدنهـم وقراهم وأريافهم، أو الذين استقروا في مواطن عديدة داخل المملكة وأحيانًـا خارجها فسنجـد أعدادهم في مئـات الآلاف (ذكـورًا وإناثًا)، وهذا الموضوع حسب علمي غير موثق في كتب أو بحوث علمية عميقة ورصينة.

هـ - أمـا الحيـاة الاقتصادية وبخاصـة المجال التجـاري، والزراعـي، والصناعي والحرفي. فكل هذه الجوانب كانت محدودة وضيقة النطاق خلال القرن الهجري الماضـي، ثم بدأت في التطور والتوسـع في أثناء هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢٥م)، والسعوديـون جميعهم عاشوا هذه التحولات الحضاريـة الكبيرة. ونجد بعض الأفـراد السرويـين والتهاميين تركـوا أوطانهم في النصف الثـاني من القرن الماضـي، وذهبـوا إلى المـدن الكبـيرة في المملكـة وعملوا في مجـالات تجارية عديدة، وتطور بعضهم وبرزوا حتى صاروا من كبار التجار في المملكة، ومازال بعضهم أو أبناؤهم يزاولـون تجاراتهم الواسعة داخل المملكة وخارجها، ونرى خلال هذا القـرن (١٤١٠ـ١٤٤٦هـ/ ١٩٩٠ـ٢٠٢٥م) اتسـاع المجال التجاري والصنـاعـي، وتبذل الدولة جهـودًا كبيرة في دعم وتشجيـع هذين القطاعين. ومن خلال المعاصرة والسير في مناكب البلاد رأيت آلاف التهاميين والسرويين (ذكـورًا وإناثًـا) يعملـون في المجالين التجـاري والصناعي داخـل مناطقهم، وفي حواضـر ومدن أخـرى كثيرة في المملكـة العربية السعوديـة، ومنهم تجار أصحـاب أموال كثـيرة، وليسوا قليـلًا، أما الأعداد الكبـيرة فهم موظفون في قطاعـات خاصة (شركات، ومؤسسـات، وإدارات، وأقسام وغيرها)، وما من شـك أنَّ هذا الجانب الحضاري له سلبياته وإيجابياته، وأهل السروات وتهامة جـزء صغير من المجتمـع السعودي الكبير الـذي يشتمل علـى آلاف الأسواق، والمصانـع، والتجارات المتعـددة في أهدافها، وأنواعهـا، ومجالاتها، وكوادرها البشرية الفنية والتقنية والحرفية، وفي رؤوس أموالها، أو أوضاعها الجغرافية والسكانية وغير ذلك.

و- إنَّ الحيـاة الاجتماعيـة من أوسع الأبـواب التي حدث فيهـا تداخل وتأثيرات. فأهـل السراة وتهامة لهم تاريخ اجتماعـي متنوع ومتشعب من تركيبة السكان المجتمعيـة والأسرية، إلى عادات وتقاليد في البناء والعمارة، واللباس والزينة، والطعام والشراب، والفنون الشعبية والألعاب الرياضية، والصلات بين أفراد الأسرة، أو القرية، أو القبيلة، وأحوال المرأة وعلاقاتها بمجتمعها ودورها فيه،

وتقاليـد النـاس في الزواج، والأعيـاد، والمناسبات الاجتماعية المختلفة. وجميع الذين هاجروا من أوطانهم إلى أمكنة أخرى حملوا معهم تاريخهم الاجتماعي، وبقوا علـى تواصل مع أهلهم وبني جلدتهم في ديارهـم، وكذلك يتواصلون مع قومهـم الذين من قبائلهم، أو مدنهم، أو قراهم، أو بواديهم وأريافهم في مقر إقامتهـم الجديدة. وزرت مـدن الرياض، والدمام، ورأس تنورة، والطائف، ومكـة المكرمـة، وجـدة، والمدينـة المنـورة في التسعينيات من القـرن الهجري الماضـي، وحضرت مناسبـات اجتماعية عديدة، ورأيـت كل فئة من السرويين والتهاميين في أماكـن سكنهم واجتماعاتهم في لقاءات واتصالات مستمرة مع رفقائهـم الذين مـن جماعتهـم أو قبيلتهم أو من مناطق جنـوب المملكة، وفي الوقت نفسه يلتقون بغيرهم من شرائح المجتمع السعودي في المساجد، وأماكن العمـل. وشاهدت أنَّ التواصل مـع شرائح المجتمع والقبائل البعيدة كانت قليلة ومحـدودة حتـى نهاية القـرن الماضـي في عموم السـراة وتهامـة، وفي أرجاء الوطـن. ومع مطلـع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) بدأت الاتصـالات الاجتماعية تزيـد وتتوسع في الصداقات، والمقابلات، والمصاهرة حتى وصلت درجة جيدة جـدًا في بلدان جنوب المملكة خصوصًا، ومناطق المملكة عمومًا. وهنـاك عوامل كثـيرة ساعدت في هـذا الانفتاح والتوسع الاجتماعي الحضـاري، ومنها تطور التعليم العام والعالي وانتشاره في كل مكان، وكذلك المناشط والوسائل الثقافية والإعلامية كالراديو، والتلفاز، والجرائـد والمجلات، والندوات والمحاضرات، وخطب الجمعة. وأيضًا سهولة المواصلات وتطورها، ووسائل الاتصال والتقنية الحديثـة (الإنترنت) وما نتج عن ذلك من تأثير وتأثر في أرجاء الكرة الأرضية. وكل هـذه المؤثرات وغيرها من تطورات مادية ومعنوية أثرت على الفرد والأسرة التهامية والسروية التي تعيش في أي ناحية من مناطق المملكة من حيث الاحتكاك أو التواصـل أو الترابـط، فلم تعد متقوقعـة على نفسها؛ بـل تواصلت مع غيرها من الجـيران في الحي الواحد، أو في مناسبات الأفراح أو الأتراح، وحدث الكثير مـن التأثيرات في اللهجات وتقليد بعض الأعراف والعادات. وأذكر في تسعينيات القرن الماضي أنني زرت بعض الأقارب في الرياض والدمام وكان لهم جيران من قبائل ومناطق أخرى في المملكة، وأحيانًا يتواصلون مع بعضهم لكن بشكل محدود جدًا. ثم زرت أقارب آخرين وبعض أفراد قبائلنا في المدينة المنورة، وجدة، ومكة المكرمـة، والخرج خلال الثلاثينيات من القـرن الحالي فوجدت الصلات بينهم وبـين الكثير من جيرانهم أقوى وأكثر تقاربًـا وتداخلًا حتى أنك ترى الشمري أو

العنزي أو العطوي قد تزوج امرأة عسيرية، أو شهرانية، أو قحطانية، أو نجرانية، أو جازانية، والعكس أيضًا حدث. ومثل هذا التقارب من النادر أن نجده في مطلع هذا القرن، أو القرن الماضي. ومن يدرس تاريخ التأثير والتأثر بين الناس في بلاد السراة وتهامة، أو بين التهاميين والسرويين وغيرهم في مناطق أخرى من المملكة خلال مئة عام (١٣٤٤-١٤٤٥هـ/ ١٩٢٥-٢٠٢٤م) فإنه سوف يجد الكثير من التفصيلات المتباينة، والظروف التي أثرت على الناس أيام الانعزال والتقوقع في الماضي إلى الانفتاح واتساع العلاقات في مجالات حضارية كثيرة خلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٥ـ ١٤٤٥هـ/١٩٩٥ـ ٢٠٢٤م). ومثل هذا المحور جدير أن يدرس ويتم بحثه وتوثيقه من قبل أقسام التاريخ والمؤرخين المتخصصين.

ز ـ إنَّ الحياة المعاصرة تغيرت كثيرًا، فالتقارب والتواصل في كثير من أمور الحياة الاجتماعية، والمعرفية، والاقتصادية، والسياحية، والحضارية وصل إلى جميع شرائح المجتمع السعودي. وأصبح الإنسان الذي يخرج من أي ناحية في تهامة والسراة لا يهاجر ويعاني صعوبات الحياة التي عاصرها الآباء والأجداد، بل أصبح السفر من مكان إلى آخر داخل البلاد أو خارجها يعتبر من السياحة والترويح والترفيه. ونجد في رؤية (٢٠٣٠) للمملكة العربية السعودية فتح مجال السياحة لكل الجنسيات والفئات البشرية، بل إن السروي والتهامي، أو السعودي عمومًا يستطيع أن يذهب أو يسافر أو يتواصل مع أي مجال من مجالات الحياة داخل المملكة أو خارجها. ولا وجه للمقارنة بين تاريخ الهجرة أو السفر قديمًا وحديثًا، لكن مثل هذا الموضوع المقارن جدير أن يدرس من المتخصصين ومراكز البحوث العلمية في جامعاتنا المحلية. وصلى اللّٰه وسلم على رسول اللّٰه.



٥- مختصر تاريخ المواصلات في جنوب المملكة العربية السعودية في القرنين (١٤ـ١٥هـ/ ٢٠ـ ٢١م)[(١)]. بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

إذا بحثنا في المصادر الكلاسيكية القديمة، وكتب التراث العربي والإسلامي من القرن الهجري الأول إلى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) نجدها وثقت معلومات كثيرة عن جغرافية شبه الجزيرة العربية، وكان لبلاد اليمين والحجاز وما بينهما نصيب جيد من تلك التوثيقات.

والملاحظ أن بلدان السروات وتهامة الواقعة بين مكة المكرمة والطائف من الشمال، وصعدة وصنعاء والحديدة في الجنوب من أقل الأوطان ذكراً في تلك المصادر القديمة والإسلامية، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان منذ زمن بعيد، وذات موقع استراتيجي مهم، فالبحر الأحمر يحدها من الغرب، وحواضر الحجاز الكبرى من الشمال، وبلاد اليمن من الجنوب، وديار نجد من الشرق. والجميل في العديد من تلك المصادر أنها فصلت الحديث عن الطريق البحري الذي يربط بين شرق العالم وغربه وكيف كان البحر الأحمر حلقة وصل رئيسية في ذلك الطريق العالمي، لكن المؤلفات نفسها لم تذكر لنا شيئاً مفيداً عن موانئ وشواطئ البحر الأحمر الشرقية من جدة والشعيبة إلى الشقيق وجازان.

أما المصادر الإسلامية وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات فذكرت معلومات محدودة عن محطات الطرق البرية التي تربط بين اليمن والحجاز، وتجتاز أمكنة كثيرة في السروات وتهامة، لكنها لا توفر لنا أيضاً صورة واضحة عن طبيعة تلك الدروب ومحطاتها في مناطق الطائف، وغامد وزهران، وعسير، ونجران، وجازان، والقنفذة، والليث وغيرها، ولا عن وسائل النقل والمواصلات، ولا الحياة البشرية الموجودة في هذا البلدان. كذلك الطرق الداخلية في تهامة والسراة، فلا نجد لها ذكراً في تلك المؤلفات القديمة، مع أن الذاهب في مناكب هذه الأوطان يشاهد آثار الكثير من الدروب والمسالك التي كانت تربط بين أجزاء النواحي والقرى والأرياف والبوادي.

جاء القرن (١٣هـ/١٩م)، وتوفرت المصادر الوثائقية العربية والعثمانية والأجنبية، وبعض المذكرات وكتب التاريخ والجغرافيا والرحلات التي أشارت إلى طرق برية عديدة تربط الأجزاء السروية والتهامية، وتخرج إلى اليمن والحجاز، أو تسير إلى نجران، وبلدان نجد، أو تتصل بموانئ البحر الأحمر الشرقية الممتدة من ينبع وجدة إلى الحديدة وعدن .

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢٠٢٥/٣/٢٣م). ونشرت أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١٢١) (٢٩/مارس/٢٠٢٥م) .

مـن يدرس التاريخ السياسي والعسكري للتهاميـين والسرويين خلال القرن الثالث عشـر الهجري، والعقود الأربعة الأولى من القرن(١٤هـ/٢٠م)، ويطلع على الصراعات المحليـة بـين أهل البلاد والقـوى الخارجية مثـل العثمانيين وبعض الحكومـات الغربية الأجنبيـة فإنـه سيجد العديـد من الطرق البريـة الرئيسية التي تخرج مـن الحجاز أو اليمـن وتتصل ببلاد السراة وتهامة، ويتفرع من تلك الدروب طرق أخرى تتصل بالمدن والقرى في تهامة وسراة غامد وزهران، وعسير، وجازان، ونجران. وكانت تلك المسالك تستخـدم من قبل الجيوشـ، والحجاج، والقوافل التجارية، وعامـة النـاس، وخاصتهم. ويوجد عنها مصادر وثائقية غير منشورة لمن رغب دراسة هذا الموضوع.

(*) كان الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود قد ظهر في نجـد، وبدأت خارطـة شبه الجزيرة العربية تتغير، ولا مجـال للحديث عن التاريخ العسكري والسياسـي الذي عرفته جزيرة العرب خـلال العقود الوسطـى من القرن الهجـري الماضي (١٣٣٠-١٣٧٠هـ/١٩١١ـ-١٩٥٠م)، لأن ذلك مشـروحاً في مئات الدراسـات، والذي أسعى إلى توثيقه خلال العصر الحديث والمعاصر لمحات من تاريخ المواصلات في البلدان السـعودية الممتد مـن جنوبي الطائف ومكة المكرمـة إلى منطقتي جازان ونجران، وأذكر ذلك في محاور عديدة، على النحو الآتي:

١- خـرج العثمانيون مـن السـروات وتهامة، ودخلت عمـوم البلاد تحت حكـم الإمام عبدالعزيـز بن عبدالرحمن آل سعود، وبقيت الطرق البرية التهامية مع جدة ومكة المكرمـة مسلوكـة، لكن الطريق السرويـة من نجران إلى الطائـف أصبحت أنشط الـدروب لكثرة مـن يسلكها من جيوشـ ابن سعـود، والمسافرين الذيـن يأتون إلى مناطـق ومـدن وقرى السـروات، أو يخرجون منها نحو بيشة ورنيـة ثم الرياض، أو الطائف والمدن المقدسة في الحجاز. وكانت عموم وسائل النقل الـدواب والمشي على الأقـدام، مع أن السيارات ظهـرت في الحجاز ونجد، وبدأت تصل في الخمسينيات إلى رنيـة وبيشة، وبعض المـدن التهاميـة والسرويـة القريبة مـن الطائف ومكـة المكرمـة، وكانـت صعـوبة الطرق ووعورتهـا أكبر العقبات التـي واجهت استخدام السيـارات. وقرأت وسمعت من بعض الرواة قصصاً عديـدة تذكر صعوبة المسالك الداخليـة في أرجـاء السـروات وتهامـة، وبخاصـة الطرق(العقبـات) التي تصل بـين أعالي السروات والأجـزاء التهامية، أو المتجه من قمم السـروات نحو البلدان الشرقية، وأهل البلاد غالباً من يقوم على فتحها وتعميرها بوسائل بدائية وبسيطة.

٢- مــن إيجابيات الدولة السعودية الحديثــة خدمة الأرض والإنسان في شتى المجالات، ورأت أن شــق الطــرق البرية من الضروريــات الأولية للسير بالتنميــة الحديثة إلى الأمام، لــذا بدأت خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي على ربط المدن الرئيسية في المملكة بالبلدان النائية. وكانت مناطق ومدن وحواضر السروات وتهامة في مقدمة الأوطان التي وصلت إليها الطرق البرية المعبدة. وأول تلك الدروب الطريق التهامــي الذي يخرج من جدة ومكة المكرمة إلى مــدن السهول والسواحل الجنوبية السعوديــة (الليــث، والقنفذة، ومحايــل عسير، والدرب، وبيشــ، وصبيا، وجازان، حتــى الطوال على الحدود اليمنيــة) . والطريق السروي من مكة المكرمة أو الرياض إلى الطائــف ثــم السير نحو بيشــة، أو الامتداد على أعالي الســروات حتى الباحة، وبلجرشي، والنماص، وأبها، ويواصل إلى بلاد قحطان ونجران. وكان هناك طريق قديم يخــرج من الرياض إلى بلاد قحطان ونجران، ثم أنشئت مؤخراً طرق أفضل وأحدث من الرياض إلى بيشة، وسروات عسير، ونجران.

٣- أنشأت الدولة مؤسسات حكومية متخصصة في رسم الطرق البرية وفتحها، ووزارتي المواصــلات، والبلديــات بذلت جهوداً كبيرة خــلال الستين عامــاً الأخيرة (١٣٨٤- ١٤٤٤هــ/ ١٩٦٤- ٢٠٢٣م) بخصوص الطــرق الرئيسية التي تربط أجــزاء تهامة والســراة مع بعضها، أو الاتصــال بالمناطق والمدن والمحافظــات الأخرى في المملكة العربيــة السعودية. وشاركت إدارات البلديات في رســم الطرق داخل القرى والمدن والأريــاف، ولوزارة الزراعة إسهامات جيــدة في التشارك مع المؤسسات الأخرى في فتــح طرق زراعية في طول البــلاد وعرضها. وشاهدت خلال العقود الستة الأخيرة رحلة تطوير الطرق البرية في جنوب المملكة العربية السعودية، وقد كانت تسير إلى الأمام ببطء خلال ثمانينيات القرن الماضي، وفي التسعينيات زادت وتيرة الاهتمام والتوســع، ولم يــأت العقــد الثاني من هــذا القرن (١٥هــ/ ٢٠م) إلا جميــع أجزاء المناطق الجنوبية مرتبطة بالكثير من الطرق التهامية والسروية. وفي العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥-١٤٤٦هـ / ٢٠٠٤ - ٢٠٢٥م) قفزت النهضة الحديثة قفزات جيدة، ونالــت الطرق البرية نسبة كبيرة من خطط الدولة المادية والمعنوية، وأصبحنا نرى في الوقــت الحاضر شبكة طــرق متطورة في الأعداد، والجــودة، والخدمات الفنية، والصحية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياحية، والإدارية، وغيرها.

٤- من يسافر في أرجاء تهامــة والسروات حالياً، يرى مئات الطرق الطويلة والمتوسطة العملاقــة، بعضها طرق مزدوجة، وأخرى فردية، وجميعها مسفلتة، ومزودة بكل ما يحتاجــه المسافر من محطات وقود، وأماكــن استراحة، ولوحات إرشادية، وكمرات

مراقبـة وغيرهـا، والأهـم في ذلك الأمن السائـد في كل مكان، وتـرى رجال الأمن بجميـع أصنافهم وإدارتهم على مقربة ممن يستعين بهم، أو يطلب نجدتهم. ولفت نظـري أمور عديدة أثناء ارتحالي في الأوطان، ومنها بعض الأنفاق والجسور التي توجـد في الطـرق الطويلة، مثل: طريـق نجران، خميس مشيط، أبهـا، النماص، الباحـة ثم الطائـف. أو الطرق (العقبات) التي تربط بـين السروات وتهامة، مثل: عقبـات الطائـف، ومناطـق الباحـة، وعسير، وجـازان، فقـد أنفقـت الدولة على هذه الـدروب آلاف المليـارات. ومن يتوقف مع بعض هـذه العقبات المهمة والكبيرة، كعقبة المخـواة، وعقبة شعار، وعقبة ضلع وغيرهـا فسيرى مشاريع ضخمة، ناهيك عن الضغط البشري الذي يسير من خلالها. وشاهدت بعض الطرق في المحافظات الغربيـة أو الشرقية من جبال السروات، وفيها الكثير من الجسور والأنفاق الكبيرة والطويلـة، وهذه الخدمات لم تحدث إلا بعمل وهمة عالية من الدولة وصناع القرار في العاصمة الرياض، وفي حواضر السروات وتهامة الرئيسية.

٥- حضـرت بعض الندوات واللقاءات الرسمية والأهلية خـلال العشر سنوات الأخيرة (١٤٣٥ـ١٤٤٥هـ/ ٢٠١٤ـــ٢٠٢٤م)، وقـرأت في بعض وسائل الأعـلام والتواصل الرقمـي، وسمعـت من بعض أمراء مناطـق جنوب المملكـة، وعدد مـن المسؤولين في إدارات المواصـلات والبلديـات بـأن هنـاك مشاريـع عمرانيـة قادمـة لها صلة مباشـرة بالمواصـلات، ومنهـا طرقٍ برية جديـدة، أو تحسينات وتطويـرات أفضل للعقبـات والطـرق الموجودة حاليـاً. وزرت بعضـ الإدارات المعنيـة في أبها وجازان ونجـران، وطلبـت منهـم تزويـدي بمعلومـات وخرائـط ومخططـات تخدمني في إصدار دراسات علمية موثقة ، لكنهـم للأسف لم يتجاوبوا معي، فمنهم من اعتذر بشكل صريح، وآخـرون قالوا: نحتاج وقتا للبحث عنهـا وتجميعها، ومازلت أنتظر إلى تاريخ تدوين هذه السطور.

٦- وجـود البحـر الأحمر على الجانب الغربـي لبلاد السروات وتهامـة، من المؤهلات الأساسية لاستخدام البحر وركوبه. وهذا البحـر طريق مائي رئيسي يربط بين شرق العـالم وغربه، وبين الشعـوب التي على ضفتيه الشرقيـة والغربية. ويوجد عشرات الدراسـات العربيـة والأجنبية التـي أرخت لهذا الممـر المائي، وأهميتـه السياسية والحضاريـة. وفي العصر الحديث نجـد العديد من البحـوث والوثائق التي ذكرت وصول بعضـ أساطيل الدول الأجنبية إلى شواطئه الشرقيـة، واتصالاتهم السلبية والإيجابيـة مـع التهاميـين والسرويين مـن صنعـاء والحديدة وعـدن إلى الطائف

والقنفذة وجدة وينبع وغيرها. والبعض من أهل البلاد ركبوا البحر وذهبوا إلى بلدان أخرى عديدة في قارات إفريقيا، وآسيا، وأوربا. وكان للدولة العثمانية وغيرها من الدول الأوربية اتصالات سياسية وحربية وحضارية مع البحر الأحمر خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وعن طريقه نقلت الكثير من الجنود والمعدات العسكرية العثمانية ذهاباً وإياباً بين بلدان السروات وتهامة، وجدة، ومصر، أو الأستانة. أو من كان يفد من تلك البلاد إلى موانئ البحر الأحمر الشرقية. وأشارت مصادر أخرى إلى النشاط التجاري في البحر الأحمر، وجلب السلع الخارجية إلى بلدان السروات وتهامة، ومن هذه البلاد تُصَدّر أنواعاً من المواشي والحبوب. وبعض اليمنيين يخرجون من بلادهم (سراة وتهامة) ويركبون البحر الى الحجاز، أو بلدان أخرى خارج شبه الجزيرة العربية. والكثير من تجار وحجاج جنوب وشرق آسيا يصلون إلى عدن، ثم يواصلون رحلتهم في البحر إلى الحجاز، ومنهم من ينزل إلى البر ويسافرون على الساحل والسهول حتى يصلوا إلى مكة المكرمة. وازدهرت بعض موانئ البحر الأحمر الشرقية مثل: القنفذة، والشقيق، وجازان وغيرها خلال النصف الأول من القرن(١٤هـ /١٩-٢٠م)، عندما كانت ترتادها الأساطيل العسكرية الإسلامية والأجنبية، ورحلات الحج والتجارة التي تصل إليها من إفريقيا وجنوب وشرق آسيا. ولا أجد معلومات واضحة عن دور التهاميين والسرويين في تلك الموانئ. ومن يزور مدينة القنفذة في وقتنا الحاضر، ويدرس تركيبتها السكانية يجد فيها الكثير من الأسر التجارية الحضرمية وغيرها التي جاءت إليها واستقرت فيها خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة (ق١٢-ق١٤هـ/ ق١٨-ق٢٠م)، وهذا مما يؤكد أن أهل السواحل الشرقية في البحر الأحمر كانوا فاعلين في ركوب البحر لأغراض عديدة. وعندما أصبحت السروات وتهامة جزء من كيان المملكة العربية السعودية، تراجعت القنفذة سياسيًّا وعسكريًّا عما كانت عليه في عهد النفوذ العثماني. وبقي ميناء الشقيق نشطاً في عصر الأدارسة، لكن بعد ضم منطقة جازان وعموم الساحل من جدة إلى جازان بقيت الموانئ تمارس بعض النشاطات المحدودة، وكان بعض الحجاج اليمنيين والأفارقة والهنود وغيرهم يركبون البحر حتى القنفذة والليث، ثم صارت جدة هي الميناء الأكبر والرئيسي للحجاز. ونجد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود يركب البحر عندما زار ساحل البحر الأحمر، ونزل في بعض الموانئ من القنفذة إلى جازان. ومع التطور الحضاري الذي عاصرته المملكة من نهاية القرن الماضي إلى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، تطورت المدن الساحلية من جدة إلى جازان، وتم تطوير ميناء جازان حتى أصبح من الموانئ

الرئيسية في المملكة العربية السعودية التي تُصدر إليه الكثير من البضائع الداخلية والخارجيـة، وصار في مدن منطقة جازان الساحليـة العديد من المصافي والمصانع البترولية والكيميائية وغيرها مـن الأنشطة الاقتصادية والسياحية والبحرية. وقد زرت معظم مدن الساحل من جدة إلى جازان والطوال خلال العشرين سنة الأخيرة، ورأيـت في معظمها شركات ومؤسسـات وأفراد يمارسون مهـن الصيد أو السياحة وغيرها . ويوجد في البحر عشرات الجزر، وأكبرها جزر فرسان في منطقة جازان، وهنـاك طرق بحرية تربط بين اليابس وتلك الجـزر، وجميعها غير مسكونة ماعدا محافظة فرسان التي يوجد فيها آلاف السكان، وفيها الكثير من الخدمات الحديثة ومازالوا يطالبون بخدمات أخرى عديدة.

٧- لم تُعرف بلاد السروات وتهامة أي خطوط جوية، أو وسائل طيران قبل عصر الملك عبدالعزيز بـن عبدالرحمن الفيصل، وأثناء ضم منطقـة عسير، ثم الحجاز، وما تلاهـا من بلاد تهامـة والسراة. بدأت عجلة التنميـة الحديثة من حواضر الحجاز وبخاصة مكة المكرمة، وتذكر بعض الوثائق أن هناك طيران حربي أجنبي كان يصل إلى بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، لكن لم يكن هنـاك طيران مدني، وبعد توحيد البلاد وإعلان اسم (المملكة العربية السعوديـة)، توفـر طيران محـدود ومتواضـع ينقل الملـك وحاشيتـه وبعض رجال الدولـة من الرياضـ إلى الحجاز، وأول طائرة ملكية وصلـت إلى الطائف كانت في بدايـة الخمسينيات من القرن الماضـي. وأنشئ أول مطار بمدينة الطائف في وسط المدينة بحي معشي، ثم تأسس مطار الطائف الحالي في منطقة الحوية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، وجرى له العديد من مراحل التطوير حتى أصبح من مطارات المملكـة الدولية عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٤م)، ومـازال تحت العناية والتطوير حتـى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م) . وكانـت بيشـة المحطة الثانية للطـيران السعودي الحديث، فقد وصلت بعض الطيارات الصغيرة إلى بلدة بيشة في بداية السبعينيات مـن القـرن (١٤هـ/٢٠م)، وصـار مطار بيشة مـن المطارات المحليـة ومازال يقوم بالعديد من الخدمات الجيدة داخل المملكة العربية السعودية، لكنه يحتاج إلى مزيد مـن التوسعات والتطوير. أما أبها وخميس مشيط فلهـا تاريخ طويل ومتشعب أثناء مرحلـة التوحيدٍ والتأسيس للمملكة العربية السعوديـة. وأولٍ طيران يصل إلى هذه البـلاد كان أيضاً في سبعينيات القـرن الماضي، واتخذ موقعاً شرق مدينة الخميس ليكـون المطـار الأول في المنطقة، وصار المطار العسكـري في حاضرة خميس مشيط يُستخـدم للأعمال العسكرية، والنقل الجوي المدني. وحصلت على تقرير من مدير عـام إدارة الطرق في منطقـة عسير عام (١٤١٥ـ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ـ١٩٩٦م)، ذكر

فيه توثيقات جيدة عن النقل الجوي (الخطوط السعودية) في حاضرة أبها من عام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) إلى منتصف العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وفي نهاية القرن الهجري الماضي بدأ العمل في مطار أبها المدني، وافتتح في عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وبقي المطار الأكبر والأنشط في جنوب البلاد السعودية خلال العقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وبدأت بعض الرحلات الدولية من هذا المطار في منتصف العشرينياتٍ من القرن الحالي، ثم تحول إلى مطار دولي عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ويوجد حالياً مطار دولي أفضل وأكبر وأوسع يجري تخطيطه وعمرانه. وأنشئت في الستين سنة الأخيرة مطارات عديدة في مناطق جنوب المملكة، مثل: (١) مطار شرورة المحلي ثم الإقليمي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م). (٢) مطار نجران المحلي ثم الإقليمي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م). (٣) مطار جازان الإقليمي عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وعرف فيما بعد باسم (مطار الملك عبدالله الإقليمي). (٤) مطار الباحة عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). ومرت جميع المطارات السبعة المذكورة أعلاه بالعديد من المراحل التطويرية الجيدة، ومازالت بحاجة إلى ترقي وتطوير أكثر، نرجو أن يتحقق ذلك في السنوات القريبة القادمة. ومما عرفته وعاصرته وشاهدته على هذه المطارات والنقل الجوي المدني بشكل عام في جنوب البلاد السعودية. أنها بدأت بسيطة ومحدودة من منتصف القرن الماضي، ثم تطورت في الكم والكيف حتى أصبحنا نرى أساطيل جوية تجوب بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . وإن تحدثنا عن الخطط والنفقات المالية، والأجهزة والمعدات المادية، والمقرات الجغرافية، والكوادر البشرية فتلك محاور كبيرة لها تاريخ طويل يستحق أن يوثق في آلاف الصفحات .

٨- نجد مناطق جنوب المملكة العربية السعودية من ثلاثينيات هذا القرن إلى الآن(١٤٣١ـ١٤٤٦هـ/ ٢٠١٠-٢٠٢٥م) تحظى بالكثير من المشاريع الخدماتية العملاقة ، ومنها طرق المواصلات المتفاوتة في الأهمية، والنفقات، والجودة. ومن يطلع على أهداف رؤية المملكة (٢٠٣٠م) ، يجد أن شبكات الطرق البرية، والجوية، والبحرية من المشاريع المهمة والرئيسية في هذه الرؤية. والحكومة السعودية بجميع وزاراتها، وأجهزتها الإدارية والتقنية والفنية والحضارية تدرك أهمية مناطق الجنوب السعودي (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران) وبخاصة في مجالات التطوير والتنمية والسياحة لما تتميز به من مؤهلات جغرافية، وتاريخية، وتراثية، وبشرية، وحضارية. ونجد في استراتيجية تطوير عسير التي تم اعتمادها من وقت قريب أهدافاً وتطلعات مهمة وكبيرة تصب في خدمة بلدان جنوب المملكة، وكذلك اختيار منطقة عسير، وتحديداً حاضرة أبها لتكون واحدة من مدن المملكة العربية

السعودية التـي سيقام فيها بعض مباريات كأس العالم الذي تستضيفه المملكة عام (٢٠٣٤ م)، وهـذا يؤكد على أن المناطق الجنوبيـة السعودية سوف تشهد تطورات تنمويـة كبيرة خلال العشر سنوات القادمة (٢٠٢٤-٢٠٣٤م)، وشبكة الطرق البرية والجويـة مـن أهـم القطاعات التـي سوف تتطـور بشكل كبـير. ونأمـل أن الطرق الحديدية تصل إلى هذا الجزء الغالي قبل عام (٢٠٣٤م) .

٩- **إن عنوان: تاريخ المواصلات في جنوب المملكة العربية السعودية خلال العصر الحديث والمعاصر، مـن الموضـوعات المهمـة والجديـرة، ويسـتحق أن يوثـق في عدد مـن الكتب والبحوث العلمية الجادة والرصينة، وأذكر في الفقرات التالية شيئاً من التوصيات التي لها صلة بهذا الموضوع، وهي على النحو الآتي:**

أ- إن مناطـق جنـوب المملكـة العربيـة السعودية (نجـران، وجـازان، وعسير، والباحـة) (سراة وتهامـة) لها تاريخ كبـير ومتشعب قـديم، وإسلامي مبكر ووسيـط وحديث . والدروب البريـة، وموانئ البحر الأحمـر الشرقية مجالات مهمة لمن يتخصص في دراسة وتوثيق تاريخها عبر أطوار التاريخ، وبخاصة في عصور ما قبل الإسـلام، والعصر الإسلامي (ق١- ق١٢هـ/ ق٧- ق١٨م). ومن يعمـل على هذا المقـترح سيواجه الكثير من الصعوبـات، وأعظمها ندرة المادة العلمية، لكن من ينجز أي شيء في هذا الباب فسوف يطلعنا معاشر الدراسين والباحثين على علوم ومعارف جديدة.

ب- يوجـد آلاف الوثائق العربية والأجنبية غير المنشورة التي تشتمل على معلومات تاريخيـة وحضاريـة عن مناطق تهامـة والسراة خلال القـرن (١٣هـ/١٩م)، والنصف الأول من القـرن (١٤هـ/٢٠م).ولا تخلو هذه المصادر من معلومات قيمـة ومتناثرة عـن طرق المواصـلات البحرية والبرية المتصلـة بهذه البلدان العربية. وحسـب علمي لا يوجد دراسـات علمية مستقلة في هذا الجانب، وآمل أن نرى بعض المؤرخات والمؤرخين المحليين يتخصصون في هذا الميدان.

ج- دخلـت مناطق السـروات وتهامة تحت نفـوذ الدولة السعوديـة الحديثة (المملكة العربية السعودية)، وتغيرت وتطورت حياة الأرض والناس خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٥ - ١٤٤٥هـ/١٩٢٦ - ٢٠٢٤م).وبالتالي فنحن أمام ازدهار كبير وواسع في جميع مناحي الحياة. وطـرق المواصلات البرية، والجوية، والبحرية من المجالات الحضاريـة التي يكتب فيها عشرات الكتب، ومئـات البحوث والرسائل الجامعية. وكل طريق بري رئيسي، أو مطار، أو ميناء، أو حتى طرق فرعية تربط بين مناطق

وحواضر تهامة والسراة فجميعها جديـرة بالاهتمام البحثي والتوثيقي الجادين. كذلك جميـع وسائل النقل الحديثة، والخدمات المتنوعـة ذات الصلة المباشرة أو غير مباشرة بالمواصلات تستحق الدراسة العلمية الأكاديمية الرصينة.

د ـ يوجـد، الحمد لله، في بـلاد السراة وتهامة العديد مـن الجامعات التي يوجد فيهـا مئات الأساتـذة المتخصصين، والكليات، والأقسـام، والبرامج ، ومراكز البحـوث العلمية، وهذه المؤسسات العلمية عليها واجبات كثيرة وضرورية تجاه المجتمعـات الجنوبيـة السعودية، ومن تلـك المسؤوليات خدمـة البحث العلمي الذي يعود بالخـير والفائدة على الأرض والسكان. وهناك مجالات كثيرة جداً تستحق الخدمـة البحثية، ومنها طرق المواصلات التـي يمتد خيرها وبركاتها إلى تطوير البلاد والعباد في شتى مناحي الحياة.

وأكتـب هذه التوصية.. وهي في الحقيقة نداء إلى جامعاتنا المحلية التي يجب عليها دعـم وتشجيع وتطوير البحث العلمي المحلي. والله أسأل أن يوفق الجميع لخدمة الدين والبـلاد، وأن يجعلنا من عباده الصالحـين الذين يقولون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله وسلم على رسول الله [1].



(١) أعيش وأتجول في بلدان السروات وتهامة من بداية الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وعاصرت صعوبة الدروب التي كانت تربط بين المدن والقرى والبوادي والأرياف، ثم التطور التدريجي الذي جرى على طرق المواصلات (البرية والجوية)، ثم القفزات التنموية الكبيرة التي غيرت جوانب كثيرة على الأرض والناس، وانعكـس ذلـك على البناء والتطوير الذي شمل جميع ميادين الحياة . ومثل هذا التاريخ الحديث والمعاصر يستحق أن يُكتب بكل شفافية وأمانة.

٦ـ شـهر رمضان كما عاصرته وسمعت عنه (١٣٨٠-١٤٤٦هـ/١٩٦٠-٢٠٢٥م)[(١)].

بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

قـال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ [البقرة/١٨٥]. وقـال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣].فالصيـام عُـرف عنـد بعض الأمم قبل الإسلام، ثم صار صيـام شهر رمضان في العصر الإسلامي أحد أركان الإسـلام الخمسة. ونجـد القرآن الكريم وكتب التفاسير، وكتـب السنة والسيرة النبويـة، ومصادر التاريـخ والحضارة والأدب والتراث الإسلامـي فصلت الحديث عن شهـر رمضان. وهناك مئات الكتب والدراسـات العربية والإسلامية والأجنبية الحديثة التـي اشتملت على آلاف الصفحات عن حياة الناس في هذا الشهر الكريم عبر العصور التاريخية.

(*) ليس هـدفي في هـذه المقالـة كتابة بحـث عميق وجاد عن تاريخ شـهر رمضـان بشكل عام؛ لأنَّ هناك الكثير من الدراسـات العلمية التاريخية، والشـرعية، والأدبية، واللغوية، والثقافية، وغيرها التي وثقت الكثير عن جزئيات شهر رمضان وما يجري فيه من أنشطة متعددة خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة. وحديثي في هذا العمل يتركز على شـيء من حياة الناس في شـهر رمضـان حسبما سمعت أو عاصرت في العصر الحديث والمعاصر. وأذكر ذلك في نقاط عديدة على النحو الآتي:

١- عشـت معظـم حياتـي في جنوب المملكـة العربيـة السعودية، وسافـرت إلى مناطق وأمكنـة عديـدة داخل المملكـة العربية السعوديـة. وذهبت أيضًـا إلى بلدان عربية وإسلاميـة وأجنبية خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، ومنها أمريكا الشمالية، والمملكـة المتحـدة (بريطانيـا) حوالي عشـر سنـوات (١٤٠١-١٤٠٩هـ/١٩٨١-١٩٨٩م)، وشاهـدت صورًا كثـيرة من أنشطة السكان، وبخاصـة المسلمين في شهر رمضـان. وخلال العقديـن الأخيرين من القرن الهجـري الماضي عرفت وعاصرت حيـاة البشر خلال شهـور رمضان في مناطق عسير، والباحـة، والطائف، وجازان، ونجران، فكانوا جميعًا يبذلون ما في وسعهم في نهاية شهر شعبان استعدادًا لقدوم

(١) نشـرت في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريـخ (١٠/مارس/٢٠٢٥م). ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١١٩) (١٤/٣/٢٠٢٥م).

شهـر الصيـام، وتعم صغارهـم وكبارهم، ذكورهـم وإناثهم الفرحـة والشوق إلى دخـول هذا الشهـر الكريم الذي تنشط فيـه جميع الأعمال الدينيـة والشرعية من صيام، وصلاة، واعتكاف، وصدقات، وقراءة قرآن، وذكر ودعاء، ورحمة، وتعاطف، وتكاتف، وتقارب بالأرواح والصلات الاجتماعية المختلفة.

٢- شاهدت الحياة الاقتصادية في بلاد السروات وتهامة خلال الثمانينيات والتسعينيات متباينة من القرى والبوادي والأرياف إلى المدن والحواضر. وانعكس ذلك على حياة السكان في شهـر رمضان، فالغالبية في البوادي والأرياف يمارسون حرفهم المختلفة من رعي، وجمع والتقاط، وصيد، وزراعة، ويعملون طوال النهار لكسب أرزاقهم وهم صائمـون، وإذا جاء الليل أفطروا على القليل من الطعام والشراب، وبعد أداء صلاة العشاء والتراويح ينامون إلى الصباح، ونادرًا ما يقومون لصلاة التهجد في جماعة. وأحـوال الناس في المدينـة والحواضر الكبـيرة لا يختلفون كثـيرًا في حياتهم بالليل والنهـار عن أهل القرى والأريـاف والبوادي، إلَّا أنَّ حياتهم الاقتصادية كانت أفضل من حيـث توفر بعض الأطعمة والأشربـة، وأيضًا في أنشطتهـم المتنوعة ومجالسهم الاجتماعية، وقد اطلعت على بعض الكتب والوثائق التاريخية المحلية، والتقيت ببعض كبـار السـن الذين عاصـروا العقود السبعـة الأولى من القرن (١٤هـ/١٩-٢٠م)، فوجـدت أنَّ الحياة المعيشية والأمنية كانت عندهم صعبـة وقاسية، لكن أهل البلاد (تهامة وسراة) يصومون شهر رمضان بفرحة وروح عالية، وذلك لما عرفوه وتعلموه عـن قدسية هذا الشهر الكريم. وسمعت عشـرات القصص التي تعكس حياة الألفة والمحبة والرحمة والتآخي في كل بادية، أو قرية، أو ناحية خلال شهر رمضان. مع أنَّ الحيـاة السياسيـة كانت غير مستقرة، لكن في هذا الموسـم الكريم (شهر رمضان) تسـود الراحـة النفسية والتقـارب والتعاطف بـين الناس. وبحثت بشـكل جاد لعلي أجـد دراسات تاريخية توثق حياة السكان في شهـر رمضان في مناطق جنوب البلاد السعوديـة خلال القرن الهجري الماضي، فلم أجـد شيئًا من ذلك. وأقول: إن انجاز دراسة علمية رصينة في هذا الموضوع جديرة بالاهتمام البحثي.

٣- عاصـرت بساطة الحيـاة، وتواضع أحوال الناس الاقتصاديـة، وعدم وجود شواغل أو ملهيـات، مما جعل أهل البـلاد (سراة وتهامة) يمارسـون وظائفهم وأعمالهم اليومية المحدودة، ويعيشون الحياة الطبيعية، العمل في النهار، والنوم في الليل. وإذا كان لهم أنشطة اجتماعية أو ترفيهية، أو علمية وثقافية أو غيرها فغالبًا تكون في آخر النهـار، أو في أول الليـل حتى صلاة العشاء أو بعـده بقليل، ولا ترى من يسهر الليل.

والــذي جعلهم يسيرون على هذا المنهج الحياة العامة التي يعيشونها من أجل كسب لقمــة العيش من حرفهم المحلية. وبعضـ أبناء تهامة والسـراة ذهبوا من بلادهم إلى بلـدان أخرى في المملكة بحثًا عن وظائف حكومية؛ مدنية وعسكرية، وعاشوا في شهور رمضــان في الأمكنة التي ذهبوا إليها، وأحيانًا يعودون لصيام هذا الشهر مع أهلهم في مواطنهم الأصلية، ولم يكن هناك اختلاف كبير من حيث اليسر والسهولة والبساطة في الحياة الرمضانية وغيرها.

٤- من يدرس التركيبــة الأسرية في المملكة العربية السعودية عمومًا، وفي بلدان السروات وتهامــة خصوصا، (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران) يجد أنَّها تتفاوت حسـب المهـن والظروف التـي تعيشها الأسـر. ففي الباديـة الجميع (ذكـورًا وإناثًا) مشغولـون بأعمــال الرعي والجمـع والالتقاط. أمــا أهل القرى والحواضـر فهم أكثر استقرارًا، فيمارسون الزراعة، وأحيانًا التجارة والحرف والصناعات اليدوية، ومنهم من يعمل في وظائف حكومية ودراسية وغيرها. وكل هذه الفئات لها أنشطة ومساهمات متعـددة في أسرهم خــلال شهر رمضان، فالرجال عمومًا يقومــون على إدارة بيتوهم وجلـب ما تحتــاج أسرهم من أغراض ولوازم، وغالبًا يساعـد الأبناء الذكور في ذلك. أمــا النساء صغارًا وكبارًا فأعمالهن داخـل البيوت، وأحيانًا يشاركن الرجال في بعض الأعمال الخارجية مثل الزراعة، والري، والحصاد، والرعي وغير ذلك.

٥- جــاء هــذا القرن (١٥هــ/٢٠م)، وبدأت أحــوال النـاس تتطـور تنمويًـا وحضاريًا، وتراجعــت مهــن الزراعة، والرعــي، والصيــد وزادت وتضاعفت الحيــاة التجارية والحرفيــة والصناعية. أمــا الوظائف الحكومية ثــم الأهلية فتوسعــت بشكل كبير حتى أصبــح معظم السكان يسعون ويجتهدون في تطويــر أنفسهم تعليميًا ووظيفيًا. وهــذه التحولات الحضارية أثـرت في كل شيء، ومن ذلك شهــر رمضان، فالفرحة عنــد عموم النـاس بقدوم الشهر مازالت عالية عنــد الجميع، لكن التعامل مع شهر رمضــان بدأ يختلف من حيث كـثرة الاستعدادات وتوفير كميات كبيرة من الأطعمة والأشربــة، وذلــك انعكس على المبالغــة في إعداد وتقديم أنواع كثـيرة من الطعام. كذلــك أوقات العمـل والنوم، فالغالبية مــن الناس خلال هذا القــرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) يسهــرون الليل كله حتى الفجر، ثم ينامون ساعات كثيرة من النهار. ومازال هناك فئات قليلة وبخاصة كبار السن ينامون جزءًا من الليل، لكن نمط الحياة وما جرى من تغيرات اجتماعية وثقافية شملت معظم شرائح المجتمع. وتحسن الأوضاع الاقتصاديــة وزيادة الوظائف الحكومية وتوفر الأموال في أيدي الناس من الأسباب الرئيسية التي أوجدت هذه التبدلات الحضارية.

٦- ذهبت خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى أمريكا ثم بريطانيا، وقضيت هناك حوالي تسع سنوات، وأدركني شهر رمضان في تلك البلدان مرات عديدة، ووجدت الجاليات الإسلامية من العرب وغيرهم تسودهم الفرحة بقدوم شهر رمضان، ولهم مساجد ومراكز إسلامية يجتمعون فيها للإفطار ثم صلاة المغرب والعشاء والتراويح، ولهم أيضًا العديد من البرامج والأنشطة الدعوية والدينية والتوعوية التي يقوم عليها نساء ورجال محتسبين. ولاحظت تعدد المذاهب والفرق الإسلامية في تلك البلدان الغربية، وكل فرقة أو حزب ديني لهم مساجدهم وأنشطتهم المختلفة خلال شهر رمضان. وكان أكثر اتصالي وحضوري مع المساجد والمراكز الإسلامية المعتدلة التي تسير على منهج أهل السنة والجماعة، ورأيت في تلك المقرات الكثير من الدعاة والصالحين والمحتسبين وأغلبهم من الدول العربية وبعض الدول الإسلامية. ومما عاصرته في مدن هيوستن، وأوستن، وبلومنقتون، وواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مدن لندن، ومانشستر، وبرمنجهام ببريطانيا مساجد ومراكز إسلامية تعمل ليلاً ونهارًا خلال شهر رمضان على خدمة المسلمات والمسلمين الذين يرتادون تلك المراكز وجمعت الكثير من القصص والوثائق والصور الفوتوغرافية التي تعكس شيئًا من تلك الأنشطة في عدد من المناسبات الإسلامية الاجتماعية والدينية من عام (١٤٠١- ١٤٠٩هـ/١٩٨١-١٩٨٩م)، آمل أن أعمل عليها دراسة علمية توثيقية وأنشرها في قادم الأيام.

٧- قضيت معظم حياتي من عام (١٤١٥-١٤٤٦هـ/١٩٩٥-٢٠٢٥م) في منطقة عسير، وفي مدينة أبها تحديدًا، لكنني أسافر باستمرار إلى مدن وحواضر عديدة في السروات وتهامة، وفي مناطق المملكة العربية السعودية الأخرى، مثل: الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة)، والرياض، وبعض مدن المنطقة الشرقية وغيرها وأشاهد حياة السكان خلال شهر رمضان كيف توسعت اجتماعيًا، واقتصاديًا، وإعلاميًا، وتعليميًا وتوعويًا. وذلك يعود إلى أسباب كثيرة، منها ـــ كما ذكرت ـــ تطور وتحسن الأحوال المالية والوظيفية، بالإضافة إلى تطور التعليم في شتى مناحي الحياة، وبخاصة التعليم الديني فتعددت المدارس الدينية، والكليات والأقسام الشرعية وطلاب العلم الذين يقومون على خدمة المجتمع تعليميًا وتوجيهيًا في أمورهم الدينية ويجتهدون في توعية أسرهم، والدعوة إلى الله، والتدريس وخدمة الناس في إمامة المسجد، وخطب الجمعة وغيرها، وبالتالي تأسست قاعدة كبيرة للعلم والمعرفة وممارسة الأعمال والواجبات الدينية عند الرجال والنساء. ومن

يتجول في أرجاء المملكة خلال شهر رمضان يجد المساجد والجوامع مليئة بالمصلين وبخاصة في صلاتي التراويح والتهجد، وكثرة الدروس الوعظية والإرشادية، وإن ذهبت إلى الكثير من المؤسسات الحكومية والأهلية والجمعيات الاجتماعية والخيرية تجدها تعمل بشكل كبير ومستمر على مساعدة المحتاجين، وتلمس أحوال الفقراء والمساكين، وتوزيع الصدقات، وإفطار الصائمين، وتوزيع زكاة الفطر على الكثير من الأسر والأفراد المعوزين. ومن يتأمل في وضع المسجد الحرام والمسجد النبوي وما يحدث فيهما خلال شهر رمضان من أعمال جليلة وكثيرة ومتنوعة، فذلك موضوع كبير يكتب فيه عشرات الكتب العلمية. وكان الحرمان الشريفان عبر عصور التاريخ في حركة وأنشطة دينية وخيرية كثيرة، لكن حالهما من حيث التطور الإسلامي والدعوي في شهر رمضان وغيره من الشهور خلال هذا القرن (ق١٥هـ/ ٢٠-٢١م) لم يسبقه مثيل لا في النوعية، ولا في الجودة، ولا في الخدمات الكثيرة والمتعددة. ومن يدرس أي ناحية في المملكة خلال شهر رمضان في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠- ٢١م) فسوف يقف على تاريخ حديث ومعاصر يختلف تمامًا عن حياة الناس في رمضان خلال القرن الهجري الماضي وما سبقه. ومثل هذا الموضوع يستحق أن يكون عنوانًا للعديد من الكتب والبحوث العلمية الرصينة.

٨- سافرت إلى الكثير من الدول والمدن في العالم العربي والإسلامي، مثل: دول الخليج، ومصر، وبعض دول شرق آسيا كإندونيسيا، وماليزيا وغيرها وعاصرت شهر رمضان في عدد من تلك الدول فكانت في السابق متواضعة في الإمكانيات المادية، لكن الناس كانوا وما زلوا يفرحون بقدوم شهر رمضان لما يعيشونه من روحانية وعادات وأعراف اجتماعية تنشط أو تظهر أثناء شهر الصيام. واطلعت على الكثير من الكتب والدراسات والمقالات المتعددة التي ترصد صورًا من حياة الناس خلال شهر رمضان في تلك البلدان، وخلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠-٢١م)، فوجدت الكثير من التغيرات بشكل عام على جميع المسلمين في أرجاء العالم، بعضها إيجابية وأخرى سلبية، واتصال بلدان العالم مع بعضها، وظهور ثم تطور مجالات التقنية ووسائل التواصل الاجتماعي، وكل ذلك من العوامل الرئيسية في التحولات التي تحدث في العالم، وشهر رمضان وما يجري فيه من مناشط وعبادات وطقوس وتقاليد من المواسم التي تأثرت كثيرًا بهذا التواصل الحضاري والتقني الواسع والمتنوع.

٩- **ربما يقول بعض القراء الكرام أنَّ عنوان المقال محدد في فترة محدودة من خلال المشاهدات والانطباعات، ثم يذهبون إلى أكثر من ذلك فيقولون: كان من المفروض أن أوثق جزئيات ومقارنات معينة عن طبيعة الحياة البشرية العامة والخاصة، الداخلية**

والخارجية خلال شهر رمضان سواءً في المملكة العربية السعودية أو البلدان الإسلامية والأجنبية التي زرتها أو عشت فيها. وهذا قول جميل، وتوصية مهمة لمن يعمل على بحث أو كتاب كبير يفصل فيه تاريخ دقيق وتحليلي. أما هذا المقال المختصر فلا يتسع لمثل هذا المقترح. ومن خلال هذه الفترة الحديثة والمعاصرة المدونة في عنوان المقالة فقد خرجت ببعض النتائج والتوصيات التي أذكر بعضها في المحاور التالية:

أ- إنَّ معظم التاريخ المدون في عنوان هذه الورقة عشته في ربوع المملكة العربية السعودية، واجتهدت في جمع مصادر تؤرخ لحياة المجتمع السعودي من مواطنين ومقيمين خلال شهر رمضان، لكنني للأسف لم أجد أعمالًا علمية مطولة ودقيقة وموثقة. وإن حصرت كلامي على بلدان السروات وتهامة، من مكة والطائف إلى جازان ونجران، فالوضع يزداد ضبابية. ومثل هذا العنوان يكتب فيه عشرات البحوث، أو الكتب، أو الرسائل الجامعية. وأرجو من أقسام التاريخ أو المؤرخات والمؤرخين وأساتذة علم الاجتماع في جامعاتنا المحلية أن يشجعوا دراسة مثل هذا الموضوع التاريخي الحضاري المهم.

ب - وجدت حواضر الحجاز (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) أحسن حالًا من غيرها من حيث وجود بعض الدراسات العلمية التي تعكس شيئًا من تاريخ رمضان في هذه المدن المقدسة عبر أطوار التاريخ وبخاصة في العصر الحديث. لكن الموضوع ما زال بحاجة إلى دراسة علمية نوعية. وفي كتب الرحالة والمذكرات والوثائق غير المنشورة مادة علمية جيدة لها صلة مباشرة بأحوال الناس في رمضان خلال القرن الهجري الماضي وهذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وأوصي طلاب البحث العلمي المتخصصين أن يخدموا مثل هذا المشروع العلمي المهم.

ج - إنَّ بلاد المملكة العربية السعودية عمومًا، وأوطان السروات وتهامة خصوصًا تعيش طفرة حضارية كبيرة، وهذا مما جعل ملايين البشر من العالم العربي، والإسلامي، والأجنبي يفدون إلى هذه البلاد للحج والعمرة، أو العمل في قطاعات اقتصادية واجتماعية كثيرة. وهذه الفئات لها عادات وتقاليد كثيرة لها صلة بشهر رمضان، فمنهم المسلمون الذي يصومون هذا الشهر الكريم، وآخرون غير مسلمين. ولهم جميعًا تاريخ مع سكان البلاد واحتكاكهم وتواصلهم مع بعضهم البعض خلال شهر رمضان، وهذا المجال لا أجده مخدومًا في ميدان البحث والتوثيق. وقد رأيت وجالست الكثير من هذه الفئات الوافدة خلال العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥-١٤٤٥هـ/٢٠٠٤-٢٠٢٤م)، فوجدت هناك تأثيرًا وتأثرًا كبيرين بين السعوديين وغير السعوديين أثناء مواسم رمضان،

وهــذا التاريخ ليس محصورًا في مجال محدد، لكنه متنوع (اجتماعيًا، وثقافيًا وفكريًـا ومعرفيًـا، واقتصاديًا)، ومثـل هذا المقترح جيد جـدًا لمن رغب بحثه ودراسته من المؤرخين والمتخصصين.

د ــ رأيـت الطــلاب السعوديـين المبتعثين في أمريـكا وبريطانيـا، وفي بلـدان عربية، وإسلامية، وأجنبية أخرى، يمارسون أنشطتهم الدينية المختلفة، ومنها صوم شهر رمضــان. والشــيء الجميل الذي عرفتــه أنَّ هناك كوادر سعوديــة كثيرة كان لهم جهود وتأثيرات إيجابية على من يحتكون بهم من غير المسلمين، أو بعض المتهاونين في أداء عباداتهــم من صلاة وصيام. وعاصرت وسمعت عن كوادر بشرية طلابية سعوديــة بذلوا جهــودًا كبيرة في دعوة غــير المسلمين إلى الإســلام حتى صار من هــذه الشريحة دعاة وطلاب علم شرعي قاموا بنشر الإسلام في مجتمعاتهم غير الإسلاميــة. وهناك أعــلام عديدون سعوديون أثروا على بعضــ العرب والمسلمين الذيــن كانوا مقصرين في صيــام شهر رمضان وغيرها من العبــادات الرئيسية. ومثل هذه الأنشطة مازالت غير مدروسة ولا مخدومة بحثيًا وتوثيقيًا.

هـ ـ نلحظ في العقديــن الأخيرين (١٤٢٥ــ١٤٤٥هـ/٢٠٠٤ــ ٢٠٢٤م) اتساع وكثرة وسائـل الترفيه الإيجابية والسلبية، وكذلك تأثــيرات التقنية ووسائل التواصل الاجتماعي. وهنــاك الكثير وبخاصة من الشباب مــن يقضي الأوقات الطويلة مــع هذه الوسائل، بل يوجد العديد مــن المؤسسات والتجار والمستثمرين الذين يدعمون ويشجعون انتشار وتوفر هذه الأدوات أو المحلات التي تمارس أعمالها طــوال العام حتى في شهر رمضان فلا تراعي حرمة هذا الوقت المبارك، وهذه بــدون شك لها آثار غير جيــدة على الفرد والمجتمع دينيًــا وسلوكيًا. ومثل هذه المناشــط لا يوجد لها دراسات جادة تخــرج بتوصيات إيجابية في صالح البلاد والعبــاد، ويجب توفر البرامــج والدورات والأنشطة التوعويــة لكل الفئات ذات الصلة المباشرة بهذه التقنيات ووسائل التواصل الحديثة.

و- لا أدعي أنني استوفيت الحديث في هذا المقال، لكن حسبي أني اجتهدت وآمل أن أكون سجلت مادة علمية ذات فائدة يُستفاد منها ثقافيًا، أو يكون فيها بعض الآراء والتوصيــات التــي تفيد في دراســات أو بحوث أو مقــالات مفيدة أخرى، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله.

٧ـ قراءات وانطباعات عن بعض مؤلفات الدكتور غيثان بن جريس التي صدرت مؤخراً[(١)]. بقلم . د. مطلق بن محمد بن شايع عسيري[(٢)] .

أولا : انطباعاتي عن كتاب : ذكريات طالب مبتعث في أمريكا وبريطانيا (١٤٠٠-١٤٠٩هـ) (١٩٨٠-) ١٩٨٩م.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فهذه مجموعة من الانطباعات التي سجلتها بعد قراءة متأنية للكتاب المشار إلى عنوانه ومؤلفه الكريم أعلاه :

١- لقد كنت أقرأ في هذا الكتاب قراءة مستمتع بما تضمنه من معاناة كبيرة، مر بها مؤلفه أثناء رحلته الدراسية، وقد تبين لي عن قناعة أنَّ ما وصل إليه أ. د. غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس من رقي علمي معرفي، ومن أبحاث وإصدارات علمية رصينة وكثيرة ـ كان بتوفيق الله ـــ تعالى ـــ أولاً، ثم بعد هذه المعاناة الكبيرة، وهذا الجهد العظيم الذي بذله خلال سني دراسته .

٢- أعجبني ذلك الرصد الدقيق والشامل لتفاصيل كثيرة مر بها الباحث وعايشها، منذ طفولته ومروراً بمراحل دراسته المختلفة، وقد التقط الباحث أطراف الحديث عنها، وسجلها في كتابه بكل موضوعية.

٣- أعجبتني تلك الروح الإسلامية التي لا تستغرب من باحث مثل (أ. د. غيثان) وذلك في إشارته إلى خطورة التغريب على أبنائنا المبتعثين، ممن يذهبون للدراسة في الغرب، وهم غير محصنين بأساس ديني وفكري رصين، يحميهم من مخاطر الانزلاق خلف الأفكار التغريبية الخطيرة، والتقليد ولتأثير ببعض الأساتذة الذين يحملون فكراً هدّاماً، وعداءً صريحاً للإسلام.

٤- كما أعجبني ذلك الحس الإسلامي لدى الباحث، وذلك في نقده لبعض المظاهر الاجتماعية المصادمة للإسلام، مثل: الربا، والخمور، والتفسخ والانحلال، وفساد

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص، بتاريخ (١٨/مارس/٢٠٢٥م)، كما نشرت في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١٢٠) (٢١/مارس/٢٠٢٥م) .

(٢) الدكتور مطلق شائع أستاذ النقد الأدبي، ومنهج الأدب الإسلامي في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك خالد. للمزيد عن سيرته انظر، محمد أحمد مُعَبّر. سيرة كتاب: احتفاء بصدور عشرة أجزاء من كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م)، ص ٢٨٨ـ ٢٩٢ . (ابن جريس) .

المرأة الغربية، وغير ذلك مـن مظاهر الانحراف، التي كان ينتقدها الباحث برؤية المسلم البصير

٥- شدتنـي تلك المقارنات والموازنات التي أجراها الباحث بين الدراسة في أمريكا، وفي بريطانيا، وبين الجامعات في الدولتين، وهي مقارنات لم تأت من فراغ، وإنما جاءت بعد تأمل ودراسة وتجربة وبعد نظر.

٦- سرتني تلك التوصيات الإيجابية التي أسداها الباحث لكل طالب يرغب في الابتعاث للدراسـة في الغـرب، ومثل هذا الأستاذ (الدكتور غيثـان بن جريس) ممن يستفاد من خبرته وتجربته.

٧- كان الباحـث وفيـاً ومنصفاً لوطنه الكريم الذي ابتعثه وقدم لـه كل ما يحتاج أثناء دراسته، ولغيره من الطلاب المبتعثين.

٨- لاحظت أن الباحث كان يشير - أحياناً - إلى اطلاعه على بعض الكتب والبحوث التي لهـا صلة ببعض الموضوعات الواردة في بحثه، دون أن يشير في المتن أو الهامش إلى نماذج من تلك الكتب والدراسـات. - وهو الباحث الدقيق الذي يعلم أهمية الإشارة إليها، وفي ذلك مصداقية وقوة لبحثه.

(*) ختاماً:

فـإن مثل هذه التجربة تستحـق أن تنشر وتبرز للقراء والباحثين، ليستفيدوا منها، ولا ينبغـي أن تظل حبيسة الأدراج، ففيها تجارب جيدة، وفوائد نافعة، ووقفات يستفيد منها الباحثون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثانيا: قراءتي وإنطباعاتي على أربعة مؤلفات أخرى.

أخـي الكريم الأستاذ الدكتور غيثان بن علـي بن جريس وفقه الله. السلام عليكم ورحمـة الله وبركاته وبعـد: فجريا على عادتـك الكريمة النبيلة عند ظهـور إصدارتك المباركـة - تلقيت ببالـغ الامتنان والشكر والتقديـر بتاريخ (١٤٤٦/٨/٣هـ) أربعة من إصداراتـك القيمة التي ألقيت على محتوياتها نظرة تصفحية، من خلال قراءة سريعة لعناوين أبوابهـا وفصولها، ولبعض صفحاتها، وقد استوقفني تلك الغزارة العلمية التي اشتملـت عليها. ولفتت نظـري دقة التوثيـق العلمي فيها، والحرص علـى ربط المعلومة التاريخيـة بمصادرهـا الموثوقة، وتزويد تلـك المؤلفات بكم كبير مـن الملاحق والصور

والخطابات التي كان يتواصل بها الباحث مع عدد من الباحثين والمثقفين والمسؤولين والمهتمين بموضوعات أبحاثه، كما لفتت نظري أيضاً تلك المقدمات الشاملة التي تعدّ كل مقدمة منها كشافاً يكشف عما اشتملت عليه أبواب الكتاب وفصوله، إلى جانب تصدير كل كتاب بفهرس شامل يتضمن محتوياته بشكل مفصل ودقيق، وكل ذلك يدل على المنهجية العلمية التي يتبعها، أ. د. غيثان بن علي بن جريس في مؤلفاته، وليس ذلك بمستغرب من باحث أفنى أغلب سنوات عمره في خدمة البحث العلمي ـ وفقه الله إلى كل خير، ونفع بعلمه وعمله ـ إنه سميع مجيب . أما الإصدارات التي شرفت بتلقيها من أستاذنا الكريم فهي:

١- **كتاب تاريخ الناس في تهامة والسراة (١٣٠٠-١٤٤٥هـ)**، وهو كتاب راصد للحياة السياسية والعسكرية والإدارية والمالية، وللتاريخ الاجتماعي بكافة مظاهره، وللحياة الدينية والصحية والسياحية ـ في منطقة البحث وخلال فترته الزمنية، كما يكشف الكتاب عن تاريخ التعليم والتعلم، وعن مظاهر الحياة الفكرية والعلمية والثقافية. ويقع الكتاب في (٧٢٦صفحة) .

٢- **كتاب (محافظة أحد رفيدة (جرش قديماً) ـ دراسات وإضافات وتعليقات ق١ـ ١٥هـ)**، وهو كتاب يقع في (٦٤٦) صفحة، وقد تضمن الكتاب بعد مقدمته الضافية على دراسة للمؤلف عن (محافظة أحد رفيدة ـ جرش قديماً) في بعض المصادر والوثائق، وتبعتها مجموع من الدراسات للباحثين الكريمين أ. محمد بن أحمد بن مُعَبِّر، وأ. عبدالكريم بن علي القحطاني، تحدثا فيها عن الاختلاف في اسم (جرش)، وقدما فيها لمحات عن تاريخها القديم والحديث، وعن مكانها وسكانها، وعن بعض المواقع الأثرية فيها..كما تضمن الكتاب في الدراسة التاسعة والعاشرة منه بعض المدونات والأقوال لعدد من أعيان رفيدة قحطان، وبعض المهتمين بـ(جرش)؛ واحتوى الكتاب في النصف الأخير منه على أربع دراسات بحثية، من الدراسة الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة للأستاذ الدكتور غيثان بن جريس فصل القول فيها عن(محافظة أحد رفيدة) ، كما شاهدها وسمع عنها، وأورد فيها بعض المشاهدات والمدونات عن هذه المحافظة، كما أشار إلى بعض البحوث الجامعية غير المنشورة التي كتبت عن ديار(رفيدة قحطان) ، ثم ختم الكتاب ببعض الملاحق والوثائق والخرائط والصور الفوتوغرافية. ويعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية مهمة، تؤرخ لجزء قديم وتاريخي وأثري في جنوب الجزيرة العربية، وهو إضافة للمكتبة التاريخية التي دونت عن هذا الجزء الغالي في بلادنا، ويعدّ الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس رائداً في هذا الميدان، ومن أقدم الباحثين وأبرز المعنيين بهذا الجانب.

٣- **كتاب (عسير في الوثائق العثمانية من ١٣٠٠هـ ـ ١٣٢٧هـ)**، وهو كتاب يقع في مجلدين ضخمـين، يشمل الجزء الأول منهما على الوثائق العثمانية عن عسير، الموجودة بين عـام (١٣٠٠هـ ـ ١٣٢٠هـ) ، ويقـع في (٦٠٦) ستمائة وست صفحـات، كما يشتمل الجـزء الثـاني على الوثائـق العثماني عـن عسير والموجـودة بين عـام (١٣٢١هـ ـ ١٣٢٧هـ). والغاية من هذا الكتاب الضخم ترجمة كم كبـير من الوثائق العثمانية من الحرف العثماني إلى الحرف العربي، وشارك في ترجمة وثائق الكتاب وإعداده أ. د. غيثـان بـن علـي بن جريس، مع باحثـين آخرين: همـا د. رشاد بـن عبدالله الشهـري، ود. أنعـم بن محمد الكباشي ولم تكن غايـة الباحثين من الكتاب تحقيق أو دراسة تلك الوثائـق، وإنما التركيز على ترجمة (٤٢٤) أربع وعشرين وأربعمائة وثيقــة عثمانية مهمة، وتقديم خدمــة عظيمة للباحثين الجادين الراغبين في دراسة تلك الوثائق، والإفادة منها. وقد اشتمل الكتاب في أوله على مقدمة تعريفية ضافية، تضمنت التعريف بالإمبراطورية العثمانية، وبيان الفترة الزمنية التي سيطرت فيها تلـك الإمبراطورية على بلاد السروات وتهامة..كمـا تضمنت المقدمة الحديث عن المخطوطـات والوثائـق والمذكرات والسجـلات العثمانية، وبيـان أهميتها، بوصفها مـن المصادر الأولية التي تـؤرخ لشبه الجزيرة العربية مـن القرن(١٢هـ ـ ١٤هـ)، وهـي جديرة بالبحـث والدراسة، وتضمنت المقدمـة ــ أيضاً ــ بيانـاً بتلك الوثائق المترجمة، من حيـث موضوعاتها، ومصادرها، وفوائدهـا، وإيجابياتها وسلبياتها. ولاشـك أن الباحثين بهذا الكتاب الضخم في مجلدين ــ والمشتمل على كَمٍّ كبير من الوثائـق العثمانية المترجمة ــ يقدمون للدراسين والباحثين والمهتمين كنوزاً معرفية وموضوعات متفرقـة، تستحق البحث والدراسة، ويكفي ذلك دليلاً على أهمية هذا الإصدار وقيمته المعرفية والموضوعية.

٤- **كتـاب (القـول المكتـوب في تاريخ الجنوب) ــ موسـوعة تاريخية حضـارية "من قبل التاريـخ ـ ق١٥هـ" الجزء الثلاثون"**. يأتي هذا الجزء تتويجاً لذلك العمل الموسوعي الضخـم الذي تميـز به الأستاذ الدكتور غيثان بن علـي ابن جريس وفاق به أقرانه مـن الباحثين، وهو العمل الكبير الذي أفنى فيـه هذا الباحث السروي غيثان زهرة شبابـه، ونضارة عمره، ولا أبالغ إذا قلت: إن أجزاء هذا الكتاب المتعددة قد طوفت في تاريـخ الجنـوب من أقصـى شمال هذا الجـزء الغالي إلى أقصـى جنوبه، ومن أقصـى شرقه إلى أقصى غربه، مـن خلال رصد توثيقي شمولي للحياة السياسية، والاجتماعية، والحضارية، والفكريـة، والثقافية، وغيرها مدعم بالكتب، والوثائق، والمخطوطات، والمراسلات.

يعـدّ هذا الكتاب الموسوعي في أجزائه الثلاثين مرجعـاً مهماً للدارسين والباحثين، خـلال فترة زمنية تمتد مـن قبل التاريخ الهجري، إلى القـرن الخامس عشر الهجري، وتأتـي أهمية الكتاب من خلال تنقيب الباحث في مصادر معلوماتية متفرقة، كثير منها لا يتوفـر لأيّ باحـث إلا بعد جهد وعنـاء ومشقة، وهذا ما استطـاع الباحث أ. د. غيثان بـن جريس بعد، توفيق الله وعونه، أن يسبر أغوار بحثـه، وأن يذلل صعابه، وأن يكشف مغاليقه، فكان لهذا الكتاب من الحضور والإيجابية والشمولية وتحقيق المعرفة بالجوانب التاريخية والحضارية والمعرفية مالا يخفى على كلّ باحث منصف.

يشتمـل الجـزء الثلاثون من هذا الكتاب ــ الذي يقع في [٦٧٧] صفحـة على أربعة أقســام، وقد ضمن الباحث هذه الأقســام آراء عدد من طلابه الباحثين المهتمين بتاريخ الجنوب، ويبدو أن أ. د. غيثان كان حريصاً على استكتابهم في موضوعات متعددة، ذات علاقـة بموضوعه، حيث تضمن القسم الأول بحـث أ. د. مسفر الخثعمي عن بلاد تهامة والسراة في عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية القديمة. كما اشتمل القسم الثاني علـى موضوعين علميين: أولهما عن الروايـة المبكرة عن دخول المسيحية جنوب الجزيرة العربيـة قبـل الإسلام، بقلـم. أ. د/ عبدالعزيز محمد رمضان، وثانيهمـا عن رد أوهام المؤرخـين والنقاد حول جنوب الجزيـرة العربية والشعر الجاهلـي للدكتور محمد أحمد فتحي. أما القسم الثالث: فقد تضمن عدداً من البحوث التاريخية واللغوية والتعليمية في جنوب شبه الجزيرة العربية، خلال العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة..

أولهـا : بحـث وقفات مـع طريق الحج التهامي مـن جازان إلى مكـة المكرمة عند بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل (ق٣ ـ ق٨هـ) بقلم. د. محمد بن علي عسيري.

وثانيها .. بحث تسع رحلات مجهولة في الجزيـرة العربية بقلم. أ.د. عباس بن علي السوسوة.

ثالثها .. بحث عن "بعض الأوبئة في قضـاء بني شـهر (١٣٠٥هـ ـ ١٣٢١هـ) ـ دراسـة تاريخية تحليلية . بقلم . أ. د. زهير بن عبدالله الشهري.

ورابعها .. بحث عن الإدارة العسـكرية البريطانية في الحديدة (من ديسمبر ١٩١٨ـ يناير١٩٢١م)، بقلم (جون بولدري)، ترجمة. أ. د. عبدالودود قاسم مقشر.

وخامسـها .. بحث عن تاريخ التعليم العـام والعالي في محافظة القنفذة ـ خلال قرن (١٣٤٤ــ١٤٤٥هـ) ، بقلم: أ. غازي بن أحمد الفقيه.

أمــا القســم الرابع مــن الكتاب فقد اشتمــل على (١٥) خمس عشــرة من المقالات التاريخيــة المتنوعة عن (الســراة وتهامة) خلال العصرين القــديم والإسلامي، وذلك لعدد مــن زملائه الباحثين. علماً أن الكتاب لا يخلو من تعليقات الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس على تلك البحوث، التي يبدي فيها آراءه القيمة، وملحوظاته الإيجابية علــى البحوث الــواردة في كتابه .وخُتم الكتــاب بمجموعة من النتائــج والتوصيات التي استنبطهــا المؤلــف من مجموع تلك البحوث، كما ضمن المؤلــف كتابه عدداً من الملاحق والوثائق التاريخية.

هذه قــراءة انطباعية عن هذه الإصدارات القيمة، التــي تفضل عليَّ زميلي العزيز أ. د. غيثان بن جريس بإهدائها، - كعادته الكريمة مع كل إصدار - حيث تتزين مكتبتي الخاصــة بجناح خاص، يحتــوي على إصداراته المتنوعة التي يتحفنا بها بين حين وآخر. فلــه مني فائق الاحترام والتقدير، وصادق الدعاء بأن يتــم الله عليه الصحة والعافية، وأن ينفــع بجهوده التــي قدمها في خدمة العلم، ويجعلها في موازيــن حسناته. إنه سميع مجيــب .وكتبه د. مطلق بن محمد شايع عســيري، الأستاذ المساعد للنقد الأدبي ومنهج الأدب الإسلامي في جامعة الملك خالد سابقا [١].



(١) أكرمك الله يا دكتور مطلق بن محمد بن شايع على مراجعتك وقراءتك هذه الكتب، ومازالت جهود بسيطة ومتواضعــة عن جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة بــلاد تهامة والسراة، الواقعة بين الحجاز واليمن، فهــذه الديار لهــا آثار وتاريخ وثقافــة وفكر وحضارة عبر أطــوار التاريخ، وأرجو مــن الباحثات والباحثين الجادين فيها أن يجتهدوا في خدمتها علميًا وبحثيًا وتحليليًا وتوثيقيًا. (ابن جريس) .

٨- وقفة مع الآلات والتقنية ووسائل التواصل الاجتماعي(تهامة والسراة أنموذجاً)[1]. بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

كتابة تاريخ دقيق لهذه المحاور المذكورة في العنوان تحتاج إلى جمع ودراسة وتحليل جاد. وتعد من الموضوعات الحديثة والمعاصرة التي مارسها وعرفها الناس في كل مكان، ولها آثار إيجابية وسلبية متعددة. وسبق أن أشرت إليها في بعض بحوثي التي صدرت خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٦ـ١٤٤٥هـ/٢٠٠٥ـ٢٠٢٤م). وكان آخرها بعض التوثيقات عن: المواصلات، والاتصالات، ووسائل التواصل الاجتماعي في العصر الحديث، الذي نشر في موسوعة: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، الجزء (٢٩)، ص ٣٢٦ ـ٣٦. ولا أقول أنني استوفيت كل شيء في هذه الدراسة، لكنها لبنة أولية لدراسات متعددة ومطولة .

(*) في الفقرات التالية أوثق بعض الجوانب التاريخية الحديثة والمعاصرة العامة عن الآلات والتقنية الحديثة التي ظهرت في السروات وتهامة (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران) من بداية القرن الهجري الماضي حتى الآن (١٤٤٦ / ٢٠٢٥)، وأدونها على النحو الآتي:

١- من يدرس تاريخ البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة حتى منتصف القرن(١٤هـ/٢٠م) يجد أن السكان يتعاملون مع إمكانات بيئاتهم حسب ظروفهم المعاشية، وقدراتهم الاقتصادية. وكانت معظم أدواتهم وموادهم التي يستخدمونها في بيوتهم، ومهنهم الداخلية والخارجية، الصغيرة والكبيرة تقليدية ومحلية، وجميعها من الأدوات الخشبية، أو الحديدية، أو الفخارية وغيرها. وإذا تأملنا في الأجهزة أو المواد في البناء والعمارة، أوالرعي، والزراعة، والتجارة، أو الصناعات والحرف التقليدية أو الأدوات المنزلية، أو معدات الصيد، والمواصلات، أو في حالتي السلم، والحرب فكلها صناعة يدوية، والصناع المهرة الذين يصنعونها من أهل البلاد (سراة وتهامة) .

٢- رأيت أثناء رحلاتي في البلاد مئات الآبار والقصور وبعض المعالم العمرانية التي يغلب عليها الضخامة في أحجارها وأخشابها، أو صعوبة أرضها عند حفر أساسات البناء، أو حفر الآبار التي أحياناً تكون أرضياتها من الحجارة القوية الصماء، ولا يمكن تفتيتها وتكسيرها إلا بأدوات قوية، وجهود بشرية جبارة. وسألت بعض

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢٠٢٥/٣/٢٦م).

العارفــين عن كيفية إنجاز تلــك الأعمال الشاقة، فأخبرني بعضـ الرواة أن أدوات حفــر الأرضـ الشديدة، وتكسير الحجــارة الكبيرة تتم بــأدوات حديدية مصنوعة محليــاً، وأحيانــاً تستورد بعضـ الآلات التقليديــة من أسواق عديــدة في الحجاز أو اليمــن. وكذلك البــارود وبعض مواد التفجير التــي تستخدم أثنــاء تكسير حجارة البناء وتسويتها واصلاحها.

٣- كان هناك بعض الآلات وأدوات تستخدم في ميادين الحروب أو الحفلات الاجتماعية مثل: السيوف، والخناجر، والبنادق المتنوعة. وبعضها تُصنع محلياً أو تستورد من خــارج البــلاد. أما البنادق فجميعها تصنع خارج البلاد، وكثير منها تستورد من دول عربية وأجنبية. والدارس لتاريخ الإمبراطورية العثمانية، يجد أنها استخدمت أسلحة أخرى حديثة كالدبابات، والعرادات والمنجنيقات، ودروع، وقلنسوات، وآلات ومعــدات أخــرى بعضها مصنوعة في عدد مــن بلدان الدولــة العثمانية، وأخرى تم جلبها من دول أجنبية شرقية وغربية.

٤- مــن يبحث في المصادر والوثائق خلال النصف الأول مــن القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) عــن الآلات ووسائــل المواصــلات والتواصل والتقنيــة فإنه سيجد بدايــات بعضها. فالدولة العثمانية أحضرت مــع جيوشها بعض المعدات العسكرية والمدنية التقليدية والحديثــة. وإذا كانت وسائل المواصــلات البرية قديماً تعتمد بشكل كلي على المشي على الأقدام، واستخدام الدواب كالجمال والحمير، إلا أن السيارات بدأت تظهر في الحجــاز في نهايات النصف الأول من القرن الهجري الماضي. أما السفن والبواخر والأشرعــة البحرية، فهي وسيلة قديمة، وتطــورت إلى حدما في عهد الإمبراطورية العثمانيــة. أمــا الاتصــالات والتواصل فـكان عن طريــق البريد الــبري، والحمام الزاجــل، ودواب الركــوب وغيرها. ثم ظهرت المبرقــات. أو اللاسلكي، لكنها كانت متواضعة في أدواتها وإمكاناتها الفنية والمادية.

٥- صارت أرضـ تهامة والسراة تحت سيطرة المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وبدأ التطوير الحديث للأرض والسكان. ووصلت بعضـ الآلات الحديثة إلى مــدن وحواضر الطائف، وغامدٍ وزهــران، وبيشة، وأبها وغيرهــا. وكانــت وسائــل المواصــلات الحديثــة وتحديــداً السيارات تظهــر وتزيد أعدادهــا في مناطــق جنوب المملكة، ولم نصل إلى العقــد الثامن من القرن الماضي إلا أنــواع عديــدة من المركبــات الصغيرة والكبــيرة وصلت إلى معظــم مدن تهامة والســراة، وفي التسعينيات وبداية هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) شقت الكثير من الطرق الكبيرة والصغيرة، الطويلة والقصيرة التهامية والسروية في بلدان عسير، وجازان،

ونجـران، والباحة. وتكاثرت أعـداد وأنواع السيارات، ووصلـت آلات أخرى عديدة كالحراثـات، ومكائن رفـع المياه، ومعـدات عسكرية، واقتصاديـة، ومدنية متنوعة تستخدم لأغراض عامة وخاصة.

٦- اطلعت على وثائق ومخطوطات كثيرة، وسمعت روايات شفهية متعددة تشير إلى تأسيس إدارات حديثة مثل البرقيات واللاسلكي في عدد من مدن السراة وتهامة منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي، ثم تطورت حتى أصبحت في نهاية القرن نفسه مؤسسات كبيرة تشتمـل علـى البريد الجوي، والـبري، والبحـري، والهاتف. كما وصلـت خدمة الراديو مبكراً، ثم أنشئت إدارات للإذاعة، والتلفزيون الأبيض والأسود، ثم الملون.

٧- بحثـت في بعض مجالات التنميـة الحديثة في جنوب البـلاد السعودية خلال القرن الهجـري الماضـي، ووجدت الكثـير مـن الآلات والتقنيات الحديثـة التي ظهرت في حواضـر تهامة والسراة الكبـيرة، كانت معظمها في الثمانينيـات والتسعينيات من القـرن نفسه. ومن تلـك الآلات والأجهزة المولدات الكهربائيـة الحكومية والأهلية، والعديـد من المدن الصناعيـة والأسواق التجارية التي تعمـل وتعرض أنواعاً كثيرة مـن المعدات والأدوات المنزلية، والزراعيـة والصناعية الحرفية، وقطع غيار لمعظم السيـارات وغيرها. والمعدات العسكرية الأرضيـة، والجوية والبحرية، وآلات أخرى لاستخدامات مدنية متنوعة.

٨- **بـدأت حياتي الأولى في محافظة النماص، ثم انتقلت إلى أبها، واسـتمريت أتجول في ربوع بـلادي خلال هـذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ ٢١م)، وكنت ومازلت أشـاهد تاريخ التطور الحديث يصل إلى كل مكان ويشمل كل قطاع مدني وعسكري، حضري، وريفي، وبدوي، عام وخاص. وإذا ركـزت جهـدي على تاريخ الآلة الحديثة، والتقنية ووسـائل المواصـلات والاتصـالات خلال القرن الحالي، فإن ذلك يحتاج مني جهوداً كبيرة لأنجز عمل بحثي متكامل، واكتفيت بذكر إشارات عامة ومحدودة لعلها تفتح أبواباً أوسع لغيري فتدرس وتوثق في أعمال جادة ومطولة. وأكتب في الفقرات التالية لمحات مما عرفته أو سمعت عنه.**

أ- شاهـدت خـلال العشرين سنـة الأولى من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حركة تنمويـة حديثة واسعة شملت جميـع القطاعات الحضاريـة. فجميع مؤسسات الدولة تمارس أعمالها المتنوعة مستخدمة أجهزة الهاتف، والنسخ، والتصوير. ومعظم القطاعـات العسكرية والمدنية الفنية كالكهربـاء والصيانة والتشغيل، وإدارات الثقافة والإعـلام، والزراعـة، والصناعة والتجـارة، والتعليم العام والجامعـي، والمعاهد والثانويات والكليات المهنية والتقنيـة، والبناء والعمران،

والمواصـلات بأنواعهـا وغيرها استخدمـت أنواعاً كثيرة مـن الآلات الحديثة وشيئاً من التقنيات لإنجاز أعمالها.

ب ـ كنـت في العقديـن الأوليين مـن هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) أذهـب إلى بعض القطاعـات الحكومية في الطائف، وعسير، ونجـران. وأزور بعض المستشفيات المدنيـة والعسكرية، وأتردد على كليات فرعي جامعتـي الإمام محمد بن سعود الإسلاميـة والملك سعـود في أبها وبخاصة كلية الطب، وبعضـ الأقسام العلمية في كليـة التربيـة، وأزور فرع شركـة الكهرباء، وإدارات وأقسـام البرق والبريد والهاتـف في بعضـ مدن تهامة والسـراة الكبيرة، وأتوقف عنـد بعض المعارض التجاريـة التي تبيع السيارات والآلات والمعدات المتنوعـة، أو الأدوات الزراعية، والصناعيـة، والمكتبيـة، والمنزلية، والطبيـة، والرياضيـة، والتعليمية وغيرها، وجميعهـا موجـودة ومستخدمـة للأغراض والأهـداف التي جلبت لهـا. وكلها تستورد من خارج المملكة العربية السعودية، ولها موردون وتجار كبار في حواضر جدة، والرياض والمنطقة الشرقية يأتون بها من بلدانها التي صنعتها وصدرتها.

ج ـ لا أعرف ولم أشاهد استخدام جهاز الكمبيوتر في مناطق السراة وتهامة خلال العقد والنصف الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكانت جميع الأعمال في كل المؤسسات والإدارات والأقسام الرسمية والأهلية يدوية. وربما بعض القطاعات العسكرية والمدنية الحساسـة والمهمة كانـت مرتبطة تقنيا مع مراكـز رئيسية في الـوزارات والمؤسسات الرئيسيـة بالرياض. وهذا الـذي عرفته وشاهدته في كليات فـرع جامعة الملك سعود في أبهـا (التربيـة، والطب)، فقد كانـت مرتبطة فقط في رصد درجـات الامتحانات النهائية وإعلان النتائج مع مركز الكمبيوتر المركزي بالجامعة الأم في الرياض.

د ـ استمـرت وسائـل الاتصـال والتواصـل السابقـة وتطـورت كالهاتـف والبرق واللاسلكـي، وتوسعت من المـدن الرئيسية إلى الكثير مـن المحافظات والقرى والأرياف، وكانت الأجهـزة الرئيسية المستخدمة في جميع القطاعات الرسمية والأهلية. ومنذ منتصف العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ظهرت آلة (البيجر)، لكنها لم تستمر طويلاً لظهور الهاتف النقال (الجوال)، وبدأ نظام البريد الإلكتروني (الإيميل) يستخدم في بعض مدن السروات وتهامة مع مطلع عشرينيات هذا القرن. وظهـرت العديد من الآلات وأدوات التقنية المستخدمة في مجالات إدارية واقتصادية وفنية وحضارية متعددة.

هـ ـ رأيـت في العشرين سنة الأخـيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٥هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م)، تطوراً كبـيراً جداً في عالم التقنيـة، وصارت الشبكة العنكبوتيـة (الإنترنت) السائدة

والمهيمنة على كل شيء في حياة الناس. ولا نجد أي قطاع من مجالات الحياة المدنية أو العسكرية، العامة أو الخاصة إلا صار الإنترنت لاعباً رئيسيًّا فيها. وإذا أخذنا أي آلة صناعية نجد أنها تطورت كثيراً عما كانت عليه في القرن الهجري الماضي والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وصارت الشبكة العنكبوتية تتدخل في جوانب عديدة من نظام المعدات والآلات الصناعية المتنوعة.

أما مجال الاتصالات والتواصل الفضائي فذلك القطاع الذي تأثر بشكل منقطع النظير، وأصبح الإنترنت المحرك الأساسي والرئيسي لعالم التواصل والاتصالات في أرجاء الكرة الأرضية. ومن معاصرتي ومشاهداتي لهذا التطور الفني والتقني، فقد بدأ في تهامة والسراة تدريجياً من بداية عشرينيات هذا القرن، ثم تقدم وتطور بطريقة مذهلة خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة (١٤٣٠-١٤٤٥هـ/ ٢٠١٠-٢٠٢٤م). والذاهب في أنحاء البلاد يجد أن هذا الانفجار التقني صار معمولاً به في كل إدارة ومؤسسة حكومية وأهلية، صغيرة وكبيرة، وامتدت آثاره الإيجابية والسلبية من خلال وسائل التواصل إلى كل فرد ذكر أو أنثى، صغير أو كبير، فقير أو غنى.

أعلم أنني قصرت في توثيق صورة وافية عن المعدات والآلات والتقنية ووسائل الاتصالات والتواصل الحضاري الحديث الذي عرفته أوطان السروات وتهامة خلال العقود الماضية المتأخرة. وهذه المحاور مجالات واسعة تحتاج أن يُكتب فيها كتب ودراسات عديدة. وإذا تأملنا في حياة الناس مع هذه المخترعات في العقود المتأخرة وقارناها بالقرون القريبة الماضية فليس هناك وجه مقارنة. لأن التطور الذي طرأ على هذه الميادين التقنية والصناعية الحديثة يفوق خيال الإنسان، وفي فترة قصيرة لا تزيد عن خمسين عاماً.

من يتابع حالياً ما يجري في هذه القطاعات من تطورات سريعة ومتتالية، فإنه يصاب بالحيرة والذهول. واسمع وأقرأ في هذه الأيام عن الذكاء الاصطناعي الذي بدأت تظهر بوادره وآثاره في وسائل الإعلام، ويُدرّس في المدارس والكليات، ويتحدث عنه بعض المتخصصين في علوم الحاسب الآلي ومجالات التقنية، فيذكرون قصصاً تشبه الخيال، عما سيحدث للبشرية من آثار سلبية وإيجابية بعد انتشار وتغلغل هذه التقنيات الحديثة القادمة، وسوف يأتي في قادم الأيام ابتكارات أكثر تطوراً وهيمنة مما نراه ونعيشه في الوقت الحاضر. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول البشير، محمد رسول الله[١].

(١) كل الذي رصدته لمحات محدودة مما عرفته، وقرأت عنه، وشاهدته. والزمن القادم سوف يشهد تطورات مذهلة في مجالات الصناعات والتقنيات الفنية. ويجب على جامعاتنا المحلية أن تؤسس ضمن هياكلها مراكز بحوث علمية جادة تدرس أحوال التطورات التقنية، مع التركيز على معرفة إيجابياتها وسلبياتها، وإيجاد الحلول المناسبة لما ينتج عنها من أضرار أو فوائد.

٩ـ قصيدة : أسفار باحث ظمآن[١] . بقلم . أ. شريف قاسم[٢] .

هـي أسـفـارُ بـاحـث ظـمآنَ ... لـصحيح الأخـبـارِ فـي الأعـنـانِ
وأقـاصـي الـبـقـاع يُـنـبِـئُ عنها ... ولـحـالِ الـسـكـانِ والـبـلـدانِ
والأحـاديـثِ عـنَ حـوادث دهـرٍ ... مـن قـديـم ومـن جـديـد الأوانِ
مـن رسـوم ومـن مـغـانٍ وقـومٍ ... سـكـنـوها يـومًا ومـن أظـعـانِ
والـحـكـاياتٍ لـم تـزلْ ، فـصداها ... رنَّ بَـعـدَ الـسـنـيـنَ فـي الآذانِ
نـقـلـتْـها أكـفُّ فـذٍّ أمـيـنٍ ... مـن بـطـونِ الـتـاريـخ دونَ تـوانِ
فـكـأنَّا نـعـيـشُ سـالـفَ دهـرٍ ... يـتـراءى لـنـا عـلـى الأجـفـانِ
بـوركَ الـبـاحـثُ الـمـؤرخُ غـيـثانٌ ... وطـوبـى لـلـبـاحـث الـمـتـفـاني
أحـرزَ الـسَّـبـقَ إذ تـقـدَّمَ ، تـجـري ... فـي الـفـيافي بـه بِـكـارُ الـرهـانِ[٣]
فـأتـانـا مـن كـلِّ حَـدْبٍ وصَـوبٍ ... بـالـروايـاتِ والـسـجـايا الـحـسـانِ
فـي مـتـون غـنـيَّـةٍ ، وبـشـرحٍ ... صـيـغَ فـي مـوضـوعـيَّـة واتِّـزانِ
وتـحـرَّى فـيـها الـصـحـيـحَ المصفَّى ... مـن فـسـادِ الأهـواءِ والـوجـدانِ
فـهـو الـنـاقـدُ الـمـحـقِّـقُ فـي الـنـقل ... وفـي الـنـهـجِ ، جـاءَ ، والإتـقـانِ
وَلَـكَـمْ كـان فـي الـسـؤالِ صـبـورًا ... ووفـيًّـا لـنـسـجِ أنـقـى الـبـيـانِ
حيثُ ينأى عن الخرافةِ فالتاريخُ ... جـهـدٌ قـد كـان لـلإنـسـانِ
فـيه مـا عـاشَ مـن سـرورٍ ومجدٍ ... وشـجـونٍ وعِـزَّةٍ وهـوانِ
والـحـضـاراتُ فـيـه ألـفـتٌ عـلاها ... وازدهـارُ الإنـشـاءِ فـي الـعـمـرانِ
جـالَ غـيـثـانُ في مـحـاورهـا الـيـومَ ... فـجـاءتْ فـوَّاحـةَ الأردانِ
بـدقـيقِ الأسـماء : أمـكـنـةُ الأحـداث ... تـوثـيـقُـها بـلا نـكـرانِ
مـن نـصـوصٍ ومـن وثـائـقَ تـأبـى ... أن تُـوارَى عـن سـاحـة الـعـرفـانِ
وبـنـقـدٍ مـهـذَّبٍ ، وبـجـمـعٍ ... لـشـتـاتِ الأخـبـارِ والـحَـدَثـانِ[٤]

---

(١) قصيدة منشورة في صحيفة النماص اليوم ، بتاريخ (٢٠٢٥/٢/٩م) . ونشرت أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام ، صحيفة وسوم، عدد (١١١٤) (٢١/فبراير/٢٠٢٥م) .
(٢) الأستاذ شريف سوري الجنسية ، شاعر وأديب عاش في جنوب المملكة العربية السعودية ، وتحديدا في نجران ، أكثر من (٤٥) سنة ، ويعيش حاليا في كندا.
(٣) النوق الفتية .
(٤) نوازل الدهر ونوائبه .

كُتُبٌ صاغها بدقَّةِ بحثٍ ... وبتحقيقِ سيرةِ الأعيانِ[١]
فدراساتٌ عن بلادِ سراةٍ ... وبني شهرٍ في قديم الزمانِ
وعسيرٍ وبيشةٍ ثمَّ أبها ... وبني عمروٍ والمدى النجراني
مئةٌ لو عددْتَها ثم زادتْ ... بازدياد البحوث في العنوان
وردودٍ على الحقودِ أذاقتْ ... طعمَها المرَّ (كارلَ الكلمان)[٢]
وبحوثٍ عن الحضارةِ والتاريخ ... أغناها منهجُ القرآنِ
وعن العلمِ والتَّعلُّمِ والهجراتِ ... روَّادُها من السكانِ
عاشَ غيثانُ في مرابعِها الخُضرِ ... فتاهت نفيسةَ الأثمانِ
ورعاها بالجهدِ والدَّأبِ الحُلْوِ ... فألفاهُ عندَ طيبِ المعاني
ووجدنا ثمارَها يانعاتٍ ... دانياتٍ في سفره الفينانِ
منه قد نالَ الدارسون مُناهم ... واستظلُّوا بفيئه المزدانِ
ذاك تاريخُ أمَّةٍ ، وفصولٌ ... لعديد الأجناسِ والأديانِ
وحكايا حولَ الغديرِ ، وأخرى ... في رواياتِ قوةِ الشجعانِ
وبقايا : هي الرسومُ لربعٍ ... قد طوتْهُ سوافيَ الأزمانِ
ما ألذَّ التاريخَ نرحلُ فيهِ ... للبعيد استهوى الحجَى والدَّاني
فيه خبراتُ أمَّةٍ ، وتراثٌ ... وتعاليمُ دينِنا الرَّبَّاني
فهو الواعظُ الأمينُ لقومٍ ... إن جفوهُ أو غابَ في النسيانِ
فلكَ الشكرُ أيُّها الباحثُ الفذُّ ... ومرحى تنالُ أحلى بَنانِ
أنتَ رصَّعتَها من الدررِ الزَّاهيةِ ... اليومَ أسفرتْ والجُمانِ
ليس ينسى تاريخُ مملكةِ الخيرِ ... بنيها من خيرةِ الفتيانِ
ذاك عبدالقدوسِ والمنهلُ العذبُ ... يساقي أفاضلَ الفرسانِ[٣]
تتهادى مجلَّةً ذاتَ شذْوٍ ... بزهورِ الآدابِ والعرفانِ
وأخوه الجوَّابُ بينَ المغاني ... حمدُ الجاسرِ الصدوقُ اللسانِ
ورجالٌ أمثالُهم حيثُ هبُّوا ... للرقيِّ المحمودِ بالإنسانِ
حفظَ اللهُ خطوَهم ، ورعاهم ... بأيادي التوفيقِ والإيمانِ

---

(١) وجهاء القوم وساداتهم

(٢) كارل الكلمان: المراد المستشرق كارل بروكلمان الذي تحامل على السيرة النبوية الشريفة .

(٣) هو عبد القدوس القاسم الأنصاري مؤسس مجلة المنهل ومحررها .

١٠.رحلـة قصـيرة في أجـزاء مـن تهامة (قـراءات، ومشـاهدات، وتوصـيات)[١]

بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

خرجـت في رحلـة قصـيرة لبضعـة أيـام خـلال الفـترة من(٧-١١/٧/١٤٤٦هـ الموافق٧–١١/١/ ٢٠٢٥م) من مدينة أبها إلى محافظات الدرب، ورجال ألمع، ومحايل عسير، وبارق، والمجاردة، وخرجت بالعديد من الخلاصات التي أدونها في النقاط الآتية:

١- جميـع هذه البلدان التـي زرتها وتنقلت في مناكبها حوالي خمسـة أيام تقع في بلاد تهامـة، وتحديدًا في الديار السهليـة الجبلية التي تقع عند سفوح السروات الغربية. وهـي نواحي مأهولة بالسكان منـذ عصور ما قبل الإسـلام، والقبيلة هي التركيبة البشريـة التـي تحكمهـا خلال القـرون القديمـة، والإسلاميـة المبكـرة والوسيطة والحديثة. وإذا بحثنا في تاريخها القديم والإسلامي المبكر فلا نجد لها ذكر واضح في المصـادر الكلاسيكية القديمة، أو العربية والإسلامية الأولى. مع أننا نجد بعض المصـادر التي تشير إلى شيء من تاريخ بعض الموانـئ على الساحل الشرقي للبحر الأحمـر، وعـن شعوب وبلـدانٍ في اليمن والحجـاز، وليست هذه البـلاد التي زرتها الوحيـدة التي نجهـل تاريخها السياسي والعسكري، بل هنـاك بلدان أخرى عديدة في عمـوم السروات وتهامة (من جازان ونجران إلى الطائف وجنوب مكة المكرمة) سادهـا أيضًا الجهل والنسيان العلمي والمعرفي التوثيقي. وبقيت هذه الأوطان خلال القـرون الإسلامية الوسيطة والحديثة حتى القرن (١٣هـ /١٩م) مجهولة في العلم التاريخي والحضاري الموثق، وهذا لا يعني أنه ليس لها تاريخ وتراث طبيعي وبشري، بـل هي مكتظة بالسـكان الذين لهم أنشطة حضارية في شتـى الميادين، لكن بُعدها وانزوائهـا عن مراكز الحضـارة الإسلامية داخل شبه الجزيـرة العربية وخارجها أحـد الأسباب الرئيسيـة التي جعلتها في طي النسيان عنـد المؤلفين الأوائل وأرباب القلم من العرب والمسلمين وغيرهم.

٢- عندما نقف في الوقت الحاضر على شيء من حضارة البلاد القديمة، مثل: الكتابات والرسومـات الصخرية، والنقوش والآثار المادية، ونشاهد بعض آبارها، وسدودها، وقراهـا، وحصونهـا، ومقابرهـا، ومساجدهـا، وأسواقهـا الأسبوعيـة، ودروبهـا الطويلـة والقصيرة، وأحميتها، وكهوفها، ومزارعها وطـرق ريِّها القديمة، وغيرها مـن المصادر الماديـة السطحية. وإن بحثت عـن شيء من آثارهـا المادية المدفونة، أو تاريخهـا الحضاري المعنـوي المتمثل في لهجـات أهلها، ورواياتهـم، وأشعارهم،

(١) نُشرت في صحيفة النماص اليوم الرقمية ، بتاريخ (١٢/يناير/٢٠٢٥م).

وقصصهم، وفنونهم، ورياضاتهم القديمة، وتاريخهم الحضاري الاجتماعي المنوع من أعراف، وتقاليد، وشيم، وعادات، وتواصل لفظي، أو نفسي، أو أسري، أو مجتمعي، فإنك ستجد الكثير من التاريخ والحضارة الماثلة أمامك، التي يعود تاريخ بعضها إلى عصور ما قبل الإسلام، والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. لكن هذا التراث والتاريخ القديم الذي مازال مشاهدًا في البلاد إلى وقتنا الحالي غير مدون في أعمال علمية، بل تجد الكثير من هذا الموروث اندثر. حتى وان شاهدنا أو مارسنا شيئًا منه في حياتنا اليومية، لكننا نجهل تمامًا جذوره التاريخية الحضارية القديمة. وهذا النموذج الذي أشرت إليه في السطور السابقة، موجود أيضًا في أي مكان من ديار السروات وتهامة الممتدة من مكة والطائف إلى نجران وصعدة وجازان وما جاورها.

٣- أشاهد خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) بعض المتعلمين من أهل البلاد أو من خارجها ممن قاموا بعمل المحاضرات أو البحوث والكتب والدراسات التاريخية والحضارية والأثرية، وفي الغالب يذكرون شيئًا من تاريخ وتراث الأرض والناس في العصر الحديث والمعاصر، وهذا أمر لا مشكلة فيه، وأخص بذلك الباحثين الجادين الذين يعتمدون في أعمالهم العلمية على مصادر ومراجع جيدة وذات مصداقية عالية، أما غيرهم الذين لا يحرصون على الحيادية والشفافية فليس لهم مكان في مدونتي هذه. والمشكلة التي رأيتها ووجدتها عند البعض من هؤلاء الباحثين أنَّهم يذكرون معلومات متنوعة وقديمة قبل الإسلام وبعده عن تركيبة السكان والقبائل وأنسابها، ويشيرون إلى تواريخ سياسية وحضارية متعددة الجوانب، وإذا وضعنا أقوالهم وتوثيقاتهم تحت محك النقد العلمي الحيادي المنصف فإننا نجد معظمها وأحيانًا كلها غير دقيقة، فلا يوجد لها مصادر ومراجع معتبرة، وفي أغلب الأوقات تُلوى عنق الأقوال والمعلومات من أجل الوصول إلى الرأي أو النتيجة التي يسعى لها صاحب البحث أو الدراسة. وهذه المشكلة ليست محصورة على البلدان والمحافظات المذكورة في هذه المقالة، بل سمعت وقرأت عنها وشاهدتها مكتوبة عن مواقع أخرى في البحوث الورقية أو الرقمية أو المقاطع المنشورة بالصوت والصورة. وهذه الآفة للأسف منتشرة بشكل كبير عن طريق وسائل التواصل المختلفة، وفيها من الأخطاء والكذب والتدليس ما الله به عليم.

٤- هذه الأمكنة الستة المذكورة في هذه الورقة (من أبها إلى المجاردة) تقع في أجزاء من السراة وتهامة، وعموم المنطقة التهامية والسروية شملها التجاهل والنسيان

العلمي والتوثيقي. والظروف التي عاشتها شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده إلى وقتنا الحديث أثرت سلبًا على هذه البلاد المعنية في هذا الموضوع، ربما لصعوبة أرضها وشراسة أهلها الذين لا يقبلون الغريب أن يدخل بلادهم، وأيضًا حروبهم وصراعاتهم القبلية عبر عصور التاريخ كانت جميعها من المعوقات التي جعلت الأرض والناس في عزلة اجتماعية وحضارية قرون عديدة. واليوم والحمد لله صارت هذه الديار جزء من الدولة السعودية الحديثة التي تعمل جاهدة على تطوير البلاد والعباد، حتى أصبح من أبناء هذه البلاد أعدادٌ كثيرة في جميع مجالات المعرفة، وصار أيضًا في أرجاء السروات وتهامة عدد من المؤسسات العلمية والبحثية العالية. وكل هذه المؤهلات الطبيعية والبشرية عليها مسؤوليات كثيرة لخدمة بلادها تنمويًا، وحضاريًا، وثقافيًا، ومعرفيًا، وعلميًا، وآمل أن نرى في جامعاتنا، وكلياتنا، وأقسامنا العلمية المحلية من يدعم ويشجع ويتخصص في دراسة وتوثيق تاريخ وحضارة جميع البلدان التهامية والسروية، ومنها المدن والمحافظات المشار لها في مقدمة هذه المدونة.

٥- هذه ليست المرة الأولى التي أزور فيها هذه المحافظات المذكورة، بل قرأت صفحات من تاريخها المادي والمعنوي، وتجولت في مناكبها مرات عديدة، وجلست مع أهلها وسمعت منهم. ولاحظت الكثير من معالمها وأعلامها الجغرافية والبشرية. وأوصيت طالباتي وطلابي خلال هذا القرن(١٤٠٠-١٤٤٦هـ/١٩٨٠ــــ٢٠٢٥م) بالدراسة والبحث في تاريخها، وتراثها، وموروثها. وبعضهم قام بذلك وأنجزوا بعض البحوث عن جزئيات من تاريخها خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠ م)، ومازالت هذه الأوطان تحتاج إلى جهود أكبر وبحوث نوعية خلال هذه الفترة الحديثة. أما تاريخها من العصر القديم إلى القرن (١٢هـ/١٨م)، فنحن في حاجة ماسة وكبيرة إلى دراسة هذه البلاد من خلال آثارها المادية السطحية والمدفونة. وهذه النواحي وغيرها في بلاد تهامة والسراة تستحق هذه الخدمات العلمية البحثية الجادة. ولن يتحقق ذلك إلَّا بإنشاء كليات وأقسام عليمة أكاديمية تُدعم ماديًا ومعنويًا، ويُجلب لها باحثون وأساتذة بارعون ومتخصصون، وإن تحقق ذلك على أرض الواقع فقد نعثر على صفحات من تاريخ بلادنا المفقود في عصور قديمة.

٦- إنَّ المحافظات المذكورة وغيرها في تهامة والسراة تنعم خلال المئة عام الماضية (١٣٤٥-١٤٤٥هـ/١٩٢٦-٢٠٢٤م) بتاريخ حضاري مشرق. وجرى خلال هذه المدة الكثير من الأحداث والتواريخ المتنوعة، وفي نهاية المطاف صارت عموم البلاد

تعيش حياة نمو ونور وتنمية في الكثير من القطاعات. هذا الذي عرفته وسمعت عنه وقرأته في عشرات المذكرات والمدونات وآلاف الوثائق والصفحات التاريخية. ومع هذا فنحن مازلنا بحاجة إلى دراسة، وتحليل، وجمع، وتصنيف هذا التاريخ، ثم طباعته ونشره لجميع القراء. وقد يقول قائل إنَّ تاريخ البلاد الحديث والمعاصر معروف وموثق، وهذا كلام غير صحيح ولا دقيق. نعم عندما يسير الواحد منا في أنحاء البلاد يرى صور التنمية الحديثة واضحة للعيان؛ مشاريع تنموية مادية ومعنوية في كل المجالات، لكننا لا نملك ولا نعرف تاريخ علمي جاد ومنصف يوثق كيف بدأت ثم تطورت هذه الحياة الحضارية الحديثة والمعاصرة. وعلى الباحثات والباحثين، والمؤرخات والمؤرخين المعاصرين أن يخدموا بلادهم وأهلهم بحفظ هذا التاريخ كتابة وتصويرًا وتوثيقًا.

٧- إنَّ الغزو الفضائي الذي يعيشه العالم، وسهولة الحصول على المعلومة، ونشرها ومشاركتها مع الغير بسرعة فائقة من نعم الله على البشر. وهذا فضل الله - عَزَّوَجَلَّ - على خلقه، لكن ما ينشر من خلال وسائل الفضاء الكثيرة، وبخاصة في مجالات العلم والمعرفة، فالواجب الحرص والحذر من كل غث وغير صحيح ولا نافع ومفيد. وفي أثناء جولتي الأخيرة، حرصت الدخول على الإنترنت والبحث في جوجل عن بعض المعارف الجغرافية، وتاريخ وحضارة وأعلام بشرية في المحافظات التي زرتها. واتضح لي الكذب والأخطاء والمغالطات المدونة، ومثل هذا النوع من المعلومات قد يتلقفها بعض الناس فيصدقونها، مع أنها غير صحيحة، وهذه مشكلة يصعب السيطرة عليها، لكن الأهم أن تُدعم وتشجع دراسات علمية جيدة وجادة تخضع للمراجعة والتدقيق بهدف نشر علم ومعرفة تاريخية وحضارية صحيحة عن أي موضوع يتعلق بتاريخ بلادنا وحياة سكانها.

٨- لو توقفتُ عند كل حدث أو شيء سمعته أو شاهدته خلال هذه الرحلة القصيرة، لخرج عمل علمي في عشرات الصفحات. وقد يُستهان بالجولات والمشاهدات التي يصدر عنها عمل موثق، وهذا المصدر من المصادر الرئيسية في علم الكتابة والتوثيق. وكلما كانت الحيطة والاجتهاد في رصد معلومات صادقة وصحيحة كان هذا المصدر من المصادر الجيدة والموثوقة. وأرجو من أبناء وبنات أهل تهامة والسروات، وبخاصة أرباب القلم من الباحثين، والمؤرخين، والشعراء والأدباء، ومن يجد عنده المقدرة والكفاءة أن يكتب ذكرياته أو مشاهداته وانطباعاته عن أي موضوع أو ناحية في بلاده، أو القرية، أو المدينة أو المكان الذي يزوره أو يعيش فيه

في جنــوب البلاد السعودية أن يبــادر في عمل ذلك، مع توخي الحذر الشديد على أن يكــون صادقًا وشفافًا ومنصفًا فيما يتم كتابتــه وتوثقيه. ومن يفعل ذلك فهو يحفظ صفحة من صفحات تاريخ وحضارة الزمان والمكان الذي يكتب عنه.وللأسف أننا لا نعــير التوثيق والكتابة في حياتنا الشيء الكثير ، وهذا مما جعل الكثير من حضارتنا وتراثنا يضيع عبر العصور ، وفي وقتنا الحاضر ليس عندنا عذر إطلاقًا؛ لأن الجميع أصبــح يقــرأ ويكتب، والمسؤوليــة الكبيرة على عاتــق الباحثين، والمعلمــين، وأساتذة الجامعات وغيرهم من أرباب الثقافة والمعرفة. وصلى الله وسلم على رسول الله [١].



(١) خرجت بهذه الآراء والتوصيات والتوثيقات بعد رحلة طويلة في مجال البحث والعلم والمعرفة امتدت حوالي خمســة عقــود (١٣٩٦ــ١٤٤٦هـ/١٩٧٦ــ ٢٠٢٥م) . وأقــول: إن بلادنا جنوب المملكــة العربية السعودية (فمناطــق الباحــة، وعســير، وجازان، ونجران) تحتــاج خدمات كبــيرة ومتعددة وجادة في ميــدان البحث والرصد والتوفيق العلمي.

١١ـ من سروات ظهران الجنوب وقحطان إلى زهران والطائف (قراءات، ومشاهدات، وانطباعات).[(١)] . بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

إنَّ السروات الممتدة من سراة قحطان وظهران إلى سراة غامد وزهران والطائف تُقدر المسافة بينهما بـ (٦٥٠) كيلًا ، وتعد من المستوطنات البشرية التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الإسلام. لقد وُلِدْتُ وعشت في أكناف هذه البلاد أكثر من ستة عقود ونصف، وعندما تخصصت في علم التاريخ والتراث والحضارة العربية والإسلامية من منتصف تسعينيات القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م) . واجتهدت في البحث عن التاريخ والحضارة القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة لهذه المرتفعات المترابطة بعضها ببعض، والمتفاوتة في ارتفاعاتها، وأشكالها، وطبيعة سكانها وأرضها ، وما تشتمل عليه من مصادر طبيعية ظاهرة وباطنة. وخرجت بالعديد من الصور العامة ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بأرض وإنسان هذه البلاد عبر عصور التاريخ المختلفة، وفي المحاور التالية أوثق شيئًا مما عرفته وتوصلت إليه:

أولاً: هذه البلاد جزءٌ من جبال السروات، أو الحجاز الممتدة من بلاد الشام إلى أقصى اليمن. وعلماء الجغرافيا واللغة والأدب الأوائل وغيرهم فصلوا الحديث في امتداد هذه المرتفعات، وما تحتوي عليه من تقسيمات جغرافية وأحيانًا سكانية. وورد تباينات كثيرة في أقوالهم وأطروحاتهم، وذلك بسبب الاختلافات الجغرافية الظاهرة على هذه الجبال الحجازية، وبخاصة في أشكالها وما يحيط بها من ظروف مناخية وبشرية. ويتضح ذلك في طبيعة الأرض من مكة المكرمة إلى بلاد الشام، فهي مختلفة في أشياء عديدة مع جبال الحجاز الممتدة من الطائف إلى بلاد غامد وزهران ثم بقية المرتفعات الممتدة جنوبًا حتى سراة قحطان وظهران الجنوب وما بعدها من سروات اليمن. ونجد العديد من أقطاب اللغة العربية والجغرافيين القدماء يوردون مصطلحات ومسميات عديدة عن جبال الحجاز أو السروات ومنهم من قسمها إلى مرتفعات الحجاز الشمالية والجنوبية، وآخرين قالوا: جبال الحجاز الوسطى، وبعضهم أطلق على بعض السروات، وبخاصة الممتدة من الطائف إلى قحطان وصعدة اسم (الجبل الأسود) ، وهناك شروحات كثيرة عن تعريف جبال الحجاز، وجميعها مبسوطة ومشروحة في عشرات المصادر من كتب التراث الإسلامي. ومعظمهم أكدوا على أنَّ جبال أو مرتفعات الحجاز تعد الحاجز الطبيعي الفاصل بين سهول تهامة وسواحلها في الغرب، والصحاري والفيافي والسهول الشرقية الممتدة إلى وسط وشرق شبه الجزيرة العربية.

---

(١) نُشرت هذه المقالة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢٠٢٥/١/٢٣م). كما نشر أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد(١١٢٠) (٢١/مارس/٢٠٢٥م).

ثانيًا: مـن يبحث عن جبال الحجـاز (السروات) ومرتفعاتهـا المذكورة في عنوان هذه المقالـة في عصور ما قبل الإسلام، فسيجد توثيقات قديمة وحديثة تشرح جزئيات من تاريخ وحضارة البلاد والعباد في الأجزاء الجنوبية والشمالية من الجبال الحجازية. فالناحيـة الجنوبية من نجـران وصعدة إلى أقصـى اليمن جنوبًا صـدر عنها عشرات المصـادر والمراجـع التـي أرخت لهذه البلاد مـن عصر ما قبل التاريـخ إلى فترة ظهور الإسـلام في القرن السابع الميلادي. وكذلك الوضع نفســه حدث لجبال الحجاز وأهلها مـن مكـة المكرمة إلى مدن الشـام الرئيسية. وفي هاتين الناحيتـين قامت دول وإمارات سياسيـة وحضارية منـذ العصر الحجـري إلى بداية ظهـور الإسلام. والسـؤال الذي يفرض نفسه، كيف كانت أحوال جبـال الحجاز (السروات) الوسطـى، وأخص بذلك المرتفعات الممتـدة من الطائف إلى نجران، وقحطان، وصعـدة قبل الإسلام؟ والإجابة على هذا السؤال: أننا لا نعرف توثيقات أو معلومات واضحة تبين لنا تاريخ هذه البلاد، وأحيانًـا نجد في بعض المصادر الكلاسيكية القديمة، أو الإسلامية المبكرة إشارات غير دقيقة ولا كاملة عن أمكنة في هذه السروات وتعتبر ظاهرة التجاهل وعدم ذكر أي شيء عن حياة الناس في هذه الأوطان هي السائدة والعامة في كل المجالات.

ثالثًا: ليس هنـاك أدنى شـك أنَّ هذه الجبـال مأهولـة بالسكان منـذ آلاف السنين. وصدر خلال المئتي سنة الأخيرة، من منتصف القرن (١٣هـ/١٩م) إلى وقتنا الحالي بعض الدراسات التنقيبية والأثرية التي أثبتت من خلال النقوش والكتابات والرسومات الصخرية، وشيئًـا مـن الآثار المدفونة إلى أنَّ هذه السروات مسكونة، وفيهـا حياة بشرية وحضارية منذ العصور الحجرية، وما تلاها من عصور حتى القرنين السادس والسابع الميلاديين.

رابعًا: جـاء عصـر الإسـلام، ونـزل القـرآن الكريم علـى الرسول (ﷺ)، ثـم توفرت المصـادر والروايات مـن الأحاديـث الشريفة الصحيحة، وجـاء مؤلفون كثـيرون في العلوم الشرعيـة والسيرة النبوية، والمصادر اللغوية والأدبيـة، والتاريخية والحضارية، والجغرافية وكتب الرحـلات، والطبقات والتراجم، والموسوعات الإسلاميـة المبكرة والوسيطة وغيرها، وجميـع كتبهـم احتـوت علـى معلومـات متفرقة رصـدت مقتطفات مـن حياة أهـل السراة القاطنـين في جبال الحجاز من الطائف إلى غامد وزهران، وعسير، وشهران، وقحطان وما جاورهم في أعالي الجبال. ونجد القرآن الكريم يذكر في أكثر من مكان مواضع في السروات مـن الطائف إلى اليمن .قال تعـالـى:) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَـى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيـمٍ([الزخرف: ٣١] . والمقصـود بالقريتين (مكة، والطائف) وإذا كانت الطَّائف إحدىَ قـرَى جِبـال الحجاز ، فهناك آية أخرى أشارت إلى القـرى الحجازية من اليمن إلى الشام. قـال تعالـى:)وَجَعَلْنَـا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ([

سبأ:١٨]. وذكر بعضُ المفسرين المقصود بالقرى الظاهرة أي الموجودة في السروات الممتدة من بلاد اليمن إلى أرض الشام (الأردن، وفلسطين، وغيرها). أما كتب السنة النبوية ففيها الكثير من الأحاديث الصحيحة التي اشتملت على مادة علمية عن معالم جغرافية وأعلام بشرية في ديار السروات الممتدة من الطائف إلى صعدة. وكذلك كتب اللغة العربية والأدبية، والمعاجم اللغوية، والدواوين الشعرية يوجد فيها تفصيلات جيدة عن أمكنة، وشعراء، وقصص كثيرة عن حياة السرويين قبل الإسلام وبعده. وكتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل من أفضل المصادر التي حفظت لنا تواريخ متنوعة عن سكان المرتفعات الجبلية الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى. ومن أفضل أولئك الجغرافيين في العصر الإسلامي الوسيط أبو محمد الحسن الهمداني (ق٣ــ ق٤هـ/ق٩ــ١٠م)، وجمال الدين أبو الفتح المعروف بابن المجاور (ق٧هـ/١٣م) وغيرهما فقد حفظوا لنا معلومات قيمة عن أرض وسكان السراة من ظهران الجنوب وقحطان إلى زهران والطائف. وأكد الهمداني على قدم تاريخ هذه القبائل التي تسكن السروات، وأنَّ كل قبيلة تنسب إلى سراتها، وهي من الشمال إلى الجنوب: سروات الطائف، وسراة فهم وعدوان، وسراة بني مالك، أو سراة بجيلة، وسراة غامد وزهران، وسروات خثعم وشمران، ثم سراة الحجر، ثم سراة عسير(عنز)، وأجزاء من سراة شهران، ثم سراة قحطان ووادعة، وجاء قبل الهمداني وابن المجاور وبعدهما حتى القرن (١٢هـ/١٨م) مؤلفون وعلماء آخرون متفرقون داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها فدونوا بعض الأخبار والتوثيقات المحدودة والقليلة عن تواريخ وأحداث وأمكنة في أرض السراة من الطائف إلى مرتفعات قحطان وظهران ونجران.

خامسًا: بقيت هذه البلاد مجهولة ومعزولة علميًّا وتوثيقيًّا خلال العصر الإسلامي الوسيط وبدايات العصر الحديث (ق٣ـ ق١٢هـ/ق٩ـ ق١٨م)، وهذا مما جعلنا في حيرة وعجز كبير لمعرفة تاريخ وحضارة أهلها. مع أنَّ العالم العربي والإسلامي في هذه الفترة كان يعيش حقبًا من التطور والازدهار، حتى شبه الجزيرة العربية، فقد كان فيها مناطق عديدة، كالحواضر الكبرى في الحجاز واليمن لها تاريخ وحراك حضاري متنوع، وقد وصلنا وعرفنا مئات الصفحات من حياة الحجازيين واليمنيين في تلك القرون الوسيطة والحديثة. أما هذه البلاد المتوسطة بين اليمن والحجاز(سراة وتهامة) فلا نعرف عن حضارة أهلها إلا شذرات بسيطة وغامضة جدًا. والمرتفعات الجبلية (السروات) أقل البلاد والسكان الذين لا نعرف أي شيء عن حياتهم خلال تلك القرون الغابرة.

سادسًا: نجد خلال العصر الحديث والمعاصر (ق١٣ـ ق١٥هـ/ق١٩ـ ق٢١م) حدوث الكثير من المتغيرات السياسية والحضارية محليًّا، وإقليميًّا، وعالميًّا. ودخلت السروات من الطائف إلى قحطان وظهران الجنوب التاريخ المروي والمكتوب، وأصبحنا نقرأ

ونعـرف مصـادر متنوعة تشتمل علـى صفحات من تاريخ وحضارة سـكان هذه البلاد، ومن هذا التاريخ المطبـوع والمخطوط، المنشور وغير المنشور، المحلي والإقليمي والعالمي، ومعظمـه مدون باللغة العربيـة، ومنه المكتوب بلغـات عثمانية أو أجنبيـة كالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية وغيرها من اللغات الأوربية الأخرى .

(*) أشرت في الفقرات والسطور السابقة إلى نقاط عامة عديدة عن جبال السروات ومـا حولهـا، وكل محور ذكرته جدير أن يُدرس ويُكتب عنه بحوث وتوثيقات عديدة. وفي الجزء الأخير من هذا المقال، أدون بعض الانطباعات، والمقترحات، والرؤى التي أرى أنّ له صلة بهذه البلاد المذكورة في هذا العمل التوثيقي، وأذكرها على النحو الآتي:

١- إن السـروات المشار إليـه في العنوان الرئيسي تُعد العمود الفقـري لعموم السروات وتهامة الواقعة بـين اليمن والحجاز. فالذاهب في أرجائها يلمس العراقة التاريخية الماديـة والمعنوية الظاهرة علـى طبيعتها الجغرافية وتركيبتهـا السكانية. ويجد أنَّ البلاد الواسعة الواقعة غربها وشرقها تستمد أصولها وعمقها التاريخي والحضاري مـن هذه المرتفعات السرويـة من نجران وقحطان إلى زهـران والطائف. وللأسف أنَّ تضاريسهـا الجغرافية الوعرة من الأسباب الرئيسية التي شكلت طبيعة أصولها وأنسابهـا قبل الإسلام وبعده، وبالتالي بقيت في عزلة اجتماعية لعدة قرون. وكانت القبيلة تدعم وتشجع حياة الانعزال والانطواء، وشيوخ القبائل وأعيانها هم الآمرون الناهون في بلادهم في العصر القديم وخلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة حتى العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م).

٢- إن المـؤرخ والباحـث الجـاد يستطيـع استنبـاط تاريخ البـلاد القـديم والإسلامي الوسيـط، عندمـا يسـير في مناكبها. فهناك المعـالم العمرانية القديمـة في القرى ومرافقهـا، والـدروب، والأسواق الأسبوعيـة، والآبار الزراعيـة، ومواطن التعدين، والحـرف والصناعات القديمـة، والأدوات الزراعية، وأشياء كثـيرة مادية مازالت ظاهـرة ومعروفة عند الناس أفرادًا وجماعات، والكثير من هذه المواد تعكس جزءًا من تاريخ أهل السراة عبر أطوار التاريخ.

٣- قضيـت أكثر من ثلاثين عامًـا باحثًا وسائحًا ورحالة في جبـال، وهضاب، وحزون، وأوديـة جبال السراة من قحطـان ونجران إلى زهران والطائـف، وشاهدت تاريخ كبير مكتوب على الصخور، وشيئًا من هذا التاريخ يروي حياة أهل البلاد في العصر القـديم، وصفحات أخرى في القرون الإسلاميـة المبكرة والوسيطة. ولا تخلو البلاد أيضًـا مـن قرى ومـدن حضارية قديمـة مدفونة تحت سطـح الأرض. أمـا التاريخ

المعنـوي الماثل في لغة السكان، ولهجاتهم، وفنونهـم، وعاداتهم، وأعرافهم القديمة فتلك صفحة مهمة من تراث وتاريخ وحضارة السرويين على مر التاريخ.

٤- كان سكان السروات حتى منتصـف القرن (١٤هـ/٢٠م) معذورين لضعف وتدهور حياتهم السياسية والاقتصاديـة، وهذا مما جعلهم معزولين متأخرين متخلفين في تطويـر أحوالهم المادية والمعنويـة، العامة والخاصة، لكن بعد أن صاروا ضمن كيان سياســي حضاري حديث تحت مظلة حكومة المملكة العربية السعودية، عندئذ بدأوا حيــاة تنويريــة تطويرية جديدة، وترقـوا في سلم الحياة حتى أصبحـوا يعيشون في مستوى كله استقرار وتقدم وازدهار، وبدأنا نرى مؤرخين وآثاريين وباحثين نشيطين يسعون إلى البحث والتنقيب عـن موروثهم وتراثهم وتاريخهم وحضارتهم القديمة والوسيطة والحديثة. وهذه كلها مبشرات وعلامات إيجابية قد تُطلعنا على صفحات علمية حقيقية من حضارة السرويين القدماء قبل الإسلام وبعده.

٥- نرى في العقود الأخيرة من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) تطور المجالين الفضائي والتقني. وهـذه نعمة عظيمة جعلتنا نطـور أنفسنا، ونستفيد من هذا التقدم المعرفي. ويجب على الإنسـان العاقل الحصيف، والمسلـم الذي يرجو عفو الله ورحمته أن يكون جادًا وحذرًا في استخـدام العلوم التقنيــة وتسخيرها لكل ما هو صالح ومفيد علـى المستويين العام والخاص، الفـردي والجماعي. والـذي جعلني أوثق هـذه السطـور التمهيدية، هو ما أسمعـه وأشاهـده أحيانًا على منصـات التواصل الاجتماعي، وبخاصــة كل ما له صلة بتاريخ وحضارة وموروث بلادنا. فهناك الكثير من المدونات والمقاطع الرقمية بالصوت والصـورة أو الكتابـة والتوثيـق، وفي بعضها توثيقـات غير صحيحـة ولا دقيقة، وتذكر معلومات عن موضوعات تاريخية وحضارية قديمة. وبعض الناشرين أو الرواة يذكرون أقوالهـم على أنَّها صحيحة وحقائق لا لبس فيهـا، وإذا وُضعت تحت النقد والتمحيص العلمــي نجدهـا كذبًا وتدليسًـا، وليس فيهـا أي نسبة مـن القول والرصـد الصحيح. وللأسـف أنَّ عامة الناس يسمعون مثل هذه الافتراءات والأقـوال الزائفة ويعتمدونها، ويروونها ويدافعون عنها. والمتأمل في كل ما ينشر على وسائل التواصل الاجتماعي، وله صلة بالعلم والمعرفة يغشاه أحيانًا الكرب والحزن للخلط ومجانبة الحق والصواب فيما يقـال ويُطرح على عقول النـاس، وهذه مشكلة منتشر أثرها وشرهـا في أرجاء العالم. وآمـل أن نـرى من بناتنا وأبنائنـا المؤرخات والمؤرخين والباحثـات والباحثين الجيدين الجادين من يجتهد في دراسة وتوثيق تاريخنا المحلي سواء في بلاد السروات، أو في أي زمان ومكان من بلادنا الغالية (المملكة العربية السعودية). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.وصلى الله وسلم على الرسول الأمين.

١٢. قـراءة في كتابـين صـدرا حديثـاً (غيثان بن جريس في رسـائل معاصـريه، والكتاب التوثيقي)[١]. بقلم. أ. عيسى بن سليمان الفيفي[٢].

تنبع أهمية (التوثيق) من أنَّـه يُعدُّ الركيـزة الحقيقة التي يعتمـد عليها الباحثون في رحلاتهم البحثية فيما يسعون إليه، ولكونـه يُمثل أيضاً ذاكرة الأمة المضيئة اليقظة الحصينـة التي لا يدركهـا النسيان، كما أنَّه يمثل حلقـة وصل متينة تصل حاضر الأمة بماضيها، والأهم من ذلك كله، هو أنَّه يقف كشاهد حيٍّ على ذلك التاريخ، وذلك التطوُّر الهائل، والحراك التاريخـي السريع، الذي تعاقبَ منذ فجر التاريخ، وكما أننا نستطيع من خلال (التوثيق) أن نتعرف على مدى التطوُّر الذي يحصل في ذلك المجتمع، في جميع مفاصـل حركته في ذلك الزمن الماضي، وما نلمسه اليوم إنما هو امتداد له، لنربط بين الماضي والحاضر من خلال سلسلة توثيقية متينة، يستفيد منها كلُّ باحث فيما بعد ذلك، ونبني جسراً يستطيع المرور عليه، في رحلاته التوثيقية. فرحلة التوثيق رحلةٌ شاقَّة، وهي مـن أصعب رحلات المؤرخين، التي يبذل فيها أحدهم الغالي والنفيس من أجل الوصول إلى المعلومة الصحيحة، ومن أجل حفظ التاريخ والتراث لمن بعده، فتتعدد طرق التوثيق والتدوين فيما يلي:

أ ــ الرجوع إلى المصادر والوثائق ذات العلاقة.

ب - الزيـارات الميدانية ليرى بنفسه، ويدوِّن ما وقفَ عليـه (بالتصوير، أو السماع، أو المشاهدة).

ج ــ المراسـلات الخطية سـواءٌ للأفـراد أو للجهـات المعنيَّة، خاصـة إذا كان لا يستطيعُ زيـارة تلك الأماكن التي يوثِّق لها، أو يدوِّن عنهـا، أو عن شخصياتها، أو يغلبُ علـى ظنِّه شحِّـا لمعلومـات عنها، فيستخدمُ نظام المراسـلات، والاستكتاب ممـن له صلـة بالموضوع، مـن المؤرخـين واصحاب الشـأن والتوثيـق والحفظ، أو الجهـات الرسمية، أو الجامعات، أو المكتبات، وغيرها، لكي يزودوه بما لديهم من المراجع والمصادر في موضوعه.

التوثيق بالمراسلات يُعدُّ من المصادر والمراجع المهمـة في البحث العلمي، وأهميتها قـد تصل في بعض الأحيان ــ إذا قلَّتْ المصادر أو شحَّـت ــ إلى المراجع المكتوبة ذات

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٩/مارس/٢٠٢٥م). (ابن جريس).

(٢) للمزيـد عـن سـيرة الأسـتاذ عيسـى انظـر: موسوعـة القـول المكتـوب في تاريـخ الجنـوب (الرياض، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م) (الجزء الثامن والعشرون)، ص٤٠٥. (ابن جريس).

الصلـة، لأنها بمثابة المصدر المكتوب والموثوق المعروف مؤلفه، لأنه يأتيه جوابُ الرسالة محمـلاً بمادَّة علميَّـة، كان يسعـى في الحصـول عليها، ووجـد لها مرجعـاً موثقاً. وما كتبتـه الصحفً عن شخصية ما، قد يعدُّ توثيقـاً يستفاد منه في التدوين والكتابة، لأنها ستبقى وثيقة رسمية، محفوظة لدى الجهات المختصة بها، فلو لم يجد الباحث إلَّا ما في الصحف فيوثق منه.

١- فمن هـذه الأعمال التوثيقية يأتي كتاب(غيثـان بـن جريسـ في رسـائل معاصريه) أنموذجاً لذلك التوثيق:

اتَّبع فيـه (نظام المراسلات) ليسرد لنا في هذه المجلـدات (رحلته التوثيقية) بالمراسلات، ويضـع بين أيدينا جزءًا مهماً من مكتبته، ومن حياته العلمية الطويلة الشَّاقة ، وتواصله العلمي والثقافي مع الآخرين، سواءٌ الأفراد والمجتمعات الكبيرة والصغيرة، أو المؤسسات الحكومية والأهلية وغيرها، والإدارات الحكومية، والمتاحف الخاصة والعامة، والمكتبات الخاصـة والعـام. فـأراد حفظها والاحتفـاظ بها، فوثَّقهـا بطريقتـه الخاصة في هذه المجلدات، واشتملـت على رسائـل وأجوبتها، وتقارير ميدانيـة، ومحاضرات أكاديمية، وخطابـات شكر وتقدير، وأفـكار القراء والمثقفين، وأقلام رائعـة كتبت بخطوط جميلة رائعـة، ومعلومـات موثقة ومدوَّنـة، وتوثيقات لبعض مؤلفاته، وخطابـات تحمل معها الهدايـا من مؤلفاتـه إلى المكتبات والمؤسسـات والجامعات وإلى المهتمـين من المثقفين والمؤرخين. فالكم الهائل من هـذه المراسلات يدلُّ على اتساع العلاقات العلمية للدكتور غيثـان بن جريسـ، والتي بلغ مجموعهـا في الخمسـة مجلـدات حوالي(٢٢٧١)رسالة غير الوثائق، والشكر، والخطابات، والتوثيقات، وغيرها من محتويات الكتاب.(للمزيد : انظر الجداول المرفقة أدناه) .

محتويات الكتاب

الجزء الأول

اشتمل هذا الجزء على رسائل من عام ١٣٩٧هـ إلى عام ١٤٢٠هـ (٤٧٥رسالة) وهي على الجدول الآتي:

م	من عام	إلى عام	عددها
١	١٣٩٧	١٤٠٩	٣٠
٢	١٤١٠	١٤١١	١١
٣	١٤١٢	١٤١٣	٣٩
٤	١٤١٤	١٤١٥	٨٠
٥	١٤١٥	١٤١٥	٣٨
٦	١٤١٦	١٤١٦	٣٧
٧	١٤١٧	١٤١٧	٦٠
٨	١٤١٨	١٤١٨	٧٠
٩	١٤١٩	١٤١٩	٦٧
١٠	١٤٢٠	١٤٢٠	٤٣

الجزء الثاني

اشتمل هذا الجزء على رسائل من عام ١٤٢١هـ إلى عام ١٤٣٢هـ (٥٤٠رسالة) وهي على الجدول الآتي:

م	من عام	إلى عام	عددها
١	١٤٢١	١٤٢١	٦٣
٢	١٤٢٢	١٤٢٢	٨٦
٣	١٤٢٣	١٤٢٣	٣٠
٤	١٤٢٤	١٤٢٤	٢٣
٥	١٤٢٥	١٤٢٥	٣٠
٦	١٤٢٦	١٤٢٦	٢٧
٧	١٤٢٧	١٤٢٧	٣٠
٨	١٤٢٨	١٤٢٨	٣٦
٩	١٤٢٩	١٤٢٩	٢٧
١٠	١٤٣٠	١٤٣٠	١٩
١١	١٤٣١	١٤٣١	٤٧
١٢	١٤٣٢	١٤٣٢	١٢٢

الجزء الثالث

اشتمل هذا الجزء على رسائل من عام ١٤٣٣هـ إلى عام ١٤٣٦هـ (٤٣٨رسالة) وهي على الجدول الآتي:

م	من عام	إلى عام	عددها
١	١٤٣٣	١٤٣٣	٩٨
٢	١٤٣٤	١٤٣٤	١١٥
٣	١٤٣٥	١٤٣٥	١٠٠
٤	١٤٣٦	١٤٣٦	١٢٥

الجزء الرابع

اشتمل هذا الجزء على رسائل من عام ١٤٣٧هـ إلى عام ١٤٣٩هـ (٣٧٧رسالة) وهي على الجدول الآتي:

م	من عام	إلى عام	عددها
١	١٤٣٧	١٤٣٧	١١٠
٢	١٤٣٨	١٤٣٨	١١٧
٣	١٤٣٩	١٤٣٩	١٥٠

الجزء الخامس

اشتمل هذا الجزء على رسائل من عام ١٤٤٠هـ إلى عام ١٤٤٤هـ (٥٤٠رسالة) وهي على الجدول الآتي:

م	من عام	إلى عام	عددها
١	١٤٤٠	١٤٤٠	٧٥
٢	١٤٤١	١٤٤١	٥٣
٣	١٤٤٢	١٤٤٢	٤٢
٤	١٤٤٣	١٤٤٣	٥٢
٥	١٤٤٤	١٤٤٤	١٩

ربما يرى بعض الباحثين والمهتمين أن هذا العمل لا فائدة من ورائه للباحث الذي يبحث عن المادة التاريخية البحتة، وأنَّ الباحث قد لا يحتاج لمثل هذه الرسائل المتبادلة الخاصة، فهي لا تعني له شيئاً مثلما هي تعني للمؤلف نفسه، فهو يَعدُّها من (رحلة التدوين) وسنواتٌ من عمره ذهبت في البحث والتوثيق، وهي من متطلبات بحوثه، التي بقي قابعاً عليها في مكتبته طيلة هذه السنين الطويلة، ولها مدلول تاريخي بالنسبة له، ويعدُّ هذا العمل من وسائل حصوله على المعلومة، وأنها الوعاءُ الذي غرفَ به في بحر العلم، ليكتب ما حصل عليه بذلك الوعاء.

خاصة وأنني أعلمُ علم اليقين أن المؤرخ (غيثان بنٍ جريسٍ) لديه أعمال وبحوثٌ أهمٌّ من هذه الرسائل التي استغرق فيها وقتاً وجهداً ومالاً، فلو وضع ذلك الجهد والمال في بعض الوثائق والبحوث الجادة والعميقة والرصينة لكان أفضل من الناحية العلمية، فله مؤلفات تاريخية عن المناطق قد تربو عن (١٢ مؤلفاً)، ومنها: كتابه (جازان) يقع في مجلدين، وكتاب (نجران) في مجلدين وكتاب (بيشة) يقع في مجلد، وكتاب (الطائفٍ) يقع في مجلد، وغيرها، مما هو جاهزٌ ومعدٌ للطباعة، وبإذن الله تعالى سنراها قريباً مطبوعة كما أخبرني (الدكتور غيثان) في مكالمة هاتفية، وأنه يعمل على تجهيزها للطبع والنشر.

أنا أرى أنَّ هذا الرصد والحفظ يعدُّ شيئاً من التاريخ، وسوف يستفاد منها في البحث العلمي والتوثيقي، كطريقة، أو كمنهج المؤلفٍ في اتباع طريقة التوثيق بالمراسلات، وما هي الجهات التي يراسلها أو لا يحتاجها أبداً. وأرى أن هذه الرسائل سيستفاد منها أو من بعضها ولو بعد حين، وبعض هذه المراسلات تتعلق بأبحاث ودراسات موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) والعمل التوثيقي عند الباحثين جارٍ على قدم وساق، وقد تكون هذه الرسائل بعد سنوات تقلُّ أو تكثُر من العمل العلمي المُهم، يستفَاد منها وبخاصة تلك الرسائل المكتوبة بأقلام أصحابها عن تاريخ وحضارة مناطق الجنوب السعودي، أو دراسة عن شخصية (ابن جريس) أو دراسة بعض الشخصيات التي كان يراسلها من المؤرخين والمهتمين بمجاله. وغالب هذه الرسائل تحمل في طياتها، أو برفقتها، المعلومات التي كان يطلبها من الذين يراسلهم.

٢ـ (الكتاب التوثيقي) مقتطفاتٌ من حياتي العلمية، (١٣٨٤هـ -١٤٤٥هـ):

إن هذا الكتاب اعتبره عصارة حياة الدكتور غيثان بن جريس، وخلاصة أعوام من حياتــه، جمع فيــه للقارئ مسيرته العلمية خلال (٦١ عامــا) قضاها بين ردهات الكتب والمكتبــات، والدراسة والتأليف، والبحــث العلمي، وذلك بدايةً من عــزِّ شبابه، وأصدر كتباً غنية عن التعريف. وأثمن له هذه البادرة التوثيقية، التي قلَّ أنّ نراها، وأن يهتم بها المؤرخــون والمثقفون، يختصر فيها المؤرخ حياتــه لطلابه ومحبيه، في صفحات معدودة، تغنيهــم عن الرجــوع إلى الموسوعات الكبــيرة، ليلتقطوا ما يخص الباحــث الذي يريد البحث عنه. ويقع هذا (الكتاب التوثيقي) في سبعة أقسام:

أ- ابتــدأه بالمقدمة، التــي أوضح فيها أن هــذا الكتاب توثيق لرحلــة قضاها في شبه الجزيــرة العربيــة، لتوثيــق رحلاتــه العلمية والتاريخيــة والتراثية، منــذ التحاقه بالتعليم الأولي في أرض النماص العزيزة.

ب ـ مقتطفات صحفية منشورة في الجرائد والمجلات، وجاءت في (٨٣وثيقة صحفية).

ج ـ تقديمات ومقدماته لبعض الكتب والمجلات العلمية مثل:

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (منطقة عسير) لمؤلفه: علي بن إبراهيم الحربية، عام(١٤١٧هـ).**
- **مرتفعات الجزيرة العربية، لهاري سانت جون فيلبي، عام (١٤٢٦هـ).**
- **الشيخ سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، شيخ شمل قبائل شهران، وابنه عبدالعزيز في ذاكرة التاريخ، عام (١٤٣٩هـ).**
- **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عام (١٤١٦هــ ١٤١٩هـ).**
- **السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية بمنطقة عسير (أبها) عام ١٤٣١هـ.**

د- صــور لبحوث غيثان بن جريس ووثائقه ومكتبتــه العلمية، وبعض الكتب التي كتبت عن مؤلفاته.

هـ ـ رسائـل متبادلـة بين غيثــان بــن جريس وبين بعضــ أعــلام الفكــر في السعودية ومصر، (١٤١١هــ ١٤٣٠هـ).

١- **خطابات متبادلة بينه وبين أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور، رئيس اتحاد المؤرخين العرب (١٩٩٢م ــ ٢٠٠٠م).**

٢- **رسائل متبادلة من علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، رئيس تحرير مجلة العرب(١٤١١هـ-١٤٢١هـ).**

٣- **خطابات متبادلة بينه وبين رئيس مجلة المنهل الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري(١٤١١هـ-١٤٣٠هـ).**

٤- **خطابات بينه وبين الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي(١٤١٨هـ،١٤١٩هـ، ١٤٢١هـ).**

٥- **خطابات بينه وبين الأستاذ محمد بن عبدالله الحميّد، رئيس نادي أبها الأدبي(١٤١٢هـ-١٤١٩هـ).**

و- بعض الوثائق والمدونات العلمية عام (١٤٤٣-١٤٤٤هـ).

ز- سيرة (غيثان بن جريس) العلمية والبحثية والوثائقية (١٣٧٩هـ -١٤٤٥هـ).

ح- الصور الفوتوغرافية التي توثق بعض مراحله العلمية، ورحلاته التوثيقية.

قرأت هذا الكتاب قراءة متقطعة، وكلما رجعت له، تذكرتُ شيئاً مما سبق أن قرأته، فأعود له، وأشيد بهذا الجهد، وأحثُّ المؤرخين أن يحذو حذوه، في التوثيق، لأننا نفتقد التدوين عن بعض الشخصيات المهمة، ومن سعى جاهداً في التوثيق عن حياته، فإنما اختصر على الباحثين جهدهم، والباحث الجاد الذي يريد تدوين حياة الآخرين، يفتقد لأشياء كثيرة، من أهمها صعوبة الحصول على المعلومات الدقيقة عن المترجم له، وخاصة لو رحل عن الحياة إلى ربه عَزَّوَجَلَّ، وقد عانيت ذلك في بعض مؤلفاتي التوثيقية، وكانت بدايات التوثيق الصحفي للدكتور غيثان بن جريس من يوم الخميس (٧/صفر/ ١٤١٨هـ)، وهو تاريخٌ قديم جداً، كنتُ وقتها في الصف الثاني المتوسط، وكيف مرت السنون والأعوام، لآتي بعد مرور (٢٧ عاماً) وأكتب بقلمي وأشيد بالذي وثّقه المؤرخ (ابن جريس) عن حياته العليمة، وآخر هذه التوثيقات الصحفية في (٤/محرم/ ١٤٣٦هـ). وقد كتبت عن ابن جريس المؤلفات، ومن أبرزها: كتاب: (مؤرخ تهامة والسراة:غيثان بن علي جريس) لمؤلفه: محمد بن أحمد معبِّر ، وما ذاك إلَّا لإنجازاته العلمية، كأي شخصٍ يكتب عنه التاريخ الذي قد شرَّع له أبوابه، طيلة السنوات الماضية.



١٣ــ خمسـة أيـام في مكـة المكرمة والمسجد الحـرام (توثيقات، ومشـاهدات، ووقفات)[(١)]. بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

إنَّ حرمـة وفضـل مكـة المكرمة والمسجـد الحرام تعـود إلى الـوراء آلاف السنين، والباحث في الكتب السماويـة والمصادر التاريخية والتراثية والحضارية يجد فيها آلاف الصفحـات التـي شرحت وفصلـت المكانة العظيمـة للمسجد الحـرام خصوصًا ومكة المكرمـة عمومًا. ونجـد القرآن الكريم يذكر عشرات الآيـات الدالة على هذين المكانين العظيمين الشريفين. قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢﴾ [البلد:١ـ ٢]. وقـال تعـالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾ [التين: ٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ [آل عمـران:٩٦]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة:١٩٦] .

وقال تعـالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الإسراء:١]. وقـال تعـالى:﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾[الحج:٢٥]. وقال تعـالى:﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[الشـورى:٧]. وقال تعـالى:﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[البقرة:١٥٠].وقـال تعـالى:﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾[آل عمـران:٩٧]. وقـال تعـالى:﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾ [العنكبـوت: ٦٧]. وقـال تعـالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص:٥٧]. وقال تعالى:﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٦].

وكُتـب الحديث الشريف اشتملت على أحاديث كثيرة وصحيحة بينت مكانة المسجد الحرام ومكة المكرمة وفضلهما، وشرف منزلتهما. ومن ذلك ما رواه الترمذي في سننه عن خيرية مكة وفضلها وأنَّها أحبُّ البلاد إلى الله ورسوله (ﷺ)، ففي حديث عبد الله بـن عدي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنَّ النبي (ﷺ) عندما أخرجـه قومه منها قال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحـب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك مـا خرجت». وفي رواية أخرى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».

---

(١) مقالـة نُشرت في صحيفة النماص اليوم الرقميـة، بتاريخ (٢٧/فبراير/٢٠٢٥م)، ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١١٨) (٧/مارس/٢٠٢٥م).

(*) من يطلق العنان للبحث عن ذكر وأهمية وعلو منزلة المسجد الحرام ومكة المكرمة، فإنه سيجد آلاف المصادر والمراجع القديمة والحديثة العربية وغير العربية التي فصلت الحديث في هذا الجانب. وقد اطلعت خلال الخمسين عامًا الماضية على عشرات الرسائل الجامعية والبحوث العلمية الجيدة التي كتبت وأرخت لمكة والمسجد الحرام منذ زمن الرسول الكريم الخليل إبراهيم عليه السلام إلى وقتنا الحاضر، ولست في هذه الورقات معنيًا بالحديث عن المراحل التاريخية والدينية والحضارية لهذين المكانين الشريفين، بل سوف أركز على بعض الصور التي قرأتها، وعرفتها، وشاهدتها من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)، وأسرد بعضها في النقاط الآتية:

١- زرت مكة المكرمة والمسجد الحرام لمدة خمسة أيامٍ في نهاية شهر شعبان عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، وقضيت معظم هذه المدة متنقلاً ومتأملاً في المسجد الحرام وما يحيط به من أحياء ومرافق، ثم تجولت في عشرات الأحياء من مدينة مكة المكرمة، ومنها المشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفة) وغيرها. ورأيت وتأكد لي قدرة الله (عَزَّوَجَلَّ)، وفضله على هذا البلد الحرام. ومن يقرأ القرآن الكريم، وكتب التفاسير المعتبرة، والمؤلفات الرئيسية التي احتوت على سنة الرسول (ﷺ) وسيرته، ثم سير خلفاء، وأمراء، ووزراء، وسلاطين، وعلماء، وقضاة، وشعراء المسلمين وغيرهم الذين تفانوا، وأشرفوا، وعاشوا، وكتبوا ووثقوا، وخدموا هذه الديار المقدسة المرعية والمحفوظة بقدرة رب العزة والجلال.

٢- هناك توثيقات عربية وغيرها شرحت حياة أهل مكة المكرمة قبل الإسلام (السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والجغرافية، والدينية)، لكن الفضل العظيم حدث مع مولد الرسول الكريم محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي فيها، ثم بدايات نزول الوحي عليه في مكة، وتاريخه بين قومه وغيرهم في المسجد الحرام والمشاعر المقدسة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى (عليه أفضل الصلاة والسلام) بعد أن بنى مجتمعًا عربيًّا إسلاميًّا كبيرًا حمل راية الإسلام إلى بلدان الجزيرة العربية وخارجها. وجاء بعده الخلفاء الراشدون (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) فساروا على نهجه (ﷺ) وطبقوا ما جاء في القرآن والسنة النبوية بخصوص المدينة المقدسة (مكة المكرمة) والمسجد الحرام. وإذا توقفنا مع جهود خلفاء المسلمين، وأمرائهم، ووزرائهم والصالحين والصالحات خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة وجدنا أعمالاً وجهودًا حضارية إيجابية كبيرة تجاه أهل الحرمين. وإذا حصرنا توثيقنا على البيت العتيق وما حوله من أرض مكة المكرمة فهناك تاريخ سياسي وحضاري واسع مكتوب في مئات الكتب والأعمال العلمية التوثيقية المطبوعة والمخطوطة.

٣- أتذكـر أنني قرأت وبحثت في حضارات دول الإسلام والمسلمين من القرن الأول إلى القـرن الرابـع عشر الهجريين، فوجدت أنَّ مكة المكرمـة، والكعبة المشرفة كانت في مقدمة اهتمام جميع المسلمين رعاة ورعية. ولا تخلو تلك البلاد المقدسة من تواريخ ونشاطـات وأحداث سياسيـة وحضارية إيجابية وسلبيـة، وكان سكان مكة المكرمة من المقيمين والوافدين لاعبين رئيسين في حياة الحجاج والمعتمرين وزوار بيت اللّه. ولا مجـال للحديث عن هـذا الجانب لأنَّه مدونًا ومنشـورًا في آلاف الكتب والبحوث العلمية القديمة والحديثة.

٤- اجتهـدت في البحـث عـن تاريخ وحضـارة بلاد مكـة المكرمة بمفهومهـا الجغرافي والسـكاني الواسع فلم أجد دراسات توثق حياة الأرض والنـاس في الأمكنة البعيدة عن محيـط المسجد الحـرام والمشاعر المقدسـة (منى، ومزدلفـة، وعرفة) لا قبل الإسلام، ولا بعده حتى العصر الحديث. وكل العلماء من جميع الفئات والتخصصات حصـروا حديثهـم وشروحاتهم وتوثيقاتهم على المسجد الحـرام وما يحيط به من معـالم جغرافيـة وأنشطة سكانية، وبعضهـم دونوا جزئيات مـن تاريخ الحجاج في المشاعـر المقدسة. وهذا النقص العلمي البحثـي الخاص ببلاد مكة الواسعة مازال مـن الموضوعات الجديرة بالبحث العلمي الأثري الجاد، وإن تم ذلك فقد نطلع على صفحـات من تاريخ وحضارة سكان هذه الديار عبر أطوار التاريخ، وآمل أن يتحقق ذلك من قبل مؤسسات علمية أكاديمية محلية جادة.

٥- إنَّ المسجـد الحرام ومكة المكرمة خلال العصر الحديث، أي من بعد القرن العاشر الهجـري إلى أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، عاشت فصـولًا تاريخية وحضارية متباينـة بين السيء والحسـن، والدول العربية والإسلامية داخـل الجزيرة العربية وخارجهـا لعبـت أدوارًا سياسية وحضارية متنوعة تجاه أرض الحرمين، وتحديدًا نحو الكعبـة المشرفة وخدمة المسجد الحرام، ومتابعة أمـور المسلمين الذين يفدون إلى مكـة المكرمة للزيارة والحـج والعمرة. وكانت الدولـة العثمانية في مقدمة تلك القـوى السياسية ذات الصلة بأرض الحجـاز وبخاصة الحرمين الشريفين. ويوجد الكثـير من الدراسات العلمية المبكرة والمتأخرة التي بحثت ووثقت جزئيات سياسية وحضاريـة عـن تلك الفـترة، ومازال هنـاك آلاف الوثائـق والمخطوطـات العربية والعثمانية الجديرة بالترجمة أو البحث والدراسة والتحليل. والواجب على المؤرخين والباحثين الجادين أن يخدموا البلاد من خلال هذا التراث.

٦- **ظهر العصر السعودي الحديث، ودخلت مكة المكرمة تحت نفوذ الإمام عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، وبدأ تاريخٌ حديثٌ ومعاصرٌ ومشرقٌ لأرض الحرمين ولعموم بلدان الدولة السعودية الحديثة. ومن يبحث عن المناقب والفضائل التي حظيت بها مكة والمسجد الحرام من أربعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى الآن (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م) فسوف يجد مئات الكتب والبحوث والرسائل الجامعية التي أرخت لهذا العصر، ومازال هناك آلاف الوثائق، والصور الفوتوغرافية، والمذكرات الشخصية، والقصص الشفوية التي تشتمل على أصناف كثيرة من تاريخ البلاد والعباد في منطقة مكة المكرمة بشكل عام، والكعبة المشرفة والمسجد الحرام على وجه الخصوص. وتستحق مزيدًا من الجمع، والبحث، والتدقيق، والتحليل. وليس هدفي في هذه المقالة أن أتحدث عن التاريخ الذي صنعه الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في أثناء ضم الحجاز، وما بذل من جهود جبارة لتوطيد الأمن والاستقرار في الحواضر المقدسة، أو في أي ناحية من بلاده الواسعة (المملكة العربية السعودية) خدمةً للحجاج وزوار المسجدين الشريفين، ثم ما قام به أبناؤه الملوك (سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبد الله، وسلمان) من خدمة ورعاية وتطوير وحفظ لأرض الحرمين والمشاعر المقدسة. والذي سوف أذكره بعض المشاهدات، والوقفات، والتوثيقات التي عرفتها أو رأيت بعضها خلال خمسة أيام قضيتها في مكة المكرمة من السبت إلى الأربعاء (٢٣ــ ٢٧/ ٨/ ١٤٤٦ الموافق ٢٢ــ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٥م)، وهي على النحو الآتي:**

أ- قرأت وسمعت عن ممارسة الشعائر الدينية في المسجد الحرام، وأداء الحجاج والزوار عباداتهم في مكة المكرمة خلال العقود الأربعة الأولى من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، فكانت تؤدى، لكن كان هناك العديد من الصعوبات السياسية، والأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية وحتى الدينية، وعدم وجود قوة سياسية متزنة خالية من الأهواء والتيارات، وقد كان ذلك من أكبر المعوقات التي أوجدت حياة مضطربة وفوضى سائدة في أثناء أداء المناسك وعلى حياة المقيمين والوافدين إلى بيت الله. وفي هذه الظروف الصعبة ظهر الإمام عبد العزيز آل سعود، واستطاع خدمة الحرمين الشريفين وانقاذهما من الانفلات الأمني والسياسي، وبالتالي أصبحت دولته صاحبة النفوذ والإشراف الكامل على المسجد الحرام والأماكن المقدسة، وبدأت في إيجاد الحلول والأنظمة والقوانين الحديثة المتعددة والمتنوعة التي تصب في توفير الأمن وسير أمور الحجيج وزوار بيت الله بشكل آمن وسلس ومنظم. وهذه السياسة أخذت من الملك عبد العزيز والملوك سعود، وفيصل، وخالد حوالي ستين عامًا (١٣٤٢ــ١٤٠٢هـ/ ١٩٢٣ــ١٩٨٢م).

ب - كانت بدايــة التسعينيات من القرن الهجري الماضـــي، أول مرة أزور مكة المكرمة والمسجــد الحــرام، وأداء الحج، وقد رأيت الحــرم وما حولــه والمشاعر المقدسة محكومة إداريًا وتنظيميًا بشكل جيد مما يجعل الحجاج والزوار والمصلين يؤدون عباداتهـم بشكل طيـب، إلَّا أنَّ التنميــة العمرانية الحديثة مازالــت في بداياتها، فهنــاك بعض التطوير والتوسعــات في الحــرم، والطرق والمواصــلات، والمرافق الأخــرى في المشاعر المقدسة، وأحياء ومناطــق عديدة حول المسجد الحرام، وفي الوقت نفسه كان هناك بعض الصعوبات التخطيطية والتنموية والعمرانية، أما ما عدا ذلك من أمن واستقرار وحكم عادل وواضح لسير الأمور فلا لبس فيه. ومن يعــود إلى العديد من الدراسات المطبوعة والمنشــورة ففيها تفصيلات عن جهود وعمارة ملوك آل سعود للمسجد الحرام والمسجد النبوي وبعض المشاعر والأمكنة المقدسة في مكة والمدينة خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي.

ج - قــاد الملــوك أبناء الملك عبد العزيــز (فهد، وعبد الله، وسلمــان) البلاد خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وفاض المال والخير في المملكة العربية السعودية، وسارت ومازالت عجلة البناء والتنمية تسير بشكل سريع وكبير، وفازت الأماكن المقدسة في مكة والمدينة بالنصيب الأوفر من رعاية واهتمام الملوك. ومن مطلع القرن الحــالي (١٥هـ/٢٠-٢١م) أتــردد باستمرار على مكــة المكرمة والمسجد الحــرام، وأقــرأ وأشاهد التوسعــات العملاقة التي تحظى بهــا منطقة الحرم، والمشاعر المقدسة وعموم منطقة مكة المكرمة، وذهبت في أنحاء الحاضرة المكية فوجدتهــا توسعت في كل الاتجاهات، وقامــت فيها عشرات الأحياء والمخططات العمرانيــة المــزودة بجميع الخدمــات. أما المسجــد الحرام ومــا يحيط به من حارات ومناطق فقد أزيلت. ورُسمت الخرائط التي تجعل المسجد يستوعب عدة ملايين من الزوار ومازالت الخطط التنموية قائمة ومستمرة في إنجاز مشاريع عديــدة ومتنوعة لخدمة ضيوف الرحمن، وقد نــرى في المستقبل القريب أرض الحرم والمشاعر المقدسة رحبة وواسعة لأكثر من عشرة ملايين حاج ومعتمر.

د - تجولت في أرجاء الحرم وشاهدت خدمات حكومية وأهلية منقطعة النظير من نظافة، وتوفير كل الإمكانات التي يحتاج الزائر والمصلي من فرش، ومصاحف، ومــاء للشرب، ودورات مياه، والآلاف من رجال الأمن، والحراسات، والتنظيم، والتفتيش، والمراقبــة، والمطوفين، والعربات اليدويــة والتقنية لخدمة الحجاج والمعتمريــن في السعي والطــواف، والكاميرات، والأئمــة والمؤذنين والمرشدين.

أمـا خدمات المواصلات والاتصالات فذلـك مجال كبير داخل الحرم وخارجه وفي عمـوم المدينـة وحواضر الحجاز الكـبرى المرتبطة بالعديـد من محطات السيـارات، والباصات، والقطارات، والمطـارات. كذلك منطقة الحرم ومعظم المدينة مليئة بخدمات السكن المتنوعة، والمطاعم الصغيرة والكبيرة، والأسواق المتفاوتة في الأحجام، والأنواع، والمساحات، والأيدي العاملة.

هـ- كانـت زيارتي الأخيرة في نهاية شهـر شعبان عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م) وكانت مكـة المكرمة عمومًـا ومنطقة الحرم في حركة كبيرة ومتنوعـة استعدادًا لشهر رمضان. ومن يدرس تاريخ الناس في مكة خلال هذا الشهر الكريم يجد الكثير من الاستعدادات والعادات والتقاليد التي عرفها المكيون منذ زمن بعيد، وأخرى تطـورت أو ظهرت مـع انتشار الأمـن والاستقـرار، وتوفر الأمـوال والخيرات، فالكثـير من أصحاب التجارات وأهل الخير والباحثين عن الأجور يتسابقون في مشاريـع تفطير الصائم، وتوزيع الصدقات والخدمات المتنوعة لزوار بيت الله. وهـذه من العادات المذكورة والقديمة في أرض الحرمين، لكن في وقتنا الحاضر صـارت بأعداد وكميـات كثيرة جدًا ومنظمة، وذلك لما يتمتـع به البلد (المملكة العربيـة السعوديـة) من ازدهـار ورخاء وحـزم وضبط سياسـي وإداري. ومن يسـير في أنحاء المدينـة أو عموم البلاد السعودية يجد ويشاهد أثر دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقـرة:١٢٦]. فاللهـم اجعلنا يا رب من المتقين الخائفين الوجلين، وأتم نعمة الأمن والإيمان والسلام على هذه البلاد (المملكة العربية السعودية) وعلى جميع بلدان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

و- إن الإنسـان يتأمل في قدرة العزيز الجبار، الذي جعل هذا البلد الحرام مهوى قلـوب المسلمين، وكيف لا يكـون كذلك وفيه المسجد الحـرام والكعبة المشرفة، قبلـة الإسـلام والمسلمين. وعندمـا تطالع الـزوار والمعتمريـن وضيوف البيت العظيم تراهم جاءوا إلى هذا المكان المبارك من جميع أقطار العالم، وتلاحظ اختـلاف ألوانهـم، وأحجامهم، ولغاتهـم ولهجاتهم، وعاداتهـم، وتقاليدهم، لكنهـم جميعهم يتوجهـون إلى الرب العظيم يطلبون رحمتـه وعفوه ومغفرته. وعندمـا ينادي المـؤذن للصلاة تراهم يهلون ويتوافـدون من كل حدب وصوب (ذكورًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا، ركبانًا ومشاة) يلبون دعوة المنادي إلى الصلاة،

وتحقـق دعوة الخليل إبراهيم عليـه السلام. قال تعالـى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيـم/٣٧]. فالحمـد للّه والشكـر، وصلـى اللّه وسلم عليك يـا سيدنا إبراهيـم، وياسيدنا محمـد عليكمـا أفضل الصـلاة والسلام. فلقـد منَّ اللّه بكما علـى هذا البلد الحرام حتى صارت القبلة الرئيسية لكل إنسان يدين بدين الإسلام.

ز - قابلـت بعضـ زوار بيـت اللّه مـن الإفريقيـين، والأوربيـين، والأمريكيـين، والاستراليـين، والصينيـين، واليابانيين وغيرهم وحاولـت أن أعرف شيئًا من انطباعاتهـم وهـم يـترددون على الحـرم، فوجدتهـم جميعًا في غايـة الفرح والسـرور أن اللّه وفقهـم وهداهم لاعتناق الإسلام، ثم رزقهـم زيارة المسجد الحـرام والصلاة فيه وأدائهـم العمرة والسير إلى المدينـة المنورة وزيارة قبر الرسـول (ﷺ)، وقالـوا جميعًـا أنهم سوف يـؤدون فريضة الحـج لهذا العام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، وقـد ذكـر لي بعضهم أنَّهـم دخلوا الإسـلام منذ عشر وعشريـن سنة مـن وقت اعتناقهـم الإسـلام. والجميل أنَّ بعضهـم يدرسون العلـوم الشرعيـة والعربيـة أو علـوم أخرى في بعضـ الجامعـات السعودية أو جامعة الأزهر. وقد جمعت منهم معلومات كثيرة عن تاريخ الإسلام والمسلمين في بلادهم، وسوف أنشرها في مقالة أو دراسة علمية أخرى.

ح - التقيـت أيضًـا بالعديد من الأخـوات والإخوان العرب والمسلمـين في أروقة المسجد الحـرام، وتبادلـت معهـم الحديث، فوجدت معظمهـم يثنون علـى حكومة المملكة العربيـة السعوديـة وعلـى الموظفـين العسكريين والمدنيـين في المسجـد الحرام لما يشاهدونـه ويجدونه من خدمـات ورعاية كبيرة لتوفير الأمـن والراحة لزوار بيت اللّه الحـرام مـن المصلـين والمعتمريـن. كما وجـدت البعض منهم كانـوا يحملون بعض الانطباعات الخاطئة التي سمعوها أو قرأوها أو شاهدوها على بعض وسائل التواصل الاجتماعي عن السعوديين وبخاصة أهل الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنـورة، لكنهـم بعد أن وصلوا إلى هذه البلاد وعاشـوا فيها بعض الوقت، وتعاملوا وشاهـدوا ما يجري في المسجد الحرام من أعمـال وسلوكيات رسمية وأهلية جليلة وإيجابيـة تغيرت الصورة السلبية التي كانت عندهم من قبل. والواجب علينا نحن أبناء هذه البلاد المباركة (المملكة العربية السعودية) أن نجتهد في أعمالنا الدينية والدنيويـة حتى نكـون قدوة صالحة لغيرنا من سكان العـالم، وكيف لا نكون كذلك وأجدادنا السلـف الصالح ومن جاء بعدهم من الصالحين هم من دخلوا الإسلام وتوارثوه، ثم بذلوا ما في وسعهم لحمله ونشره إلى غيرهم من شعوب الأرض.

ط ــ قمـت ببعض الجولات المحـدودة في المسجد الحرام وما حولـه، فوجدت العاملين في شتـى المجالات الخدماتيـة التي لها علاقـة بالنواحي الإرشاديـة والتوجيهية، والعلمية والتعليمية، والإشرافية، والأمنية، والترتيب والتنظيم والتنظيف، وتوفير اللوازم الضرورية لجميع الفئات من المصلين ومرتادي المسجد الحرام، والرعاية الاجتماعية والصحية تعمل على مدار الساعة. وأعداد العاملين في هذه القطاعات يقـدرون بـالآلاف، وتراهم جميعًـا مقبلين علـى أعمالهم بحب وتفـاني كبيرين. وتقابلت مع بعضهم من السعوديين والعرب والمسلمين، وسألتهم عن شعورهم وهم يعملون في هذه الميادين، فكانت ردودهم إيجابية، ويحمدون الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ أن يسر لهـم العمل في هذه البقعة المباركة، وقال لي بعضهم أنهم يطلبون الله أن يدركهم الموت وهم يؤدون أعمالهم في خدمة الإسلام والمسلمين في المسجد الحرام.

ي – أعلـم أنَّ خمسـة أيام قليلة لتوثيق مـا يغض به المسجد الحـرام وما حوله من مواضـع مباركة لها تاريخ طويل قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، والحديثة، والمعاصـرة. ومثل هذه الأرض المباركة تستحق أن يدون تاريخهـا في مؤلفات كثيرة، وإذا حصرنا الاهتمام على وضعها المعاصر فذلك أيضًـا مجال كبير يُكتـب عنه آلاف الصفحات لعظمة وتنـوع الجهود الرسمية والأهلية المبذولة في رعاية وخدمة هذه الأماكن المقدسة. والحمد لله أنَّ حكومة المملكـة العربية السعودية وشعبها وفقهـم الله (عَزَّوَجَلَّ) ويدركون ويستشعرون المنزلـة الرفيعة التي نالوها بأن جعلهم حماةً وخُدامًا للحرمين الشريفين، فلم يقصـروا أو يدخروا جهدًا في القيام بواجباتهم لخدمة البيت العتيق، ومسجد الرسـول (ﷺ)، طالبين الأجـر والثواب ممن اختارهم لهـذه المهمة العظيمة الجليلـة. وأسـأل الله العلـي القديـر أن يحفظ هـذه البلاد (المملكـة العربية السعوديـة) حكومـة وشعبًا لخدمـة الإسلام والمسلمـين، وأن يجعلهـا حصنًـا حصينًـا، وسدًا منيعًا، وخيرًا وبركةً لكل ما فيه خير لأمة الإسلام. وصلى الله وسلم على الرسول محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[١].



(١) إن المـادة العلميـة التي سجلتها في هذه المقالة فقط إشارات قليلـة ومحدودة. وتاريخ المسجد الحرام ومكة المكرمة في وقتنا الحاضر جدير بالبحث والدراسة والتحليل والتوثيق ، أرجو من طالبات وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ، وعلم الاجتماع ، والتربية أن يكون للمدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) نصيب جيد في دراساتهم ورسائلهم الجامعية .

١٤ـ مصير الكتاب والمكتبة الورقية في عـالم التقنية الرقمية[1]. بقلم . أ. د. غيثان ابن علي بن جريس.

إنَّ الحديث عن الكتاب والمكتبة الورقية يحتاج إلى آلاف الصفحات حتى نلم بتاريخ هذا الجانب الحضاري المهم. ومن يطالع فهارس المكتبات العربية والإسلامية والأجنبية فسيجد مئات الكتب، والبحوث العلميــة، والرسائل الجامعية التي أرخت لبداية الكتابة بطـرق عديدة منذ آلاف السنين قبـل الميلاد، ثم خلال العصــور القديمة، والإسلامية المبكـرة والوسيطـة والحديثة. وكذلك الوضع نفسه جرى علــى نشأة المكتبات العامة ثم الخاصة منذ العصر اليوناني، والعصور الوسطى في شرق العالم وغربة.

كانــت الكتابة أو التدوين غـير منتشرين عند العرب والمسلمين خلال العقود الأولى مــن عصــر الإسلام، لكن بسبب الحركـة الدينية والعلمية التي بدأت مـع نزول القرآن الكـريم، وسنة الرسول (ﷺ)، وما في هذيــن المصدرين الشرعيين من حث على العلم والقــراءة، وما نتج عن ذلك من حفظ ودراسة للقرآن والحديث الشريف في الصحائف والمخطوطات وبعض الكتب، عندئذٍ بدأت الكتابة ثم المكتبات.

مــن يدرس ويتعمـق في دراســة الحضــارة الإسلامية يجـد أنَّ الكتــاب والمكتبات مــن أهــم المؤسســات الثقافيــة والحضارية التــي اعتنى بهــا المسلمــون، وكان لها دور كبـير في حيــاة الأمتــين العربيــة والإسلاميــة، وغيرهما مــن دول وحضــارات العالم، وعرفت أمة الإسلام أنواعًا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى. وانتشرت المكتبــات في أرجاء العــالم الإسلامي، وذكرت العديد من المصــادر والمراجع الكثير من أنواع المكتبات في قصور الخلفــاء، والسلاطين، والوزراء، والأمراء والقضاة ، والعلماء، وفي المدارس والكتاتيــب والجوامع والمساجد. كما وجدت مكتبــات متنوعة في أحجامها وأنواعها في المدن والحواضر وبعض القرى والأماكن البعيدة في المناطق والأرياف. وهذا مما يؤكد على تأصل حُب العلم لدى أبناء الحضارة الإسلامية.

(*) تاريـخ المكتبات الورقيـة عند حضـارات الكرة الأرضـيـة منـذ عهود ما قبل الميلاد حتى ظهور الإسـلام في القرن السـابع الميلادي، ثم عصـور الإسـلام في قارات آسـيا، وإفريقيا، وأوروبا وغيرها من عهد الرسـول (ﷺ) إلى العصـر الحديث مكتوب وموثـق في مؤلفات ودراسـات كثـيرة مطبوعة ومنشـورة باللغة العربيــة وغيرها من

---

(١) منشــورة في صحيفــة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (١/٢/٢٠٢٥م)، ونشـرت أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١١٤) (٨/فبراير/٢٠٢٥م).

لغات العالم القديمة والحديثة. ولا أريد الإسهاب في هذا الباب، وشرح تطور الكتاب والمكتبات الورقية في العالم، بل فقط أشير إلى تراجع هذا الميدان المعرفي في كل مكان، بعد اكتشاف الإنترنت (الشبكة العنكبوتية) وظهور مصادر المعرفة الرقمية الجديدة (الكتاب والمكتبات). وفي النقاط التالية أدون شيئًا مما عرفته ورأيته وعاصرته خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م).

١- قرأت ثم شاهدت مئات المكتبات الورقية العامة والخاصة، الرسمية والأهلية داخل المملكة العربية السعودية، وفي العوالم العربية، والإسلامية، والأجنبية وكانت جميعها تؤدي أعمالها لخدمة الحياة العلمية والثقافية والتنويرية. ولم تكن على مستوى واحد في مقراتها، ومكانتها، وإداراتها أو ملكيتها، ومحتوياتها، بل تتفاوت في كل ذلك حسب منزلتها السياسية والإدارية والتعليمية والحضارية، وكذلك الجوانب المالية والتمويلية من أهم العوامل في نشأة أي مكتبة ورقية مهما كان نوعها أو مكانة المسؤولين عنها.

٢- شاهدت في كثير من الدول العربية والإسلامية والأجنبية أنَّ الكتاب والمكتبة الورقية الرسمية أو الأهلية كانت في أوج نشاطها وخدمتها للبشرية من تسعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م). وفي الوقت نفسه كنت أرى التقنية الحديثة تدخل كل مكان في المؤسسات الحكومية الرسمية وبعض المؤسسات الأهلية. وكانت المكتبات الورقة إحدى القطاعات التي وظفت الكمبيوتر وما تلاه من تقنيات رقمية في كثير من أعمالها اليومية، لكنني حتى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/ ٢١م) لم أشاهد استخدام الكتاب الرقمي، وفي غضون عشرين عامًا (١٤٢٥ــ ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٤ـ ٢٠٢٤م) جرت تطورات تقنية سريعة وهائلة، وصارت أي مادة علمية (كتاب، أو بحث ، أو تقرير، أو رسالة علمية جامعية، أو مذكرة عامة أو خاصة، أو صور فوتوغرافية، أو أفلام أو فيديوهات وغيرها) تُرسل وتُنقل من مكان لآخر عبر الفضاء، ويتم استخدامها والاستفادة منها في زمن أقصر وأسرع من المواد الورقية.

٣- بحكم عملي كأستاذ جامعيٍّ ومؤلف وباحث خلال الخمسين سنة الأخيرة (١٣٩٦ـ١٤٤٦هـ/١٩٧٦ــ٢٠٢٤م)، فقدْ شاهدتُ هذه التحولات في عالم الكتاب والمكتبات الورقية ثم الرقمية، وفي بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) رأيت الكثيرَ من الجهود التي يبذلها القائمون على المكتبات الرسمية، أو حتى أصحاب المكتبات الخاصة عندما يزودون مكتباتهم بالمصادر والمراجع الورقية. وفي عشرينيات ثم

ثلاثينيات القرن الحالي بدأت بعض المكتبات الحكومية تزود مكتباتها بآلاف الكتب والدراسات الرقمية التي يتم الاطلاع عليها من خلال أجهزة الحاسب الآلي في كل مكتبة جامعية وغيرها من المكتبات الرسمية الكبيرة.

٤- إنَّ عقدَي العشرينيات والثلاثينيات وما تلاهما من هذا القرن (١٥هـ/٢١م) يُعدان من أصعب الفترات التي واجهت الكتاب الورقي، حيث إنَّ هناك عراكًا عنيفًا مع الكتاب أو أي مادة علمية رقمية. ووجدتُ الكتابَ الرقمي يحوز على نجاحات كبيرة في مسيرته التاريخية، فالقراء والدراسون وغيرهم من طلاب العلم والثقافة تتزايد أعدادُهم بنسب كبيرة، في حين أنَّ روادَ الكتاب الورقي تقل أعدادُهم بشكل ملحوظ.

٥- من خلال زياراتي خلال العشر سنوات الأخيرة (١٤٣٥ـ ١٤٤٦هـ/ ٢٠١٤ـ ٢٠٢٤م) مئات الأفراد والمكتبات الجامعية أو المكتبات العامة والخاصة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، لاحظت أمورًا عديدة لها علاقة بالكتاب الورقي والرقمي، ومنها:

أ ـ رأيت بعض الوزارات أو المؤسسات ألغت المكتبات الورقية التي تتولى أمرها وتشرف عليها. وقد قابلت بعضَ المسؤولين أو العاملين في بعض تلك المكتبات الكبيرة والضخمة، فقالوا: قد قلَّ روادُها، وصار الناسُ يتعاملون مع أي كتاب أو مصدر ثقافي أو معرفي عن طريق الإنترنت، ثم ذهبت إلى بعض المكتبات الجامعية الورقية التي مازالت قائمة فوجدت المسؤولين عنها يشتكون من قلة المرتادين للمكتبة، بل بعضهم ذكروا لي أنَّ مؤسساتهم أو جامعاتهم تخطط لإلغاء المكتبة الورقية، أو توزيعها على كليات الجامعات حسب التخصصات.

ب ـ زرت مكتبات جامعية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها خلال هذا العقد فوجدتها تراجعت كثيرًا في تزويد مكتباتها بالكتاب الورقي، وحجة القائمين عليها ضعف الدعم المادي، وطغيان الكتاب الرقمي على الورقي. لكن الذي لفت نظري الكميات الورقية الهائلة المحفوظة في تلك المكتبات، التي يجب تحويلها إلى مواد رقمية حتى تعم فائدتُها، وتحدثت مع المسؤولين في بعض المكتبات التي زرتها وسألتهم هل هناك خطة لتحويلها، فذكروا أنه ليس هناك أي شيء يلوح في الأفق، وأضافوا أنَّ هناك صعوبات عديدة على تحويلها، ومن تلك المعوقات أمور مادية مالية، وفنية وتقنية، وعلمية وحقوق الملكية الفكرية.

ج ـ انصراف الكثير من الطالبات والطلاب، والأساتذة، والقراء عن الكتاب الورقي، وتفضيلهم الكتاب أو المادة العلمية الرقمية التي يحصل عليها من

خلال الجهاز النقال، أو وسائل تقنية أخرى. والذي حصل من تطور تقني في كل شيء له إيجابيات كثيرة يصعب حصرها، لكن الكتاب أو المكتبةً الورقية مهما كاًن نوعها تساعد في عمق المعرفة والرصانة العلمية. فالطالب عندما يُكلف بعمل علمي ما تجده في الوقت الحالي يدخل على إحدى محركات البحث الرقمية ويحصل على بعض المادة العلمية التي يريدها لإنجاز عمله، لكنها في الغالب ضعيفة وهشة، مقارنة بالرجوع إلى المصادر والمراجع الورقية وبذل جهود طالب العلم الجاد للحصول على العلم والمعرفة من مصادرها الرئيسية. ولا ننكر أنَّ هناك مكتبات وكتب علمية رقمية جيدة لمن يتعامل معها بإخلاص واجتهاد حقيقيين. والذي ذكرته وعرفته وعاصرته مع طالباتي وطلابي المتأخرين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وقارنت أوضاعهم مع طلاب علمتهم وتعاملت معهم خلال العقدين الثاني والثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) فكان الأوائل أفضل بكثير في الجد والاجتهاد، والتعامل مع الكتب والمراجع الورقية.

د ـ التقيت بالعديد من الزملاء والأصدقاء أساتذة جامعات وبعض الأدباء والمثقفين في دول عربية وإسلامية وغيرها، ووجدت أعدادًا غير قليلة منهم تخلصوا من مكتباتهم الخاصة، فمنهم من وزعها على مكتبات عامة أو خاصة، وآخرين أهملوها وأصبحتَ مقفول عليها في إحدى مرافق المنازل التي يعيشون فيها، ومنهم من تركها في مكان قديم ومهجور وانتقل إلى مكان آخر داخل المدينة أو الحاضرة التي يسكنها، أو في منطقة أو ناحية بعيدة عن مقرِ المكتبة. وتناقشت مع عدد منهم فكانت إجاباتهم متنوعة، فمنهم من قال أفضل الكتاب الرقمي لسهولة الحصول عليه، وآخرين ذكروا أنَّ المكتبة الورقية تحتاج إلى رعاية وعناية واضحة، وصاروا غير قادرين على خدمتها والحفاظ عليها، وأعرف البعض من هذه الشريحة؛ فقد كانوا أساتذةً مميزين في علومهم وتخصصاتهم، ولهم سيرة علمية حافلة بنتاجهم المعرفي، لكنهم للأسف صاروا متقدمين في السن، ولا يجدون حولهم من يساعدهم ويتعاون معهم في مواصلة نشاطاتهم العلمية.ومن المواقف المحزنة والمبكية في عالمنا العربي أنني كنت ذات يوم في إحدى المجالس الاجتماعية التي تضم أكثر من خمسين أستاذًا جامعيًّا، وجاء أحد الأساتذة ومعه ثلاثة صناديق فيها بضعة مؤلفات صدرت حديثًا، وبدأ يوزعها هدايا للجالسين، فالبعض منهم قالوا لا

نريد الهدية كتابًـا ورقيًّا، ونفضلها فقط رقمية. ومثل هذه الحالة منتشرة في مجتمعاتنــا المعاصـرة، وهذا يؤكد على أنَّ الوعاء العلمــي الورقي صار زهيدًا وغير مرحبٍ به في تجمعاتنا ولقاءاتنا العلمية والثقافية والمعرفية.

هـ - زرت بعض مطابـع الجامعـات العربيـة فوجدتهـم لا يطبعـون مـن مجلات الجامعــة وكتبها وتقاريرها السنويــة إلَّا أعدادًا قليلة جـدًا، لا تتجاوز أحيانًا عشــر أو عشريــن نسخة ورقية، ويضعون المادة المكتوبــة على مواقع ومنصات افتراضيــة، ويذكــرون الكثــير مــن الحجج لإنجــاز عملهم كتوفــير الصرف المــادي، وسهولــة استخــدام المــادة المنشورة رقميًّــا. كما زرت بعض المطابع التجارية في عدد مــن الدول العربية، وجميعهم يشتكون من ضعف إيراداتهم لتراجع خدمة الكتاب الورقي. وصار هناك تجارات كتب رقمية كثيرة ونشطة جــدًا بجميع لغات العالم. ونلاحظ التطور التقني الكبــير والمتسارع الذي أثر وســوف يؤثــر بشكل رهيب على جوانــب كثيرة في حياة النـاس. وقد نصل في يــوم مــا إلى اختفاء الكتاب والمكتبـات الورقية، وإنْ حــدث ذلك فسوف يكون هنــاك آثار سلبية وخطـيرة جدًا على الحياة العلميــة والتعليمية، وبخاصة لو حــدث للشبكات الرقمية العاملة في الفضاء خراب أو تلف أوٍ تدمير. والواجب علــى صنــاع القرار والمخططين في العــالم أنْ يوجدوا حلـولا إيجابية للحفاظ علــى الكتاب الورقي وعدم تلاشيه مــن الوجود، ولا يمنع أن توظف التقنية في خدمة المعرفة وفي شتى المجالات، لكن ليس على حساب القضاء على المصادر العلمية الورقية التي هي الأساس في بقاء العلم والمعرفة موجودة وملموسة بين البشرية. وصلى الله وسلم على الرسول الكريم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام حرر في يوم الاثنين٤/٨/١٤٤٦هـ الموافق٣/٢/٢٠٢٥م) [١].



(١) اطلعـت علـى بعض الدراسات الحديثة التـي ناقشت مسيرة الكتاب الورقي والرقمــي. وبحثت في جامعات الجنـوب السعودي (الملك خالد، وجازان، ونجران، وبيشة، والباحـة،)، فلم أجد عندها أي أعمال علمية بحثيــة جادة تدرس مشـاكل الكتاب الورقــي والرقمي، ووجدت بعضهــا ألغت مكتباتهــا المركزية، وأخرى مازالت تفكر في تقليص وربما إلغاء مكتباتها الورقية.

١٥ـ خلاصة كلمة أ. د. غيثان بن جريس في جمعية المتقاعدين في عسير. بقلم[١]. أ. محمد بن غرمان العمري[٢].

استمعت إلى كلمة قدمها الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس في جمعية المتقاعدين في عسير، بتاريخ (١٤٤٦/٦/٨هـ)، وكانت تفصيلاتها تدور على بلاد السروات وتهامة خلال العصور الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، وإلى حد ما في مجال العلم والتعليم والمعرفة في هذه البلاد العربية العريقة. وفي هذه المقالة أدون ملخصًا مختصرًا لهذه الكلمة، في النقاط الآتية:

١- بدأ الدكتور ابن جريس بالحديث عن تهامة والسراة قبل الإسلام، وأشار إلى أن هذه البلاد كانت مأهولة بالسكان، وكان فيها حياة حضارية متنوعة. ومن يقول إنها ديار جاهلية، فالعبارة قريبة من الحقيقة؛ لانتشار الوثنية وغيرها من الديانات، والشرائع السماوية المحرفة، أو الوضعية الوافدة إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها. وذكر أن أهل البلاد لم يكونوا جهلاء في أمور الحياة العامة، ولا تخلو مجتمعاتهم من الثقافة، والتراث الأدبي واللغوي، ومجالات حضارية أخرى عديدة.

٢- انتقل في حديثه إلى أحوال البلاد في القرن الإسلامي الأول فكانت مثل غيرها في انتشار الإسلام في عهد الرسول -ﷺ- ولم ينتقل الرسول-ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وأهلها قد دخلوا الإسلام، وذهبت العديد من وفود قبائلها إلى المدينة المنورة وتعلموا شرائع الدين، ثم عادوا إلى أوطانهم ينشرون الإسلام بين أقوامهم. وذكر أن مصادر السيرة النبوية احتوت الكثير من أسماء الدعاة والرسائل المتبادلة بين أهل السراة وتهامة، والرسول-ﷺ-، واستمرت تلك الصلات في عصر الخلفاء الراشدين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، وحث الدكتور غيثان بن جريس طلاب العلم على دراسة المنطقة في تلك الفترة الإسلامية المبكرة .

٣- بيّن صاحب الكلمة كيف بدأ التهاميون والسرويون يخرجون من بلادهم؛ من أجل الانخراط في جيوش الفتوحات الإسلامية التي خرجت إلى خارج الجزيرة العربية؛ من أجل نشر الدين الإسلامي في بلدان عديدة في الشام، وفارس والعراق، ومصر

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢٠/ديسمبر/٢٠٢٤م)، (ابن جريس) .

(٢) الأستاذ محمد بن غرمان العمري له نشاطات متنوعة تعليمية وثقافية وصحفية، للمزيد عن سيرته انظر، غيثان بن جريس. مكة المكرمة وأجزاء من تهامة والسراة (موضوعات تاريخية في العصر الحديث والمعاصر) (مصر: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)، ص٢٦٣. (ابن جريس).

وشمـال إفريقيا. وأشار إلى أن هذا الموضوع مازال جدير بالبحث والتوثيق الرصين والعميـق، ويأمل أن تقوم الأقسام العلميـة الأكاديمية. في الجامعات المحلية بخدمة مثل هذا الموضوع.

٤- تطـرق الدكتور غيثان إلى بعض الأسباب والظروف التي تسببت في خروج الخلافة الإسلاميـة مـن الحجـاز إلى الكوفة ثـم الشام خـلال النصف الثـاني من القرن الهجـري الأول، والثلـث الأول من القرن الهجري الثـاني. وأوضح أن شبه الجزيرة العربية تراجعت في نهضتها الحضارية بعد أن أصبحت جزءاً من الدولة الأموية في أرض الشام، ولهذه الأسباب ظهر فيها العديـد من الثورات السياسية والعسكرية. أما النـاحية العلمية والمعرفية فكانت في وضع جيد وبخاصة المدن المقدسة في الحجاز وبعضٍ حواضـر اليمن الكبرى. أما أرض السروات وتهامة، فلم تكن المصادر تذكر شيئـاً عن حياة أهلها العلمية، لكنـه يعتقد أنها كانت غير خالية من العلوم والمعرفة وبخاصـة الحياة الدينية؛ لأن سكانها قـد دخلوا الإسلام مبكراً، وحسُنٍ إسلامهم، ثم إنها تقع بين حواضر الحجاز واليمن التي كانت نشطة ثقافياً وعلمياً ومعرفياً.

٥- تحـدث ابن جريس عن تهامـة والسراة من القـرن الثاني إلى نهايـة القرن الثاني عشـر الهجري. وقـال: إذا بحثنا عن تـراث وتاريخ وحضارة وعلـوم ومعارف هذه البـلاد في تلـك الفترة الزمنية الطويلة، فلن نجد المصـادر تبين لنا صورة واضحة عنهـا. وهناك بعضـ كتب الـتراث الإسلامي المبكـرة العامـة، أو المتخصصة عن تاريـخ حواضـر الحجاز واليمـن تذكر شـذرات متفرقة وناقصة عـن جزئيات من حياة النـاس في هذه البلاد، لكنها لا تعطي القارئ تصورًا واضحًا عن كيفية الحياة في تلـك الديار، وربما وجـدت مصادر قديمة ذكرت مقتطفات عـن بعض التواريخ السياسية والحضارية في الطائف وجازان ونجران. أما المنطقة الكبيرة الواقعة بين تلـك النواحي، فلا يوجد عنها شـيء، وهذا لا يعني أنها غـير مأهولة بالسكان، بل كانت الكثافة البشرية فيها عاليـة، وقبائلها وعشائرها الآمرة الناهية في أوطانها، لكننا لا نجد فيها علماء أو أدباء أو غيرهم يرصدون شيئاً من تاريخ أهلها. وغياب التوثيـق في عموم السـروات وتهامة (من جنوب مكة المكرمـة والطائف إلى جازان ونجـران) خلال العصر الإسلامي الوسيط وبداية العصر الحديث جعلنا لا نعرف شيئًا عـن تراثها وموروثها. مع أن الذاهب في مناكـب مدنها وقراها يشاهد الكثير مـن الآثار المادية والمعنويـة، والمدفونة والسطحية، وهذا ما يؤكـد أن لهذه الأوطان وأهلها تاريخ سياسي وحضاري متنوع.

٦- تعرض ابن جريس في كلمته إلى حياة الناس في القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويذكر أن البلاد (سراة وتهامة) صارت مذكورة في العديد من المصادر العربية وغير العربية، وبخاصة عندما ظهر في عموم شبه الجزيرة العربية الكثير من القوى السياسية الداخلية والخارجية. وكانت الدولة العثمانية، الإمبراطورية الإسلامية التي مدت نفوذها إلى بلدان كثيرة في قارات أوربا، وآسيا، وإفريقيا. وكانت الحجاز واليمن من أوائل المناطق التي دخلت تحت سيطرة هذه الدولة الإسلامية منذ القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي)، لكن في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) كان لها صولات وجولات في جزيرة العرب، عندما كان في داخل البلاد إمارات وحكومات محلية، مثل: الأشراف في الحجاز، والدولتين السعوديتين الأولى والثانية في نجد، والدولة الزيدية في اليمن، والإدريسي في جازان.

وذكر الأستاذ غيثان أن هناك مئات الدراسات التي فصّلت الحديث عن تاريخ تلك الحكومات وصراعاتها مع العثمانيين. وأشار إلى أن عموم شبه الجزيرة العربية في ذلك الزمن لا تخلو من نشاطات علمية ومعرفية، بما فيها أرض تهامة والسراة التي كان فيها العديد من الأسر والبيوت العلمية في مناطق جازان، وعسير، وبلاد غامد وزهران، ونجران، والطائف. كذلك المدارس الأهلية (الكتاتيب) كانت منتشرة بشكل كبير في هذه البلاد خلال القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجريين.

٧- فصل الدكتور غيثان بن جريس في كلمته بعض الظروف التي عاشتها المنطقة (سراة وتهامة) خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي نهاية المطاف دخلت عموم السروات وتهامة تحت لواء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل -رحمه الله-. وبدأت هذه البلاد تعيش حياة أفضل من ذي قبل، فتم توحيدها مع بقية أجزاء المملكة العربية السعودية، ثم انتشر الأمن والاستقرار في ربوعها، ودخلت مثل غيرها على سكة الرخاء والتنمية الحديثة. وذكر أن أهل الحجاز يعتبرون الرواد الأوائل الذين أسسوا وأشرفوا على تأسيس وتطوير البلاد وبخاصة في المجالات الخدماتية المتنوعة. وأكد المؤرخ ابن جريس على أهمية دراسة بدايات التنمية الحديثة في المملكة العربية السعودية من عام (١٣٤٠- ١٣٨٠هـ/١٩٢١-١٩٦٠م)، وقال: إن هذه الحقبة حدث فيها الكثير من التطورات والتغيرات التاريخية الحديثة في أرجاء البلاد السعودية. وبلاد السروات وتهامة حظيت بالكثير من الاهتمام والخدمات التنموية، وهذا المجال مازال يستحق خدمة علمية بحثية توثيقية كبيرة.

٨- أسهـب الأستاذ غيثـان الحديث في بعض المجالات التنمويـة التي بدأت وتطورت في تهامـة والسراة خلال العقود الوسطـى من القرن الهجري الماضي. وذكر شروحات وتفصيـلات كثيرة عن نشـر التعليم والمعرفـة الحديثة بين السرويـين والتهاميين، وأشـار إلى أسمـاء الكثير من الـرواد والمؤسسات التعليمية التـي أنشئت في مناطق جازان، وعسير، ونجران، والطائف، وبيشة، والقنفذة. وقال مهما تحدثنا فالموضوع كبير ويستحق أن يُدرس ويوثق في عشرات الكتب والبحوث العلمية. كما بيّن الجهود الكبـيرة التـي بذلتها الدولة في خدمـة الأرض والارتقاء علميـاً ومعرفياً بالناس في كل مـكان. وأورد بعضـ المقارنـات عن حياة السـكان في النصـف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والنصف الثاني من القرن نفسه. وكيف أصبح أهل تهامة والسراة خـلال المئة سنـة الأخـيرة (١٣٥٠-١٤٤٦هـ/١٩٣١ــــ٢٠٢٤م) ذوى شـأن ومكانة حضارية كبيرة في بلادهم الأصلية، وفي أي مكان داخل المملكة العربية السعودية أو خارجهـا. وقال: إن جميع سكان المملكـة في هذا القرن الأخير أصبحوا شعبًا واحدًا يجمعهـم الديـن، والوطن، والإخوة والمحبة، وكلهم يعملـون بجد واجتهاد في خدمة بلادهم وأنفسهم وأهليهم.

٩- لا أعتقـد أنني أتيت على كل المحاور التي ذكرها الدكتور غيثان بن جريس في كلمته التـي ألقاها على كوكبة مـن المتقاعدين، ومن أرباب القلم، ومـن الذين لهم تاريخ جيد في بناء وطنهم وفي حياتهم العلمية والعملية من سبعينات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م).[1]



(١) جزاك الله كل خير يا أستاذ محمد بن غرمان العمري، فقد لخصت النقاط الرئيسية التي تحدثت بها مع كوكبة من المتقاعدين في عسير، وفي محافظة خميس مشيط تحديداً في منتصف عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، واذكـر أن عدد الحضور يقارب المئة شخصـ، ومعظمهم كانوا معلمين في التعليم أو أساتذة في الجامعات، وفي مؤسسات حكومية أخرى. ولضيق الوقت واتساع الموضوع الذي تكلمت فيه اختصرت حديثي في محاور رئيسيـة لهـا صلة ببلاد السروات وتهامـة، وكانت الحياة العلمية والتعليمية مـن أكثر المحاور التي تحدثت عنها. (ابن جريس).

١٦ـ كلمة عن : موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب (ثلاثون مجلداً)[١].

بقلم. أ. محمد بن حسن الجبيري الشهري.[٢]

إنَّ كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لمؤلفه الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري من الخزائن المعرفية المهمة التي وثقت آلاف الصفحات من تاريخ وحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية، وخصوصًا البلاد التهامية والسروية الواقعة بين اليمن والحجاز. وأقول أيضًا: إنَّ مكتبةً تخلو من هذا الكتاب التاريخي الحضاري، الذي لا يوجد له نظير في الديار الجنوبية السعودية طولًا وعرضًا، لتعتبر مكتبة فقيرة لا تزال قابعةً في أماكن الركود ومجال التخلف.

إنَّ هذا الكتاب الموسوعي إنْ جاز لي أنْ أسميه بالحزمة أو القوزة. فما هي الحزمة؟، وماهي القوزة في مفهوم أهل الجنوب (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران وما جاورها)؟. فالحزمة: ربطة كبيرة من الحطب تجمعها المرأة من كل أشجار الجبال والأودية، فتكون حزمة كبيرة تحتوي على معظم أعواد وأنواع النباتات الصالحة لاستخدامها في إشعال النار والاستفادة منه. وذكرت الحزمة وغالبًا تحملها النساء على الظهر. أما القوزة فهي تشبه الحزمة في الشكل والمحتوى، ويحملها الرجل على أحد كتفيه. وهكذا شبهت هذا الكتاب العظيم بهما؛ لاحتوائه على مجموعة كثيرة وعظيمة جدًا من العلوم التي تبين لنا أحوال منطقة غالية على قلوبنا وقلوب كثير من أبنائها وغيرهم، ألَّا وهي جنوب بلادنا الغالية (المملكة العربية السعودية).

إنَّ هذا الكتاب الكبير الذي يقع في ثلاثين مجلدًا حتى الآن (١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م) وثق ودرس وتحدث عن حياة معظم قبائل المنطقة الجنوبية، وعاداتهم، وأنسابهم، وحرفهم، وصناعاتهم، وثقافاتهم، ومعارفهم، وعلومهم، ومسميات الكثير من الأطعمة والأشربة، والألبسة والزينة، والعادات والتقاليد والأعراف، والفنون الشعبية، والألعاب الرياضية، ونجد في هذا الكتاب الكبير موضوعات أخرى كثيرة سياسية وعسكرية، واقتصادية، وتاريخية، وحضارية، واجتماعية، وعلمية، وثقافية، وأدبية، ومعرفية، وسياحية، وإعلامية، وغيرها من فنون العلم والمعرفة.

---

(١) نُشرت هذه المقالة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢٤/يناير/٢٠٢٥م)، وأعيد نشرها أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١١٧) (١٥/فبراير/٢٠٢٥م).

(٢) الأستاذ محمد حسن الجبيري الشهري من محافظة النماص بمنطقة عسير، ومن قرية آل رزيق في قبيلة بني جبير ويعيش حالياً في مدينة تبوك. للمزيد عن سيرته، انظر، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (الجزء الثلاثون)، ص٥٥٨. (ابن جريس).

ولا أبالـغ إنْ قلـت إنَّ هذا الكتـاب موسوعة أتت على معظم مـا يتعلق بالجنوب في العصـور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصـرة، وأحيانًا في عصور ما قبل الإسـلام. وصاحب هذا الكتاب (ابن جريس) -أطـال الله في عمره – لم يكتف بطبعه مرة واحدة بل قام بطبعه مرات عديدة، وإنْ دل هذا على شيء، فإنَّما يدل على حرصه على خدمة بلاده وأهلها، بل وخدمة طلاب العلم من الباحثات والباحثين.

وأعلـم أنَّه مازال مواصلًا في هذا المشروع العلمي العظيم حتى كتابة هذه السطور، وقـد أولاه جل وقتـه واهتمامه، وبذل كل مـا في وسعه نفسيًّا وعقليًّـا وجسديًّا وماليًّا في انجـاز و انجاح هذا الكتاب التوثيقي الجيد، بل إنَّه اجتهد في رصد وتوثيق أشياء كثيرة مـن أحوال المنطقـة، وجمع ماضيها بحاضرهـا، وأظهر ما كان يخفـى على الكثير من الناس، وبخاصة الذين يهتمون بالتاريخ والتراث والحضارة ويتذوقون القراءة والغوص في معارف علوم الناس ونواحي الأرض.

إنَّ هـذا الكتـاب لحري أنْ يكون من أعز المقتنيات التي يفخـر بها الإنسان، خاصة كل سعـودي جنوبـي (تهامي، وسروي) يعتـز بتاريخ أرضه وموطنه وديـاره التي ينتمي إليهـا، ولاسيمـا إذا كان القائـم على هـذا الكتاب الموسوعـي من أبناء جنـوب المملكة العربيـة السعودية، فقد عاش وترعرع على سهولها وجبالها وأوديتها، وأكل من خيراتها وشرب من آبارها وأوديتها وعيونها، ويعرفها ومتأكد من كل ما يقوله عنها، وما يرصده ويوثقه ويدونه هذا الابن البار (غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس)، الذي لا يقول إلَّا صدق الأخبار، وحقيقة المقام والمقال، فهو جادٌ ومجتهدٌ في خدمة بلاده وسكانها بالعلوم الطيبة النافعة، وأسأل الله ألَّا يحرمه أجر عمله وما قدم لبلاده.

ولا نقـول إلَّا بـارك الله لك يا أخي غيثـان في مسعاك، فقولك المكتـوب يؤتي أكله، وأدعـو الله رب العرش العظيم أنْ يوفقك ويرعاك، فهذا عملـك العلمي الذي استغرق عقـودًا عديدة يزهـو بأجمل حلله، وساطع التوفيق قد أتـاك في مفرداته وجمله. فهنيئًا لك يا (مؤرخ تهامة والسراة) على هذه الجهود العلمية المباركة، وبلَّغك الله مُناك، وكل مخلص مثلك في عمله، وخدمة دينه وبلاده والسلام[١].

(١) أشكرك يا أستاذ محمد بن حسن الجبيري الشهري على هذه العبارات الصادقة، والحقيقة أنني لا أستحق كل هذا المدح والثناء، فأنا شخص عادي أسعى إلى خدمة أهلي وبلادي (تهامة وسراة) فأدون وأوثق الذي أستطيـع فعله مـن تراثها وتاريخها وحضارتها، وهذه الأوطان تستحق الخدمـة العلمية الواسعة والجادة، وآمل أن يتحقق ذلك من خلال جامعاتها المحلية. (ابن جريس).

١٧ــ قراءة في كتاب: عسير في الوثائق العثمانية للدكتور غيثان بن جريس وآخرين[١]. بقلم. أ. محمد بن غرمان العمري[٢].

اطلعت على كتاب الدكتور غيثان بن علي بن جريس وآخرين. الذي صدر حديثاً بعنوان «عسير في الوثائق العثمانية (١٣٠٠-١٣٢٧هـ / ١٨٨٢-١٩٠٩م)»، في مجلدين، وفي أكثر من (١١٦٠) صفحة من القطع المتوسط. وهذا العمل ترجمة (٤٢٤) وثيقة عثمانية إلى اللغة العربية. فالجزء الأول يحتوي على المقدمة الرئيسية للجزأين، ثم ترجمة (٢٣١) وثيقة. والجزء الثاني يشتمل على الخاتمة العامة للمجلدين وترجمة (١٩٣) وثيقة أخرى.

عندما ندرس التاريخ الحديث لمنطقة عسير، نجد أنَّ العثمانيين وصلوا إلى هذه البلاد في بدايات القرن (١٣هـ / ١٨ــ ١٩م)، واستمروا في صراعات مست مرة مع أهل البلاد. وفي ثمانينيات القرن الثالث عشر الهجري سيطروا على معظم بلاد تهامة والسراة إداريًّا وعسكريًّا حوالي خمسين عامًا، واتخذوا من مدينة أبها مقرًا رئيسيًّا لإدارة البلاد، واطلقوا عليها اسم (متصرفية عسير). وهذه الوثائق المترجمة في هذين الجزأين تشرح تفصيلات كثيرة عن تاريخ تلك المتصرفية (منطقة عسير) خلال السبع وعشرين سنة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٠ـ١٣٢٧هـ/ ١٨٨٢ــ١٩٩٠م).

تصفحت مادة هذا الكتاب فوجدتها مادة علمية جيدة من مصادر تاريخية أسا سية باللغة العثمانية وتم ترجمتها إلى اللغة العربية. ومعظم المعلومات الموثقة مازالت تستحق الكثير من الدراسات والتوثيقات والتحليلات العلمية. والباحثون الذين أنجزوا هذا البحث اكتفوا بترجمة النصوص العثمانية إلى العربية، وكنت أتمنى أنَّهم أجروا دراسة علمية وتحقيقات رصينة لهذه الوثائق العثمانية الأصلية التي تعكس صفحات تاريخية وسياسية وعسكرية وحضارية مهمة حدثت في بلاد عسير خلال الفترة المشار إليها في عنوان الكتاب. وأرجو من أصحاب الدراسة أو من باحثين آخرين أن يدرسوا هذه الوثائق علميًّا ولغويًّا وتوضيحيًّا وتحليليًّا حتى تكون فائدتها أشمل وأفضل وأعمق.

---

(١) مقالة منشورة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢١/أكتوبر/٢٠٢٤م)، ونشرت أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١١٩) (١٤/مارس/٢٠٢٥م).

(٢) للمزيد انظر لمحة من سيرته، تم توثيقها مع المقالة رقم (١٥) السابق ذكرها في هذا القسم. (ابن جريس).

(*) وجدت صعوبة في قراءة المادة المترجمة، والمنشورة لكثرة التفصيلات المطبوعة، وكذلك لأنني غير متخصص، لكن من خلال الاطلاع على مقدمة الكتاب وخاتمته خرجت ببعض النقاط الرئيسية، وأذكر شيئاً منها في العناصر الآتية:

١- إنَّ متصرفية عسير، أو عموم بلاد تهامة والسراة مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسة تاريخها وتراثها وحضارتها خلال القرون الإسلامية المختلفة. واتضح لي أنَّ هناك الكثير من المصادر والمراجع العربية وغير العربية التي يوجد فيها مادة علمية جيدة عن تاريخ هذه البلاد خلال العصر الحديث وبخاصة في القرنين (١٣ـ ١٤هـ/ ١٩ـ ٢٠م) . ونأمل من الباحثين والمتخصصين أن يبذلوا جهودًا جادة وكبيرة في خدمة هذه البلاد من خلال المواد العلمية الرئيسية كالمخطوطات والوثائق والآثار وغيرها.

٢- يبدو أنَّ تاريخ جنوب المملكة العربية السعودية قبل القرن(١٣هـ/١٩م) غير معروف، ولا يوجد عنه بحوث ودراسات علمية رصينة في هذا المجال. ولا يعني ذلك أنَّ هذه البلاد ليس لها تاريخ وحضارة قبل الإسلام وبعده حتى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) . فالذاهب في أرجاء هذه الأوطان يرى الكثير من المعالم الجغرافية والآثار المادية القديمة التي تؤكد على وجود تراث وتاريخ وحضارة قديمة. وأعتقد أنَّ المؤرخين والمؤلفين وكُتَّاب التراث الأوائل لم يهتموا بهذه البلاد في مدوناتهم ومؤلفاتهم.

٣- بعد قيام الدولة السعودية الأولى، وظهور إمارات محلية في أرض تهامة والسراة، ثم وصول بعض القوى الإسلامية والأجنبية إلى هذه البلاد خلال القرن (١٤هـ/١٩ـ ٢٠م) ، أصبحت المصادر التاريخية المكتوبة متوفرة للمؤرخين والباحثين وغيرهم.

٤- إن موثقي هذه الدراسة قدموا لنا صفحات عن تاريخ منطقة عسير وما حولها خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الهجري الماضي، ويشكرون على ذلك وأعتقد أنَّه مازال هناك الكثير من الوثائق العثمانية، والعربية، والأجنبية التي لم تخرج للناس حتى الآن. ونرجو من الجامعات المحلية في جنوب المملكة العربية السعودية، ومن أقسام التاريخ والحضارة تحديدًا ، ومن مراكز البحوث المتخصصة أن يلتفتوا لهذا النوع من المصادر الأصلية فيحصلون عليها ، ويترجموا ما يحتاج ترجمته، ودراسة وتحقيق وتحليل المصادر العربية الوثائقية المحفوظة في الأراشيف الداخلية والخارجية.

٥- نجـد أنَّ المترجمين والدارسين لهـذا العمل العلمي قد ذكـروا معلومات لا بأسٍ بها عـن مناهجهم في الترجمـة والدراسة لهذه الوثائق، وكيفيــة فهرستها، وشيئاً عن موضوعاتها، ومصادرها، ولمحات من إيجابياتها وسلبياتها.

٦- إنَّ القائمين على هذا العمل العلمي حددوا مادة كتابهم في العقدين والنصف الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، ولا أدري هل ســـوف يستكملون هذا النوع من الوثائق إلى نهاية عصر الدولة العثمانية في عسير. ونأمل أن نراهم أو غيرهم يهتموا بجمع وترجمة ودراسة وتحقيق الوثائق العثمانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وبخاصة الســروات وتهامة، خلال القرن (١٣هـ/١٩م) وهذا الـذي نرجوه ونتطلع إليه. وما تم ذكـره أعلاه ليس تقليلاً من الجهد المبارك الذي أصدره الدكتور غيثان بن علي ابن جريس وزملاؤه. ونقول لهم شكرًا وجـزاكم الله كـل خير، وعملكم هذا قد يفتح مبادرات أو أبواباً جديدة في مجالات البحوث التاريخية والحضارية عبرعصور التاريخ، والحمد لله أولاً وأخـيرًا أن نـرى بلادنا ذ (المملكة العربية السعودية) مخدومة من مؤرخين وباحثين جادين، وليس هذا الكتاب موضوع مقالتي إلَّا نموذجًا جيدًا من نماذج علمية عديدة في طول البلاد وعرضها. [1]



(١) أشكـرك يـا أستاذ محمد غرمان العمري على هذه الخلاصات التي دونتهـا عن كتابنا (عسير في الوثائق العثمانية)، وأبشرك أن بلادنا (تهامة وسراة) أصبح فيها عشرات الأساتذة والباحثين ، وآمل أن نراهم يخدمون أهلهم وبلادهم، كل في الحقل والمجال الذي تخصص فيه.(ابن جريس) .

١٨ــ آثار المدنية والتمدن علـى الأرض والناس في جنوب البلاد السعودية[١].

بقلم . أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

لم تكـن السـروات وتهامة خالية من المدنية والتمـدن في القرن (١٣هـ/١٨-١٩م)، وبدايـات القرن الرابع عشر الهجري. فالعديد من المصادر والمراجع ذكرت بعض المدن والحواضـر ومـا اشتملـت عليه من حيـاة سياسية وإداريـة وماليـة واقتصادية، وكيف كان هنـاك أفـراد وفئات مجتمعية تعيشـ حياة طيبة في منازلهـا، وألبستها، وأطعمتها وأشربتهـا، ومكانتهـا الاجتماعية في أوطانها. وفي المقابل وجـد طبقة واسعة من الناس تمارسـ حيـاةٍ الأرياف والبوادي مـع صعوبة الحيـاة وضيق ذات اليـد، وتلك الظروف انعكست سلباً على حياة البشر.

كانت حياة التمدن في النصف الأول من القرن (١٤هـ/١٩-٢٠م) موجودة إلى حد مـا عند العديد من الأفراد والأسر في المدن والقـرى الكبيرة، مثل: الطائف، والقنفذة، وبيشـة، والنماص، ومحايل، وأبها، وخميسـ مشيط، وصبيا، وأبو عريش، وبلدة نجران الرئيسيـة. ومـن يدرس أحوال البـلاد في ذلك التاريـخ يجد أن حيـاة المدنية والتمدن مرتبطـة بالمراكز الإداريـة والاجتماعية الكبيرة، والأمكنة التي وجـد فيها مؤسسات أو قوى سياسية وإدارية أفضل من غيرها.

فمدينـة أبها على سبيل المثال كانت أرقى وأفضل من أي ناحية أو قرية في المنطقة، لأنهـا كانـت المقـر الرئيسي للمتصرفيـة العثمانية. كذلـك بعض قـرى ومواطن شيوخ القبائـل وأعيانها في عموم السراة وتهامة أحسن في مستواه الحضاري والاقتصادي من أي قريـة أو باديـة أو ريـف في أنحاءِ البلاد. والسـكان الذين يمارسـون مهن الزراعة، وبعض الصناعـات والحرف، وشيئاً من التجارات تكون أوضاعهم الحضارية أجود من حياة البوادي أو سكان الأرياف.

قد تقاس المدنيـة بالقوة والغلبة السياسية والعسكرية فقـط، دون الاهتمام بأحوال الرعيـة اجتماعيًّا، وأمنيًّا، وإداريًّا، وثقافيًّا وتعليميًّا وتنويريًّا، واقتصاديًّا وغيرها. وهذا منهج غير صحيح ولا دقيق، لأن الهيمنة السياسية والعسكرية الخالية من العدالة وخدمة الناس، فكل ذلك لا يولد إلا تخلفاً واستبداداً وعدم استقرار حضاري.

---

(١) مقالـة منشـورة في صحيفـة النماص اليوم الرقمية، بتاريـخ (٢٨/مارس/٢٠٢٥م)، كمـا نشرت في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١٢٢) (٥/أبريل/٢٠٢٥م).

واطلعت على الكثير من الوثائق والكتب التي شرحت جزئيات من حياة التهاميين والسرويين خلال النصف الثاني من القرن (١٣هـ/ ١٩م)، والعقود الأربعة الأولى من القرن (١٤هـ/ ١٩ - ٢٠م)، فكانت البلاد لا تخلو من مسؤولين وأعيان وأصحاب قرار يجتهدون ويحملون نيات حسنة في تطوير بلادهم، وفي الوقت نفسه هناك شرائح كثيرة من علية القوم وأوسطهم لا يتورعون في نشر الفوضى وعدم الأمن والاستقرار من أجل خدمة أنفسهم، أو تحقيق أهداف أو مكاسب ذاتية أو اقتصاديات أو سياسات داخلية أو خارجية.

(*) إن قيام الدولة السعودية الحديثة ثم توسعها حتى تكونت وعرفت باسم (المملكة العربية السعودية)، كان ذلك منة وفضل من الله ــ عَزَّوَجَلَّ ــ على هذه البلدان العربية السعودية الكثيرة والمتباينة في مساحاتها وتركيبتها الجغرافية والبشرية، وقد كانت تعيش حياة فقر وجوع وفوضى قبلية وسياسية كبيرة. وأوطان تهامة والسراة (من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران) جزء صغير من هذا الوطن الكبير (الدولة السعودية الثالثة)، وحديثنا عن المدنية في هذه الديار الجنوبية يستغرق مئات الصفحات وفي كل الجوانب والاتجاهات، وليس مكانه في هذه الورقات المختصرات، لكنني سوف أشير إلى شيء من ذلك مع رصد بعض الآثار التي نجمت عن التمدن والمدنية الحديثة (١٣٤٠ـ ١٤٤٥هـ/ ١٩٢١ـ ٢٠٢٤م).

١- أكبر مجال للمدنية الحديثة توحيد البلاد (المملكة العربية السعودية) تحت راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). والقضاء على الفوضى القبلية، وأصبحت الدولة الحديثة بجميع مؤسساتها الإدارية النظامية تسوس البلاد مدنيًّا وعسكريًّا، وسياسيًّا وأمنيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا، ودعويًّا، وتعليميًّا، ومعرفيًّا، وثقافيًّا وحضاريًّا.

٢- ركزت الحكومة السعودية الحديثة على عدة عوامل أساسية. توحيد البلاد، وتوفير الأمن لكل الناس، ونشر العدل والوعي على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، والاجتهاد في اتباع تعاليم هذه المصادر الإسلامية الرئيسية. ثم العمل على بناء الأرض وتطويرها في شتى المجالات، ولا يتم ذلك إلا برعاية الإنسان، وتوجيهه ومساعدته إلى تطوير نفسه ماديًّا ومعنويًّا وحضاريًّا. ونجحت خطط الدولة في تحقيق ذلك، وتحولت حياة الأرض والناس إلى ازدهار وتقدم في جميع الميادين الرسمية والأهلية، العامة والخاصة، الفردية والمجتمعية.

٣- إدراك واستشعار الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) سياسة عصره الذي يجب الأخذ بالحداثة والتطوير في نظام الحكم والاستفادة من كل

جديـد في تطوير البلاد والنهوض بها. والعمل على تحجيم هيمنة القبيلة وسيطرتها على أرضها وسكانها بطرق تقليدية. وكان عليه أن يجلب العلماء والخبراء وأصحاب القلم والأدب والرأي الذين يساعدونه في رسم خطط حديثة أثناء توحيد وبناء وتطوير الوطـن. ولم يجهل التركيبة الحضاريـة لدولته التي بدأت من الرياض، وامتدت إلى مناطـق عديدة في كل اتجـاه، ورأى أن حواضر الحجاز وبخاصـة مكة المكرمة تكون الحاضـرة الإدارية التي تشرف وترسم وتخطط لنشـر النظام الحضاري الحديث في أرجـاء البلاد. ومن هناك بدأ تأسيس الإدارات والمديريات السيادية والرئيسية لمعظـم مؤسسات الدولة، وبعد نشأتها وقيامها بالبنـاء لكل مؤسسة أو إدارة رئيسية وفروعهـا، واستمرارهـا في مكـة سنـوات عديدة، ثـم نقلها إلى مدينـة الرياض في سبعينيـات القرن الهجري الماضي، وتحولـت مسمياتها من مصطلح (مديرية) إلى اسـم (وزارة) لكل قطاع رئيسي في الدولـة. وإذا توقفنا مع نشأة وتطوير المؤسسات الإدارية المدنية والعسكرية في عموم السروات وتهامة، فإننا نجد مديريات الحكومة الرئيسيـة في مكة المكرمة بذلت جهوداً كبيرة في تأسيس فروع لها في مناطق عسير، وجـازان، والقنفذة، والطائـف، وبيشة، ونجران، ثم توسعت تلـك الفروع ولم نصل إلى نهاية القرن الهجري الماضي إلا أصبح بعضها إدارات رئيسية أو عمومية تراجع الوزارات التابعة لها في عاصمة المملكة العربية السعودية (الرياض) .

٤- بـدأت حياة النـاس في السراة وتهامة تتحـول نحو المدنية والاستقـرار من خمسينيات القـرن الماضي، لكنها كانت بطيئـة حتى سبعينيات وثمانينيات القـرن نفسه. فالدولة بجميـع مؤسساتهـا كانـت تعمل بجـد واجتهاد علـى تنظيم الأمـور الإداريـة والمالية، والسياسيـة والأمنيـة، والثقافية العلميـة والتعليمية وغيرها. ومن أكـبر العقبات التي واجهـت الحكومة ضعف الموارد الاقتصادية، وفي السبعينيات بدأ النفط يشكل مصادر مادية أفضل من ذي قبل، واستمر حكام البلاد في تقوية وتطوير الاقتصاد، والعمل على تطوير الإنسان السعودي في شتى المجالات، ودعمه وتنويره على خدمة نفسه ووطنه.

٥- بـدأ هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، وأرجاء البلاد مستقرة، وتسير في خططها الخمسية على مراحل للبناء والتطوير. وسبق أن وضعت الدولة الركائز الأولية والرئيسية خلال النصـف الثاني من القرن الهجري الماضي. وإذا تأملنا في وضع السكان في العصر السابق وجدنا معظمهم بدو وسكان أرياف، والمدنية ضئيلة ومحدودة جداً، وأكثرها في منطقـة الحجاز، ثم تراجعت الحيـاة البدوية عندما بـدأت الحكومة في توطين النـاس في هجرهم ومضاربهم وتزويدهم بالعديد مـن المساعدات المادية والمعنوية

أمنيًّا، وإداريًّا، وتعليميًّا وحضاريًّا، والتفتت أيضاً للمناطق والبلدان الريفية فقدمت لهم الكثير من الأعمال التنموية التي تساعدهم على تطوير بلادهم وأنفسهم. ولم يأت هذا القرن الحالي، إلا صار في السروات وتهامة عشرات المدن الحديثة، ومئات الأرياف والقرى والبوادي التي تشتمل على الكثير من جوانب الحضارة والتمدن العصري. ومن يكتب ويوثق عن حياة المدنية في هذا القرن فلابد أن يدرس جميع مجالات الحياة السياسية والأمنية، والاقتصادية والاجتماعية، والتعليمية والعلمية والثقافية والإعلامية، والعمرانية، وصلات وتواصل أفراد المجتمع التهامي والسروي مع بعضهم أو غيرهم داخل أوطانهم، أو خارجها، وفضل الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ ثم فضل الدولة على خدمة وتطوير هذه البلدان السعودية وأهلها، وميادين أخرى عديدة. وكل هذه الموضوعات مشاريع بحثية كبيرة تُكتب في عشرات المؤلفات والموسوعات.

٦- لم تعد حياة الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع في هذا القرن هي نفس الوضع الحضاري الذي عاشه الناس في القرن الهجري الماضي. فكل شيء تطور وتغير إلى عصر جديد وحديث، كالبناء والعمران، واللباس والزينة، والطعام والشراب، والثقافة والفكر والتعليم والإعلام، ونظام الإدارة والمال، ومجالات اجتماعية أخرى كثيرة في العادات والأعراف والتقاليد واللهجات والثقافات. وتركيبة الأسر والمجتمعات في المدن والقرى والحواضر داخل أرض السراة وتهامة، وبين المجتمعات والأفراد التهاميين والسرويين الذين يعيشون داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها، أو طبيعة الطرق ووسائل المواصلات، أو العلاقات والاتصالات الفنية والتقنية والإنسانية والاقتصادية والحضارية وغيرها مما يصعب حصره في هذه السطور المحدودة.

(*) كتابة آثار الحياة الحديثة والمعاصرة على الناس والبلاد في أرض تهامة والسراة مشروع بحثي كبير يوثق في بضعة كتب أو رسائل علمية جامعية. وفي الفقرات التالية أرصد شيئاً من هذه الآثار الإيجابية والسلبية من نهاية القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر.

أ- كان الأمن وتوحيد الصف، والسعي إلى أن يكون ولاء المواطن لدينه وبلاده (المملكة العربية السعودية) بدلاً من ولائه الضيق المحدود إلى قريته أو عشيرته أو عصبيته القبلية، وذلك يعد من أكبر النجاحات التي تحققت في مناطق السروات وتهامة، أو أي ناحية من بلدان المملكة. وتزامن مع هذا الإنجاز الكبير تعليم وتوجيه وتطوير الإنسان في جميع المجالات التنويرية والتنموية المعنوية والمادية.

ب ـ لن أسهب في التحولات الإيجابية المتنوعة التي عرفها وعاشها السريون والتهاميون مــن سبعينيــات وثمانينيات القــرن (١٤هــ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م)، مثــل: زيادة الفرصــ الوظيفية المدنية والعسكرية، الأهليــة والرسمية، وتحسن ثم ارتفاع مستوى الدخل الفردي لكل الناس. وانعكس ذلك على التطور المادي الجيد لجميع المستويات الحكومية والشعبية، الأسرية والفردية، العامة والخاصة. ويظهر ذلــك واضحاً في التوسع العمــراني بجميع أنواعه، وتطور النــاس في حياة اللباس والزينة، والطعام والشراب، واللقاءات والمناسبات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة، الأسريــة والمجتمعيــة، والسفــر والتنقــلات الداخليــة والخارجيــة، والاجتماعات والروابــط الاجتماعيــة، والتوسعات الاقتصاديــة، والنمو والتطــورات الكبيرة في المؤسســات الإداريــة الرسميــة والأهلية، وفي مجــالات التربية والتعليــم والثقافة والإعــلام، وفي ميادين التدريب والتقنية والترفيــه والسياحة، والتقاربات الدينية والإنسانية والأخوية ليس في السراة وتهامة، بل في أنحاء المملكة العربية السعودية.

ج ـ واكب العقود الماضية المتأخرة رفاهية ويسر حال عند معظم السكان، وزاد الوعي والعلــم والنــور، وفاض المــال والخير عنــد البشر، وجميــع هذه الأمــور إيجابيات ومبشــرات، لكنه ظهر معها الكثير من السلبيات، مثل بعض السلوكيات أو العادات الفردية، أو الأسرية، أو المجتمعية غير الجيدة. وقد تكون هذه المظاهر في مجالات اللبــس والزينــة، أو الشراب والطعــام، أو عادات جديدة ودخيلة لهــا صلة ببعض الميادين الاجتماعية، أو التعليمية، أو الثقافيــة، أو الفكرية، أو السفر والإقامة، أو الصــلات بين أفراد الأسرة أو الأسر، أو القريــة، أو المدينة، أو بعض الاجتماعات والمناسبات الحزينة أو الفرائحية، أو لها علاقة بالأوضاع الاقتصادية المتنوعة.

د ـ مــن رغب معرفــة بعض التغيرات السلبيــة التي ظهرت في مجتمعــات هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) فليطلع على تاريخ وحضارة النــاس في القرون الماضية المتأخرة، ثــم يقارن ذلك بما يشاهده اليــوم في أي مكان من وطن المملكة العربية السعودية، أو أي ناحيــة فيهــا كالسراة وتهامة أو غيرها. ومن يجلس مع الأجيال الكبيرة التي عاصــرت أحداث وتاريــخ النصف الثاني مــن القرن الماضــي، ومازالت تعيش مع أجيال هذا القرن فإنه سوف يسمع روايات وقصص ورغبات وأمنيات كثيرة بعضها سلبية وأخرى إيجابية، ولا تخلو من المقارنات بين الماضي والحاضر. الماضي الذي كان يغلــب عليه الحياة البدائية مع تآلف وتعــاون وتكافل وفقدان للأمن في معظم الأوقــات، وحاضر ملــيء بالإيجابيــات والسلبيات. مثل: ضعــف الروابط الأسرية

والمجتمعيــة في كثـير مــن مظاهر الحيــاة العامة والخاصــة، وتعد مــن السلبيات الكبــيرة التي تعيشها مجتمعات اليوم، ومجالاتٍ حضارية أخرى عديدة تطورت في بعض الجوانب ماديًّا وشكليًّــا، لكنها تأثرت سلباً في أمور كثيرة بعضها معنوي وآخر مادي، أو في الإثنين معاً .

هـ - موقع بلادنا (المملكة العربية السعودية) بلاد الحرمين تمثل موطن العالم الإسلامي الرئيســي، وقد بذلت الدولــة أعمالاً عظيمة وكبيرة لتأسيــس ونشر الحياة المدنية الحديثــة. وأصبحت مقصــداً لجميع المسلمين الذين يفــدون إلى أرض الحرمين، ويأتي إليها الوافدون من عشرات البلدان والجنسيات البشرية للعمل وطلب الرزق. ومن يتجول في مناطق السراة وتهامة خلال العشرين سنة الأخيرة يجد الكثير من العناصر البشرية الوافدة والعاملة في معظم القطاعات الاقتصادية، والصناعية، والطبيــة، والتعليمية، والفنية التقنية، وبعض المجالات الاجتماعية. وذلك من آثار التمــدن والحداثة التــي تعيشها البلاد. وهــؤلاء الأفراد والشرائــح المجتمعية لهم آثــار سلبيــة وإيجابية على الأرض والناس. وقد بحثت عن دراســات علمية جيدة وموثقــة في هذا الميدان، لكنني لم أجد إلا تقاريــر وإحصائيات ومدونات متفرقة، ومثــل هــذا الموضوع يجب أن يخدم بحثيًّا من قبــل المؤسسات التعليمية البحثية في بلادنــا. وصلى الله وسلم علــى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي عليه افضل الصلاة وأتم التسليم[1] .



(١) إن العناصــر البشريــة الوافــدة إلى بلادنــا (تهامة وسراة) مجــال كبير لإصدارٍ عشــرات الدراسات عنهم ، وتأثيرهم وتأثرهم من خلال عيشهم مع أهل البلاد الأصليين. وللأسف زرت عدداً من الجامعات المحلية باحثاً عن دراسات في هذا الباب، لكني لم أجد أي شيء. وجميع الجامعات التي زرتها في تهامةٍ والسراةٍ لا يوجد فيها مراكز بحثية أو أقسام علمية في علوم الاجتماع ، وهذا المجال يجب دعمه ورعايته إداريا وعلميا وماليا.

١٩ـ وقفات ومرئيات على كتاب الدكتور غيثان بن جريس تاريخ الناس في تهامة وا لسراة (١٣٠٠ـ١٤٤٥هـ/١٨٨٣ـ٢٠٢٤م)[(١)]. بقلم. أ. محمد بن غرمان العمري[(٢)].

تشرفت بالاطلاع على كتاب المؤرخ الدكتور غيثان بن علي بن جريس بعنوان: **تاريخ الناس في تهامة والسراة خلال قرن ونصف تقريبًا (١٣٠٠ـ ١٤٤٥هـ)**، في (٧٣٠) صفحة من القطع المتوسط. عندما وصلني هذا العمل العلمي وشاهدت العنوان، وبخاصة كلمة (الناس) أسرعت في تصفح هذا المنجز الكبير، حتى أعرف ما هي المادة الموثقة فيه، فوجدته يتكون من مقدمة، وخاتمة، وملاحق عامة في الأخير، وسبعة أقسام رئيسية، هي:(١) الجغرافيا والسكان.(٢) توثيق للحياة السياسية والعسكرية والإدارية والمالية. (٣) التاريخ الاجتماعي. (٤) الحياة الدينية، والصحية، والسياحية. (٥) التاريخ الاقتصادي.(٦) تاريخ التعليم والتعلم. (٧) صفحات من التاريخ الفكري والعلمي، والثقافي والإعلامي. وبدأت أقرأ في صفحات الكتاب، فوجدت مؤلفه فعلًا يكتب عن حياة الناس في بلاد تهامة والسراة، الممتدة من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى بلاد جازان ونجران. مع أنني من أبناء هذه البلاد، ولي إطلاعات عديدة عن تاريخها وتراثها وموروثها وحضارتها، لكنني وجدت في هذا السفر مادة علمية قيمة أرخت لأحوال السكان المختلفة من بداية القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر. ولست في هذه المقالة دارسًا أو ناقدًا، لكنني خرجت ببعض الأمور التي أذكر بعضها في النقاط التالية:

١- لا شك أنَّ الكتابة عن تاريخ السروات وتهامة أمر طيب ومحمود، خصوصًا أنَّها بلاد واسعة، ومليئة بالسكان، ولهم تاريخ حضاري ومتنوع منذ عصور ما قبل الإسلام. وكنتُ أتمنى أنْ يكتب الدكتور غيثان بن جريس تاريخ الناس في هذه الأوطان منذ صدر الإسلام إلى وقتنا الحاضر، حتى لو صدر عمله في عدة أجزاء. ونشكره على هذا العمل، لكن نرجو منه أو من الباحثين المتخصصين غيره أن يدرسوا ويوثقوا لنا تاريخ هذه البلاد القديم والإسلامي المبكر والوسيط.

٢- لم أغوص وأقرأ الكتاب بالتفصيل، وجهد الأستاذ ابن جريس الجيد واضح وملموس، لكنَّه ربما لا يخلو من النقص والعيوب. آمل أن نرى أحد الباحثين والمؤرخين من السراة وتهامة يدرسه دراسة علمية ويوضح لنا الإيجابيات والسلبيات في هذا العمل العلمي الكبير.

---

(١) نُشرت هذه المقالة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (١٢/نوفمبر/٢٠٢٤م)، ومنشورة أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام، صحيفة وسوم، عدد (١١٢١) (١٩/٣/٢٠٢٥م). (ابن جريس) .

(٢) انظر سيرته في المقالتين رقم (١٥، ١٧) من هذا القسم . (ابن جريس).

٣- لفت نظري في أقسام الكتاب أنَّ التاريخ الاجتماعي قد أخذ حيزًا كبيرًا في هذه الدراسة، وكنت أتمنى من الدكتور غيثان أن يكون خدم الفصول الأخرى مثلما فعل ما تاريخ الحياة الاجتماعية في هذه البلاد الواسعة، والمتنوعة في مناخها وتضاريسها. ومواردها الطبيعية وحياة أهلها التاريخية والحضارية المختلفة.

٤- يورد الباحث الكثير من الشروحات والتفصيلات في الحواشي طويلة جداً، وكان الأفضل أن توثق في متن الدراسة، وذلك لصلتها بالمادة العلمية المكتوبة في المتن. وربما الدكتور غيثان له رأي أو وجهة نظر فيما تم تدوينه وكتابته. وأقول هذه الآراء ليس انتقادًا، لكن قارئًا ومتابعًا للشأن الثقافي والمعرفي في بلادنا.

٥- وجدت صاحب الدراسة جمع مادة كتابه من بعض المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة، بالإضافة إلى مشاهداته وخبرته ومعاصرته لحياة الناس في تهامة والسراة من بداية الثمانينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر. وهذا عمل وجهد يشكر عليه، ولو رصد في نهاية الكتاب المصادر والمراجع التي استفاد منها سواءً كانت مكتوبة أو من الرواية الشفهية والانطباعات والمشاهدات كان ذلك أفضل وأكمل.ما تم الإشارة إليه أعلاه مجرد وجهات نظر تحتمل الخطأ والصواب، وأعلم أنَّ الدكتور غيثان بن جريس يطلب وينادي بمراجعة كتبه ودراساته، ومن يجد عيباً أو خطأً فلا يتأخر في إبلاغه حتى يستفيد منها في طبعات قادمة. وأعلم ويعلم غيري أنَّ ابن جريس يبحث دائمًا عن الصواب والصدق وصحة المعلومة. وهذه صفات جيدة، والواجب على من يتصدر مهنة البحث والتأليف أن يكون كذلك.

أعود إلى البلاد المشار إليها في هذا الكتاب (تهامة والسراة) وأقول: إنَّها بلاد غنية جدًا بتاريخها وحضارتها عبر عصور التاريخ، وللأسف أنَّنا لا نجد الشيء الكثير المكتوب عنها (تراثًا، وحضارة، وتاريخًا، ولغةً، وأدبًا، وثقافةً، وموروثًا، وآثارًا) وبخاصة في العصور التاريخية القديمة من قبل الإسلام إلى اليوم ، والحمد لله، صار في بلادنا عشرات الكليات والأقسام العلمية الأكاديمية، ويعمل فيها الكثير من الأساتذة المتخصصين في مجالات وتخصصات كثيرة ، والواجب عليهم أنْ يجتهدوا في خدمة هذه البلاد من خلال دراساتهم وبحوثهم العلمية، وإنْ فعلوا ذلك فقد نعرف ونطلع على الكثير من حضارة هذه البلاد الكريمة.

إنَّ الدكتور غيثان بن جريس دون في كتابه هذا توضيحات كثيرة عن كيف كانت أحوال البلاد متواضعة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الستينيات والسبعينيات منه،

ثــم بدأت التنمية السعودية الحديثة تســري في كل مكان في البلاد حتى صارت في وضع تنمــوي وحضــاري ممتاز خلال هذا القــرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م). وهــذا التاريخ الحديث والمعاصــر وبخاصة في مجالات التطوير والتنمية في أرجــاء البلاد يستحق أن يُدرس في بحوث وكتب علمية جيدة. والأمل في الباحثات والباحثين الموجودين في جامعات وكليات جنوب المملكة العربية السعودية.

كل الذي أدرجته في هذه المقالة اجتهادات، وليس قصدي من ذلك إلَّا شكر الدكتور غيثــان بــن جريس على هذا العمل العلمــي المبارك، ثم الإشــارة إلى بعض النقاط التي أرجــو أنّ يكــون فيها فائدة لكل قارئ وباحث في بلادنا الغالية ، التي ما زالت تحتاج منا جميعــا الشيء الكثير، كل في مكانــه ومجاله وتخصصه. وهذا الوطــن الكبير (المملكة العربية السعودية) أعطانا الشيء الكثير، وعلينا واجبات كثيرة تجاه (أرضًا وإنسانًا).



٢٠ــ مراجعات وقراءات في خمسة مؤلفات صدرت حديثاً للدكتور غيثان بن جريس (تأملات، ووجهات نظر).[١] . بقلم. د. حسن فيصل الشهري[٢] .

م	الموضوع	الصفحة
أولاً	عناوين الكتب.	٤٤٩
ثانياً	خلاصة عامة للكتب الخمسة.	٤٥٠
ثالثاً	كلمة عن الدكتور غيثان وبعض الإيجابيات على المؤلفات الخمسة وغيرها.	٤٥١
رابعاً	بعض السلبيات على شخصية الدكتور غيثان وأسلوبه في هذه المؤلفات الخمسة وغيرها.	٤٥٥
خامساً	خلاصة خرجت بها من هذه المدونة	٤٥٦

أولاً : عناوين الكتب:

الكتب الخمسة للدكتور غيثان بن جريس التي صدرت خلال هذا العام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م هي :

١- **جامعة الملك خالد (١٤١٩-١٤٤٢هـ/١٩٩٨-٢٠٢١م) (دراسات، وشهادات) (الطبعة الثانية). (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) (جزآن). الجزء الأول (٥٦٤صفحة)، الجزء الثاني (٥٥٨صفحة) .**

٢- **بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠- ق١٥هـ/ق١٦- ق٢١م) (دراسة تاريخية حضارية). (الطبعة الثالثة) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، (٥٧٢ صفحة).**

٣- **محافظة بيشة (دراسات، وإضافات، ورحلات) (ق١-ق١٥هـ/ ق٧-ق٢١م). (الطبعة الثانية) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)،(٥٤٨صفحة).**

٤- **محافظة الطائف (دراسات، وإضافات، ورحلات) (ق١-ق١٥هـ/ق٧-ق٢١م). (الطبعة الثانية) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، (٥١٦صفحة).**

---

(١) نشرت هذه المقالة في صحيفة النماص اليوم الرقمية، بتاريخ (٢٢/أبريل/٢٠٢٥م) كما نشرت أيضاً في موقع رابطة أدباء الشام ، صحيفة وسوم، عدد (١١٢٥) (١٢/مايو/٢٠٢٥م) .

(٢) الدكتور حسن فيصل الشهري من سكان تهامة بني شهر، يعمل في مجال التعليم ، وحصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة أم القرى. للمزيد عن سيرته انظر غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) (الطبعة الرابعة) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص ٣٦٢ .

٥- **ذكريات طالب مبتعث في أمريكا وبريطانيا (١٤٠٠-١٤٠٩هـ/١٩٨٠-١٩٨٩م) (انطباعات، ومشاهدات). (الطبعة الأولى) (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، (٤١٢صفحة).**

ثانياً : خلاصة عامة للكتب الخمسة :

عندما وصلتني الكتب الخمسة للدكتور غيثان بن جريس، وجدتها تناقش موضوعات وتواريخ مختلفة في بلاد تهامة والسراة :

١- **الكتاب الأول:** جامعة الملك خالد في مجلدين: الجزء الأول يشتمل على (١٢) دراسة، الدراسة الأولى تؤرخ للتعليم العالي في منطقة عسير (١٣٩٦-١٤٢٠هـ/١٩٧٦-١٩٩٩م)، والدراسات الباقية تناقش جوانب عديدة عن تاريخ وآثار وجهود جامعة الملك خالد في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (عسير، وجازان، ونجران)[(١)].

أما الجزء الثاني فمادته العلمية (٢٤) شهادة دونها أساتذة وموظفون عاصروا مسيرة التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية، ومعظمهم كانوا مسؤولين ومعاصرين لنشأة وتطور جامعة الملك خالد، ومنهم مديرو الجامعة الثلاثة الذين تولوا إدارة الجامعة من يوم تأسيسها إلى سنة صدور الكتاب في طبعته الأولى (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م[(٢)].

٢- **الكتاب الثاني:** بلاد القنفذة خلال خمسة قرون: صدر منه إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ثلاث طبعات، وكانت الطبعة الأولى عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ويتكون من ستة فصول جغرافية وبشرية، وسياسية وإدارية، وموضوعات أخرى عديدة عن بلاد القنفذة، بالإضافة إلى فهارس وثائق وبحوث عن هذه الديار وجميعها موجودة في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية، وأيضًا بعض الرحلات والمشاهدات لابن جريس، وملاحق وثائقية وصور فوتوغرافية[(٣)].

٣- **الكتاب الثالث:** فمادته العلمية عن محافظة بيشة: وتتألف من (١٥) دراسة علمية للدكتور غيثان بن جريس وغيره، وشملت هذه البحوث جوانب تاريخية حضارية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة، وللرحلات

---

(١) للمزيد عن هذه الدراسة انظر الطبعتين الأولى والثانية في الجزء الأول، منشورة ورقياً ورقمياً على عدد من الروابط والقنوات المحلية، والإقليمية، والعالمية.

(٢) انظر هذه الشهادات وأصحابها في الجزء الثاني ، وبعض الشهادات تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة جامعية.

(٣) انظر الطبعات الثلاث مطبوعة ومنشورة رقمياً وورقياً، وبلاد القنفذة من الأوطان الرئيسية في تهامة الواقعة بين مكة المكرمة وجازان.

ومشاهدات ابن جريس نصيب جيد في هذا الكتاب، وفي نهاية الكتاب بعض الوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية لمعالم عديدة في منطقة بيشة[(١)].

٤- **الكتاب الرابع:** يختص ببلاد الطائف، وهو في إعداده وترتيبه على منوال كتاب محافظة بيشة، ويتألف من خمس دراسات علمية موثقة ناقشت جزئيات من تاريخ الطائف منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر، ومجال الرحلات والرحالة قديمًا وحديثًا أخذت حيزًا كبيرًا في الكتاب، ولا يخلو من ملاحق للوثائق التاريخية والصور الفوتوغرافية[(٢)].

٥- **الكتاب الخامس والأخير:** ذكريات غيثان بن جريس كطالب مبتعث في أمريكا وبريطانيا خلال العقد الأول من هذا القرن (١٤٠٠- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٨٩م). احتوى الكتاب على ثلاثة فصول على النحو الآتي:

١- ذكريات شخصية عن الحياة العلمية (١٤٠٠- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٨٩م).
٢- انطباعات، ومشاهدات وتجارب في كل من أمريكا وبريطانيا.
٣- مقتطفات من حياة الطلاب والمجتمعات العربية والإسلامية في أمريكا وبريطانيا. ولا يخلو الكتاب من مقدمة، وفهرس عام، وخاتمة، وملاحق وثائق ومذكرات وصور فوتوغرافية[(٣)].

ثالثاً : كلمة عن الدكتور غيثان بن جريس وبعض الإيجابيات على المؤلفات الخمسة وغيرها:

عرفت الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس أستاذًا ووالدًا وصديقًا، وشهادتي فيه مجروحة لأنني أجله وأحترمه وأقدره لعلمه ولطفه وحسن أخلاقه، وهذه أمور لن أتحدث عنها، فقد أناقشها في ورقة علمية أخرى، أو أتركها لغيري فيدرسها ويقول وجهة نظره فيها. والذي يهمني في هذه الورقات المحدودة غيثان بن جريس الباحث، والمؤرخ، والأستاذ، وكل صفة من هذه الصفات تحتاج إلى حيز كبير من الرصد والتوثيق، مع أن غيري من الباحثين والمؤرخين رصدوا جزئيات كثيرة عن حياة ومنجزات الدكتور غيثان بن جريس العلمية والبحثية والتعليمية[(٤)].

---

(١) انظر الطبعتين الأولى والثانية منشورة ورقياً ورقمياً على العديد من الروابط والقنوات الرسمية.
(٢) انظر مادة الكتاب في الطبعتين الأولى والثانية منشورة رقمياً وورقياً.
(٣) انظر الكتاب في طبعته الأولى (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) منشور ورقياً ورقمياً.
(٤) انظر بعض المؤلفات عن الدكتور غيثان بن جريس من إعداد الأستاذ والباحث القدير محمد بن أحمد ابن مُعَبّر، والدكتور عوض بن ناجي عسيري، والأستاذ ناصر بن أحمد العماري الشريف وغيرهم، وجميع أعمالهم مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً.

الـذي عرفته عن الأستـاذ الدكتور غيثان، مع تقدمـه في السن، [١]. أنه لا يضيع وقته، وتراه دائمًا يطّلع ويكتب، ويبحث في حله وترحاله، وأحيانًا أتصل به فأجده ذاهبًا في رحلة ميدانيـة، وقد زارني أكثر من مرة في محافظة المجـاردة، وذهبت معه في رحلات قصيرة في أجـزاء من تهامة، وهو دائمًا مشغول ومهمـوم بالاطلاع. ويجتهد ويحرص على إيصال بحوثه ومؤلفاته إلى كل القراء والمكتبات الرسمية والأهلية الداخلية والخارجية، ومن ينظر في وثائقـه الخاصة التي نشرها الأستاذ محمد بن مُعَبّر في (١١) مجلد، وفي الكتاب الذي أصدره ابن جريس، بعنوان: **غيثان بن جريس في رسائل معاصريه (خمسة مجلدات)**، فإنه يجـد صحة ما ذكرته في السطور السابقة. والحقيقة أن أستاذي الدكتور غيثان بن جريس مدرسـة جيـدة وناجحة في الجـد والمثابرة والإنجـاز في كل عمل يعود علـى أهلنا وبلادنا بالخير والبركة والنفع، فجزاه الله عنا وعن أهلنا وبلادنا كل خير. ولو تحدثت عن الدكتور غيثـان مع طلابه وطرق تدريسه وتكليفاته لطالباته وطلابـه فهذا موضوع كبير يكتب فيه عشـرات الصفحـات، إلاّ أنَّ الجـد والاجتهـاد والمتابعـات العلمية المستمرة هـي السمات الرئيسيـة والعامة التي اتصف بها ابن جريس مع طلابه. هذا الذي عرفته بشكل مباشر، وسمعته من طلاب كثيرين تعلموا عنده وعاصروه وعرفوه عن قرب[٢].

مازال الدكتور غيثان بن جريس يعمل ويقدم الكثير في مجال البحث العلمي، مع أنَّه حسب سجله التاريخي، وما سمعت عنه يعمل في هذا المجال منذ خمسين عامًا (١٣٩٦ـ١٤٤٦هـ/١٩٧٦ـ٢٠٢٥م)، وهـذه فترة طويلة، وأحيانًا أتحدث معـه، وأقول له: يجب عليـك الخلـود إلى التوقـف والراحة، وعدم بذل جهـود كبيرة ومضنيـة في سنك هذا. فيقـول: "يا حســن إن العمل جيد جدًا وبخاصة إذا كان في طلب العلم والمعرفة، وكذلك طلـب الأجـر والثواب من الله»، ويضيـف قائلًا: «لعل الله لا يحرمنـا الأجر، وأن يصلح النية ويجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم» [٣].

---

(١) تـرك الدكتـور غيثان بن جريس عمله في جامعة الملك خالد منذ بضـع سنوات، وسنه أصبح الآن قريباً من السبعـين، ومازال مستمراً في مجال البحث والدراسة والتوثيق، نسأل الله أن يبارك في جهوده، وأن يجزيه الجنة مقابل ما قدم لدينه ووطنه، وأن يجعله ويجعلنا جميعاً من المتقين ومن عباده الصالحين.

(٢) الحقيقة أن الدكتور غيثان بن جريس يستحق أن يُكتب عنه بحوث وكتب ورسائل علمية جامعية عديدة. وله منجزات عديدة ومتنوعة في الميادين البحثية والعلمية والتوثيقية والرحلات الميدانية وغيرها.

(٣) نحن المعلمون وطلاب العلم والمعرفة بحاجة إلى مثل هذه التوجيهات الطيبة والمباركة، وبخاصة إذا صدرت مـن أستاذ مخضرم، مثل الدكتور غيثان بن جريس، عاصـر الحياة القديمة والحديثة. ومن يخلص النية والعمـل في أي شـيء من أمور الحياة فالنتائج سوف تكون جيدة وإيجابية، وإذا كانت في مجال العلم وطلب الأجر من الله، فسوف تكون (بإذن الله) في درجة عالية من التوفيق والرضا.

(*) أما الإيجابيات التي خرجت بها من قراءة هذه المؤلفات الخمسة فكثيرة، ولكنني أستطيع إجمالها في هذه المدونة المحدودة، وأذكر بعضها في النقاط التالية:

١- إن إطلاق لقب (مؤرخ تهامة والسراة) أو (مؤرخ الجنوب) على الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس حقيقة واقعية، فمن يطلع على جميع مؤلفاته وفي مقدمتها موسوعته الشهيرة (**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**) (ثلاثون مجلدًا) وغيرها فسيجد معظم كتبه وبحوثه ودراساته عن بلاد تهامة والسروات، الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى منطقتي جازان ونجران، ولو نظرنا في الكتب الأربعة الأولى الوارد ذكرها في هذه الورقة لوجدناها ناقشت موضوعات تاريخية وحضارية كثيرة في مناطق عسير، وجازان، ونجران من خلال كتاب (**جامعة الملك خالد في جزايه**)، وكذلك كتابيّ محافظتي بيشة والطائف ففيهما العديد من الدراسات خلال القرون الإسلامية المختلفة، ومعظم هذه البحوث سبق نشرها في موسوعة الدكتور غيثان بن جريس (**القول المكتوب في تاريخ الجنوب**). أما كتاب: (**بلاد القنفذة**) فهو دراسة علمية جادة ورصينة ناقشت جزئيات كثيرة عن بلاد القنفذة خلال العصر الحديث (ق١٠ - ق١٥هـ/ ق١٦- ق٢١م). وأيضًا الكتاب الخامس (**ذكريات طالب مبتعث ...**)، فهو صفحات علمية جيدة حفظها لنا ابن جريس من خلال دراسته في أمريكا وبريطانيا قرابة عقد من الزمان (١٤٠٠- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٨٩م) [١].

٢- تأملت في كتاب: **جامعة الملك خالد بجزأيه**، فوجدته جمع بين الدراسة العلمية الوثائقية، والمذكرات والروايات الشفهية، وهذه طريقة جيدة في مجال البحث العلمي التاريخي، وقد واجه الدكتور ابن جريس صعوبات كثيرة في جمع مادة هذا الكتاب، وذكر ذلك في أكثر من مكان من كتابه. وهذا الكتاب حسب علمي أول دراسة علمية توثيقية موسعة، وتعد لبنة جيدة لمن رغب دراسة تاريخ التعليم العالي في جنوب البلاد السعودية، وهذا المجال مازال يحتاج إلى جهود علمية وبحثية كبيرة.

٣- كتب (**القنفذة، وبيشة، والطائف**) مصادر مهمة لمن يدرس تاريخ وحضارة هذه البلدان خلال القرون الإسلامية المختلفة، والدكتور غيثان ترك لنا منجزات علمية جيدة لمن يتخصص في دراسة هذه البلاد، وهي من المناطق التي مازالت بحاجة إلى دراسة تاريخية وأثرية وحضارية جادة وعميقة، ونأمل أن نرى مؤرخات ومؤرخين

---

(١) في الواقع إنني لا أجامل الدكتور غيثان بن جريس، وهذه الكتب الخمسة وغيرها من مؤلفاته ودراساته العلمية الأخرى فيها مواد علمية كثيرة وكبيرة ومتنوعة، وجديرة بالاطلاع عليها والاستفادة منها علمياً وبحثياً وثقافياً ومعرفياً.

جادين يستكملون ما أنجزه ابن جريس كما نأمل من الدكتور غيثان نفسه أن يخرج لنا دراسة أكثر عمقاً وتأصيلاً عن هذه النواحي وغيرها في أرجاء السروات وتهامة[١].

٤- كتـاب (الذكريات) يعكس صورة من تاريخ السير الذاتيـة، ويشتمل على معلومات تاريخية جيدة تفيد طلاب الابتعاث إلى دول الغرب مثل بريطانيا وأمريكا. ومن هذه الذكريـات عرفنا جزئيـات من حياة الأستاذ الدكتور غيثـان العلمية والاجتماعية. ونرجو أن يكتب لنا سيرة ذاتية تفصيلية تستفيد منها الأجيال القادمة[٢].

٥- قضيت بعض الوقت أقرأ وأتصفح الكتب الخمسة، وأقول: لله درك يا بن جريس، فقد أنجزت أعمالاً يعجز عن إنجازها مؤسسات جامعية أو فرق علمية متعددة. واتضح لي أن بلادنا (تهامة والسراة) من الميادين الكبيرة والجيدة للمجال العلمي والمعرفي والبحثي، ولها عراقة وتاريخ وحضارة، وعلى أصحاب الاختصاص من أبنائها مسؤوليات كبـيرة لخدمـة أرضها وإنسانهـا من خـلال تخصصاتهم العلميـة، وفي مقدمتهم المؤرخات والمؤرخون، والآثاريات والآثاريون.

٦- إن الباحـث والمؤرخ غيثان بن جريس لم يعتمد فقط علـى جهده الشخصي وبحوثه الذاتية، بل أشرك معه في موسوعته الكبيرة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وفي مؤلفاتـه الأخرى باحثين ومتخصصين آخرين من داخـل المملكة العربية السعودية وخارجهـا، واجتمـع عندنا كمًّا هائلاً مـن الدراسات العلمية المتنوعـة في عناوينها وموادهـا العلمية، كما أنه لم يهضم أو يضيع حقوق الآخرين من الذين شاركوا معه في مؤلفاتـه، بل حفظ الحقوق العلميـة لأصحابها، ونحن أمام قامة علمية ومدرسة تاريخية يجب الاستفادة من طرقها ومنهجها في البحث العلمي.

٧- مـازال هناك إيجابيات كثـيرة. يمكن استخلاصها من المؤلفـات الخمسة المذكورة في هذه الورقة، والكثير من الفوائد العلمية والبحثية والمنهجية الموجودة في مؤلفات وبحوث ولقاءات ومحاضـرات أستاذنا الأستاذ الدكتور غيثان بن علي ابن جريس، وقد أناقش بعضها في ورقة أخرى في المستقبل[٣].

---

(١) أقـول كما قال الدكتور ابـن جريس «إن هذه البلاد (تهامة والسراة) لم تخدم علمياً في العصر السابق للإسلام وبعده، وهي من البلدان التي يجب دراسة تاريخها وآثارها وحضارتها من العصر القديم إلى العصر الحديث».

(٢) سمعـت مـن الدكتور غيثان أنه يعمل على كتاب كبير يجمع فيـه جزئيات كثيرة من حياته منذ كان في قرية والدته (آل مقبول ببني عمرو) حتى وقتنا الحاضر، ونأمل أن نرى هذا الكتاب في المستقبل القريب، وأن يحتوي على معلومات جديدة لم يسبق نشرها.

(٣) لست الوحيد الذي نادى بدراسة منهج ومدرسة الدكتور غيثان بن جريس العلمية، بل هناك باحثين آخرين أشاروا وأوصوا بدراسة مدرسة الدكتور غيثان بن جريس العلمية والبحثية والاستفادة منها.

رابعاً: بعض السلبيات على شخصية الدكتور غيثان وأسلوبه في هذه المؤلفات الخمسة وغيرها:

١- عرفت الدكتور غيثان بن جريس عن قرب، وقرأت دراسات نقدية عديدة عن بعض أعماله العلمية، فوجدته يرحب بكل من ينقده نقدًا علميًا بهدف التصويب والوصول إلى الحقيقة، كما وجدت الأستاذ غيثان بن جريس لا يتورع في نشر نقد الآخرين له على صفحات كتبه، وهذه صفة يندر أن نجد مثلها، فالنفس البشرية جُبلت على الثناء والمدح وترفض ولا تتقبل النقد ووجهات النظر السلبية[١].

٢- عرفت الدكتور غيثان بن جريس صريحًا بشكل كبير، ونادرًا ما يجامل وبخاصة في مجال العلم والبحث العلمي، وهذه صفة قد تكون إيجابية، وربما ينظر إليها سلبية عند البعض، وللأسف الدكتور ابن جريس قليل وربما نادرًا ما يجامل أحدًا. كما أنه جاد وباحث ورحالة، ولا يفضل الاختلاط بالمجموعات الكبيرة، وتراه أحيانًا لا يتورع في قول (نعم) أو (لا) في كثير من الأمور، وقد تناقشت معه في هذه الصفة فقال هذه طبيعتي، وهذا الذي أريد عمله وتعودت على هذه الطريقة والأسلوب[٢].

٣- تجد الدكتور غيثان بن جريس لا يميل كثيرًا إلى الاستجمام والترفيه وحياته كلها عمل وجد. وهذه الصفة من وجهة نظري غير جيدة؛ لأنَّ الجسد والنفس تميل إلى الراحة والترفيه أحيانًا، وتناقشت معه في هذا الجانب، فقال: إنني أحب العمل والقراءة حتى وإن ذهبت في رحلة استجمام وترفيه. [٣].

٤- أما طريقته في البحث العلمي فهو رجل مكثر في الطباعة والنشر، حتى أن البعض قالوا عنه «إن عمله قص ولصق»، وآخرون ذكروا «أنه يكرر نشر بحوثه ودراساته»، وهناك من انتقده في تركه تخصصه في التاريخ الإسلامي، والكتابة في التاريخ الحديث والمعاصر. وسمعت من قال: لماذا يعيد طباعة كتبه طبعات ثانية وثالثة ورابعة ويرون ذلك من السلبيات. وبعض النقاد نقدوه في كثرة وطول الحواشي في كتبه، وأيضًا أحجام الكتب الكبيرة التي يطبعها وينشرها. وهناك من قال: «إنه يسترزق

(١) قد يقول قائل: إن في هذه المقالة مجاملات ومحاباة للدكتور غيثان بن جريس، والحقيقة ليس لي عنده مصلحة حتى أتملق له وأمدحه، لكن من يطلع على أعماله العلمية ويكون صادقاً ومنصفاً فسوف يتأكد له صحة ما وثقته وكتبته عن هذا الأستاذ السعودي العربي المسلم.

(٢) درسنا عند الدكتور غيثان بعض المواد العلمية في برنامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد، وعانينا معه كثيراً لشدته وصرامته في الحياة العلمية والتعليمية، لكنه خارج قاعة الدروس والتدريس نجده من أقرب الناس إلينا، ويجلس معنا في أي مكان يجدنا فيه أو نريده بكل سهولة وحب وتواضع.

(٣) عرفت الدكتور ابن جريس عن قرب، وذهبت معه في رحلات علمية ميدانية مرات عديدة، وقابلته في أماكن متفرقة فوجدته دائماً يعمل في أي شيء له صلة بالقراءة والدراسة والبحث العلمي.

مـن مؤلفاته من خلال دعـم التجار وبعض المؤسسات الحكوميـة والأهلية" وأساليب نقديـة متعددة قالها البعض ووجهـت إلى الأستاذ الدكتور غيثـان بن علي بن جريس مكتوبـة ومنشورة ورقيًّا ورقميًّـا، أما الانتقادات الشفهية فهي كثـيرة أيضا. وتحدثت مع الدكتور غيثان في بعض هذه الانتقادات، فقال: « يا أبا فيصل من الصعب أن تقنع أو ترضـي النـاسـ جميعًا، لكن هذا الأمر لا يزعجني كثـيرًا، وأسمعه من بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) »، كالقول: «إنه ترك تخصصه الدقيق، ودخل إلى مجالات بحثية أخرى»، وغير ذلك من عدم الرضى والانتقادات المتنوعة وختم قوله قائلًا: "غفر الله لمـن انتقدني، أو اغتابني، أو لم يرضه عملي وبحوثي ومنجزاتي"، وقال أيضًا: «أسأل الله صلاح القول والعمل، وأن يرزقنا الثبات على دين الله وحسن الخاتمة» [١].

٥- إن الكتب الخمسة المذكورة في هذا المبحث لا تخلو من سلبيات عديدة، وقد أخبرت أستاذنـا الدكتـور ابن جريـس ببعضها، واتفـق معي في شيء ممـا عرضته عليه. والجميـل أن الأستاذ غيثان يقول: «أنـا دائمًا ما زلت طالب علم، وإذا وقعت في زلة أو خطـأ علمـي فأرجو ممن يطلع على ذلك أن ينبهنـي، ومن يفعل ذلك فهو يسدي لي جميلًا ومعروفًـا». والحقيقة أنني استفدت كثيرًا من مصاحبة أستاذي الأستاذ الدكتور غيثان بن جريس، فجزاه الله عني كل خير.

خامساً: خلاصة خرجت بها من هذه المدونة:

لم أتوقـع يومًا ما إننـي سوف أنقد أستاذي الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، لكـن جلوسـي معه وسماعي منـه شجعني على طرح بعضـ الأفكار والـرؤى التي سطرتها في هـذه الورقات، وقد أكـون أصبت أو أخطأت، وأرجو أن يسامحنـي أستاذي ابن جريس علـى هذه الجرأة، لكن هكـذا تعلمنا منك يا دكتور غيثان. كما أرجـو أن يجد القراء فيما كتبـت عن هذا العلم السروي بعض الفوائـد العلمية، والحمد لله أن بلادنا المملكة العربية السعوديـة وبخاصة جنوبها فيها من الأعلام الجيدين البارعين المفيدين لبلادهم ودينهم قديمًـا وحديثًا، وهي فعلًا بلاد لها تاريخ وتراث وحضـارة، وتستحق إلى من يخدمها عبر أطـوار التاريخ، وقد أشار إلى ذلـك أستاذنا الدكتور غيثان بن جريس في عشرات المواضع مـن كتبـه وبحوثـه. وصلى الله وسلـم على رسول الهـدى محمد بن عبـد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) من يطلع على مؤلفات الدكتور غيثان بن جريس، أو يقرأ في بعض الصحف الورقية والرقمية، أو يجلس في مجالس اجتماعية متعددة فإنه سوف يسمع آراء وأقوال سلبية وإيجابية عن الدكتور غيثان بن جريس، وقد تجمع كل هذه الأقوال (المكتوبة والشفهية) وتصدر في دراسة علمية. وأشكرك يا دكتور غيثان على رحابة صدرك في تقبل النقد مني ومن غيري، كما أشكرك على جميع أعمالك وجهودك العلمية، وأسأل الله أن لا يحرمك الأجر والثواب.

٢١- لمحات مختصرة عن مسيرة تحفيظ القرآن الكريم في مدينة خميس مشيط خلال نصف قرن (١٣٩٣- ١٤٤٦هـ/١٩٧٣-٢٠٢٤م). بقلم. أ. عبدالله أحمد العولقي[1].

١ـ مدخل:

الحمدُ لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ﷺ ، القائل : خيركم من تعلم القرآن وعلمه[2]. أما بعد: فإنّ كتاب الله القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لنبينا محمد ﷺ، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، ومما يدلُّ على أنّ حفظة القرآن الكريم هم أشراف الأمة الإسلامية ، وقد ورد الكثير من أحاديث الهادي البشير ﷺ فيهم، منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: أهل القرآن هم أهل الله

(١) الأستاذ عبدالله العولقي يسكن حالياً في مدينة خميس مشيط ، يحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال، حصل على شهادة حفظ القرآن الكريم عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م). شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات، وقدم بعض المحاضرات ، وله العديد من المقالات الصحفية، وبعض المؤلفات في معارف عديدة . أرجو منه أن يطور هذه المقالة المنشورة في هذا القسم إلى كتاب يشرح فيه بداية وتطور مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم في محافظة خميس مشيط . (ابن جريس) .

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي .

وخاصتـه[١]. ومـنْ هنا جاء الاهتمام بكتـاب الله (عَزَّوَجَلَّ) و هذا البحـث الموسوم بـ : **لمحات مختصرة عن مسيرة تحفيظ القرآن الكريم في مدينة خميس مشيط خلال نصف قرن من (١٣٩٣ـ ١٤٤٦هـ/١٩٧٣ـ٢٠٢٤م)**، وأجتهـدت في وصف هذا الجانب التاريخـي المهم في مدينة خميس مشيط، وما يتعلـق ببدايات تدريس القرآن الكريم في الكتاتيب والمعلامات إلى مرحلة تدشين حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وقدوم المحفّظين والمشايـخ من خارج المملكة بعـد تأسيس الجمعية الخيرية لتحفيـظ القرآن الكريم من قبـل الأهـالي والأعيان، بالإضافـة إلى تطوّر البرامج المخصصـة للتحفيظ من الطرق التقليدية القديمة إلى النظم المطورة الحديثة، وذكر نبذة عنْ أهم الشيوخ والمحفّظين، وبدايـات تعليـم القراءات القرآنية السبـع وتحفيظها للطلاب الراغبـين في تعلمها عن طريـق الشاطبية، وحرص الأهـالي والسكان على تعلّم وتعليم القرآن الكريم ودعم بناء المساجد ومشاريع الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في محافظة خميس مشيط.

قبـل الحديث عن أنشطة حلقـات تحفيظ القرآن الكـريم، أدون لمحة عن المساجد في مدينـة خميس مشيط، والأستاذ محمد بـن أحمد معبر يقول في ذلك[٢]: كأيّ مدينة أو قريـة إسلامية فـإن مدينة خميس مشيط عامرة بالمساجـد ذات العمارة المتواضعة، فـلا زخرفة ولا نقوش، حتى فُرش المساجد لا تزيد عنْ بضعة حنابل، ومن تحتها الرمل أو الطبطـاب مـن الإسمنت، ولعلّ المسجـد الجامع الواقع وسط المدينـة هو الذي تميّز بعمرانـه وبلاطـه ، وقدْ بُني مـن جديد سنـة (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وقـد كان قبل ذلك مـن الطين، حيث بنـاه الشيخ سعيد بن عبدالعزيز بن مشيـط، أما تجديده فقد تمّ عن طريـق مؤسسة بن لادن بتوجيه من الأمير سلطـان بن عبدالعزيز آل سعود (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وكان إمامـه الشيخ سعيد بن عيّاشـ الغامدي ، رئيس المحكمة الشرعية بخميس مشيط منـذ سنة (١٣٨٠هـ)، ومن عـام (١٤٠٤هـ) تولّى إمامة الجامع الكبير الشيخ أحمد بن محمـد الحواشـ . وجماعة المسجد تتألف من سكان الحـي أو بضعة شوارع قريبة منه، وكلهم ـ أي جماعة المسجد ـ من المواظبين على الصلاة في المسجد في سائر الصلوات، وقلّمـا يتخلف أحدهـم إلا لعذرٍ شرعي، أو لعـدم وجوده. وبعد صـلاة العصر يتحلّقون في فنـاء المسجـد المفروش بالرمـل، ويقضون وقتهـم بالأحاديث المتفرقـة وغير ذلك، وفي نفس الفنـاء يجتمع أولادهم، فينشأ مـن ذلك الألفة والمحبـة والطاعة للّه تعالى . ويبـادر جماعـة المسجد فـور الأذان إلى المسجد ، فيقـرأون القرآن ، ولهـم دويٌّ كدوي

(١) رواه النسائي وابن ماجه والحاكم ، انظر: التر غيب، جزء ٢/ ٥٩٣ .
(٢) انظر ، ابن مُعَبِّر ، حوليات خميس مشيط، ج١ (١٤٣٧هـ).

النحل، ويكون الإمام بينهم، فلا مقصورة أو مدخل خاص بالإمام كما نراه اليوم. ومن المساجد حينذاك مسجد (النملة) بحي الدرب، ثم مسجد (الضيافة) شمال مبنى المحافظة الجديد الآن (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وقد أقيمت في مسجد النملة أول حلقة لتحفيظ القرآن الكريم سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تقريباً، وكان اسم المحفظ الشيخ عيسى الباكستاني .وكانت تقام في المسجد الجامع في وسط البلد محاضرة دعوية كل يوم خميس بين المغرب والعشاء، وممن أذكر من المشايخ الذين يقيمونها الشيخ سعيد بن مسفر، والشيخ عبدالقادر البيحاني، وغيرهما. وفي حي العتبان الذي يقع في نطاق حي الهميلة كان (مسجد العتبان) الذي أنشئ سنة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) على نفقة حمد الطعيمي، وكان أول إمام له الشيخ (عون بن محمد بن معبر)، ثمّ تولى إمامته الشيخ سعيد بن مشبب، وقد تميّز الشيخ سعيد بن مشبب بخطب الجمعة التي يتناول فيها القضايا الاجتماعية بأسلوب جذاب ولغة رفيعة، وكان له درس أسبوعي كل يوم أحد بعد المغرب، وقد أعيد بناء هذا المسجد وأطلق عليه (مسجد الهجرتين) على نفقة (سعيد ابن زريّب)، وإلى الغرب من هذا الجامع يقع مسجد بن ماعز في حي الشعبة، بجوار الأحوال المدنية القديمة ، وقد بُني عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) على نفقة الشيخ عوض بن علي بن ماعز، ثم أعيد بناءه مرة أخرى عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ليكون مسجداً جامعاً لأهالي حي الشعبة، وقد كان الشيخ إبراهيم شربل إمامه وخطيبه منذ عام (١٤٠٤هـ) إلى عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م). وفي حي قنبر مسجد قنبر ، وكان إمامه الشيخ مبارك الدوسري وكانت لديه مكتبة خاصة عامرة بالكتب، يرتادها طلبة العلم والراغبين بالتزود بالمعرفة، ويتم خلال هذه الزيارات القراءة في أحد الكتب. ولا يغيب عن ذهني مسجد نورة وقد شيدته امرأة اسمها (نورة)، وأظنها من شهران، وكان خارج العمران حينذاك، وهو الآن أمام نفق خميس مشيط قبل محلات الغروي، وكان الذاهب إلى أبها أو العائد منها يصلي فيه إذا حانت الصلاة وهو بقربه، وقد أعيد بناء هذا المسجد، وأصبح يحمل اسماً غير اسم (مسجد نورة) وهذا شيءٌ مؤسف. أما مُصلّى العيد فقد كان موقعه مكان المتوسطة الثانية للبنين بحي الضباط، ثم انتقل إلى جهة الجنوب الشرقي من نادي ضمك القديم[1].

---

(١) أشكرك يا أستاذ عبدالله عندما أدرجت هذه الخلاصة التي دونها الباحث الجاد الأستاذ محمد بن مُعَبّر ، وأرجو منكما (العولقي، وابن مُعَبّر) أن تدونا لنا تاريخا تفصيلياً موثقاً عن مساجد مدينة خميس مشيط من بداية القرن(١٤هـ/١٩م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، عمرانياً وتاريخياً وحضارياً. كما أن تاريخ العمارة والعمران في محافظة خميس مشيط من الموضوعات المهمة والجديدة، ولا أجد عنها أي دراسات علمية، وأرجو من الأساتذة المؤرخين والآثاريين ، والمهندسين المعماريين أن يدرسوا تاريخ العمارة في منطقة عسير، وحواضر خميس مشيط وأبها وغيرهما تكون من أول اهتماماتهم البحثية . (ابن جريس).

٢- أنشـطة وبرامـج حلقـات تحفيـظ القـرآن في مدينـة خميـس مشـيط (١٣٩٣ـ ١٤٤٦هـ/١٩٧٣ـ٢٠٢٤م).

أ ـ مرحلة الكتاتيب والعلامة (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م):

تتعلّق هذه المرحلة زمنياً بما قبل قدوم المحفّظين من خارج المملكة العربية السعودية وتأسيـس الجمعيّة الخيرية في المدينة، وتعتبر هذه الفـترة تقليديّة ومعروفة في كل أرجاء العـالم العربي، حيث تُقـام في المساجد ويتعلـم التلاميذ الصغار والناشئـة فيها حروف الهجـاء بطريقة بدائيـة أو بطريقة القاعدة البغدادية، ويقـوم المعلّم بتحفيظهم الفاتحة وقصـار السـور كجزء عـمّ، ويعلّمهم طريقة الوضـوء وكيفية الصلاة، هـذه أسس تعليم الكتاتيـب قديماً ، وتتركز على تعليم التلاميذ المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادئ الفقه والعقيدة، لكنّ بعض الطلبة الراغبين في المزيد من التعلّم والدراسة يحفظـون المزيد من أجزاء القـرآن كربع ياسين مثلاً ، وبعضهم تصـل به الهمّة إلى ختم القـرآن الكـريم حفظاً كاملاً ، وعنْ هـذه المرحلة التاريخية وجـدتُ في كتاب: (محافظة خميس مشيط ــ دراسات وإضافات وتعليقات) للمؤرخ الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريـس إشارة مهمة إلى تدريس القرآن الكريم قديمـا في محافظة خميس مشيط، حيث ذكر في كتابه القيّم أنّ الأستاذ إبراهيم ابن محمد بن فايع الألمعي كتب في رسالة وجّهها إلى إلدكتور غيثان بن جريس: «بأنه لا يُعلم قبل العهد السعودي أنّ هناك مدارس نظاميّة قد أقيمت في المراكز الحضارية بمنطقة عسير عموماً عدا بعض الكتاتيب الصغيرة المتفرقة أنشأها أفراد لغرض الكسب، باستثناء بعض علماء كانوا يعلّمون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ابتغاءً لوجه الله تعالى ومنهم أشخاصاً من أسرة آل مثيب الفاضلة بعرق آل أبي ملحة، حيث كانوا يُعلّمون القرآن الكريم بالطريقة التقليدية القديمة»[(١)].

ب ــ الجمعية الخيرية للتحفيظ (١٣٩٣ - ١٤٢٠هـ/١٩٧٣ـ١٩٩٩م).

تأسسـت الجمعيـة الخيريـة في مدينة خميـس مشيـط في (١٣٩٣/٩/١٨هـ)[(٢)]، وسجلـت في وزارة العمـل والشـؤون الاجتماعية برقم (١٧) ، وتعتـبر أول جمعية خيريّة

---

(١) محافظـة خميس مشيط ــ (دراسات وإضافات وتعليقـات) (ق ١٣هـ- ق١٥هـ/ق١٩ ــ ق٢١م) ، الدكتور غيثان بن علي بن جريس ــ الطبعة الأولى (١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م).

(٢) إلموقـع الالكـتروني الرسمي للجمعية الخيريـة بخميس مشيط، ويذكر الشيخ علي غلفـان أنّ الجمعية التي أسسـت عـام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م). هـي جمعية البر ، وكان مـن أنشطتها الإشراف علـى حلقات تحفيظ القـرآن الكريم ، وقد ظـلّ الأمر كذلك حتى عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .ثـم أسست الجمعية الخيرية وانتقل إشـراف حلقـات تحفيظ القرآن إليها ، ثم ضمت جمعية البر لاحقـاً مع الجمعية الخيرية بخميس مشيط وأصبحت كياناً واحداً تحت مسمى الجمعية الخيرية .

في منطقــة عسير، وكان لها أنشطة متعددة في سبــل الخير ومساعدة المحتاجين وتوزيع الزكــوات، ومن ضمــن اهتماماتها ونشاطاتهــا تحفيظ القرآن الكــريم والإشراف على الحلقــات القرآنيــة في مساجد المحافظــة، وفي عام (١٣٩٦هــ/١٩٧٦م) تمّ افتتاح أوّل حلقــة تحفيظ للقرآن الكريم بصورة رسمية في جامــع النملة بحي الدرب، وكان يُدرّس في هــذه الحلقــة فضيلة الشيخ عيســى الباكستاني، كما أخبرني المــؤرخ الأستاذ محمد أحمــد بن معبر[١] ، وكان مقر الجمعية الخيرية في حي قمبر إلى الشرق من جامع قمبر الشرقي بإشراف الشيخ عبدالله بن محمد بن دُلْقُم الشهراني[٢].

استقدمــت الجمعيــة الخيريــة حــوالي عشريــن محفّظــاً للقــرآن الكــري عــام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، وأصبح عدد الحلقات عشرين حلقة يدْرسُ فيها أكثر من (٢٥٠) طالباً[٣]، وتمّ استقطاب كوكبة متميّزة من المشايخ ومحفّظي القرآن الكريم أغلبهم من جمهوريــة مصر العربية، ومن أشهرهم الشيخ محمد بــن عبدالرحمن بن عبدالعزيز، والشيــخ إبراهيم مصطفى محمد شربل، والشيــخ جمعة الدسوقي محمد، والشيخ علي عبدالله متولي، والشيخ عبدالغفور ، والشيخ صبحي سعيد، والشيخ عبدالمنعم عبدالستار داود، والشيخ عبيدالله سالم، والشيخ عيسى عطيّة، والشيخ محمد حسن العدْل، والشيخ إبراهيم الدسوقي عبدالصادق، والشيخ رضا علي سيد أحمد حريز، والشيخ عبد الغني الجوهري، والشيخ المقرئ المعروف أحمد خليل شاهين، الذي استقطبته فيما بعد إذاعة القرآن الكريم في مكة وسجّل لها بصوته العذْب المصحف الكريم كاملاً[٤].

واثنــان مــن هــؤلاء الشيــوخ كان لهما أكــبر الأثر علــى تحفيظ القــرآن الكريم في المحافظة من حيث الإتقان في التحفيظ، وضبط المتشابهات اللفظية في القرآن، والعناية بالتجويد ومخارج الحروف وصفاتها، بالإضافة إلى دورهما الريادي في تعليم القراءات القرانية السبع للراغبين في تعلّمها من الحفّاظ، وهما الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيــز، والشيخ إبراهيم شربل[٥]. وتخرج الكثير من طلاب العلم على يد الأخير، وعُــرف عنــه حزمــه في أداء عمله، ودقتــه الشديــدة في الحفظ، وحرصــه الدائم على المراجعــة المستمرة للحفظ، وقد أصبح العديــد من طلابه أساتذة في الجامعات وقضاة ومهندسين وأطباء ومحاسبين وكتاب وأدباء وشعراء.

---

(١) حوار مع المؤرخ الأستاذ محمد أحمد بن معبر .
(٢) حوار مع الشيخ إبراهيم مصطفى شربل .
(٣) التقرير السنوي لجمعية نبأ لتحفيظ القرآن الكريم (١٤٤٥هـ-١٤٤٦هـ) .
(٤) حوار مع الشيخ إبراهيم مصطفى شربل .
(٥) حوار مع الشيخ علي بن غلفان دغريري.

بـدأ أعـداد حلقـات تحفيـظ القـرآن الكـريم يزيـد حتـى أصبحـت في عـام (١٤٢٠هـ/١٩٩٠م) حوالي(٦٤) حلقة يدّرسُ فيها مـا يقارب (١٢٠٠) طالباً وطالبة، واستمـرّ مشـروع الحلقـات في الجمعيـة الخيريـة لتحفيظ القـرآن الكـريم إلى تاريخ (١٣/١١/ ١٤٢٠هـ) [١]. وكان المشـرف العـام للحلقات خلال هـذه الفترة هو فضيلة الشيـخ محمد بـن عبدالرحمن بن عبد العزيـز، ونائبه الشيخ الفاضـل علي بن غلفان دغريـري، مديـر المتوسطـة الأولى في خميس مشيـط والمعروفـة الآن بمتوسطة المدينة المنـورة، وكان الأمين العـام للجمعية الخيرية الأستاذ سعيد بـن عبدالله بريدي، مدير ثانوية الخميس سابقاً، أما رئيس الجمعية الخيرية فكان الشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط محافظ محافظة خميس مشيط سابقاً [٢].

تأسسـت الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة خميس مشيط على يد شيـوخ وأعلام يحملون في قلوبهم حُبَّ كتـاب الله (عَزَّوَجَلَّ) وخدمة دينهم ووطنهم، وفي مقدمتهـم الشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيـط، والشيخ حسين بن سعيد بن مشيط، والشيـخ مشعل العسكر، والشيـخ سفر بن عبدالله بن برقـان، والشيخ جبران بن سالم الفيفـي، والشيـخ مسعود بن سحنون، والشيـخ محمد عوض السرحـاني، والشيخ سفر ابـن عايض بن زميع، والشيخ محمد بن عبدالله الدباش، والشيخ عبدالقادر بن سلمان الحفظـي، والشيخ علي غلفـان دغريري، والشيخ عبدالله بن محمد بـن دلقم، والشيخ أحمـد بن مشبب بن عطيف، والشيخ عبدالله بن محمد آل فايع، والشيخ علي بن صالح الشهري، والشيخ سعيد بن علي ابن مشيط، والشيخ سعد بن علي العمري، والشيخ سباع الهاجري، والشيخ سعد بن سعيد الحسنية، والشيخ عيسى بن محمد السرحاني[٣].

جـاء في التقرير السنوي لجمعية نبأ الذي تم إصداره عام(١٤٤٥هـ-١٤٤٦هـ)، أنّ أول مجلس إدارة شُكّل للجمعية الخيرية الأولى يتكوّن من فضيلة الشيخ جبران بن سالم الفيفـي رئيساً لمجلس الإدارة، والشيخ أحمد بن مشبب عطيف نائبـاً للرئيس، والشيخ سعـد بن علي العمري، الممثل المالي، وعضوية كل من سفر بن عبدالله برقان، وعبدالله بـن محمد دلقم ومسعود بن حسين بن سحنون، ومحمد بن عوض السرحاني، وعلي بن غلفـان دغريري ، وعلي بن صالح الشهري، وتشير الأرقام الأولى لتأسيس الجمعية بأنّ

(١) التقرير السنوي لجمعية نبأ لتحفيظ القرآن الكريم (١٤٤٥هـ-١٤٤٦هـ) .
(٢) هكذا كان يُكتب في شهادات التكريم الصادرة عن الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم (الأولى) .
(٣) يا أستاذ عبدالله هؤلاء الأعلام يستحقون أيضاً أن تكتب تراجمهم ، أرجوك في قادم الأيام لو طورت هذه الدراسة أن توثق لمحات من سيرهم. (ابن جريس).

عدد حلقات تحفيظ القرآن الكريم حينها بلغ (٦٤) حلقة، والدراسون عددهم (٢٤٣٣) طالباً وطالبة، وأعداد الكادر التعليمي(٥٢) معلماً ومعلمة، أمّا المشرفات والمشرفون فقد وصل عددهم (١٠)، وعدد الحفّاظ (١٦) حافظاً وحافظة لكتاب الله[١].

ج ـ جمعية نبأ لتحفيظ القرآن الكريم (١٤٢٠-١٤٤٦هـ/١٩٩٩-٢٠٢٤م):

تأسيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الجديدة (نبأ) عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) وصدر قرار المجلس الأعلى لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم الخيرية رقم (١٤٢٠/٣/٥هـ) وتاريخ (١٤٢٠/١١/١٣هـ) وترخيص رقم(٦/٦) بافتتاح الجمعيّة الخيريّة بمحافظة خميس مشيط تحت اسم (نبأ)، وفي تاريخ (٢٩-٦-١٤٤١هـ) صدرت شهادة تسجيل الجمعية من وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية برقم (٣٤٠٨)، وذلك بناءً على نظام الجمعيات والمؤسسات الأهلية الصادر بالمرسوم الملكي رقم (٨/م) وتاريخ (١٤٣٧/٢/١٩هـ)، وحالياً أصبحت الجمعية تحت إشراف المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي، كان أول رئيس مجلس إدارة لها حين تأسيسها هو الشيخ/ جبران بن سالم الفيفي، مساعد رئيس محكمة الاستئناف بمنطقة عسير[٢].

يتألف أعضاء مجلس الإدارة حالياً(١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م) من الشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط الرئيس الفخري للجمعية، والأستاذ خالد بن عبدالعزيز بن مشيط نائب الرئيس الفخري، والشيخ سعد بن مريع أبو دبيل رئيس مجلس الإدارة، وعضوية كل من الشيخ سفر بن عبدالله الشهراني، والشيخ سالم بن صالح العمري، والشيخ عبدالرحمن بن محمد العمري، والشيخ عبدالله أحمد الشهري ، والأستاذ عبدالرحمن ابن عايض آل جلالة، والشيخ مسفر بن أحمد آل فائع.

تحوّلت برامج تحفيظ القرآن الكريم من الطرق التعليمية التقليدية القديمة إلى مناهج ووسائل تربوية حديثة، وطرق احترافية في إدارة حلقات تحفيظ القران الكريم ومساعدة الطلاب والطالبات، وتشجيعهم على حفظ القرآن الكريم، وأصبح هناك ثلاثة برامج نوعية:

١- **مشروع رتّل**: يهدف إلى تخريج نوعية متميزة من الحفاظ من خلال التركيز على الأداء والتجويد وتأهيلهم للتعليم في الحلقات والمشاركة في المسابقات .

(١) حوار مع الشيخ إبراهيم مصطفى شربل .
(٢) حوار مع الشيخ إبراهيم مصطفى شربل .

٢- **مشـروع التميّـز:** تأهيل نوعية متميزة من الطـلاب في الحفظ والتلاوة والأداء من خلال مسار الاتمام ومسار المسابقات .

٣- **مشـروع القارئ الصغير:** يستهدف الناشئة لرفع مستوى القراءة والكتابة وتهيئتهم للدخول في الحلقات العامة.

(*) من برامج القسم النسائي :

أ ـ مشـروع المدرسة الالكترونية: يهدف إلى تأسيس أول مدرسة قرآنية الكترونية علـى مستـوى المنطقة.ب ـ مشـروع حلقة التميز: يهـدف إلى تخريـج طالبات متقنات للحفظ .ج ـ مشروع ثمار الحلقات: تأهيل الطالبات للتدريس في حلقات الجمعية (١) .

د - ترجمة مختصرة لشيخين قاما على تدريس القرآن في مدينة خميس مشيط:

١ ـ الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز مشرف حلقات تحفيظ القرآن الكريم

الشيـخ محمد بن عبـد الرحمن شخصيّـة بشوشة تحملُ همّ نشـر العلم وتحفيظ القـرآن الكـريم، ويُعـدُّ الشيخ محمد أحـد مؤسسي حلقات الجمعيـة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمدينة الخميس، كان يشغل منصب المشرف العام لحلقات تحفيظ القرآن بالمدينـة لأكثر من ثلاثين عاما، وهو المنصب الذي شغلـه الشيخ إبراهيم شربل لاحقا، بالإضافة إلى تدريسه لعلوم القراءات بثانوية تحفيظ القرآن الكريم في المحافظة، وكان إمامـاً وخطيبـاً لمسجد أم سرّار الكبير لفترة طويلة جـداً وهو العلامة المقرئ القاضي الحافـظ الورع الزاهد خادم القرآن الكـريم وعلومه، واسمه محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن مصطفى بن منصور بن جاد الحق، يصل نسبه حسب روايته إلى سيدنا الحسين بن علي (رضي الله عنهما) (٢) .

ولـد الشيـخ محمـد في قريـة الرياض بمحافظـة الشرقيـة بدولة مصـر في عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ورزقـه الله تعـالى ذاكرة جيـدة، حفظ القـرآن وتجويده وهو في

(١) تجولت في أنحاء بلاد تهامة والسراة، وسمعت وشاهدت مئات الجمعيات الخيرية، ومنها جمعيات تحفيظ القـرآن الكـريم ، ولم تكن أعدادها كثيرة كما نراها اليوم (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ، وهذه الجمعيات بجميع أنواعهـا ونشاطاتها من الموضوعـات التي يجب دراستها تاريخيًا وتوثيقيًا مـن القرن الهجري الماضي إلى الآن (ابن جريس) .

(٢) حبذا أن نرى أحداً من طلابه يكتب عنه كتاباً علمياً تفصيلياً يوضح فيه جهود هذا الشيخ في خدمة القرآن الكـريم . وأذكـر أنني زرت الأستاذ سفر ابن عبدالله بن برقان قبل(٢٥) سنة ، فأخذني إلى منزل الشيخ في مسجـده بحـي أم سرار، وكان على قدر كبير من اللطف وحسن الخلـق ودماثة الأخلاق، وسمعت بعض أعـلام مدينة خميس مشيط يذكرونه بكل خير. وأكرر ندائـي وطلبي إلى الطلاب الذين عرفوه عن قرب، وتعلموا عنده أن يكتبوا شيئاً من حياته ومناقبه. (ابن جريس) .

السادسة من عمره، وأتقن روايتي حفص وشعبة وهو في الثامنة، وحفظ القرآن الكريم على يد كل من والده وجده الشيخ عبد العزيز، وعُرف الشيخ بين الناس بقوة حافظته، فكان لا يستشهد بالآية إلا ويذكر رقمها في السورة، وأحياناً يذكر رقم الصفحة، وهذه من السمات التي تفرّد بها عن أقرانه.

قدم الشيخ محمد إلى المملكة العربية السعودية عام (٩٧ـ١٣٩٨هـ/٧٧ـ١٩٧٨م)، بدأ في مدرسة حجلا، ثم تعاقد مع وزارة المعارف وعمل في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في (١٧/٣/١٣٩٩هـ)، وباشر عمله في الابتدائي ثم المتوسطة والثانوية، ثم عمل في التوجيه والإشراف المدرسي من عام (١٤١٧هـ إلى ١٤١٩هـ) وأخيراً أحيل للتقاعد عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، وتفرغ بعدها للإقراء والتعليم والإفتاء في جامعه بحي أم سرار، وإلقاء الدروس النافعة الماتعة.

كان للشيخ دروس في جامع أم سرار كل يوم أحد درس في سيرة النبي (ﷺ) بعنوان (السيرة النبوية ـ فقه وتربية)، ثم طلب منه إعادتها فأعادها مختصرة، وكان له درس آخر في (سيرة الأنبياء والمرسلين من كتاب رب العالمين)، وكان إذا تحدّث لا تريده أنّ يصمت، يتكلّم عن تأصيل شرعي في الفقه والحديث وكافة العلوم الشرعية، وتوفي في مصر بالقاهرة يوم الجمعة (٢٧/٣/١٤٣٣هـ) [١].

٢ ـ الشيخ إبراهيم مصطفى شربل:

قدم الشيخ إبراهيم شربل من مصر إلى المملكة العربية السعودية (مدينة خميس مشيط) عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، وكرّس حياته في تحفيظ القرآن الكريم للكبار والصغار، فكان معظم يومه مشغولاً بهذه المهنة الشريفة، يبدأ بعد صلاة الفجر حلقة تطوعية للكبار، وفي الصباح يحضر إلى مقر الجمعيّة الخيرية لمناقشة أوضاع حلقات التحفيظ وحضور الاجتماعات الدورية، وبعد صلاة العصر يعقدُ حلقته في حي الضباط في مسجد العزيزية، (يُعرف الآن مسجد أنس بن النضر)، وحلقته بعد المغرب في مسجد إبن ماعز في حي الشعبة بالهميلة، وبعد صلاة العشاء حلقة تطوعيّة للكبار (الحفاظ السابقين لكتاب الله تعالى) لمنْ يرغب مراجعة القرآن الكريم على يديه، هكذا كان برنامجه اليومي خلال أربعة عقود قضاها في مدينة خميس مشيط.

عمل الشيخ لعدة سنوات محفظاً في سجن خميس مشيط المركزي، ومدرساً للقراءات في مدرسة البنات المتوسطةً والثانوية بحي شباعة، بعدها تمّ تعيينه من قبل مجلس إدارة

---

(١) غفر الله لهذا الشيخ الكريم، وحبذا أن نرى مؤرخاً جاداً يكتب سيرته، وما بذله من جهود علمية ومعرفية مدة إقامة في المملكة العربية السعودية. (ابن جريس).

جمعيّــة نبأ الخيريــة لتحفيظ القرآن الكــريم مديراً للشــؤون التعليميّــة في الجمعيّة، ثم أخصائي اختبارات ومشرفاً على حلقات القراءات بالمساجد في محافظة خميس مشيط. وعمــل إمامــاً وخطيباً لمسجــد ابن ماعز لمــدة (٣٥) عامــاً، كان مثالاً نــادراً للانضباط والإلتزام في العمل، وعدم الغياب، حتى بعد مروره بظروف صحية وضعف في الصوت[١] .

تخــرج على يد الشيــخ إبراهيم مجموعة كبيرة من الطــلاب في التعليم والتحفيظ في حلقــات متنوعة ومتعددة داخل مدينة خميس مشيط، وقــد تجاوزت أسماء الحفاظ المتقنين للقرآن الكريم أكثر من (١٥٠) حافظاً.

هناك مشايخ آخرون نذروا أنفسهم لتحفيظ كتاب الله وتدريسه، ولهمْ من الفضل والمكانة العلميّة، ومنهم الشيخ عبدالغني في جامع قمبر، والشيخ حسين رضوان في جامع الغنيم، وحلقة الشيخ مريع الشبلي عسيري في مسجده بحي الضباط (من تلاميذ الشيخ إبراهيــم شربل)، وحلقة الشيخ عائضــ عسيري في مسجده بحي حسام، ومن الحلقات القرآنية المتميــزة اليوم في محافظة خميس مشيط حلقة مسجد الغروي في حي حسام، ويُشــرف عليهــا الشيخ الدكتور يحيى بن حســين الحربي (من تلاميــذ الشيخ إبراهيم شربل)، وهي حلقة مميزة في تخريج الحفاظ المتقنين في كل عام .

٣- وقفه مع الإجازة القرآنية للشيخ إبراهيم شربل

الإجــازة شهادة من الشيــخ المجيز للطالب المجاز بأنه قد قرأ القرآن الكريم غيباً مع التجويــد والإتقان علــى شيخه، وبالتالي أصبح الطالبُ مؤهّــلاً لأنْ يُقرئ غيره ممن أراد الحفظ عليه، وتعتبر الإجازة من الموروث الإسلامي في معظم الأقطار العربية والإسلامية خــلال القرون الماضية، فكان ختم الشيخ المحفّظ على الإجازة بمثابة الإعتراف بالطالب في أيِّ مــكان يتجــه إليه للإقراء، وذلــك قبل ظهور التعليم النظامــي والجامعات، وتحوّل التعليــم مــنَ الطريقة التقليدية إلى الطريقــة الحديثة، لكنّ الإجازة بقيــت على أهميتها الشرعية رغم كل هذه التغيرات الحديثة بسبب شرف سندها المتصل إلى رسول الله ﷺ.

كان الشيــخ إبراهيــم شربل حريصــاً على إعطاء الإجازة لمــنْ يستحقها من طلبته فقط، وشرطه إتقان الطالب في الحفظ والأداء والتجويد، والشيخ يهتمُّ كثيراً بمتشابهات القــرآن اللفظية، وأثنــاء تسميع الطلاب له يسألهم عن المتشابهــات اللفظية مع الآيات والسور الأخرى، ويعرفُ عن طريقها مهارات الطلاب في الحفظ والإتقان، والمتشابهات اللفظيــة إحــدى المعايير التي يستعملهــا الشيخ أثناء تقييمه الطلاب فــإذا رأي الطالب

(١) غفر الله لهذا الشيخ الكريم ، وآمل أن نرى أحد طلابه يكتب عنه سيرة مطولة. (ابن جريس) .

أتقنهـا جيداً، ويستطيع أنْ يقرأ غيباً من أي آيـة في القرآن يُسألُ عنها، يمنحه الإجازة القرآنيـة ويختمُ له عليهـا، وتشرّفت عدة مراتٍ في سنوات متفرقـة بنسخ هذه الإجازة بخط يدي للحفظة الذين أرادوا الإجازة من عام (١٤١٣هـ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٣ـ١٩٩٩م)، بعدها بدأتُ بنسخ الإجازة آلياً وكتابتها على برنامج الوورد .

(*) كان نص إجازته برواية حفص عن عاصم الكوفي على النحو الآتي :

الحمـد لله ولي المتقين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد، فقد جـاء إلي الطالـب --------، ------ بلداً، ----- جنسيـة، والسني مذهباً، وقد قـرأ عليَّ القرآن الكريم من أوله إلى آخـره غيباً عن ظهر قلب، ترتيلاً وتجويداً، برواية حفص عـن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية، واتمها بعـون الله وتوفيقه، فطلب مني الإجـازة فأجزته بذلك لكونه أهلاً لها، هذا وقد أجزته إجازةً صحيحةً بشرطها المعتبر عند علماء الأثر، وأذنت له أن يقرأ ويقرئ بها من يشاء متى شاء وحيث شاء، في أي قطر حـلَ فيـه وارتحل، وفي أي مكان قام فيه ونزل، وقد أخبرته أنني تلقيت رواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية من المرحوم الشيخ (عبد الغفار شحاته اسماعيل)، وهو عن والده الشيـخ (شحاته اسماعيل)، وهو عن الشيخ (فرحات سيد أحمد الشافعي)، وهو عـن الشيخ (محمد محمد عبد البـاري)، الشهير بـ (المغربي)، وهو عن الشيخ (محمد السيـد حجازي)، وهو عن الشيـخ (أحمد أبو ليلة الزيادي الشافعـي)، وهو عن الشيخ (محمـد أبـو سعده الفرسيسي الشافعـي) البصير بقلبه، وهو عـن الشيخ (يوسف بن محمـد بن عجور المالكـي) البصير بقلبه، وهو عن الشيخ (عبد المنعم البنداري)، وهو عن الشيـخ (سليمان الشهداوي)، وهو عن الشيخ (مصطفى بن علي الميهي)، وهو عن والـده الشيخ (علي الميهي) البصير بقلبه، وهو عن الشيخ (إسماعيل)، وهو عن الشيخ (محمـد السمنودي)، وهوعن الشيخ (علي الرملي)، وهو عن الشيخ (محمد البقري)، وهـو عـن الشيخ (أحمـد الرشيـدي)، وهو عـن الشيـخ (مصطفى بن عبـد الرحمن الأزميري)، وهو عن الشيخ (حجـازي)، وهو عن الشيخ (علي بن سليمان المنصوري)، وهـو عن الشيخ (سلطان المزَاحي)، وهو عن الشيخ (سيـف الدين بن شحاذه اليمني) الـذي قـرأ القرآن على يد والده الشيخ (شحـاذه اليمني) إلى قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ثم استكمل القرآن على يد تلميذ والده، الشيخ (ابن عبد الحق السنباطي)، وهو عن الشيخ (شحاذه اليمني)، وهو عـن الشيخ (محمد ابن جعفر)، وهـو عن الشيخ (أحمد المسـيري المصري)، وهو عن الشيخ(نصر الدين الطبلاوي)، وهو عن الشيخ (زكريا الأنصاري) الذي أخذ القرآن

على يد مجموعة من المشايخ الأجلاء كالشيخ (ابن نعيم النفيري)، والشيخ (ابن عباس أحمـد ابن أبي بكر)، والشيخ (نور الدين علي بن محمـد المخزومي البليسي)، والشيخ (طاهر بن أحمد العقيلي النوري)، والشيخ (الشهاب أحمد القلقيلي)، والشيخ (رضوان العقبـي)، والشيخ (أحمد بن أسد الأميوطي)، وهـؤلاء المشايخ جميعهم أخذوا القرآن علـى يد شيخ القـراء وإمام المحققـين، الشيخ (محمد بن محمد بـن محمد الجزري) الـذي أخذ القـرآن عن الشيخ (أبي محمـد عبد الرحمن البغـدادي)، وهو عن الشيخ (محمـد بن أحمـد الصائغ)، وهو عن الشيخ (علي بن شجـاع) الكمال الضرير، صهر الشاطبـي، وهو عن خاتمة القراء والمحققين الإمام الشيخ (القاسم بن فيره الشاطبي) صاحب حرز الأماني ووجه التهاني، وهو عن الشيخ (محمد بن هذيل)، وهو عن الشيخ (سليمـان بـن نجاح)، وهو عـن الشيخ الإمـام (أبي عمرو الداني)، وهـو عن الشيخ (أبـي الحسـن الطاهر بن غلبـون)، وهو عن الشيخ (أبي الحسـن علي بن محمد بن صالـح الهاشمـي)، وهو عن الشيخ (أبـي عباس أحمد بن سهـل الأشناني)، وهو عن الشيـخ (أبـي محمد عبيد بن الصباح)، وهو عن الإمــام (حفص بن سليمان الكوفي)، وهو عن إمام قراء الكوفة، الإمام (عاصم الكوفي)، وهو عن الإمام (أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي)، الذي أخذ القرآن على يد جملة من الصحابة هم: (عثمان بـن عفان) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، و(علي بن أبي طالـب) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، و(أبي بن كعب) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، و (زيـد بن ثابـت) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، و(عبد الله بـنِ مسعود) (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، وهـؤلاء الصحابة أخـذوا شـرف حفـظ القرآن الكـريم تلقينـاً من رسـول الهدى، (محمد بـن عبد الله، صلـى الله عليـه وعلى آله وصحبه وسلـم)، وهو أخذه من (جبريـل عليه السلام) وهو عن (اللـوح المحفوظ)، واللوح المحفوظ عن (اللّه عَزَّوَجَلَّ)، رب العزة والجلال، تقدست أسمـاؤه، هذا وأوصيه بتقوى الله في خلواته، وألا ينساني من دعواته، كما أوصيه بآداب قراءة القرآن الكريم وتدبُّر معانيه والعمل به ·تم تحريره في: / / ١٤ هـ ،خادم القرآن الكريم، الشيخ (ابراهيم بن مصطفى بن محمد شربل)، التوقيع : الخـتم :[1].

(١) أشكـرك يـا عبدالله ، كنت أتمنـى أنك ركزت حديثك في إطار عنوان مقالـك، ولا تتشعب في أمور عديدة، وبعيـدة عن صلب الموضوع. والشيخ إبراهيم شربل يستحق أن يفرد له دراسة تفصيلية ، وما قدم لتحفيظ القرآن ومسيرته التعليمية في مدينة خميس مشيط. (ابن جريس).

٣ـ ملحق الوثائق والصور:

أـ ملحق رقم (١):

المؤسسون

عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط	حسين بن سعيد بن مشيط	مشعل العسكر	سفر بن عبدالله برقان
جبران بن سالم الفيفي	مسعود بن حسين بن سحنون	محمد بن عوض السرحاني	سفر بن عايض بن زميع
محمد بن عبدالله الدباش	عبدالقادر بن سلمان الحفظي	علي بن غلفان دغريري	عبدالله بن محمد بن دلقم
أحمد بن مشبب بن عطيف	عبدالله بن محمد آل فايع	علي بن صالح الشهري	سعيد بن علي بن مشيط
سعد بن علي العمري	سباع الهاجري	سعد بن سعيد الحسنية	عيسى بن محمد السرحاني

أول مجلس إدارة

جبران بن سالم الفيفي رئيس مجلس الإدارة	أحمد بن مشبب بن عطيف نائب رئيس مجلس الإدارة	سعد بن علي العمري الممثل المالي
عبدالله بن محمد بن دلقم عضو مجلس الإدارة	مسعود بن حسين بن سحنون عضو مجلس الإدارة	محمد بن عوض السرحاني عضو مجلس الإدارة
علي بن غلفان بن دغريري عضو مجلس الإدارة	علي بن صالح الشهري عضو مجلس الإدارة	سفر بن عبدالله بن برقان عضو مجلس الإدارة

أرقام التأسيس

عدد الحلقات	الطلاب والطالبات	المعلمين والمعلمات	المشرفين والمشرفات	لمتمون والمتمات
64	2433	52	10	16

التقرير السنوي 5

صورة من تقرير الجمعية الخيرية السنوي يُظهر فيه أسماء المؤسسين للجمعية، وأعضاء أول مجلس إدارة لها.

ب- ملحق رقم (٢) :

الترمذى: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر امثالها، لااقول الم حرف، ولكن الف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

روى الإمام البخارى رضى الله عنه، عن ابن عباس رضى الله عنهماقال: «بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا [أى صوتا] من فوقه فرفع راسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم. فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل الى الارض، ولم ينزل قط إلا اليوم. فسلم: (أى الملك). وقال مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابشر بنورين اوتيتهما... لم يؤتهما نبى قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، وان تقرأ بحرف منهما إلا اعطيته».

وكان السابقون الى الايمان -رضى الله عنهم اجمعين- يكثرون من تلاوة القرآن فى رمضان... كيف لا وهم اعلم الناس -بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم- انه قول الله الذى من قال به صدق، ومن عمل به اجر، ومن اتبعه هدى الى صراط مستقيم!!! [ساق هذا الحديث ابن الاثير فى جامع الاصول، وقال: اخرجه رزين]... ومامن شك بأن القرآن الكريم، رحمة وشفاء وهدى... وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم... وهو الروح التى جاء فيها: «اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون. ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا إله إلا انا فاتقون». [سورة النحل]...

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتخذ صيام رمضان فرصة لإحياء ذكرى نزول القرآن عليه صلى الله عليه وسلم... واتخذه السابقون الاولون لسان صدق فى قول الحق وميزان عدل لانصاف ذوى الحاجة والحقوق، ومنهجا للعمل الصالح ومعيارا لتقييم الناس فى المناصب والقدر...

قال الدارمى فى سننه، حدثنا جعفر بن عون عن ابى الاحوص عن عبد الله، قال: إن هذا القرآن مادبة الله، فتعلموا من مادبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله والنور والشفاء النافع، عصمة عن تمسك به... ونجاة لمن اتبعه... واخرج الامام احمد والطبرانى فى [الكبير] من حديث زيد بن ثابت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انى تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود مابين السماء والارض وعترتى اهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». فيجب الاكثار من تلاوة القرآن الكريم... والعمل باحكامه... ومن لم يعمل به وبسنة من انزل عليه، فهو اضل من حمار اهله... بل هو كافر بالله العظيم...

فانتهزوا فرصة رمضان لتلاوة القرآن... فهو الذى تتلاشى به الأحقاد والضغائن وتزول العداوة... وبه تتالف القلوب على التقوى، وتقوى الاخوة الايمانية... انه التاكيد على توحيد الله وافراده بالعبادة بجميع انواعها، فلا شرك ولا ضلال... ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق... إنه القرآن، ربيع القلوب... قلوب المؤمنين وانس الصائمين، وبهجة الموحدين، وبستان المتقين..

... الوطيس

كالراقصة وتخلعت كالـ... تقول انها تريد العلم.. كذلك ؟.....!

العلم يتطلب هذه الملابس يتطلب هذه الحركات.. يتطلب الضحكة المثيرة ؟ العلم يتطلب الضحكة والاظفار المصبوغة واحمر الشفاه والمواعيد الخلوية هل هذه الفتاة حين خرجت من منزلها كان فى بالها العلم ؟ ام ذهبت الى الجامعة لتصطاد ؟

ورد المؤلف على كل سؤال يطرأ على فكر القارىء وهو يتكلم عن التقاليد وقال قبل كل ذلك نعلم اننا لم نعرف ما هو الاسلام ؟ فالاسلام اضخم فكرة عرفتها الارض فى تاريخها كله.. واكبر مفهوم يشغل الحياة لذلك ينبغى قبل ان نسأل كيف يكون المجتمع المسلم.. والمرأة المسلمة والرجل المسلم ان نعرف الصورة التى يأخذها الانسان فى مفهوم الاسلام والمشكلات التى يواجهها المجتمع المسلم.. هى المحاولة الدائمة على العقيدة والارتقاع على الضرورات وهذا المجتمع المسلم لا يخص المسلمين وحدهم وانما هو يشمل كل من يوجد فيه من بنى الانسان.. هو بالنسبة للمسلمين عقيدة وبالنسبة لغيرهم نظام يعيشون فى ظله، امنين صاعدين وهم فى نجوة بعقيدتهم الخاصة لا يمسها مساس..

عبدالله أحمد: ٢٧ جزءاً تلاوة وتجويداً

اعداد - مسيفر حسين المالكى
خميس مشيط

فائدة كبيرة ولله الحمد..

● ماكيفية الحفظ والمراجعة ؟

- احفظ كل يوم صفحة كاملة بعد تلاوتها على الشيخ نظريا ثم اقوم بتسميع ماحفظته على الشيخ فى اليوم الثانى بالمسجد والمراجعة تكون مراجعة جزء كل يوم حتى لا انسى ماحفظته من القرآن..

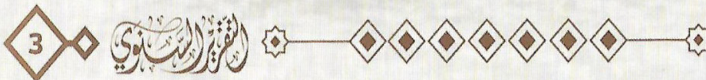
● كيف تنصح زملاءك بالمدرسة ؟

- انصح جميع الزملاء بالالتحاق بهذه الحلقات القرآنية وعدم ضياع اوقاتهم واهدارها فى غير فائدة.

اللقاء الذي أجرته صحيفة المدينة مع كاتب البحث عبدالله أحمد الباكري العولقي بعد أن زارت الصحيفة حلقة الشيخ إبراهيم شربل، جرى لقاء معه ومع عدد من الطلبة الحفاظ في تاريخ (٤ رمضان/١٤١٣هـ)، ونشر اللقاء في العدد رقم (٩٤٢٥) (الجمعة ١٢/رمضان/١٤١٣هـــ ٥/مارس/١٩٩٣م).

ج- ملحق (٣) :

1396	في عام 1396 هـ زمانـاً ، وفي جامع النملة بمحافظة خميس مشيط مكاناً افتتحت أول حلقة لتعليم القرآن الكريم وكانت أحد مشاريع الجمعية الخيرية بخميس مشيط ، يشرف عليه الشيخ عبدالله بن دلقم الشهراني تعليمياً
1402	وفي عام 1402 هـ استقدمت الجمعية الخيرية 20 معلماً للقرآن الكريم فأصبح عدد الحلقات 20 حلقة يدرس فيها أكثر من 250 طالباً
1420	تنامت أعداد الحلقات و الطلاب مع مرور الأيام إلى أن أصبحت في عام 1420 هـ 64 حلقة بقوام 1200 طالباً وطالبة واستمر مشروع الحلقات في الجمعية الخيرية إلى تاريخ 13/11/1420 هـ
1421	ثم بدأت رحلة جديدة في تعليم القرآن الكريم بمحافظة خميس مشيط بتأسيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم .



صورة من التقرير السنوي للجمعية الخيرية يُظهر فيه تواريخ الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم (المرحلة الأولى) من التأسيس إلى عام (١٤٢٠هـ)

د ـ ملحق رقم (٤) :

المملكة العربية السعودية
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمحافظة خميس مشيط
تحت إشراف المركز الوطني
لتنمية القطاع غير الربحي برقم (٣٤٠٨)



الرقم: ....
التاريخ: ....
المرفقات: ....
الموضوع: ....

بيان بأسماء الطلاب المتمين الخريجين (الشيخ إبراهيم مصطفى شربل)

م	اسم الطالب	الجنسية	سنة التخرج	اسم الجامع	اسم الحلقة	الدرجة	التقدير
١	عبد الله عصام علي الدين أمين	مصري	١٤٣٥	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٩٩.٤١	ممتاز
٢	أسامة محمد محمد جاد	مصري	١٤٣٥	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٩٩.٧٥	ممتاز
٣	أسامة سيد عبد الرازق حماد	مصري	١٤٣٥	ابن ماعز	زيد بن ثابت	٩٣.٨٣	ممتاز
٤	عبد الرحمن عيد محمد قناوي	مصري	١٤٣٧	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٩٨.٤١	ممتاز
٥	أحمد علي خلف محمد	مصري	١٤٣٧	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٩٥	ممتاز
٦	محمد أشرف صلاح عبد العزيز	مصري	١٤٣٧	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٩٤.٤١	ممتاز
٧	أحمد عبد الرحمن السيد علي	مصري	١٤٣٧	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٨٩.٨٣	ممتاز
٨	عمر أحمد محمد محروس	مصري	١٤٣٧	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٨٤.٨٣	جيد جداً
٩	محمد يوسف محمد عبد الرحمن	سوداني	١٤٣٧	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٧٣.٩١	جيد
١٠	عابد باهي محمد طه	مصري	١٤٣٩	ابن ماعز	زيد بن ثابت	٩٨.٣٣	ممتاز
١١	عبد الرحمن ماجد طلعت فتوح	مصري	١٤٣٩	ابن ماعز	زيد بن ثابت	٧٤.٣٣	جيد
١٢	مختار حسين أحمد القريشي	يمني	١٤٣٩	ابن ماعز	زيد بن ثابت	٩٦.٣٣	ممتاز
١٣	عبد الرحمن محمود إبراهيم طعيمة	مصري	١٤٣٢	ابن ماعز	زيد بن ثابت		ممتاز
١٤	أحمد فوزي فتح الله أبو زهو	مصري	١٤٣٤	الجمعية الخيرية	زيد بن ثابت	٩٨.٢٥	ممتاز
١٥	عبد الرحمن سعيد إبراهيم السعداوي	مصري	١٤٣٤	الجمعية الخيرية	زيد بن ثابت	٩٦.٣٣	ممتاز
١٦	أنس أحمد عبد المعطي عبد الدايم	مصري	١٤٣٤	ابن ماعز	أبي بن كعب (١)	٩٣	ممتاز
١٧	عبد الله خالد محمد محمد علي	مصري	١٤٣٤	ابن ماعز	أبي بن كعب (١)	٩٣.٤٥	ممتاز

أسماء الحفاظ الذين أتموا ختم القرآن الكريم على يد الشيخ إبراهيم شربل في السنوات الأخيرة التي قضاها في خميس مشيط (أ)

هـ ـ ملحق رقم (٥) :

المملكة العربية السعودية
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
بمحافظة خميس مشيط
تحت إشراف المركز الوطني
لتنمية القطاع غير الربحي برقم (٣٤٠٨)



الرقم: ....
التاريخ: ....
المرفقات: ....
الموضوع: ....

بيان بأسماء الطلاب المتمين الخريجين (الشيخ إبراهيم مصطفى شربل)

م	اسم الطالب	الجنسية	سنة التخرج	اسم الجامع	اسم الحلقة	الدرجة	التقدير
١٨	حسين يحيى حسين الحربي	سعودي	١٤٣٤	الجمعية الخيرية	زيد بن ثابت	٨٢.٥٨	جيد جداً
١٩	أحمد فرج أحمد هبة	مصري	١٤٣٤	ابن ماعز	أبي بن كعب	٨١.٣٣	جيد جداً
٢٠	محمد أحمد محمد عفيفي	مصري	١٤٣٤	ابن ماعز	أبي بن كعب	٨٢.٩٥	جيد جداً
٢١	عبد الرحمن أحمد عبد المعطي عبد الدايم	مصري	١٤٣٤	ابن ماعز	أبي بن كعب	٨٢	جيد جداً
٢٢	مازن مبارك سعيد الشهراني	سعودي	١٤٣٤	ابن ماعز	زيد بن ثابت ١	٨٧.٩٥	جيد جداً
٢٣	موسى محمد خوجة فيض الله	أفغاني	١٤٣٤	الجمعية الخيرية	زيد بن ثابت	٧٧.٩٥	جيد
٢٤	محمد فرج أحمد هبة	مصري	١٤٣٤	ابن ماعز	أبي بن كعب	٧٠	جيد
٢٥	أحمد يحيى حسن محمد	مصري	١٤٣٥	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٨٨.٨	جيد جداً
٢٦	عمار عبد الخالق علي سلامة	مصري	١٤٣٥	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٨٢.٨	جيد جداً
٢٧	عبد العزيز محمد خوجة فيض الله	أفغاني	١٤٣٥	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٧٧	جيد
٢٨	إبراهيم شرف الدين محمد محمد	سوداني	١٤٣٥	الجمعية الخيرية	أبي بن كعب	٧٣.٢	جيد

أسماء الحفاظ الذين أتموا ختم القرآن الكريم على يد الشيخ إبراهيم شربل في السنوات الأخيرة التي قضاها في خميس مشيط (ب)

و ـ ملحق رقم (٦) :

م	اسم الحلقة	اسم المعلم	اسم الطالب	الجنسية	الدرجة النهائية	التقدير
1	زيد بن ثابت ١	إبراهيم مصطفى شربل	إبراهيم حسين يحي المصرفي	يمني	٩٨,٥٨	ممتاز
2	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	أحمد عبدالرحيم عبدربه فياض	فلسطيني	٨٤,٢٥	جيد جداً
3	ابن ماعز	إبراهيم مصطفى شربل	عابد باهي محمد طه	مصري	٩٨,٣٣	ممتاز
4	ابن ماعز	إبراهيم مصطفى شربل	عبد الرحمن ماجد طلعت فتوح	مصري	٧٤,٣٣	جيد
5	ابن ماعز	إبراهيم مصطفى شربل	مختار حسن أحمد القريشي	يمني	٩٦,٣٣	ممتاز
6	أبي بن كعب	إبراهيم مصطفى شربل	عمرو خالد صبحي حتحوت	مصري	١٧/٣٤	ممتاز
7	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	ابراهيم سيد عبد الرزاق حما ده عطوه	مصري	٩٩,٧٥	ممتاز
8	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	محمد يعقوب التميمي محمد	مصري	٩٩,٢٥	ممتاز
9	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	محمد أحمد ماهر العبيد	اردني	٨٨,١٢	جيد جداً
10	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	ماهر أحمد ماهر العبيد	اردني	٨٢,٣٧	جيد جداً
11	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	عبد العزيز محمد يحيى الشديدي	سعودي	٧٩	جيد
12	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	عبد الرحمن ماهر عبد الحليم سالم	مصري	٧٦,٢٥	جيد
13	زيد بن ثابت ٢	إبراهيم مصطفى شربل	شريف أحمد عبدالحميد لاشين	مصري	٧٣,٦٣	جيد

أسماء الحفاظ الذين ختموا القرآن الكريم على يد الشيخ إبراهيم شربل في السنوات الأخيرة التي قضاها في خميس مشيط (ج)

ز ـ ملحق رقم (٧) :



صورة الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز أثناء إلقاء أحد دروسه في جامع أم سرار



صورة الشيخ إبراهيم شربل على منبره يلقي خطبة الجمعة في مسجد إبن ماعز بحي الشعبة (الهميلة)

ح ـ ملحق رقم (٨) :



أعضاء مجلس الإدارة



أ. خالد بن عبدالعزيز بن مشيط
محافظ خميس مشيط
نائب الرئيس الفخري للجمعية



سعادة الشيخ
عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط
الرئيس الفخري للجمعية



سعد بن مريع أبوديبل
رئيس مجلس الإدارة



سفر بن عبدالله الشهراني
عضو مجلس الإدارة



سالم بن صالح العمري
نائب رئيس مجلس الإدارة



عبدالرحمن بن محمد العمري
الممثل المالي



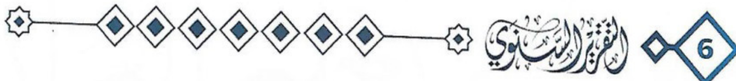
عبدالله بن أحمد الشهري
عضو مجلس الإدارة



عبدالرحمن بن عايض آل جلاله
عضو مجلس الإدارة



مسفر بن أحمد آل فائع
عضو مجلس الإدارة



صورة من تقرير الجمعية الخيرية (نبأ) ويظهر فيه أعضاء مجلس الإدارة الحالي (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)

٢٢ــ وقفات مع كتاب ابن جريس الجديد (تعليم البنات العام في جنوب المملكة العربيـة السـعودية (١٣٨٨-١٤٠٠هـ/١٩٦٨-١٩٨٠م)[١]. بقلـم. أ. محمد بن غرمان العمري[٢].

وصلنــي مؤخــرًا كتابٌ صدر حديثًــا، بعنوان: تعليم البنات العــام في جنوب المملكة العربيــة السعودية (١٣٨٨ــ ١٤٠٠هـ/١٩٦٨ــ ١٩٨٠م) (سجل إحصائــي)، للأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس، ويقع في (٣٥٢) صفحة من القطع المتوسط. وعندما تصفحــت هــذه الدراسة وجدتهــا تحتوي على مئــات الجداول الإحصائيــة التي تعكس مســيرة تعليــم البنات في مناطــق عسير، وجــازان، ونجران خلال الاثنتــي عشرة سنة الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وقبل تدوين ملخص لمحتويات الكتاب، وذِكر بعض الملاحظات والمقترحات رأيت أنْ أكتب لمحةً سريعةً عن تاريخ التعليم الحديث في جنوب البلاد السعودية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

إنَّ مــادة هذا الكتاب الجديد جعلتني أقرأ وأطلع علــى عدد من الكتب والدراسات العلميــة التي أرخت للتعليم الحديث في المملكة العربية السعودية. ووجدت أنَّ التعليم في الكتاتيــب كان السائد في أرجاء البلاد، ولا تخلو بعضــ المدن الكبيرة مثل مكة المكرمة، والمدينــة المنورة، والرياض، والطائــف، وجازان، والإحساء وغيرهــا من علماء ومراكز تعليــم جيدة ونشيطة، وقد تعلم فيها المئات من طلاب العلم، لكن بعد توحيد البلاد في عهــد الملك عبدالعزيز (يرحمه الله)، ودخول الحجاز تحــت نفوذه أمر بإنشاء مديرية المعــارف في مكة المكرمة، وقامت هــذه المؤسسة الحديثة بافتتــاح المدارس النظامية في الحجاز، ثم سعــت إلى نشر التعليم الحديث للبنين في أرجاء المملكة العربية السعودية، ولم يــأت العقد الثامن من القرن الهجري الماضــي، إلا صارت المدارس السعودية، التي عرفــت في بداية الأمر بالمدارســ الأميرية موجودة في معظــم الحواضر والمدن والقرى الكبــيرة في المملكــة، ثم تطور تعليــم البنين من نهايــة القرن (١٤هـ/٢٠ هــ) إلى الآن (١٤٤٦هــ ـ/ ٢٠٢٥م)، ونتج عن هذا النمو الحضــاري انعكاسات إيجابية كثيرة، على الفرد والمجتمع السعودي.

---

(١) مقالــة منشورة في صحيفة النماص اليــوم، بتاريخ(٢٤/فبراير/٢٠٢٥م) كما نشرت في موقع رابطة أدباء الشام ، صحيفة وسوم، عدد (١١١٧) (١/ مارس/ ٢٠٢٥م). (ابن جريس) .

(٢) للمزيــد عــن سيرة الأستاذ محمد غرمان العمري انظر مقالات رقــم (١٥، ١٧، ١٩) في هذا القسم. (ابن جريس) .

وإذا توقفنـا مع تعليـم البنات وجدنا أنَّه كان غير موجود أو قليل الانتشار في أرجاء شبـه الجزيرة العربية خـلال القرن (١٣هـ/١٩م)، والسبعين سنـة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م). وربما يعارض هذا القول بعض القراء الكرام، ويذكرون أمثلة أو نماذج قليلـة من تعليم النساء في اليمن، والحجاز، ونجد وغيرها. وهذا كلام لا نعترض عليه، وإذا وجـد فهو قليل جدًا وشبه نادر، والأمية كانت منتشرة في كل مكان للذكور والإناث. بل كان هناك معارضات كثيرة وقوية على تعليم المرأة.

كان الملـك عبد العزيز آل سعـود يعرف ويدرك نظرة المجتمـع وموقفه السلبي من تعليـم النساء، لهـذا بدأ بتعليم البنين مـن منتصف القرن الهجـري الماضي، ولم يكن هنـاك تعليـم حديث للبنات، وربما بعضـ الأسر العلمية سعت إلى تعليـم نسائها بشكل محـدود وجهود فردية. والقـارئ عن انتشار التعليم الحديث في عهد الإمام عبد العزيز يجـد أنَّـه كان مركزًا علـى شريحة الرجـال دون النسـاء، ونجحت مديريـة المعارف في توسيع قاعدة التعليم الحديث في كل مكان من المملكة العربية السعودية.

جاء الملك سعود بن عبد العزيز بعد والده، واجتهد في فتح مدارس البنات الحديثة، وواجـه صعوبـات وعقبـات كثيرة، وحـدث الكثير من المعارضـات ضد تعليـم المرأة في السعوديـة، لكن الملك وبعض الأمـراء السعوديين بدأوا بتعليم بناتهم، وافتتحوا مدارس حديثـة، وتركوا الفرصة سانحة لمن رغب تعليم نسائهم وبناتهم، وكان الناس مترددين وغير راغبين في تعليم المرأة، لكن الدولة ممثلة في الملك وولي عهده أمروا بافتتاح مدارس بنـات حديثـة، وتكون مرجعيتهـا إلى المؤسسة الدينيـة ممثلة في مفتـي المملكة العربية السعوديـة ومـن يعمل معه من رجال الشريعة. وفي الوقت نفســه أنشئت الرئاسة العامة لتعليم البنات مع بداية افتتاح المدارس الحديثة الأولى للبنات عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وبـدأ تعليم البنات الحديث يسـير وينتشر على خطى تعليم البنين الـذي بدأ من ثلاثة عقود من افتتـاح مدارس البنات والرئاسة العامة لتعليم البنات ، وبقيت وزارة المعارف المسؤولة عن تعليم البنين والرئاسة المرجع الرئيسي لتعليم البنات.

اطلعـت على تقارير وكتـب إحصائية اشتملت على مواد مختلفة ترصد تاريخ تعليم البنـين والبنات الحديث في جنوب المملكة العربيـة السعودية (الباحة، وعسير، وجازان ونجـران)، وقد حظيت هـذه البلاد بالرعاية الكبـيرة من الدولـة السعودية الحديثة، فأنشئـت مدارسـ البنـين الابتدائيـة في أبها، وجـازان، والقنفـذة، وبيشـة، والظفير، والنماص، ومحايل عسير، ورجال ألمع من منتصف القرن الهجري الماضي، ثم انتشرت المدارسـ في كل مكان وافتتحت المدارس المتوسطة، والثانوية والمعاهد، ومكافحة الأمية. وفي عـام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) أنشئت مدارس البنات الابتدائية في بعض المدن الرئيسية

في جنوب السعودية وغيرها من مدن المملكة، ثم تطور تعليم البنات حتى شمل كل المراحل في التعليم العام. ولم ينته القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلَّا والتعليم العام للبنين والبنات وصل كل مكان وناحية من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، وقد بذلت بعض الجهود باحثاً عن دراسات علمية تفصيلية عن التعليم الحديث للذكور والإناث في مناطق غامد وزهران (الباحة)، وعسير، ونجران، وجازان، لكنني لم أعثر على أي كتاب أو دراسة دقيقة وجادة توثق تاريخ هذا القطاع خلال العصر الحديث.

(*) لقد تصفحت هذا الكتاب المذكور في عنوان هذه المقالة من تأليف الدكتور غيثان بن جريس، وقلت ربما أجد بعض التاريخ الحقيقي عن مسيرة تعليم البنات في جنوب المملكة العربية السعودية وفي الوقت نفسه فالأستاذ ابن جريس متخصص في التاريخ والحضارة العربية والإسلامية وله دراسات كثيرة عن جنوب البلاد السعودية عبر العصور التاريخية، وأعرف أن له مؤلفات مطبوعة ومنشورة في تاريخ التعليم العام والعالي عن أمكنة ومناطق جنوب المملكة العربية السعودية. ووجدت الفهرس العام لكتابه يتكون من مقدمة، وتوطئة، ثم (١٣) قسم إحصائي لعدد المدارس، والطالبات، والمعلمات، والموظفات في الوظائف التعليمية في مناطق جنوب المملكة (عسير، وجازان، ونجران) خلال عقد ونيف (١٣٨٨ــ١٤٠٠هـ / ١٩٦٨ــ١٩٨٠م) في القرن الهجري الماضي، وفي نهاية الكتاب خاتمة ذكر فيها بعض النتائج والتوصيات. وبعد المرور على جميع مادة الكتاب خرجت ببعض التصورات التي أذكر أهمها في النقاط الآتية:

١- صاحب الكتاب (ابن جريس) أورد في المقدمة والتوطئة شروحات كثيرة عن التعليم وبخاصة تعليم البنات في جنوب المملكة العربية السعودية، وذكر ندرة المادة المتوفرة عن هذا المجال الحضاري، ثم أشار إلى أنَّ كتابه قام على سجل إحصائي حصل عليه من إدارة تعليم البنات في جنوب المملكة ومقرها مدينة أبها في بدايات هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، ووجد فيه مادة إحصائية جيدة تعكس تطور تعليم البنات في مناطق عسير، وجازان ونجران خلال العقد الأخير من القرن الهجري الماضي. واجتهد في طباعته ونشره لأن فيه مادة علمية أصلية قد تساعد الباحثين في إصدار دراسات علمية نوعية وتحليلية، وذكر أنَّ هذه الإحصائيات قد لا تتوفر في المستقبل، وربما ضاعت مع تعاقب السنين، لهذا سارع في مراجعتها من السجل الرئيسي الذي حصل عليه ثم طبعها ونشرها للقراء وطلاب العلم والمعرفة.

٢- وجدت الباحث نشر الجداول التي وجدها في السجل الأساسي، ويوجد منه صورة في مكتبته الخاصة، ثم دون بعد معظم الجداول شروحات قصيرة ومحدودة،

وأضــاف بعض الرسوم البيانية للكثير من الجداول. وقال: إنه يرجو أن يأتي بعده من يعكف على دراسة هذا السجل ويدرسه دراسة علمية تفصيلية تحليلية، واكتفى فقط بإخراج هذا العمل للنور.

٣- ليس هدفي في هذه المقالة غمط حق الباحث ابن جريس، فهو أستاذ جامعي، وله جهود علميــة وبحثية كثيرة وجيدة، ولا ينكرها إلاَّ جاحد. وأعلم أنَّ الدكتور غيثان بــن جريس يرحــب بالنقد الإيجابي الــذي يصب في خدمة العلــم والمعرفة، ولهذا رأيت أن أذكر بعض وجهات النظر التي قد تفيد في خدمة هذا السجل الإحصائي الجاف، وأوردها على النحو الآتي:

أ- عندما ينظر الباحثُ أو القارئُ إلى هذا السجل الإحصائي فإنَّه يجد فيه كمًا هائــلاً من الأرقام والإحصائيات التي تعكس مسـيرة تعليم البنات في جنوب المملكــة من عام (١٣٨٨هـ-١٤٠٠هـ/ ١٩٦٨-١٩٨٠م)، وهذه معلومات كما ذكر صاحب الكتاب جيدة للاستفادة منها، لكنها في الوقت نفسه مادة علمية خاليــة مــن التدقيق والتحليل، وكنت آمل مــن الباحث أنْ يكــون أجرى عليها مزيدًا من الشرح والتوضيح والاستنتاج.

ب- أورد الأســتاذ ابن جريس رسومًا بيانية قليلــة وناقصة ومحدودة، والناظر في الأرقام المنتشــرة علــى صفحات الكتــاب يستطيع أن يخرج منهــا بالكثير من النتائج والتحليــلات والبيانات والمقارنات، ولا أجــد شيئًا من ذلك في الكتاب الذي بين أيدينا، وكما تمنى الباحث أن يأتي في قادم الأيام من يجري على هذه الإحصائيات دراســات علمية دقيقة وجادة. فأقول: إنَّ من يقوم بذلك فسوف يجد مادة علمية جيدة تستحق أن يُجري عليها بحوثًا علمية جادة ورصينة.

ج- إنَّ هــذا السجــل الإحصائــي قــد يفتــح أبوابًــا أوســع وأفضــل، وتظهــر سجلات، ومدونات ووثائق جديدة تدرس تاريخ وتطور تعليم البنات في جنوب البلاد السعودية. وفي الحقيقة إنني أشكر الأستاذ غيثان بن جريس على هذا الجهد، حتى وإن كان هناك بعض الأخطاء أو العيوب، أو النقص.

د- الــذي أعرفــه وقرأتــه للباحــث ابــن جريس أنَّــه يطــرح الكثير مــن الرؤى، والأفكار، والمقترحــات والنظريات، ووجهات النظر، والتعليقات التي لها صلة بالعديــد من الموضوعات أو العناوين العلمية التــي تستحق مزيدًا من البحث والتحليــل والدراسة. وربمــا أنَّه نشر هذا العمل من هــذا المنطلق على أمل أن

يأتي طالب علمٍ أو باحثٍ فيبدأ من حيث انتهى غيثان وينجز عملًا أكثر عمقًا وتوثيقًا وتفصيلًا وتحليلًا.

هـ - الحمد لله إنَّه صار عندنا في جنوب المملكة العربية السعودية الكثير من الجامعات، والكليات، والأقسام العلمية، والباحثات والباحثين الذين يستطيعون خدمة بلادهم وأهلهم. وتاريخ التعليم القديم، والحديث للبنين والبنات في جازان، ونجران، وعسير، والباحة من الميادين المهمة التي تستحق أن يدرس تاريخها وآثارها الإيجابية على جميع طبقات المجتمع في جنوب المملكة أو غيرها من المناطق السعودية الأخرى.

و - في النهاية هذه آراء ووجهات نظر حركت عندي الرغبة في سرد ما تم تدوينه، وليس الهدف من ذلك النيل من صاحب الكتاب فهو أستاذ قدير له تقديره واحترامه وأعلم أنَّ الدكتور غيثان يرحب بالنقد الصالح والمفيد، وهذه ميزة أو صفة عرفتها أنا وغيري عنه، ومن يقرأ مؤلفاته يجد على صفحاتها الكثير من نقد الآخرين لبحوثه وكتبه، ووجدته لا يتورع من نشر ذلك في مؤلفاته الشخصية، مع أنَّ بعضها شديدة اللهجة وقاسية، وفيها الكثير من الكلام غير اللائق والجارح للدكتور ابن جريس، وقد تحدثت معه كيف يقبل وينشر مثل هذه المادة، فيقول: هذه وجهات نظر للآخرين، ولا يرى أي بأس أو غضاضة في طباعتها ونشرها للقاصي والداني، وصلى الله وسلم على رسول الله.[1] .



(١) أشكرك يا أستاذ محمد على كل المحاور التي أوردتها في مقالتك ، وأحترم وجهة نظرك في كل ما أوردته من سلبيات، وجميعنا نبحث عن الصواب والحقيقة، ولن نصل إلى درجة الكمال، لكننا نعمل ونجتهد، ونسأل الله الله ألا يحرمنا الأجر والثواب، وأكرر شكري وتقديري لشخصك الكريم، والسلام. (ابن جريس).

القسم الرابع

خلاصة قراءات، ورحلات ومشاهدات في تهامة والسراة في العصر الحديث والمعاصر

القسم الرابع

خلاصة قراءات،ورحلات، ومشاهدات في تهامة والسراة في العصر الحديث والمعاصر

أولاً : تمهيد :

هـذه الدراسـة انطباعـات، وقـراءات، ومشاهـدات، ورحلات عرفتهـا وعاصرت بعضهـا ، وفضلـت توثيقها في هـذه الورقات المحدودة على أمـل أن تكون مجالات علمية بحثيـة رئيسية لمؤرخين وباحثـين متخصصين وجادين، ولا أدعي الكمال أو الإبداع فيما دونتـه ، لكنها مشاركة من إنسان عرف بلاده (تهامة والسراة) من نهاية السبعينيات الهجريـة في القرن الماضي (١٤هـ/٢٠م) ، ومازال ، الحمدلله، يسير في مناكبها ويكتب ويوثق شيئاً من تاريخها وحضارتها عبر العصور التاريخية القديمة والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة.

ثانياً: وقفة مع الجغرافيا الطبيعية والبشرية:

١ـ الجغرافيا الطبيعية:

إن مصطلـح (تهامة والسراة) عند الجغرافيـين المتقدمين والمتأخرين يختلف من واحـد لآخـر. ويظهر أيضاً اسم (الحجـاز) مرادفاً لمصطلح (السـراة، أو السروات). وبعضهـم ذكـر جبال الحجـاز أو السـروات من بـلاد الشـام إلى اليمـن، وفريق آخر حصروا جبال السـروات وامتدادها من المدينـة المنورة ومكة المكرمـة إلى قعر اليمن. وقد نشرت عشرات الدراسات التي تشرح الجدل والتفصيلات التي تدور في فلك طبيعة وحـدود السروات وتهامة[١]. والذي يهمنـي في هذا البحث السروات وتهامة الواقعة بين اليمـن والحجـاز، الممتدة من الطائف وجنـوب مكة المكرمة إلى بـلاد جازان ونجران. وهـذه الديار تُعتـبر واسطة العقد لعموم تهامة والسـراة، ولا يختلف أحد على تهاميتها وسرويتهـا، مع أنها للأسف من أقل أجزاء البلاد التي ذُكرت في كتب العلماء المتقدمين مـن العرب والمسلمين. والذاهب في أرجاء هذه الأوطان يجد تنوع تضاريسها، ومناخها، وثرواتها الحيوانية والنباتية. والجبال السروية الممتدة من الطائف إلى ظهران الجنوب، ونجران، وصعدة تعتبر القطاع الجغرافي الرئيسي الذي يشكل عموم السروات وتهامة، فالأجـزاء الغربية من هذه الجبال إلى ساحل البحر الأحمر تقع ضمن الديار التهامية. أمـا الأجـزاء الشرقيـة من هذه المرتفعـات المترابطـة العملاقة فهي جزء مـن السراة وبواديها التي تمتد شرقاً حتى تتصل بالأجزاء الغربية لهضاب وصحاري نجد[٢].

قضيت معظم سنوات عمري في هذه البلاد التهامية والسروية، فولدت فيها، وعشت وتعلمت وعملـت، ومازلت أمشي في جبالهـا، وحزونها، وسهولهـا، وبواديها وسواحلها. وكتبـت عن تراث وتاريخ وحضارة أهلها منذ العصور القديمة، وقرون الإسلام المختلفة حتـى وقتنا الحاضر. ورأيت وعرفت أن صعوبـة تضاريسها من الأسباب الرئيسية التي جعلـت مـدوني التاريخ والتراث الأوائل لم يلقوا لها بـالاً في مؤلفاتهم، ولم يذكروا عنها إلا شذرات قليلة ومحـدودة[٣]. وإذا قارنا تضاريس وموارد هذه البلاد الطبيعية بأرض اليمـن جغرافيـاً، فقد تتفوق عليها، لما حباها الله من خـيرات وثروات مائية، وزراعية،

---

(١) مـن يطلع علـى فهارس المكتبات العربية والأجنبية فسوف يجد مئـات الدراسات التي فصلت الحديث عن جبال السروات، أو جبال الحجاز وبخاصة في الجانب الطبيعي والجغرافي.

(٢) هذا الذي عرفته أثناء سيري ورحلاتي المتعددة في هذه البلاد العربية الماجدة التي لم تنل حقها من البحث والدراسة العلمية الجادة.

(٣) هناك أسباب أخرى عديدة جعلت المؤلفين المسلمين الأوائل يتجنبون زيارتها والكتابة عن أرضها وسكانها. وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لدراسة علمية جادة وتفصيلية.

ومعدنية، ومواقع استراتيجية[١]. ونجد أن حواضر اليمن الكبرى وما حولها قد خُدمت علمياً ومعرفياً وتوثيقياً بشكل واسع وكبير منذ عصور ما قبل التاريخ إلى وقتنا الحاضر. أما تهامة والسراة المذكورة في هذا المبحث فمازالت دون المأمول بحثياً وعلمياً وأثرياً.

تجولت في أرجاء السروات وتهامة، وكتبت عن جزئيات من تاريخها وجغرافيتها، ومازالت تستحق أن تُدرس جبالها، وأوديتها، وبواديها، وسهولها وسواحلها التهامية. أما أماكن الاستيطان فيها فهذا باب كبير يُكتب فيه مئات الكتب والرسائل العلمية. وتوثيق التاريخ الجغرافي والبشري والصلة الوثيقة بينهما من الموضوعات الجديرة بالبحث والتحليل الجادين.

تتنوع تضاريس المرتفعات السروية من جبال عالية إلى متوسطة، ويغلب عليها الانحدار الشديد من الناحية الغربية، أما الأجزاء الشرقية فنلاحظ تدرجها في الهبوط من قمم السروات حتى تتصل بالسهول الشرقية . وتشكل الأودية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة التي تتجه شرقاً أو غرباً جزءاً رئيسياً في جغرافية بلاد تهامة والسراة[٢]. وتعد الأودية الشرقية والغربية وما تتميز به أو تشتمل عليه من مؤهلات وموارد طبيعية من الركائز الرئيسية في تشكيل المستوطنات البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ إلى عصرنا الحالي[٣].

إن التباين في المعالم والتضاريس السروية والتهامية أثر في تنوع المناخ، فالمرتفعات باردة في الشتاء ومعتدلة في الصيف، والأجزاء التهامية حارة صيفاً، ومعتدلة شتاءً، أما المناطق البدوية الشرقية فأحوالها المناخية وسط بين المنطقتين السابقتين[٤].

---

(١) كل هذه المحاور المذكورة في المتن عناوين جديدة ومهمة لمن رغب دراستها في كتب علمية ورسائل جامعية.

(٢) تجولت في أرجاء تهامة والسراة، ورأيت جبال السروات تقسم الأودية إلى قسمين رئيسيين شرقية تصب في السهول والصحارى النجدية، وغربية تنحدر من أعالي السروات حتى تصب في البحر الأحمر. ويوجد العديد من الدراسات الجغرافية التي ذكرت هذه الأودية من بدايتها حتى نهايتها، لكنني لم أجد دراسات علمية تؤرخ لهذه المعالم الطبيعية، وبخاصة الكبيرة في ميدان الاستيطان البشري، ودورها في حياة الناس عبر عصور التاريخ.

(٣) كان السكان قديماً يبحثون عن مصادر المياه، ويسكنون قريباً منها. والأودية من أهم الأجزاء الطبيعية التي يعيش الناس حولها، ومن يدرس طبيعة أودية السروات وتهامة الشرقية والغربية، مثل: أودية تربة، ورنية، وبيشة، وتثليث، ونجران وجميعها تتجه شرقاً. وأودية الليث، وقنونا، ويبة، وحلي، وعتود، وبيش، وغيرها وتسير غرباً حتى تصب في البحر الأحمر، فكلها مأهولة بالسكان من أعالي السروات حتى البوادي والنجود الشرقية، أو السهول والسواحل الغربية. ونجد الناس خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) تحسنت أحوالهم الاقتصادية، وتطورت البلاد حضارياً وتنموياً، فلم يعودوا حريصين على السكن والاستيطان قريباً من الأودية ،وصاروا يسكنون في المدن والقرى والمخططات العمرانية التي تتوفر فيها الخدمات الحضارية المتنوعة، وهذا التغير بين القديم والحديث مجال مهم وجيد لإنجاز بعض الدراسات العلمية .

(٤) أشرت إلى مناخ البلاد (سراة وتهامة) باختصار، وهناك كتب وبحوث فصلت الحديث في هذا الباب، وحياة الناس اليوم وتكيفهم مع التضاريس والمناخ تختلف عن حياة الأوائل. فصعوبة الحياة وقساوتها في الماضي تجعل الإنسان يعاني ويواجه صعوبات كثيرة مع جغرافية الأرض، أما اليوم فقد لعبت التنمية

مـا من شـك أن جغرافية البلاد حدث لها العديد مـن التبدلات في وقتنا الحاضر، فالبعض من هذه التحـولات من صنع البشـر، والتطور العمـراني والتنموي الحكومي والأهلـي، والخاص والعام في شتـى المجالات من الأسباب الرئيسيـة التي أثرت على شكل الأرض وتراجع غطائها النباتي، ونقص المياه، وتدهور الثروة النباتية والحيوانية، وأحياناً انقراض بعض الكائنات والحياة الفطرية. وهناك معوقات طبيعية أخرى مثل اتساع رقعة التصحـر، ونقص المياه الجوفيـة، وأحياناً عدم سقـوط الأمطار، وارتفـاع نسبة التلوث، وظهور بعض الأمراض البيئية، وكل هذه المشاكل أثرت سلباً على جغرافية البلاد[1].

(*) مما عصرته وعرفته خلال العقود الستة الماضية (١٣٨٥ـ ١٤٤٥هـ/ ١٩٦٥ - ٢٠٢٤م)، والذي لاحظته خلال رحلاتي الأخيرة في تهامة والسراة (١٤٣٠ـ ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٩ـ ٢٠٢٥م)، خرجت بالعديد من الملاحظات، وأرصد بعضها في النقاط الآتية:

أ. كانـت الطبيعـة بجميع معالمها (جبالهـا، ووهادها، وأوديتهـا، وسهولها، وهضابها) مليئـة بجميـع الأشجـار والنباتـات الصغـيرة والكبـيرة، ويعيشـ في أكنافها مئات الكائنات الحية، من حيوانات برية، وزواحف، وطيور وغيرها. وفي الوقت نفسه كانت الأمطـار تسقط بكميات كبـيرة، مما جعل موارد المياه المتنوعة موجودة في كل مكان. وكان الإنسـان مؤثـراً إيجابياً في البلاد مـع وجود الجمال والازدهـار الطبيعي، فهو يرعـى ويحافظ على مكونـات الطبيعة، ويعمل بكل جد واجتهـاد في استزراع الأرض بجميع المحاصيل الزراعية طوال العام. وأثناء سيري في أرجاء البلاد خلال العقدين الأخيرين رأيت كل الذي عاصرته حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) قد تلاشى، ولم أعد أرى منه أي شيء، فالكثير من الحيوانات البرية انقرضت والذي مازال منها حيا اختفت. وظهرت الأمراض الكثيرة التي أصابت التربة، والأشجار، والمياه، وخيم الجفاف على معظم البلاد. وتراجع اهتمام الإنسان بالطبيعة والحفاظ عليها .

ب ـ أدركت الدولة هذا التراجع الجغرافي، والذي حصل في بلاد السروات وتهامة جزء صغير من التدهور البيئي الذي تعيشه أجزاء المملكة العربية السعودية وغيرها من بلدان العالم، عندئذ بذلت الحكومة من خلال مؤسساتها الرسمية المعنية بالطبيعة علـى إصدار الأنظمة والقوانـين ذات الصلة بالبيئة والحيـاة الفطرية، واجتهدت

الحديثـة أدواراً إيجابيـة كبيرة، حتى أصبح عموم السـكان (تهامة وسراة) يعيشون في سهولة ويسر، ولم تعد أحوال الجو وتقلباته، أو صعوبة التضاريس ووعورتها تشكل مشكلة كبيرة كما كانت عند السابقين.

(١) هـذا الذي قرأته وشاهدته من تسعينيات القرن الهجري الماضـي إلى الآن (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م). ومثل هذه الجوانـب تستحـق أن يصدر عنها بحوثاً علمية والجامعات المحلية ومراكز البحوث المتخصصة هي المعنية بدراسة هذه الظواهر مع الخروج بنتائج وتوصيات تساعد في حماية البيئة والطبيعة بجميع مكوناتها .

بعض الوزارات والجامعات والكليات والأقسام الأكاديمية على عقد الدورات والندوات وورش العمل التي تساعد في صيانة وحماية جغرافية البلاد، وبالتالي صار هناك الكثير من المحميات الطبيعية، بل نجد في رؤية المملكة (٢٠٣٠) إنشاء محميات ملكية من أجل الحفاظ على الطبيعة وما تحتوي عليه من كائنات نباتية، وحيوانية، وجغرافية.

ج - إن الإنسان المحور الرئيسي في تطوير البيئة الجغرافية والحفاظ عليها، وأحياناً يكون من عوامل الهدم والخراب، لهذا يجب على مؤسسات التربية والتعليم، والإعلام، وكل جهة رسمية أو أهلية تستطيع أن تقدم خدمات توعوية وإرشادية للناس وأن تبذل قصارى جهودها في نشر الوعي والتوجيه الإيجابيين لجميع شرائح المجتمع حتى يكونوا أعضاء نافعين مفيدين صالحين لبلادهم بيئياً وطبيعياً. وإذا حصل ذلك فقد تساعد هذه الجهود في إعادة الوهج والازدهار لأرضنا جغرافياً[١].

٢- الجغرافيا البشرية :

(*) وثقت في بحوثي ومؤلفاتي التي صدرت خلال العقود الأربعة الماضية صفحات عديدة ومتفرقة عن التركيبة الجغرافية في أوطان تهامة والسراة[٢]، وفي هذه الورقات أرصد شيئًا مما عرفته، وتوصلت إليه من خلال قراءتي وحياتي في أرض السروات وتهامة، وأذكر شيئاً من ذلك في الفقرات التالية :

أ - المكتوب في كتب الأنساب وغيرها من المصادر المتقدمة أن سكان تهامة والسروات قبائل عربية أصيلة، ومعظمهم من أصول يمنية قحطانية، ومنهم نسبة ليست قليلة مضرية عدنانية[٣]، وكل ناحية أو منطقة بشكل مستقل تستحق أن تدرس في بعض الدراسات والكتب العلمية[٤]. مع أن مؤلفات التراث الإسلامي أوردت معلومات متفرقة وأحياناً

(١) لا ننكر أن بلاد تهامة والسراة مازالت من أفضل بلدان المملكة العربية السعودية من حيث جمال طبيعتها، لكنه أصابها الكثير من التدهور والتراجع، ونأمل أن نراها تعود إلى جمال طبيعتها الذي عاصرناه وعرفناه خلال العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي.

(٢) للمزيد انظر بعض الكتب، وعشرات البحوث والمقالات المطبوعة والمنشورة ورقيًا،ورقميًا ويتخللها شروحات، وتحليلات، ومقترحات عن التاريخ الجغرافي والاجتماعي لبلاد السروات وتهامة منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ومازال موضوع السكان وحياتهم عبر أطوار التاريخ يستحق مزيداً من الدراسات الجيدة والعميقة.

(٣) هذا الذي نجده مكتوباً في كثير من المصادر العربية والإسلامية المبكرة، لكن مازلنا نجهل أموراً كثيرة عن أصول وأنساب هذه القبائل والعشائر في العصرين القديم والحديث.

(٤) هذا الذي نأمله ونتطلع إليه، مع أن الوصول إلى مادة علمية صحيحة وحقيقة في هذا الباب ليس سهلاً، واطلعت على بعض الدراسات الحديثة التي درست أنساب بعض القبائل أو البلدان مع استخدام علم

متضاربة عن أصول قبائل تهامة والسراة، وحسب علمي حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، فلا يوجد دراسة دقيقة وصحيحة عن أنساب سكان هذه البلاد، مع أن هناك اجتهادات بحثية متفاوتة في الأهداف، والتحليلات، والخلاصات والنتائج[١].

ب - نجد كتب الأنساب القديمة تذكر أسماء قبائل كبيرة عاشت في جنوب، ووسط، وغرب شبه الجزيرة العربية، مثل قبائل كنانة، وهوازن، وهذيل، وغطفان، وخثعم، وبجيلة، ومذحج، وقضاعة، والأزد، وحمير، وهمدان، ونهد، وحرب، وتميم وغيرها[٢]. وكل قبيلة كان لها تاريخ وصولات وجولات سياسية وحضارية قبل الإسلام وبعده[٣]. ومع مرور الزمن تكاثرت وتفرعت القبيلة الواحدة إلى فروع أخرى عديدة، وفي الوقت نفسه تراجع أو اختفى الاسم الأول والرئيسي للقبيلة، وظهر على الساحة أسماء قبائل وعشائر من أبناء أو أحفاد تلك القبائل القديمة والكبيرة[٤].

ج - تجولت في أنحاء مناطق جازان، ونجران، وعسير، والباحة (غامد وزهران)، وذهبت إلى بلدان بيشة، ورنية، وتربة، والطائف، ومكة المكرمة، والليث، والقنفذة. وجمعت مواد علمية جيدة عن أسماء القبائل، والعشائر، والفخوذ في هذه البلاد، واطلعت على عشرات الدراسات والتقيت بالمئات من الرواة الذين حدثوني عن التاريخ والأنساب في هذه الأوطان، واتضح لي أن معظم القبائل والعشائر الحديثة التي تعيش في عموم السروات وتهامة (من جدة والطائف ومكة المكرمة إلى نجران وصعدة وجازان. ومن ساحل البحر الأحمر الشرقي إلى بوادي تربة ورنية وبيشة

الوراثة (DNA) أو المتحور الجيني (Genetic Variant)، وذكر بعض أصحابها أقوالاً قطعية من وجهة نظرهم، لكنها مازالت غير دقيقة، ولم تصل إلى نتائج حقيقية ودقيقة ومقنعة.

(١) قرأت وبحثت في الكثير من المكتبات العربية والأجنبية، ووجدت الكثير من كتب التاريخ والأنساب القديمة والحديثة، وفيها توثيقات متباينة في أحجام مادتها العلمية، ونسبة المصداقية فيها، ولا تخلو بعضها من تحليلات جيدة عن أصول قبائل السروات وتهامة، لكنها مازالت غير مكتملة، وتحتاج مزيداً من البحث الجاد والعميق. كما أنني اطلعت على بحوث ومراجع متأخرة، وفيها الكثير من الخلط، واعتمد أصحابها على بعض الروايات والمقابلات الضعيفة، وإذا وضعت هذه الأعمال تحت محك النقد العلمي الجاد، فلن تصمد لهشاشة محتواها.

(٢) يوجد الكثير من المصادر والمادة العلمية المكتوبة عن هذه القبائل قبل الإسلام وبعده، وصدر عن بعضها مؤلفات ورسائل جامعية حديثة. ومازالت جميع قبائل شبه الجزيرة العربية القديمة تستحق مزيداً من البحث والدراسة والتحليل.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) من يتجول في أرجاء شبه الجزيرة العربية، أو البلاد العربية والإسلامية فسوف يجد الكثير من القبائل، والعشائر، والبطون، والأفخاذ، والأسر التي تعود أصولها إلى القبائل العربية القديمة والمذكور بعضها في المتن من هذه الورقة. ومثل هذا الموضوع مازال بحاجة إلى دراسات علمية توثيقية تحليلية جادة.

وتثليث وما جاورها (شرق سروات قحطان) تعود في أصولها إلى معظم القبائل العربية الكبيرة والقديمة، وقد أشرت إلى بعضها في سطور سابقة. فمثلاً قبائل قحطان أو شهران الحديثة ترجع معظمها إلى قبيلتي مذحج وخثعم. وقبائل غامد وزهران، ورجال الحجر (بنو شهر، وبنو عمرو، وبنو الأسمر، وبنو الاحمر)، وبارق، وألمع يعودون جميعهم في قبيلة الأزد. وقبائل أخرى عديدة في بيشة، ورنية والطائف وغيرها تعود إلى بعض القبائل الرئيسية العدنانية مثل هوازن وهذيل. ومن يسير في ديار تهامة (سهولها وسواحلها) من مكة المكرمة إلى جازان يجد أن الكثير من سكانها في الوقت الحاضر يعودون في أصولهم العليا إلى قبيلة كنانة، وهناك عشائر وقبائل أخرى ترجع إلى بعض القبائل العربية اليمانية القديمة مثل الأزد، ومذحج، وخولان، وحمير، وكهلان وغيرها [١].

د ـ إن القبائل التي نعرفها وتسكن اليوم بلدان ومناطق تهامة والسراة قديمة جداً، ومعظمها إن لم تكن كلها تستوطن مستوطناتها الحالية منذ عصور قديمة قبل الإسلام، لكننا لا نعرف المراحل التي مرت بها وتشكلت من خلالها، مع أن هناك بعض المؤلفات القديمة والمتأخرة أوردت بعض الشروحات عن بعض القبائل منذ خروجها من اليمن أو الحجاز واستقرارها في مناطق مختلفة من السروات وتهامة، وإذا كان ما تم الإشارة إليه صحيحاً، لكننا مازلنا لا نعرف تفاصيل تلك الهجرات حتى الاستقرار في مواطنها الحالية. ونجد بعض المصادر الإسلامية تذكر أسماء العديد من القبائل والعشائر التي دخلت الإسلام في عهد الرسول (ﷺ)، وكذلك خروج الكثير من السرويين والتهاميين إلى الحجاز، أو إلى الأمصار والمدن العربية والإسلامية في شرق العالم الإسلامي وغربه خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة (ق١ـ ق١٤هـ/ ق٧ـ ق٢١م) [٢].

(١) هذه إشارات عامة عن أصول قبائل السروات وتهامة، مع أن هذا الموضع يكتب عنه مئات الكتب والبحوث العلمية، والكتابة في علم الأنساب من أصعب الموضوعات. وأقرا وأسمع وأشاهد منذ خمسين عاماً بعض القراء والكُتّاب والدارسين الذين يكتبون بعض البحوث في هذا المجال، مع أن معظمهم لا يجيدون البحث والكتابة في هذا الفن العلمي والمعرفي. ويجب على من يدرس ويبحث في هذا الجانب أن يجتهد ويحتاط ويتأكد مما يدرس ويوثق لصعوبة الوصول إلى العلم الصحيح والحقيقي، وغالباً يكون الوصول إلى هذه النتيجة صعب ومعقد.

(٢) مازالت تواريخ قبائل السروات وتهامة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط غامضة وغير مدروسة، إلا أنها كانت صاحبة الهيمنة والسيطرة الكاملة على بلادها، ولم تكن تحت حكومةٍ أو سلطة عامة، مع أن بعض القوى السياسية في الحجاز، أو في الشام، أو في العراق، أو في مصر، وأحياناً في اليمن كانت على علاقات سياسية وإدارية ضعيفة مع أهل تهامة والسراة. ويبدو أن القبائل المحلية كانت تعيش حياة مستقلة عن بعضها البعض، وكان بينها اتفاقيات وأحلاف لخدمة مصالحها والدفاع عنها، ولا تخلو البلاد من صراعات قبلية متتالية، وكان الناس يتكيفون مع ظروفهم وطبيعة أرضهم، ولا يرغبون أن تحكم بلادهم بغيرهم، ولا يزال تاريخهم السياسي والحضاري غير معروف، وليس هناك مصادر حقيقية توضح هذا الجانب.

(※) وصل إلى بلاد السروات وتهامة قوى سياسية داخلية وخارجية خلال القرنين (١٣ــ ١٤هـ/ ١٩ــ ٢٠م)[١]، ومازالت القبائل (سكان البلاد الأصليين) تعيش في أوطانها. وهناك العديد من العوامل التي أثرت على التركيبة البشرية، أذكر بعضها في النقاط التالية:

١- ضعف الأمن في البلاد، وكثرة الحروب القبلية، أو الصراعات مع الجيوش العثمانية، أو الخلافات والصدمات الداخلية بين بعض الإمارات والحكومات في تهامة والسراة، أو في اليمن والحجاز وبخاصة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) جعل سكان القبائل من أهل السراة وتهامة يتمسكون بالبقاء في أرضهم والدفاع عنها، وأحيانا يتحالفون في محاربة كل ما يهدد بلادهم داخلياً أو خارجيا، لكن الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية تفرض على بعضهم الانتقال من مكان لآخر في هيئة أفراد أو مجموعات بحثاً عن الأمن والاستقرار، وتوفر الأرزاق والبحث عن حياة أفضل، وقد تكون الهجرة في محيط بلاد تهامة والسراة، وأحياناً داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها[٢].

٢- نجد خلال التاريخ المذكور في النقطة السابقة أن عناصر بشرية عديدة جاءت إلى أرض تهامة والسراة، ومنهم من كان في هيئة رقيق، أو جاءوا لظروف سياسية وعسكرية، أو اقتصادية، أو علمية واجتماعية وثقافية وفكرية. وبعضهم أقاموا بشكل دائم، ومازال لهم أبناء وأحفاد حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وآخرون مكثوا في مواضع عديدة من السروات وتهامة حتى انتهت أعمالهم، أو الأسباب التي جاءوا من أجلها، ثم غادروا ولم يعودوا[٣].

---

(١) يوجد عشرات الكتب والبحوث التي أرخت للحياة السياسية في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين الماضيين. وكانت الدولة العثمانية وبعض الإمارات المحلية قد ظهرت في بلاد تهامة والسراة، وأخيراً دخلت هذه البلاد تحت نفوذ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومازالت تنعم بالأمن والاستقرار تحت مظلة الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعودية) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م).

(٢) إن المعلومات الموثقة في المتن خلاصة مئات الوثائق وبعض المصادر والمراجع التي فصلت الحديث عن الحياة السياسية والحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية من القرن(١٢هـ/١٨م) إلى العقود الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م) . وقد وجدنا بعض السرويين والتهاميين خرجوا من قبائلهم الرئيسية إلى بلدان أخرى في السراة وتهامة واستقروا فيها، وصار بعضهم من أعيان ووجهاء تلك البلاد الجديدة، ومنهم من خرج إلى مدن اليمن ، أو الحجاز، أو نجد. وأيضاً أفراد أو مجموعات هاجروا إلى بلدان أخرى في قارتي إفريقيا وآسيا مثل الشام، ومصر، والأستانة، والسودان، والحبشة، والهند وغيرها. ومازال بعضهم يعيشون في تلك الأوطان إلى الوقت الحاضر. كل هذه المحاور لا نجد عنها دراسات علمية مستقلة ، آمل أن نرى باحثين يتولون خدمتها علميًا وبحثيًا وتوثيقيًا.

(٣) من يعمل على جمع مادة علمية في هذه النقاط ، فسوف يجد الكثير من المصادر المنشورة وغير المنشورة،

٣- صارت البلاد جزءاً من المملكة العربية السعودية، وبقيت القبائل التهامية والسروية مالكة لأوطانها، لكن الظروف السياسية والإدارية التي تعيشها الدولة السعودية الحديثة أفرزت الكثير من التغيرات في التركيبة البشرية ، وأرصد شيئاً من هذه التحولات في المحاور الآتية:

أ- جاء إلى البلاد أثناء مرحلة التوحيد الكثير من البشر الذين أصولهم من الحجاز، ونجد، أو من بلدان أخرى عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وكان لهم الكثير من الإسهامات العسكرية والسياسية، والإدارية والمالية، والعلمية والتعليمية، والاقتصادية والاجتماعية، وأكثرهم غادروا البلاد بعد انتهاء مهماتهم، لكنهم آثروا وتأثروا أثناء إقامتهم بين السكان التهاميين والسرويين [١].

ب- إن التاريخ الحضاري التنموي الذي تعيشه المملكة العربية السعودية من عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) جعل التركيبة البشرية في أي مكان تتغير، وتختلف عن القرون والعصور السابقة. وإذا أخذنا أراضي تهامة والسراة أنموذجاً وجدنا التطور المادي والإنساني والحضاري الذي عرفته وعاصرته هذه الديار يتوسع رأسياً وأفقياً. فالقبائل الموجودة في هذه البلاد مازالت تستوطن أماكنها، وتحمل نفس المسميات التي عُرفت بها منذ مئات السنين، لكن الازدهار الذي تعيشه البلاد جعل أبناء وبنات القبائل يتطورون ماديًا ومعنويًا، وصاروا مواطنين يعملون ويتعلمون ويساهمون في بناء بلدهم (المملكة العربية السعودية) سواءً في مناطق جنوب المملكة (عسير، وجازان، ونجران، والباحة)، أو في أنحاء البلاد السعودية، وفي شتى المجالات السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والتعليمية، والإعلامية والتقنية وغيرها [٢]. ثم إن تعمير الأرض في جنوب المملكة دفع أهل البلاد إلى جلب الأيدي العاملة الوطنية والوافدة من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية.

وقد يجد قصصاً وروايات شفهية متنوعة في هذا الباب . وأوصي بدراسة هذه الشرائح الاجتماعية من القرن الثاني عشر الهجري إلى بدايات القرن (١٤هـ/١٩م)، وهذا الجانب من الموضوعات الجديدة التي تستحق العناية العلمية والبحثية

(١) إن دراسة هذا الجانب التاريخي يطلعنا على صفحة من التاريخ الإنساني الحضاري الذي عاشته أوطان تهامة والسراة من عام (١٣٤٠-١٣٧٥هـ/ ١٩٢١-١٩٥٥م) ، آمل أن نرى باحثاً جاداً يتخذه موضوعاً لبحث أو رسالة جامعية.

(٢) إن إسهامات أهل السروات وتهامة في بناء وخدمة وطنهم (المملكة العربية السعودية) في شتى المجالات من عام (١٣٤٠-١٤٤٧هـ/١٩٢١- ٢٠٢٥م) موضوع لم يخدم علميًا وبحثيًا في بلادهم السروات وتهامة، ولا في أرجاء المملكة وأحياناً في الخارج. آمل أن يجد هذا الميدان اهتماماً علمياً وبحثيًا جادًا من المؤرخات والمؤرخين السرويين والتهاميين، ومن الجامعات المحلية ومراكز بحوثها وأقسامها الأكاديمية.

ومما رأيته خلال الستـين عاماً الأخيرة (١٣٨٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٦٥ـ٢٠٢٥م) أن حواضـر، ومدن، ومناطـق تهامة والسراة امتلأت بالكـوادر البشرية الداخلية والخارجيـة، وجميعهم يساهمـون ويعملون في مجـالات وأنشطة كثيرة رسمية وأهليـة ، مدنيـة وعسكرية، عامـة وخاصة، وصـاروا يشكلـون نسبة كبيرة في التركيبة البشرية، وحدث تداخلات وتأثيرات متبادلة بين أهل البلاد الأصليين، وبين جميع الفئات والشرائح المجتمعية التي جاءت إلى ديار تهامة والسراة من داخل المملكة وخارجها[١].

ج- زرت بعض حواضر ومـدن وأرياف عسير، وجـازان، والباحة ، ونجران خلال العامين الأخيرين (١٤٤٥ـ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٣-٢٠٢٤م)، ورأيت بعض التغيرات في تركيبـة المجتمـع، فالكثير مـن الزوار السيـاح العرب والمسلمـين والأجانب وصلوا إلى أمكنة عديدة وكثيرة في هذه الديار، واحتكوا بأهل البلاد في مجالات عديدة. وأهل السراة وتهامة صاروا أكثر انفتاحًا على الغير، فتراهم يسافرون إلى أمكنـة كثيرة داخل المملكة وخارجهـا، وأصبح هناك مصاهرات وزواجات كثـيرة ومتعـددة بين أهل البـلاد وغيرهم. وما مـن شك أن وسائـل التواصل الاجتماعـي والتوسـع في استخدام التقنيـة أثر وزاد نسبة الحـراك المجتمعي المحلي، والإقليمي، والعالمي. وقد نرى في قادم الأيام ، مع دخول تقنيات حديثة ومتطورة تحولات وتداخلات سكانية ومجتمعية كثيرة ومتنوعة[٢].

ثانياً: الحياة السياسية، والدينية والدعوية:

١ـ لمحة عن التاريخ السياسي في تهامة والسراة قبل الإسلام وبعده:

كانـت شبـه الجزيرة العربية ميدانـاً للعديد من الـدول والأمم القديمة، وظهر في جنوبهـا بعض الممالك اليمنية مثل: سبأ، وحضرموت، وقتبان، ومعين، وحمير. وكان في الحجاز (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة) بعض القبائل التي سادت وحكمت البلاد أزمنة

(١) إن قدوم الموظفين السعوديين وغير السعوديين إلى مناطق جنوب البلاد السعودية من عام (١٣٥٠ـ١٤٤٦هـ/١٩٣١ـ٢٠٢٥م)، وما قدموا من خدمـات وإسهامات للبلاد والعباد، ودورهم في بناء الدولة السعودية الحديثـة لا يوجد عن هذه النقاط دراسات علمية عميقـة، وتعد من الموضوعات المهمة والجديدة الجديرة بالبحث العلمي العميق والجاد.

(٢) لقـد اختصـرت في الكتابة عن طبقات المجتمع والجغرافيا البشرية عن بلاد شاسعة ومتنوعة في حضارتها وتضاريسهـا. ومـازال هذا البـاب يستحق دراسات علميـة نوعية، وآمل أن يتحقق ذلك عـن طريق أبنائنا وبناتنـا الباحثـات والباحثين. وعلى مؤسساتنـا العلمية الأكاديمية أن تدعم وتشجـع الدراسات الإنسانية العلميـة المحليـة، وبلادنـا (تهامة والسراة) مجال جديـد ومهم وكبير لمن اجتهد وعمـل وبحث عن تراث وتاريخ وموروث وحضارة هذه الديار العريقة.

عديدة، وبلاد السراة وتهامة لم تكن خالية من الاستيطان، لكننا لا نجد مصادر مكتوبة تشرح لنا طبيعة الأرض والسكان في العصور القديمة، ويبدو أن هناك صلات تاريخية وحضارية للحكومات اليمنية القديمة، والقبائل الحجازية مع أهل تهامة والسراة[١].

نزل القرآن الكريم على الرسول (ﷺ) في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية. وتوضح مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي كيف وصل الدين الإسلامي إلى قبائل السروات وتهامة، ولم ينته عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) إلا جميع سكان جنوب شبه الجزيرة العربية يدينون بدين الإسلام ، وبعضهم خرجوا من أوطانهم واستقروا في بلدان أخرى عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها[٢].

٢- الأرض والسكان مع الإسلام من القرن (١-١٤هـ/ق٧-٢٠م):

هذا العنوان المذكور في هذا المحور كبير جداً ويكتب عنه مئات الصفحات لاتساع المساحة الجغرافية ، وطول الفترة الزمنية، لكنني أدون نقاط رئيسية في هذا الباب لعلها تكون منارات عامة يهتدي بها بعض المؤرخين والباحثين الجادين فيدرسون ويوثقون جزئيات مهمة من تاريخ وحضارة هذه البلاد.

أ- أصبحت السروات وتهامة جزء من كيان الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وتذكر بعض المصادر العديد من الولاة والدعاة الأوائل الذين ذهبوا إلى أرض تهامة والسراة من أجل ضبط البلاد ، وتوجيه الناس وتوعيتهم في أمور دينهم[٣].

ب - خرجت الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة، ثم استقرت في بلاد الشام خلال عصر الدولة الأموية حتى عام (١٣٢هـ/٧٤٩م) . وفي هذه الفترة أصبحت حواضر شبه الجزيرة العربية ولايات ثانوية تابعة للخلافة الأموية

(١) زرت عشرات المكتبات العربية والإسلامية والأجنبية، واجتهدت في البحث عن كتب ومصادر تشتمل على شيء من تاريخ السروات وتهامة قبل الإسلام، لكنني لم أعثر على شيء يوضح لي حياة الناس في هذه البلاد، ووجدت مصادر عديدة عن تاريخ الحجاز واليمن القديم، وفيها إشارات قليلة لبعض المواضع في السراة وتهامة.

(٢) يوجد مئات الكتب والبحوث المتقدمة والمتأخرة التي فصلت الحديث عن انتشار الإسلام في جنوب شبه الجزيرة العربية من الطائف وجنوب مكة المكرمة إلى أقصى اليمن. وذكرت بعض الشذرات عن تاريخ التهاميين والسرويين في عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين، ومازال هذا الموضوع يستحق مزيداً من الدراسة والبحث والتأصيل، ولو دُرست الآثار والنقوش والرسومات الصخرية فقد يظهر لنا من خلالها مادة علمية جديدة تعكس صفحات من تاريخ البلاد خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الهجري الأول.

(٣) آمل أن نرى مؤرخين محليين جادين يدرسون التاريخ السياسي والديني والدعوي في تهامة والسراة خلال عصري الرسالة والخلافة الراشدة . وهذا الموضوع يستحق أن يصدر في كتاب علمي أو رسالة جامعية .

في دمشـق، وصـارت الحجاز من البلـدان الرئيسية التي يقيم فيهـا ولاة بني أمية ،وأحيانـاً يمتـد نفوذ بعضهـم الإداري على الحجاز، ونجـد، واليمن. وخلال تلك الفـترة لا نجـد ذكراً كثيراً لأوطان تهامـة والسـراة، إلا أن والي مكة المكرمة كان يرسـل أحياناً من قبله مـن يذهب إلى مدن أو مواضع معينـة في السروات وتهامة لإنجـاز بعض الأعمال الإداريـة والمالية والأمنية. ولا تفصـح المصادر المبكرة عن حياة الناس وأنشطتهم المختلفة، لكنهم جميعاً يدينون بالدين الإسلامي، ولا تخلو بعض الأماكن من فئات تعتنق الديانة اليهودية أو النصرانية[١].

ج- اتسـع العـالم الإسلامـي في عصـر بنـي أميـة وبدايـات العصـر العباسـي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)، وخرج الكثير من السرويين والتهاميين من بلادهم واستقروا في أمصار، ومدن، وحواضر كثيرة في انحاء العالم الإسلامي[٢]. وبدأت الحيـاة السياسية عند المسلمين تتشعب وتتفرق خـلال العصر الإسلامي الوسيط (ق٣-٩هـ/ق٩-١٥م). وإذا درسنـا أحوال الجزيرة العربيـة السياسية والإدارية والدينيـة، نجد ظهور العديـد من القوى والدويلات المتحاربـة والمتنافسة سياسياً وعسكرياً، وفي الوقـت نفسه ظهرت بعض الفرق الدينية كالزيدية، والإسماعيلية، والصوفيـة، والخوارج، بالإضافة إلى أهل السنـة والجماعة الذين يمثلون النسبة الكبرى في مجتمع شبه الجزيرة العربية. وجميع هذه التيارات الدينية والسياسية كانت على تواصل مستمر بمن يدعمهم ويغذيهم سياسياً وعقائدياً خارج الجزيرة العربيـة[٣]. وإذا بحثنا عن تاريخ تهامة والسـراة الواقعة بين اليمن والحجاز فلا نجـد مصادر توضح لنـا تاريخ الناس في هـذه البلاد، اللهم إلا بعضـ الإشارات القليلة التي تذكر صلات سياسية وعسكرية وحضارية بين جازان ونجران مع بعض

---

(١) نجد ذكراً جيداً عن تاريخ اليمن والحجاز خلال العصر الأموي، وبعض الإشارات المحدودة والناقصة عن جزئيـات من حياة السرويين والتهاميين. وتاريخ وحضارة السروات وتهامة في العصر الأموي موضوع مهم وجديد لمن يستطيع دراسته وتوثيقه في أعمال علمية جادة ورصينة.

(٢) حبـذا أن نرى باحثين يدرسون هجـرة التهاميين والسرويين إلى خارج شبه الجزيرة العربية خلال العصر العباسي، وأدوارهم الحضارية في البلدان التي هاجروا إليها واستقروا فيها.

(٣) لا يمكن دراسة التاريخ السياسي والديني داخل شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي الوسيط دون أن تدرس أحوال العالم الإسلامي وبخاصة في العراق وفارس، والشام، ومصر وشمال إفريقيا وغيرها، لأن هناك تواصل كبير وقوي بين الحكومات الكبيرة الموجودة هناك وبين سكان الجزيرة العربية وبخاصة بلاد اليمـن والحجـاز. كما أن الدويلات والإمارات الموجودة داخل شبه الجزيـرة العربية لها تاريخ حربي كبير وطويل، وكانت العقائد الدينية لاعباً رئيسياً في تلك الحروب، وبلاد اليمن تأتي في المقدمة لتعدد الدويلات التـي ظهرت فيها، وتنوع الصراعات الدينيـة والسياسية وما نتج عنها من آثار سلبية وإيجابية على البلاد والعبـاد. وقـد صدر مئات الكتـب والدراسات القديمة والحديثة التي فصلـت الحديث عن تاريخ اليمن في العصر الإسلامي الوسيط، وكيف كانت الصلات بين اليمن وغيرها داخل الجزيرة العربية وخارجها.

الحكومات في اليمن ، أو صلات مكة المكرمة مع أهل الطائف، وأحياناً نجد ذكراً طفيفاً عن بعض موانئ البحر الأحمر الشرقية من جدة إلى الحديدة وعدن[١]. والمتأمل في أحوال هذه الديار، والذاهب في أجزائها يشاهد ويعرف أنها أراضي وعرة في جغرافيتها، وهذا مما جعل أهلها منطوين ومتقوقعين على أنفسهم، ولا يفضلون التواصل مع الآخرين ولا يسمحون لأي قوة خارجية أن تسيطر على بلادهم، بل كل قبيلة تحكم أرضها، وهذا ما أشار إليه بعض الرحالة المسلمين الأوائل مثل ناصر خسرو، وابن جبير، وابن المجاور، وابن بطوطة وغيرهم[٢]. وإذا بحثنا في عقائد أهل البلاد، وجدناها صافية إلى حد كبير ومعظمهم على المذهب الشافعي، ولا تخلو مجتمعاتهم من يوالي بعض المذاهب الشيعية الأخرى كالزيدية والإسماعيلية، وكذلك الصوفية في بعض الأماكن، بالإضافة إلى أفراد أو مجموعات قليلة من اليهود والنصارى[٣]. وكان للجهل والأمية دور كبير في وقوع أعداد ليست قليلة في بعض الأخطاء الشركية والعقائدية، ولم تكن الحياة العلمية والثقافية خلال العصر الإسلامي الوسيط جيدة[٤].

د- في العصر الحديث (ق١٠- ق١٤هـ/ق١٦-٢٠م)، انتهى العصر الإسلامي الوسيط، وظهرت الدولة العثمانية السنية الحنفية التي مدت نفوذها إلى بلدان عديدة في قارات آسيا، وإفريقيا، وأوربا. ودخلت أرض اليمن والحجاز تحت حكمها من القرن العاشر الهجري، وجرى لها حروب وصراعات مع بعض الإمارات المحلية في اليمن ونجد، والحجاز والسروات وتهامة، بالإضافة إلى القوى الغربية الاستعمارية كالبرتغاليين، والهولنديين ،والإسبان، والإنجليز، والإيطاليين،

---

(١) كل النقاط المذكورة في المتن مازالت بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل، وهذه مسؤولية أصحاب الاختصاص من المؤرخين والآثاريين .

(٢) من يعود إلى مؤلفات هؤلاء الرحالة يجدها تحتوي على معلومات مختصرة تؤكد على تقوقع أهل تهامة والسراة على أنفسهم، وسيطرة القبائل على بلادها، وكثرت الحروب والصراعات بين تلك القبائل والعشائر.

(٣) إنني أكتب تاريخ منطقة كبيرة تمتد من جازان ونجران إلى الطائف ومكة المكرمة، ومن رنية، وبيشة، وتثليث إلى سواحل البحر الأحمر الشرقية. وهذه البلاد بقيت أفضل من غيرها في الجزيرة العربية من حيث صفاء العقيدة، لكن انتشار الجهل والأمية، ووجود العديد من التيارات والعقائد في بلاد اليمن، كل هذا أثر سلباً على حياة السكان الدينية. أما الحياة السياسية فالطابع البدوي القبلي كان السائد في أرجاء البلاد. وهذه الموضوعات مازالت غير مدروسة دراسات علمية مطولة وتحليلية وتفصيلية .

(٤) هذا الذي اتضح لي من خلال اطلاعي على مئات المصادر والمراجع، وربما منطقة جازان، وبلاد الطائف كانت أحسن من غيرها، فهناك الكثير من المخطوطات والمؤلفات التي أشارت إلى أنشطة علمية ومعرفية وثقافية جيدة، ولا نعرف شيئاً عن البلدان الداخلية، ولا نجد مادة علمية مكتوبة عن حياتهم الحضارية والعلمية والمعرفية.

والفرنسيين وغيرهم[١]. ونجد أرض تهامة والسراة بقيت تُحكم من خلال قبائلها حتــى ظهور الدولة السعودية الأولى التي مدت نفوذها إلى معظم مناطق السروات وتهامــة، وجلبت معهــا مبادئ الدعــوة السلفية الإصلاحية التــي انتشرت بسهولة بــين السرويــين والتهاميين، والــذي ساعد على ذلــك عدم وجود تيــارات وعقائد باطلــة بين النــاس، بل كانوا، كما ذكــرت سابقاً، أصحاب معتقــدات صافية حتى وإن انتشــرت الأمية والجهل بينهم، وقد جــاءت جيوش الدولة العثمانية إلى عموم تهامــة والسراة خــلال القرن (١٣هـ/١٩م)، وجرى بينها وبــين أهل البلاد حروبٍ كبيرة وطاحنة، واستطاعت أن تحكم البلاد حوالي خمسة عقود، ولم تبذل جهوداً كبــيرة في خدمة الأرض والناس حضارياً وتحسين أوضاعهم، وكانت أحوال البلاد الأمنيــة والسياسيــة هشة وضعيفــة، ولا تخلو الديــار من أنشطــة علمية ومعرفية ودينيــة لكنها لم تكــن ذا أثر كبير في تطوير أحوال الســكان، ومع هذا استمر أهل البــلاد على صلاح معتقداتهم، وعدم تأثرهم بالتيــارات الدينية العاتية والبعيدة عن منهــج الحق والوسطية. ومازلت أدعوا وأنــادي معاشر المؤرخين المنصفين أن يدرســوا أحوال أهل الســراة وتهامة الدينية والعقائدية مــن القرن الهجري الأول إلى أربعينيــات القــرن (١٤هـ/٢٠م) وسوف يجدون أنهــم كانوا على درجة كبيرة من الاعتدال والاتزان والصفاء في عباداتهم ومناشطهم الشرعية والدينية، وإذا وجــد فيهم أو بينهــم من انحرف عن المنهج الصواب فذلــك نتيجة للجهل، وعدم وجــود المحاضن العلمية والمعرفيــة التي تصلح وتوجه إعوجاجهــم وترشدهم إلى ممارسة وتطبيق الشرائع والعبادات الصحيحة[٢].

٣ـ شذرات من الحياة الدينية والدعوية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي:

دخلــت بلاد السروات وتهامة تحت نفوذ الدولة السعودية الحديثة (المملكة العربية السعوديــة)، ومــن يدرس مبــادئ ومنهج هــذه الحكومة الحديثــة ومؤسسهــا الإمام

---

(١) هنــاك الكثير من الكتابات العربية، والعثمانية، والأجنبية التي أرخت للدولة العثمانية. ومنها التي هاجمت وتجنــت على تاريخ هذه الإمبراطورية الإسلامية، وآخــرون كتبوا سلبياتها، وفريق ثالث اجتهدوا في إبراز إيجابياتهــا. وهــي في الحقيقة دولــة إسلامية لها سلبيــات وإيجابيات، لكنها حمت حــوزة الإسلام قرون عديــدة مــن الهجمات البربريــة الغربية الاستعماريــة، وفي نهاية المطاف تراجعت ثم تدهــورت أوضاعها السياسية. ومازالت هذه الدولة الإسلامية تستحق أن يكتب تاريخها من مصادر أساسية مع الحرص على الإنصاف والشفافية والمصداقية في كل ما يكتب عنها سواءً كان سلبياً او إيجابياً.

(٢) لم أكتــب هــذه التوصية بدون أن أعرف وأتأكد من حقيقة مــا توصلت إليه، وقد يأتي من يقول كان عندهم الكثــير مــن المغالطات الشرعية في عباداتهم، أو صلاتهم الاجتماعية، وهــذا أمر لا أجادل فيه، ومثل هذه الأمور كانت ومازالت موجودة عند بعض السرويين والتهاميين حتى اليوم، وذلك نتيجة للجهل وعدم معرفة الحقيقة، والسير في الطريق الصواب حسبما ورد في كتاب الله وسنة رسوله (r).

عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) يجد أنها اتخذت كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) منهجاً رئيسياً في جميع أوضاعها السياسية والحضارية، وهذا مما جعل التاريخ الديني والدعوي نشطاً ومثمراً في خدمة الناس وتوجيههم التوجيه الشرعي الصحيح، وفي الفقرات التالية أوثق شيئاً من هذا التاريخ الحديث :

أ- كانت جميع المجتمعات التهامية والسروية تمارس معتقداتها على المذهب الشافعي، مع أن الدولة العثمانية سنية على المذهب الحنفي، وسيطرت على البلاد (تهامة وسراة) حوالي خمسة عقود (١٢٨٨-١٣٣٧هـ/١٨٧١-١٩١٨م)، وأنشأت العديد من المؤسسات الإدارية، ومنها المحاكم الشرعية وبعض الإدارات الدينية المحدودة[١]، وأعيان القبائل وشيوخها ورموزها هم من يحكم بلادهم سياسياً وحضارياً[٢]، ودخلت البلاد تحت حكم الإمام عبدالعزيز آل سعود، وعندها موروث تاريخي وحضاري متنوع وطويل، لكنها تحتاج إلى من يسوسها بعدل وحكمة واتزان، وتوفر ذلك في رؤى وسياسات هذا الحاكم العربي المسلم العادل[٣].

---

(١) لا أجد دراسات علمية تدرس التاريخ الديني والدعوي في أرجاء السروات وتهامة خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، مع أن هناك الكثير من المصادر والوثائق المنشورة وغير المنشورة التي تحتوي على معلومات جيدة في هذا الباب، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في أطروحة علمية جامعية.

(٢) كذلك عند قبائل تهامة والسراة الكثير من الأعراف والأنظمة والقواعد والاتفاقيات المحلية، وفيها مواد علمية جيدة تعكس صفحات من تاريخ البلاد والعباد في موضوعات عديدة ومنها الحياة الدينية والدعوية. ومن يقوم بجمع هذه المصادر ثم دراستها وتحليلها وطبعها ونشرها فسوف يطلعنا على تاريخ محلي مهم وجديد.

(٣) صدرت عشرات البحوث العلمية العربية والإسلامية والأجنبية التي أرخت لحياة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، واحتوت الكثير من هذه الدراسات على منهجه في توحيد بلاده (المملكة العربية السعودية) ، وعلى بعض صفاته ، مثل: الشجاعة، والإخلاص، والعدل ، والاستقامة، وتحكيم شرع الله ، ومحاربة البدع والضلالات، والسعي إلى بناء دولة حديثة عصرية، والحفاظ على القيم والثوابت العربية والإسلامية ، وهذا المنهج الواضح في بناء دولة عربية إسلامية متزنة، كان من الأسباب الرئيسية في توحيد هذا الكيان الكبير (المملكة العربية السعودية) ، ونجد سكان البلاد السعودية الحديثة كالتهاميين والسرويين يمارسون عباداتهم الإسلامية منذ دخول الإسلام بلادهم حتى وقتنا الحاضر، إلا أن عدم وجود الأمن والاستقرار المطلوب، وكثرة الصراعات القبلية المحلية أوجدت حياة اجتماعية تسودها الفوضى وعدم العيش في أمن وسلام. وشاهد الإمام عبدالعزيز وعرف تلك الاضطرابات المجتمعية في جميع البلدان التي وصل إليها حكمه، وبذل كل ما في وسعه من أجل توحيد البلاد، والعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مفاصل الحياة. ويوجد آلاف الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي اشتملت على تفصيلات عن إرسال عشرات الدعاة والقضاة وطلبة العلم إلى مدن وحواضر ومناطق وأرياف جنوب المملكة العربية السعودية. ورأيت ضمن المصادر التي اطلعت عليها الكثير من الخطابات والتوجيهات المرسلة من الملك عبدالعزيز آل سعود وبعض أبنائه مثل الأميرين سعود وفيصل إلى أمراء المناطق وشيوخ القبائل وبعض القضاة ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حواضر وبلدان تهامة والسراة خلال

ب ـ حرصت حكومة الإمام عبدالعزيز آل سعود على إنشاء مؤسسات حديثة في شتى المجالات ، ومن الإدارات ذات الصلة بالحياة الدينية والدعوية: المحاكم الشرعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة والإرشاد والتوجيه، والمدارس والمعاهد التعليمية والدينية[١] ، ومن يقرأ القواعد الأساسية للحكم والدولة، يجدها تقوم على ما نص عليه القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، ومن يدرس تاريخ المؤسسات المذكورة أعلاه في أرجاء المملكة العربية السعودية، أو في أي ناحية من نواحيها، مثل مناطق السروات وتهامة، فسوف يجد جهود كبيرة في خدمة الحياة الدينية والدعوية، واطلعت على مئات الوثائق غير المنشورة في هذا الباب في الفترة (١٣٥٠- ١٣٩٠هـ/١٩٣١-١٩٧٠م) فوجدتها مصادر مهمة وأولية لمن رغب دراسة وتوثيق هذا المجال المعرفي[٢].

ج ـ شاهدت الحياة الدينية والدعوية في نواحي عديدة من تهامة والسراة خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن الهجري الماضي (١٣٨٣-١٤٠٠هـ/١٩٦٣-١٩٨٠م). فالمحاكم الشرعية، وإدارات الدعوة والإرشاد تقوم بواجباتها الدينية

العقود الوسطى من القرن(١٤هـ/٢٠م) . والباحث في حياة الناس الدينية يجد أن الجميع كانوا مطيعين متجاوبين مع توجيهات الدولة الحديثة وتعليماتها ، لأنها متوافقة مع منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم إن أهل البلاد يحملون في قلوبهم معتقدات صالحة ، لكنها تحتاج إلى من يرعاها ويوقظها بالأعمال الطيبة والدعوة الصادقة الهادفة، وهذا الذي كانت تحمله راية ابن سعود وسياسته في بلاده وبين جميع شرائح مجتمعه العربي السعودي . وفي المكتبات الورقية والرقمية الكثير من الدراسات التي أرخت لسياسة وتاريخ الملك عبدالعزيز العام، والآثار الإيجابية التي تحققت من هذا التاريخ على عموم المملكة العربية السعودية، لكن إذا حاولنا معرفة الذي تحقق على مستوى المناطق أو الحواضر، فمازالت هذه الجوانب غير مدروسة. ونأخذ مناطق جنوب المملكة كمثال (عسير، وجازان، ونجران ، والباحة) فهذه الأوطان مازالت بحاجة كبيرة وماسة إلى دراسة تاريخها التنموي والحضاري في العصر الحديث والمعاصر.

(١) إن هذه الإدارات الحديثة في مناطق السروات وتهامة غير مخدومة علمياً وبحثياً، ولها جهود كبيرة في خدمة السكان وتعليمهم وإرشادهم في جميع أمورهم الدينية والدنيوية. آمل من المؤرخين المحليين أن يخدموا هذا القطاع من خلال دراساتهم العلمية.

(٢) معظم الوثائق التي اطلعت عليها تؤرخ لمدن وحواضر وبلدان في تهامة والسراة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتحتاج إلى من يجمعها ويحققها ويدرسها ويحللها ثم يطبعها وينشرها، ومن يفعل ذلك فسوف يسجل تاريخاً مهماً وجديداً لهذه الديار العربية السعودية. ومن يدرس سير العاملين والقائمين على تلك المؤسسات الإدارية السعودية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) فسيجدهم من الرجال الجادين المخلصين الذين اجتهدوا في خدمة دينهم وولي أمرهم وبلادهم بكل عمل صالح ومثمر، وكل ذلك بتوفيق الله ــ عَزَّوَجَلَّ ـ ثم السياسة التي رسمها موحد البلاد، الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله). وهذا الذي وجدته مسطراً في مئات الوثائق التاريخية التي يعود تاريخها إلى الفترة الممتدة من (١٣٤٥ – ١٣٨٥هـ/١٩٢٦ – ١٩٦٥م)، ومهما درسنا ووثقنا أحداث وتواريخ تلك الحقبة ، فمازالت ميداناً كبيراً لإنجاز الكثير من الدراسات العلمية وعرفت بلاد السروات وتهامة خلال تلك الحقبة عشرات الأعلام الذين كانوا أنواراً مضيئة في أعمالهم، وقراهم، ومدنهم وحواضرهم، وهم جديرون أن تكتب سيرهم المباركة .

والشرعية بشكل جيد على مستوى الأفراد، والأسر، والقبائل ،وموظفي الدولة المدنيين والعسكريين، وكذلك المواطنين والمقيمين، والذكور والإناث ،والصغار والكبار[١]. ورأيت وعرفت الكثير من الأعلام العاملين في هذه القطاعات من معلمين، وقضاة، ودعاة، ووعاظ ومرشدين. وكانوا جميعهم يعملون في أعمال حكومية، ولهم نشاطات دعوية رسمية وأهلية من تدريس وفتاوى، وإرشادات توعوية ، وإمامة الناس في صلواتهم. وكانوا يجدون التوجيه والدعم المادي والمعنوي من الإدارات والوزارات التي يعملون فيها. وبعضهم من أهل تهامة والسراة، أو جاءوا إلى هذه البلاد من مدن ومناطق أخرى في المملكة العربية السعودية، وآخرون قدموا من بلدان خارج المملكة للعمل في بعض المؤسسات الحكومية في البلاد، وجميع هؤلاء الأعلام كان لهم جهود وبصمات إيجابية في خدمة الناس علمياً ومعرفياً ودينياً[٢].

د ـ كان لبعض وسائل العلم والمعرفة والإعلام دور إيجابي في تنوير الناس. فالكتب العلمية والمدرسية أصبحت تجلب وتصل إلى السرويين والتهاميين، وصار للرائي (التلفاز)، والراديو، والصحف والمجلات أثر على حياة السكان، من خلال السماع والقراءة. كذلك هجرة البعض من بلدانهم إلى مناطق أخرى، واحتكاكهم بغيرهم في الأعمال ومقرات السكن جعلت المستوى العلمي والثقافي والتوعوي يتحسن عند الجميع[٣].

---

(١) إن مجتمع السراة وتهامة خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي في وضع أفضل من ذي قبل من حيث الأمن والاستقرار، وتحسن مجالات الحياة ، والتدرج في مجال العلم والحضارة معنوياً ومادياً، ومن يقارن أحوالهم بأحوال سكان البلاد خلال النصف الأول من القرن نفسه فسوف يجد فروق كبيرة ومتباينة في شتى مناحي الحياة.

(٢) هذا الذي عاصرته وشاهدته وأنا أتنقل في ربوع السروات وتهامة خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا التاريخ الحديث، حسب علمي، غير موثق في أعمال علمية جادة ورصينة، وعلى الجامعات المحلية والباحثين والمؤرخين دراسة سير أولئك الأعلام، وما قدموا من خدمات كثيرة وجليلة لأهل السروات وتهامة. والملاحظ أن الناس(تهامة وسراة) أصبحوا يسيرون في طريق واتجاه معروف ومحدد حسب توجيهات الدولة من حيث إقامة صلاة الجمع والجماعات في الجوامع والمساجد والمصليات الموجودة في كل مكان، وصار الذين يؤمون العباد من المتعلمين تعليمًا حديثًا، وبعضهم من خريجي الكليات والمعاهد الشرعية. كذلك الأنشطة والعبادات الدينية الأخرى، مثل: صيام رمضان، ومناسبات الأعياد ، وصلاة الاستسقاء، والخسوف والكسوف، والمحاضرات والندوات والمهرجانات الدينية وغيرها تقام وتمارس في أنحاء البلاد ويشرف على هذا الحراك الاجتماعي الديني إدارات حكومية متخصصة ، ويتولى أمرها موظفون حكوميون تصرف لهم رواتب ومخصصات رسمية. ومن يؤرخ لهذه الجزئيات ويكون منصفاً فسوف يجد مصادر مكتوبة منشورة وغير منشورة وروايات شفهية تشير إلى صفحات من ذلك التاريخ . ومن المؤكد سيجد الباحث بعض السلبيات والإيجابيات، والتفصيلات العامة والخاصة. ومن يقارن الحياة الدينية في الماضي والحاضر فسوف يجد الكثير من التشابهات والاختلافات، وهذا الموضوع المقارن جدير بالاهتمام البحثي التوثيقي.

(٣) إن كل نقطة ذكرتها في المتن يكتب عنها عشرات الصفحات لما لها من دور وأهمية في توعية الناس وتثقيفهم. وقد قرأت عن بساطة وتواضع حياة الآباء والأجداد، ثم عاصرت التطور والازدهار الذي عرفته

هـ ـ عرفت ديار السروات وتهامة منجزاً حضارياً مباركاً في تسعينيات القرن الهجري الماضي، عندما أنشئت بعض الكليات الجامعية في أبها، وكان منها كلية الشريعة واللغة العربية التي تم افتتاحها في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). وكنت ممن عاصر هذه الكلية، وأحد طلابها في عام الافتتاح. ومن يدرس تاريخ كلية الشريعة وأصول الدين في أبها، وما قدمت من جهود علمية وتنويرية وتوعوية وتثقيفية ودينية، وما نتج عنها من آثار إيجابية على البلاد والعباد في جميع مناطق جنوب المملكة فإنه سيجد مادة علمية كبيرة ومتنوعة في مجالات التدريس، والوعظ والإرشاد، وخدمة السكان في جميع المواسم والمناسبات الاجتماعية والدينية .وعرفت وشاهدت الكثير من الأساتذة والعلماء والمشائخ الفضلاء الذين كانوا يعملون في تلك الكلية، وما يقدمونه في محاضراتهم داخل الجامعة ونشاطاتهم الخارجية في المساجد والجوامع والندوات واللقاءات والمهرجانات الرسمية والشعبية، وكذلك طلاب تلك الكلية الشرعية الذين كانوا مشاركين مع أساتذتهم في الكثير من المناشط الدعوية والدينية، وصاروا بعد تخرجهم من الجامعة أكثر فاعلية ومساهمة في خدمة البلاد وأهلها[١].

د ـ إن كتابة التاريخ الديني والدعوي خلال نصف قرن (١٣٥٠ـ١٤٠٠هـ /١٩٣١ـ١٩٨٠م) على المستوى الجماعي والفردي، الرسمي والأهلي، الذكور والإناث، في المدن، والقرى، والأرياف والبوادي موضوع كبير وبخاصة إذا اطلعنا على أحوال البلاد السياسية والعسكرية، الاجتماعية والاقتصادية، العلمية والفكرية والثقافية، وأيضاً الإدارية والأمنية، وصلات البلاد وأهلها مع غيرهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وكذلك الظروف السياسية والحضارية

البلاد خلل الثمانينيات والتسعينيات، فكان هناك فرق شاسع بين القديم والحديث. وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وشاهدت في محيط المدارس العامة، والمعاهد والكليات الجامعية، وفي المساجد والجوامع، ومن على الرايات في الأسواق الأسبوعية، وفي المجالس العامة والخاصة ، وفي المواسم الدينية مثل الحج وشهر رمضان الكثير من الأنشطة والتفاعلات البشرية، ولكل مكان وزمان إمكاناته وظروفه وعوامل أخرى عديدة بعضها أساسية أو فرعية. والخلاصة أن أهل البلاد أصبحوا يعيشون في أوضاع هادئة ومستقرة خالية من الفزع والاضطرابات التي كانت في كل ناحية قبل توحيد المملكة العربية السعودية. هذه المقتطفات المذكورة شاهدتها وعاصرتها في عموم تهامة والسراة، نعم كان هناك بعض المعوقات الاجتماعية والاقتصادية والتنموية ، إلا أن الحياة غلب عليها الاستقرار والسكينة ، وهذا الذي سعت ومازلت تسعى الدولة إلى توفيره ورعايته.

(١) إن الحديث عن جهود كلية الشريعة في أبها، وغيرها من الكليات الجامعية التي تأسست في تسعينيات القرن الهجري الماضي مشروع كبير لمن رغب خدمة هذا الموضوع في دراسة علمية مطولة. وشاهدت الكثير من أساتذة كلية الشريعة واللغة العربية ومعظمهم غير سعوديين كانوا على قدر واسع وكبير من العلوم الشرعية واللغوية. وعرفت عشرات الطلاب في تلك الكلية، فكانوا جادين ومجتهدين في طلب العلم الشرعي حتى صار بعضهم من الأساتذة البارعين البارزين في تخصصاتهم .وأقول إن الكليات الجامعية في أبها من عام (١٣٩٦ـ١٤١٠هـ/١٩٧٦ـ١٩٩٠م) تستحق أن يُكتب عنها عدة كتب ورسائل جامعية .

المحليـة والإقليمية والعالميـة وصلاتها وأثرها على الحياة الدينيـة والفكرية. وكل هذه المجالات وما واكبها في عموم السروات وتهامة جديرة بالتوثيق العلمي التاريخي الجاد. وحتـى هـذه اللحظـة لم أجد دراسة علميـة جيدة في هـذا المجال. آمل مـن المؤرخات والمؤرخين في جنوب المملكة العربية السعودية أن يلتفتوا لمثل هذا الموضوع فتجمع مادته العلمية من مصادر أصلية مكتوبة ومروية، ثم يُدرس دراسة علمية تحليلية جادة[1].

٤ـ التاريخ الديني والدعوي خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م):

تسير الحياة الدينية العامة في عموم المملكة العربية السعودية ضمن سياسة الدولة وتوجهاتهـا العقائديـة التي دستورها القـرآن الكريم والسنة النبويـة. وجميع قطاعات الدولـة ومؤسساتهـا تخطط وتعمل في هذا الاتجاه، والمذهـب الحنبلي هو المعمول به في أنحاء البلاد، ومن يدرسـ تاريخ وزارة الشؤون الإسلامية، وهيئة كبار العلماء، وخطط ومناهـج الكليـات والمعاهد الشرعيـة، وإدارات المساجـد والأوقاف والدعـوة والإرشاد فجميعهـا متعاونة ومتكاتفـة في أداء أعمالهـا الدينية والدعوية والتوعويـة والإرشادية ضمن سياسة الدولة وخططها[2].

(*) شـاهدت خـلال حياتـي وعملـي ولقاءاتـي ورحلاتـي في المملكـة العربيـة السعوديـة، وبخاصـة جنوبهـا (تهامـة والسـراة) في هـذا القـرن (١٤٠١ـ ١٤٤٦هـ/ ١٩٨١ـ ٢٠٢٥م)، الكثيـر مـن الجوانـب التاريخيـة الحضـارية الدينية والدعوية، وأذكر مقتطفات من هذا التاريخ الحديث والمعاصر في البنود التالية:

أ ـ إن المجتمع السعودي بشكل عام متدين، فالجميع حريصون على ممارسة عباداتهم المفروضـة من توحيد الربوبيـة والألوهية لله وحـده، وأداء الصلوات في المساجد، وصيـام شهـر رمضان وغيرها مـن العبـادات المفروضة، إلى غير ذلـك من أداء

---

(١) قـد يطلـع على هذه المادة الموثقة بعض المعاصرين أو القراء ويقولـون: إنني لم أفصل تاريخ الحياة الدينية والدعوية في جنوب المملكة العربية السعودية خلال القرن الهجري الماضي، ويذكرون أمثلة وتفصيلات مما عاصـروه أو شاهـدوه وعرفوه. وأقول إن دراسة مثل هذا الموضوع من جميع الجوانب، وما نتج عن ذلك من إرهاصات أو إيجابيات أو سلبيات محلية وإقليمية، وعالمية موضوع واسع يدرس في عمل علمي توثيقي كبير. والحصـول علـى مصادر موثوقة في هذا البـاب متوفرة ويمكن الحصول عليها بسهولـة، والذي أسعى إلى تحقيقـه الاجتهـاد في الإشارة إلى ميادين حديثة ومعاصرة تستحق مزيداً مـن البحث والتحليل الجادين، وآمل أن يتحقق ذلك من خلال الأقسام العلمية والمراكز البحثية الجامعية المحلية.

(٢) من يبحث في تاريخ هذه المؤسسات الدينية والشرعية والدعوية من ستينيات وسبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) فسيجد جهوداً كبيرة ومتعددة ومتنوعة في خدمة الأرض والناس دينيًا ودعويًا. وهـذه الإدارات ومـا تقوم به من أعمال في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية موضوعات لم تخدم بحثيًا وتوثيقيًا. آمل من مؤرخي السروات وتهامة ان تكون ضمن اهتماماتهم العلمية والبحثية .

النوافل وممارسة أعمال أخرى كثيرة صالحة، ولها صلة مباشرة بالناس. وهذا لا يستغرب من السعوديين أو المقيمين على أرض المملكة العربية السعودية، لأن حكام البـلاد وصُناع القـرار وكبار المسؤولـين من موظفي الدولة المدنيـين والعسكريين يسـيرون علـى خارطة الطريـق السياسية والشرعيـة والإداريـة والحضارية التي رسمهـا المؤسـس والموحد لهذه البـلاد في العصر الحديث، الإمـام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله). وتحت مظلة هذه السياسة والحكومة العربية الإسلامية نرى بلاداً سادهـا العدل والاستقامة على شرع الله ، وانتشر في ربوعها الخير والبركة والنماء وصلاح القلوب والدروب[(١)].

ب ـ اشتغلـت معلماً، ورحـالاً، وباحثاً، وإنساناً معاصراً لحيـاة الناس في تهامة والسراة (١٤٠٠ـ١٤٤٧هـ/ ١٩٨٠ـــ ٢٠٢٥م). وشاهدت المدارس (بنات، وبنين)، والمعاهد، والكليات، والجامعات، والمؤسسات والجمعيات الخيرية، والمحاكم الشرعية وكتابات العـدل، وهيئـات الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكـر، وإدارات الشـؤون الإسلامية والأوقـاف والدعـوة والإرشـاد، والمساجد والجوامـع، ودور تحفيظ القـرآن للذكور والإنـاث، واللقـاءات والمهرجانات الموسميـة الصيفية والشتويـة، وبعض المؤتمرات والنـدوات وغيرها من القطاعات والإدارات والأقسـام الحكومية والأهلية وجميعها تعمـل في تعليـم وتوجيه وخدمة البـلاد وصلاح البشـر وهدايتهم لـكل عمل صالح يفيدهـم في الدنيـا والآخـرة. وهذا التاريـخ الحديث والمعاصر خـلال خمسة عقود وعن بلاد واسعة تمتد من الطائف ومكة المكرمة إلى منطقتي جازان ونجران جدير بالاهتمام البحثي والتوثيقي. ويوجد في هذه الديار حالياً بضع جامعات فيها عشرات الأقسـام الأكاديمية ومئات الأساتذة والباحثين وعليهـم جميعاً مسؤولية حفظ هذا التاريخ والحضارة الحديثة، وإذا لم يُلتفت لهذا التاريخ فقد يندثر ويضيع .

ج ـ عشـت خلال العقديـن الأخيرين، من القـرن الهجري الماضـي، ومازلت معاصراً لأحـداث هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـــ٢١م)، ورأيت التطور العلمي والمعرفي والتقني . ولو درسنا مستوى الوعي والتوعية السلوكية والدينية على مستوى الأفراد، والأسر،

---

(١) مـن يدرس خطابات ووثائق وقرارات وخطـط وتاريخ الإمام عبدالعزيز آل سعـود منذ استرداده الرياض عـام (١٣١٩هـ/١٩٠١م) حتى وفاته عـام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) فسيجـد مادة علمية كثـيرة ومتنوعة لها صلـة بالبنـاء والتطوير السياسي والحضاري لأرض وسكان المملكـة العربية السعودية . وكانت مراقبة الله -عَزَّوَجَلَّ- والعمـل بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) الإطار العـام والرئيسي الذي سار عليه مؤسس البلاد والحـكام السعوديين الذين جاءوا من بعده حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م). ومن يدرس جهود ملوك وأمراء آل سعود في خدمة الدين والإسلام داخل المملكة وخارجها فسوف يطلع على مصادر ومراجع كثيرة في هذا الباب. وإذا كان هذا ديدن حكام البلاد السعودية، فما من شك أن الرعية يسيرون على خطى ولاة أمرهم.

والقـرى، والأريـاف ،والبـوادي، والحواضـر، والمجتمعـات الصغـيرة والكبـيرة، للسعوديـين والمقيمين فإننا سنجـد التطور التدريجي الذي عرفتـه ديار السروات وتهامة، ومن هذا التطور ما هو محلي ثم زاد ونمى بسبب جهود مؤسسات التعليم المختلفـة، والأنشطـة الدينية والدعويـة اليومية والسنوية أثنـاء أداء الصلوات في المساجـد والجوامع، وفي مواسم شهر رمضـان، والأعياد وغيرها. وهناك مؤثرات محليـة وإقليمية وعالمية أخرى أثرت في فكر وثقافة الناس من خلال ما يشاهدونه علـى شاشات الرائـي (التلفاز)، وعن طريـق الراديو، أو قـراءة الكتب والمجلات والصحـف الداخلية والخارجية. وهذا التاريخ الـذي عاشته وعرفته أوطان تهامة والسراة مـن سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) مجال مهـم وجديد لمن رغب خدمته علمياً وبحثياً، وآمل من معاشر المؤرخين المحليين أن يخدموا مثل هذه الموضوعات في بحوثهم ودراساتهم العلمية.

د ـ إن الباحث في التاريـخ العربي والإسلامي الحديث يجد ظهور الكثير من التقلبات والتغـيرات السياسيـة والحضاريـة. وعالمنـا العربـي عانى كثيراً خـلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) مـن صراعته ومشاكله الداخلية، ومـن الهجمات الغربية الاستعماريـة التـي تولد عنها قضايـا متنوعة في مجالاتها وأنشطتهـا، وفي آثارها السلبيـة والإيجابيـة. وكانت الحيـاة العقائدية والدينية عاملاً مهمـاً ورئيسياً في جميع الأحـداث والظروف التي عرفتها البلاد العربيـة والإسلامية خلال القرون الثلاثـة الماضية (١٢ـ١٤هـ/١٨ــ٢٠م)[١]. ولم تكن المملكة العربية السعودية في منـأى عـن تاريخ العالم الحديث ومـا جرى فيه من تحولات جغرافيـة وبشرية[٢]. والـذي يميز البلاد السعودية أنها أرض الحرمين، ففيها الكعبة المشرفة والمسجد الحـرام، وقـبر الرسول (ﷺ) والمسجد النبـوي، وهذه المنزلـة الشرعية الدينية يحتـم عليها أن تكون في وسـط الأحداث العالمية[٣]. والمتتبـع للأنشطة والحركات والتيارات الدينية عبر عصور التاريخ يجدها تتأثر بالأوضاع السياسية والحضارية الأخـرى، وإذا تأملنـا في أحـداث العـالم خـلال الستين سنـة الأخـيرة (١٣٨٥ـ

(١) من يبحث في فهارس المكتبات الورقية والرقمية العربية والإسلامية والأجنبية فسوف يطلع على آلاف الكتب والبحـوث التي فصلت الحديث عن العالمين العربي والإسلامي خلال العصر الحديث من حوادث وأحداث ومتغيرات ،وكيف كانت العقائد والدين من الركائز الأساسية في هذه الصراعات الحديثة والمعاصرة.

(٢) يوجـد العديد مـن الدراسات التي أرخـت للمملكة العربيـة السعودية وصلاتها التاريخيـة والحضارية مع غيرها من البلدان العربية والإسلامية والأجنبية.

(٣) القـارئ والباحـث المنصـف يجد فعـلاً أن المملكة العربيـة السعودية كانـت ومازالت دولـة محورية محلياً وإقليميـاً وعالميـاً.ووجـود الحرمـين الشريفين تحت إشرافهـا ورعايتها جعلهـا دائماً في الصـدارة دينياً وسياسياً وحضارياً

١٤٤٦هـ/١٩٦٥ــ٢٠٢٥م)، فإننا نجد الكثير من الحروب والتحولات السياسية والحضارية، وللأسف أن بلاد العرب والمسلمين من أكبر المسارح والأوطان التي جرت ومازالت تحدث فيها الصراعات السياسية والعسكرية حتى اليوم[١]. ونتج عن ذلك الكثير من الصدامات الفكرية والثقافية والعقائدية، ولمحدودية هذه الدراسة، فليس المكان مناسباً للإسهاب في هذا الموضوع[٢]، لكن الذي عرفته وعاصرته خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، والعقود الثلاثة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢-/٢١م)، ما عرف بـ (عصر الصحوة). والمقصود بذلك (الصحوة الإسلامية). والدارس لتاريخ الإسلام يلحظ أن الإسلام والمسلمين يعيشون في كل مكا وزمان منذ عهد الرسول (ﷺ) حتى الآن، ولكل زمن ظروفه وملابساته وأسبابه. وهناك عشرات الكتب والدراسات التي أرخت لهذه الدعوات أو الأحداث. وعرفت وشاهدت في المملكة العربية السعودية بشكل عام، وبلاد السروات وتهامة على وجه الخصوص الكثير من الأنشطة الدينية والفكرية في عصر الصحوة، والرموز الذين كانوا يتصدرون المشهد الدعوي، وما نتج عن ذلك من سلبيات وإيجابيات، والصلات السياسية والحضارية المحلية والإقليمية التي واكبت ذلك العصر في البلاد العربية والإسلامية والأجنبية. وحسب علمي حتى الآن. فإن عصر الصحوة في المملكة العربية السعودية، وفي بلاد السروات وتهامة مازال غير مدروس ولا موثق، وآمل أن نرى باحثين جادين منصفين يؤرخون لتلك الحقبة، وما تولد عنها من جوانب إيجابية وسلبية[٣].

هـ - تغيرت الحياة كثيراً في العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ــ٢٠٢٥م) بسبب التطور التقني. وهذا التحول الرقم أثر في جميع القطاعات الحضارية وفي مجال الحياة الدينية والدعوية نتج عن ذلك ابتكارات رقمية كثيرة سهلت الوصول إلى المعلومة العلمية والمعرفية والشرعية. وكوني اعمل في القراءة والبحث العلمي من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فقد عاصرت الكثير من الصعوبات القديمة أثناء البحث عن كتاب أو بحث أو معلومة، ثم شاهدت الفتح الكبير الذي عاد على البشر من خلال التقنية، وصارت أمهات الكتب الدينية والعربية والإسلامية في

(١) من تلك الصراعات، قضية فلسطين والكيان الصهيوني، وحرب أفغانستان، وحرب العراق وإيران، وحرب الخليج، والثورات العربية، وما يجري حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) في دول عربية وإسلامية عديدة.

(٢) إن القضايا الفكرية والعقائدية التي ظهرت على مسرح الأحداث من ستينيات القرن الماضي إلى الآن كثيرة، وبعضها صدر عنها كتب وبحوث، وأخرى مازالت بحاجة إلى دراسات علمية جادة.

(٣) أصبح عندنا والحمد لله عشرات الجامعات السعودية ومئات الأقسام الأكاديمية ومراكز الأبحاث العلمية، والكثير من الباحثات والباحثين والمؤرخات والمؤرخين والواجب على الجميع أن يعملوا ويساهموا في دراسة تاريخ وحضارة بلادهم محلياً، وإن تم ذلك فإننا نحافظ على موروثنا وتاريخنا وحضارتنا عبر أطوار التاريخ.

متناول كل الناس من خلال الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وهذه من نعم الله على البشر، فالحمد لله حمداً كثيراً، بل صارت جميع مصادر المعرفة المكتوبة والمقروءة، وبالصوت والصورة ومن أي مكان ميسرة وسهل الحصول عليها. كما أصبحت وسائل التواصل المختلفة تنقل المعلومة من مكان أو إنسان لآخر بسهولة وسرعة فائقة. ومما شاهدته أثناء تدوين هذا المبحث اطلاعي على حوالي (١٥) مجموعة واتساب (WhatsAPP)، وإعداد الموجودين في كل مجموعة من تلك المجموعات تتراوح من عشرين شخصاً إلى (١٠٠٠) فرداً، وبقيت أتابع ما ينشر في هذه المجموعات لمدة شهر في عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)،وقرأت وسمعت ورأيت تنوعاً في الأفكار والرؤى والمعلومات والقضايا المطروحة، ومعظمها تشتمل على معارف وعلوم وثقافات جيدة ومفيدة على مستوى الأفراد والمجموعات. والأجمل في كل الذي قرأته وشاهدته أن الجميع يحملون معتقداً إسلامياً وسطياً. بل إن بعض المجموعات سخرت عملها ونشاطاتها الرقمية من خلال هذه الوسيلة إلى التوعية الدينية والمعلومات الشرعية الصحيحة التي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وهذا يعد فضل وتوفيق من الله (عَزَّوَجَلَّ) عندما تسخر هذه الإمكانات الرقمية في الدعوة إلى الله[1].

رابعاً: صفحات من التاريخ الاجتماعي:

١ـ الفرد ،والأسرة، والقبيلة:

(*) هذه المحاور الثلاثة (الفرد، والأسرة، والقبيلة) موضوعات كبيرة، ودراستها في منطقة واسعة مثل تهامة والسراة) خلال العصر الحديث تحتاج إلى جهود كثيرة من الباحثين والمؤرخين، وسوف أذكر نقاطاً رئيسية وعامة لعلها تفيد الدارسين الذين قد يدرسون ويبحثون هذا الميدان المعرفي في قادم الأيام:

أ ـ من يطلع على بحوثي وكتبي التي تم طباعتها خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٥ـ ـ١٤٤٦هـ/١٩٨٥ـ ٢٠٢٤م) فسيجد آلاف الصفحات البحثية والوثائقية التي أرخت للحياة الاجتماعية في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف، والقنفذة، ومكة المكرمة خلال العصر الحديث والمعاصر، ولا أقول إن هذه الأعمال العلمية شملت كل الجوانب التاريخية والاجتماعية في السروات وتهامة،

---

(١) ربما يقول بعض القراء أن وسائل التواصل مليئة بالشرور، وأقول هذه وسيلة ونعمة من نعم الله على البشر، فمن يوظفها في الخير فهو إلى خير، ومن استخدمها في الشر، فالمستخدم هو الخاسر الأول ديناً ودنيا. (والله الهادي إلى سواء السبيل) .

لكنها درست وشرحت جزئيات كثيرة من حياة الناس. وللفرد، والأسرة، والمجتمع القبلي نصيب جيد في هذه الدراسات المنشورة[١].

ب ـ إن الفرد أو الأفراد يختلفون من أسرة أو مكان لآخر، في أوضاعهم العلمية والتعليمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والوظيفية. ونشاهد جميع الأفراد (سعوديين ووافدين، ذكوراً وإناثاً) يتكيفون حسب إمكاناتهم. وتجولت في أرجاء السروات وتهامة خلال العشر سنوات الأخيرة (١٤٣٥ـ١٤٤٥هـ/ ٢٠١٤ـ٢٠٢٣م)، ورأيت كثرة وزيادة أعداد السكان في كل مكان، وحياتهم في حركة دائمة يسعون في الأرض ويكسبون أرزاقهم، وسبحان الخالق العظيم الذي خلق الأشكال المتباينة والمختلفة في الصور والهيئات الإنسانية، وفي القدرات، والرغبات والأهداف والتطلعات البشرية. وعندما تذهب إلى أي مكان عام أو خاص، رسمي أو أهلي تشاهد الاحتكاك والتواصل الاجتماعي الذي يغلب عليه التعاملات الحضارية المتنوعة، وجميعها تكون مجتمعات صغيرة أو كبيرة تمارس حياتها اليومية من أجل التعايش السكاني. ونجد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي شرحت ووضحت حياة الإنسان أو الفرد السوي وصلاته بالكون أو المجتمع الذي يعيش فيه، وماذا يجب له أو عليه من منظور الشريعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢]. ومن حق الفرد المسلم أن يتحاكم إلى الشريعة دون سواها، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٣]. ويوجد الكثير من الآيات والدراسات العلمية التي فصلت الحديث عن أدوار الفرد أو الأفراد في بيئاتهم وأسرهم ومجتمعاتهم، وما هي الواجبات التي لهم أو عليهم[٤].

---

(١) للمزيد انظر، موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (ثلاثون مجلداً)، في طبعتين أولى، وثانية. وفي هذا الكتاب الكبير بحوث عديدة عن التاريخ الاجتماعي في جنوب البلاد السعودية (تهامة وسراة)، ويوجد في ملاحق كل الأجزاء وثائق تاريخية مهمة لم يسبق نشرها، والكثير منها تحتوي على معلومات تاريخية حضارية اجتماعية. انظر أيضا مؤلفات أخرى عن نجران، وجازان، وعسير، والباحة، والطائف، والقنفذة، وأبها وغيرها. وفي هذه الكتب مواد علمية تناقش حياة الأفراد، والأسر، والقبائل في المناطق التهامية والسروية.

(٢) سورة فصلت، الآيتان (٣٤، ٣٥)

(٣) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٤) حديثي هنا عن الفرد والمجتمع المسلم، والأفراد في بلاد تهامة والسراة عرب ومسلمين يعرفون ويدركون ويمارسون حياتهم في ضوء الشريعة الإسلامية، وإذا وجد أفراد غير ذلك، فهم قله، ونسبتهم ضئيلة.

ج ـ إن الكتابة عن الفرد السروي والتهامي قد تطول، إذا نقاشنا أعماله وصلاته بالأفراد الآخرين في أسرته، وقريته، وقبيلته، ومدينته، وفي عمله، أو مدرسته، أو سفره وإقامته. وعن مشاكله الاجتماعية، والاقتصادية، والجغرافية، والحضارية. وعن ظروفه المالية، والصحية، والثقافية والمعرفية، وعلاقاته وصدقاته، وتكوين نفسه من شتى الجوانب، وغير ذلك مما يحيط به في موطنه الأصلي، أو في أي مكان أنتقل إليه وعاش فيه داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها[1].

د ـ تتكون الأسرة السروية والتهامية من أفراد (الأجداد والجدات، الآباء والأمهات، الإخوان والأخوات وغيرهم)، ولكل منهم ترتيب ومنزله في أسرته حسب مكانته وسنه ودوره وتأثيره. والأسرة قديماً حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت أكثر تعاوناً وترابطاً وتكاتفاً مادياً ومعنوياً، ونفسياً وجسدياً. وظروف الحياة وصعوبة الأوضاع المعيشية والاقتصادية من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأفراد والأسر قديماً يتواصلون ويترابطون ويتكاتفون بشكل رئيسي وكبير. هذا الذي سمعته من الأوائل، وقرأته في الكثير من المصادر والوثائق، وشاهدته خلال العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي[2]. ومازال تاريخ الأسرة في جنوب البلاد السعودية موضوع جديد ومهم لمن رغب دراسته في عدد من البحوث العلمية خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م)[3].

هـ - استمرت الأسرة التهامية والسروية في بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تعيش نفس الحياة التي عاشها الأوائل، لكن عجلة التنمية الحديث، والتطور العلمي والمعرفي، والمادي، والعمراني أثر تدريجياً على التركيبة الأسرية، وصارت كل

(١) الإنسان التهامي والسروي له تاريخ وتراث وفكر وثقافة وحضارة قديمة وحديثة ومعاصرة. ومن يكتب تاريخه فلابد أن يدرس المكان والزمان الذي عاش فيه، وإذا اطلع على هذه الخلفية التاريخية الحضارية عندئذ يستطيع أن يدون صفحات تاريخية حقيقية عن المرأة أو الرجل التهامي والسروي. وللأسف أننا لا نجد أي دراسات أو أعمال علمية توثيقية جادة في هذا المجال.

(٢) ما تم توثيقه حقيقة وتاريخ صحيح لأحوال الأفراد والأسر والمجتمعات السروية والتهامية. وقد كتبت أنا وغيري صفحات قليلة من هذا التاريخ الحضاري. وعموم السروات وتهامة مازالت بحاجة ماسة إلى من يدرس تاريخ أسرها ومجتمعاتها من صدر الإسلام إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا الموضوع كبير ويكتب فيها عشرات البحوث والكتب العلمية.

(٣) يوجد الكثير من الوثائق غير المنشورة الجيدة لدراسة مثل هذا الموضوع الحضاري، بالإضافة إلى بعض المخطوطات والكتب والبحوث التي صدرت خلال المئة وخمسين سنة الأخيرة، كما أن الرواية الشفاهية مصدر مهم، ومازال هناك رواة جيدون يعرفون الكثير من تاريخ الناس الحضاري خلال القرن الهجري الماضي، آمل أن يستفيدوا طلاب البحث العلمي من هذا المصادر البشرية قبل انقراضها.

أسـرة تتوسـع وتتوزع أفقيـاً، وبدأت الأسـر الكبيرة القديمة التـي كانت تعيش في منزل واحد، ولها كبير أو رئيس يدير شؤونها العامة والخاصة تتفتت، وأصبح أولاد الرجل الواحد يستقلون بأنفسهم حتى أصبح كل واحد مع زوجته وأولاده يسكن في منزل مستقل عن والديه وأخواته وإخوانه(١)، وهذا التغير الاجتماعي أخذ أكثر من أربعـة عقود (١٤٠٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٨٥ــ٢٠٢٥م) ، وهذه الفترة الحديثة والمعاصرة جديـرة بالبحث العلمي الجـاد، ومن يتولى دراسة هذا الموضـوع فلن يجد صعوبة لوفرة المصادر والوثائق والصور الفوتوغرافية والرواة المعاصرين(٢).

و ـ حـدث للأسرة التهاميـة والسروية خلال هذا القـرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) تبدلات وتحـولات كثيرة في مقراتها الجغرافيـة ، ومستوياتها الماديـة المتنوعة، وتركيبتها البشرية. وهذه المشاكل شملت كل الأسر في الحواضر، والمدن، والأرياف، والقرى، والبـوادي. لكنها أكثر تفتتاً وتحولاً في المدن والمراكـز الحضارية الكبيرة، ولم تعد الأسـرة السرويـة والتهامية محصـورة في أوطانها وقراها الأساسيـة، بل امتدت وتوزعـت في جميع مناطق المملكة العربية السعوديـة، وبعضها خارج البلاد بسبب ظروف العمل أو الدراسة لأرباب تلك الأسر(٣).

ز ـ مـا مـن شك أن هناك سلبيـات على هذا التحـول التاريخي الأسـري وبخاصة في مجـال التقـارب والتآلف والتـآزر والتعـاون. إلا أن هنـاك إيجابيـات أخرى كثيرة تطويريـة وتنمويـة للأفراد والأسـر على المستويـين العام والخاص، والشخصي والمجتمعـي. وأقول إن إنجـاز دراسة مقارنة لأوضاع الأسـر السروية والتهامية في الماضـي والحاضر مـن العناوين الجديدة، والواجـب أن تُدرس في عدد من الكتب والأطروحات الجامعية العلمية .

(١) حـدث هذا التحول الحضـاري في جميع مناطق المملكة العربية السعوديـة، وشاهدته في أمكنة كثيرة، لكن في مناطق جنوب المملكة كانت الأسرة مهما كبرت وتعدد أفراده يعيشون في بيت واحد، وتحت إشراف فرد واحد من الأجداد أو الآباء. المصدر: معاصرة الباحث لهذه الحياة في عسير وجازان والباحة (١٣٨٠ــ١٤٠٥هـ/١٩٦٠ــ١٩٨٥م) .

(٢) آمـل أن نـرى بعض طلاب الدراسات العليا في الجامعات المحلية يدرسـون الموضوعات التنموية ذات الآثار المباشـرة على تركيبة البلاد التهاميـة والسروية جغرافياً وبشرياً. ومثل هـذه المجالات جديرة بالاهتمام، لأنها تعكس التحولات الحضارية الذي تعيشها البلدان السعودية من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) .

(٣) هذا الذي عرفته وعاصرته وشاهدته وأنا أرتحل في أرجاء تهامة والسراة، ومعظم مناطق المملكة، وفي أمريكا وبريطانيا أثناء دراسة درجتي الماجستير والدكتوراه خلال أربعة عقود ونصف (١٤٠١ــ١٤٤٦هـ/١٩٨١ــ٢٠٢٥م). وهـذا التاريخ الحديث والمعاصر الذي جرى للأسـر التهامية والسروية يستحق أن يوثق في عدد من الكتب والرسائل العلمية الجامعية .

ح ـ أما القبيلة، أو القبائل فهي المظلة العامة والكبيرة التي يعيش تحتها جميع الأفراد والأسر. هكذا الوضع السائد الذي كانت عليه بلاد تهامة والسراة خلال القرون القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة. واستمرت على هذا الوضع حتى دخلت البلاد تحت نفوذ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل. والكتابة عن وضع القبائل وهيمنتها عبر عصور التاريخ مشروع علمي كبير يُكتب فيه مئات البحوث العلمية . ونجد أن الملك عبدالعزيز أدرك أهمية القبائل في السروات وتهامة وفي غيرها من بلدان المملكة، عندئذ حرص على ترتيب أوضاعها عن طريق شيوخها وأعيانها، واجتهد في توطين القبائل البدوية ، وأوكل إلى المؤسسات الرسمية (الإمارة، والقضاء، والشرطة، والدعوة والإرشاد، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسجون، والتعليم وغيرها) مهمة الإشراف على أحوال الناس، ومساعدتهم في حل مشاكلهم ، وفرض هيبة الدولة والأمن والاستقرار في ربوع البلاد. وهذه السياسة وغيرها من التنظيمات الحكومية الرسمية قلصت نفوذ القبائل وشيوخها وأعيانها، وأصبح انتماء الفرد في الأسرة أو القبيلة إلى الدولة، ونتج عن ذلك انتشار الأمن في كل مكان، وتطورت الأسر، والقرى، والأرياف، والعشائر، والقبائل، وأصبحت قرارات وحكم الدولة هو السائد في كل مكان. وليس هناك وجه مقارنة بين أحوال البلاد عندما كانت القبيلة الآمرة الناهية في مستوطناتها ، وبعد أن صارت الدولة هي صاحبة الحل والعقد في أرجاء الوطن (المملكة العربية السعودية) [1].

ط ـ نرى قبائل وعشائر السروات وتهامة في وقتنا الحاضر جزء من النسيج الاجتماعي والحضاري لسكان المملكة العربيةالسعودية. والواجب على هذه الشريحة المهمة (شيوخاً، ونواباً، وأعياناً، وأفراداً، ذكوراً، وإناثا) أن تستشعر دورها المجتمعي، ثم تعمل وتبذل كل عمل يخدم البلاد بمفهومها الواسع (المملكة العربية السعودية). وهذا واجب ديني قبل أن يكون واجب مجتمعي وعرفي. ومن يدرك كيف كانت بلادنا، وكيف أصبحت بعد أن أصبحنا شعباً وكياناً واحداً نعبد الله على نور

(١) من يدرس تاريخ القبائل في تهامة والسراة أو غيرها من بلدان المملكة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) وبداية القرن (١٤هـ/١٩ــ٢٠م)، فإنه سيجد تاريخ مليء بالحروب والصراعات القبلية الدامية، وحياة كلها جوع وفقر وفقدان للأمن وأحوال قاسية وسيئة. وبعد توحيد المملكة العربية السعودية تحولت حياة البلاد والعباد تدريجيا من السلب إلى الإيجاب، ومن التمزق والفرقة إلى الوحدة ولم الشمل ، تلى ذلك التطور المادي والمعنوي في شتى مناحي الحياة، وصارت بلاداً مستقرة ومزدهرة ومتطورة، وصار لها مكانة وثقل سياسي وحضاري كبير على مستوى العالم ، فالحمد لله حمداً كثيراً ، وغفر الله لمؤسس وموحد هذه البلاد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وأعز ونصر ورفع شأن حكومة المملكة العربية السعودية التي لم تدخر جهداً في حماية وتطوير بلادها. (أرضاً وسكاناً).

وبصيره، ونداقع عن ديننا ومقدساتنا وأعراضنا، فالحمد لله رب العالمين، ورحمك الله ياعبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وأسكنك الفردوس الأعلى من الجنة.

٢ـ كلمة عن طبقات المجتمع التهامي والسروي:

إذا درسنا المجتمع من حيث ملكية الأرض والاستيطان فيها منذ زمن بعيد، فالقبائل بعشائرها وعمائرها وبطونها وفخوذها هي صاحبة الأرض منذ عشرات القرون. والباحث في أنساب وأصول قبائل وعشائر السروات وتهامة سوف يواجه الكثير من الصعوبات، فلا يوجد مصادر مكتوبة موثوقة تشرح أصل كل عشيرة أو قبيلة تعيش في أرضها خلال هذا القرن، أو حتى القرون الإسلامية الحديثة (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م)، وأشرت في صفحات سابقة من هذا المبحث وفي عدد من كتبي ودراساتي المطبوعة والمنشورة إلى لمحات من الطبيعة البشرية لهذه الديار السروية والتهامية[١].

(*) وأذكر في النقاط التالية بعض الخلاصات والانطباعات التي عرفتها وشاهدتها في هذه البلاد من ثمانينيات القرن الهجري الماضي إلى الآن:

أ ـ عرفت بلاد تهامة والسراة في العصر الحديث، وفي عصر الدولة السعودية الحديثة بأسماء مناطق إدارية عديدة، مثل: الباحة، وعسير، وجازان، ونجران، وهذه المناطق الأربع ضمن الهيكل الإداري لخارطة المملكة العربية السعودية الرئيسية، وكل منطقة تشتمل إداريا على عشرات المحافظات والمراكز. ويوجد في شمال الديار التهامية والسروية العديد من المحافظات الإدارية الأخرى مثل القنفذة والليث والعرضيات في تهامة، والطائف وميسان في السراة وجميعها تتبع إداريا لمنطقة مكة المكرمة. ومصطلحات (مناطق، ومحافظات، ومراكز) حديثة ولا تعرف من قبل، وتم استحداثها في عهد المملكة العربية السعودية[٢]. وجميع هذه المناطق والمحافظات مأهول بالسكان ومستوطنة بالقبائل العربية التي تسكنها منذ آلاف السنين، ومعظم هذه البلاد عُرفت بأسماء قبائلها، فالذي يخرج من اليمن إلى

(١) انظر بعض شروحاتي وتوثيقاتي عن طبقات المجتمع السروي والتهامي في عدد من مؤلفاتي التي صدرت خلال العقود الماضية المتأخرة. ولا أدعي أنني فصلت الحديث في هذا الباب، ولم أجد أي دراسة أخرى ناقشت هذا الموضوع بإسهاب، مع أنه عنوان كبير وجدير أن يدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية.

(٢) من يقرأ ويبحث في التنظيم الإداري في عهد الدولة السعودية الحديثة يجد صحة ما تم الإشارة إليه في المتن. وعرفت بلاد السروات وتهامة مصطلحات: ولاية، أو ولايات، أو مخاليف خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م)، وظهر فيها بعض الإمارات المحلية في العصر الحديث (ق١٤ـ ١٤هـ/ق١٩ـ ٢٠م)، وكذلك اسم (متصرفية) وقائمقامات تحت حكم الدولة العثمانية (١٢٨٨ـ ١٣٧٧هـ/ ١٨٧١ـ ١٩١٨م)، وكل هذه التحولات التاريخية الإدارية جديرة بالدراسة والاهتمام البحثي.

الحجاز يجد سروات قحطان، وشهران، وعسير، وبلاد الحجر، وغامد وزهران، وبني مالك وبلحارث، وفهم، وعدوان، وثقيف حتى الطائف. والرحالة اليمني الهمداني من أهل القرنين(٣ــ٤هـ/٩ـــ١٠م) فصل الحديث عن هذه السروات ومسمياتها، ومازالت تعرف بالأسماء نفسها حتى الآن (١٤٤٧هــ/٢٠٢٥م). والباحث في كتب التراث الأخرى وبعض المصادر القديمة والحديثة يجد ذكر أسماء أمكنة ومحطات تجارية وقرى وحواضر عُرفت بأسماء سكانها من الأسر، أو العشائر والقبائل. ومن يبحث عن أسماء القرى، والأرياف، والبلدان في عموم البلاد يجد سكانها من أبناء القبائل، ومازال كل واحد منهم (ذكراً وأنثى) يكتب اسمه وأصوله والعشيرة أو القبيلة التي ينتسب لها، مثل: القحطاني، أوالشهراني، أو العسيري، أو الغامدي والزهراني، أو الشهري والعمري والأحمري والأسمري، أو القرني والألمعي، أو الشعبي، والشمراني، والثقفي، والمالكي وغيرهم. ومن يبحث في الوثائق الحديثة (ق١٢ـــ ق١٥هـ/ق١٨ـــ ق٢١م) يجد معظم سكان تهامة والسراة (أفراداً، وأسراً، وجماعات، وقرى) يُعرفون بانتسابهم إلى عشائرهم وقبائلهم، وهم كذلك منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر[١].

ب ـ إن الظروف السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية والأمنية تؤثر في تشكيل طبقات أي مجتمع: فالديار التهامية والسروية كانت شبه معزولة خلال العصر الإسلامي الوسيط وبداية الحديث (ق٣ــ ١٢هـ/٩ــ١٨م)، وكانت القبائل تحكم أوطانها، ولم تخل الديار من أجناس عربية وغير عربية جاءت إليها إما لظروف سياسية وعسكرية، أو تجارية وبخاصة على موانئ البحر الأحمر الشرقية، وكانوا يجلبون الرقيق من خارج البلاد ضمن تلك التجارات، وبالتالي ظهر في أجزاء من تهامة والسراة عناصر بشرية (عربية وأجنبية) وصاروا يعملون في أعمال عديدة، وزادت الموجات البشرية الخارجية عند قدوم الجيوش العثمانية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، ومنهم من عاش ومات فيها، وآخرون خرجوا منها إلى أمكنة أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها [٢].

---

(١) قد يظهر من يعارض الخلاصات الواردة في المتن، ويقول إن وضع القبائل في الوقت الحاضر يختلف عن الماضي. والاختلاف الذي حدث أن كل القبائل في تهامة والسراة أو في عموم المملكة العربية السعودية صارت تحت حكم دولة حديثة، والدولة نفسها تدرك ذلك فلم تحدث أي تغيير على حياة العشائر والقبائل في بلادها، لكنها ألزمت الجميع بالعمل والانتماء إلى الوطن الكبير (المملكة العربية السعودية) وكل فرد أو جماعة أو عشيرة أو قبيلة تمارس صلاتها وحياتها في بلادها ضمن قوانين وأنظمة الدولة، ومن يسعى أو يعمل على خلق فوضى أو زعزعة الأمن فإنه يجد الجزاء الرادع، وعلى جميع شيوخ القبائل وأعيانها ورموزها أن يعملوا ويدعموا كل عمل وجهد يخدم الدين والبلاد والعباد تحت مظلة الدولة.

(٢) لم أر أو أعرف أي دراسة أرخت للعناصر البشرية التي جاءت إلى جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة

ج ـ بعـد دخول السـروات وتهامة تحـت حكم الدولـة السعودية الحديثـة حدث بعض التغـيرات علـى الطبقـات الاجتماعية. وتوحيـد البلاد وضمها تحـت راية المملكة العربيـة السعودية من الأسباب الرئيسية التي دفعـت بالإنسان التهامي والسروي إلى الانخـراط في أعمـال وأنشطـة حضاريـة تنمويـة في بلاده وفي أنحـاء البلاد السعودية، وبالتـالي أصبحت تطلعاته أفضل وأوسع من آبائه وأجداده. وصار أهل البلاد يسافرون إلى بلدان غيرهم داخل المملكة وخارجها، ويستقبلون في أوطانهم أجناس بشرية متنوعة سعودية وعربية وإسلامية وأجنبية. وهذا التحول الحضاري أخـذ عدة عقـود، بدأ في خمسينيات القرن الهجري الماضـي وتوسع تدريجياً حتى مطلـع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثـم زاد وتطور أفقياً ورأسياً خلال الأربعين عاماً الأخيرة (١٤٠٥ـ ١٤٤٦هـ/١٩٨٥ـ ٢٠٢٥م)[(١)].

د ـ طبقـات المجتمع السـروي والتهامي، أهل البـلاد الأصليين مـن العشائر والقبائل التهامية والسروية وهم منتشرون في مدنهم وقراهم وأريافهم ،ومنهم مجموعات كثيرة في أرجاء الوطن (المملكة العربية السعودية)، وبعضهم يعملون أو يدرسون أو يسافـرون إلى بلدان خارجية كثـيرة .وأعداد أخرى كثيرة من السعوديين جاءوا إلى جنـوب البلاد السعودية (تهامة وسراة) لأهداف عديدة مثل العمل والإقامة، أو أعمـال أخـرى تجارية، أو سياحيـة ،أو علمية وتدريبيـة ،أو اجتماعية كالزواج، والزيـارة وغير ذلك من المجالات الحضارية. أما الفئـة الثالثة فهم الوافدون من العـرب والمسلمـين والأجانب الذين جـاءوا للعمـل في عشرات المجـالات التنموية والحضاريـة، وهذه الشريحة نسبتهم كبيرة، ومن يتجول في أي مدينة، أو منطقة، أو حـي، أو قريـة، أو حاضـرة في بلاد السـروات وتهامة فإنه يشاهـد آلاف البشر

بـلاد السروات وتهامـة، الواقعة بين اليمن والحجاز، خلال القرون الإسلاميـة الوسيطة والحديثة ، وهذا الموضوع جديد في مجاله، وكذلك صعب في إنجازه لندرة المادة العلمية الموثوقة. ومن يجمع الوثائق العربية والأجنبيـة، وبعض المصـادر الحجازية واليمنية من القرن الثالث الهجـري إلى الآن فقد يجد بعض المادة التي تفيد في دراسة مثل هذا العنوان، وهو موضوع جيد وجديد لمن سعى إلى خدمة بحثياً وتوثيقياً .

(١) مـن يبحث في تاريخ الدولة السعودية الحديثة السياسي والحضـاري، يجد أن حكام البلاد سعوا وحرصوا علـى بنـاء بلادهم وتطويرها ماديـا ومعنويا. وكان عليهم بنـاء الإنسان السعودي روحيًـا وعلميًا ومعرفيًا وثقافيًـا وإداريًـا وسياسيًا وحضاريًـا. وجلبوا إلى بلادهم عناصر أجنبية عربيـة وأجنبية كي تعمل وتطور الأرض والإنسـان السعودي، وهذا بـدون شك شكل تغيراً وتحـولاً في الطبقات الاجتماعيـة. فأهل البلاد (بواديهـا، وأريافهـا، وقراها، ومدنها) كانوا الذاهبـين الآيبين في أوطانهم، ونسبـة الوافدين إليهم قليلة جداً. ومع الازدهـار والتطور الاقتصادي والمالي والحضاري جرى استقدام ملايين البشر الوافدين الذين يعملـون جنباً إلى جنب مع السكان الأصليين، وسوف نشاهـد في قادم الأيام أجناساً شرقية وغربية كثيرة جـاءوا للسياحـة والنزهة، أو الزيـارة، أو العمل، وقد نرى تغـيراً واسعاً في التركيبـة الديموغرافية خلال العقدين أو الثلاثة القادمة .

المختلفين في جنسياتهم، وأشكالهم، ولغاتهم، وأعمالهم وحرفهم، وتراهم جزء من المجتمع في صلاتهم وتعاملاتهم مع جميع الطبقات الأخرى[١].

٣ـ العمارة بأنواعها :

إن الحديث عن العمارة في تهامة والسراة قديماً حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع واسع وغير مدروس بطريقة علمية عميقة وجادة ورصينة، لا ننكر أن هناك بعض المقتطفات والبحوث العامة التي أشارت إلى تاريخ العمران وبخاصة في القرون الماضية المتأخرة (ق١٢ـ ق١٤هـ/ق١٨ـ ٢٠م)، لكنها لا ترتقي إلى الشمولية والإلمام بجميع أنواع العمارة (الحكومية والأهلية، العامة والخاصة، الفردية والجماعية، المدنية والعسكرية، الإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والتعليمية، والتي داخل القرى والمدن، أو الواقعة على طول الطرق الرئيسية والفرعية وغيرها)[٢].

قضيت خمسة عقود أتنقل في نواحي تهامة والسراة، وأرصد وأسجل وأبحث في موضوعات تاريخية عديدة. ووثقت عشرات الصفحات عن لمحات من تاريخنا العمراني المحلي، وكل الذي أنجزته محاولات واجتهادات، وأعترف أنني لم أدون صورة وافية متكاملة عن هذا القطاع الحضاري الكبير لكنني ذكرت الكثير من الإشارات والمحاور التي تساعد الباحثات والباحثين الذين يتخصصون ويدرسون الحياة العمرانية القديمة، التي مازال بعض شواهدها منتشرة في أرجاء مناطق جنوب المملكة العربية السعودية[٣].

---

(١) أوردت صورة عامة لطبقات المجتمع السروي والتهامي الحديث والمعاصر. وهذا الموضوع له تفريعات وشروحات كثيرة تصدر في مئات الصفحات، وآمل أن هذا المحور العام يجد القبول عند بعض المؤرخات والمؤرخين المحليين فيدرسونه في أعمال مطولة في هيئة كتب وبحوث ورسائل جامعية، مع دعم هذه المشاريع بالوثائق والصور الفوتوغرافية وهي موجودة ومتوفرة بشكل كبير.

(٢) الواضح إن تاريخ العمران في السروات وتهامة خلال العصر الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث (ق١ـ ق١٤هـ/ق٧ـ ق٢٠م) لا يوجد عنه مصادر ولا مراجع كثيرة، وبخاصة في القرون الإسلامية الأولى، والمصادر التقليدية التي نستطيع الوصول إليها لا تشتمل على مادة جيدة وواضحة في هذا الباب، مع أنها لا تخلو من بعض الشذرات القليلة والناقصة. والدراسات الأثرية بجميع أنواعها ربما تكون من العوامل الجيدة لو تم دراستها والاعتناء بها فقد نجد مادة صحيحة تعكس لنا بعض الصور والجزئيات عن هذا التاريخ المادي. ومن يسير في مناكب البلاد اليوم فإنه يشاهد بعض الآثار المادية، مثل القرى، والحصون، والآبار، والمقابر، والكهوف، والدروب القديمة، والأسواق الأسبوعية، والقلاع الحربية، والمدرجات الزراعية، والنقوش والرسومات الصخرية وغيرها ، وجميع هذه المعالم والآثار لا تخلو من تاريخ عمراني متنوع عاشته الأجيال والمجتمعات السابقة.

(٣) أولادي وبناتي، إخواني وأخواتي المؤرخين والمؤرخات والباحثات والباحثين، أرجو أن تطلعوا على ما تم دراسته وبحثه وتوثيقه ونشره خلال الأربعين عاماً الماضية وسوف تجدون فيها صفحات وفقرات ومقتطفات عن تاريخ العمارة في السروات وتهامة، وأرجو أن يكون فيها نقاط تساعدكم وتهتدوا بها لإصدار دراسات أفضل وأشمل وأعمق.

ارتحلـت في أنحاء البـلاد وشاهدت العمارة القديمة، وحتـى العقد الثاني من هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م)،فالعمـارات المبنية من القش والأشجـار والنباتات المختلفة كانت موجـودة ومنتشـرة في الأجـزاء التهامية الساحليـة والسهلية من مكـة المكرمة وتهامة الطائـف إلى مدن وقـرى وأرياف منطقة جـازان، ولا تخلو هذه البـلاد أيضاً من أبنية مختلفـة مـن الطين والحجر، أو من أحدهما، وظهر في بدايـات القرن الهجري الحالي انواعاً من العمران ومواده من الأخشاب، أو الزنك والحديد[١].

يختلـف وضع العمـارة في المرتفعـات من نجـران إلى الطائف ، فالأبنيـة الطينية منتشـرة بشـكل واسع في بلاد نجران، وقحطـان وشهران وحاضرة أبهـا وما حولها في منطقـة عسـير. وفي هذه الديـار أيضـاً أبنية موادهـا الرئيسية الحجـارة والطين، ولا تخلـو من عمارات حجريـة فقط. أما البلاد الممتدة من شمـال مدينة أبها إلى الطائف فأغلب مواد عمارتها الحجر والطين معاً، ويوجد أحياناً منازل أو عمارات قليلة بالقش والأشجار، وأحياناً بعض الأبنية الطينية لكنها أيضاً محدودة[٢].

أمـا البدو الرحل فمنازلهم بجميـع مرافقها من الصوف والشعر، وربما عملوا بعض الأبنية من الأشجار والقش بجانب بيوت الشعر الأساسية في حلهم وترحالهم، وهنـاك بعض البدو الذين يستخدمـون بيوت الشعر في تنقلاتهم ،ولهم منـازل ثابتة في القرى والأرياف وموادها من الحجارة والطين، أو من الطين. وخلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت طبيعة العمران في المملكة العربية السعودية عموماً، وفي تهامة والسراة خصوصـاً تمـر بالعديد من التحولات والتبـدلات الواسعة في طبيعة العمـارة، وأشكالها، وموادهـا، وطرق تشييدها، وأحوال أصحابها الاجتماعية والاقتصادية والتنموية. وهناك أسبـاب كثيرة لهذه التغيرات، لكن حياة الأمن والاستقـرار ثم التطور المادي والحضاري الـذي تعيشـه المملكة العربيـة السعودية مـن عـام (١٣٥٠ـ١٤٢٠هـ/١٩٣١ـ ١٩٩٩م)

---

(١) لم أسهـب الحديـث في هذا الجانب، وشاهـدت هذا النوع من العمران الخاص والعـام ، الكبير والصغير، في الأريـاف والبـوادي والحواضـر التهاميـة في أمكنـة كثيرة مـن بلاد تهامة مـن التسعينيـات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقدين الأولـين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وخلال الثلاثـين سنة الأخيرة (١٤١٦ـ ١٤٤٦هـ/١٩٩٥ـ ٢٠٢٥م) تلاشـى هذا النوع من العمران، ولم يعد له وجود، وإن وجد شيئاً من ذلك فهو مـن المخالفات العمرانية القديمـة. مشاهدات الباحث ومعاصرته لهذا التاريخ منـذ (٥٠) سنة (١٣٩٥ـ ١٤٤٥هـ/١٩٧٥ـ ٢٠٢٤م).

(٢) إن العمـارة بأنواعهـا تختلف حسـب المواقع والمستوى الاقتصـادي للسكان. فأهل الأريـاف والبوادي تكون أبنيتهـم أصغـر حجمـاً، وأقل في المستـوى والجودة من أهـل المدن والقـرى. وعمارات الأعيـان والوجهاء والأغنيـاء وشيـوخ القبائـل أفضل من منـازل وأبنية الفقراء وعامـة الناس. وأحياناً يكـون بعض الأفراد العاديين يمتلكون أبنية كبيرة وبخاصة إذا كان عندهم موارد اقتصادية جيدة .

أحدث الكثير من التطورات في حياة الناس ، والحياة العمرانية من المجالات التي جرى لها تحولات وتطويرات مادية ومعنوية كبيرة وسريعة[١] .

(*) بدأ القرن الهجري الحالي، وجرى الكثيرمن النمو العمراني الحديث، ومما قرأت، وعرفت، وعاصرت، وشاهدت أدون بعض الشذرات التوثيقية عن العمارة والعمران في تهامة والسراة، وهي على النحو الآتي:

أ ـ كانت ومازالت الدولة السعودية الحديثة تسوس بلادها من خلال وزارات ومؤسسات حكومية، وفي أطار خطط خمسية رسمية وسياسية تخطط وتتابع ثم تنفذ. والناس قديماً كانوا يعملون وينجزون أبنيتهم وعماراتهم المختلفة بطرق عشوائية وأحياناً بدائية، ثم سعت الدولة إلى إنشاء وزارات وإدارات وأقسامٍ تتولى الإشراف والتنظيم لمسيرة الحياة العمرانية في أرجاء البلاد ،وبدأت أولاً بالمدن والحواضر الكبيرة فأنشأت المخططات العمرانية مع مراعاة الشروط اللازمة والضرورية للعمران وما يجب توفره في كل عمارة أو عمارات أو مخطط أو حي أو مدينة، أو قرية حديثة[٢] . ونلحظ في التاريخ العمراني الحديث والمعاصر تنوع في أغراضه وتخطيطاته والأهداف التي يجب تحقيقها من كل نوع، عندئذ أصبح هناك مؤسسات حكومية تتعاون وتعمل علىٍ مسيرة العمارة في أرجاء البلاد، ومن تلك القطاعات: وزارة البلديات (وحالياً وزارة البلدية والإسكان) ، ووزارات الزراعة والمياه، والتجارة، والصناعة والكهرباء، ثم الصناعة والطاقة والثروة المعدنية، وكذلك الكهرباء والطاقة المتجددة، والسياحة وغيرها من الوزارات

(١) إن الحديث عن التغيرات المادية والمعنوية التي عاشها الشعب السعودي خلال أربعين عاماً (١٤٢٠هـ - ١٤٣٨/ ١٩٦٠-٢٠٠٠م) تعتبر فترة مؤثرة ورئيسية في حياة الناس العامة والخاصة. لأن هذه العقود الأربعة جرى خلالها كماً كبيراً من التأسيس والتطوير الحضاري والتنموي على البلاد والعباد. وهذه الفترة تعد من أهم الحقب التاريخية التي يجب دراستها دراسة علمية توثيقية تحليلية ،ومعرفة مدى تأثيرها على جميع قطاعات الدولة الكبيرة والصغيرة ، الطبيعية والبشرية ، الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية العلمية والفكرية، الداخلية والخارجية، الفردية والمجتمعية .

(٢) إن دراسة تاريخ العمران الحديث والمعاصر في المملكة العربية السعودية من المشاريع العلمية الكبيرة التي يُكتب فيها عشرات الكتب والبحوث العلمية. ومن يعمل على إنجاز مشاريع علمية بحثية في هذا الباب فسوف يجد مادة علمية كبيرة في أراشيف وزارات الدولة وفروعها المختلفة وبخاصة كل إدارة أو قسم له صلة مباشرة بالعمارة والعمران. وعلى جامعاتنا المحلية مسؤولية كبيرة، فالواجب عليها دعم مراكز البحوث العلمية والباحثين المتخصصين على دراسة مثل هذا الموضوع الحضاري التنموي، وكذلك تشجيع إنجاز دراسات جادة مع إجراء مقارنات بين العمارة الحديثة والقديمة في أي ناحية أو حاضرة أو منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية .

المدنيــة والعسكرية الأخرى[١] .وهنـاك إدارات، وأقسام، وشركات، وفروع، وهيئات أخــرى تأتي ضمن هياكل بعض الــوزارات، أو تحت مظلتها، وأعمالها الرئيسية في مجــال البنـاء والعمــران، ولهذا المؤسســات تاريخ متنوع وبخاصــة في ماله صلة أو علاقة بالبنـاء والتشييد الحديث في عموم بلدان المملكة العربية السعودية[٢] .

ب ـ إذا حصــرت حديثـي علــى تاريــخ العمــران في تهامــة والســراة خــلال هــذا القرن(١٤٠٠ـ١٤٤٧هـ/١٩٨٠ـ ٢٠٢٥م)، فنحــن أمــام بلاد شاسعــة ومتنوعة في معالمهــا الجغرافيــة ،وتركيبتهــا السكانية. لكـن توحيد أجـزاء المملكة العربية السعوديــة تحت مظلة سياسيــة وحضارية واحدة، جعل الجميــع (أرضاً وسكاناً) يســيرون ويعيشــون ويعملــون ضمــن سياســة وخطــط حكوميــة رسميــة في شتى المجــالات[٣] . وكانت حياة العمارة والعمران يغلب عليها العشوائية في كل مكان، ثم بـدأت من تسعينيات القرن الهجري الماضي وخلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) تسيير ضمن خطط حكومية ضرورة وملزمة لكل الناس(أفراداً وجماعات، رسمياً وشعبياً، عمرانياً وحضارياً وتنموياً) [٤].

---

(١) لا أريد التفصيل عن التاريخ الإدارية في البلاد، وبخاصة الوزارات فقد بدأت بعضها باسم (مديريات) ثم تطورت وزادت هذه القطاعات الحكومية (المدنية والعسكرية، الحكومية والأهلية)، وهي التي تشرف على جميــع مناحي الحياة في البلاد (المملكة العربيــة السعودية)، وكل وزارة لها تاريخ طويل ومنجزات كثيرة ، وعنها الكثير من التقارير الرسمية وبعض الدراسات والكتب العلمية، إلا أننا مازلنا نفتقد إلى بحوث نوعية ودقيقة عن جهود كل وزارة بشكل عام، أو في مجالات صغيرة ومحددة. ومن يدرس تاريخ العمارة والعمران في كل وزارة فسوف يقف على كم كبير جداً من المادة العلمية في هذا الباب، ودراسة مثل هذا الموضوع ليس أمراً سهلاً إذا حصرناه على منطقة أو مدينة أو ناحية صغيرة .

(٢) كان من الضروري أن أشير في المحور السابق إلى هذا التنظيم الإداري الحديث الذي أسسته الدولة للسير بالبلاد على سياسة وخطوات حديثة ومدروسة. ومن يتخصص في الجهود المختلفة التي أنجزتها الحكومة من أجل الارتقاء بالأرض والإنسان السعودي خلال أكثر من مئة عام فسيجد الكثير من الأعمال العلمية المطبوعة والمنشورة، وكذلك مئات الموضوعات والعناوين التي مازالت بحاجة إلى جهود كبيرة لدراستها وتوثيقها. وتاريخ العمران من المجالات المهمة التي يجب خدمتها علمياً وتوثيقياً، ونأمل أن نرى مؤرخين وباحثين جادين متخصصين في هذا المجال.

(٣) إن الذي حدث في بلدان المملكة العربية السعودية من عام (١٣١٩ـ١٤٤٧هـ/١٩٠١ـ٢٠٢٥م) يشبه المعجزة، عندما كان السكان يعيشون في فوضى عارمة، وضعف في جميع مناحي الحياة ، ثم جاء الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) ومن عاصره واشترك معه من الرجال الموفقين الصالحين فبنوا ووحدوا كيانــا بشرياً وجغرافياً عظيمــاً ، وتحولت البلاد من حياة الفرقة والشتــات إلى دولة كبيرة دستورها القرآن وسنة الرسول الكريم (ﷺ)، وهمها وديدنها حماية البلاد وخدمة الدين على منهج قويم .

(٤) تاريــخ العمــارة والعمران من عــام (١٣٥٠ـ١٤٢٠هـ/١٩٣١ـ١٩٩٩م) عنواناً جديداً لمــن رغب دراسته وتوثيقــه في أي ناحيــة أو مدينة أو منطقة من مناطق المملكــة العربية السعودية. وإذا ظهر مؤرخون جادون وحصــروا أعمالهــم البحثية العمرانية على أي حاضرة أو ناحية في تهامــة والسراة (من الطائف وجنوب مكــة المكرمــة إلى جــازان ونجران) فإنهــم ، بدون شك ،سيوثقــون لنا تاريخاً وحضــارة محلية جيدة، بل ويحفظون صفحات من ترث وحياة الآباء والأجداد خلال القرون الماضية .

ج ـ كان العقدان التاسع والعاشر في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدايات التحول العمراني الحديث في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة)، وربما كانت العمارة في السروات من الطائف إلى نجران أفضل وأكثر وأنشط. وقد يعترض على هذا القول بعض القراء والباحثين، ويذكرون وجود عمارات شبه حديثة في الحواضر الكبيرة مثل الطائف، وبلجرشي، والنماص، وبيشة، وأبها، وخميس مشيط وغيرها من المدن والقرى الرئيسية(١). ونجد الدولة تلتفت لقطاع الإسكان في نهاية القرن الماضي، وتنشئ صندوق التنمية العقاري، وتبدأ منح المواطنين قروضاً لبناء مساكنهم الخاصة، وفي حوالي ثلاثين عاماً (١٣٩٥-١٤٢٥هـ/ ١٩٧٥ - ٢٠٠٤م) اعتمدت مئات المخططات العمرانية في تهامة والسراة، وشيدت مئات الآلاف من الأبينة والعمارات السكنية، والتجارية، والصناعية والحرفية، والزراعية، والسياحية والتنموية(٢). وأثناء سيري في مناكب مناطق جنوب المملكة العربية السعودية خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) رأيت التطور العمراني الحديث الذي وصل إلى كل قرية ،وبادية، وحاضرة، ومدينة، وريف، وأصبح الإلمام بدراسة هذا التطور العمراني مجال كبير جداً، ولا يستطيع دراسته وتوثيقه إلا مؤسسات علمية بحثية كبيرة ومدعومة مادياً ومعنوياً(٣).

(١) لاشك أن في المدن والقرى الرئيسة الكبيرة في السراة وأحياناً تهامة عمارات كبيرة وجيدة في مرافقها ومواد بنائها، وطوابقها، وأماكنها، وأثاثها، وأصحابها، ومستواها العمراني، لكن معظم موادها (حجارة، وطين، وأخشاب، وأحياناً زنك وحديد وغيرها) من مواد البناء القديمة التي عرفها واستخدمها معظم الناس، ولم يبدأ استخدام المواد الحديثة مثل الحديد، والأسمنت، والخرسانة وغيرها إلا في العقدين الأخيرين من القرن الهجري الماضي.

(٢) إن تاريخ العمران الحديث في هذه القطاعات الحضارية جدير أن يوثق في أعمال علمية عميقة وتفصيلية، مع دعم جميع الدراسات بالوثائق والصور الفوتوغرافية، وكل هذه المصادر متوفرة في الكثير من الأراشيف الحكومية والأهلية.

(٣) منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) أتجول وأسير في أرجاء البلاد، وأشاهد التنمية السعودية الحديثة وصلت إلى كل مكان وكل قطاع حضاري. ومجال العمارة والعمران من أكثر المجالات المخدومة في العصر الحديث والمعاصر. فالمدن والقرى والأرياف والبوادي منتشرة في كل ناحية، وجميع مواد أبنيتها حديثة (الحديد، والأسمنت، والخرسانة)، ناهيك عن مواد البناء الأخرى من أدوات كهرباء، وسباكة، ودهانات، وجماليات أخرى كثيرة داخل المنازل وخارجها، وأنواع الأثاث وغيرها. ونشاهد في كل حاضرة أو مدينة أو قرية مرافق عمرانية أخرى عديدة ومتنوعة كالطرقات، والحدائق، والأسواق، والمدارس، والمستشفيات، والمدن الصناعية، والمطارات، والمدن الجامعية، والموانئ وغيرها من المشاريع الكبيرة في بعض الحواضر السروية والتهامية. ومن يجري دراسات مقارنة عن العمران كيف كان وكيف أصبح فلا وجه للمقارنة، لمحدودية الحياة في الماضي، وتوسع هذا القطاع بشكل كبير في وقتنا الحاضر. وأقول: إن الدراسة المقارنة مطلوبة، والواجب إنجاز بعض البحوث العلمية التفصيلية والجادة في هذا الميدان.

د - إن العمارة داخل الحواضر، والمدن، والقرى متنوعة في أغراضها، فمنها الرسمية مقرات المؤسسات الحكومية المختلفة ،وهناك أبنية خاصة مستأجرة من أصحابها لبعض الإدارات الرسمية أو الأهلية. وعمارات أخرى تجارية، وعلمية وتعليمية ودينية وثقافية، وإعلامية، وصناعية، وزراعية وسياحية، وعسكرية، ومدنية. وكل هذه الأصناف من الأبنية كانت غير موجودة خلال القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وإن وجد بعضها فهي قليلة جداً ومحدودة في عمرانها ومرافقها، أما في الوقت الحاضر فقد اتسعت وتعددت وتنوعت في كل مكان من ديار تهامة والسراة[١].

هـ - من يذهب بين القرى، والمدن، والمحافظات في جنوب المملكة العربية السعودية (تهامة وسراة)، أو يخرج منها إلى مناطق أخرى في أنحاء البلاد السعودية يشاهد مئات الطرق الكبيرة الرئيسية، وعلى جوانبها العديد من العمارات المتنوعة في أشكالها وأهدافها. بل يرى داخل المناطق المعمورة والمأهولة بالسكان، أو على الطرق المسفلتة الكبيرة والمتوسطة تنوع العمارة من حيث المساحات، وتعدد الطوابق والمرافق، ومنها المستخدمة للسكن العام أو الخاص، وأخرى لمنافع اقتصادية وحضارية أخرى. كما أن معظم الأيدي العاملة التي تمارس الأعمال العمرانية المختلفة وافدة من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية، بعكس العمارة قديماً فكل الأيدي العاملة ومواد البناء كانت محلية[٢].

و - مما عرفته في الماضي وشاهدته في هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، سمعت ورأيت عادات وتقاليد وثقافات واصطلاحات ومفردات لغوية لها صلة بالتاريخ العمراني في مناطق جنوب البلاد السعودية. واجتهدت في العثور على معلومات أو بحوث علمية في هذا الباب، لكنني للأسف لم أجد أي شيء حتى كتابة هذه السطور، ومثل هذه النقاط تستحق أن تُدرس في هيئة دراسات علمية رصينة[٣].

ز - لم أدرس وأناقش الوثائق التاريخية وقرارات الدولة الرسمية، أو الوزارات والإدارات والقطاعات ذات الصلة بالتاريخ والتطور العمراني في المملكة العربية السعودية عموماً وفي تهامة والسراة على وجه الخصوص، وهناك كم كبير من المصادر في هذا المجال. واطلعت على عشرات الوثائق التي يعود تاريخها إلى العقود الوسطى

---

(١) من يذهب إلى أي مدينة أو محافظة في الباحة، وعسير، وجازان، ونجران ويحاول حصر أي نوع من العمارات المذكورة في المتن، فسوف يجد صعوبة كبيرة جداً لكثرتها وتنوع المواد العلمية التي تخصها وتشرح تاريخها.

(٢) حبذا أن نرى باحثين يدرسون العمران قديماً وحديثاً في تهامة والسراة وبخاصة في مجال الأيدي العاملة ومواد البناء، وسلبيات وإيجابيات كل عصر في هذين العنصرين.

(٣) ذكرت هذا المقترح بعد أن بذلت جهوداً متعددة باحثاً عن مادة علمية موثقة في ثقافة وأدبيات التاريخ العمراني في حواضر وقرى ومناطق السروات وتهامة.

من القرن الهجري الماضي، ووجدت فيها معلومات قيمة عن العمارة والعمران في مدن تهامة والسراة الرئيسية مثل: أبها، والطائف، والقنفذة، وجازان، وبيشة، وخميس مشيط، ونجران وغيرها. ورأيت أيضاً الكثير من التقارير السنوية الصادرة من بعض الوزارات وفروعها في مناطق جازان ونجران وعسير خلال العشرين عاماً الأخيرة (١٤٢٥ـ ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ ٢٠٢٤م)، وتشتمل على مواد علمية جيدة عن الأنشطة العمرانية في بعض الأمكنة المختلفة[١].

٤ـ عادات الطعام واللباس:

(*) إن قضية الطعام واللباس موجودة عند كل الناس في أي مكان في الكرة الأرضية. وتهامة والسراة جزء صغير من هذا الكوكب الكبير. وكتابة تاريخ طويل ودقيق عن هذين الجانبين يحتاج إلى وقت ومادة علمية تفصيلية ترصد حياة التهاميين والسرويين عبر عصور التاريخ، وهذا ما لا نستطيع إنجازه لأسباب كثيرة ليس المقام مناسباً لذكرها[٢]. والذي سوف أوثقه في هذا الحيز البسيط فقط إشارات على الطعام والشراب، واللباس والزينة مما عرفته وسمعته وشاهدته من نهاية القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وأذكر شيئاً من ذلك في النقاط الآتية:

أ ـ رصدت في كتب وبحوث عديدة، وفي مقدمة ذلك (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ثلاثون مجلداً) صفحات كثيرة عن الطعام واللباس في السراة وتهامة (من مكة المكرمة والطائف إلى بلاد نجران وجازان) منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر، وأكثر المادة المطبوعة والمنشورة في العصر الحديث وبخاصة القرون الثلاثة الأخيرة (١٣ـ١٥هـ/١٩ـ٢١م)[٣].

---

(١) زرت بعض إدارات البلديات والإسكان في تهامة والسراة خلال عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤ - ٢٠٢٥م). وذهبت إلى بعض المعاهد المهنية والصناعية، واطلعت على تقارير وأنشطة كليات الهندسة في جامعات الجنوب السعودي. والتقيت مع بعض المهندسين المعماريين السعوديين والمتعاقدين في عدد من مكاتب الاستشارات الهندسية، وقابلت بعض أساتذة الجامعات المتخصصين في الهندسة وبخاصة أقسام الهندسة المعمارية، ووجدت عندهم مادة علمية كبيرة في مجال العمارة والعمران، لكنها غير مستخدمة في بحوث علمية جادة، وهي من المصادر الأساسية والمهمة في هذا الميدان.

(٢) بلاد السروات وتهامة مأهولة بالسكان منذ العصر الحجري، ومن يدرس النقوش والرسومات الصخرية، أو ينقب عن الآثار المدفونة فسوف يجد بعض المادة العلمية التي تعكس جزئيات من تاريخ الطعام واللباس. والمصادر والوثائق والمراجع خلال القرون الإسلامية (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ١٦م) مليئة بالمعارف التي لها صلة بالموضوع نفسه. لكن للأسف لا أجد متخصص أو دراسات علمية ناقشت هذا الباب، وهو جدير بالاهتمام العلمي البحثي الجاد.

(٣) من ينظر في مؤلفاتي التي صدرت خلال هذا القرن (١٥ـ ٢٠ـ٢١م) فسيجد مادة علمية متناثرة عن اللباس والطعام، وبعضها شروحات وتحليلات، وأخرى مازالت مادة علمية خام مدونة في وثائق عربية

ب - قـرأت في بعض المراجع والوثائـق التـي يعـود تاريخهـا إلى النصف الثاني مـن القرن الهجري الماضي. ورزت في الفـترة (١٣٨٥ــ١٤٢٥هـ/١٩٦٥ــ٢٠٠٤م) عشرات المتاحف الخاصـة في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة، والطائف. ودخلت بعض المطاعم و(البوفيهات) والبقالات وأسواق المواد الغذائية، وشاهدت الكثير من المزروعات المحلية، ومـواد الغـذاء والشراب المستوردة فوجـدت حياة الطعام والشـراب مستقرة عند معظم النـاس، نعـم كانت خـلال الثمانينيـات والتسعينيات محـدودة بعض الشـيء، ثم زادت وتطورت وتنوعت خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م). وفي الفترة المذكورة أعلاه كانت عموم الأسـر في أرجاء السراة وتهامة يعملون أطعمتهم في منازلهم، وكانت مزارعهم وثرواتهم الحيوانيـة رافـداً رئيسيـاً في إعداد طعامهـم وشرابهـم ، وإن جلبوا مـن الأسواق بعض المـواد الغذائية والأشربة فتلك أمور مساعدة في استمرار حياتهم المعيشية. ثم إن الأيدي العاملة هم أهل البلاد (تهامة والسراة) الذين يقومون على صنع الطعام والشراب على المستـوى الخاص والعام. ومن نهاية القرن الماضي بدأت تفتح ثم تزيد المحلات والمطاعم التجاريـة، واستقدمت الأيدي العاملـة من بلدان عربية وإسلاميـة وأجنبية. ويوجد هذا النمط من الحياة في الحواضر والمدن الكبيرة، مثل: الطائف، والباحة، وبيشة، والنماص، والقنفـذة، وأبهـا، وخميس مشيط، ونجـران، وصبيا، والدرب، وجـازان وغيرها[1]. أما القـرى والأريـاف والبوادي فكان أهلهـا أقرب إلى حياة الآباء والأجـداد من حيث إعداد أطعمتهم وأشربتهم، والحصول على موادهم من مزارعهم، ومواشيهم، وبيئاتهم[2].

ج ــ إن الأربعين عامـاً (١٣٨٥ــ١٤٢٥هـ/١٩٦٥ــ٢٠٠٤م) المذكـورة في البند السابق كانت قاعدة رئيسية للعشرين سنة التاليـة (١٤٢٦ــ١٤٤٦هـ/٢٠٠٥ــ٢٠٢٤م). فالتنميـة الحديثة التـي شملت عموم البلاد (المملكة العربيـة السعودية) كانت قد

وعثمانيـة. وأقول: إن هذا الموضوع (الطعام والشراب، واللباس والزينة) خلال العصر الحديث والمعاصر (ق١٠ـ ق١٥هـ/ق١٦ـ ق٢١م) يستحق أن يكون مشروعاً علمياً تقوم به فرق علمية في جامعاتنا المحلية .

(١) إني أكتب جزئيات تاريخية عامة، ومن يدخل في التفاصيل، أو دراسة كل ناحية أو مدينة أو حاضرة بشكل مستقل فسـوف يجد اختلافـات وتشابهات من مكان لآخر. لكن الذي ذكرته يكاد يكـون عاماً، وهناك ظروف وعوامل تؤثـر في وفرة الأطعمة أو ندرتها، وكذلك مواقع المدن وأهميتهـا الجغرافية والبشرية والسياسية والإدارية، كل هذا ــ بدون شك ــ يؤثر في طعام الناس وشرابهم ومعيشتهم الكبيرة والصغيرة، والعامة والخاصة.

(٢) عشـت في سـروات وتهائم بلاد بني شهر وبنـي عمرو خلال العقدين الأخيرين مـن القرن (١٤هـ/٢٠م)، وعملـت في مهن الزراعة والرعـي، وزرت بعض الأسواق الأسبوعية. ثم تنقلـت في أرجاء السروات وتهامة خـلال العقديـن الأوليـين من هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وشاهـدت الكثير مـن فئات وطبقـات المجتمع وهـم يجمعـون أقواتهم، ومـا يقومون به من أعـراف وعادات وتقاليد أثنـاء إعداد أطعمتهـم وأشربتهم، ومـا يستخدمون مـن أواني ومواد منزلية، مع ذكـر مصطلحاتها من مكان لآخر، وكذلـك أسماء الأطعمة والأشربـة والمواد الغذائية المتنوعة. وكل هذه الجوانب غـير مدروسة ولا موثقة، وهي عناوين مهمة وجيدة لمن يدرسها في هيئة بحوث علمية جادة ورصينة .

بدأت من منتصف القرن الهجري الماضي، ثم تطورت رأسياً وأفقياً وفي شتى القطاعات والمجالات، ولم نصل إلى عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م) إلا وحياة الناس ازدهرت وتحسنت ماديا ومعنوياً، رسمياً وأهلياً، فرديا ومجتمعيا. ومجالات الشراب والطعام اتسعت أنواعها وأماكنها على مستوى الفرد، والأسرة والمجتمع، وفاض الخير في كل مكان، وصارت معظم الأطعمة والأشربة والمواد الغذائية المتنوعة والمتعددة تصدر إلى بلاد السراة وتهامة، وتكاثرت وتوسعت أسواق المواد الغذائية، وكذلك المطاعم الصغيرة والكبيرة والمتنوعة أصبحت في كل ناحية من البلاد، وزادت الأيدي العاملة الوافدة أضعاف كثيرة، وظهرت الكثير من أنماط الحياة التي مارسها وعرفها السرويون والتهاميون في منازلهم، ومناسباتهم الصغيرة والكبيرة، وصار هناك أعراف كثيرة تتفاوت في المستويات، والخدمات والأنواع التي يقدم فيها الطعام والشراب المحلي، والعربي، والأجنبي. وفي الوقت نفسه ظهر الكثير من الممارسات والتقاليد والأساليب الإقليمية والعالمية، وتختلف اختلافاً كلياً عن عادات الطعام والشراب التي عرفها ومارسها الآباء والأجداد، بل أحياناً تداخلت وامتزجت التقاليد المحلية مع الحديثة الوافدة[١].

د. إن الأطعمة والأشربة المحلية القديمة تراجعت كثيراً خلال العقود الثلاثة الأخيرة (١٤١٦-١٤٤٦هـ/١٩٩٦-٢٠٢٤م). والناس أنفسهم، وبخاصة الشباب (ذكوراً وإناثاً) أصبحوا زاهدين في كل شراب وطعام قديم واستبدلوا ذلك بالكثير من الأشربة والأطعمة الحديثة. ومن يقارن جودة النوعين، فإنه سيجد أنواع الطعام والشراب الحديث أكثر ضرراً على الصحة، وارتفاع أسعار المواد الغذائية. وإذا كانت بعض المطاعم الشعبية والأسر المنتجة تحاول تصدير منتجاتها إلى الناس، إلا أنها مازالت قليلة مقارنة بالمطاعم والأغذية والأشربة الحديثة والمعاصرة[٢].

(١) أقرأ وأتجول في أنحاء تهامة والسراة، وفي بعض مناطق المملكة العربية السعودية الأخرى، ورأيت الكثير من التحولات والتداخلات في أنواع الأطعمة والأشربة. وشاهدت بعض التقاليد الاجتماعية الدخيلة التي يمارسها الناس في حفلاتهم الاجتماعية، وأعداد ولائمهم، وشراء أغراضهم وموادهم الغذائية. بل إن الكثير من المطاعم المتنوعة في أسمائها وموائدها مستوردة ودخيلة من بلدان وعوالم عربية وإسلامية وأجنبية. ومن يحاول دراسة تاريخ الشراب والطعام خلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٦-١٤٤٦هـ/١٩٩٦-٢٠٢٤م) فإنه سيجد كماً هائلاً من المادة العلمية المتنوعة في هذا الميدان الواسع.

(٢) من المؤسف أن مهن الزراعة في عموم السراة وتهامة تراجعت وضعفت بشكل كبير خلال العقود الثلاثة الماضية المتأخرة، وهذا مما جعل الأشربة والأطعمة القديمة تقل وأحياناً لا توجد وبخاصة عند سكان المدن والحواضر وبعض الأرياف. ومثل هذا الموضوع يستحق أن يدرس في بحث علمي توثيقي جيد.

هـ ـ أشرت في النقاط السابقة إلى محاور عديدة، لكنها غير وافية في شروحاتها وتحليلها ، إلا أننا نعيش خـلال الخمسين سنة الأخيرة (١٣٩٥ـــ١٤٤٦هـ/١٩٧٥ـــ٢٠٢٤م) تحـولات حضارية كبيرة، ولا تخلو من السلبيات والإيجابيات. وإذا حصرنا الحديث علـى حياة التهاميـين والسرويين في مجال الغـذاء والشراب فإننا نجـد الكل تأثر. والمؤثرات في هذا المجال متنوعة ومتداخلة بين السكان المحليين، وما دخل عليهم من الخارج بشكل مباشر وغير مباشر. ثم إن حياة المدنية والتمدن والتطور التقني لاعباً رئيسياً في كل ما جرى على طعام الناس وشرابهم ، وكل ماله صلة بهذا القطاع[١].

و ـ **كان وضـع اللباس والزينـة ليس بعيـداً عما جرى للطعام والشـراب، فضـيق المعيشـة قديماً هيمـن على جميـع أحوال النـاس في تهامـة والسـراة. وكانت الحواضـر وأماكن الاستقرار من مدن وقرى كبيرة أحسن من حياة المناطق النائية كالأرياف والبوادي[٢]. وفي الفقرات التالية أسجل بعض المعلومات التي عرفتها وشاهدتها عن اللباس والزينة في مناطق الطائف والقنفذة، والباحة ، وعسير، وجازان، ونجران، وهي كالآتي:**

١- رأيـت الكثير من الألبسة وأدوات الزينة عند النساء والرجال (صغاراً وكبارا) خـلال العقدين الأخيرين مـن القرن(١٤هـ/٢٠م). ومن يذهـب إلى الأسواق الأسبوعيـة، أو بعضـ المحـلات التجاريـة اليوميـة في مدن الطائـف، وبيشة، والباحـة، والنماصـ، والقنفـذة، ومحايـل عسير، والـدرب، وبيشـ، وصبيا، وجازان، ونجـران، وخميس مشيط وغيرها يشاهد الكثـير من السلع، ومنها: الأقمشة النسائيـة والرجالية، والألبسة المتنوعـة الداخلية والخارجية للإناث والذكـور[٣]، الكبار الراشديـن والأطفال. والكثير من تلـك الملابس مستوردة مـن مدن المملكة العربية السعودية في المناطـق الغربية، والوسطى، والشرقية. ووجـدت ألبسـة أخـرى كثـيرة تم صناعتهـا وتشكيلهـا محلياً، وهنـاك بعض الخياطين السعوديين والوافدين الذين مارسوا مهنة الخياطة والتطريز[٤].

(١) أرجو من أساتذة علوم الاجتماع ، والتاريخ ، والتقنية الحديثة وغيرهم أن تتضافر جهودهم في دراسة حياة المجتمعـات التهاميـة والسروية خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــــ٢١م) ، وما جرى لها من تطور أو تدهور في حياتهم العامة والخاصة .

(٢) وجـدت شيئـاً من ذلك في المدونـات والوثائق والكتب المطبوعـة والمنشورة التي يعـود تاريخها إلى القرنين الماضيين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) . والتاريخ الاجتماعي في عموم السراة وتهامة يستحق أن يكتب في بضعة كتـب ورسائـل علمية ، حتى وإن صدر شيئاً في هذا البـاب ، إلا أن الموضوع واسع وجدير أن يوثق في أعمال علمية رصينة وجادة .

(٣) إذا عدنا إلى تاريخ أقدم، وجدنا بعض الألبسة والزينة البسيطة والمحدودة، والمتفاوتة في كمياتها وأنواعها حسب المكانة الاجتماعية والظروف الاقتصادية.

(٤) مـن يخصص دراسة مستقلة عـن تاريخ اللباس والزينة في أي منطقة من مناطق الجنوب السعودي خلال

٢- جاء القرن الحالي(١٥هـ/ ٢٠ــ٢١م)، وتطورت وتوسعت أحوال الناس المادية، والتوعوية، والثقافية والتعليمية. وازدهرت التجارة الحديثة، وتم استيراد الكثير من الألبسة العربية والأجنبية[1]. ومن يزور ويدرس أحوال الأسواق الصغيرة والكبيرة الحديثة في بلاد عسير، وغامد وزهران (الباحة)، ونجران، وجازان من مطلع القرن الحالي إلى الآن(١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م) فإنه سيرى تطوراً كبيراً في وفرة الملابس وأدوات الزينة المعروضة في الأسواق ،وسيلاحظ التطور الهائل في إنشاء الأسواق الخاصة بالملابس، التي معظمها مستوردة من بلدان كثيرة في العالم، وفي مقدمتها السلع الصينية. بالإضافة إلى الآليات والوسائل والطرق والفنون والتنظيمات المتنوعة والمختلفة التي لها صلة مباشرة وغير مباشرة بالألبسة وأدوت الزينة. وعرفت البلاد أنشطة بشرية متعددة لها صلة بهذه البضائع الضرورية لحياة الناس اليومية، وأصناف الأيدي العاملة الداخلية والخارجية التي تعمل في مجالات كثيرة وعديدة متصلة بأنواع وفنون الملابس، وأيضاً عامة الناس (الزبائن) الذين يترددون على أسواق اللباس والزينة بجميع أنواعها، وموديلاتها ووظائفها. وكذلك التجار السعوديين والأجانب المستثمرين في تجارة الملابس وأدوات الزينة[2].

٣- لم أسهب الحديث عن أقسام الألبسة: الرجالية والنسائية ،المدينة والعسكرية، الخاصة بالكبار والصغار، الملابس الداخلية والخارجية، ألبسة الرأس، أو البدن، أو الأحذية. ولم أتعرض لأنواع الأسواق: المساحات، الإمكانات، وأصحاب المال والأيدي العاملة، والأسعار وطرق الاستيراد والتصدير، ودور التقنية في خدمة الملابس وأدوات الزينة، تجارياً (تسويقيا)، وإعلامياً ،وتعليمياً، والمقومات أو المعوقات المرتبطة ببيع أو شراء الملابس، أو استخداماتها الرسمية والشخصية[3].

النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، فسيجد مادة علمية كثيرة ومكتوبة تخدم هذا الجانب، آمل أن نرى بعض الباحثات والباحثين الذين يدرسون هذا الموضوع دراسة تاريخية حضارية جادة وتحليلية.

(١) تصدير التجارات إلى تهامة والسراة قديمة، وقد اطلعت على عشرات الوثائق التي يعود تاريخها إلى القرن (١٣هــ/١٩م)، والسبعين سنة الأولى من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، ووجدت فيها مادة جيدة عن تصدير سلع متنوعة إلى هذه البلاد ،وكان منها الأقمشة وبعض الألبسة .

(٢) اختصرت الحديث، وأشرت إلى نقاط رئيسية في عالم اللباس والزينة، وكل مدينة أو حاضرة أو ناحية في تهامة والسراة لها تاريخ في هذا المجال، لكنه غير مدروس ولا موثق ، وبحاجة إلى من يخدمه علميا وتوثيقيا.

(٣) دونت هذه المحاور من خلال قراءاتي وزياراتي للكثير من الأسواق التجارية خلال هذا القرن (١٤٠١ــ١٤٤٧هـ/ ١٩٨١ــــ٢٠٢٥م). وكل هذه النقاط مجالات جيدة لإنجاز دراسات علمية موثقة، ومن يقوم بذلك فلن يجد صعوبة لوفرة المادة العلمية المكتوبة والمرئية والمسموعة.

٤- من عاصـر الحياة خلال الستين أو السبعين سنة الأخيرة يعرف التحولات التي جرت على الناس في شتى مناحي الحياة. والألبسة وأدوات الزينة من القطاعات التي حدث لها تغيرات كثيرة، بعضها إيجابية وأخرى سلبية[١]. وقد يرى الأنسان الحيـاة تسير بشكل طبيعي، لكن من يتأمل ويفكر ويقارن بين الماضي والحاضر يـدرك القدر الكبير من التبدلات على ألبسـة الناس، من حيث التنوع والكثرة، وطـرق الاستخدام، وظهـور بعض المظاهر التـي يغلب عليها التعـري، والتشبه بالغرب والشرق، وغـير ذلك من التقاليد والثقافات وتأثير العمالة الوافدة من موظفـين، وأيدي عاملـة، وزوار وسياح وغيرهـم. وأيضاً كل مـا وصل إلى أهل البلاد من خلال وسائل المواصلات والاتصالات والتقنيات الحديثة[٢].

٥- إن ثقافـة اللباس والزينـة غالباً تكون مكتسبة مـن حيث النـوع (الموديل)، والتفصيـل، وطـرق اللبـاس، وأوقاته ومناسباتـه، والأسمـاء (المصطلحات) اللغويـة التي تطلق على كل لباس وأدوات الزينة، والظروف والبيئات البشرية والطبيعيـة وتأثيرها على أنماط الألبسة والتزين، والعـادات والتقاليد المحلية والوافـدة. وقـد زرت عـدداً مـن الأسـواق في مـدن خميس مشيـط، وأبهـا، والنماص، ومحايـل عسير، والباحـة، وبيشـة، وبلجرشي، وصبيـا، وجازان، والقنفذة، والطائف خلال العقدين الأوليين من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وفي الثلاثينيـات والأربعينيات من القـرن نفسه وشاهدت تحولات كثيرة في مسيرة اللبـاس والزينة، وكان للتطـور والتنمية الحديثة التي تعيشهـا المملكة العربية السعوديـة خـلال العصر الحديـث والمعاصر الأثر الكبـير في كل ما جرى على الأرض والناس سواء في مجال الزينة واللباس، أو في نواحي أخرى عديدة[٣].

---

(١) إن إجـراء دراسـة مقارنة بـين الماضي والحاضر، والتركيـز على الإيجابيات والسلبيـات في مجال اللباس والزينة موضوع جديد لم يدرس في أعمال علمية حسب معرفتي واطلاعي.

(٢) سجلت هذه الخلاصات بعد أن شاهدت وسمعت وعرفت الشيء الكثير مما أصاب الناس وعاصروه من نهاية القـرن الماضـي إلى الآن (١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م). والذي حدث على الحياة الاجتماعية كالألبسة وغيرها لا يدون في ورقـات محـدودة، بل يكتب في آلاف الصفحات لمـن يبحث عن صورة كاملة توضح تاريـخ اللباس وأدوات الزينة في منطقة كبيرة وواسعة مثل ديار السروات وتهامة، الواقعة بن حواضر اليمن والحجاز الكبرى.

(٣) دراسـة تاريـخ البشر والحجـر في أرجاء المملكة العربيـة السعودية عموماً، أو في مناطـق السروات وتهامة خصوصاً خلال الثمانين عامـاً الأخيرة (١٣٦٥ـ ١٤٤٧هـ/ ١٩٤٥ـ ٢٠٢٥م) من المشاريع العلمية الكبيرة التي تستحق خدمتها علمياً وبحثياً. وهذه مسؤولية مؤسسات التعليم والبحث العلمي التي يجب عليها دعم وتمويل وتشجيع مثل هذه الموضوعات الحضارية المحلية.

٥ـ بعض عادات وتقاليد الناس العامة والخاصة :

هـذا العنـوان المذكور في العنـوان يتفـرع إلى فروع كثيرة، فـكل فـرد أو أسرة، أو عشيرة وقبيلة، أو حاضرة ومدينة وقرية وريف وبادية، أو مهنة أو نشاط عام أو خاص، اجتماعي واقتصادي، سياسي وعسكري وأمني وإداري، علمي وتعليمي وثقافي وإعلامي، أو يتعلـق بذكور وإناث صغار وكباراً، أو داخل البيـوت أو خارجها. كل هذه المنظومة لها تقاليد وأنظمة وأعراف، وأسماء ومصطلحات وممارسات معروفة ومتفق عليها عند كل شريحـة من النـاس، وأحياناً هناك تقاليد وعادات عامة تشـترك فيها طبقات أو فئات عديـدة، وأخرى محصورة علـى ناحية أو مجموعة دون أخرى. ومـن يسعى إلى دراسة التقاليـد والعادات عند مجتمع من المجتمعات. مهما كان حجمه، أو ظروفه، أو تاريخه، أو بيئته فلابد أن يلم بالخطوط العريضة التي من خلالها تُمارس عادة أو تقليد معين[١].

قضيت عمري أقـرا وأشاهد وأشارك وأسمع السرويـين والتهاميين يعيشون حياتهم في مجتمعاتهـم المختلفـة. وهم يشتركـون في عوامل رئيسيـة، مثل: الأرض التي ينتمون إليهـا، والديـن الذي يدينون به، واللغة التـي يتكلمونها، ثم الأوضـاع السياسية والإدارية والحضاريـة التي يعيشون تحت ظلها في الماضي أو الحاضر، كل هذا جعلهم يتشاركون في عادات وتقاليد عامة دينية، وأمنية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية ومعرفية وغيرها[٢].

سافـرت وتجولت في أجزاء عديدة من تهامة والسراة، ورأيت أهل البلاد يمارسون مهنهم المختلفة (رعي، وزراعة، وجمع والتقاط، وصناعات ومهن عديدة)، أما حياتهم الاجتماعيـة فهي الأخـرى مكتظة بالأنشطة الدينيـة والثقافية والتعليميـة، والرياضية والترفيهيـة، والصـلات والتقـارب والتعـاون والتكافل، وغير ذلك مـن مناشط الحياة الإدارية والأمنية والفردية والأسرية والمجتمعية[٣].

---

(١) يوجـد آلاف البحوث والدراسات العربية والأجنبية التي درست التاريخ الاجتماعي، وتخصصت في نواحي وموضوعـات أو جزئيـات محددة لها علاقة بالعـادات والتقاليد والأعراف. والباحـث في المصادر العربية والإسلاميـة يجـد القرآن الكريم وعلوم السنة وكتب التراث الإسلامـي مليئة بمواد علمية متنوعة لها صلة مباشرة وغير مباشرة بالعادات والأعراف ذات الصلة بالناس وبيئاتهم ومن يخالطهم من البشر.

(٢) لقـد أشـرت إلى شـيء من ذلـك في بعض دراساتـي المطبوعة والمنشـورة التي رصدت جزئيـات من حياة أهـل السـراة وتهامة من عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. وسـكان هذه البلاد لهم تاريخ وتراث وحضارة اجتماعية وحضارية لكنه مازال غير مخدوم علمياً وبحثياً بصورة كاملة وشاملة.

(٣) هـذا الـذي شاهدته ،وعاصرته في مناطـق عديدة في جنوب البـلاد السعودية، وفي بعض المدن والمناطق الأخـرى بالمملكـة العربية السعودية من عام (١٣٨٥ــ ١٤٣٠هـ/١٩٦٥ــ ٢٠٠٩م). وللأسف بذلت جهوداً كبـيرة باحثـاً عن دراسات علمية في هـذا الميدان، لكن لم أجد أعمالاً جيدة توضـح لي مناشط السرويين والتهاميين في بلادهم الأصلية ، أو في البلدان التي هاجروا إليها واستقروا فيها .

من يراقب حياة الناس في العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م) يجد البعض من تقاليد وعادات الآباء والأجداد مازالت تمارس عند فئات المجتمع التهامي والسروي، مع أن الكثير جرى عليها تحولات فزادت أو تراجعت، وبعضها اختفت أو تدهورت كثيراً عند الأجيال المتأخرة[١].

عوامل كثيرة جعلت التغير الاجتماعي يحدث في مجالات كثيرة عامة وخاصة. والإنسان (ذكراً أو أنثى) هو العامل الرئيسي في هذه التحولات، والتطور المادي والتقني يعد من أكثر العوامل التي أوجدت تغيرات جذرية في أمور كثيرة. وعندما ظهر الإنترنت في كل مكان، أصبح العالم بجميع قاراته وبلدانه وأجزائه مدينة أو قرية واحدة، وتداخلت الثقافات والكثير من العادات والتقاليد، وأصبح السروي والتهامي الذي كان محدوداً في مكانه الجغرافي والحضاري على اتصال بالكثير من الحضارات والأقطار العربية والإسلامية والأجنبية، وبالطبع تولد عن ذلك تغيرات في نمط حياة الأفراد والأسر والمجتمعات التهامية والسروية[٢].

نلاحظ في العقدين الأخيرين (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م) الكثير من أحوال البلاد والعبادة الرسمية والشعبية قد تبدلت في جوانبٍ مجتمعية كثيرة. وبرزت بعض التقاليد والعادات الجديدة مع الأفراد والأسر (ذكوراً وإناثا)، وأخرى عامة في المجتمعات الكبيرة، وفي قطاعات متعددة ومتنوعة. ولا نقول: إن كل قديم من العادات انقرض، لكن حدث تحولاً واسعاً على كثير من المجالات الحضارية[٣].

ربما ينتقدني بعض القراء الكرام على شمولية توثيقاتي، وعدم التركيز على قضايا صغيرة ومحددة ،لها صلة مباشرة بالعادات والتقاليد. ومن يقول هذا القول فلم يذكر

(١) أوردت أقوالي إجمالاً، ومن يتوقف مع عشرات العادات والتقاليد الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والتعليمية، والمادية والمعنوية فسيجد مادة علمية كبيرة في هذا الباب، ومعظمها مازالت شفهية، أو ضمن مذكرات وأوراق ومدونات رسمية وأهلية محفوظة في أراشيف عامة وخاصة. وهذا النوع من التاريخ يستحق أن يدرس في كتب وبحوث علمية .

(٢) لا أذكر هذا الكلام من فراغ، بل هو واقع ملموس وممارس على أرض الواقع. من ينظر إلى الناس في أي ناحية من تهامة والسراة في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم يقارن حياتهم وأحوالهم العامةِ والخاصة آنذاك مع العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م) فإنه سيجد التحول كبيراً جداً، وفي جميع مفاصل الحياة . وبعض هذه التغيرات إيجابية وجيدة من منظور إسلامي ووطني، وأخرى كارثية وبخاصة في أمور كثيرة لها علاقة بالدين والأخلاق والقيم والتقاليد الجيدة والنظيفة .

(٣) إذا درسنا أوضاع الأسرة ، والأنشطة الاجتماعية، والإدارية والاقتصادية، والتعليمية والإعلامية، وتواصل السرويين والتهاميين مع غيرهم داخل المملكة وخارجها فتلك موضوعات كبيرة يكتب عنها عشرات البحوث العلمية .وقد نرى في قادم الأيام تغيرات أكبر وأكثر اتساعاً على الأفراد والمجتمعات.

إلا حقيقــة، وكان الأجدر أن أحــدد نقاطاً معينة في مجال الأعــراف والعادات وأتحدث عنهــا بطريقة وصفية وتحليلية ، لكنني لم أفعــل ذلك، لأن الذي جرى على حياة الناس خلال الثلاثين سنة الأخيرة (١٤١٥ــ١٤٤٦هـ/١٩٩٥ــ٢٠٢٤م) تحولات كثيرة ورهيبة ومؤثــرة على جميع شرائح المجتمع ، لهذا اكتفيت بالإشارة والتنبيه إلى هذا الأمر الذي لا يخلــو من الخطورة والتأثير السلبي على مبادئ وقيم وأخلاق وشيم النـاس. وأرجو أن نــرى جامعاتنا ومراكز بحوثها العلمية، وكلياتهــا وأقسامها الأكاديمية تهتم بدراسة ما يجــري على البلاد من تغيرات، وتسعــى إلى توضيح الأمراض والعيوب الاجتماعية التي تهدم كيانات الأفراد والأسر والمجتمعات، ثم تخرج بآراء وتوصيات ترفعها إلى الجهات الرسميــة وصناع القرار في البلاد حتى يستفيدوا منها في اتخاذ قرارات هادفة وصائبة من أجل خدمة الدين والوطن وجميع طبقات المجتمع[١].

٦ـ الصلات بين شرائح المجتمع داخلياً وخارجياً :

كانت الصــلات بين السرويين والتهاميين قديماً ضيقــة ومحدودة لصعوبة الأرض وعــدم وجود طرق سهلة تربط بين أجزاء البلاد. فأفراد كل قرية أو قبيلة أو ناحية على صــلات حضارية متنوعــة في نطاق أرضهم، وتمتد الصــلات إلى بعض القرى والقبائل والعشائــر المجــاورة عن طريق الأحلاف وغيرهــا، وأحياناً كانت الصــلات فيما بينهم سلبية لحدوث الكثير من الصراعات والحروب القبلية[٢].

هنــاك قــوى سياسية وعناصــر بشرية متعددة وفــدت إلى بلدان عديــدة في تهامة والســراة خلال القرنين (١٣ــ١٤هــ/ ١٩ــ٢٠م) ، وحدث احتـكاكات إيجابية وسلبية كثــيرة بين أهل البلاد ومن جاء إلى بلادهم من داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وخــرج بعض التهامــين والسرويين من بلادهــم، وذهبوا إلى أمكنة عديــدة في الداخل والخارج، وتنوعت الأسباب والظروف للوافدين أو المهاجرين، وهذا الموضوع لا أجد عنه دراسات علمية توثق هذا النوع من الصلات التاريخية والحضارية [٣].

---

(١) آمــل أن يجــد هذا النداء وهذه التوصيات من يترجمها إلى واقع من خلال إنجاز أعمال علمية جيدة وقوية وشفافة تصب في مصلحة البلاد وأهلها ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(٢) من يقرأ في الوثائق والمصادر والمراجع ، ويسمع الكثير من القصص المحلية عن أحوال الناس خلال العقود الثمانيــة الأولى مــن القــرن الهجري الماضــي فسيجد شيئاً مما أشــرت إليه في المـتن وبخاصة الاحتراب والصراعات القبلية، وما يتولد عنها من سلبيات على البلاد والعباد .

(٣) يوجــد الكثير مــن المصادر والمراجع والوثائق التي احتوت على شيء من تاريخ الصــلات الداخلية والخارجية بين السرويين والتهاميين مع غيرهم خلال العصر الحديث، آمل أن نرى باحثين جادين يخدمون هذا الموضوع في بحوث علمية رصينة .

بعد توحيد البلاد تحت مظلة الدولة السعودية الحديثة، وسريان التنمية الحديثة في أرجاء البلاد، نتج عن ذلك صلات جيدة وإيجابية بين أهل البلاد أنفسهم، وبينهم وبين من وفد إلى بلادهم من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها . والباحث والمتأمل في التحـول الجغرافي والبشري الذي وصل إلى كل مـكان في تهامة والسراة خلال النصف الثـاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، فسيجد تطوراً تنموياً حضاريـاً امتد إلى كل قطاع أو ناحية في البلدان السروية والتهامية، وأهل تهامة والسراة أنفسهم خرجوا من أوطانهم الأصلية واتصلوا بالكثير من الأفراد والأسر والتجمعات الأخرى في أنحاء الوطن الكبير (المملكة العربية السعودية) [١].

جاء هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ ٢١م)، وتوسعت مجالات التنمية الحديثة حتى وصلت إلى كل جـزء في بـلاد تهامة والسراة. ومـن مشاهداتي ومعاصرتـي وسيري في مناكب الأرض، رأيت عموم البلاد التي كانت في الماضي في فقر وجوع واحتراب وفقدان أمن قد أصبحـت بلداناً متطورة مادياً ومعنوياً، وصـار إنسانها عضواً مشاركاً وفاعلاً في أرضه (تهامـة والسراة)، وفي بلده الكبير المملكة العربية السعودية ، وامتدت آثاره وإسهاماته إلى خـارج وطنه، وأصبح له ذكر واسم ومشاركات متنوعة في العالم العربي والإسلامي والأجنبـي[٢]. وجـاء إلى ديـار جنوب البـلاد السعوديـة أجناساً بشرية كثـيرة داخلية وخارجيـة. وكل هذا الحراك الحضـاري أوجد كماً كبيراً مـن الاتصالات والتداخلات الحضاريـة (الاجتماعيـة ، والاقتصادية، والثقافية والإعلاميـة، والتعليمية والتربوية، والسياحية والترفيهية، والسياسية والإدارية والعسكرية وغيرها) [٣].

---

(١) هـذا التداخل والتواصل الذي حدث في البلاد خلال النصـف الثاني من القرن الهجري الماضي لم يحدث مثلـه علـى مر التاريخ ، وهناك عوامل كثيرة ولدت هذا التواصـل والانصهار بين سكان ومجتمعات المملكة العربيـة السعودية. ويأتي توحيد البلاد سياسياً وأمنياً في مقدمة تلك الأسباب ، تلاها مقومات وتطويرات حكوميـة عديـدة، وكانت النتيجة ترابط أجزاء البلاد السعودية ببعضهـا جغرافياً وبشرياً، كذلك المناطق المحدودة أو الصغيرة مثل بلدان السروات وتهامة اتحدت وتواصلت وتداخلت في شتى مناحي الحياة. وهذه المعجـزة أو الطفـرة الحضارية التي سادت البلاد لم تدرس حتى الآن، آمـل أن يسعى الباحثون والمؤرخون الجادون إلى توثيق هذا التاريخ الحضاري المحلي المهم .

(٢) مـن يدرس التطور التنموي والحضاري الـذي يعيشه سكان السراة وتهامة خـلال الخمسين سنة الأخيرة (١٣٩٥ــ١٤٤٦هـ/١٩٧٥ـــ ٢٠٢٤م) فسوف يجد تاريخاً واسعاً ومتشعباً ومشرقاً ليس في بلادهم (تهامة والسراة)، وإنما في أنحاء المملكة العربية السعودية وخارجها.

(٣) مـن يدرس كل هذه المحاور وما نتـج عنها من تداخلات حضاريـة، وما حدث من أثـر وتأثير على الأرض والناس، فسوف يجد تاريخاً حديثاً ومعاصراً كبيراً، وهذا ما نتطلع إلى معرفته، أرجو من أهل الاختصاص وبخاصة أساتذة التاريخ والحضارة ، وعلم الاجتماع ، والتنمية وغيرها أن يدرسوا هذه الموضوعات في كتب علمية ورسائل جامعية وهي جديرة بذلك .

ليس هدفي من هذا التوثيق إنجاز أعمال بحثية توثيقية عميقة ، فهذا المبحث ليس مكان هذا الموضوع، إنما فقط أشرت إلى بعض العناصر التي تستحق أن تخدم علمياً وبحثياً ، وآمل من مراكز بحوث جامعاتنا العلمية وأقسامها الأكاديمية أن توجه وتدعم الباحثين والمتخصصين لدراسة مثل هذه العناوين والنقاط الحضارية المحلية[١] .

خامساً : وقفة مع التاريخ الإداري (المدني والعسكري، الرسمي والأهلي:

ظهر في حواضر السراة وتهامة بعض القوى السياسية والقبلية التي كانت تمارس نوعاً من الضبط الأمني والعسكري والإداري. وإذا درسنا أحوال الإمارات المحلية الموجودة في البلاد خلال القرن (١٤هـ/١٩ــ ٢٠م) وجدنا بعض المؤسسات الإدارية المدنية والعسكرية. وعند وصول الجيوش العثمانية إلى المنطقة وإنشاء المتصرفية العثمانية في أبها، وفتح فروع لها في مدن تهامية وسروية ، بالإضافة إلى إدارات أخرى مدنية وعسكرية[٢] .

(*) عندما دخلت البلاد (سراة وتهامة)تحت حكم الدولة السعودية الحديثة، بدأت الإدارات الرسمية الحديثة تظهر تباعاً في مدن جنوب المملكة العربية السعودية ، وكان منها المدنية والعسكرية ، وكذلك الحكومي والأهلي.

١ـ المؤسسات الإدارية المدنية العامة والخاصة :

اعلم أن التنظيمات الحكومية السعودية الحديثة بدأت من مكة المكرمة، ثم انتشرت في أرجاء البلاد السعودية. وأنجزت العديد من الكتب والبحوث العلمية عن الطائف، والقنفذة، وجازان، وعسير، ونجران، والباحة[٣] ، وزرت عشرات الإدارات الحكومية والأهلية وأرخت لبعضها، ووجدت أن مدن أبها ، والطائف، وبيشة، وخميس مشيط، وجازان، وبلجرشي، والباحة وغيرها كانت الأمكنة الرئيسية التي أنشئت فيها أول المؤسسات الحكومية المدنية، مثل: الإمارات وإدارات البلدية، والمحاكم الشرعية، وكتابة العدل، والتعليم، والدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) هذا الذي أسعى إلى تحقيقه في هذا المبحث ، بل أرى من مسؤولياتي كمؤرخ وباحث أن أدون مقترحات وتوصيات علمية لأبنائنا المؤرخين والباحثين لعلهم يهتدون بها في بعض بحوثهم ومنجزاتهم العلمية، وآمل أن يتحقق ذلك، والله من وراء القصد .

(٢) لم أجد دراسة علمية شاملة وتفصيلية للتاريخ الإداري والأمني والعسكري في تهامة والسراة من بداية القرن (١٣هـ/١٩م) إلى أربعينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وهذا موضوع جديد يُكتب فيه بحوث علمية عديدة .

(٣) انظر العديد من الكتب المطبوعة والمنشورة ورقياً ورقمياً وفيها تفصيلات عن تاريخ وحضارة هذه البلدان خلال العصر الحديث والمعاصر.

والمواصـلات، والـبرق والبريـد واللاسلكي (الاتصـالات)، والمالية، ومراقبـة الأسواق والموانـئ، والصحة، وغيرها. وتلك المؤسسات قامـت بواجباتها على أكمل وجه، وكانت مرجعياتهـا الإدارية والمالية تعـود إلى المديريات الرئيسية في مكة المكرمة، ثم الوزارات بعد تأسيسها وانتقالها إلى العاصمة الرياض(١).

شاهـدت ثم بحثت ودرست تاريـخ التطور الإداري في تهامة والسـراة، فوجدت أن معظـم الإدارات المدنية صارت موجـودة وتعمل في معظم مدن وأرياف وحواضر مناطق جنـوب المملكة العربيـة السعودية خـلال الثمانينيات والتسعينيات مـن القرن الهجري الماضـي، وأصبحـت كل مؤسسـة مدنية تـؤدي خدماتها للبـلاد والعبـاد كل في مجاله واختصاصـه. وفي هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) تطـورت وزادت وتنوعت الإدارات في مقراتهـا، وكوادرها البشرية، وميزانياتها، ونفقاتها وخدماتها. كما أنشئت الكثير من المؤسسـات الأهلية والتجارية مثل البنوك، والجمعيـات الخيرية والإنسانية، والشركات والهيئات المتعددة والمتنوعة في مجالاتها وتخصصاتها(٢).

٢. القطاعات الأمنية والعسكرية:

أدرك الملـك عبدالعزيـز بـن عبدالرحمـن الفيصـل (يرحمـه الله) الفوضـى والاضطـراب الذي كان ساريـاً في أرجاء شبه الجزيرة العربيـة، عندئذ أوجد الأنظمة والقوانـين التي تستمـد صلاحيتها مما جـاء في القرآن الكريم وسنـة الرسول (ﷺ)، وأرسل الحملات العسكرية إلى كل مكان من أجل توحيد البلاد، وفرض القانون، وتوفير الأمـن والاستقرار للأرض والناس، وهـذه السياسة أخذت عقـود عديدة حتى توحدت البلاد، وساد الأمن والأمان ،واندحر الظلم وأهل الجور والطغيان(٣).

(١) هكذا كانت بدايات التاريخ الإداري والمالي في عصر الدولة السعودية الحديثة، وكل مؤسسة من المؤسسات المذكـورة في المـتن بـدأت في حواضـر تهامة والسـراة من نهايـة الأربعينيات ثـم الخمسينيـات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكل إدارة تطـورت وتفرعت حتى صارت منتشرة في أرجاء البلاد. ومن يبحث في كل إدارة مدنيـة في مناطق ومـدن وحواضر جنوب المملكة يجدهـا بدأت بسيطة، ولم نصـل إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا عموم البلاد أصبحت مليئة بالإدارات المدنية الخدماتية.

(٢) اختصـرت كثـيراً في هذا التوثيـق التاريخي، لكننـي ارتحلت وزرت معظـم مدن وقرى وأريـاف السروات وتهامـة خلال العقود الأخيرة (١٤١٠ــ١٤٤٦هـ/ ١٩٩٠ــ٢٠٢٥م)، وكتبت في مجالات تاريخية وحضارية عديدة، ومنها المؤسسات الإدارية المدنية الحكومية والأهلية، ووجدت أنها كانت محصورة في المدن الكبيرة خـلال القـرن الهجري الماضي، أما هذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) فقـد توسعت وتفرعت وتعددت أعمالها وإنجازاتها لخدمة البلاد والعباد.

(٣) هـذا التاريخ والمنجزات تم تسطيرها في عشرات الكتب والبحوث العلمية، ومازال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة وفيها مادة علمية مهمة وجديدة عن الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز ورجال حكومته في توحيد البلاد ونشر الأمن والاستقرار في كل مكان.

نجد القبائل في تهامة والسراة كانت صاحبة السطوة والهيمنة في بلادها، وكانت في حروب وصراعات دامية، وقضى الملك عبدالعزيز آل سعود سنوات عديدة يوحد شمل القبائل، ويعاقب من عصى وتمرد، ويقرب من والاه وسانده ونصره. ولم تكن القبائل في جنوب المملكة العربية السعودية على مستوى واحد من الطاعة والانقياد، بل تفاوتت في ترحيبها بحكم الملك عبدالعزيز، وفي الأخير دخلت جميعها تحت لواء الدولة السعودية الحديثة. وتوثيق الأحداث الحربية والصراعات العسكرية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) يحتاج إلى عشرات الصفحات، لكن الغلبة في النهاية كانت لابن سعود الذي كان يسعى إلى توحيد شمل البلاد، ونبذ الفرقة وتطوير الأرض والإنسان، وقد تحقق له ما سعى إليه، وما حارب من أجله .

من يطلع على بعض الكتب المطبوعة والمنشورة، ويقرأ في المصادر والوثائق يجد أن نظام الجهاد الذي قام على أهل البادية ثم القبائل كان السائد أثناء توحيد البلاد السعودية في عصر الملك عبدالعزيز[1]، ثم أنشئت بعض الإدارات الأمنية والعسكرية مثل مديريات الداخلية، والدفاع، وغيرها، وكان من مهام هذه المؤسسات فرض الأمن والاستقرار في البلاد، وقد بدأت في مكة المكرمة ثم تطورت حتى أصبحت وزارات كبيرة في الرياض، وتلاها في وقتٍ لاحق إدارة الحرس الوطني. وكل هذه الإدارات لها أقسام وإدارات فرعية، فالداخلية مثلاً يتبع لها نظام الشرطة، والسجون، والعسس وغيرها. ومديرية ثم وزارة الدفاع لها فروع عديدة، كالمدفعية والرشاش، والمشاة وهذا ما اطلعت عليه في عشرات الوثائق في أراشيف بعض الإمارات والماليات في مناطق جازان، وعسير، ونجران[2].

لم تأت العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلا جميع الأجهزة والإدارات الرئيسية الأمنية والعسكرية منتشرة في حواضر ومدن ومناطق وأرياف السروات وتهامة. وأثناء سيري في البلاد من بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) فقد شاهدت مئات الإدارات والأقسام العسكرية البرية

---

(١) يوجد آلاف الوثائق التي تشتمل على مادة علمية عن تنظيم الجهاد ، وكيف شاركت القبائل وأهل البادية في هذا التنظيم، وكان يتبع للجهاد إدارات وأنشطة متعددة ومتنوعة في أعمالها وما يجب عليها القيام به، وكان للإمارات وإدارات المالية وغيرها صلات بإعداد وتجهيز المجاهدين في الحروب والحملات المختلفة في أنحاء المملكة العربية السعودية .

(٢) هذه المصادر تعود إلى الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويوجد مئات الوثائق التي تشرح أعمال ونشاطات هذه الإدارات العسكرية في نواحي عديدة من تهامة والسراة، وحسب علمي لا يوجد دراسة علمية في هذا الباب، ومن يتخذه عنواناً لكتاب أو رسالة علمية جامعية فسوف يجد مصادر ووثائق أولية تخدم هذا الموضوع .

والجويــة والبحرية، ومثلها مــن المؤسسات الأمنيــة كالشرطة، والمباحــث، والاستخبارات، والسجون، والدفاع المدني، والتحقيقــات الجنائية، والمجاهدين، وإدارات المخدرات، وأمن الطرق، والقوات الخاصة، والطوارئ وغيرها. وهذه المؤسسات العسكرية والأمنية عالم آخر من الأنشطة والمهمات المختلفة التي لها صلة مباشرة بالدفاع عن البلاد من أي عدو داخلي أو خارجي، وكذلك بسط الأمن وحماية البلاد من أي خطر يهدد أمنها واستقرارها(١).

٣ـ إدارات أخرى:

مــن يتخصص في دراســة التاريخ الإداري في تهامة والسراة يحتاج إلى أن يطلع على كل المصــادر ذات الصلــة بهــذا الموضوع، وبعضــ المؤسسات أنشئت مــن وقت مبكر، ثم جــرى عليهــا تطوير وتعديــل وأحياناً إلغاء، أو دمــج بعض الإدارات مــع بعضها. وفي هذا القرن(١٥هــ/٢٠ - ٢١م)، وخاصــة خــلال العشرين سنة الأخــيرة (١٤٢٥- ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٤ - ٢٠٢٥م)، تم إنشــاء مؤسســات حكوميــة وأهلية عديدة، وذلــك أمر طبيعي، لأن التطــور والتنميــة التي تمر بها البلاد خلال العقدين الأخيريــن جعل الكثير من الوزارات والهيئــات تجــري تحديثات وتعديلات علــى هياكلها الإداريــة والمالية، وبالتــالي تأسست الكثــير من الهيئــات، والإدارات، والفروع، والأقسام الإداريــة والفنية والتقنية، وتم توفير العديد من البرامج التدريبية والكليات والأقسام الأكاديمية المتخصصة في تطوير الكوادر البشرية التي تستطيع مواكبة العصر الحديث وماظهر فيه من تطورات تقنية ورقمية (٢).

سادساً: مقتطفات من التاريخ الاقتصادي:

تتمتــع تهامة والســراة بموقع استراتيجي جيد، ومــوارد طبيعية متنوعة، وهذا مما جعلها مؤهلة للعديد من الأنشطة الاقتصادية، مثل:

١ـ الرعي، والصيد، والجمع والالتقاط:

كانــت هذه المهــن الثلاث موجودة في أرجــاء البلاد، والسواد الأعظــم من السكان يمتلكــون الكثير من المواشي والحيوانات الأليفة، وأهل البادية يعتمدون بشكل كبير على

---

(١) أشــرت إلى لمحات من تاريخ هذه القطاعات في بعضــ مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة، لكنها مازالت ميادين جديــدة في مجــال البحث العلمي، وتستحق أن يصدر عنها دراسات علميــة جادة ورصينة، مع أن الوصول إلى مصادر رئيسية وأولية في هذه الموضوعات ليس أمراً سهلاً.

(٢) لقــد تطــورت أحوال الناس في كل شيء، وبعض هــذه التحديثات لها سلبيات وإيجابيــات، وشاهدت مسيرة التنمية الإدارية في المملكة العربية السعودية عموماً وفي بلاد السروات وتهامة خلال الخمسين سنة الأخيرة (١٣٩٥ــــ ١٤٤٦هـ/١٩٧٥ــــ ٢٠٢٥م)، وحصــل قفزات هائلــة امتدت إلى كثير من مفاصــل الحياة العامة والخاصة في أرجاء البلاد. وهذا التطوير الكبير يستحق أن يُدرس وتوضح إيجابياته وسلبياته على الإنسان.

أعمال الرعي، وأحياناً الجمع والالتقاط لبعض الأغراض الصالحة للاستخدام، أو البيع والشراء، مثل: جمع الحطب، والجلود، وبعض الثمار أو النباتات وغيرها التي يستفاد منها في مجالات عديدة. والبدو أيضاً يمارسون مهنة الصيد التي يقتاتون منها، أوصيد وقتل بعض الحيوانات المفترسة، أو الزواحف الخطيرة. وقرأت وعاصرت الكثير من التجمعات البدوية في البلاد الواقعة شرق جبال السروات، الممتدة من نجران إلى الطائف، وبعض الأجزاء التهامية الواقعة بين حواضر جازان وتهامة الطائف وجنوبي مكة المكرمة[(١)].

أهل القرى ومواطن الاستيطان، يعيشون بكثرة في السروات الممتدة من جبال نجران وظهران الجنوب وقحطان إلى بلاد غامد وزهران والطائف، وفي السهول التهامية من تهامة الحجاز إلى منطقة جازان ومعظمهم يمارسون حرف كثيرة، منها: الزراعة، والصيد، والرعي، والجمع والالتقاط . وقرأت واطلعت على الكثير من المصادر والوثائق التي أشارت إلى شيء من أعمالهم ومهنهم في العصور الماضية حتى العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وعشت ومارست مع سكان قرانا وأريافنا في سروات منطقة عسير بعض هذه المهنة في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [(٢)].

مازالت حرف الرعي، والجمع والالتقاط ، والصيد موجودة خلال هذا القرن(١٥هـ/ ٢٠ــ٢١م)، لكنها ليست بنفس الانتشار والقوة التي كانت عليها خلال القرون الماضية .وتحسن وتطور أحوال السرويين والتهاميين المادية والتنموية جعلت ممارسة هذه المهن محدودة على نسبة قليلة من السكان، ونرى أعمال الرعي موجودة في أمكنة كثيرة (بادية وحاضرة) لكن الذي يقوم على ممارسة الرعي عمالة وافدة تم استقدامها من بلدان عربية وإسلامية وأجنبية، وأصحاب المال من السعوديين يتولون الإشراف والمتابعة لقطعانهم ومواشيهم، والأيدي العاملة التي تقوم على خدمتها ورعايتها[(٣)].

---

(١) هذه النواحي أكثر المناطق التي عاش فيها البدو مع مواشيهم وحيواناتهم خلال القرون الماضية، وقرأت عن شيء من مضاربهم وحياتهم خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م)، وبحثت عن دراسات علمية ترصد شيئاً من حياتهم، لكنني لم أجد أعمالاً عميقة وجادة في هذا الباب. ومن يدرس مجتمعات البادية في هذه الديار الآنف ذكرها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) فسوف يجد مادة جيدة في هذا الموضوع، وسيطلعنا على تاريخ محلي من حياة أهل تهامة والسراة خلال العصر الحديث. .

(٢) أذكر إشارات محدودة مما اطلعت عليه وشاهدته حتى العقد الثاني من القرن الحالي، مع أن تاريخ الصيد، والرعي، والجمع والالتقاط في الأوطان المشار إليها في المتن من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن تُدرس في كتب وبحوث مطولة، ومازال هناك الكثير من الروايات، والآثار المادية الموجودة في كل مكان، ويستطيع الباحث من خلالها أن يوثق صفحات تاريخية وحضارية جيدة في هذا الباب .

(٣) كان أهل البلاد قديماً هم من يقومون على متابعة ورعاية مواشيهم، خلاف ما نراه اليوم في مواطن الرعي، والزرائب، وأسواق بيع الحلال والمواشي. ونجد بعض مؤسسات الدولة مسؤولة عن الثروة الحيوانية، وما

كذلـك أعمالٍ الصيد والجمع والالتقاط تُمارس على نطـاق ضيق، فالصيد البري أصبـح محكوماً بشروط وقيود حكومية صارمة، وهنـاك أنظمة وقوانين متعددة وشديدة علـى من يقوم بالصيد للحيوانات البرية، والطيور، والزواحف، وهذه الإجراءات تدخل تحـت باب حماية الحيـاة الفطرية. والصيـد في السابق كان يمارس بطـرق عشوائية، وينتـج عـن ذلك إهـلاك الكثير من الـثروة الحيوانية البريـة[1]. أما الصيـد البحري فمجال كبير ويُمارس على ساحل البحر الأحمر الشرقي منذ القدم، ومازال حتى اليوم ، وهنـاك الكثـير من المعوقات والظـروف التي تواجه الصيادين، لكـن الصيد البحري يعـد من المـوارد الاقتصادية الجيدة التـي يمارسها أهل الساحـل، وفي العقود الأخيرة تولـت شركات متعددة هذه الحرفة، وجلبـت آلاف العمالة الوافدة التي تعمل في الصيد البحـري وتسويقـه. وتاريخ الصيد البحري مـن ميناء الشعيبـة إلى منطقة جازان من العناوين المهمة والجيدة التي يجب دراستها في أعمال علمية عميقة وجادة[2].

شاهدت من يمارس حرفة الجمع والالتقاط خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م) ، مثـل جمع الحطب والفحم، والمساويك، والتقاط بعض الفواكه والثمار وبيعها في أسواق الخضـار. ومن يسير في المدن والقرى والطـرق البرية الطويلة والمتوسطة يلاحظ بعض الباعـة الذين جمعوا بعض السلع أو الأطعمة وغيرها، ووقفوا على قارعة الطريق لبيعها والاسـترزاقٍ من خلالها، وبعضهم من السعوديين ذكوراً وآخرين من العنصر النسائي، ورأيت أيضاً بعض العمالة الوافدة تمارس هذا النوع من الأعمال[3].

يتعلـق بها مـن أنشطة عامة وخاصة. وتاريـخ الرعي في تهامة والسراة خلال المئة سنـة الماضية (١٣٤٥ـ ١٤٤٦هـ/١٩٢٦ـ ٢٠٢٤م) من الموضوعات الجديدة التي تستحق الدراسة والتحليل والتوثيق في عدد من الكتب والدراسات العلمية.

(١) عاصـرت أنشطة عديدة من صيد الطيـور والحيوانات البرية منذ نهاية القرن الماضـي، واطلعت على تقارير ودراسـات حديثـة لها صلة بأعمال الصيد في المملكة العربية السعوديـة ،وعن بعض المحميات التي يوجد فيها آلاف الأشجار والطيور والزواحف والحيوانات. وأقول إن تاريخ الصيد البري في بلاد تهامة والسراة مازال من الموضوعات المهمة والجديدة، ويستحق أن يخدم بحثياً من خلال الأقسام الأكاديمية ومراكز البحوث العلمية .

(٢) زرت العديـد مـن الموانـئ والمرافـئ مـن جـدة إلى جـازان وجزيـرة فرسـان خـلال هـذا القـرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)،وشاهـدت الكثـير مـن الأنشطـة المتنوعـة في هـذا الميـدان، وجلسـت مـع بعض البحـارة السعوديـين، وشرحـوا لي كيف كانت تجـارة الصيد البحـري جيدة في الماضي، أمـا في العقدين الأخيرين(١٤٢٥ـ ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ ٢٠٢٥م) فدخول الشركات والعمالـة الأجنبية قطعت أرزاق الكثير من أهل البلاد العاملين في هذه الحرفة.

(٣) حرفـة الجمـع والالتقاط مـن المهن القديمة التـي مارسها الإنسان منـذ عصور ما قبـل الإسلام، وخلال القـرون الإسلاميـة المختلفة. وهـي من العـادات والأنشطة الموجودة عنـد السرويـين والتهاميين، ومازال البعض يمارسها حتـى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ، لكنها ليست بنفس النشاط والقوة التي كانت عليه خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبله من العصور.

٢ـ الزراعة :

إن أرض السروات وتهامة غنية بمزروعاتها، وثروتها النباتية، والذاهب في أرجاء هذه الديار يشاهد الكثير من المدرجات الزراعية ، والآبار الجوفية، وموارد المياه المختلفة، وهذا كان حالها خلال القرون الماضية حتى مطلع هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، واطلعت على آلاف الوثائق التاريخية التي تشير إلى كثرة المحاصيل الزراعية التي كانت موجودة، وتدفع زكواتها إلى الدولة السعودية خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي[(١)].

عشت وعاصرت ممارسة حرفة الزراعة في سروات بني شهر وبني عمرو في منطقة عسير خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، ورأيت الأنشطة الزراعية المختلفة في مناطق عديدة من تهامة والسراة خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وكانت الزراعة المصدر الرئيسي للسكان. وأغلب الأراضي الزراعية ملكيات خاصة للأفراد والأسر التي انتقلت إليهم بالوراثة، ونادراً ترى إنساناً تهامياً أو سروياً يبيع مزارعه، وإن فعل أحد ذلك فالمجتمع ينظر إليه نظرة ازدراء واحتقار، وتوجه له السخرية والانتقادات القاسية[(٢)].

لن أفصل الحديث عن الأساليب المختلفة لحرف الحراثة، والزراعة، والحصاد. أو أنواع الأراضي والمحاصيل الزراعية، ولا طرق الري، أو الأيدي العاملة الوطنية التي كانت تقوم على زراعة أراضيها، أو الأسماء والمصطلحات اللغوية التي يقولها الناس أثناء ممارسة أنشطتهم الزراعية المتنوعة، ولا المقومات والمعوقات التي تواجه المزارعين ، أو العادات الاجتماعية التي يقوم بها أصحاب المزارع من سكان القرى والمدن والأرياف في أنحاء تهامة والسراة، لأن جميع هذه النقاط سبق أن كتبت عنها وفصلت الحديث فيها[(٣)].

كانت الحياة الزراعية نشيطة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ثم بدأت تضعف. وهناك أسباب كثيرة أوجدت هذا الانحدار، لكن توفر المال في أيدي الناس،

---

(١) يوجد في أراشيف الماليات آلاف الوثائق والسندات والسجلات التي تحتوي على مقدار الزكوات التي تم استحصالها على المحاصيل الزراعية في جنوب البلاد السعودية ، وكانت من المصادر الرئيسية لخزينة الدولة من الأربعينيات إلى ثمانينات القرن (١٤هـ/ ٢٠م).

(٢) هذا الذي عرفته وسمعته وشاهدته من أهل البلاد في نهاية القرن الهجري الماضي، وأثناء جمع بعض المواد العلمية في هذا الباب خلال العقدين الأوليين من القرن الحالي (١٥هـ/ ٢٠م) .

(٣) من يطلع على مؤلفاتي المختلفة التي صدرت خلال العقود الأربعة الماضية المتأخرة فسوف يجد شروحات وتحليلات كثيرة في هذا المجال. وأقول إن أهل البلاد (تهامة وسراة) لديهم آلاف الصكوك الزراعية والوثائق الخاصة التي تشتمل على معلومات كثيرة عن تاريخ الزراعة خلال القرون الثلاثة الأخيرة (١٣ـ١٥هـ/ ١٩ـ٢١م).

وزيـادة الوظائـف الحكومية وتنوعهـا في مقدمة العوامل التي أثـرت على الزراعة حتى تراجعـت إلى مراحل متأخرة، بعد أن كانـت الحرفة الأولى عند سكان القرى والأرياف والحواضـر. والتطور العمـراني الذي تعيشه البـلاد من نهاية القـرن الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) جعل الناس يتخلون عن مزارعهم، ويجتهدون في تحويل أراضيهم الزراعية إلى مخططات ومواقع سكنية. وتجولت في عموم السراة وتهامة خلال الأربعين سنة الأخيرة (١٤٠٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٨٥ـ٢٠٢٥م)، ورأيت الآلات الحديثة كيف وظفت في تغيير وجه الأرض، وتحويل آلاف الكيلومترات من أراضي زراعية إلى أحياء ومناطق سكنيـة، وأيضـاً ظهور العديد مـن الأمراض البيئية، مثل: نقص الميـاه الجوفية وزيادة ملوحتهـا، وتأثر التربـة وإصابتها ببعض المعوقات حتى صارت غـير صالحة للزراعة، وانتشـار الجفـاف في أمكنة كثيرة مما سبب تلف وخراب كبـير لبعض النباتات المثمرة كالنخيل، وأشجار الثمار والفواكه الأخرى[١].

لم تسلـم الغابات والأشجار والنباتات البرية، بـل أصابها الكثير من المعوقات التي بعضهـا ناتج عن الظروف الجوية والمناخية، وأخرى مـن صنع البشر الذين لا يتورعون من الاعتداء على الغطـاء النباتي، من أجل أهداف ومصالح شخصية. والدولة أدركت هـذه المشاكل فأصدرت بعض الأنظمة والقوانين بهدف حماية الثروة النباتية، ومع هذه الجهود الرسمية، إلا أن المشاكل المؤذية للزراعة والنباتات في تمدد وازدياد[٢].

زرت خـلال العشرين سنـة الأخـيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م)، بعض فـروع الزراعة والبيئـة في مناطق عسير ، ونجـران، وجازان، والباحـة، وجمعت بعض المنشـورات والتقاريـر، لكننـي للأسف لم أجد دراسـات علمية تدرس أحـوال الزراعة والنباتـات في هـذه البـلاد. وذهبـت إلى بعض مكتبـات الجامعات المحليـة، وعدد من الأقسام الأكاديمية، واتضح لي الفقر العلمي عن هذا المجال، وتحدثت مع بعض أساتذة الجامعـات المتخصصين في علوم الزراعة والنبات، وذكـروا لي أن هناك بحوثاً عديدة في هذا الميدان، لكنني لم أر ولم أطلع على شيء مما أشاروا إليه .

---

(١) كل هذه المشاكل سمعت عنها وشاهدتها أثناء زيارة أمكنة عديدة في الطائف، والباحة، والليث، والقنفذة، وبيشة، وأبها، وخميس مشيط، والدرب، وبيش، وضمد، وصبيا، وأحد المسارحة، وسراة عبيدة، ونجران وغيرها.

(٢) أغلب الرصد الموجود في المتن واقع تعيشه البلاد، وقد قرأت عن ذلك في العديد من التقارير، ووقفت على مواضع كثيرة في تهامة والسراة أصابها الكثير من الأضرار الطبيعية والبشرية .

٣ـ الحرف والصناعات القديمة والحديثة:

إن هـذا المجال كبـير وواسع، وأهـل البلاد قديمـاً مارسوا الصناعـات الخشبية، والفخارية والحجرية والحديدية، والدباغة والخـرازة، والنسيج والخياطة والصباغة. وكل المجـالات الحضاريـة المحلية (الرعـي، والصيـد، والجمع والالتقـاط، والزراعة، والتجـارة، والتعليم والتعلـم، والألعاب الرياضيـة والفنون الشعبيـة، والبناء والعمارة، واللباس والزينة، وإعداد الطعام والشراب وغيرها) لها طرق ومهن وصناعات متعددة. وكان الناس (سراة وتهامة) هم الذين ينجزون صناعاتهم وحرفهم، ونادراً يوجد أيدي عاملـة وافدة من خارج البلاد. وبين السكان الأصليين بعض المهرة والحرفيين والصناع الذين عملوا بالأجرة في صناعات وحرف متعددة[١].

ظهر في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، بعض الأيدي الحرفية والصناعية الوافـدة مـن خارج المملكـة العربية السعودية، وصـارت الأيدي العاملـة المحلية تنافس العمالة الوافدة، وفي الأخير تغلبت العمالة الخارجية على الداخلية، وأصبحوا هم الذين يمارسون كل الصناعات والحرف في أنحاء البلاد. ومن يزور المدن الصناعية، والمراكز الفنية والتقنية، والشركات، والمؤسسات، والمصانع، والأسواق في أنحاء المدن والحواضر السرويـة والتهاميـة يشاهـد آلاف الحرفيـين والمهرة الذيـن جاءوا من بلـدان عربية، وإسلاميـة، وأجنبيـة. وأصبحت كل الأعمال السعودية الداخليـة والخارجية، الصغيرة والكبيرة، العامة والخاصة تعتمد اعتماداً كلياً على هؤلاء الصناعيين الأجانب[٢].

قمـتٍ بجولة في بعض مـدن عسير، وجـازان، والباحة أثناء إعداد هـذه الدراسة. وزرت مدناً صناعية، ومراكز فنية وتقنية، وذهبت إلى بعض المعاهد الصناعية والفنية، واطلعت على مراكز التدريب والورش الهندسية والفنية في جامعات الملك خالد، وجازان، وبيشـة، والتقيـت ببعض الصناعيين والفنيين، واتضـح لي أن هذا القطاع واسع وكبير. وإن الشباب السعودي مازالوا متأخرين من الانخراط في هذا المجال الاقتصادي المربح. والشريحة الكبيرة المستفيدة من هذا الميدان هم الأجانب سواءً كانوا عرباً ومسلمين أو

---

(١) لا نجد دراسات علمية جادة تدرس تاريخ الصناعات والحرف في تهامة والسراة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، مع أن هناك الكثير من الوثائق التي تحتوي على مادة علمية عن الصناعـات في هذه البـلاد، ومن يدرس هذا الموضوع في كتاب علمي فسـوف يقدم خدمة جليلة في ميدان البحث العلمي.

(٢) هـذا الـذي شاهدته ومازلت أراه في كل حاضرة ومدينة وريف، وعلـى طول الطرق الداخلية والخارجية في جنـوب المملكة العربية السعودية. وهذا الميدان جدير بالدراسة من شتى الجوانب، أرجو من مراكز بحوث جامعات تهامة والسراة أن تشجع وتدعم عمل بحوث علمية جادة في هذا القطاع الاقتصادي المهم .

أجانب. والدولة لم تدخر جهداً في دعم وتشجيع السعوديين للاستفادة من هذا القطاع، لكن النتائج مازالت دون المأمول.

زرت بضعــة متاحف تاريخية في الســراة وتهامة، ووجدت أصحابها قد جمعوا مواد تراثيــة كثيرة ومتنوعة عــن الأدوات الصناعية والحرفية القديمــة. ومثل هذه المتاحف تستحق أن تدرس محتوياتها في دراسات علمية جادة وتحليلية، ومن يفعل ذلك فسوف يحفظ جزءاً من تاريخ بلادنا الصناعي، وأيضاً تطلّع الأجيال الحديثة على هذا التاريخ والموروث المحلي الذي لا تعرف أي شيء عنه[1].

كانــت المرأة التهامية والسروية تساهم قديماً في الكثير من الصناعات والمهن التي تعــود فائدتها على نفسهــا وأسرتها. وفي الوقت الحالي صارت المــرأة تعمل بشكل أكبر وأوســع في وظائف حكومية وأهلية كثيرة، وبعض هذه الأعمال يغلب عليها التخصص أو المهارة اليدوية أو الفنية والتقنية [2].

٤ـ التاريخ التجاري:

كانت التجارة في الماضي غير منتشرة بشكل واسع لقلة المال، وصعوبة تضاريس البلاد، وضعــف الحياة المعيشية. هذا الذي ذكرته المصــادر والوثائق المكتوبة، ورواه الناس خلال القــرون الماضية. وبعــد توحيد البلاد في عهد الملك عبدالعزيز ابــن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله)، ثم ظهور النفط في شبه الجزيرة العربية بدأت الحياة الاقتصادية وبخاصة التجــارة تتطــور تدريجياً. ولا نغفل عن الأســواق التجارية الأسبوعيــة، والأدوار التاريخية والحضاريــة التي عاشتهــا البلاد عندما كانت تلــك الأسواق المتنفــس الرئيسي الذي من خلالها تُجرى التعاملات والتبادلات التجارية في أرجاء الديار السروية والتهامية[3].

لن أفصل الحديث في التاريخ التجاري خلال العصر الحديث، لأنني أنجزت صفحات كثيرة في هذا الباب، وجميعها مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً. ولو أطلقت العنان لنفسي

---

(١) حبذا أن نرى مؤرخين جادين يدرسون التاريخ الصناعي والمهني القديم والحديث، مع إجراء مقارنات علمية وتفصيلية عن هذا القطاع، كيف كان في الماضي، وماذا جرى عليه خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م).

(٢) آمــل أن نــرى باحثات وباحثــين جادين يدرسون تاريخ المــرأة قديماً وحديثاً، ومــدى انخراطها في الأعمال الصناعية والفنية والمهنية والحرفية. وحسب علمي لم أر أي دراسة علمية جادة تناقش هذا الموضوع، وهو عنوان جديد ويستحق الخدمة التوثيقية.

(٣) أشــرت إلى نقاط عديدة في المتن، ويوجد عنها بعضــ الدراسات القليلة المطبوعة والمنشورة، لكنها مازالت تحتاج إلى دراسات علمية جادة، وهناك الكثير من الوثائق والمصادر الجيدة التي تفيد وتخدم هذا الميدان علمياً وبحثياً.

وناقشت هذا التاريخ الحضاري خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م) والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فذلك يحتاج إلى بضعة كتب وبحوث علمية عديدة، لأننا نتحدث عن منطقة واسعة تمتد من بلاد الحجاز إلى اليمن، وفيها عشرات المدن والحواضر، ولها أسواق شعبية كثيرة، وموانئ بحرية، وطرق برية، وصلات تاريخية قديمة وحديثة مع بلدان وعوالم كثيرة داخل شبه الجزيرة وخارجها، وفيها الكثير من مجالات الاقتصاد والموارد الطبيعية التي جعلت الأنشطة التجارية موجودة في كل مكان[١].

(*) سوف أحصر توثيقي على ماعرفته وعاصرته وشاهدته في أنحاء تهامة والسراة من أوائل التسعينيات في القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ولا أزعم أنني أقدم عملاً علمياً تفصيلياً ومكتملاً، لكني سأذكر بعض اللمحات العامة التي ربما تفيد بعض الباحثين والمؤرخين الجادين على إنجاز دراسات شاملة لمسيرة التجارة في هذه البلاد الشاسعة (تهامة وسراة). وأذكر هذه المقتطفات في البنود التالية:

أ ـ لم نصل إلى نهاية القرن الهجري الماضي إلا والأمن والاستقرار منتشر في عموم البلاد، وعجلة التنمية الحديثة تسير حسب توجيهات وخطط اقتصادية رسمية، وكان للمجال التجاري اهتماماً كبيراً ونصيباً جيداً في سياسة الدولة وما تسعى إلى تحقيقه. وأقرأ عن تواضع وضعف النشاط التجاري خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت الأسواق الأسبوعية موجودة ومنتشرة في كل مكان، وتعقد في أوقات وأيام محدودة، ولها إجراءات وتنظيمات متنوعة، وبعض الجهات الحكومية الرسمية، والقبائل من خلال أعيانها ورموزها يتعاونون ويتشاركون في الإشراف والرعاية والحماية للأسواق الشعبية في أرجاء السروات وتهامة. والحديث عن تلك الأسواق يحتاج إلى عشرات البحوث، لكثرتها، وماحدث فيها من علاقات وتبادلات وأنشطة اجتماعية، وأمنية، واقتصادية، وثقافية وعلمية ومعرفية وإعلامية[٢].

---

(١) إنه الواقع الذي عاشته بلاد السراة وتهامة، ومازال موضوع التجارة في هذه الأوطان من العناوين التي يجب دراستها خلال القرون القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة.

(٢) زرت وشاهدت عشرات الأسواق الأسبوعية، وسمعت وقرأت عنها من منتصف القرن الهجري الماضي إلى ثلاثينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، واتضح لي أهمية تلك الأسواق في حياة الناس، واختلاف أماكنها، وأهميتها، وأنشطتها. ومن خلالها يستطيع القارئ والباحث أن يخرج بصورة كبيرة ومتنوعة من تاريخ الناس وحياتهم المحلية. واطلعت على بعض البحوث والرسائل الجامعية التي درست بعض الأسواق الشعبية في أنحاء البلاد، لكن هذه الأعمال مازالت قليلة ومحدودة، ومن يتخذ تاريخ الأسواق الأسبوعية

ب ـ بـدأت الأسـواق الحديثـة واليومية في بعض المـدن والحواضر الكبـيرة في السراة وتهامـة من النصف الأول في القرن الماضي، لكنهـا كانت قليلة جداً، ووجد ضمن بعضـ الأسواق الأسبوعية دكاكين كانت تعمـل معظم أيام الأسبوع، وكان في بعض القـرى دكاكـين صغيرة يملكهـا بعض الأفـراد، وتوجـد داخل البيـوت الخاصة، وأصحابها يجلبون إليها بعض السلع الضرورية التي يحتاجها أهل القرى، ومعظم مـا يوجد فيها مواد غذائيـة ، وبعض الأغراض التي يحتاجهـا النـاس بشكل دائم وضـروري. واستمرت تلـك الأنواع من المحـلات التجارية تـؤدي أدواراً مهمة إلى العقديـن الأوليين مـن القرن الحالي، وفي الوقـت نفسه زادت وتكاثـرت الأسواق الحديثة والدائمة حتى صارت موجودة في بعض المدن والقرى الكبيرة، وعلى طول الطرق الرئيسية التي تربط بين أجزاء البلاد في تهامة والسراة. وبداية ثم تحسن وتطور المواصلات البرية والجوية والبحرية، وتنوع وسائل المواصلات الحديثة، كل هذا ساعد بشكل كبير في تطور التجارات الحديثة اليومية[(١)].

ج ـ بدأت الأسواق الشعبية تتراجع من نهاية العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وتجولـت في مناطق القنفذة، والباحة، وعسـير، وجازان، ونجران خلال العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م) ووقفت على عشرات الأمكنة من الأسواق الأسبوعيـة، فوجدت أكثرها تلاشت واندثرت ، أو شيد في بعضها أسواقاً ومحـلات تجارية حديثـة ومتعددة. وبعضهـا مازالت تعقد في يـوم محدد من كل أسبـوع، لكنهـا تراجعت كثيراً في الأهميـة والأنشطة. وهنـاك بعضـ الأسواق التي تشرف عليها إدارة البلديات، وأجرت عليها بعض التطويرات والتغييرات المعمارية والشكليـة، وأصبحـت تعمل بشكل دائـم ، وربما نشطت في اليـوم الأسبوعي الذي عرف السوق باسمه، وتعـارف النـاس على تسميته بالسوق الشعبي الفلاني،كسوق السبت، أوالأحد، أوالأربعاء أوغير ذلك[(٢)].

في السـروات وتهامـة مشروعاً لبحـث طويل وكبير، فذلك أمـر جيد ومحمود، لكن هـذا العمل لا يستطيع القيام به إلا مؤسسة علمية بحثية كبيرة، وآمل أن يتحقق ذلك في قادم الأيام.

(١) كل الـذي أشـرت إليه مذكوراً في بعضـ القصص والروايات المحلية، وعنه تسجيـلات وتوثيقات متنوعة في الوثائـق والسجـلات المخطوطة، وفي بعضـ الكتب والدراسات العربيـة والأجنبية التي صـدرت خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٠ـ١٤٤٦هـ/١٩٢١ـ٢٠٢٥م). وحسب علمي لا يوجد دراسة وافية وشاملة تدرس تاريخ التجارة في جنوب البلاد السعودية من بدايات القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، آمل أن نرى أقسام التاريخ والاقتصاد والتجارة في جامعاتنا المحلية تتعاون في إنجاز عمل موسوعي في هذا الميدان.

(٢) مـن يسير في أنحاء تهامـة والسراة اليوم (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، فإنه سيجد العديد مـن الأسواق الشعبية الموجـودة في مواضع عديدة مـن البلاد. وهذه الأسواق قديماً وحديثاً تستحـق أن يُكتب عنها كتب ورسائل علمية جامعية .

د - تغيرت أحوال التجارة خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وصارت التجارات والأسواق الصغيرة والكبيرة في كل مكان. ففي البداية كانت البقالات والدكاكين الصغيرة منتشرة في المدن الكبيرة والمتوسطة، وعلى طول الطرق الطويلة. ثم ظهرت بعض الأسواق المتوسطة في مساحاتها، وتنوعت السلع المعروضة فيها، وأخيراً انتشرت الأسواق (المولات) الكبيرة في المدن الرئيسية في السروات وتهامة، ثم زادت وتوسعت حتى صارت موجودة في معظم حواضر ومدن البلاد. وكان للانفتاح المحلي والإقليمي والعالمي، وتطور التقنية وتوظيف الإنترنت في مجالات كثيرة دور مهم في توسع التجارات، ولم نعد اليوم نعيش حياة تجارية بسيطة ومحدودة كما كان الناس في القرن الماضي، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، إنما الوضع تغير حتى أصبحنا نعيش في منظومة وعالم كبير ومتعدد الأقطاب والمجالات التجارية والاقتصادية. وصار في أنحاءٍ السروات وتهامة أسواقاً شمولية يباع فيها الكثير من البضائع، وظهرت أيضاً أسواق تخصصية في سلع محددة، مثل: السيارات والمعدات، والألبسة وأدوات الزينة، والمواد الغذائية، ومواد البناء والعمران، والتقنية والآلات الدقيقة، والمكتبات والأدوات التعليمية، والصيدليات والمواد الطبية وغيرها من التجارات التي يصعب حصرها. ويوجد عشرات الحرف والمهن والصناعات التي تمارس أعمالها، وتعمل في مجال الاسترزاق ومزاولة التجارة والكسب المادي.

هـ - هناك أنشطة ومحاور أخرى كثيرة لها صلة بالأعمال الاقتصادية التجارية، مثل: العوامل أو المعوقات التي تساعد أو تعترض الحياة التجارية، وأنواع السلع الداخلية والخارجية، والأسعار والأجور، والتعاملات الضرورية في عالم التجارة كالعملات، والأوزان، والمقاييس، والمكاييل، والأيدي العاملة السعودية والأجنبية، والاستيراد والتصدير، والصلات التجارية الداخلية والخارجية، والبرامج والتدريبات وورش العمل المرتبطة بالحياة الاقتصادية ومنها التجارة، والثقافة والمصطلحات والمفردات والعادات والتقاليد المرتبطة بفنون التجارة المختلفة. كل هذه العناصر تدور في فلك التاريخ التجاري القديم، والحديث، والمعاصر. وهي موضوعات لم تُدرس حتى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) في دراسات علمية عميقة. وكل هذه المجالات موجودة وعرفها السرويون والتهاميون، ولها تراث ومادة علمية موجودة ومتوفرة في أراشيف الإدارات المحلية، وهناك الكثير من المعاصرين وشهود العيان الذين عرفوا أو مارسوا تجارات متنوعة، ولديهم معرفة وخبرات تفيد في رصد تاريخ هذا القطاع الحضاري المهم[1].

(١) من يدرس تاريخ التجارة خلال العقود السبعة الأخيرة يستطيع معرفة ذلك من خلال المصادر المكتوبة والشفهية التي تم الإشارة إليها في المتن.

و- زرت بعض الأقسام الاقتصادية الأكاديمية في الكليات والجامعات المحلية. واطلعت على العديد من المنشورات والتقارير الصادرة عن الغرف التجارية الصناعية، وحضرت بعض الندوات واللقاءات والمؤتمرات المتخصصة في الاقتصاد والاستثمار، ومعظمها عُقدت في مدن أبها، وخميس مشيط، والباحة، والطائف، وجازان، ونجران. وسمعت فيها أطروحات عديدة ومتنوعة عن أنشطة الاقتصاد والتجارة المحلية في الوقت الحاضر أو المستقبل، ورأيت الكثير من المتحدثين والمشاركين في هذه اللقاءات من المملكة العربية السعودية، ومن دول عربية وإسلامية وأجنبية. واتضح لي من الآراء والتوصيات٤ التي خرجت بها بعض المؤتمرات التي عقدت مؤخراً في مدن عسير وجازان أن مناطق السروات وتهامة مقبلة على طفرة وتطورات كبيرة في مجال الاقتصاد والاستثمار(١).

ز- حاولت الالتقاء ببعض فئات التجار، والمؤسسات والشركات الموجودة في جنوب المملكة، أو في مدينتي الرياض وجدة. كذلك اتصلت وقابلت بعض المسؤولين في إدارات البلديات، والغرف التجارية، وبعض المؤسسات الاقتصادية في مناطق الباحة، وعسير، ونجران، وجازان. وخرجت بانطباعات كثيرة تصب في خدمة التجارة والاستثمار في مجالات حضارية عديدة. وإن البلاد سوف تشهد في المستقبل أنشطة اقتصادية برؤوس أموال عربية وإسلامية وأجنبية. هذا توجه رسمي عام تقوده الدولة السعودية وتدعمه وتذلل الصعاب التي تواجه هذا النوع من التطور الاقتصادي الحديث، وأعتقد أننا سنرى في السنوات القليلة القادمة قفزات حضارية تنموية تخدم البلاد والعباد في أرجاء المملكة العربية السعودية عموماً، وفي مناطق السروات وتهامة خصوصاً(٢).

سابعاً: لمحات من تاريخ التعليم العام والعالي:

١- التعليم العام للذكور والإناث:

بدأ التعليم العام الحديث للبنين في بعض مدن السراة وتهامة في منتصف القرن الهجري الماضي. أما تعليم البنات فكانت بدايته في أوائل الثمانينيات من القرن نفسه،

---

(١) من يتأمل في أوضاع المملكة العربية السعودية خلال العشر سنوات الأخيرة (١٤٣٥-١٤٤٦هـ/٢٠١٤-٢٠٢٤م) يلاحظ أن هناك جهود كبيرة وتطورات سريعة على الأرض، وأن رؤية المملكة (٢٠٣٠) لها خطط وأهداف متعددة ومتنوعة تصب في مصلحة الأرض والناس.

(٢) من يدرس الازدهار والتطور الاقتصادي الذي تعيشه بلدان السراة وتهامة من عشرينيات القرن الحالي إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) فإنه سوف يصاب بالانبهار والذهول مما تم تحقيقه وإنجازه، وسوف نرى منجزات أكبر وأوسع في المستقبل.

وتطـورت مسيرة التعليم تدريجياً، ولم نصل إلى بداية القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)، إلا مدارس البنات والبنين موجودة في كل مكان، ويتولى الإشراف عليها العديد من إدارات التعليم (بنين وبنات) التابعة لوزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات[١].

(*) ليس هدفي من هذا الرصد المعرفي توثيق دراسات علمية عميقة وموثقة، إنما أذكر بعض انطباعاتي ومشاهداتي على هذا القطاعِ من تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، وأسرد شيئاً من ذلك في الفقرات التالية :

أ ـ لم تدخر الدولة جهداً في نشر العلم وتطوير الإنسان التهامي والسروي، وبدأت بفتح المدارس الحديثة أولاً في المدن والحواضر الكبيرة، ثم توسعت وأنشأت آلاف المدارس في القرى الكبيرة، والأرياف والبوادي. وقمت برحلات عديدة في مناطق الباحة ،وعسير، وجازان، ونجران خلال العشرين سنة الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وشاهدت مقرات العديد من إدارات التعليم، ومئات المدارس الحكومية والأهلية، وكان القائمون على مسيرة التعليم معلمات ومعلمين سعوديين وعرب وبعض الأجانب الذين يدرسون اللغة الإنجليزية[٢].

ب ـ كانت الكوادر البشرية إحدى العقبات التي واجهت تأسيس وتطوير التعليم العام، لكن كليات المعلمات والمعلمين، وكليات التربية والآداب والعلوم في الجامعات السعودية بذلت جهوداً كبيرة ومفيدة وخَرَّجت عشرات الآلاف من المعلمات والمعلمين الذين انخرطوا في سلك التعليم وقادوا المسيرة التعليمية في أرجاء البلاد. والحديث عن جهود وزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات، ووزارة التعليم العالي والجامعات المحلية والتعاون فيما بينها من تسعينيات القرن الماضي إلى عشرينيات هذا القرن(١٥هـ/٢٠م) موضوع واسع يكتب فيه عشرات الكتب والبحوث العلمية[٣].

---

(١) بدأ ثم تطور التعليم العام (بنات وبنين) في جنوب المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وهذا الموضوع مازال غير مخدوم علمياً وتوثيقياً وبحثياً. آمل أن نرى باحثين جادين يقومون بخدمة هذا المشروع العلمي.

(٢) المصدر: معاصرة الباحث ومشاهداته في بلدان عديدة في السروات وتهامة خلال العقود الأولى من القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م).

(٣) الحديث عن تاريخ المعلمات والمعلمين السعوديين والمتعاقدين في العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). وكذلك الجهود والتعاون والأعمال التي حققتها مؤسسات التعليم العام والعالي الرئيسية لا أجد عنها دراسات جادة سواء في عموم المملكة العربية السعودية بشكل عام، أو في مناطق تهامة والسراة على وجه الخصوص.

ج ـ حدثـت تغييرات وتطويرات على مؤسسات التعليم العام في العشرينيات من القرن الحـالي، وألغيت الرئاسـة العامة لتعليم البنات، وتغير مسمـى وزارة المعارف إلى وزارة التربيـة والتعليم، وصـارت هذه الوزارة الجديدة تشـرف على تعليم البنين والبنات. وفي الثلاثينيـات ثم الأربعينيات من القرن نفسه تم إعادة هيكلة التعليم العـام والعالي، وأصبح هناك وزارة واحـدة (وزارة التعليم) تتولى الإشراف على جميع وكالات وإدارات وفروع وجامعات وكليات التعليم العالي والعام[1].

د ـ عاصـرت ومازلـت أشاهـد مسـيرة التعليـم العـام ومخرجاتـه مـن عـام (١٣٨٤ــ١٤٤٧هـ/ ١٩٦٤ــــ ٢٠٢٥م)، وهنـاك الكثـير مـن الأنظمـة والقرارات والخطـط العلمية والتعليمية التي حدثت خلال هذه الفترة الطويلة، وأيضاً العديد من المؤثرات السلبية والإيجابية التي أثرت على البلاد والمجتمعات وشرائح المعلمين والمتعلمـين. وبذلت جهوداً كبيرة باحثاً عن دراسات علمية ناقشت هذا الباب، فلم أجـد إلا كتب ورسائل جامعية عامة ومحدودة. وآمل أن أرى في جامعتنا المحلية في تهامة والسراة بعض الكليات، أو الأقسام الأكاديمية، أو الأساتذة المتخصصين في التاريخ، والتربية، والإدارة والإشراف من يدرس أوضاع التعليم الحديث في جنوب المملكـة العربية السعودية ،مع التركيز على التطـورات والمتغيرات التي جرت لهذا الميدان من نهاية القرن الماضي إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

هـ ـ اطلعت خـلال العشر سنـوات الأخـيرة (١٤٣٦ــ١٤٤٦هـ/ ٢٠١٤ــــ٢٠٢٤م) على أراشيف وتقارير بعض إدارات التعليم ، والتقيت ببعض العاملين في مجال البرامج والخطـط والتدريب والإشراف وذكـروا لي أن التقنية الحديثة أثرت سلباً وإيجاباً على مسـيرة التعليم في السـروات وتهامة. وسمعت وقابلت بعضـ مديري التعليم وغيرهـم ، وأشـار بعضهـم إلى شيء من الجهـود التي بذلتها الـوزارة مؤخراً في تقليصـ المقرات التعليمية، والسعي إلى إلغـاء عقود المدارس والأمكنة المستأجرة، ثم أن الـوزارة بجميع وكالاتها وهيئاتها تعمل بشكل جـاد إلى خصخصة التعليم. وقـد سألت بعضهم عن سبب ضعف التحصيل عند كثـير من الطالبات الطلاب، وضحالـة مستواهم في الكتابـة اليدوية، وأيضـاً في علومهم وثقافتهـم وقدراتهم

(١) اطلعـت على آلاف الوثائق، والخطط، والتقارير، والقرارات السيادية، ومحاضر عشرات اللجان الرئيسية والفرعية التي ناقشت ودرست وأشرفت وتابعت هذه التحولات الإدارية والفنية والتعليمية من عام (١٤٢٠ـ ـ١٤٤٢هـ/١٩٩٩ــــ٢٠٢١م)، ولا أجد دراسات علمية ناقشت هذا التاريخ، أرجو من الأقسام الأكاديمية في جامعاتنـا المحلية ، والأساتذة المتخصصين أن يوثقوا هذا التطـور الحضاري التنموي مع ذكر الإيجابيات والسلبيات على الحياة العلمية والتعليمية .

المعرفيـة. ووافقني البعض فيما ذهبت إليه، وآخريـن امتنعوا عن الإدلاء بآرائهم ووجهـات نظرهـم، وشريحة ثالثة قالـوا: إن مستوى الطـلاب في الوقت الحاضر أفضـل من عهـود سابقـة. ولا أرغب الحديث عـن هذه الاختلافـات، لأنها سوف تخرجنـا عن الهدف الرئيسي الذي قامت عليه هـذه الدراسة، إلا أن المقارنة بين مستـوى التعليم والمتعلمين والمعلمـين بطرق علمية حيادية وشفافة جيدة جداً، وهو موضوع جدير بهذه الخدمة العلمية التوثيقية التحليلية[١].

٢ـ التعليم الجامعي :

عرفـت بعض مـدن المملكة العربيـة السعودية الكبيرة التعليـم الجامعي في العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وكان بعض الطلاب التهاميين والسرويين يهاجرون مـن أوطانهـم إلى المناطـق الوسطى، والغربيـة، والشرقية من أجـل الدراسة في بعض الكليات المدنية والعسكرية، وتخرج في تلك المؤسسات العديد من أهل السراة وتهامة[٢].

نجـد منتصـف التسعينيات مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) عصر مبـارك على سكان السـروات وتهامة عندما افتتحـت بعض الكليات الجامعية في أبهـا ، ثم زادت وتطورت وتكاثـرت كليات البنين والبنات خلال العقديـن الأوليين من القرن (١٥هـ/٢٠م). ومن يدرس مسيرة التعليم الجامعي في جنوب المملكة العربية السعودية (١٣٩٦ـــ١٤٢٠هـ/ ١٩٧٦ـــ١٩٩٩م) فإنه سيجد طفرة تعليمية عالية وصلت آثارها الإيجابية إلى كل مدينة وقرية وناحية وريف وبادية[٣].

بـدأت جنوب البـلاد السعوديـة تنعم بازدهـار وتطـور تعليمي جامعي مـن بداية العشرينيـات في القـرن الحالي (١٥هـ /٢١م)، وكانت جامعة الملك خالـد أول جامعة

(١) ذكـرت نقاطـاً عديدة في هذه السطور المحـدودة، ومازال هناك عناوين وموضوعـات تتعلق بتاريخ التعليم والتعلـم الحديث في تهامـة والسراة (١٣٩٠ـــ ١٤٤٦هـ/ ١٩٧٠ـــ٢٠٢٥م). حبذا أن نـرى مؤرخين جادين مخلصين يدرسون هذه الجوانب في بحوث علمية رصينة .

(٢) من يدرس تاريخ طلاب الكليات والجامعات السرويين والتهاميين الذين درسوا في مؤسسات التعليم العالي في المناطـق الشرقية والوسطـى والغربية من ستينيات القرن الهجري الماضي إلى آخر القرن نفسه فسوف يطلعنا على موضوع حضاري جديد جدير بالرعاية والاهتمام العلمي والبحثي.

(٣) عاصـرت هـذا التاريخ، فقد كنت أحـد طلاب الجامعة الذين بـدأوا مع بدايات التعليـم الجامعي في أبها في تسعينيـات القـرن الهجري الماضـي، وبقيت حوالي (٥٠) عامـاً طالباً وعاملاً في هـذا القطاع. وكتبت ووثقت مئات الصفحات عن تطور التعليم العالي في بعض مناطق جنوب المملكة. ومازال هذا المجال جدير بالدراسـة العلميـة التوثيقية الجادة، آمل أن يتحقق ذلك من خلال مراكـز البحوث الجامعية في جامعات الملك خالد، والطائف، والباحة، وبيشة، وجازان، ونجران .

تبـدأ في سروات عسير، وتحديداً في مدينة أبهـا، حيث ضمت الكليات القديمة المتفرقة تحت شعار الجامعة الجديدة (جامعة الملك خالد)، ثم انطلقت هذه المؤسسة التعليمية العاليـة تنشر التعليم الجامعي في مناطق عسير، وجازان، ونجران، ولم نصل إلى عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) إلا صار في البلاد التهامية والسروية ست جامعات، أربع في جازان، وعسير، ونجران، واثنتان في الباحة والطائف[١].

(*) ذهبـت إلى الجامعـات السـت (الملـك خالـد، وجـازان، ونجـران، والباحة، والطائف، وبيشـة) خـلال الثلاثينيات والأربعينيات من هـذا القرن (١٥هـ/٢١م)، وخرجت بالعديد من الخلاصات والانطباعات التي أدون بعضها في النقاط الآتية:

أ ـ أصبـح هناك مدن جامعية كبيرة تشتمل على عشـرات الكليات، والأقسام، والعمادات والإدارات، والخدمـات المسانـدة. ويعمـل فيهـا آلاف الموظفات والموظفـين وعضوات وأعضاء هيئـة التدريس. ويدرس فيها عشرات الآلاف من الطالبات والطلاب. ناهيك على ما يُقدم فيها من الأنشطة والندوات واللقاءات والمؤتمرات والفعاليات والاحتفالات ذات الأهداف المتنوعة، ويشارك فيها عناصر بشرية محلية وإقليمية وأحياناً عالمية[٢].

ب ـ ما من شك أن هذه الجامعات ساهمت وأثرت إيجاباً على نهضة البلاد وتطويرها. ولم تقتصر جهودها على بلاد السروات وتهامة، بل امتدت أعمالها وبركاتها على أرجاء البلاد (المملكة العربية السعودية)، واتصلت وشاركت في أنشطة وفعاليات ومؤسسات علمية وتعليمية في العالم العربي، والإسلامي، والأجنبي[٣].

ج ـ بحثـت عن جهود الكليـات والأقسـام والجامعات المحلية في مجـال خدمة البحث العلمي المحلي، ووجدت أن كل قسم أو جامعة لا تخلو من أعضاء هيئة تدريس لهم بحـوث ودراسـات علمية جيدة، وبعضها إقليمية وعالمية، لكـن دور هذه المؤسسات العالية في خدمة موضوعات ومشاريع علمية بحثية على المستوى المحلي مازالت شبه مفقـودة، وأحياناً لا توجد، والتقيت ببعض الأساتذة في تخصصات عديدة، وأيضاً

---

(١) اختصـرت جداً في الإشارة إلى الجامعات السعودية في السـروات وتهامة (١٤١٩ـ١٤٤٦هـ/١٩٩٨ـ٢٠٢٥م). وهـذه المؤسسات قدمت خدمات كثيرة وكبيرة للبـلاد والعباد، وكل جامعة تستحق أن يكتب تاريخها في مجلدات عديدة، أرجو أن يتحقق ذلك في قادم الأيام.

(٢) أنقـل معلومات قرأتها وعرفتها وعاصرت وشاهدت بعضها خلال العقدين الأخيرين (١٤٢٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م).

(٣) جمعت عشرات التقارير السنوية عن هذه الجامعات منذ تأسيسها إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)، ووجدت الكثـير مـن الإحصائيات والأنشطة التـي قامت بها هذه المؤسسات التعليمية، كما اطلعـت على الكثير من اتفاقيات التعاون والشركات التي وقعتها هذه الجامعات مع جامعات وهيئات وإدارات ومؤسسات محلية، وإقليمية، وعالمية.

بعض المسؤولين في الجامعات السروية والتهامية وسألتهم عن هذا الضعف وعدم الاهتمام بهذا الجانب، فذكروا العديد من الأعذار الواهية. وأنا في هذه السطور أوجه نداء إلى جامعاتنا ومن يتولى إدارتها والإشراف عليها أن يدعموا المشاريع والدراسات العلمية المحلية، وفي بلادنا عشرات المجالات المختلفة التي تستحق العناية البحثية الجادة، وهذه الأمور من أعمال واختصاص الكليات والأقسام الأكاديمية، وعلى إدارات الجامعة ووكالاتها البحثية أن تخدم وتشجع الأساتذة والباحثين مادياً ومعنوياً حتى يخدموا الأرض والناس كل في مجاله واختصاصه.

د ـ إن حقل التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية مجال كبير تجاوز تاريخه الخمسين عاماً، وتولد عنه منجزات عظيمة معنوية ومادية، وداخلية وخارجها. ومن يحاول العثور على دراسات جادة ودقيقة عن تاريخ هذا القطاع، والآثار الإيجابية التي عادت على البلاد والعباد (تنموياً، وحضارياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وتعليمياً وفكرياً وثقافياً وإعلامياً، ومدنياً وعسكرياً، وسياحياً وعلى مستوى الأفراد، والأسرة، والمجتمع) فإنه لا يجد شيئاً من ذلك، وهذا القصور يجب الاهتمام به ومعالجته من خلال مراكز البحوث الموجودة في هذه المؤسسات التعليمية العالية[1].

٣ـ التعليم التقني العام والعالي :

أنشئت المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في بداية القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)، وأصبحت مسؤولة عن المعاهد الفنية ومراكز التدريب المهني الموجودة في بعض مدن المملكة العربية السعودية. وقد دونت حوالي عشر صفحات عن التطور التاريخي للتعليم المهني والفني والتقني والصناعي في بلاد تهامة والسراة من نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)[2].

(*) أذكر بعض الرؤى التي خرجت بها من المشاهدات والمعاصرة لمسيرة التعليم الفني والتقني في جنوب البلاد السعودية، ومنها :

أـ قدم هذا القطاع خدمات حرفية ومهنية وصناعية وتقنية جيدة واستفاد منها شرائح كثيرة من الشباب السعودي (ذكوراً وإناثاً)، وكانت في السابق محدودة

---

(١) هذه المشكلة ليست محصورة على جامعات السروات وتهامة، بل موجودة عند الكثير من الجامعات السعودية والعربية والإسلامية. المصدر: معاصرة الباحث وزياراته ورحلاته الداخلية والخارجية خلال العقود الخمسة الماضية المتأخرة.

(٢) للمزيد انظر غيثان بن جريس. تاريخ الناس في تهامة والسراة (١٣٠٠ـ١٤٤٥هـ/١٨٨٣ـ٢٠٢٤م) (مصر: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، ص ٣٥٤ـ٣٦٤.

علــى مدن وحواضر قليلة، لكنها اليوم توسعت أفقيــاً ورأسياً، وصارت موجودة في معظم محافظات المناطق التهامية والسروية.

ب - كانــت معظم الكوادر البشرية الإدارية والفنيــة والأكاديمية إلى عهد قريب خليط مــن السعوديــين والمتعاقديــن، واليوم صارت معظــم الكليات والمعاهــد والإدارات الرئيسيــة مشغولــة بكوادر سعودية، مــا عدا بعض المؤسســات البعيدة في الأرياف والمحافظــات مازال يوجد فيــه نسبة بسيطة من المتعاقــدات والمتعاقدين. والشيء الإيجابــي أن جميع مقرات التعليم الفنــي والتقني حكومية، وعلى مستوى جيد من التخطيط والتصميم العمراني(١).

ج - لا تتبــع قطاعات التعليــم التقني وزارة التعليــم، ويتولى الإشــراف عليها المؤسسة العامــة للتدريب التقني والمهنــي، وهي تقوم بخدمات جيــدة لتنمية وتطوير المجال الصناعي والتقني والمهني، وحبذا أن تطور هذه المؤسسة حتى تكون جامعة مستقلة، وإن تم ذلك فقد نرى تطورات أفضل وأجود في هذا الميدان الحضاري المهم.

٤ـ وضع التعليم في الوقت الحاضر (١٤٤٦ـ١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م):

لا ننكر التطور الكمي والكيفي الكبير الذي طرأ على مسيرة التعليم (العام، والعالي، والتقني)، وذلك فضل من الله (عَزَّوَجَلَّ)، ثم جهود الدولة المباركة التي تبذلها في خدمة هذا القطاع الحيوي. ونجد التقنية قد وُظفت بشكل كبير في جميع المفاصل التعليمية المختلفة، وهــذا أيضاً منجز جيــد وإيجابي، لكن الملاحظ مع توفر هــذه الإمكانات، وتقديم الكثير مــن الخدمــات المتنوعة، إلا أن مستــوى التحصيل العلمي والرغبة عنــد معظم الطالبات والطــلاب تراجعت، وتوسعت المشكلة نفسهــا إلى أن وصلت المعلمات والمعلمين. هذا الذي لاحظتــه من خلال حضــور بعض ورش العمــل ومراكز التدريب، والاحتــكاك بالكثير من الطــلاب والمدرسين، وللأسف أن نسبة ليست قليلة مــن المتعلمين صاروا يبحثون بطريقة سريعــة وسطحيــة في الإنترنت ويقتصــون ما يخدمهــم في واجباتهم وأعمالهــم العلمية والتعليميــة دون بذل عناء في التفكير، والاستذكار، والقراءة، والتحليل. وأصبح استخدام الإنترنــت بهذه الطريقة الهزيلة ضرراً وخراباً لبيئــة الطالب أو الأستاذ التعليمية، مع أن الإنترنت من الوسائل الجيدة والمفيدة لمن استخدمه بطريقة جيدة وصحيحة(٢).

---

(١) زرت مقــرات للتعليــم الفنــي والتقني في الباحــة، وعسير، وجــازان، ونجران، وشاهدت عشــرات المقرات الحكومية في مواقع جيدة، وتوجد على مساحات شاسعة، وتتكون من مرافق كثيرة ومتعددة الأغراض.

(٢) قــرأت بعض البحــوث العربية والأجنبية التي ركزت علــى أهمية الإنترنت والاستفادة منــه علمياً ومعرفياً وتعليميــاً. وأيضاً السلبيات الصادرة عن استخدام التقنية بطريقة خاطئة، سواءً في مجال العلم والتعليم، أو الصحــة، أو الجوانب الاجتماعية كالدين، والمبادئ، والأخلاق، والقيم، وغير ذلك من المجالات الكثيرة التي صار الإنترنت جزء رئيسي فيها.

ظهـر حديثاً الكثير من الشروط والمتطلبات في ممارسة العملية العلمية والتعليمية، مثل: اختبارات القياس (القـدرات والتحصيلي) التي على الطالب أو الأستاذ اجتيازها قبـل البدء في الدراسـة، أو الحصول على الوظيفة أو الترقية في العمل. وكذلك المطالبة بالاعتمـاد الأكاديمـي للأقسام والبرامج العلميـة، وأنظمة وطلبـات أخرى تحت مظلة ما يعـرف بـ (الجودة والتطويـر)، وسلسلة طويلة من الطلبات الأخـرى المفروضة على إدارات التعليـم ومكاتبهـا وإدارات المدارس، والمعلمات والمعلمـين وغيرها، وللأسف إن كل هـذه القرارات والاشتراطات عادت بجوانـب سلبية كثيرة على الطالبات والطلاب، واصبحـت الكـوادر البشريـة القائمة علـى العملية التعليميـة مشغولة بأعمـال جانبية وثانويـة، وصاروا غير قادرين علـى متابعة صلب العمل، وتعليم الأجيـال بعلوم متنوعة تبني عقولهم وتزودهم بالمعارف والثقافات الجيدة[١].

أيضاً سمعت وشاهدت تقليص أعداد المدارس والمعلمات والمعلمين في التعليم العام والعالي بهـدف الترشيد المالي، وربما هناك خطط قادمة لتوظيف التقنية والتعليم عن بعـد في مجال التدريسـ بالمدارس والجامعات. وقد نـرى في المستقبل تطورات وتبدلات تعليمية جديدة لا نعرفها ولا نتوقعها[٢].

ثامناً: تاريخ الثقافة والفكر، والإعلام، والتقنية:

١ـ لمحة عن الفكر والثقافة:

الحياة الفكرية والثقافية التي يؤمن بها أهل البلاد ويمارسونها تنطلق من مصادر التشريـع الإسلامي (القرآن الكـريم، والسنة النبوية)، وهـذان المصدران شكلا حياة التهاميـين والسرويين خلال القـرون الإسلامية المختلفة، وتراهـم في معظم أنشطتهم اليوميـة يؤدون ما فرض الله عليهـم من عبادات، ويتعاملون مـع بعضهم وغيرهم وفق مـا جاءت بـه التعاليـم الإسلامية الرئيسيـة، ويتعلمـون ويسعون ويتثقفـون ويتعاملون

(١) مناقشـة هذا الموضع يحتاج إلى التفصيـل والتحليل في مئات البحوث العلمية، ومن المؤكد أن هناك خبراء وباحثـين يعرفـون ويدركون هـذه العقبات. والواجـب أن تصل النتائـج والخلاصات لهـذه التغييرات إلى المخططـين وصناع القرار، وعليهم أيضاً أن ينزلون إلى الميدان ويسمعون من الشرائح العاملة في قطاعات التربية والتعليم المختلفة.

(٢) الـذي جرى من تحولات حضارية محليـة وإقليمية وعالمية خلال العشرين عامـاً الأخيرة (١٤٢٥ـــ١٤٤٦هـ /٢٠٠٤ـــ٢٠٢٤م)، لم نتوقعـه، ونرى الذي حصل أشبه بالخيال. والتقنيـة ممثلة في الإنترنت من أعظم الأسبـاب التـي أوجدت هذه التغـيرات العربية والإسلاميـة والأجنبية. ونسـأل الله أن يحفظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويجعلهم يستفيدون من هذه التطورات التقنية الحديثة في كل ما يخدم الإسلام ويعلي كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

طـوال حياتهـم في ضوء دينهـم ومعتقداتهـم، وحاجاتهـم ورغباتهم. وهـذه الأوضاع العامـة السائدة علـى جميع الأفراد، والأسر، والمجتمعـات، والعشائر والقبائل التهامية والسروية، ولا تخلو البلاد من فروق فردية وأنشطة فرعية يتفاوت الناس في ممارستها عملياً وفكرياً وثقافياً[(١)].

عرفـت وقـرأت وشاهـدت أن البـلاد كانـت تعيشـ خـلال العقـود الوسطـى من القرن(١٤هـ/٢٠م) حياة ثقافية وفكرية متواضعـة، وكان الجهل والفقر والصراعات القبليـة والفوضى تفتك بالبلاد والعباد. وعندما وصـل حكم ابن سعود إلى هذه الديار بذل ما في وسعه في لم شمل الناس على الاتحاد والتعاون والبناء والتطوير ضمن شريعة التوحيد ، ومن خالف ذلك فإنه يعد عنصراً سلبياً في بلاده وتحت مظلة الدولة الحديثة (المملكـة العربيـة السعودية) التـي لم تدخر جهداً في توعية النـاسـ وتنويرهم معرفياً، وفكريـاً، وثقافيـاً وحضارياً. واستمـر الملوك السعوديـون من عهد موحـد البلاد الملك عبدالعزيـز آل سعود إلى عصر خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز، على قيادة سفينة الوطن بحكمة وبصيرة مع التركيز على تنمية البلاد في شتى المجالات، ودعم وتشجيع وتوجيه المواطن السعودي (ذكراً وأنثى) إلى خدمة دينه، ووطنه، ونفسه وقد تحققت منجزات عظيمة وكبيرة تحت رعاية هذه السياسة الراشدة[(٢)].

إذا توقفنـا مع كل مجـال فكري وثقافي حـدث للتهاميين والسرويـين في مناطقهم ومحافظاتهـم وبلدانهـم، أو في أي مـكان من البـلاد السعودية خـلال الخمسين عاماً الماضيـة (١٣٩٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٧٥ـــ٢٠٢٥م) فإننا سنجد تاريخـاً واسعاً ومتنوعاً في الموضوعـات والأهداف والنتائـج. وقد نجد البعض من هذا التاريـخ إيجابياً ومؤثراً في

---

(١) مـن يدرسـ تاريخ السروات وتهامـة منذ فجر الإسـلام إلى وقتنا الحاضر (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، فسيجد أفـكار عامـة الناس وثقافتهم في شبه الجزيـرة العربية عموماً، وفي بلاد السـراة وتهامة تحديداً تدور في الإطار العام للحياة الدينية وما يتصل بها من مجالات سياسية وعسكرية، واجتماعية واقتصادية، وعلمية وتعليميـة وفكرية وثقافية. وإن بحثنـا في جزئيات صغيرة من هذا التاريـخ الكبير فسوف نجد تفصيلات في كل ناحيـة أو ميـدان تاريخي وحضاري محدود زمانياً ومكانياً. وقـد يقول قائل إن الذي رصدته في هذه السطـور كلاماً عامـاً ، وهذا قول صحيح ، ومن يتخصص في دراسة أحـوال البلاد تاريخياً وحضارياً فلا بـد أن يناقش موضوعات صغيرة في مساحتها الجغرافيـة، وفي تاريخها الزمني، وفي الأهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها.

(٢) أوجـزت الحديـث عن جهود تنموية وحضارية كبـيرة قام بها ملوك آل سعود في خدمـة الدين والبلاد من منتصـف القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر. وهنـاك عشـرات الكتب والبحوث العامة التي درست هـذا التاريخ ، لكن الكثير من المناطـق البعيدة عن العاصمة الرياض، مثل بلدان السروات وتهامة وغيرها مازالت غير مخدومة علمياً وبحثياً.

بناء الوطن (أرضاً وإنسان)، وفي الوقت نفسه يوجد بعض المؤثرات السلبية الناتجة عن الحراك الثقافي والفكري الحديث والمعاصر على الأفراد والمجتمعات، ومثل هذا النوع من التاريخ والحضارة جدير بالدراسة في أعمال علمية عميقة وجادة[١].

٢ـ وقفة مع الإعلام :

كان الإعلام في الماضي محصوراً على البريد الحكومي الذي ينقل الرسائل والأخبار بالوسائل القديمة التقليدية. واستخدمت الأسواق الأسبوعية، ومنابر الصلاة يوم الجمعة في قراءة وإعلان بعض الأخبار التي لها صلة بالبلاد والعباد[٢].

(*) تطور الإعلام في العصر السعودي الحالي (١٣٥٠ــ١٤٤٧هـ/١٩٣١ــ٢٠٢٥م)، وظهرت مجالات كثيرة استفادت من وسائل إعلامية كثيرة، ومنها :

أ- نجد بعض المصادر تشرح التطورات التي جرت على المبرقات، واللاسلكي، والبريد. وكانت من الأدوات الرئيسية التي استخدمتها الدولة السعودية الحديثة منذ عصر الملك عبدالعزيز آل سعود. واطلعت على مئات الوثائق في أراشيف ماليات الجنوب، وفيها تفصيلات جيدة عن هذه المؤسسات في أبها، وجازان، والطائف، وبيشة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م). ثم جرى عليها وغيرها تحديثات كبيرة خلال العقود الخمسة الماضية (١٣٩٥ـ ١٤٤٥هـ/١٩٧٥ــ٢٠٢٤م) وتوسعت مجالات الإعلام كالاتصالات بجميع أنواعها، والبريد، والإذاعة ، والتلفزيون ، والكتب والصحف والمجلات حتى وصلت إلى كل ناحية في أرجاء مناطق جنوب المملكة[٣].

ب- ساهمت مؤسسات التعليم العام والعالي، والمواصلات الجوية، والبرية، والبحرية، وأسفار الناس وتنقلاتهم داخلياً وخارجياً في خدمة الإعلام بطرق مباشرة وغير مباشرة، وخاصة في القرن الحالي (١٥هـ/٢٠ــ٢١م) بعد أن وصلت التنمية

---

(١) عملت في قطاع التعليم العالي من عام (١٣٩٦ــ١٤٤٥هـ/١٩٧٦ــ٢٠٢٤م)، ورأيت وقرأت، وشاركت في أنشطة علمية وثقافية وفكرية في أمكنة عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية، وشاهدت الكثير من المناشط المحلية والإقليمية التي لها صلة بهذه الميادين الحضارية، ولم أر حتى الآن دراسات جادة درست هذه الموضوعات التاريخية المحلية .

(٢) حبذا أن نرى باحثين متخصصين يدرسون تاريخ منابر صلاة الجمعة، والمساجد، والأسواق الأسبوعية في السراة وتهامة، وكيف كانت تستخدم في إعلان الأخبار العامة والخاصة للناس خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، والنصف الأول من القرن الهجري الماضي.

(٣) من يطلع على بعض مؤلفاتي وبحوثي التي صدرت خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٧ــ١٤٤٦هـ/١٩٨٧ــ٢٠٢٥م) فسيجد شروحات كثيرة لها صلة مباشرة بتاريخ الإعلام في تهامة والسراة من عام (١٣٤٥ــ١٤٤٦هـ/١٩٢٦ــ٢٠٢٤م)، ومازال هذا الميدان يستحق مزيداً من الأعمال العلمية العميقة والجادة .

الحديثـة الماديـة والمعنوية إلى كل مدينة أو قرية في مناطـق تهامة والسراة .وهذا التطور التاريخي والحضاري عاصرته أثناء رحلاتي ومشاهداتي في مناطق كثيرة من المملكة العربية السعودية بما فيها (عسير، وجازان، ونجران، والباحة) (١).

ج ـ دخول الإنترنت في حياة البشر، وانتشار استخدامه في كل مكان أحدث طفرة إعلامية كبيرة، وصار هنـاك عشرات الأدوات والوسائل والتطبيقـات الإلكترونية التي تنقل الأخبـار بالصوت والصور إلى أي مكان في العالم. ونشاهد مسيرة الإعلام في وقتنا الحاضر لم تعد ضيقة ومحدودة كما كانت في الماضي، بل جرى عليها تغيرات هائلة حتى أصبح الإنسان عاجزاً عن الإلمام بما جرى من تطورات عصرية(٢).

٣ـ التقنية وآثارها:

عـرف أهل السراة وتهامة بعضـ الآلات والأدوات الصناعيـة في العقود الوسطى من القرن(١٤هـ/٢٠م)، وعند انتشـار استخدام الكهرباء خلال النصـف الثاني من القرن نفسـه أصبـح هناك معـدات وسلع كهربائيـة وإلكترونية كثـيرة، وكان وجودهـا في المدن والحواضـر الكبـيرة أكـثر من القـرى والأريـاف(٣). ثـم زادت وتنوعت الأجهـزة التقنية الإلكترونية خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، وبعد وصول الإنترنت إلى البلاد في نهاية العقد الثاني، والعشرينيات من القرن نفسه صارت التقنية مجال مهم في حياة الناس.

واجتهـدت وزارة الاتصـالات السعوديـة وجلبـت الكثـير من الخدمـات والبرامج التطبيقيـة، ثم سعت بقية الوزارات والشركات الحكومية والأهلية في توظيف التقنية في أعمالهـا، وتحولت الكثير من المؤسسات المدنية والعسكرية، الخاصة والعامة إلى رقمنة أعمالها، وبدأت معظم الخدمات تقدم للمستفيدين عن بعد، وبعضها جمعت بين العمل المباشر وعن بعد. وكان لجائحة كورونا دور في تسريع استخدام التقنية في أعمال كثيرة،

---

(١) أثـرت التنميـة الحديثة على قطاعـات كثيرة في أرجاء المملكـة العربية السعودي. وتاريـخ التنمية موضوع حضاري مهم جدير بالعناية العلمية البحثية.

(٢) آمـل أن نـرى أقسام الإعـلام في جامعات جنوب المملكـة ترصد التطور التاريخـي والحضاري الذي حدث للإعـلام قديمـاً وحديثاً في عموم تهامـة والسراة من بداية القـرن الهجري الماضـي إلى وقتنا الحاضر، وفحصـت فهارس المكتبات السعوديـة والعربية باحثاً عن بدايات الإعلام الحديـث في جنوب المملكة، وما حدث له من تقدم وتوسع إلى القرن الحالي(١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، لكنني لم أجد أي عمل توثيقي، ومن يتخذه موضوعـاً لكتـاب أو رسالة جامعية فقـد يطلعنا على تطور حضاري حديث استفاد منـه النـاس في الميادين العامة والخاصة .

(٣) المصـدر: مشاهـدات البحث وتنقلاته في مدن ومناطـق عديدة من تهامة والسراة خـلال التسعينيات من القرن الماضي ، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

وما زالت عجلة التطوير سارية وممتدة إلى كل مكان، وقد تصل إلى مرحلة إنجاز جميع الأعمال البشرية رقمياً [(١)].

حدث خلال العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٥ـ١٤٤٥هـ/ ٢٠٠٤ـ٢٠٢٤م) تبدلات في حياة الناس بعضها إيجابية وأخرى سلبية. ومن يدرس استخدام أجهزة النقال (الجوال) وغيره من خلال برامج وسائل التواصل فإنه يتعجب وينبهر من الأوقات الكبيرة التي تهدر وتضيع مع هذه الوسائل، وأيضاً من الكم الهائل الذي ينشر من خلالها بين الناس وبعضها جيدة ومفيدة، وأخرى سيئة وغير صالحة لبناء الشخصية المسلمة التي تحرص على قضاء الوقت فيما ينفع، والابتعاد عن كل ما يفسد الدين والأخلاق والقيم والسلوكيات، ولا تخلو هذه الوسائل من أضرار صحية جسدية تصيب الإنسان بسبب الإفراط في الاستخدام. وكوني أقضي وقتي كله في القراءة والبحث منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، وكنت أعاني كثيراً من الطرق التقليدية لمواصلة الدراسة وإنجاز أعمال علمية، وبعد ظهور الإنترنت، صارت معظم أموري العلمية والبحثية سهلة وميسرة، والفضل يعود لله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ ثم للتنقية والشبكة العنكبوتية التي يسرت عليَّ أمور كثيرة تصب في خدمة البحث العلمي، والحديث عن فوائد الإنترنت والتقنية كبيرة وتكتب في كتب كبيرة وعديدة[(٢)].

تاسعاً: التاريخ الصحي:

١ـ كلمة عن الطب والتطبيب قديماً حتى منتصف القرن (١٤هـ/ ٢٠م):

كان الطب الشعبي هو السائد في أنحاء البلاد، والناس يتطببون بالعديد من المواد المحلية المجلوبة من الأشجار والنباتات وغيرها. وسمعت بعض الروايات واطلعت على بعض المؤلفات المطبوعة وفيها مادة علمية تذكر لمحات من الطب البدائي في بعض المدن والحواضر الكبيرة في تهامة والسراة. ووجد بعض الأطباء والمهرة الذين جاءوا من داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومارسوا بعض الخدمات الطبية للناس والحيوانات، ولم تسلم الأشجار والنباتات والمياه من الأوبئة التي تعود آثارها السلبية على البشر، وبعض الكائنات الحية الأخرى[(٣)].

---

(١) سنرى في قادم الأيام تطورات كبيرة وسريعة، ونسمع عن الذكاء الاصطناعي الذي سوف يغير أشياء كثيرة في حياة الناس، وقد نرى في المستقبل مخترعات لا نتصورها لما ستقدم من خدمات تقنية مذهلة.

(٢) حبذا أن نرى باحثين في جامعات الجنوب السعودي يقومون بدراسة استخدام الإنترنت والتقنية من العشرينيات في هذا القرن إلى وقتنا الحاضر، ومن يفعل ذلك فسوف يطلع على كم هائل من المعلومات والمعرفة في هذا الباب.

(٣) البلاد التهامية والسروية أراضي كبيرة وشاسعة، ولم تكن في مستوى واحد من حيث الخدمات الطبية في القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، وقد كانت المدن والحواضر الكبيرة مثل: الطائف، ومكة

عنـد وصول بعض القوى السياسية العثمانية والأجنبية إلى أراضي وشواطئ تهامة والسروات أحضروا معهم فنوناً عديدة من العادات والتجارب والأنشطة المختلفة، ومنها أدوات طبية متنوعة، وأطبـاء وممرضين وفنيين صحيين. وعرفت مدن اليمن والحجاز خدمات صحية متنوعة، ووصل بعضها إلى نواحي في المناطق التهامية والسروية. ووقفت علـى مصادر ووثائق عربية وعثمانية وأجنبية يعـود تاريخها إلى القرن (١٣هـ/١٩م)، والعقـود الأولى من القرن (١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، وتشتمل على معلومات عن التاريخ الطبي في شبه الجزيرة العربية وبخاصة الحجاز واليمن وما بينهما[١].

٢ـ بداية الطب الحدث في تهامة والسراة:

بعـد انضمام البلدان السروية والتهاميـة إلى كيان المملكة العربية السعودية، بدأت الحيـاة الحديثة تنتشر تدريجياً في البلاد، وكانـت البداية من المدن الكبيرة والرئيسية في بـلاد غامـد وزهـران(الباحـة)، وعسير، وجـازان، ونجران. واطلعـت على بعض المصـادر والوثائق التاريخيـة المنشورة وغير منشورة، وفيها توثيقات كثيرة عن نشأة ثم تطـور الحياة الصحية الحديثـة في نواحي من السروات وتهامة خـلال النصف الثاني من القـرن الهجري الماضي. ولم تدخر الدولة جهداً في رعايـة النـاس وخدمتهم صحياً فأحضـرت الكثير مـن الكوادر الطبية العربية والإسلاميـة والأجنبية ، وأسست المراكز الصحية والمستشفيات في مدن ومناطق عديدة في طول البلاد وعرضها. وعاصرت تاريخ الصحـة من ثمانينيات القرن الهجري الماضـي إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وشاهدت عشرات الوحدات الطبية، والمراكز والمستشفيات الصغيرة والكبيرة في أمكنة كثـيرة. وكان العاملون فيها (أطباء، وممرضـين، وصحيين، وغيرهم) من دول عديدة في العالم، أما الكـوادر السعودية فكانت محدودة، والموجودون غالباً يعملون في مجالات إدارية وفنية وأحياناً صحية طبية[٢].

المكرمـة، والقنفـذة، وبيشة، وأبها ، وخميس مشيط (جرش قديمـاً) ونواحي أخرى في جازان ونجران في أوضـاع حضاريـة أحسن من غيرها، ومنها بعض الأنشطة الصحيـة. ولم تخل حياة البوادي والأرياف من جهود طبية بسيطة وشعبية. وللأسف لا نجد بحوثاً علمية مطبوعة ومنشورة في هذا القطاع الحضاري.

(١) صـدر بعض الدراسات التاريخية والحضارية عـن اليمن والحجاز خلال الفترة المذكـورة في المتن، وفيها توثيقـات عن تاريخ الطب والتطبيب. أما الديار التهاميـة السروية الواقعة بين الناحيتين فما زالت بحاجة ماسة إلى دراسة هذا المجال الحضاري المهم.

(٢) إن النصـف الثاني مـن القرن (١٤هـ/٢٠) يعد القاعـدة الرئيسية التي تأسست خلالـه معظم مؤسسات ووزارات ومراكز الدولة السعودية. وبدأت من مكة المكرمة ثم العاصمة الرياض، ولم نصل إلى نهاية القرن نفسـه إلا المجـالات والخدمات الطبية الحديثة في كل مكان، وصار هنـاك جامعات وكليات ومعاهد صحية تخرج الكثير من الأطباء المتخصصين في علوم الطب المختلفة.

٣ـ مختصر التاريخ الصحي خلال القرن الحالي (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) :

من يتجول في أرجاء السروات وتهامة خلال هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠ـــ٢١م)، ويجمع مادة علمية عن التاريخ الطبي، فسيجد منظومة صحية كبيرة تتكون من مستشفيات، ومراكز صحية صغيرة وكبيرة موجودة في كل مكان من المدن، والمحافظات ، والتجمعات السكنية الكبيرة. وأكثرها حكومية عسكرية ومدنية، بالإضافة إلى عشرات المقرات الطبية الخاصة، ومئات الصيدليات، ومراكز التدريب والتأهيل الطبي التي تقدم خدمات متنوعة. ويتولى إدارتها والإشراف عليها كوادر سعودية (ذكوراً وإناثاً). والكثير من هذه المنجزات تأسست في العقدين الأخيرين من القرن(١٤هـ/ ٢٠م)، والثلاثين سنة الأولى من القرن الحالي (١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م) [١].

توسعت الحياة الطبية بشكل كبير جداً خلال العشرين سنة الأخيرة (١٤٢٦ـــ١٤٤٦هـ/ ٢٠٠٥ـ٢٠٢٥م)، فأصبح هناك الكثير من الكليات الصحية في الجامعات المحلية، ويتخرج فيها سنوياً آلاف الخريجات والخريجين. وزادت وتنوعت المراكز الطبية المتخصصة، وصار السعوديون هم من يتولى الإشراف والخدمة والتطوير لهذا المجال الكبير، ويوجد أيضاً كوادر طبية غير سعودية ليست قليلة تعمل في مجال التدريس والتدريب في الجامعات والمستشفيات والمراكز الصحية. وتم ابتعاث آلاف من الطالبات والطلاب لدراسة تخصصات صحية كثيرة في العالم العربي، والإسلامي، والأجنبي ،وعاد الكثير منهم لخدمة الأرض والناس في كل مكان من البلاد السعودية[٢].

الحديث عن التاريخ الصحي الحديث والمعاصر في تهامة والسراة من بداية القرن الحالي (١٥هـ/ ٢٠م) مجال واسع يُكتب فيه عشرات الكتب والرسائل العلمية الجامعية، وأشرت فقط إلى شذرات قليلة، والموضوع جدير بالاهتمام العلمي والتوثيقي، آمل أن نرى مؤرخين محليين جادين يدرسون هذا القطاع دراسة إحصائية علمية تحليلية. ولا أدعي أنني وثقت عملاً علمياً تفصيلياً، لكن حسبي أني أشرت إلى نقاط عديدة ومتفرقة ، أرجو أن تكون منطلقات فعلية لإنجاز أعمال كبيرة وموسوعية عن

(١) زرت معظم بلدان السروات وتهامة في العقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وشاهدت الخدمات والتنمية الصحية تتطور وتصل إلى كل مكان في البلاد. وتاريخ الصحة من عام (١٣٩٠ــ١٤٤٥هـ/ ١٩٧٠ـ ــ٢٠٢٤م)، موضوع كبير يكتب عنه عشرات الدراسات العلمية.

(٢) اطلعت على الكثير من الوثائق والتقارير العلمية الصادرة عن وزارة الصحة، ووزارة الدفاع، ووزارة التعليم ووجدت الكثير من الطالبات والطلاب الذين درسوا المجالات الصحية في بلدان كثيرة من العالم خلال العقدين الماضيين الأخيرين، ثم عادوا للعمل ودفع عجلة التطوير والتنمية في بلادهم.

تاريخ الحياة الطبية في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية خلال المئة عام الأخيرة (١٣٤٥ـ ١٤٤٥هـ/١٩٢٦ـ٢٠٢٤م)[١].

عاشراً :الخاتمة : بعض النتائج والتوصيات:

إن الناظر إلى الفهرست العام لهذا القسم يجد محاور كثيرة ومتنوعة (جغرافية، وتاريخية: اجتماعية، وإدارية، واقتصادية، وعلمية وتعليمية وفكرية وثقافية وطبية وغيرها). ومثل هذه العناصر تحتاج إلى إسهاب في الدراسة والتوثيق والنقد والتحليل، لأنها تعكس جزئيات من تاريخ وتنمية بلاد واسعة (تهامة والسراة) خلال العصر الحديث والمعاصر الذي حدث خلاله أحداثاً وتحولات وتغيرات كثيرة على الأرض والسكان[٢].

(*) أسجل في الفقرات التالية بعض الرؤى والآراء والمقترحات التي أرجو أن تخدم الوطن علمياً وبحثياً ومعرفياً، ونأمل ذلك من خلال كلياتنا وجامعاتنا المحلية، وهي على النحو الآتي:

١- إنسان وأرض السروات وتهامة جزء من شبه الجزيرة العربية، التي لها تاريخ قديم يعود إلى العصر الحجري الأول. ونجد الكثير من الدراسات العلمية المطبوعة والمنشورة باللغة العربية ولغات أخرى رصدت صفحات متنوعة من حضارة وتاريخ بعض الأمكنة لهذه البلاد في العصور القديمة. وللأسف أن تهامة والسراة من أقل الأوطان التي لم تخدم علمياً وبحثياً في عهود ما قبل الإسلام.

٢- ظهر الإسلام وانتشر في أجزاء الجزيرة العربية، وصار الناس يدينون بالدين الإسلامي ،واستمروا هكذا إلى وقتنا الحاضر، إلا أن التغيرات السياسية التي وقعت في العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام إلى القرن(١٤هـ/٢٠م) صنعت الكثير من الأحداث التاريخية والحضارية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وبلاد السراة وتهامة لم تكن منفصلة عن تاريخ العرب والمسلمين عبر أطوار التاريخ الإسلامي، ونجد إشارات قليلة توثق لمحات من تاريخ بعض المواضع مثل: نجران، والمخلاف السليماني (جازان)، والطائف، وبعض موانئ الساحل الشرقي للبحر الأحمر من

---

(١) مازالت بلادنا تهامة والسراة تستحق الخدمة العلمية البحثية التوثيقية الجادة في كل المجالات الحضارية القديمة والحديثة والمعاصرة، آمل أن يتحقق ذلك من خلال مؤسساتنا التعليمية العالية.

(٢) لا تكفي عشرات الكتب والبحوث العلمية لرصد تاريخ وحضارة السروات وتهامة خلال المئة سنة الأخيرة (١٣٤٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٢٦ـ ٢٠٢٥م)، لأن هذه البلاد صارت جزءاً من كيان كبير (المملكة العربية السعودية)، ثم دخلت في الكثير من المتغيرات التاريخية، وكانت النتيجة ما جرى لأهل البلاد من نمو وتطوير في شتى المجالات.

جـدة إلى جازان. ومـن يبحث عن باقي البـلاد، كالسروات الممتدة مـن الطائف إلى قحطـان، والمنحدرات الغربيـة لهذه السـراة، وأطرافها الشرقية فلا نجـد لها ذكراً واضحاً في الزمن الممتد من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن (١٢هـ/١٨م). وإن وجدت شذرات هنا وهناك، فلا تفيد في إعطاء صورة شبه واضحة عن هذه الأوطان.

٣- سمعـت ورأيـت وقـرأت أثنـاء عملـي في الدراسـة والتدريسـ والبحـث التاريخي والحضاري خلال الخمسين عاماً الماضية (١٣٩٥ـ١٤٤٦هـ/١٩٧٥ـ٢٠٢٥م)، من قال أو كتب أخباراً كاذبة وغير صحيحة عن تواريخ سياسية وحضارية في السروات وتهامـة، وذكـر أنها حدثت في عصور ما قبل الإسلام والقـرون الإسلامية المبكرة، والوسيطـة، وبداية الحديـث، ولا يتسع المقال إلى سرد أمثلة ممـا كتبوا أو ذكروا، لكنها موجودة ومنتشرة بين الناس كتابة، أو بالصوت والصورة. ووقع في يدي الكثير مـن الكتابات المغلوطة، وبعضهـا مدونة منذ قرن، أو قرن ونصف، ثم جاءت أجيال متأخـرة، وللأسـف أن بعضهم يحملون شهادات عاليـة، ومنهم من يعمل في كليات وجامعـات وأقسـام أكاديمية ويبذلون ما في وسعهم ويـرددون القصص والأكاذيب عـن أنشطة تاريخ وسياسـة عرفتها البلاد منذ القـرون الإسلامية الأول، وتحدثت وتناقشت مع الكثير منهم، وطلبت منهم يذكرون لي مصادر مبكرة وموثوقة تشتمل على هذه الأقوال والادعاءات الباطلة، ومن المؤسف أنهم لا يملكون ذلك، ويراوغون ويتملصون ممـا طلب منهم، وقضيت سنوات كثيرة أقـرأ مصادر التاريخ والتراث العامة، ومصـادر التاريخ الحجازي واليمني من فجـر الإسلام إلى القرن الحادي عشـر الهجري، ولم أجـد ذكراً لتلك القـوى، أو الإمارات، أو الكيانـات، أو النفوذ السياسي في تهامة والسراة، حسب ما يدعيه ويذكره هؤلاء المدلسون[1].

٤- جـاء العصر الحديث(ق١٠- ق١٤هـ/ق١٦- ق ٢٠م)، وبدأ تاريـخ السروات يوثق ويُعـرف تدريجياً[2]. ومنـذ نهايـة القـرن (١٢هـ /١٨م)، وفي القرنـين التاليـين

(١) في الحقيقـة أنـه من المضحك المبكي أن صـدر العديد من الكتب، والبحـوث، والدراسات خلال المئة سنة الأخـيرة (١٣٤٥ـ١٤٤٥هـ/ ١٩٢٦ـ٢٠٢٤م)، وأصحابها ناضلوا ودافعوا عن قناعاتهم وأطروحاتهم التي لهـا صلة بالسروات وتهامة قبل الإسلام وبعده حتى بدايات العصر الحديث، وأحياناً إلى الوقت الحاضر. وعندمـا نضـع كتاباتهم وتوثيقاتهم تحت مطرقة النقد التاريخـي العلمي الجاد، نجدها تنهار، ولا تصمد لأنـه لا يوجد لهـا أسانيد وبراهين صحيحة وقويـة. والمشاركون في مثل هذه المغالطـات عرب وغير عرب، وبعضهـم مـن إخواننا وأبنائنا في شبه الجزيرة العربية، وآخـرون من بلدان عربية أخرى. وأقول: إن على كاتـب التاريـخ وبخاصة من يدين بديـن الإسلام، أن يراقب الله فيما يقول ويكتـب، لأن من يكذب ويدلس لغرض دنيوي، فقد وقع في إثم عظيم، وأسأل الله أن يرزقنا صدق القول والعمل.

(٢) كانت القبائل خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وبدايات الحديثة الحاكم الفعلي لأرضها، والبلاد مليئـة بالسـكان، ولهم تاريخ متنـوع، لكنه للأسف لم يجد من يكتبه، وظهر في اليمـن والحجاز، وأحياناً في

(١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) تشكل تاريخ المناطق التهامية والسروية، وظهرت سجلات، ووثائق ومخطوطات ومراجع تشتمل على شروحات كثيرة عن التاريخ السياسي والعسكري، وإلى حد ما الحضاري. ومازال هناك عناوين وموضوعات كثيرة خلال القرون الثلاثة الماضية (١٢ــ١٤هـ/١٨ــ٢٠م) تحتاج مزيداً من التحقيق والدراسة، والتحليل. ومن يطلع على فهارس المكتبات الرقمية والورقية فإنه سيجد دراسات عديدة صدرت عن البلاد في التاريخ الآنف ذكره، آمل من أقسام التاريخ في جامعاتنا المحلية أن تدعم وتشجع إنجاز بحوث دقيقة ونوعية في عناوينها ومحتوياتها ، ولن يكون هناك صعوبة في الوصول إلى المصادر المتنوعة في هذا المجال.

٥- تغير حال البلاد في عهد الدولة السعودية الحديثة (١٣٤٠ــ١٤٤٦هـ/١٩٢١ــ٢٠٢٥م)، وأشرت في هذا المبحث، ودراسات أخرى مطبوعة ومنشورة إلى جزئيات من تاريخ الأرض والناس، ومازالت عموم جنوب المملكة العربية السعودية بحاجة ماسة إلى دراسة جميع مجالات الحياة، وإن صدر العديد من الكتب والبحوث والرسائل الجامعية، إلا أن الذي نتطلع إليه دراسة كل ناحية، أو مدينة أو حاضرة، أو منطقة بشكل تفصيلي وفي جميع القطاعات (السياسية والعسكرية، الإدارية والمالية، الاجتماعية والاقتصادية، العلمية والتعليمية، الثقافية والفكرية والإعلامية، والسياحية وغيرها). كما أن التنمية الحديثة وصلت إلى كل مكان وأثرت إيجاباً على حياة الناس وهذا موضوع يكتب عنه عشرات الأعمال العلمية ، وهناك جوانب سلبية برزت من خلال التطور والتوسع المادي والمعنوي، وهذا ميدان مهم، والواجب دراسته وخدمته من قبل الباحثين المتخصصين، ومراكز البحوث العلمية في جامعاتنا المحلية.

٦- أشرت في متن وحواشي هذا العمل إلى آراء وتوصيات ومقترحات ربما تفيد الدراسين والباحثين. وبلادنا (تهامة والسراة) بحاجة إلى اجتهادنا في رعايتها وخدمتها كل في مجال العلم أو التخصص الذي يجيده ، وإذا انطلقنا من هذه القاعدة فقد نحقق نجاحات جيدة في صيانة بلادنا وتطويرها.



الطائف من دون بعض الكتب في العصر الإسلامي الوسيط، وذكروا معلومات قليلة ومحدودة عن تواريخ بعض بلدان السراة وتهامة ، لكنها لا تعطي الباحث أو القارئ صورة واضحة عن سير الحياة في هذه البقاع.

القسـم الخامـس

غيثان بن جريس
يوثق صفحات من تاريخ مكة المكرمة
في العصر الحديث والمعاصر بالشرح
والصورة الفوتوغرافية (الجزء الأول)

القسم الخامس

غيثان بن جريس يوثق صفحات من تاريخ مكة المكرمة في العصر الحديث والمعاصر بالشرح والصورة الفوتوغرافية (الجزء الأول). بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أولاً : تمهيد :

نعم أنا غيثان بن علي بن جريس من سكان السروات ، ومن ديار الحجر بن الهنوء الأزدي ، يعـود نسب أمـي (رحمة بنت محمد بن سعيد بـن زارع) إلى قبيلة بني كريم العمرية الحجرية، ووالدي (علي بن عبدالله بن جريس) إلى قبيلة بني جبير الشهرية، والقبيلتـان (العمرية والشهريـة) جدهما واحد، ويجتمعان معـاً في الأرض والنسب مع قبائل بلّسمر وبلّحمر (سراة، وتهامة، وبادية) [١].

أمـا مكـة المكرمة، فتلك الديـار المقدسة المذكـورة في الكتب السماويـة ، ومصادر السـيرة والسنـة النبوية، وغيرها مـن المؤلفات العربية والإسلاميـة والأجنبية القديمة والحديثة والمعاصرة. ومن يسعى إلى حصر كل ما كتب عن مكة ، وعن الموارد والمصادر والمراجـع المختلفـة التي ذكرت هـذا البلد الحرام عبر أطـوار التاريخ، فهـذا العمل لا يستطيع إنجازه إلا مؤسسة علمية كبيرة ومتخصصة ، ومهما بذلت فلن تستطيع حصر وتوثيق المروي والمذكور والمدون عن هذه البلاد المقدسة[٢] .

---

(١) تقع مستوطنات هذه القبائل الأربع (بنوعمرو، وبنو شهر، وبلّسمر، وبلّحمر) شمال منطقة عسير، ويحدها من الشمال محافظي بلقرن والعرضيات ، ومن الجنوب محافظتي خميس مشيط ومحايل عسير، وحاضرة أبهـا وبعض مراكزها الشمالية ، ويحدها مـن الغرب أجزاء من محافظات بارق، والعرضيات، والقنفذة ، ومن الشرق محافظة بيشة وأجزاء من محافظة خميس مشيط. وبلاد بني عمرو وبني شهر تقع في الأجزاء الشمالية من البلاد الحجرية. ونشرت أنا وغيري بعض الكتب والدراسات عن قبائل رجال الحجر، وهذه الديار وأهلها مازالت بحاجة كبيرة إلى دراسات أكثر وأفضل وأعمق.

(٢) هـذه الحقيقة، وقضيت بضع سنوات أجمع بعض المصـادر والمراجع العربية والأجنبية التي فيها ذكر لمكة

مــن يعمــل ويجتهــد في جمــع تاريــخ مكــة المكرمة مــن خــلال الخرائــط والصور الفوتوغرافية خلال العصرين الحديث والمعاصر فذلك مشروع واسع ومتشعب ، ويوجد عشــرات الآلاف من هذه المصادر داخل المملكة العربية السعودية وفي انحاء العالم، ولم أقــف أو أســمــع عن عمل كبير وموحــد وموسوعي خدم هذا المقــترح، ويوجد الكثير من الكتــب، والمجــلات، والصحف، والرسائــل الجامعية، والفيديوهات التــي اشتملت على الكثــير من الصور الفوتوغرافية والخرائط الأرضيــة والجوية، لكنها مبعثرة ومتفرقة. وبعــد اتساع وانتشار الشبكة العنكبوتية (الإنترنــت) صارت صور مكة المكرمة وما فيها من الأماكن والمشاعر المقدسة منتشرة في أرجاء الكرة الأرضية[1].

أمــا صلاتي بالمدينــة المقدسة (مكة المكرمة) فتعود إلى مطلــع التسعينيات عندما أديــت فريضة الحج مع والدتي ومازلت في بدايــات العقد الثاني من عمري. وكنت قبل ذلــك التاريخ أسمع مــن معلمي المرحلة الابتدائيــة بعض الأخبــار والروايات عن أرض الحرمين، وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وشاهدت بعض الحجاج الذين يذهبون مــن قرانا وأريافنــا وبوادينا في سروات بلاد بني شهر وبنــي عمرو إلى الحج، وحجاجا آخرين يمنيين وسعوديين يجتازون ديارنا في مواسم الحج ورمضان، ونسمع أهلنا يقولون هؤلاء من الزوار والحجاج الذين يذهبون إلى مكة أو يعودون منها[2].

تــرددت علــى مكة المكرمة مــرات عديدة خــلال العقد الأخير من القــرن الهجري الماضــي (١٣٩٦ــ١٤٠٠هـ /١٩٧٦ــــ١٩٨٠م) ، ثم استمــرت وتكررت رحلاتي عشرات المــرات خلال هــذا القــرن (١٥هـ/٢٠ـــ٢١م) ، ومعظمها للحــج والعمــرة ، أو للبحث والدراسة ، وبدأت أعرف مكة المكرمة أكثر عندما قررت في العقد الأول من القرن الحالي مواصلــة درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية ،وكان عنوان رسالتي: **الحياة الاجتماعية والحرفية والتجارية في الحجاز خلال العصــر العباسي الأول (١٣٢ــ٢٣٢ / ٧٤٩ــ٨٤٦)**،وقمــت برحلة ميدانية في حواضــر الحجاز الكبرى (مكة المكرمة، والمدينة

المكرمــة، فوجدتها بــالآلاف ، وأعتقد أنني لم أطلع أو أجمع إلا نسبة ضئيلــة جداً من هذا المشروع العلمي، وآمل أن نرى فريق عمل متخصص يجمع ويصدر عملاً علمياً ببليوجرافياً عن بلاد الحجاز وبخاصة المدن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة) .

(١) الصور الفوتوغرافية والخرائط من المصادر الجيدة والمهمة لخدمة أي عمل علمي، ومن يدرس تاريخ مكة المكرمة مــن القرن(١٣هـ/١٩م) إلى الآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) ، فعليــه أن لا يتجاهل هذه المصادر العلمية الجيدة والمفيدة لإنجاز أي عمل علمي جاد ورصين.

(٢) يوجــد في الذاكــرة الشعبيــة الكثير مــن القصص والروايــات ذات الصلة بالحجــاج الذين يذهبــون من جنوب شبــه الجزيــرة العربيــة إلى مكة المكرمــة والمدنية المنــورة، ومن يجمع مــادة علمية في هذا الموضــوع خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبداية القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م) فسوف يجد تفصيلات مهمة وجيدة جديرة بالدراسة والتوثيق.

المنـورة، وجدة، والطائـف) أثناء جمع المادة العلمية لرسالتـي العلمية ، وتعلمت الشيء الكثـير من تاريخ هذه المدن، وحصلت على بعض الصـور الفوتوغرافية لمعالم جغرافية عديـدة، لكنهـا لم تخدمني في بحثي لحداثتها، وبعدها من الفـترة الزمنية المحددة في عنوان البحث، وللأسف مع أسفاري وتنقلاتي داخل البلاد وخارجها فقدت تلك الصور مع أن بعضها كانت مهمة وجيدة علمياً ومعرفياً [١] .

أنجزت خـلال العشريـن عامـاً الأخـيرة (١٤٢٥ـــ١٤٤٦هـ/٢٠٠٤ـــ٢٠٢٤م) بعض البحـوث والكتـب العلمية عن الحجاز بشـكل عام ومكة المكرمة على وجـه الخصوص، وتم طباعتهـا ونشرها. ومنها المتخصصة في القرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة ، وأيضاً في العصـر الحديث والمعاصـر، وكان من مصادري الخرائط والصـور الفوتوغرافية للمسجد الحرام وما يحيط به من حارات وأحياء، ومعالم أخرى في المشاعر المقدسة (منى، ومزدلفة، وعرفـة) ، وأمكنـة أخرى مـن مدينة مكة المكرمـة[٢] . ويوجد ضمن بعض هـذه الدراسات والكتب مئات الصور الفوتوغرافية وبعض الخرائط والجداول الإحصائية، وجميعها خلال العصر الحديث وتحديداً القرن الهجري الماضي، وهذا القرن (١٥هـ/٢٠ــ ٢١م) [٣] .

رأيـت في هذا القسم أن تكون مادته الرئيسية صوراً فوتوغرافية ، والقليل منها من مصادر ومراجع مطبوعة ومنشورة[٤] ، أما النصيب الأكبر فهو من تصويري وإعدادي،

---

(١) كنت ومازلت حريصاً على الاحتفاظ بالوثائق والصور والأوراق القديمة، وبدأت في الاهتمام بهذا الأمر من تسعينيات القرن الهجري الماضي، ومع هذا الاهتمام فقد فقدت الكثير من هذه المصادر التي تعكس تواريخ متنوعـة في شبه الجزيرة العربيـة، وبلدان أخرى كثيرة زرتها في شرق العالم وغربه. ومن الطموحات التي آمل أن تتحقق أن أجمع الصور الفوتوغرافية التي في حوزتي خلال الخمسين سنة الماضية (١٣٩٦ــ١٤٤٦هـ/١٩٧٦ــ٢٠٢٤م)، ثم أراجعها وأصنفها، وأنشر المفيد منها.

(٢) مـن الكتـب التـي طبعتهـا ونشرتهـا عـن الحجـاز أو مكـة المكرمـة. (١) دراسـات في تاريـخ الحجـاز السياسـي والحضـاري خـلال العصـر الإسلامـي (ق١ـق١٠هـ/ق٧ــ ق١٦م) (مطبوعـات نـادي مكـة المكرمـة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) (٣٥٦ صفحـة) . (٢) مكة المكرمـة في عين رجل من أهل السـراة (١٣٩٢ــ١٤٤٤هـ/١٩٧٢ــ٢٠٢٣م) (مصر ،١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م) (٤٨٤) . (٣) العلاقـات التاريخية والحضارية بين الحجـاز وتهامة والسـراة (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ق٢١م) (مصر، ١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م) (٤٦٢صفحة) . (٤) مكة المكرمة وأجزاء من تهامة والسراة (مصر، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م) (٤٦٦صفحة) .

(٣) معظم الصور الفوتوغرافية والجداول التي نشرتها من إعدادي، وكلها تعكس شذرات من التطور التاريخي التنمـوي في مكـة المكرمة مـن منتصف القـرن (١٤هــ/٢٠م) إلى أربعينيات هذا القـرن (١٥هـ/٢١م) واكتفيـت بذكـر عنوان كل صـورة أو جـدول ، ولم أسهب في مضمونهـا ، ودلالاتها التاريخيـة والجغرافية والحضاريـة والتنمويـة ، مع أنهـا جديرة بذلـك، وكان إدراجها ثم طبعها ونشرها مـن باب الحرص على حفظ شيء من تاريخ هذا البلد المبارك في عصرنا الحديث .

(٤) هنـاك عشرات الكتب، والتقارير، والرسائل الجامعيـة التي أرخت لموضوعات كثيرة في مكة المكرمة خلال العصـر الحديث والمعاصر، وتحتوي على صـور فوتوغرافية كثيرة وجيدة في أهدافها، وما احتوت عليه من

ولا أدعي الإبداع والتميز فيما تم جمعه وطباعته ونشره، لكن أزعم أنها سوف تكون مصادر مهمة في المستقبل، لأنها موثقة بشكل مباشر من أماكنها الرئيسية، وبالتالي سوف تكون من المصادر الأصلية الأولية بعد بضعة عقود أو قرون.

الناظر إلى عنوان القسم الرئيسي يجده اشتمل على عبارة (الجزء الأول)، وأقصد بذلك إنني أتطلع وآمل أن أنجز أعمالاً مستقبلة على نفس الطريقة والمنهج، وإن تم ذلك فسوف يكون هناك (الجزء الثاني)، وربما أجزاء آخرى تالية[1].

ثانياً: وقفة قراءة وتأمل للصور الفوتوغرافية المنشورة:

رأيت في هذا القسم أن تكون الصور الفوتوغرافية المصدر الوحيد الذي يشرح جزئيات من تاريخ مكة المكرمة في العصر الحديث. وعدد الصور المنشورة تزيد عن (١٣٦) صورة فوتوغرافية ، وتقع في ثلاث مجموعات، هي:

١- **الصور رقم (١-١٢)**: منقولة من أحد المصادر الأجنبية الأولية لأحد المستشرقين الغربيين الذي زار مكة في مطلع القرن الهجري الماضي (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م).

٢- **الصور رقم (١٣- ٣٨)**: تم الحصول عليها من مجلات ومواقع رقمية وتشتمل هذه المصادر على مئات الصور عن مكة المكرمة، وتعكس مقتطفات من التاريخ المكي خلال القر (١٤هـ/١٩-٢٠م)، والعقود الثلاثة الأول من هذا القرن (١٥- ٢٠-٢١) .

٣- **الصور رقم (٣٩ - ١٣٦)**: قمت بتصويرها وإعدادها بنفسي خلال العامين الماضيين (١٤٤٥-١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤-٢٠٢٥م).

(*) المجموعة الأولى :

من إعداد ونشر الدكتور كرستيان سنوك هورخورنية (عبد الغفار) الهولندي، أحد كبار

مادة علمية تعكس صفحات من حضارة البلاد قديماً وحديثاً .

(١) ربما ينتقدني بعض القراء والباحثين على عنوان القسم ومحتواه، ويقولون: إنني نشرت هذا العمل في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، ومكة المكرمة ليست من الجنوب السعودي، أو شبه الجزيرة العربية. وأيضاً الصور المنشورة لا فائدة من نشرها لحداثتها، وتركيزها على المعالم الجغرافية والعمرانية. وأحترم رأي من يقول هذا القول ، لكن تركيزي في هذا المنجز وبحوث وكتب سابقة عن مكة المكرمة، فذلك أمر محمود أن أوثق شيئاً من تاريخ هذه البلاد المقدسة، وأنا من أبناء السروات التي لها صلة قوية قديمة وحديثة بأرض الحرمين. أما تركيزي على المعالم التنموية الحديثة فهذا من التاريخ المعاصر، وأهميته سوف تزيد في المستقبل، وسعيت إلى طباعة ونشر مثل هذا التاريخ المهم الذي رأيته وعاصرته ونسبة صحته ومصداقيته عالية جداً.

المستشرقــين الغربيين، ولد في برابانت (Brabant) في هولندا عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، ثــم تدرج في سلك التعليم حتى حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ليدن في هولندا في موضوع: **الحج عند المسلمين وأهميته الدينية**، في مطلع الثمانينيات من القرن التاسع عشر الميــلادي، ثم انتقل إلى ألمانيا ثم إلى الجزر الهنديــة الشرقية التابعة لجامعة ليدن، وفي عــام (١٣٠٢ــ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٤ــ١٨٨٥م) حصل على إجازة دراسية للسفر إلى الجزيرة العربيــة، لدراسة حياة الإســلام والمسلمين، ووصل إلى جدة ثم مكــة المكرمة ومكث فيها بضعة شهور حتى شهر أغسطس عام (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)[١].

أنجــز كرستيان سنوك هورخرونية خــلال إقامته في مكة المكرمة كتاب في جزأين. الجــزء الأول: نقولات متنوعة عــن التاريخ المكي المدون في الكثير من المصادر والمراجع. والجــزء الثاني: دراسة تاريخية حضارية اجتماعية لأهل مكة، ومعظم مادة هذا الجزء قامت على المقابلات، والمشاهدات والانطباعات. وأصدر هذين الجزأين: مكة (Mekka) باللغة الألمانية، وطبع في مدينة لاهاي بين عامي (١٣٠٦ــ١٣٠٧هـ/١٨٨٨ــ١٨٨٩م) [٢].

نشر كرستيان سنــوك مجموعة صور فوتوغرافية ولوحات فنية عن مكة المكرمة وقال أنه الذي التقطها بنفسه، أو من قبل أحد العرب المسلمين الذي علمه كيف يلتقط الصورة. وعنــد البحــث عن هذا المصــور المسلم الــذي ساعد هــذا المستشرق ، وجدنــا العديد من المصادر تذكره، واسمه السيد عبدالغفار بن عبدالرحمن بن عبدالغفار، وكان عمله طبيباً ، ويجيد مهنة التصوير، وله الكثير من الصور الفوتوغرافية الجيدة والنــادرة، لكن للأسف سنــوك وبعض من كتب عن مكــة المكرمة من الحجازيين وغيرهــم لم يعترفوا ولم يذكروا جهود هذا الطبيب المكي وما جمعه من صور وآثار وأدوات عن مكة المكرمة وأهلها[٣].

---

(١) من يبحث في فهارس المكتبات الورقية والرقمية فسيجد الكثير من المصادر والمراجع التي فصلت الحديث عن حياة كرستيان سنوك، ومسيرته العملية والعلمية في قارتي أوربا وآسيا. وكذلك أعماله ونشاطاته منذ دخوله الحجاز حتى خروجه منها بالقوة .

(٢) سبــق سنوك غــيره من الزوار والمستشرقــين الذين زاروا مكــة المكرمة وكتبوا عنها، وامتــازت أعمال هذا المستشــرق بالجــودة والتميــز، وبخاصة كتبه ودراساته عــن مكة المكرمة وبلاد الحجــاز. وله كتب وبحوث عديدة، وجهود علمية وعملية في علوم الاستشراق والمستشرقين حتى توفي عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). للمزيد انظــر عبداللطيف بن دهيشــ.« دراسة موجزة لبعض مؤلفــات هروغرونية عن تاريــخ الجزيرة العربية»، مجلة العرب، العدد (١٢)سنة (١١) ، ص٩٤٢ــ ٩٤٨.

(٣) من يقرأ التاريخ بشكل جيد فسوف يجد الكثير من الأعلام الذين خدموا تواريخ كثيرة، وتم تجاهلهم عمداً أو نسياناً ، والطبيب عبدالغفار واحد من هؤلاء المنسيين، حبذا أن نرى مؤرخا حجازيا ينجز دراسة علمية جادة عن هذا الطبيب والأدوار والخدمات العلمية والمهنية التي قدمها لمكة المكرمة وأهلها.

اقتصـرت في هـذا القسم على (١٢) صورة فوتوغرافيـة نشرها سنوك في بدايات القـرن الهجـري الماضـي، وتحتـوي على لمحات مـن تاريـخ الحجاج والمسجـد الحرام والمشاعـر المقدسـة (منـى، ومزدلفة، وعرفـات) ، وبعض الحارات والمنـازل والأعلام والمعـالم البشريـة والجغرافية المكية. ومـن يطالع جميع الصور واللوحـات المنشورة في كتبـه وأطلسه، فإنه يجد فيهـا لمحات تاريخية وحضارية مختلفة عـن مكة المكرمة قبل حوالي قرن ونصف[١] .

(*) المجموعتان الثانية والثالثة :

هـاتـان المجموعتان تتكون من أكثر من (١٢٠) صورة فوتوغرافية لأشياء عديدة في التركيبتين الجغرافية والبشرية في مكة المكرمة خلال القرن الرابع عشر الهجري وهذا القـرن (١٥هـ/٢٠ــــ٢١م) وفي مقدمتها المسجد الحرام وما جـرى عليه من تطويرات وتوسعات، وكذلك الحارات والأحياء المحيطة بالحرم، وطبيعة التضاريس الجغرافية في مدينة مكة المكرمة، وكيف سخرت لخدمة زوار البيت الحرام من الحجاج والمعتمرين.

مـن يقـرأ أو عرف وشاهد البـلاد في العقود الأخيرة من القـرن الهجري الماضي، وهـذا القرن(١٥هـ/ ٢٠ـــ٢١م) فإنه يرى ويشهد التطـورات الكبيرة والمتنوعة في شتى المجـالات، ففـي السابـق كان هناك طرق محـدودة وجبـال شامخة، وحـارات وأحياء مزدحمة ، وشوارع ضيقة ، وأسواق ودكاكين مكتظة ومتداخلة[٢] .

بذلـت الدولة (المملكة العربية السعودية) جهود منقطعة النظير فأزيلت بعض الجبال المحيطـة بالمسجـد الحرام، وشقـت الطرق والأنفـاق، وأزالت الأحياء والحـارات المحيطة بالحـرم، وقـد كانت عائقاً كبيراً في وصـول أعداد كبيرة من الحجاج والـزوار إلى المسجد الحرام، ولم تدخر جهداً في توظيف جميع الإمكانات المادية والمعنوية والإشرافية والإرشادية

---

(١) آمـل أن نـرى باحثاً جاداً يتخذ من هـذه الصور موضوعاً لدراسة علمية جـادة، فيدرس كل المعالم البارزة في كل صـورة مـع إضافة شروحات وتفصيلات عليها، ودورها في حفظ صفحات من تاريخ مكة والمكيين في نهايـة القرن (١٣هـ/١٩م)، والعقود الأولى من القرن(١٤هـ/٢٠م). وبعض كتب ومؤلفات سنوك تُرجمت إلى لغـات عديـدة، ومنهـا الجزء الثاني الـذي تُرجم إلى اللغة العربيـة، ثم طبعه نادي مكـة الثقافي عام (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ثم أعادة دارة الملك عبدالعزيز طباعته بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربيـة السعوديـة (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) تحـت عنوان : صفحات مـن تاريخ مكة المكرمـة، ومازالت جهود سنوك العلمية في الجزيرة العربية تحتاج مزيداً من الدراسة والنقد والتحليل.

(٢) مـن يطالـع بعض الصـور الفوتوغرافية المنشـورة ، فإنه يـرى تواضع الحيـاة في مكة المكرمـة في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وقـد شاهدت صعوبة الحياة إلى حد ما خلال تسعينيات القرن الماضي، ثم بدأت الأحوال تسير نحو الازدهار حتى صارت حاضرة مكة المكرمة تنعم بالكثير من النمو والتطور الكبيرين .

والتخطيطية والعمرانية وغيرها وذلك بهدف تسهيل كل الوسائل والتدابير الإدارية والأمنية والتطويرية والتنموية التي تخدم الحجاج والمعتمرين في أداء عباداتهم ومناسكهم[١].

صعدت إلى بعض جبال مكة المكرمة عام (١٤٤٥ـ١٤٤٦هـ/٢٠٢٤ـ ٢٠٢٥م)، مثل: جبل خندمة، وجبل المدافع، وجبل سودان، ومنطقة أجياد، وكلها قريبة من المسجد الحرام[٢]. ثم ذهبت إلى حي الهجرة وشاهدت جبل النور، وواصلت رحلتي إلى بعض المشاعر المقدسة، وتجولت في شوارع كبيرة وصغيرة ومتوسطة في أحياء عديدة في جهات مكة الأربع (الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب)، ودخلت بعض الفنادق والأسواق المحيطة بالحرم، وشاهدت أحياء العوالي، والنسيم، والعزيزة، والرصيفة، والشرائع، ومخططات ولي العهد، ووقفت على تطورات باهرة مادية ومعنوية، جغرافية وبشرية. وذهبت إلى بعض فروع الوزارات والإدارات المعنية بخدمة المسجد الحرام والمشاعر المقدسة، وحصلت على بعض الميزانيات والمنجزات والإحصائيات الجيدة التي لها صلة بتطوير مكة المكرمة في ميادين عديدة، وسوف أدرس هذه المادة في قادم الأيام وانشرها في عمل علمي مستقل[٣].

إذا توقفنا مع كل صورة مدرجة في هذا العمل وجدنا أنها تروى لمحة تاريخية حضارية لجزئية أو جزئيات محددة من التاريخ المكي في العصرِ الحديث والمعاصر. ونحن، الحمد لله خلال هذا القرن (١٥هـ/٢١م) نشاهد تطوراً تقنياً كبيراً، وهذا مما ساعد في توظيف مصادر عديدة لخدمة تاريخ وحضارة البلاد. وتمر بلاد الحرمين وخصوصاً المدن المقدسة بتاريخ حديث ومعاصر مزدهر وكبير، وما تبذل الدولة (المملكة العربية السعودية) من أعمال وجهود كبيرة لخدمة الإسلام والمسلمين، وقرأت ورأيت الجهود العظيمة التي قدمتها الحكومة خلال الحج في عامي (١٤٤٥هـ ــ ١٤٤٦هـ/٢٠٢٤ـ٢٠٢٥م) فكانت واسعة وكبيرة على المستوى الداخلي والخارجي، وجمعت الكثير من الصور الفوتوغرافية

(١) أشرت في بعض دراساتي المطبوعة والمنشورة عن الحجاز، ومكة المكرمة على وجه الخصوص، إلى شيء من النمو والازدهار الذي عاصرته مكة المكرمة من بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي إلى الآن (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م). ومن يعكف على إنجاز عمل موسوعي في هذا الباب، فإنه سيجد آلاف الصور الفوتوغرافية والخرائط والوثائق والتقارير الجيدة التي تشتمل على توضيحات وشروحات عن التطوير الذي حظيت به هذه المدينة المقدسة، وبخاصة المسجد الحرام وما يحيط به من أحياء ومناطق سكنية وتجارية. ومازال هذا الموضوع يستحق دراسات تفصيلية تحليلية جادة.

(٢) كل هذه الجبال قديمة ولها ذكر واسع في كتب التاريخ والتراث المبكرة، لكنها في الوقت الحاضر تبدلت لما جرى عليها من تغيير وتطوير يصب في خدمة المسجد الحرام.

(٣) نحن معاشر الباحثين والمؤرخين مهما بذلنا من جهود لشرح وتوثيق جهود المؤسسات الرسمية والأهلية في خدمة الحرمين الشريفين فلن نستطيع أن نأتي على كل شيء لاتساع الموضوع وتنوع المنجزات وكثرة النفقات.

والفيديوهات التي لها صلة بهذين الموسمين ، آمل أن أجد الوقت الكافي فأدرس هذه المصادر دراسة وصفية تحليلية وأنشرها في قادم الأيام[١] .

ثالثاً : خلاصة آراء (توصيات، ونتائج) :

أنا ابن المملكة العربية السعودية، ومسقط رأسي أرض السراة، وقد عرفت وعرف الآباء والأجداد مكة المكرمة، فكانوا وما زلت على اتصال بأرض الحرمين. والحمد لله أن مهنتي ووظيفتي في مجال العلم والتعليم، وفي ميدان الدراسات والبحوث العلمية التاريخية والحضارية ، وكان لأرض الحجاز وبخاصة مكة المكرمة نصيب في بحوثي المطبوعة والمنشورة.

ربما لن أسلم من النقد على عنوان هذا القسم ، وقد يقول البعض أن الذي عملته إهدار للوقت والمال لعدم جدوى المادة المطبوعة والمنشورة . وأحترم قول ورأي من يوجه لي النقد السلبي ، وكلنا نتعلم، والعاقل السديد من يسمع إلى آراء الآخرين سلباً أو إيجاباً ويستفيد منها. وإذا كان ذلك في مجال العلم والتعلم فإن الحرص على التعلم والاستفادة من الغير مطلب جيد وسامي.

قمت بإنجاز هذا المشروع واعتمدت بشكل كبير على الصور الفوتوغرافية في توثيق صفحات من تاريخ الديار المكية والمسجد الحرام وما حوله. ولم أفصل الحديث في شرح الصور المدرجة وما تحتوي عليه من علوم تاريخية مع أنها جديرة بذلك، ووثقت عنواناً مختصراً لكل صورة ، آمل أن تكون هذه المصادر ذات جدوى وقيمة علمية في المستقبل، ومن المؤكد سيأتي وقت وقد تغيرت أحوال الأرض والناس، إلا أن المعالم والآثار في كل صورة تبقى شاهدة على التاريخ. وللأسف إن الباحثين وبخاصة المؤرخين لا يهتمون كثيراً بالصورة الفوتوغرافية ، ويميلون ويجتهدون في الحصول على الكتاب أو الوثيقة المطبوعة أو المخطوطة، لأنها من المصادر المهمة والرئيسية في علم التاريخ .

اعلم أنه مازال هناك نقص في شرح وتوضيح محتوى كل صورة ، لكن العناوين الموثقة تلقى الضوء بشكل محدود على الشاهد أو المعلم الجغرافي ولحضاري في كل صورة. وأرجو من أبنائي وإخواني الباحثين والمؤرخين الذين يدرسون موضوعات حديثة ومعاصرة أن يكون للخارطة والصورة الفوتوغرافية مكاناً ودوراً في أعمالهم العلمية

---

(١) آمل أن أنجز دراسات علمية عديدة عن مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال هذا القرن ((١٥هـ/٢٠-٢١م)، وسوف يكون للصور الفوتوغرافية والخرائط مكان واسع في هذه الأعمال العلمية (بإذن الله) .

والتوثيقيــة. والصــورة أحياناً تكون أفضــل في توصيل المعلومة الجيــدة والحقيقة. وإذا توفرت الصور مع الشروحات والتحليل فذلك أعمق وأفضل وأوضح[١].

الناظر إلى عناوين الصور يجد أسماء أماكن ومعالم طبيعية في مكة المكرمة بعضها قديمة وأخرى حديثة، وقد فكرت أن أشرح كل مصطلح جغرافي تم ذكره، لكنني وجدت هــذا العمل ســوف يطول، لأن بعض الأمكنــة أو المعالم لها تاريخ قديم مــن قبل الإسلام وخــلال القــرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة، بل بعضهــا تستحق أن يفرد لها دراســة مستقلــة مثل: جبل عمر، أو جبل خندمة، أو جبل سودان، أو حي الحجون، أو حي أجيــاد، أو بعضــ المشاعر، أو بعض الطرق الرئيسية، أو المساجــد التاريخية، أو الأسواق والعمــارات التجاريــة وغيرها مما تحتوي عليه هذه المصادر المهمــة. وآمل أن أواصل في بعض بحوثي القادمة عن مدن وحواضر ومناطقٍ في المملكة العربية السعودية ومنها المدن المقدسة فيكون للصور الفوتوغرافية مكاناً جيداً في منجزاتي العلمية. (والله الموفق)[٢].



(١) أعمــل في مجــال الدراسة والبحث مــن بدايات هذا القرن (١٥هــ/٢٠م)، وكان جــل اهتمامي البحث في المصــدر والوثائق التاريخية القديمة حتى الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢١م)، ثم بدأت أستفيد من الصــورة في بعضــ أعمالي العلمية، ووجدت أن هذه المصادر مهمة وجيدة إذا وظفت لدعم وخدمة ما يراد دراسته وتوثيقه.

(٢) أرجــو أن يجــد القاري والباحث الكريمــين مادة علمية مفيــدة، وأن أكون ساهمت بنسبــة ضئيلة في رصد جزئيات من تاريخ المسجد الحرام ومكة المكرمة (شرفها الله) .

رابعاً : ملحق صور خاص بالقسم الخامس



صورة رقم (١) : منظر للمسجد الحرام وما حوله عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من أعمال وإعداد المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



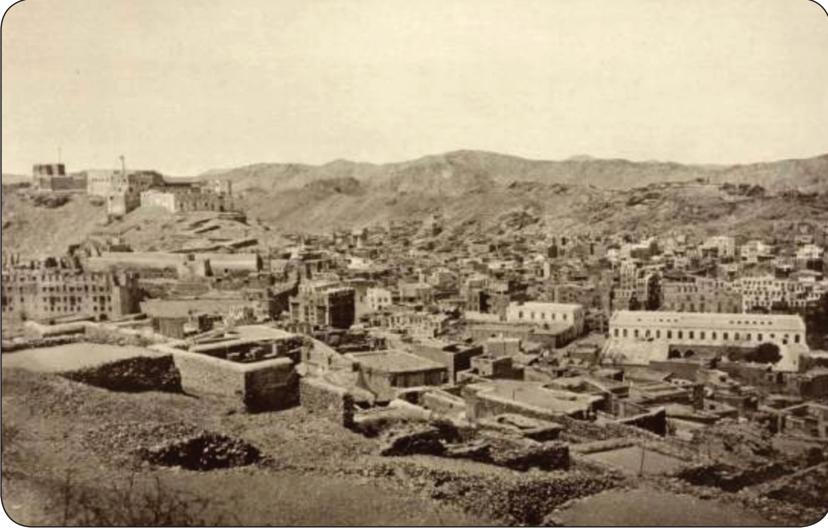
صورة رقم (٢) : منظر آخر للمسجد الحرام وفي الخلف تظهر صورة القلعة عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من إعداد سنوك



صورة رقم (٣) : صورة لجزء من بيوت مكة المكرمة
عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) ، من منشورات المستشرق سنوك



صورة رقم (٤) : منظر لبعض حارات مكة المكرمة (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) ،
من أعمال المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



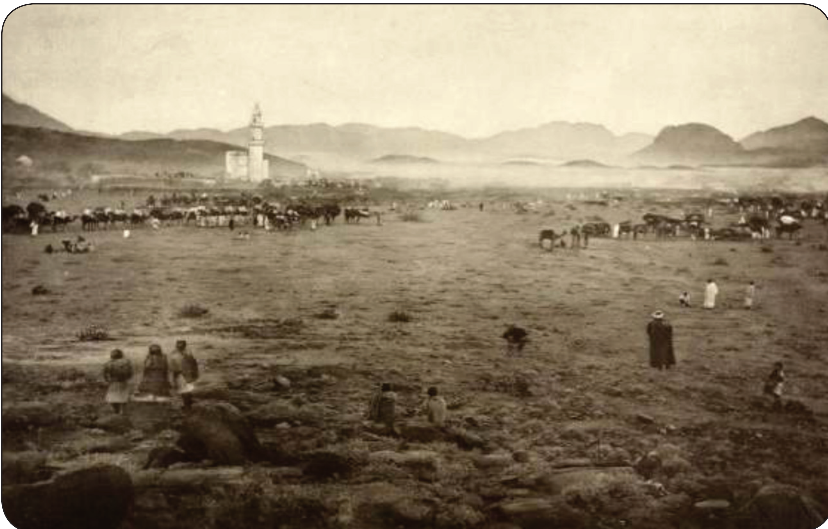
صورة رقم (٥) : منظر آخر لحارات في مكة المكرمة
عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من إعداد المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



صورة رقم (٦) : منظر لبعض الحجاج قريباً من جبل عرفة
عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من أعمال المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



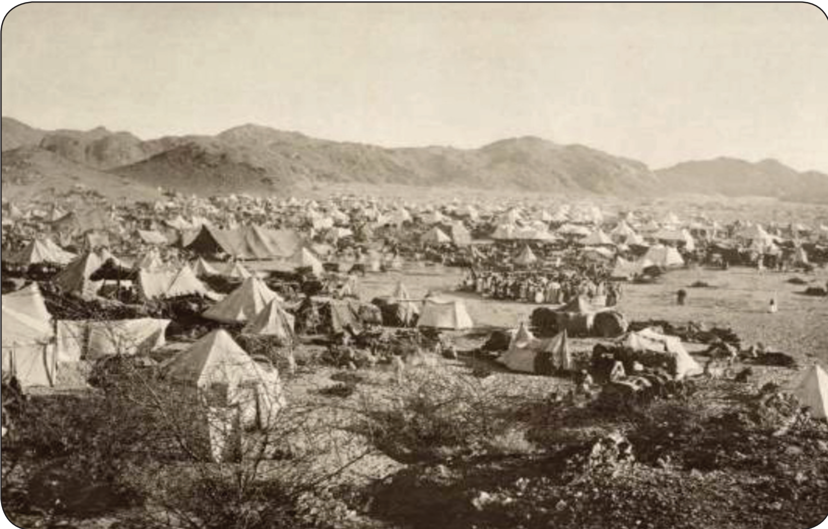
صورة رقم (٧) : صورة لبعض مخيمات الحجاج في مشعر عرفة عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من توثيقات المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



صورة رقم (٨) : منظر لمشعر مزدلفة في حج عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من المنجزات العلمية للمستشرق الهولندي كرستيان سنوك

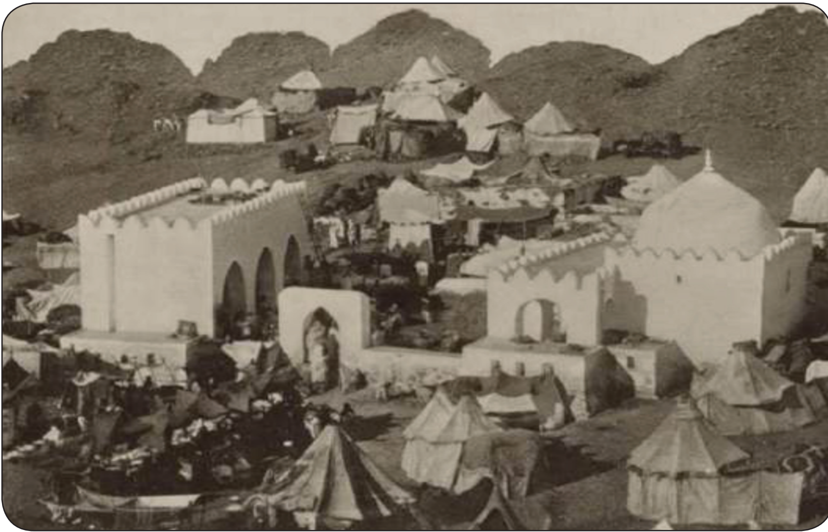


صورة رقم (٩) : منظر لبعض مخيمات الحجاج في مشعر منى عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من أعمال المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



صورة رقم (١٠) : منظر آخر للحجاج في حج عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، ضمن منشورات المستشرق الهولندي كرستيان سنوك





صورتان رقم (١١) : منظر شمال المسجد الحرام ب (١٥ كم)، وهو قبر أم المؤمنين ميمونة (رضي الله عنها) وقريب منه بعض الحجاج عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، ضمن منشورات وتصوير المستشرق الهولندي كرستيان سنوك



صورة رقم (١٢) : صورة لبعض أعلام مكة المكرمة ضمن مجموعة الصور التي نشرها المستشرق الهولندي كرستيان سنوك عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)



صورة رقم (١٣) : منظر للمسجد الحرام في سبعينيات القرن الهجري الماضي





صورتان رقم (١٤) : منظر للكعبة المشرفة والمسجد الحرام وعشرات الأبنية من حول الحرم في بدايات القرن الرابع عشر الهجري





صورتان رقم (١٥) : منظر للمسجد الحرام والكعبة المشرفة
في أربعينات القرن الهجري الماضي





صورتان رقم (١٦) : منظر للمسجد الحرام في الثمانينيات
من القرن الرابع عشر الهجري



صورة رقم (١٧) : طرف من المسجد الحرام وبعض العمارات الأخرى حوله في تسعينيات القرن الهجري الماضي



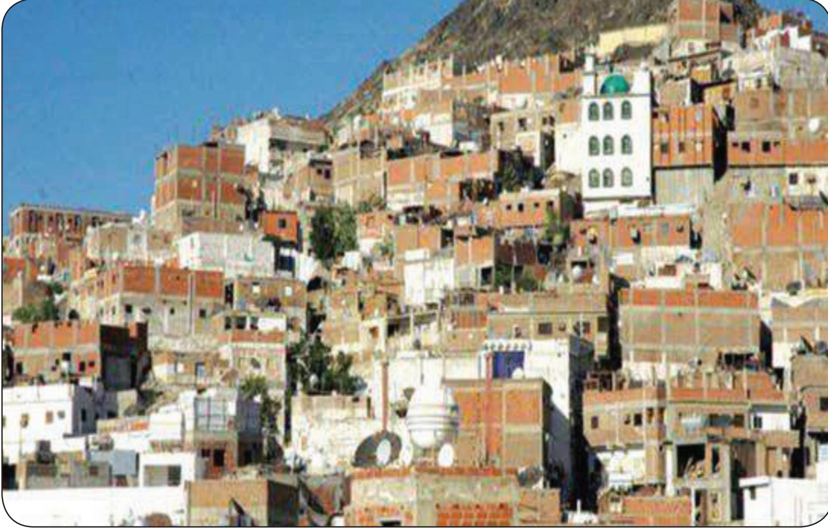
صورة رقم (١٨) : منظر يظهر فيه طرف المسعى وبعض الحارات المكية التي تطل على الحرم من الشرق والشمال خلال العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م)







صور رقم (١٩) : نماذج من المنازل المكية القديمة ، ومازلنا نشاهد بعضها موجود في بعض الأحياء حتى لآن (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)





صورتان رقم (٢٠) : نماذج من الأحياء والأبنية العشوائية في مكة ، وقد أزيلت بعضها والباقي في طريقها للإزالة هذا العام (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م) والأعوام القادمة



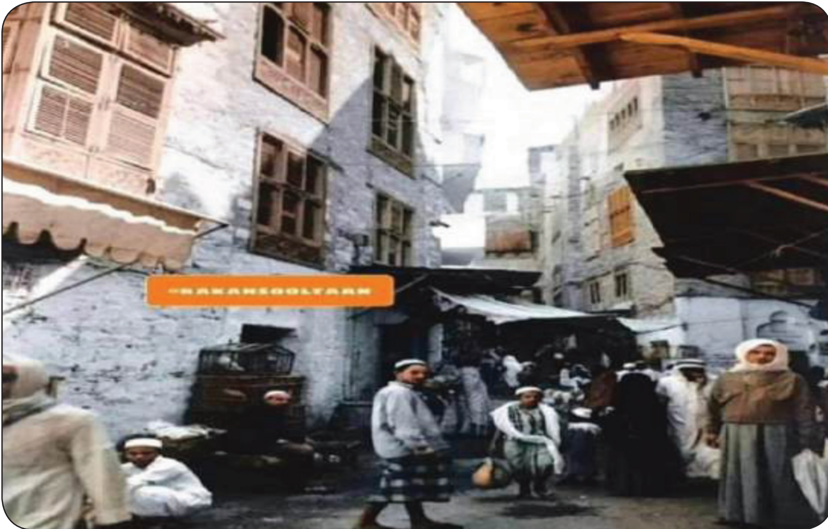
صورة رقم (٢١) : منظر لمسجد أم المؤمنين عائشة (رضي اللّٰه عنها) في حي التنعيم بمكة المكرمة في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)



صورة رقم (٢٢) : منظر لبعض حارات مكة المطلة على الحرم من الجهة الشمالية الشرقية في نهاية التسعينيات من القرن الهجري الماضي



صورة رقم (٢٣) : أحد الشوارع الرئيسية في حي العزيزية بمكة المكرمة في بدايات القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٢٤) : طرف من السوق الصغير في مكة المكرمة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)



صورة رقم (٢٥) : أحد الشوارع الرئيسية وعلى مقربة منه السوق الصغيربمكة المكرمة في مطلع القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٢٦) : عمارة البريد المركزي بمكة المكرمة في بدايات القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٢٧) : جزء من منطقة الحجون في مكة المكرمة في نهاية القرن الماضي و بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٢٨) : سوق المدعى بمكة المكرمة في أوائل القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٢٩) : منظر لعمارة الأشراف في حي القرارة بجوار الحرم المكي بمكة المكرمة في بداية القرن الحالي(١٥هـ/ ٢٠م)



صورة رقم (٣٠) : منظر لجزء من الحرم المكي وسوق الليل وما حوله في أوائل هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)



صورة رقم (٣١) : منظر لجزء من طلعة الفلق بجوار الحرم المكي خلال العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٢) : طرف من حارة الفلق القريبة من المسجد الحرام في أوائل هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٣) : جزء من ريع الرسام في حي جرول في أوائل هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٤) : منظر لمعلم بئر طوى في حي جرول في الثلاثينيات من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٥) : منظر البوابة على الطريق السريع بين جدة ومكة المكرمة خلال القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٦) : منظر لمدفع رمضان على أحد جبال مكة القريبة من المسجد الحرام في العقد الثالث من القرن (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٧) : مقر كليات البنات في حي الزاهر بمكة المكرمة في بداية الثلاثينيات من القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٨) : منظر يظهر فيه بعض العمارات والجسر وأحياء عديدة شمال المسجد الحرام في نهاية الثلاثينيات من القرن الحالي (١٥هـ/٢٠م)



صورة رقم (٣٩) : صورة توضح نهاية الطريق الدائري الثاني من جهة الغرب في مكة المكرمة عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٠) : صورة باتجاه نهاية الطريق الثاني نحو الغرب، ويظهر على اليسار إحدى أحياء حي الخالدية الشعبية في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤١) : صورة من الطريق الثاني الدائري باتجاه الغرب، ويظهر أعلى النفق الحي الشعبي المعروف بحي الخزان أو المطبعة في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٤٢) : جانب من مشروع مهجور حاليًا يتعلق بمواقف السيارات لسوق المسفلة التجاري على طريق الدائري الثاني عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٣) : جانب من الأبراج على أطراف الطريق بعد الخروج من نفق طريق عمر (أجياد المسفلة) باتجاه الغرب في مكة المكرمة عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٤) : صورة من داخل نفق طريق عمر الدائري الثاني باتجاه الغرب حول المسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٤٥) : صورة لنفقين، الأول من على يمين الصورة يؤدي إلى منطقة أجياد الحرم، والآخر إلى حي الرصيفة (نهاية الدائري الثاني) في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٦) : بداية للأنفاق المؤدية إلى حي الرصيفة، من جهة الغزة في مكة المكرمة عام (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٧) : منظر بعد تجاوز النفق الأول من الغزة إلى حي الرصيفة على طريق الدائري الثاني، ويظهر أعلى النفق الثاني طرف من جبل خندمة في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٨) : صورة من على الدائري الثاني باتجاه الغرب، ويظهر على يسار الصورة حي الملاوي الجنوبي في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٤٩) : جزء من نفق السليمانية المؤدي إلى منطقة الغزة بجوار الحرم المكي الشريف على الطريق الدائري الثاني عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٥٠) : صورة جامع الأمير متعب بجرول وبعض العمارات حوله على الطريق الدائري الثاني باتجاه منطقة الغزة في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥١) : محطات التبريد وأجهزة التكييف الخاصة بالحرم المكي الشريف في حي جرول عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥٢) : جانب من حي النزهة باتجاه جرول على الطريق الدائري الثاني عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥٣) : صورة تقاطعات الشارع العام لحي النزهة باتجاه جرول عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٥٤) : المسجد الكويتي وما حوله في حي النزهة باتجاه جرول عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥٥) : العمارات الكبيرة في حي النزهة باتجاه جرول، وعلى يمين الصورة طرف من مسجد الكويتي عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥٦) : صورة إحدى شبكات الطرق المؤدية إلى شارع المنصور وحي الزاهر والضيافة عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٥٧) : طرف من المدرسة الثانوية الأولى للبنات بمكة المكرمة بحي جرول على الطريق الدائري الثاني، ويظهر خلفها محطة التبريد للحرم المكي الشريف عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥٨) : مشهد لبرج الساعة من أطراف الدائري الثاني المطلة على حي جرول عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٥٩) : منظر صورة من على الدائري الثاني باتجاه أنفاق السليمانية عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٦٠) : صورة أخرى من على الدائري الثاني باتجاه أنفاق السليمانية في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م)



صورة رقم (٦١) : صورة من على الدائري الثاني يوضح جانبًا من توسعات الحرم المكي في منطقة الغزة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٦٢) : صورة للخارج من أنفاق جبل خندمة على الدائري الثاني باتجاه انفاق السليمانية، وجزء من الطريق يسير إلى منطقة الششه بحي العزيزية في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٦٣) : منظر للأنفاق المؤدية إلى منطقة الغزة، ويظهر أعلاها منازل بحي أجياد في مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٦٤) : صورة توضح المسار الأيمن لمنطقة أجياد من على الطريق الدائري الثاني المتجه إلى منطقة الغزة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٦٥) : صورة من على الدائري الثاني بجوار حي المسفلة الذى تم إزالته حديثا، ويظهر في طرف من الحي بعد تنظيفه من الركام؛ استعدادًا لإقامة مشاريع ضخمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٦٦) : صورة أبراج حي المسفلة من على الدائري الثاني عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٦٧) : منظر لحي المسفلة بعد إزالته ويظهر فيه بعض الأنفاق القديمة التي كانت تخدم الحي حتى عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٦٨) : منظر لجزء من حي الخزان (المطبعة) باتجاه المسفلة من على الدائري الثاني في عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٦٩) : منظر لبرج الساعة والأحياء العشوائية المحيطة به من جهة الغرب، تم التقاط الصورة من الدائري الثاني باتجاه حي الخزان (المطبعة)عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٠) : أحد التقاطعات لحي الخالدية وشارع المنصور والرصيفة للقادم من حي الرصيفة، ومن هذه النقطة يبدأ الدائري الثاني باتجاه شارع المنصور والمسفلة وصولاً إلى حي النزهة عام (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧١) : جانب من الشارع المؤدي إلى الشرق وصولاً إلى الدائري الثاني في حي الرصيفة عام (١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٢) : منظر مدخل لحي شعب عامر شمال الحرم المكي عام (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٣) : جانب من مواقف الباصات المجاورة لمنطقة الغزة، ويظهر أعلى الصورة جبل خندمة في عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٤) : جانب من الشارع المؤدي إلى الشرق وصولاً إلى الدائري الثاني في حي الرصيفة عام (١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٥) : منظر لبعض الأحياء الداخلية في شعب عامر عام (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م)



صورة رقم (٧٦) : صورة لإحدى طرق حي شعب عامر المؤدية إلى جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٧): منظر لأحد المساجد في شعب عامر على الطريق النازل من جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٨): منظر لإحدى الطرق في حي شعب عامر عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٧٩) : طرف من الجبل المطل على منطقة الغزة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٨٠) : منظر لمواقف منطقة الغزة، ويظهر على اليمين طريق الدائري الثاني المؤدي إلى السليمانية عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٨١) : صورة من أعلى جبل سودان المقابل لمكتبة مكة المكرمة (مكان ولادة النبي ﷺ)، وتظهر الساحات الشرقية للمسجد الحرم، ومبنى الصفا والمروة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٨٢) : من إحدى أطراف جبل سودان الملاصق لخندمة، وتظهر أجزاء من المسجد الحرام وبرج الساعة وجانب من مواقف الباصات المؤدية إلى حي العزيزية وجزء من إحدى الأحياء المزالة من جبل سودان، وهذا الطريق تتجه إلى منطقة الغزة شرق المسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٨٣) : طرف من منطقة الغزة والطريق الدائري الثاني من أعلى جبل سودان شرق المسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م)



صورة رقم (٨٤) : منظر للدائري الثاني من أعلى جبل سودان عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٨٥) : منظر عام لمنطقة الغزة من جبل سودان
عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٨٦) : صورة يظهر فيها جبل المدافع من على جبل سودان،
وأجزاء من منطقة الغزة بين الجبلين عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٨٧) : صورة تبين جبل خندمة من جهة الغرب، وتظهر الأحياء القديمة غرب الجبل عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٨٨) : صورة أخرى لجبل خندمة، وهو الجبل الذي تمر أسفله أنفاق الدائري الثاني، وأنفاق الحرم العزيزية، وأنفاق أجياد الهجرة، وأنفاق الغزة والششة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٨٩) : صورة للمؤلف غيثان بن جريس برفقة الأستاذ ناصر بن أحمد العماري الشريف، ويظهر في الخلف الساحات الشرقية للمسجد الحرام ومكتبة مكة المكرمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٩٠) : جزء من حي المصافي قريباً من جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٩١) : جبل خندمة من الناحية الغربية، وتظهر بعض الأنفاق المؤدية من الحرم المكي إلى حي العزيزية عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٩٢) : منظر لبعض الأبنية الكبيرة القريبة من المسجد الحرام



صورة رقم (٩٣) : منظر لبرج الساعة من أعلى جبل خندمة
عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٩٤) : صورة من أعلى جبل خندمة باتجاه الغرب، وتظهر بعض المركبات لساكني الأحياء المجاورة له، ويظهر الطريق المؤدي من الحرم إلى حي العزيزية عبر الأنفاق التي تحت الجبل عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٩٥) : منظر لجزء من حي أجياد من أعلى جبل خندمة
عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٩٦) : صورة أخرى لجزء من حي أجياد من أعلى جبل خندمة
عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (٩٧) : صورة تبين تطوير جبل خندمة، وهي من المشاريع التي سوف تعكس تحولاً فريداً للمنطقة المركزية للحرم المكي الشريف عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٩٨) : صورة من أعلى جبل خندمة، ويظهر الحرم المكي الشريف، وعلى يمين الصورة ملعب ترابي لكرة القدم، وذلك يدل على استخدام الطبيعة الجبلية من أبناء مكة المجاورين للجبل ،لأجل ارضاء شغفهم الرياضي بهذه اللعبة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (٩٩) : جزء من حي أجياد من على جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (١٠٠) : صورة توضح جزء من الطريق الدائري الثاني المتجه إلى أنفاق السليمانية من على جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠١) : منظر من أعلى جبل خندمة وتظهر بعض الأحياء الجنوبية للمسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠٢) : إحدى الطرقات المنفذة على أطراف جبل خندمة من جهة الغرب عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠٣) : صورة أخرى لإحدى الطرقات المنفذة على أطراف جبل خندمة من جهة الغرب عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠٤) : صورة من أعلى جبل خندمة يوضح الطريق الدائري الثاني المار بمنطقة الغزة إلى أنفاق السليمانية، ويظهر جبل المدافع أعلى الأنفاق عام (١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م)



صورة رقم (١٠٥) : صورة تبين الجهة الشمالية للمسجد الحرام من على جبل خندمة، ويظهر من اليسار مقبرة المعلاة وحي الملاوي عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠٦) : صورة من أعلى جبل خندمة يكشف الجزء الجنوبي للمسجد الحرام ومنطقة الغزة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (١٠٧) : صورة للمؤلف الدكتور غيثان بن جريس من أعلى جبل خندمة وعلى يمينة أطراف من حي الملاوي شمال المسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠٨) : صورة أخرى للمؤلف ابن جريس من أعلى جبل خندمة باتجاه الملاوي شمال المسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٠٩) : صورة للدكتور غيثان بن جريس برفقة الأستاذ ناصر العماري الشريف من أعلى جبل خندمة ويتوسطهم حي الملاوي شمال المسجد الحرام عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١١٠) : منظر من أعلى جبل خندمة وتظهر الأحياء الشمالية للمسجد الحرام، ويظهر كذلك جبل النور والأحياء المجاورة له عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١١١) : صورة أخرى تبين حي الملاوي من أعلى جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ - ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١١٢) : منظر لجبل النور من أعلى جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (١١٣) : صورة أخرى لجبل النور من أعلى جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (١١٤) : منظر لمقبرة المعلاة والأحياء المجاورة لها من أعلى جبل خندمة عام (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)



صورة رقم (١١٥) : منظر لجبل ثبير والمتجه إلى حي جبل النور من الجهة الشرقية عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١١٦) : منظر أخر لجبل ثبير للقادم من حي المعابدة والذاهب إلى حي جبل النور من الجهة الشرقية عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١١٧) : صورة لجزء من جبل عمر على الطريق الدائري الأول وتظهر بعض المشاريع العمرانية عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١١٨) : منظر لأحد مشاريع جبل عمر القريبة من الحرم المكي الشريف من على الدائري الأول عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



صورة رقم (١١٩) : جزء من توسعة الملك عبد الله المطلة على الدائري الأول شمال الحرم عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



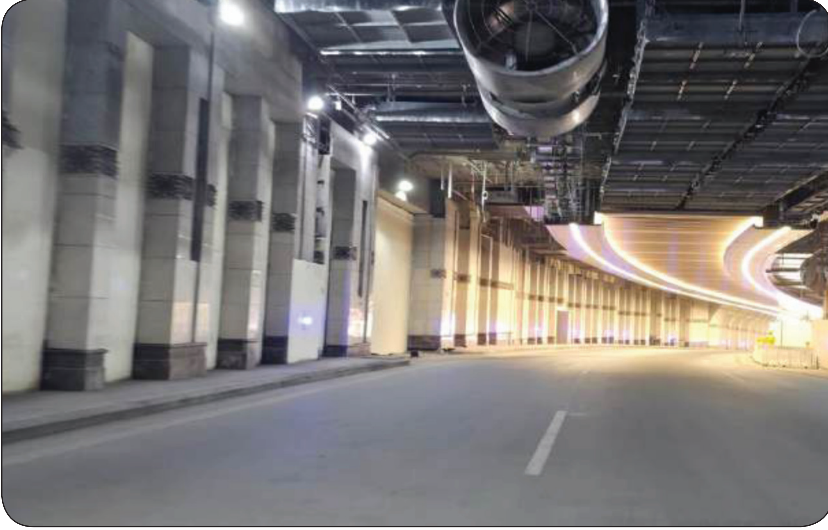
صورة رقم (١٢٠) : صورة أخرى لجزء من مشروع توسعة الحرم المطلة على الدائري الأول شمال الحرم عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



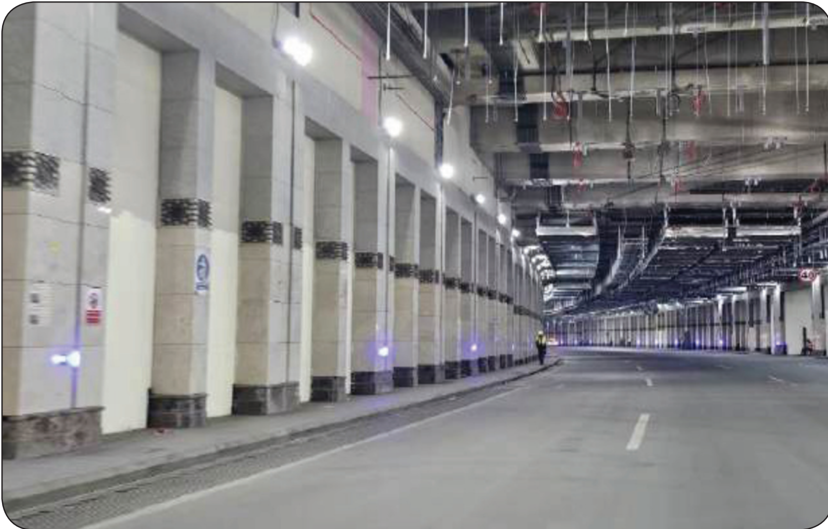
صورة رقم (١٢١) : منظر من على الدائري الأول شمال الحرم، ويظهر مخرج يؤدي إلى جبل الكعبة شمال الحرم عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



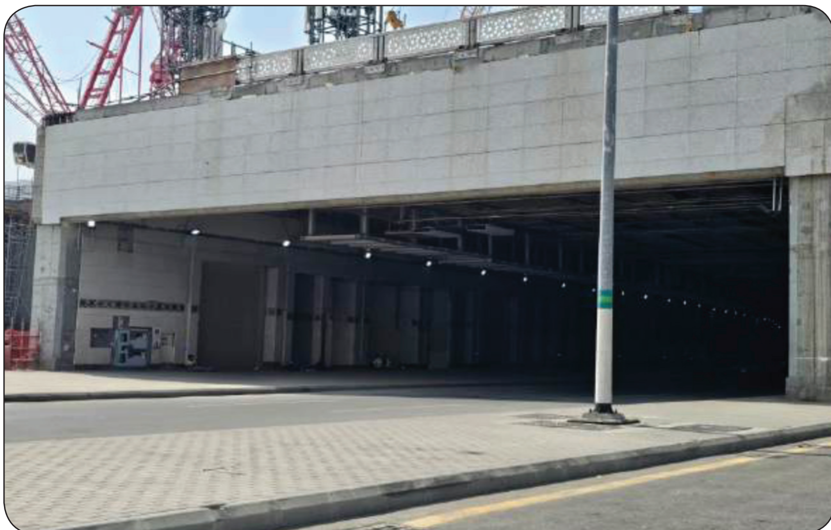
صورة رقم (١٢٢) : صورة لمشروع أنفاق الدائري الأول من الجهة الشمالية للحرم المكي الشريف، ويلاحظ بأن الطريق تم تنفيذه بأكمله عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



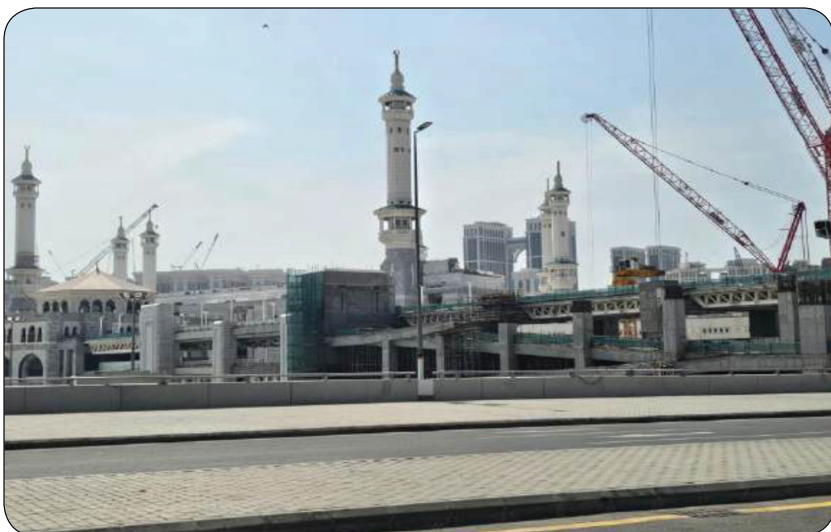
صورة رقم (١٢٣) : منظر أخر لمشروع أنفاق الدائري الأول من الجهة الشمالية للحرم المكي الشريف، ويلاحظ بأن الطريق تم تنفيذه بأكمله عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



صورة رقم (١٢٤) : صورة لمشروع أنفاق الدائري الأول من الجهة الشمالية للحرم المكي الشريف، ويلاحظ بأن الطريق تم تنفيذه بأكمله عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



صورة رقم (١٢٥) : صورة للداخل إلى أنفاق الدائري الأول من الجهة الشمالية للحرم المكي الشريف، ويلاحظ بأن الطريق تم تنفيذه بأكمله عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



صورة رقم (١٢٦) : منظر للحرم المكي الشريف من الجهة الشمالية و تم التقاط الصورة من على الدائري الأول عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م)



صورة رقم (١٢٧) : منظر لأنفاق الدائري الأول من الجهة الشمالية للحرم المكي الشريف عام (١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م-٢٠٢٥م)



صورة رقم (١٢٨) : صورة جوية على بعد (٧٠٠م) توضح الطريق الدائري الأول من شمال الحرم، ويلاحظ وصول توسعة الملك عبد الله إلى حدودها



صورة رقم (١٢٩) : صورة جوية لعام (٢٠٠٤م)، للجزء الذي تم توسيعه لصالح توسعة الملك عبد الله للحرم المكي الشريف شمال الحرم



صورة رقم (١٣٠) : صورة جوية قديمة توضح الجهة الشرقية المطلة على جبل خندمة



صورة رقم (١٣١) : صورة جوية حديثة توضح الجهة الشرقية للمسجد الحرام المطلة على جبل خندمة



صورة رقم (١٣٢) : صورة جوية حديثة لجبل خندمة شرق المسجد الحرام



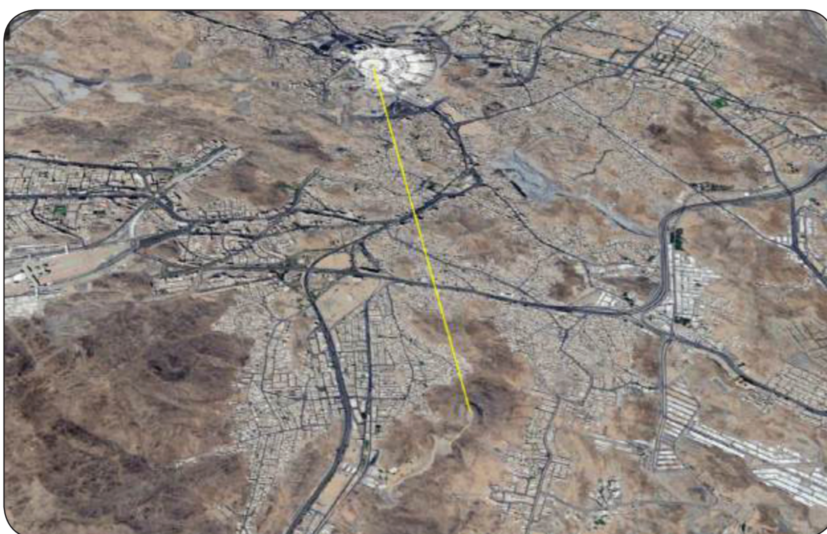
صورة رقم (١٣٣) : صورة جوية قديمة لجبل خندمة شرق المسجد الحرام



صورة رقم (١٣٤) : صورة جوية قديمة لجبل النور من الناحية الجنوبية للجبل



صورة رقم (١٣٥) : صورة جوية حديثة لجبل النور من الناحية الجنوبية للجبل



صورة رقم (١٣٦) : صورة جوية تجمع ما بين جبل النور والمسجد الحرام، بمسافة تقدر بنحو (٥) كيلو متر

سيرة ذاتية مختصرة



أولا : معلومات عامة

غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

١- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
٢- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وحصل على الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
٣- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود، قسم التاريخ، وتخرج في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
٤- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس جزء من درجة الماجستير في جامعة تكساس بمدينة أوستن (University of Texas at Austin)، ثم انتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٥- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة مانشستر (University of Manchester) عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ - ١٩٩٠م)
٦- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاما.
٧- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ويُعد أول من حصل على هذه الدرجة العلمية من خريجي كليات وجامعات الجنوب السعودي .

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

١- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
٢- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
٣- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
٤- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
٥- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
٦- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

تابع سيرة ذاتية مختصرة

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

١- قدم حوالي (٢٠٠) محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٢١٠) ندوة ، أومؤتمر ، أو لقاء علمي، أو ورشة عمل.
٢- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
٣- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
٤- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
٥- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
٦- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في أرخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)
٧- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/٨/١٨هـ الموافق ٢٠١٩/٤/٢٣م) .
٨- دشنت جريدة الوطن السعودية موقع الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الإليكتروني، في مقرها الرئيسي بمدينة أبها يوم الاحد (٣ / ٣ / ١٤٤٠هـ الموافق ١١ / ١١ / ٢٠١٨م) ، وحضر حفل التدشين حوالي (١٥٠) شخصية من المسؤولين ووجهاء منطقة عسير .
٩- تم تكريمه في نادي أبها الأدبي تحت رعاية أمير منطقة عسير كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/١١/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٧/٢٢م) .
١٠- زيارة وتكريم مجموعة (أبها عطاء ووفاء) لغيثان بن جريس في منزلة بأبها في (١٤٤١/١١/١٧هـ الموافق ٢٠٢٠/٧/٨م) ، وكان برفقتهم رئيس جامعة الملك خالد وبعض المسؤولين في الجامعة .
١١- تم تكريمه كضيف شرف في ديوانية بني شهر بمحافظة تنومة في منطقة عسير يوم الخميس (٢٨ / ١٢ / ١٤٤٥هـ الموافق ٤ / ٧ / ٢٠٢٤م) .
١٢- زيارة رئيس قسم التاريخ والآثار بجامعة الملك خالد وبعض طلاب القسم للدكتور غيثان بن جريس في منزلة بأبها يوم الاحد (١٤٤٧/٢/٩هـ الموافق ٢٠٢٥/٨/٣م).

رابعاً : النتاج العلمي :

١- ألف وترجم ونشر أكثر من(٩٢) كتاباً. (جميعها مطبوعة ومنشورة ورقياً ورقمياً) .
٢- قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣- نشر أكثر من (٤٥٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية وثقافية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia

(1 - 15th H. / 7 - 21st G.)



Volume: 31



Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais

Previous Professor of History at King Saud University and King Khalid University

First edition

1447 H /2025 G

History of the South

A Historical and Cultural Encyclopedia
(1 - 15th H. / 7 - 21st G.)

Volume : 31

Prof. Ghithan bin Ali bin Jrais
Previous Professor of History at King Saud University and King Khalid University

First edition
1447 H /2025 G